دراسات تراثية

في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الثاني

المؤلف: د. عماد عبد السلام رؤوف

الطبعة الاولى ٢٠١٩م- ١٤٤٠هـ



مكتب التفسير

للطبع والنشر

أربيل - الشارع الثلاثيني قرب المنارة المظفرية

+964 750 818 08 66

www.al-tafseer.com

tafseeroffice@yahoo.com

/TafseerOffice

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مكتب التفسير

رؤوف، عماد عبد السلام

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الثاني ، د. عماد عبد السلام رؤوف (المؤلف)

٧٦٤ ص.

١٧* ٢٤ سم

١-التاريخ .٢-الرحلات. أ.العنوان. ب.السلسلة

ISBN: 978-9922-620-30-5

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة - إقليم كوردستان (٢٤٥) لسنة ٢٠١٩

خط الغلاف : نوزاد كويي

دراسات تراثية

في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

الجزء الثاني

د. عماد عبد السلام رؤوف



بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد، فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا (دراسات تراثية)، وهو ينطوي على ثلاثة محاور، فالمحور الأول تناول جوانب متنوعة من الحياة الإجتماعية، من خلال ثماني دراسات مستقلة، اختصت الأولى بدراسة المؤلفات البغدادية التي اتخذت من الأسرة موضوعاً للبحث في التاريخ الاجتماعي، وهو منهج نادر لم نجد من اتبعه قبل بدايات القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وتناولت الثانية أسرة بغدادية نجدية الأصل استقرت في بعض محلات الكرخ واشتهرت بتجارة الخيل وغيرها، معتمدة على بعض وقفيات أفرادها، فكانت هذه الاسرة أنموذجاً دلَّ على نمط الحياة لغيرها من الأسر المُهاجِرة التي اتخذت من بغداد وطناً لها في القرن المذكور، وتطرقت الدراسة الثالثة الى نظام الأصناف في العراق في العصر العثماني، وكان هذا النظام ينتظم الفئات المنتجة في المدينة الإسلامية ويحدد مكانتها في المجتمع وبين غيرها من الفئات. وتناولت الدراسة الرابعة ضرائب صنف القصابين في العراق من خلال وثيقة خطية مهمة رفعها أحد العاملين في هذه الحرفة الى والي بغداد علي رضا باشا لإعفائه من الضرائب التي كانت تثقل كاهله، فكشفت بذلك عن أنواع هذه الضرائب وطبيعتها ومقاديرها. وإذا كانت هذه الدراسات قد تناولت جوانب من العلاقات الاجتماعية في المدينة، فإن الدراسة الخامسة اختصت بالعلاقات الزراعية في العراق إبان القرن الثاتي عشر للهجرة، مستندة الى عددٍ من الوثائق الخطية التي تضمنت أنواعاً من العقود المسماة عقود المغارسة، عقدها بعض الولاة مع مزارعي منطقة الحلة في جنوب بغداد. أما الدراستان السادسة والسابعة فتناولتا واقع الخدمات العامة التي قامت بها المرأة في العراق في مدينتي بغداد والموصل، من خلال تحليل معطيات مئات من الوثائق الوقفية المحفوظة في دوائر الأوقاف، وتتنوع هذه الخدمات بين إنشاء المساجد والمدارس وخزائن الكتب والسقايات والحمامات والخانات والقناطر وغير ذلك. وتتناول آخر دراسات هذا المحور المصطلحات الحضارية التي شاعت في فلسطين في القرن 11هـ/17م من خلال مجموعة كبيرة من الفتاوى الشرعية التي

أفتى بها فقيه كبير من أهل الرملة، منتهية الى تقرير أن كتب الفقه تصلح أن اكون مصدراً مهماً لكتابة التاريخ في عصر كاتبها.

واختص المحور الثاني بالوثائق والسجلات بوصفها المادة الأولى من مواد كتابة التاريخ، وهو يستوعب ثماني دراسات، تعرض أولاها لأهم مجموعة وثائقية في بغداد، وهي سجلات المحكمة الشرعية القديمة، التي تضم في طياتها عشرات الألوف من الأحكام الشرعية في مختاف القضايا التي كانت تُعرَض على قضاة بغداد المتعاقبين في القرنين الأخيرين من عصر الدولة العثمانية في العراق، وتضم الدراسة فهرسة دقيقة لهذه السجلات، مع نماذج لبعض ما تنطوي عليه من قضايا متنوعة، ويزيد من أهمية هذه الفهرسة أن عدداً كبيراً من السجلات أتلف بعد ذلك في أثناء حوادث الفوضى التي عمَّت بغداد في سنة 2003. أما الدراسات التالية من هذا المحاور فتتناول بالبحث والتحليل نماذج عدة من وثائق متنوعة كان لها الدور الأساس في الكشف عن أسرار وخفايا غير معروفة من التاريخ، في العراق ولبنان ومصر، منها وقفيات غير منشورة، ورسائل سرية، ومنشورات سياسية، وجميع تلك الوثائق عثرنا عليه في أثناء بحثنا ولم يُنشر من قبل.

وتناول المحور الثالث قراءات في مخطوطات، أكثرها لم يُنشر بعد، وإثنتان منها نشرناهما أخيراً، وهو يستوعب عشر دراسات، الأولى لمخطوطة مهمة في المكاييل والموازين والأطوال، من القرن الثامن للهجرة، تعد أول رسالة مستقلة في هذا العلم، والثانية في مخطوطة فريدة لمثقف بغدادي اختصر فيها نسخة من كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، تختلف في منهجها عن النسخة المطبوعة، وهذا هو موطن أهميتها، والثالثة تضمنت محاولة مبكرة لفهرسة عشر خزائن للكتب في بغداد، قام بها عالم معروف هو نعمان خير الدين الآلوسي في أواخر العهد العثماني في العراق، والرابعة لمخطوطة فريدة في تعليم صنف (البلطجية)، وهو واحد من الصنوف العسكرية المهمة في جيوش العصر العثماني، لكن إسمه اتخذ معنى مختلفاً اليوم، والخامسة بعنوان (ذيل على تاريخ مصر لمرتضى بك الكردي الدمشقي)، وهو مؤرخ غَفَلَ عن ذكره المؤرخون، مع أنه أرَّخ لحقبة حافلة من تاريخ مصر في القرن الثاني عشر، وقد عُنيت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على سيرته، ومنهجه، وأهمية تاريخه من النواحي السياسية والاجتماعية والإقتصادية وغيرها، والسادسة لمخطوطة تضمنت

وقائع رحلة قام بها صاحبها من بغداد إلى استانبول، في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، وكشف فيها عن التغييرات التي طرأت على طرق المواصلات بين هاتين المدينتين في ذلك العهد، أما الدراسة السابعة فتضمنت قراءة في مخطوطة فريدة بعنوان (ورود حديقة الوزراء) لعالم بغدادي لم يُعرَف مؤرخاً من قبل، هو محمد سعيد السُويدي، من الأسرة السُويدية التي أنجبت العدد الجم من المؤرخين والمؤلفين، وتكمن أهمية النص في أنه يعتمد على شهادة عيان مؤلفه عن تاريخ بغداد في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، ويكشف عن خفايا جانب من عصر المماليك لا سيما في عهد أولهم سليمان باشا المعروف بأبي ليلة. أما الدراسة الثامنة فهي لمخطوطة بخط مؤلفها تبحث في تاريخ بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) من خلال الترجمة لعددٍ من أعلامها عهد ذاك من الولاة والعلماء وزعماء القبائل وحتى الموسيقيين. وأما الدراسة التاسعة فتختص بمخطوطة (نزهة المشتاق في علماء العراق) وهو نص جديد في تراجم أعلام العراق من العلماء والأدباء والشعراء في القرن الثاني عشر الهجري، لم ينشر من قبل. بينما تناولت الدراسة الأخيرة مخطوطة فريدة بخط مؤلفها عثرنا عليها في إحدى الخزائن الخاصة، وهي تتناول ظاهرة الغلاء التي أصابت الموصل سنة 1878، وتمثل هذه المخطوطة أول نص في التاريخ الإقتصادي كتبه مؤرخ عراقي في العصر العثماني كله.

وينطوي المحور الأخير من هذا الجزء، على دراستين في مجال التصوف، الإولى تسعى إلى تقديم تفسير سياسي للظاهرة الصوفية من خلال تتبع مسار كل من الواقع السياسي والفكر الصوفي في العصور الإسلامية، والأخرى تناولت سيرة متصوف بارز، هو عبد الكريم الجيلي، حياته، ورحلاته، ومؤلفاته، مع معجم بمصطلحاته الصوفية.

ولابد من القول أخيرا أن هذه الدراسات تمثل مختارات مما كتبناه فحسب، وثمة غيرها تركنا جمعه إلى مناسبة أخرى إن شاء الله، وهو- تعالى- من وراء القصد.

عماد عبد السلام رؤوف

11 تشرين الثاني 2016

دراسات اجتماعية

بيوتات بغداد

في دراسات المؤرخين المحدثين

يُولي مؤرِّخ المدينة المعاصر - وهو المَعنيُّ بدراسة تطور العلاقات الاجتماعية لمدينة ما، وما يَرتبط بها من ظواهر اقتصادية وثقافية معقَّدة - عنايةً خاصَّة بتاريخ الأُسَر التي سكَنَتْ تلك المدينة، بوصفه يَكشف عن جملة من الظواهر؛ منها: أن معرفة الأصول القومية التي انحدَرتْ منها تلك الأُسر يَكشف عن التركيب القومي لمجتمع تلك المدينة، ويوضِّح نسَبَ ذلك التركيب إلى حدٍّ ما.

كما إن معرفة الانتماءات القَبَلية للأسَر يُبيِّن نوعَ المجتمعات البشرية التي يتألَّف منها مجتمعُ المدينة، وبذا يُمكن للمؤرِّخ - أو حتى عالم الاجتماع - تفسيرُ كثيرٍ من الظواهر التي يتَّصف بها ذلك المجتمعُ، وطبيعة ردود أفعاله إزاء التحديات الحضارية المختلفة.

إن مَعرفة المدن والمناطق التي انحدَرت منها تلك الأُسَر، يُلقي الضوء على طبيعة المؤثِّرات الحضارية التي تؤثِّر في مجتمع المدينة المذكور، وتوضِّح - إلى حدٍّ كبير - أصولَ تلك المؤثِّرات، بتحديدِ الأماكن التي انطلَقت منها.

ومن شأن تحديد تاريخ هجرات الأُسَر إلى المدينة أن يُبيِّن الحقَب التي شهدتْ زيادةً في الهجرة إلى تلك المدينة، من التي لم تَشهَد مثل تلك الزيادة، وإذا ما لُوحظ أثرُ العوامل السابقة؛ من معرفة الأصول القومية، والقَبَلية، والمكانية؛ يكون ميسوَرًا معرفةُ الطريقةِ التي تَكوَّن على وَفْقها مجتمعُ المدينة المذكورة.

ومن ناحية أخرى فإن معرفة المِهَن والحِرَف التي امتهنَتْها الأُسَر - سواء أكانت دينيَّة أم علمية أم إدارية أم غيرها - تَوضِّح طبيعة النشاط الاقتصادي، ومعايير الوجاهة الاجتماعية في عصرٍ ما.

كما إن تحديد الأماكن التي سكنَتْها الأُسَر في المدينة، من شأنه أن يَرسم خارطة توضِّح توزيع الفئات الاجتماعية المختلفة في محلات المدينة، وتبيِّن الأسباب التي دَعَتْ كلَّ فئة إلى اختيار محلة معيَّنة مُستقرًا لها.

ثم إن دراسةَ الأعلام الذين خرَّجتهم كلُّ أسرة، والمجالات التي نبَغوا فيها، يُساعد على فَهْم ظاهرة توارُث الخصائص الثقافية والمِهْنيَّة لأبناء المدينة الواحدة، وهو ما يَمنح المدينة مَلامحها الخاصة بين المُدُن.

ولنا أن نُلاحظ أن التاريخَ للأسرة لم يكن أحدَ الضروب البارزة لكتابة التاريخ في العصور الإسلامية، فلم نقرأ أن مؤلِّفًا رتَّب أعلامه على وَفق أُسرهم، وإنما جَرَت العادة على ترتيبهم وَفْقًا لمدارسهم الفكرية، أو لمجالات تخصُّصهم، أو على وفق السياق الزمني لوفياتهم، أو -

في الأقل - بحسب حروف المعجم، والمجال الوحيد الذي ذُكرتْ فيه أسماء الأُسَر هو كتُب الأنساب، فحينما يُشير مؤلِّف مَعْنيٌ بالنسَب إلى عددٍ من الرجال الذين يَنتَظمُهم خطُّ نسَبٍ معيَّن؛ يذكر أحيانًا الاسم المشترَك، الذي عُرفوا به في عهده؛ كأن يقول: (وهم المعروفون بآل كذا)، وإن أشار إلى أبيهم قال: (وهو الذي يُعرف ولده ببني كذا)، وقد يَكتفي مؤلِّفو كتُب المُشَجَّرات النَّسَبية - (وهي التي تصل بين الآباء والأبناء بخطوط) - بوضْع لقب الأسرة فوق أسماء الرجال الذين يَجمعُهم عمودُ نسبٍ واحد، في حقْبة محدَّدة[1].

وفي تقديرنا، فإن اتخاذ (الأسرة) بوصفها الوحدة الاجتماعية الصّغرى، موضوعًا للكتابة التاريخيَّة، أو أساسًا لترجمة الأعلام؛ قد لا يَرقى ظهوره في أقطارنا العربية إلى أبعدَ من القرن الثاني عشر للهجرة - (الثامن عشر للميلاد) - وهو قد اتخذ شكلَ مؤلَّفات مُستقلَّة يؤرِّخ كلٌّ منها لأسرة معيَّنة، أو أنه اتخذ من جمع تراجم أُسَرٍ عديدة موضوعًا لكتاب.

وعلى الرغم من ازدهار كتابة التاريخ في بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة؛ فإن أحدًا من المؤرِّخين لم يُدَوِّن لنا قائمةً بأسماء الأسر البغدادية التي عاصَرها، فضلاً عن أن يتحدَّث عن تاريخها، وهكذا بتّنا لا نعلم مَن سكَن في هذه المدينة إبَّان القرون المتأخِّرة؟ وما هي أصول أولئك الذين سكَنوها؟ وما طبيعة نشاطاتهم الاقتصادية، واتجاهاتهم الفكرية.. إلخ؟

وأولُ قائمة بأسماء تلك الأسر وردَتْنا صدفة! أي إنها لم تكن نتيجةً لعملِ مؤرِّخ ما، وإنما جاءت عَرَضًا في ثنايا قصيدةٍ بائية طويلة من بحر البسيط، لشاعر بغدادي، هو السيد محمد جواد السياهبوش (توفي سنة 1247هـ/1831م)

---

(1) وفي وسعنا أن نعد كتاب (الأصيلي) لابن طباطبا الطقطقي (المتوفى بعد سنة 701هـ/1301م)؛ (مخطوطة مصورة لدى الدكتور حسين علي محفوظ)، نموذجًا بيناً لهذا النوع من الكتب.

هجا فيها - دونما إقذاع غالباً- عدداً كبيراً من بيوتات بغداد، لأسباب تتعلّق بمَوقف هذه الأسرة أو تلك منه، فسجَّل - بهَجوه أو مَدحه - وجودَها في عهد نظم قصيدته (سنة 1239هـ/ 1823م)، ومن نافلة القول: إن القصيدة لا تقدِّم معلومات عن هذه الأُسَر غير أسمائها، ومع ذلك فإن أهميتَها تتمثَّل في انفرادها بذكر تلك الأسماء، التي ما كنا لنَعرف أكثرها لولا أن وردتْ في القصيدة المذكورة.

يَبلغ عدد أبيات القصيدة 93 بيتًا، ومطلعها:[1]

لَا تَبْتَغي غَيْرَ فَضْلِ اللهِ فِي الطَّلَبِ وَمَنْ يُؤَمِّلْ عَطَاءَ اللهِ لَمْ يَخِبِ

ويبلغ عددُ الأسر التي أُشير إليها في ثنايا القصيدة إحدى وأربعين أسرة، رتِّبت على غير سياق محدَّد؛ وهي:

1- آل مخلف.

2- آل الشالجي.

3- آل المَراياتي.

4- آل كُبَّة.

5- آل عيشة.

6- آل المزراقجي.

7- آل الباجه جي.

8- آل زَهرة.

9- آل دَلَّة.

10- آل المَعْمَلجي.

11- آل الدامرجي.

---

(1) توجد نسخة خطية من هذه القصيدة في دار المخطوطات العراقية ببغداد، وفي خزائن كتب خاصة نُسَخ أخرى، وانظر عن ناظمها عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج2 ص132، وقد حقَّق السيد زين أحمد عبدالله النقشبندي هذه القصيدةَ من نسخ عدة، وعلق عليها ونشرها في كتاب بعنوان (الأسر البغدادية في القرن التاسع عشر الميلادي من خلال القصيدة البغدادية)، بغداد 2014.

12- آل الطاطاني.

13- العَطْعَطيون (آل عطا).

14- آل القيمجي.

15- آل ونَّة.

16- آل الدَّرقزلي (الدَّركزلي).

17- آل عَرْمُوش.

18- بيت الفارسيَّة (بيت كاتب الفارسية، أو بيت الفارسي).

19- آل سلطان حَمُود (سلطان حمودة).

20- العَودَديُون (آل العَوَّادي).

21 بنو الرَّهَبي (آل الرحبي).

22 الجلجيون (آل الجلجي).

23- المكاريون.

24- آل حَرباء (آل الحَرباوي).

25- آل الجَرجَفي (آل الجرجفجي).

26- آل القشطَيني.

27- الرَّفرفيون (آل رَفَّة).

28- آل الأورفلي.

29- آل قهرية.

30- آل مصبغة.

31- آل سَنَد .

32- آل كافل الحسين.

33- بنو البيري.

34- آل طليقاني (آل الطالقاني).

35- آل بني عيسى (آل السيد عيسى).

36- آل زركوشة (آل الزركشي).

37- النيل فروشي.

38- أزارقة.

39- مليَّة (آل الملي).

40- عمشة[3].

بَيد أن أولَ نصٍ تاريخي يتناول بالبحث بيوتات بغداد المعروفة، هو الكتاب الذي عنونَّاه (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)؛ لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن حلمي بن محمد عبدالمحسن العباسي السهروردي (المتوفى سنة 1287هـ/ 1870م)، فقد تحدَّث هذا المؤرِّخ عن ستٍ وستين أسرة بغدادية، تُعد - فيما يظهر - من أبرز أُسَر المدينة وأكثرها شهرة، وهي:

1- بيت أحمد شكري.

2- بيت السيد فتاح.

3- بيت رفَّة.

4- بيت الملا إسماعيل.

5- بيت الدباغ.

6- بيت الملا سليمان الجُورَه بجي.

7- بيت أوده باشي.

8- بيت السيد حسين رفَّة.

9- بيت معروف.

10- بيت مصطفى أغا.

11- بيت فتحي الموصلي.

12- بيت علاوي.

13- بيت فشتني.

14- بيت مصطفى.

15- بيت شيخ عمر.

16- بيت إبراهيم نديم.

17- بيت السُويدي.

18- بيت العُشاري.

19- بيت الأعظمي.

20- بيت مهدي جلبي.

21- بيت عبدالرحمن الأعظمي.

22- بيت اليَمَنجي.

13- بيت عبدالرزاق الشيخلي.

24- بيت الشُوشة جي.

25- بيت أمين.

26- بيت محمد رفيع.

27- بيت الرَّواف.

28- بيت تاتار اغاسي.

29- بيت الخاصكي.

30- بيت نائب بغداد.

31- بيت بكتاش.

32- بيت وهب أغا.

33- بيت عبُود.

34- بيت البرزنجي.

35- بيت ينكجري أفنديسي (وهم آل الرهاوي، أو آل الأورفلي).

36- بيت النقيب.

37- بيت الحاج طه.

38- بيت العُشاري (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).

39- بيت الراوي.

40- بيت عبدالكريم أفندي.

41- بيت القيَّار.

42- بيت الفَناهَرة.

43- بيت مصطفى الخليل.

44- بيت الحاج صالح.

45- بيت يوسف بك.

46- بيت عُزَير أغا.

47- بيت الحاج حبيب.

48- بيت رُضوان أغا.

49- بيت نائب زاده.

50- بيت السُوَيدي (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).

51- بيت محمود بن زكريا النقيب.

52- بيت محمد سعيد المفتي.

53- بيت يحيى المَزُوري.

54- بيت مِرزا أغا.

55- بيت أغا زاده.

56- بيت الجاويش.

57- بيت خليل أفندي (الدفتري).

58- بيت بَكتاش.

59- بيت الدوري.

60- بيت متولي الدور (وهم آل السُهْرَوَردي).

61- بيت محمد سعيد نقيب بغداد.

62- بيت الحاج رسول أفندي.

63- بيت الدِركزلي.

64- بيت الحيدري.

65- بيت الشاوي.

66- بيت صَمناجي زاده.

67- بيت المفتي.

وموطنُ أهمية كلامه عن هذه الأسر، أنه ضمَّنه معلوماتٍ ذاتَ فائدة حقيقية في دراسة منشئها، والمدن التي انحدرتْ منها، فقال في كلامه على بيت السيد فتاح: إن رجاله من بلدة الموصل، ووطنوا بغداد سنة 1236هجرية، ووَصَفَ بيت الدباغ بأن أصلهم من الموصل سكَنُوا بغداد سنة 123هـ، ووصف بيت الجوره بجي بالموصلي، فعرَّفنا بأصلهم، ومثله ما ذكره عن بيت فتحي الموصلي وبيت علاوي؛ إذ قال عنه: من البيوت الموصلية، وقوله عن بيت البَرَزنجي: إنهم من أهل بَرَزَنجة، وعن بيت السُويدي: إنهم من أهل قرية الدور العليا، وعن بيت الروَّاف: إنهم من أهل نجد، وعن بيت عبود: إنهم من أهل الموصل جاؤوا إلى بغداد.

ومثل هذه المعلومات تُفيدنا في تحديد تواريخ هجرة الأُسَر إلى بغداد، فضلاً عن مناطق هجرتها، مما يَفتَح مجالات جديدة للبحث في تاريخ الهجرات الاجتماعية، وآثارها الاقتصادية والسياسية إبَّان ذلك العصر.

ويَزيد من أهمية هذه القائمة، أنه أشار في مواضعَ عديدةٍ إلى المِهَن التي اشتهرتْ بها تلك الأُسَر، وصلة ذلك بالعوامل التي أدَّتْ إلى هجرتها إلى بغداد، ومن تحليلنا للمعلومات التي أوردَها عن الخلفيات الاقتصادية لتلك الأسر؛ توصَّلنا إلى أنه ذكر[1]:

- 28 أسرة من العلماء.
- 13 أسرة من الموظفين، وأرباب المناصب العسكرية (أغوات).
- 13 من التجَّار وأهل الحِرَف.
- 4 أُسَر من الوجهاء.
- 8 أُسَر لم تحدَّد مِهنُها.

---

(1) نسخة بخط مؤلفها لم يخترْ لها عنوانًا، وهي في مكتبتنا، وقد حقَّقناها وعلَّقنا عليها ونشرناها (بغداد 1996).

المجموع 66 اسرة

ومنهج عبدالرحمن حلمي في عرضه للأسر البغدادية في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (18م)؛ يتحدَّد في جملةٍ من الأمور؛ أهمها: إشارته إلى مَوطن الأسرة الأولى ومهنتها - على ما ذكرنا - والتنويه بأبرز رجالاتها، مع التطرُّق إلى ما حازتْه تلك الأُسَر من سمعةٍ طيِّبة ومجد، ويُشير - في بعض الأحيان - إلى صلة رجال الأسرة بالسلطة، وإلى طبيعة ارتباطها بأسرته، من عَلاقات ووشائج مختلفة.

وقبل أن يتوفَّى عبدالرحمن حلمي بسنة واحدة، وضَع عالِم بغدادي ذائع الصيت - هو إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري، (توفي سنة 1300هـ/ 1882م) - كتابًا مهمًّا في تاريخ بغداد والبصرة ونجد، بعنوان (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، ضمَّنه فصلاً كبيراً في (بيان البيوت الطيبة من ذوي العلم، والسيف، والقلم، والتجارة، في بغداد في عصرنا هذا)[1].

وتحدَّث في هذا الفصل على ستٍّ وتسعين أسرة؛ هي:

1- بيت الحيدري.

2- بيت القادرية.

3- بيت الشاوي.

4- بيت عبدالله بك الرُبَيعي.

5- بيت كُوسَه دَفتَردار.

6- بيت العَلقَبَند.

7- بيت سُمَيكه.

8- بيت الحاج إسماعيل المفتي.

9- بيت أحمد الطَبَقجَلي.

10- بيت محمد سعيد المفتي.

11- بيت عبدالله بن مرتضى المفتي.

(1) طبع ببغداد دونما تحقيق سنة 1961.

12- بيت الرَّحبي.

13- بيت الخطيب.

14- بيت جميل.

15- بيت ياسين المفتي.

16- بيت رَفَّه.

17- بيت السويدي.

18- بيت الراوي.

19- بيت الشوّاف.

20- بيت بكتاش أفندي.

21- بيت مدلِج.

22- بيت شطّي.

23- بيت أحمد النائب.

24- بيت عبدالرحمن الروزبهاني.

25- بيت الحاج أسعد أفندي.

26- بيت فَرهاد.

27- بيت عبدالباقي العمري.

28- بيت عبدالرحمن أفندي الأعظمي.

29- بيت الإمام عبدالله.

30- بيت جرجيس.

31- بيت الألوسي.

32- بيت السيد عبدالغفور المشاهِدي.

33- بيت سيد محمود الأورفَلي.

34- بيت إسماعيل كَهيَه.

35- بيت محمود كَهيَه.

36- بيت خليل أفندي الدفتري.

37- بيت عَلوَش أفندي.

38- بيت عَلوَش.

39- بيت درويش أغا القائم مقام.

40- بيت نعمان أفندي القائم مقام.

41- بيت بكر كهيه.

42- بيت أحمد أفندي الزَندي.

43- بيت الزهاوي.

44- بيت صالح أغا رئيس الكتاب.

45- بيت عبدالجليل بك.

46- بيت عبدالرحمن الأورفلي.

47- بيت صاري كهيه.

48- بيت حسن بك.

49- بيت الجَرجَفجي.

50- بيت طُويق.

51- بيت نظمي زاده.

52- بيت الرُوزنامجي.

53- بيت أحمد أفندي المَصرَف.

54- بيت السيد رحمة الله الجيبه جي.

55- بيت عمر أغا الجيبه جي.

56- بيت الغُرابي.

57- بيت القشطِيني.

58- بيت مِينه.

59- بيت عَرمُوش.

60- بيت وزنكر.

61- بيت الباجه جي.

62- بيت الملا عبدالرزاق.

63- بيت دَلّه.

64- بيت الحاج سعيد البقّال.

65- بيت الأدهم.

66- بيت سَند .

67- بيت الوِتري.

68- بيت الإمام.

69- بيت عطا .

70- بيت هاشم.

71- بيت المِزرَقجي.

72- بيت كُبَّه.

73- بيت سيد عيسى.

74- بيت شالجي موسى.

75- بيت القيّمَقجي.

76- بيت المراياتي.

77- بيت الخاصَّكي.

78- بيت الأعرجي.

79- بيت جلال.

80- بيت المَعمَلجي.

81- بيت سيد يحيى.

82- بيت القصّابجي.

83- بيت هلال.

84- بيت الدامِرجي.

85- بيت كُزبَرخان.

86- بيت يوسف جَبرة.

87- بيت جبرة أصفر.

88- بيت إلياس عيسى.

89- بيت عِزره صرَّاف باشي.

90- بيت سُوميخ.

91- بيت ساسون.

92- بيت أبي قبلاغ.

93- بيت بحر.

94- بيت كُرجي.

95- بيت الطالقاني.

96- بيت التُوكمه جي.

فهذه القائمة – كما ترى – أوسعُ مما أورده عبدالرحمن حلمي، وأكثر شمولاً، كما أنها ضمَّتْ لأول مرة أسرًا نصرانية وأخرى يهودية، ولم يجمع بينهما إلا العيش المشترك والمواطنة في هذه المدينة.

وفضلاً عن ذلك، فإن ما كتبه الحَيْدري يمثِّل تطورًا محسوسًا في منهج دراسة الأسر، فهو – على خلاف سابقه – أكثر اهتمامًا بالأنساب التي تنتمي إليها الأسر؛ فبيت الحيدري – وهم أسرة المؤلِّف – ينتمون إلى الإمام موسى الكاظم، بواسطة الشريف أحمد الأعرابي، وبيت الشاوي ينتسبون إلى شاوي بك، من آل شاهر شيوخ قبيلة العُبيد، وبيت فَرهاد من أولاد أبي بكر الصديق، ومثلهم بيت الخاصَّكي، وبيت عَلوَش من عشيرة القراغول وغير ذلك.

وهو – من ناحية أخرى – يُبدِي اهتمامًا بالغًا بذكر المدن التي تنحدر منها تلك الأُسَر، فبيتُ كوسه دفتر دار من أهالي إسلامبول، وبيت الحاج إسماعيل المفتي من أهالي «سُرَّ مَن رَأى»، ومثلهم آل خطيب الإمام الأعظم، وبيت الطبقجلي

من أهالي حديثة من نواحي عنة، وبيت عبدالله بن مرتضى من أهالي بُهرُز من قرى بغداد، وآل الرحبي من أهالي الرحبة، وهي رحبة الشام، وبيت الراوي من أهالي راوه من نواحي عنه (عانه)، وبيت الشواف من أهالي الدير، وبيت فرهاد أصلهم من كركوك، والأصل الأول من عَبدلان في نواحي الأكراد، وبيت عبدالباقي العمري من الموصل، وبيت جرجيس من أهالي عانه، وبيت الألوسي هم في الأصل من ألوس قرب عانه، وبيت الباجه جي في الأصل من أكابر الموصل وغير ذلك.

كما أننا نجده شديد العناية بتحديد المِهَن والوظائف التي اشتهرتْ بها أكثر الأُسَر التي تحدَّث عنها، فبيتُ سميكه مثلاً بيت علم وتقوى، وصلاح وخيرات، وتجارة، وبيت الحاج إسماعيل المفتي بيت علم، وبيت الطبقجلي بيت علم وسيادة، ومثله بيت محمد سعيد المفتي، وبيت عبدالله بن مرتضى المفتي، وبيت ياسين المفتي، وغيرهم.

ومن ذلك قوله عن بيت الراوي: إنهم بيت فضل وعلم وتجارة، وعن بيت فرهاد: إنه بيت تجارة وخيرات وميراث، وعن بيت عرموش: هو بيت عزٍّ وتجارة، ومثل ذلك قوله عن بيت كُبَّة: هو بيت عظيم في التجارة، وعن بيت سيد عيسى: هو بيت تجارة وافية، وغير ذلك كثير.

ويحرص الحيدري على التنويه ببعض أعلام الأُسَر التي يتحدَّث عنها، متطرقاً الى سبب شهرتهم، ووظائفهم، كما نجده يتطرَّق إلى وصفِ ما آل إليه أمرُ هذه الأسر في عهده، فبيتُ الرُبَيعي مثلاً بَقي منهم بعض النُجَباء، وبيت العَلقَبَند لم يبقَ منهم إلا رجل صالح من طلبة العلم، وبيت الحاج إسماعيل المفتي لم يبقَ منهم الآن أحد، وصارت ديارهم بلاقِع، وبيت محمد سعيد المفتي بَقِي منهم بعض الطلبة، وبيت الحاج بن مرتضى المفتي لم يبقَ منهم أحدٌ سوى بعض العُصبة من أهل الكسب، وبيت الرحبي لم يبقَ منهم إلا بعض العامة، وبيت رفَّه بقي منهم بعض التجار، وبيت مِدلج لم يبقَ منهم إلا بعض ذوي الأرحام، وغير ذلك مما نحسبه قد انفرد بذكره عما سواه من المؤرِّخين.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ألَّف العلامة محمد سعيد الراوي (ت 1936م) كتابَه الضخم المسمَّى (تاريخ الأسر العلمية في بغداد)[1]، على وفق منهج

(1) نسخة مخطوطة بخط مؤلفها، مصوَّرة لدينا، وقد حقَّقناها وعلقنا عليها ونشرناها (ط1دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، 1997، وط2 الدار نفسها 2007).

جديدٍ اختاره، زاوج فيه بين الحديث عن الأسرة، والترجمة لعلمائها؛ فاختار أن يؤرِّخ للأسر العلمية الرئيسية في بغداد، خلال الترجمة للنابهين من أبنائها، وبهذا لم يُعْنَ بالأسر التي لم يشتهر أبناؤها بعلم أو أدب، وإن عُرفت بالتجارة والوجاهة مثلاً، بل إننا نجده يغفل - عامدًا - عن الترجمة لبعض البارزين من تلك الأسر، لا سيما المعاصرين له، فيمرُّ بهم بسرعة دونما تفصيلٍ، لا لأمر سوى لعدم اشتهارهم - كأسلافهم - بشيءٍ من علم وأدب.

ولم يقف في بحثه عند نطاقٍ زمني محدَّد، كأن يُترجم لأبناء القرن الذي عاش فيه، أو القرن السابق عليه، وإنما تتبَّع جذورَ تلك الأسر - موضوع بحثه - فترجَم لأسلافها الأوائل، ومنهم مَن عاش في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، وحدَّد بذلك الصلات النَّسَبية التي ربطتْ بينهم، وطبيعة الاهتمامات العلمية والأدبية التي ورَّثوها لأبنائهم، ومع ذلك فإنه لم يَشَأْ أن يجعل من (الأسرة) وحدةً موضوعية يؤرِّخ لها بمَعْزِل عن الترجمة لأبنائها؛ ولهذا فإن تراجمَه - وإن توزَّعت على أُسر محددة - لكنها ظلت - إلا في حالاتٍ معيَّنة - خلْوًا من مقدِّمات تاريخية تبحث في تلك الأُسَر نفسها، بينما توزَّعتْ تلك المقدِّمات في ثنايا تراجم بعض البارزين من أبنائها، فكتب عن نسب أسرته - آل الراوي - ووضح صلاتها بالأُسَر الأخرى، في خلال ترجمته لأول مَن اختاره للترجمة من رجالها، وهو السيد حسين أفندي الراوي (المتوفَّى سنة 1165هـ/1751م)، وكتب عن نسب السادة الحيدرية، وقدومهم إلى العراق، والمواطن التي استقرُّوا فيها، ضمن ترجمة لأول مَن قَدِم من رجالهم إلى العراق، وهو السيد صبغة الله الحيدري (المتوفَّى سنة 1187هـ/ 1773م)، ولكن ذلك لم يَمنَعه من أن يعود - بعد أن فرغ من الترجمة لأبنائه وأحفاده - لترجمة العلماء من أسلاف صبغة الله المذكورة، حتى انتهى إلى أول مَن وَفَد من ما وراء النهر - حيث موطن الأسرة الأول - إلى العراق، ونظير هذا ما فعله في تاريخِ أسرة السويديين، حين تناول شيئًا من التاريخ في ترجمةٍ للشيخ عبدالله السويدي، وهو أول مَن اشتهر بالعلم من رجالها، وعُرِف بهذا اللقب، وإن سبقه في الإقامة ببغداد جيلانِ قبله.

وما دوَّنه من نسب الألوسيين ومواطنهم الأولى في ترجمة السيد أبي الثناء محمود الألوسي (المتوفَّى سنة 1270هـ/1855م)، وهو أول من نال الشهرة العريضة من رجالاتهم، وإن لم يكن أولهم إقامة في بغداد.

ويمكننا أن نتتبع هذا المنهجَ في كلامه على آل جميل، وآل الشوّاف، وآل الطبقجلي، فقد تكلّم على هذه الأسر في أثناء ترجمته للبارزين الأوائل من رجالاتها، لكننا نَلمَح أن المؤلِّف طوَّر منهجه في القسم الأخير من كتابه، فكتب مقدِّمات مُهمَّة مستقلّة في تاريخ بعض الأسر موضوع البحث.

ومن الواضح أنه ما فعل ذلك إلا لإحساسه بضرورة تقديم فَذْلَكَة، وتقديم عامٍّ للأسر المذكورة، وهو ما تجلّى في بحثه عن النقباء من الأسرة الكيلانية، فقد تتبَّع فيه جذور مؤسسة نقابة الأشرف في بغداد منذ أن تولاَّها أحفاد السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ومثل هذا ما فعله بصدد آل الشاوي أيضًا، فإنه قدَّم لتراجم رجالاتهم بمقدمة مستقلة، تكلَّم فيها عن نَسبهم ومنزلتهم العامة بين القبائل، وما عُرِفوا به من الشجاعة والبأس.

والمؤلف – بعد هذا – شديدُ الاهتمام بتوضيح ما يَصل بين مترجَميه من دواعي القرابة والمصاهَرة، وهو ما يتجلّى بوضعه مُشجَّرتَي نَسبٍ لأسرتين ترجَم لأبنائهما؛ هما: آل الراوي من السُّواهيك، وآل الشاوي من حمير، وتثبيته العديد من المعلومات النَّسَبية بشأن الأسر الأخرى، بما يمكن أن يكون سبباً في وضع (شجرات نسب) لها، تفيد في تقويم صلاتها الاجتماعية.

وفي الوقت نفسه تقريبا ألَّف باحثٌ شابٌ – سيكون له شأن فيما بعد – هو الشيخ محمد بهجة الأثري، (المتوفَّى سنة 1996م) كتابًا مستقلاً في تاريخ أسرة علمية واحدة، هي الأسرة الألوسية، التي برزتْ في بغداد في مفتتح القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، فتكلَّم عن نسبها، وترجم لأعلامها، ولا سيما منهم: السيد محمود شكري الألوسي، الذي تَلْمَذ المؤلِّف على يديه، ويظهر أن الأثري أراد بهذا الكتاب أن يكون جزءًا من موسوعة كبيرة، تضمُّ تراجم عددٍ كبير من أعلامِ العراق، عنوانُها «أشهر مشاهير العراق في العلم والأدب، والسياسة والرِّئاسة، والظرف والفنون الجميلة، منذ القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)»[1].

وعلى الرغم من أن منهج الكتاب يلتزم قواعد الترجمة للأعلام – كما توضَّحت في تراجم الألوسيين – فإن نظرةً لِثَبَت محتوياته المقترَحة، تُظهِر أنه

(1) أعلام العراق بغداد 1341هـ.

احتوى تاريخًا لأسر بغدادية بذاتها؛ منهم: آل السويدي، وآل الحيدري، وآل الرحبي، وآل الخضيري وغيرهم.

ومن المؤسف أن هذه الموسوعة النافعة لم يُكتَب لها الظهور، باستثناء ما اختص منها بالألوسيين على ما أشرنا إليه.

ويأتي كتاب إبراهيم بن عبدالغني الدروبي البغدادي (ت 1959م)، الذي سمَّاه (البغداديون أخبارهم ومجالسهم)[1]؛ ليقدِّم آخر صورةٍ لأُسَر بغداد بتاريخها، وصلاتها، ومجالسها، وأعلامها قبل أن تعصف بها رياحُ التغيير الاجتماعي بُعَيد قيام ثورة تموز 1958م[2]. وبالرغم من عنوان الكتاب غير المُفصِح عن مضمونه تمامًا، فإنه غطَّى تاريخ أسر بغداد إبَّان النصف الأول من القرن العشرين، مع مقدِّمات ضرورية عن تاريخها قبل ذلك، وأكثر تلك الأسر ممن وَفَد إلى بغداد واستقرَّ فيها، خلال القرنين الأخيرين.

ومثلما فعل الحيدري من قبلُ، تناول الدروبي في كتابه الحديثَ عن أُسرِ بغدادَ الإسلامية والنصرانية واليهودية على حدٍّ سواء، فبلغ عدد هذه الأسر 223 أسرة؛ منها أسر نصرانية، وأخرى يهودية؛ وذلك على النحو الآتي:

أسر مسلمة:

تناول 202 أسرة تنتمي إلى أصول قومية مختلفة، أكثرُها من العرب، وبعضها من الترك والكرد والمماليك، وهم الذين انحدروا من أصول كُرجية في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (18م) وغيرهم، وقد سكن معظمُ هذه الأسر في الجانب الشرقي، ومنهم مَن سكن الجانب الغربي، وعرف بعض هذه الأسر باسم (بيت) وبعض آخر (آل)، بينما ترجم لقسم آخر باسم أعلام الأسرة البارزين؛ وهم:

1- السيد علي الكيلاني نقيب الأشراف، 2 - السيد سلمان الكيلاني، 3 - السيد عبدالرحمن الكيلاني، 4 - السيد محمود حسام الدين الكيلاني، 5 - السيد داود ضياء الدين الكيلاني، 6 - السيد حسن سالم الكيلاني، 7 - السيد عبدالله الكيلاني وأحمد الكيلاني، 8 - السيد إبراهيم سيف الدين الكيلاني 9 - السيد موسى شرف الدين الكيلاني، 10 - السيد محيي الدين الكيلاني، 11 -

---

(1) طبع ببغداد سنة 1958.

(2) فرغ من تأليفه في رمضان 1377هـ/ آذار (مارس) 1958م.

السيد عبدالقادر الكيلاني، 12 - السيد أحمد السيد ياسين الكيلاني، 13 - السيد محمد حامد الكيلاني، 14 - السيد حسين ناصر الدين الكيلاني، 15 - آل الواعظ 16 - آل السويدي، 17 - أبو الثناء محمود الألوسي، 18 - آل الجميل، 19 - آل الشاوي، 20 - آل الطبقجلي، 21 - آل الحيدري، 22 - الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني، 23 - الشيخ طه الشواف، 24 - عبدالملك الشواف، 25 - قاسم البياتي، 26 - عبدالرحمن الأدهمي، 27 - عبدالباقي العمري، 28 - الحاج حسن الهندي، 29 - عبدالغفار الأخرس، 30 - صالح التميمي، 31 - بيت عطا، 32 - الشيخ إبراهيم الراوي، 33 - بيت دَّلة، 34 - بيت السِّنوي، 35 - الشيخ عبدالوهاب النائب، 36 - السيد عباس القصاب، 37 - آل القشطَيني 38 - الشيخ محمود الديملاني، 39 - القاضي الشيخ عبدالحميد الشيخ علي، 40 - داود السعدي، 41 - آل عبدالجليل بك، 42 - بيت الزَيبق، 43 - الشيخ سليمان الغنام، 44 - بيت الوسواسي، 45 - بيت الخُنَيني، 46 - بيت المدلل، 47 - سليمان الصالح، 48 - بيت الريِّس، 49 - السيد محمد سعيد المصطفى الخليل، 50 - بيت الربيعي، 51 - الحاج حسن الكوله 52 - سليمان فائق، 53 - الحاج إسماعيل شطّي، 54 - الشيخ عيسى البَندَنيجي، 55 - آل الأورفلي، 56 - بيت سميكة، 57 - درويش أغا القائممقام، 58 - عبدالغفور المشاهدي، 59 - نعمان أغا القائممقام، 60 - آل الوتري، 61 - آل القلعه لي، 62 - آل مدلج، 63 - آل الخضيري، 64 - آل القيّارة، 65 - آل عُزَير أغا 66 - طاهر جلبي آل الراضي، 67 - محمد درويش بن عزيز، 68 - آل القَيماقجي، 69 - آل التتار، 70 - أمير اللواء محمد باشا الدياربكري، 71 - بيت الباجه جي، 72 - الملا عبدالحميد الضاحي، 73 - آل البَرَزنلي، 74 - آل ثنيّان، 75 - الشيخ عبدالحليم الحافاتي، 76 - آل الدفتري، 77 - معروف الرصافي، 78 - عبدالعزيز المُطَير، 79 - الشيخ عبدالسلام الشهير بالشواف، 80 - آل العمري، 81 - الشيخ قاسم الغواص، 82 - إبراهيم بك المُميِّز، 83 - آل شاكر أفندي، 84 - الحاج أمين كاتب الخزينة، 85 - آل الكتخُدا، 86 - آل المصرف، 87 - بيت سَند، 88 - السيد أحمد خطيب الأعظمية، 89 - بيت العَلقَبند، 90 - آل مامو، 91 - آل عارف أغا، 92 - آل الروزنامه جي، 93 - آل فَرهاد، 94 - آل الفارسي، 95 - آل الجادرجي، 96 - رفعت بك ينكجري آغاسي، 97 - آل الجيبه جي، 98 - بيت متولي الأعظمية، 99 - آل الجوربه جي، 100 - آل رئيس الكتاب، 101 - بيت الرَّحبي، 102 - غُلام

رسول الهندي، 103 - بيت كوسه دفتردار، 104 - آل الزهاوي، 105 - فهمي المدرس، 106 - الشيخ أمجد الزهاوي، 107 - الشيخ رشيد الكردي، 108 - الشيخ محمد أمين الكردي المعروف بالملا معنوي، 109 - بيت البزركان، 110 - حسين أفندي الغرابي، 111 - آل البقال، 112 - الحاج محمود التحميسجي، 113 - أيوب اليتيم، 114 - عبدالله الخياط، 115 - بيت ونة، 116 - بيت الخطيب، 117 - آل متولي سليمان باك، 118 - السيد أحمد الراوي، 119 - السيد إبراهيم البرزنجي، 120 - آل رفة، 121 - فتاح باشا، 122 - الشيخ رضا الطالباني، 123 - بيت الشيخلي، 124 - بيت الشابندر، 125 - آل سلطان حمودة، 126 - آل الرحّال، 127 - آل شيخ الحلقة القادرية، 128 - بيت الريزه لي، 129 - الشيخ أسعد الدوري، 130 - الشيخ أحمد الفكيكي، 131 - آل القره غولي، 132 - آل يمنجي علي، 133 - الشيخ خالد النقشبندي، 134 - الشيخ أبو بكر عبدالرحمن بن أبي بكر المصنف، 135 - أحمد أفندي التكية، 136 - الشيخ داود النقشبندي، 137 - طه جلبي، 138 - توفيق وهبي بك، 139 - قاسم القيسي مفتي بغداد، 140 - الشيخ نعمان الأعظمي، 141 - عبدالفتاح المدرس، 142 - آل الوتّار، 143 - آل الحاج خالد الجلبي، 144 - الشيخ محمد شريف العاني، 145 - آل بابان، 146 - السيد خضر أفندي الطائي، 147 - الحاج محمود جلبي التكريتي، 148 - السيد أمين الأعظمي، 149 - ياسين باشا الهاشمي، 150 - آل مصطفى سليم جلبي، 151 - الدكتور ناجي بك الأصيل، 152 - السيد طه الراوي، 153 - بيت العساف، 154 - بيت الدركزنلي، 155 - آل مَلُوكي، 156 - آل الشيخ قادر، 157 - الحاج علي والحاج أحمد الشيخلي، 158 - الحاج حمدي الأعظمي، 159 - الشيخ محمد القِزلجي، 160 - السيد عبدالحميد الأتروشي، 161 - آل البسّام، 162 - السيد حسن البغدادي، 163 - عبدالله الشيخلي، 164 - الشيخ عبدالرحمن الزبير، 165 - آل شلال القيسي، 166 - السادة الهيتاويين، 167 - جميل صدقي الزهاوي، 168 - أسعد أفندي الموصلي المدرس، 169 - السيد أحمد السيد عثمان الخطيب، 170 - الشيخ نوري الشيرواني، 171 - توفيق بك البرزنجي، 172 - أسرة الشوكة، 173 - الشيخ خضر بن عباس العجاج، 174 - محمد باشا الداغستاني، 175 - محمد بك أكريبوز، 176 - السيد حسن الصدر، 177 - آل كُبّة، 178 - بيت شالجي موسى، 179 - بيت المراياتي، 180 - الشيخ شُكر، 181 - أحمد الظاهر، 182 - بيت المِزرَقجي، 183 - المعملّه جي، 184 - بيت القَيمجي، 185 - بيت

الطالقاني، 186 - علي كافل حسين، 187 - بيت الجَرجفجي، 188 - آل الدامرجي، 189 - بيت السيد عيسى، 190 - بيت الخاصَّكي، 191 - آل الشالجي، 192 - السادة الحلاويين، 193 - السيد حسين يحيى، 194 - الشيخ كاظم الدجيلي، 195 - السيد جواد السِّياهبوشي، 196 - بيت السوز، 197 - بيت جلال، 198 - آل الدجيلي، 199 - آل المَولى، 200 آل حسين النجم الطائي، 201 - آل الشبيبي، 202 - آل الفكيكي.

البيوت النصرانية:

تناول 10 بيوت، أكثرها من أصول موصلية، وبعضها من أصول حلبية، وأرمنية، وجميعها يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وهي:

203 - آل عيسائي، 204 - آل غَنيمة، 205 - يعقوب سركيس، 305 الأب أنستاس الكرملي، 223 - آل عواد، 208 - آل مَسكوني، 209 - سكندر اسطيفان، 210 - بيت جرجي، 211 - بيت نازو، 212 - بيت مراد الشيخ.

البيوت اليهودية:

تناول 11 أسرة، جميعها من أصول بغدادية قديمة، وهي تسكن جميعًا الجانب الشرقي:

213 - مناحيم دانيل، 214 - عزرَه مناحيم دانيل، 215 - الحاخام ساسون خضُوري، 216 - أنور شاؤول المحامي، 217 - مير بصري، 218 - داود سَمره، 219 - يوسف الكبير، 220 - نعيم زَلخة، 221 - إبراهيم حييم، 222 - روبين بطاط، 223 - صالح قحطان.

وكان شرط الدروبي في اختيار أُسَره يتمثَّل في وجود (مجلس) خاص بها، يؤمُّه الناس في أوقات محدَّدة، على وفق عادة البغداديين عهد ذاك، ومعنى هذا أنه جمع في كتابه كلَّ الأسر التي تمتَّعت بشيء من الوجاهة والنبل والصيت؛ إذ إن إقامة مثل تلك المجالس كان شأنَ الأسر المذكورة عادة، هذا مع ملاحظة أنه تكلَّم عن مجالسَ لأفرادٍ بارزين، ولكن لا أسر لهم.

ولقد توسَّع الدروبي - بالنسبة إلى سابقيه - في الحديث عن بيوتات بغداد في عهده، فتكلَّم عن نسب البيت، وانتمائه القومي، والأصول القبلية التي ينحدر منها، وتاريخ وفوده إلى بغداد، وسبب ذلك غالبا، والمحلات التي سكنها، ومَن خرج

منه من الأعلام، والمجالات العلمية والاجتماعية التي نبغ فيها، وصلاته بأبناء الأسر الأخرى، وما أُثِر عنه من ميراث؛ كوقف مسجد، أو خزانة كتب، أو مدرسة مثلاً، وما قيل فيه من شعر، وتواريخ، ومواضع دَفْن أفراده.

اعتمد الدروبي في إعداد مادته العلمية على عددٍ من الكتب، أكثرها كان مخطوطًا في عهده؛ مثل (عنوان المجد) للحيدري، ومجاميعَ في التراجم، كما اعتمد أحيانًا على معطيات سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، والتي كان مطلعاً - بحكم عَمَله في هذه المحكمة - عليها، فضلاً عما كان يستقيه من رجال الأسر نفسها من معلومات خاصة، وما كانوا يُطلعونه عليه من وثائق تتعلق بأسلافهم؛ لذا جاء كتابُه موثقاً إلى حدٍ كبير، وقد زاد من أهميته ضياعُ أكثر الأصول التي اعتمدها، من وثائق وروايات، وانفراده - من ثَمَّ - بإيراد ما نَقَل عنها.

والمهم أن كتاب الدروبي كان آخر الأعمال المطبوعة التي تناولت بالبحث في تاريخ الأسر البغدادية كلها في صعيد واحد؛ فإن جميع ما صدر بعده من كتب ودراسات اقتَصَر على أسر محلَّة أو حيٍّ بذاته.

من ذلك ما كتبه الدكتور حسين علي محفوظ (المتوفى سنة 2009م)، حينما عرَّف - في دراسة شاملة - ببيوتات قصبة الكاظمية - قُرْب بغداد - على عهده، وقد شغلتْ هذه الدراسة معظمَ الجزء الثالث من الكتاب المسمَّى (موسوعة العتبات المقدسة) الصادر سنة 1970م[1]؛ فأعد جدولاً بأسماء الأسر الحسنية في الكاظمية وهي كما قدَّرها: (23) أسرة، كما أثبت عمود النسب الذي تتفرع منه هذه الأُسَر.

ثم إنه تناوَل أسماء الأُسر الحسينية، فبلغتْ عنده (53) أسرة، موضِّحا نَسَب كلٍّ مجموعة منها، وخصَّ الأَسر المُوسَوية بمبحثٍ خاصٍّ استوعب فيه أسماء (37) أسرة، وأوضح - أيضًا - أعمدة نسبها.

وبعد أن نوَّه المؤلِّف بهذه الأسماء والأنساب، تناول - بشيء من التفصيل - الكلامَ على بيوتات الكاظمية، مقسِّمًا إيَّاها إلى ثلاث فئات: الأولى هي البيوتات العلمية، وعدتها (53) أسرة، والثانية هي بيوتات الخُدَّام والسَّدَنة، وعدتها عنده (36) أسرة، والثالثة هي بيوتات التجار وأهل الحِرَف وغيرها، وسمَّاها البيوتات المعروفة، وقد تناول (86) أسرة.

---

(1) الصفحات 63-158.

وكلامه عن هذه الأُسَر يتراوح تفصيلاً واختصاراً بين عدة صفحات، وسطر واحد، حسب أهمية الأسرة، وما هو متوفّر عنها من معلومات، على أن الطابع العام للبحث يتَّسم بالتركيز الشديد، فهو يذكر أحيانا نَسَبها، إن كان لها نسبٌ معروف، كما يُشير إلى مواطنها الأولى قبل هجرتها إلى الكاظمية، والمواضع التي سكنتْها في مَهجَرهم الجديد، وما تفرَّعتْ إليه من أُسَر، وبعض ما نُسب إلى أفرادها من أعمال مهمة، وهو يُورِد - في أحيان قليلة - مشجَّرات صنعها بنفسه لبعض تلك الأُسر لتزيد صلات أبنائها وضوحاً.

وفي سنة 1984 أصدر الدكتور هاشم الدبَّاغ الأعظمي كتاباً جمع بين التاريخ والمأثور الشعبي، بعنوان (الأعظمية والأعظميون)، تكلَّم فيه عن أُسَر الأعظمية مرتَّبة على وفق المراحل التاريخية التي وفدت فيها إليها؛ فالقسم الأوَّل يختصُّ بأُسَرِها الأصلية، وهي التي ثبَتَ وجودها في الأعظمية قبل دخول السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1048هـ/ 1638 وما بعدها، وقد تكلَّم فيه على 112 أسرة.

أما القسم الثاني، فقد تناول فيه أُسَر الأعظمية بعد عام 1247هـ/ 1831م - أي: بعد الطاعون والغَرَق الذي داهم بغداد في ذلك التاريخ، ويبلغ عددها 114 أسرة - بينما استوعب القسمُ الثالث الأُسَر التي استقرَّتْ في الأعظمية منذ عام 1900، ويبلغ عددها 84 أسرة، أما القسم الرابع، ففيه تعريفٌ بالأُسَر التي استوطنتِ الأعظمية بين الحربين العالميتين 1918 - 1945، ويبلغ عددها 245 أسرة.

ومنهج الدباغ يتَّسم بالإيجاز الشديد، فهو لا يزيد على ذكر اسم الأسرة، وما اشتهرت به من كُنْية أو لقب، والمدن التي انحدرت منها أحياناً، وأسماء أبنائها على وفق طريقة (المبسوط) التي يعرفها النسَّابون خاصة، مع فارق واحد هو أن هذه الأُسَر لا تتصل بنسب واحد، وإنما تنتهي إلى أنساب مختلفة مستقلة غالباً.

وأثار صدور كتاب (بغداد كما عرفتُها) الذي ألَّفه الدبلوماسي العراقي السابق الحاج أمين المُميِّز (المتوفى سنة 1997م)، سنة 1985، وخصَّ فيه محلَّته القديمة (الدنكجيَّة) بعناية كبيرة؛ اهتمامَ بعض الفضلاء بتواريخ محلاتهم التي نشأوا فيها[1]،

---

(1) طبع ببغداد سنة 1978، وقد ناشد مؤلِّفه الحاج أمين المميز قُدَامى البغداديين أن يكتبوا عن المحلات التي نشأوا وترعرعوا فيها، وعن الشخصيات التي عاصروها، وعن المعالم التي شاهدوها، وعن بغداد أيام طفولتهم وصباهم وشبابهم، في الأسلوب الذي يختارونه.

فلم تمضِ إلا سنواتٌ قلائل، حتى كتب أنور عبدالحميد الناصري كتابًا مستقلا عن محلة (سوق الجديد)، وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد، فأرَّخ فيه لأسرٍ عديدة كانتْ تسكن محلته؛ أبرزها: آل القشطيني، وآل العَلَوي، وآل خضير، وآل جمهور، وآل الحسن، وآل الهدبان، وآل هندي، وآل الناصري، وآل جرجيس، وآل النقشبندي، وآل النُوره جي، وآل الجعفري، وآل وهب، وآل الشوّاف، وغيرهم.

وتتفاوتِ الأحاديث عن هذه الأسر سعَة واختصارا، والغالب عليها الاختصار، بل الاقتصار أحيانًا على الترجمة الموجزة لأبرز رجالها ممن عاصرهم المؤلِّف نفسه في بعض مراحل حياته، وهو إذ لم يتخذ لنفسه منهجا محددًا في الكتابة عن تواريخ تلك الأسر، فلأنه أراد – فيما يظهر – أن تأخذ مكانها كجزء من النسيج الاجتماعي العفوي لمحلته، ومن هنا ترك القلم ليُعرِّف بكل أسرة دونما سياق أو منهج مُطَّرد.

وفي الوقت نفسه، كتب السيد شاكر جابر البغدادي (المتوفى سنة 2007م) كتابه المُعَنْوَن (من تاريخ الكرَّادة الشرقية)[1]، وهو كتاب قصد به استيعاب تاريخِ هذا الحي الوسيع من بغداد الشرقية، منذ العهود القديمة وحتى العصر الإسلامي، فالعصر الحديث.

وقد خصَّص أجزاءه الأخيرة وهي التي لم تُطبع بعد، لدراسة أُسَر هذا الحي، فأفرد فصلا خاصاً بأنساب السادة الهواشم، مرتباً إياهم على النحو الآتي:

- الأسر الحَسَنية، وعدتها 13 أسرة.
- الأسر الحُسَينية وعدتها 27 أسرة، وهي تضم أُسَراً زيدية وأعرجية وموسوية.
- الأسرة العباسية.

ثم إنه بحث في تواريخ الأسر الأخرى، وحدَّد أنسابها، ومِهَنها، والمواطن التي هاجرتْ منها، والمحلات التي سكنت فيها في الكرَّادة الشرقية، ورتَّب ذلك كله على حروف المعجم، فجاءت دراستُه مستوعبة لتواريخ 436 أسرة، منها 272 أسرة بغدادية سكنت محلات هذا الحي، ومنها 165 أسرة سماها كرَّادية أصلية، والأخرى وافدةٌ في عهودٍ متأخِّرة، وتنتمي هذه الأسر إلى أصول عشائرية مختلفة،

(1) طُبع الجزآن الأولان ببغداد سنة 1990، ويقعان في مجلد واحد، وقد فرغ مؤلِّفه من إعداد ثلاثة أجزاء تالية، تضم تاريخ الأسر التي قطنت الكرادة الشرقية على ما أخبرني هو بذلك.

عدنانية وقحطانية، فمنها 45 أسرة من زبيد، و40 أسرة من خفاجة، و43 من بني سعد، و22 من طَي، و15 من ربيعة، إضافة إلى 52 آسرة لم تكتمل المعلومات عن أنسابها، و45 أسرة من النصارى، و26 أسرة من اليهود.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تناولت باهتمام مِهَنَ تلك الأُسَر ووظائفها الاجتماعية، من أصحاب بساتين، وتجار، ووزراء، وغيرهم.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي تضافرت جهودٌ متنوعة للبحث في تواريخ الأسر البغدادية، وأغلب تلك الجهود لم تَرَ لنور النشر سبيلاً بعد، من ذلك ما كتبه الباحث جميل الطائي في كتابه عن محلات بغداد، الذي عَنْوَنه (موسوعة تاريخ محلات بغداد وأسرها، الجانب الشرقي)؛ حيث جاء هذا الكتاب، الذي صدر منه الجزء الأول (بغداد 2004، 296ص)، من أجزاء عدة، متضمنًا عددا كبيرا من البيوتات، يبلغ نحو السبعمائة بيتاً، وتتوزَّع هذه البيوتات زمنًا على حقْبة تبدأ من سنة 1048هـ/ 1628م وحتى سنة 1958م كما تتوزَّع مكاناً في نحوِ 56 محلة هي أبرز محلات بغداد في خمسينيات هذا القرن.

وقد اختص الجزء الأول بالبحث في جانبٍ من محلة باب الشيخ، إحدى كُبريات محلات الجانب الشرقي من بغداد، وتناول من خلال هذا البحث تواريخَ أُسَرٍ بارزة من أهل المحلَّة؛ منها: الأسرة الكيلانية، وآل الطيار، وآل التِّكَرلي، وآل الأدهمي، وآل الواعظ، وآل البكري، وآل غلام، وآل عَلَقَبند، وآل ونَّة، وآل الرحبي، وآل الشيخ قادر، وآل الجادر، وآل الشالجي، وآل الكيّارة، وآل النَقَشلي، وآل دَلَّة، وآل عَلّو، وآل القاضي، وآل الجوراني، وآل الراضي، وآل السُكوتي، وآل مَلُوكي، وآل وريد، وآل الوطني، وآل شَنَشَل، وغيرهم.

وأرَّخ الباحث قيس عبدالقادر الشيخلي لمحلَّة باب الشيخ، وتناول من خلال تاريخه لها دراسةَ الأسر القديمة التي استوطنتِ المحلة في العصر العثماني، مُعتمدا – بصفة رئيسة – على الوثائق، والقسَّامات، والإعلامات الشرعية، وقد بلغ عَددُ الأسر التي أرَّخ لها 120 أسرة، كثير منها لم يترجم له أحدٌ من قبل؛ مثل: العُبُوسي، وآل الحوراني، وآل طَيفور، وآل المخزومي، وآل الخزرجي، وأُسر أخرى أشارت إليها المصادر السابقة إشارات عابرة؛ مثل: آل القيَّارة، وآل الدركزلي، وآل الجرّاح، وآل التَكرلي، وآل زبير، وآل غُلام، وآل الرَّحبي، وآل الطيّار، وآل دلَّة، وآل

الأدهمي، وآل ملوكي، وآل ونَّة، وآل الريزه لي، وآل المدفعي، وآل الشالجي، وآل الجاووش، وآل حمُّوش، وآل الخطيب، وآل النَقشلي، وغيرهم.

ووضع الباحث رفعت مرهون الصفار كتاباً مستقلاً عن محلة صبابيغ الال وما جاورها من محلات بغداد وبغداد الشرقية، ضمَّنه جدولاً بأسماء أُسَر المحلة والأصول العشائرية التي تَنْحَدِر منها، ويبلغ عدد هذه الأُسَر أكثر من مائة أسرة؛ منها مثلاً: آل كُبَّة، آل أبي التمن، آل القاموسي، آل الغبَّان، آل الصَّفار، آل الخاصَّكي، آل العينة جي، آل الخضري، آل المراياتي، آل علش، آل حَبَة، آل شَكاره، آل البغدادي، آل الجواد، آل البير، آل رحمة الله، آل زلزلة، آل الملائكة، آل تُويج، آل حَمَندي، آل الخياط، آل الشمَّاع، آل أبو الأقلام، آل مكيَّة، آل البصَّام، آل الطويل، آل كافل الحسين، آل الراضي، آل الخنلي، آل البَعلي، آل الشالجي، آل سَلبي، آل طعيمة، آل صندوق، آل السيد عيسى، آل الشديدي، آل الأعرجي، وغيرهم من الأسر البغدادية القديمة التي استوطنتْ تلك المحلة وجوارها، وكان لها وجود إبَّان النصف الأول من القرن العشرين.

ثم إنه وسَّع هذا الكتاب بأن أضاف إليه دراساتٍ أخرى عن محلات مختلفة في شرقي بغداد، اتبع فيه منهجه نفسه في ذكر أسماء الأسر فيها، وقد طُبِع الكتاب بعنوان (تاريخ محلات بغداد).

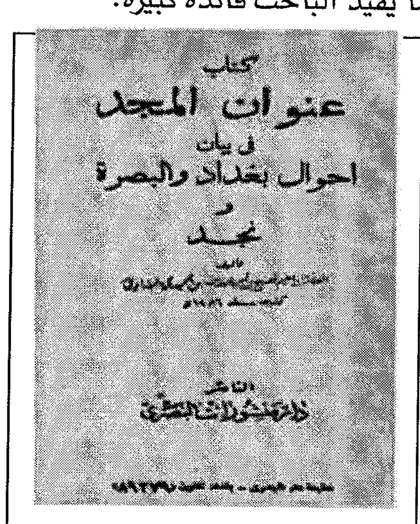
وبحثًا عن مناجم معلومات جديدة قمنا بجردِ سجلأت الوقفيات، والحجج، والإعلامات الشرعية المحفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف ببغداد؛ فاستخرجنا منها قائمة بأسماء نحو ثلاثمائة أسرة بغدادية، كان لها وجودٌ في المدينة في الحقبة الممتدَّة من سنة 894هـ/1488م (وهي تاريخ أولى الوقفيات المحفوظة)، وحتى نهاية العصر العثماني، وقد أثبتنا إزاء اسم كل أسرة أسماء رجالها الذين وَرَدُوا بصفتهم من الواقفين أو المُتولِّين أو الشهود، وتواريخ الوقفيات والوثائق الشرعية التي سجَّلت ذلك، إضافةً إلى أسماء محلات بغدادَ التي سكنوها أحيانًا.

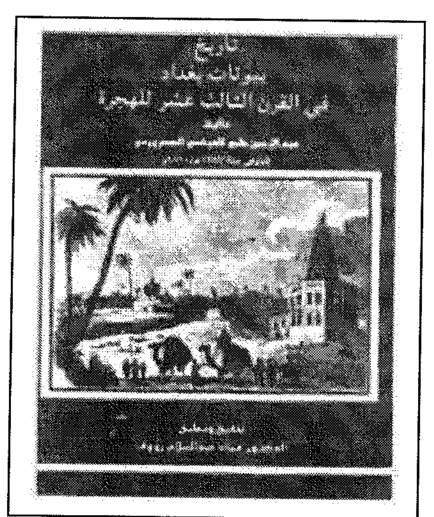
ونشرنا تلك القائمة في آخر كتاب (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة) لعبدالرحمن حلمي، الذي قمنا بتحقيقه والتعليق عليه[1]، وكثيرٌ من هذه الأُسَر لم يَرِد أسماؤه في الكتب المتقدِّمة مما دلَّ على أنها تقع خارجَ نطاقِ ما

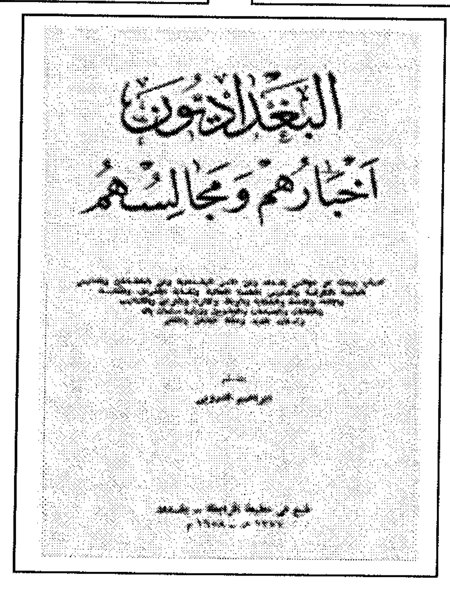
(1) الصفحات 119-140.

وَضَعوه من شروط، وهو أن يكون للأسرة أصلٌ قديم، أو مجلسٌ معقود، أو فضلٌ مشهور، ومن ناحية أخرى، فإن عددا غيرَ يسيرٍ مما تضمنته تلك القائمة لم يُسمَع به من بعدُ، مما دلَّ على انقراضه نتيجة لظروف متنوعة.

ولا نشكُ في أن مناجمَ جديدةً من المعلومات لَمَّا تَزَلْ تَنتَظر الباحثين في هذا الجانب المهم من جوانب تاريخ بغداد الاجتماعي، تأتي في مقدِّمتها سجلاَّت المحكمة الشرعية في بغداد، التي تغطي وثائقُها القرنين الأخيرين بكل تفصيل، والحاوية على عشرات الألوف من الدعاوى والقسامات والحِجَج والعقود الشرعية؛ مما يفيد الباحث فائدة كبيرة.







(القصَيمات) عشائر وحمائل هاجرت من موطنها القَصيم في نجد الى بغداد في العصر العثماني، واتخذت من جانب الكرخ من بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) مستقراً لها، حيث تحالفوا هناك مع بعض فروع قبيلة شمَّر، تعرف بالشمامرة، مكونين اتحاداً عشائريا باسم (عقيل)، وبلغ من كثرتهم وشدة بأسهم أن عُرف الجانب الغربي كله باسم هذا الإتحاد، فقيل له (صوب عقيل)، والصَوب هو الجانب، وكان هذا الجانب يعرف قبل نسبته إليهم باسم (قرش ياخا) وهو مصطلح تركي يعني حرفاً (ذاك الصوب)[1] أو الصوب المقابل، وقد سعى ولاة بغداد إلى تفكيك هذا الاتحاد بأن عيَّنوا لكل من القصيمات والشمامرة زعيماً، فأدى ذلك إلى التباعد التدريجي بين الزعامتين، وفي الحوادث التي صاحبت حصار القوات العثمانية القادمة القضاء على حكم المماليك وإسقاط حكم آخر ولاتهم داود باشا سنة 1247هـ/ 1831م بدا جلياً مدى ما آلت إليه حالة الاتحاد من الإنقسام، حين وقفت القصيمات إلى جانب زعامات المماليك، ساندة لهم في الدفاع عن بغداد، بينما وقفت الشمامرة إلى جانب القائد العثماني علي رضا باشا اللاز، قائد القوات المهاجمة للمدينة، والمعادية لتلك الزعامات[2].

ونظراً لانفتاح طرق ذلك الجانب على بوادي العراق الغربية الجنوبية فقد تولوا تنظيم رحلات الحج وخدمة الحاج بين بغداد وبلاد الحَرمَين، وهي طرق صعبة المسالك تجتاز بوادي نجد لا سيما مناطق القصيم وجبالها ومضائقها، فكانوا الأدرى بتلك السُبل والفِجاج، والأقدر على حماية الحاج من الأخطار التي تهدد السالكين فيها، ومن تلك الحمائل أسر اتخذت تجارة الخيل بين العراق ونجد والهند، مهنة لها تتوارثها جيلا بعد جيل، تعلم أسرارها، وأنواعها، وأسعارها، فكانت لها في الكرخ أسواق معلومة، يقصدها الولاة والأمراء، في عصر كانت الخيل وسيلة النقل السريعة

(1) ينظر ياسين بن خير الله العمري: غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل 1359هـ/ 1940م ص60

(2) سليمان فائق بك: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء، ترجمه من التركية موسى كاظم نورس بعنوان (تاريخ بغداد)، بغداد 1961، ص98 و99.

في حالي السلم والحرب معاً، ولها في الحالين رُغاب وطلاب[1]، كما عرفوا بتجارة المواشي بوجه عام. فحازت من الخبرة في هذا المجال ما أكسبها ثروة إقترنت بإحترام الناس لما كانوا يتصدقون منها على وجوه الخير المختلفة.

ومن الأسر القصيمية الشهيرة في بغداد آل الروّاف، الذين اتصلت مآثرهم بتاريخ هذه المدينة حتى نسب إليهم حي كبير من أحيائها، وقد تألفت هذه الأسرة، أصلاً، من أربعة بيوتات كانت تقيم في ضاحية لبلدة (العُيَينة) قرب الرياض في نجد، تجتمع في أب واحد هو محمد، وهي 1- آل عبدالرحمن 2- آل عبد الله 3- آل إبراهيم 4- آل موسى. وفي سنة 1170هـ/1756م شاء القدر أن يتفرق أهل العُيينة في البلاد، بسبب ما أصاب بلدتهم من الجدب والوباء، فكان أن تفرقت بيوتات آل الرواف كمثل غيرها من أسر البلدة. وقصد كل بيت حدباً يبعدهم عنها، ومن تلك البيوتات آل عبد الرحمن، الذين قصدوا بلدة (القَصيم) واستقروا فيها، وعملوا في مجال تجارة الماشية بين نجد والعراق والشام، فضلا عن إمرة حُرّاس قوافل الحجيج، فأثرَوْا، وتوسعت أعمالهم حتى اقتضت أن يكون لهم من يديرها في هذه البلاد، فكان أن هاجر محمد بن عبد الرحمن بن محمد من القصيم قاصداً بغداد، حيث اتخذها مستقراً له ولذريته فيما بعد[2]. ومن الراجح أن هجرته إليها جرت في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر للملاد)، وعملوا كغيرهم من مواطنيهم بتجارة الخيل والمواشي، أما آل موسى فقد غادروا إلى الأحساء، والظاهر أن منهم من وجد طريقه إلى بلدة الزبير قرب البصرة، حيث أنشأوا فيها مسجداً نُسب إليهم، فعرف بمسجد موسى الرواف. ومن آل عبد الله من لحِقَ بأعمامهم، فهاجر محمد بن عبد الله إلى الشام حيث استقر في دمشق، وهكذا وجِدت الأسرة نفسها، في جيل واحد، قد تفرقت بين مراكز التجارة المهمة في نجد والأحساء وبغداد ودمشق، ولا شك في أن

(1) أصيبت هذه التجارة بالفتور إثر قيام السلطات العثمانية بمنع تصدير الخيل إلى الهند. ينظر : رحلة عالي بك إلى بغداد، في الجزء الاول من هذا الكتاب

(2) شهادة موثقة بقلم الشيخ محمد بن عبد اللطيف، نشرها محمد بن ناصر العبودي في كتابه: معجم أسر بريدة، الرياض، دار الثلوثية، 1431هـ/2010، ج8 ص210. ويورد الفاضلان عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي رواية أخرى عن منشأ ثروة محمد بن عبدالرحمن المذكور، حيث قالا أن أصله من بريدة من بلدان القصيم في نجد، وأنه هاجر إلى بلدة الزبير القريبة من البصرة، وكسب شهرة في قصة له تروى عن أنه عثر على كنز كبير، وكان محسناً، فنذر أن يبني مساجد شتى في البلاد التي يمر بها ما استطاع إلى ذلك سبيلا. إمارة الزبير بين هجرتين، ج1 ص239.

هذا الإنتشار كان من شأنه السيطرة على شؤون تجارة الخيل والمواشي في فيافي هذه البلاد، مما كان يزيد في ثروتهم ويُقوّي مركزهم الاقتصادي إلى حد كبير. على أن ذلك لم يشغلهم عن أعمال البِر والخير، فعُرفوا حيثما استقروا بكثرة مَبَرَّاتهم، وإتيانهم أبواب الخير، من بذل للمعروف وإنشاء المساجد أو الإنفاق عليها.

ففي بغداد حقَّق محمد بن عبد الرحمن، الذي تقدمت الإشارة إليه، نجاحاً محموداً في مجال التجارة، لا سيما في تجارة الخيول الأصيلة، كما اشتهر بأعمال البر، فعُرف باسم (الحاج محمد جلبي)، والجلبي لقب كان يختص به ذوو المكانة الإجتماعية من كبار التجار في ذلك العصر. وكان من أعلام أسرته أيضا (حسن جلبي الرواف) و(عمر الرواف) ولا نعلم صلتهما النسبية[1] به.

وعدَّهم عبد الرحمن حلمي السهروردي من بيوت السُّراة في بغداد، فقال «بيت الرواف هو من بيوت التجارة، وهو من أهالي نجد» ثم قال «وهو بيت عز وخيرات»[2].

وقد وقفنا في أثناء بحثنا في وثائق ذلك العهد على وثيقة مهمة بالعربية تتعلق ببعض أوجه الخير التي قامت بها هذه الأسرة الكريمة، وهي تتضمن وقفية لسيدة تدعى خديجة خاتون بنت عبد الله آل شريف جلبي، زوجة الحاج محمد جلبي بن عبد الله الرواف المذكور، على خمسة مساجد في بغداد ومسجد واحد في بلدة الزبير من أعمال البصرة، مؤرخة في الخامس من ذي الحجة سنة 1236 للهجرة (2 أيلول 1822م). وفي إشارة لعبد الرحمن حلمي السهروردي، وقد تولى الإشراف على الوقفية، أنها وقفت «جميع أملاك» زوجها[3] مما يعني أنه وهبها هذه العقارات فعادت هي فوقفتها بموجب الوقفية المذكورة.

وتوضح الوقفية العقارات الموقوفة على النحو الآتي:

1- ثلاث بساتين تقع خارج الباب الشرقي من بغداد، تحد الأولى نهر دجلة وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان مهدي الشماع بن حسين، وبالطريق العام. وتحد الثانية بالطريق العام، وببستان أحمد أفندي النائب، وببستان خليل بن محمد

---

(1) ورد إسماهما في الوقفية موضوعة الدراسة كما سيأتي.

(2) عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، ص39-40

(3) تاريخ بيوتات بغداد ص39

البستاني المستجدة. وتحد الثالثة، وهي البستان المستجدة بمزرَع أحمد أفندي النائب، وبمزرَع السيد مهدي المذكور، وبالمزرع الذي هو تَبَع لهذه البساتين الثلاث. وترتيب هذه البساتين في الوقفية يدل على أن أصلها، وهي الأولى، كان يقع على شاطئ نهر دجلة رأساً، وهذا أمر طبيعي لأن دجلة هو موردها الوحيد، أما البستان الثانية فهي مُستجِدة، تتصل بالأولى، بينما تتصل الثالثة بالثانية وقد استجدَّت بعدها، وهذا يشير إلى انَ غرس البساتين بدأ من جهة النهر ومضى باتجاه الشرق في عهد يسبق زمن الوقفية بمدة لا تتجاوز جيل واحد في أكثر تقدير، وهذا ما يفهم من وصفها بالمستجدة. وكانت وقفية سابقة، مؤرخة في القرن الحادي عشر (17م) قد وصفت كل هذه النواحي بأنها أرض بيضاء، أي لا زرع فيها، فضلا عن تكون مغروسة بالنخيل، وهذا يكشف عن أن عملية غرس البساتين حوالي بغداد جرت في القرن الثاني عشر (18م) تحديداً، وهو القرن الذي شهد نوعا من الإستقرار السياسي منذ أن تولى والي بغداد القوى حسن باشا حكمها في مفتتح ذلك القرن، وتولى ابنه أحمد باشا، ثم أخلافه من مماليكهما ذلك الحكم في الحقبة اللاحقة، وحتى نهاية عهدهم في منتصف القرن التالي. زفد اشترت السيدة خديجة هذه البساتين الثلاث فعرفت منذ ذلك الحين ببساتين الرواف، ثم جرى استبدال هذه الموقوفات بالنقد سنة 1930، فنهضت على الفور محلة سكنية باسمها عُدَّت في حينه من الأحياء الراقية في ضواحي بغداد النَزِهة، يحدها من الشرق شارع أبي نواس المحاذي لشاطئ دجلة، ويشُقّها من الغرب شارع السعدون الذي عُبِّد بعد ذلك التاريخ بمدة قليلة، ومن أبرز المعالم الحالية فيها فندق بغداد الواقع على شاطئ دجلة وعمائر كبيرة أخرى.

2- دار تقع في محلة النقاشين من محلات بغداد، تتألف من (دار الحرم) و(ديوان خانه) محدودة بالطريق العام وبدار الواقفة وباحة الإسطبل (حوش الآخور) والحمام وبالمطبخ الخارجي للدار، وبدار مريم شقيقة الواقفة، وبحد الحرم- أي حرم دار الواقفة- بدار مريم المذكورة، وبدار محيي الدين، وعبد القادر أفندي إبنى صبغة الله، وبدار الحاج محمد الأعظمي، وبدار الجوخَجي، وبدار يونس، وبدار موشي اليهودي. وتوضح هذه المعالم سعة دار الواقفة، فهي تتألف من دارَين- كأكثر دور السُراة عهد ذاك- الأولى للأسرة، وهو الحَرَم، والآخر لضيوف صاحب الدار ومجلسه، وهو الديوان خانه، هذا فضلا عن اسطبل مخصص لخيول أصحاب الدار وضيوفهم، وحمام، وكان وجود حمام مستقل في دور ذلك العصر أمراً نادراً ولا وجود له إلا في

دور كبار سراة المدينة، أما (المطبخ الخارجي) فهو يدل على وجود مطبَخين في الدار، أحدهما داخل الدار وآخرهما خارجه، ومن غير المحدد وظيفة الأخير، ويمكن أن يكون لخدمة الضيوف خاصة ولإخراج الصدقات من الطعام. وتحيط بالدار ستة دور مستقلة أخرى، أحدها لسيدة تدعى مريم، وهي شقيقة الواقفة، والأخرى لأشخاص عدة، بينها دار لوَلدَي من يدعى صبغة الله، ولا نعلم هوية الأخير، ولعله العلامة صبغة الله الحيدري، أحد كبار علماء بغداد عهد ذاك. ومن اللافت للنظر وجود جار يهودي لهذه الدار، وهو أمر يدل على أن الأخير كان يعيش في المحلة نفسها التي يعيش فيها جيران له مسلمون، على الرغم من وجود محلة خاصة باليهود في بغداد. أما محلة النقاشين فلا نملك من النصوص ما يدل على موقعها، فهي المرة الوحيدة التي يرد فيها اسمها، والمفهوم أنها كانت من محلات الجانب الشرقي من بغداد، فجميع المعالم الواردة في الوقفية تقع في هذا الجانب، وعليه فإنها لم تكن تقع في الجانب الغربي حيث دور سُراة النجديين.

أن رَيع هذه العقارات يُنفَق، بحسب نص الوقفية، على الواقفة نفسها، بينما يتولى زوجها الحاج محمد جلبي الرواف التولية على الوقف، وبعد وفاتها يؤول الرَيع إليه وإلى أولاده من بعده، وواضح من هذا النص أن خديجة هذه لم يكن لها، أو لزوجها، حتى تاريخ الوقفية، أولاداً ذكوراً أو إناث، يمكن أن تَسند إليهم التولية بعد وفاة زوجها، ولذلك فإنها أطلقت لهذا الزوج أن يسندها إلى من يختارهم من أولاده الذين سيُولَدون له من بعد، من زوجة أخرى يختارها، فإذا ما انقرض الجميع فتؤول التولية إلى أحد (الصلحاء من أهل بغداد)، ويظهر أن التولية انتقلت فعلاً إلى من له هذه الصفة، فقد ذكر الشيخ الأديب عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي أن جميع أوقاف هذه السيدة «تحت توليتي حسبما شرطت سنة 1236 هجرية [1820م]»[1].

شرطت الواقفة في حال إنقراض الذُرّية أن يُنفق رَيع الوقفية على عدة مساجد يتولى المتولي على الوقف الإنفاق عليها، هي:

1- مسجد السادة. تُعيِّن الوقفية موقعه بأنه في الطريق بين الطاق الأظلم وسوق السنك ودار الملا عبد الفتاح بن عبد الله المفتى ببغداد، ودار خميس الصباغ بن جُويد، ونجدية مملوكة زوجة كريم، ودار اولاد محمد سعيد الدباغ.

---

(1) تاريخ بيوتات بغداد ص40.

والطاق الأظلم هو مبنى الباب الشرقي أحد ابواب بغداد العباسية، ويقرب أن يكون اسمه ترجمة للفظ التركي (قرانلق قابي) اي الباب الأسود او الأظلم، أما سوق السِّنك، فهو في المحلة المعروفة بهذا الاسم، والسنك لفظة تركية تعني الذباب سميت به لكثرته في أنحائها، حيث كانت أرضها تُزرع بالبصل وتسمَّد بالسماد الطبيعي. ولذلك عُرف الباب المذكور في العصر العباسي بباب البصلية[1]، وإشارة الوقفية الى السوق تدل على بداية انتشار العمران في هذه الأرض الزراعية.

2- مسجد النعماني. وهو قريب من سابقه، وتُعيِّن الوقفية حدوده بأنه يقع بين الطريق العام والخاص، وبدار ريمة ورثة الشيخ جمعة الكركوكي الدباغ، والسيد عبد الله الزرقلوني، وبدار ورثة الحاج فارس الدباغ». ويظهر أن المساحة التي كانت تشغلها هذه الدور تتصف بالسعة، فقد لاحظ السيد محمد سعيد الراوي (المتوفى سنة 1354ه/ 1936م) أن «أمامه عَرَصة، وكانت من أوقافه، فاغتصبها بعض من لا يخاف الله، أيام الحكومة العثمانية زمن الحرب العامة، ولما احتلت الحكومة الإنكليزية بغداد سجَّلها باسمه، ثم باعها لجمعية نصرانية شادت عليها كنيسة باسم الرهبان الكرمليين المُرسلين»[2]، وكان قد وصفه السيد محمود شكري الآلوسي (المتوفى سنة 1342هـ/ 1924م) بأنه «من مساجد بغداد القديمة، فيه منارة بيضاء مطلة على الطريق». وذكر عبد الحميد عبادة (المتوفى سنة 1349هـ/1930م) أن والي بغداد داود باشا عمَّر هذا الجامع سنة 1239هـ1823م أي بعد ثلاث سنوات من تاريخ الوقفية[3]. وقد آل الجامع إلى الخراب فجدد سنة 1354هـ/1935م، ثم هدمته الأوقاف وبنته بعمارة أصغر من سابقتها سنة 1391هـ/1971م. ولما يزل هذا الجامع قائماً[4].

3- مسجد ظهير الدين. ذكر أنه يقع في محلة خان الحايك (الحياك)، وأنه محدود بالطريق العام من الطرفين، وبدار سبتي بن حسين كليب، وبدار ورثة الحاج خميس المعماري. قلنا: وهو مسجد قديم لا تعرف هوية منشئه يقع بين محلة المربعة ومحلة الحاج فتحي، حيث كانت تقع تلك المحلة المندثرة[5].

---

(1) نقض هذا الباب في سنة 1937م وكان موقعه في أرض (ساحة التحرير) الآن.

(2) محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص139

(3) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص414.

(4) العقد اللامع ص414

(5) وقد عرف المسجد فيما بعد بمسجد نور الدين نسبة الى مجدده سنة 1259هـ/1840م محمد نور الدين ويظهر من الابيات التي نقلها الالوسي (مساجد 81) من على جداره انه كان اميرا حاز على رتبة الوزارة واصله من دمشق الشام.

4- مسجد دكاكين حَبُوب. ذكر أنه مسجد صغير، وأنه محدود بالطريق الخاص، وبدار صالح البقال، وبدار الشيخ رجب، وبدار الحاج بكر والي، وحمد السعيدي. قلنا: يقع هذا المسجد في محلة بالاسم نفسه، تنسب إلى خمسة دكاكين، يظهر أن مالكها يدعى (حَبُوب)، وقد تقلصت هذه المحلة في تاريخ لاحق، حتى غدت عقداً من عقود محلة المربعة، وعند فتح شارع الخلفاء سنة 1957 دخلت في أرض الشارع، في المنطقة الممتدة بين أمانة بغداد ووزارة التجارة[1].

5- جامع اللحسائي في محلة راس القُرَيَّة، قرب خان العادلية. نُسب هذا المسجد إلى اسم دفينه الشيخ محمد بن أحمد الأحسائي الحنفي المتوفى سنة 1083هـ/1672م، وكان عالماً فاضلاً مصنفاً له مؤلفات كثيرة في الفقه والنحو والمنطق[2]. ثم اتخذه الشيخ خالد النقشبندي المتوفى سنة 1242هـ/1826م، تكية له، وعمَّرها، فنُسبت إليه باسم (التكية الخالدية) ثم صارت مسجداً جامعاً ولما يزل عامراً، وهو يقع في محلة راس القُرَّية، من محلات الجانب الشرقي من بغداد.

6- مسجد الرَّواف، هو المسجد الوحيد الذي يحمل اسم الأسرة، ويقع خارج بغداد، وذكرت الوقفية أنه واقع في بلدة الزبير بسوق البزازين، ومحدود بالطريق العام وبدار علي النجار وبدار علي الحَساوي (الأحسائي). قلنا: وهذا هو مسجد موسى الرواف الذي أشرنا إليه من قبل، وقد اشار ابن الغَملاس الزُبَيري الى هذا المسجد ونوَّه بإثنين من الأئمة فيه هما محمود سنة 1347ه/1928م ومحمد بن عثمان البغادّة، اي البغدادي[3].

وشرطت الواقفة أن يُنفق من رَيع الوقف المذكور على الجهات الآتية، بـ(القرش الرايج بغداد)، وهو نقد فضي يعادل 10 بارات، أي ربع القرش الصاغ، الذي يعادل 40 بارة. وذلك على النحو الآتي:

المبلغ بالقرش	أوجه النفقة
15	إمام مسجد السادة
100	المؤذن
50	ساقي الماء

(1) كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2005 ص56.

(2) المحبي: خلاصة الأثر ج4 ص313 وعبادة: العقد اللامع ص360 والراوي: خير الزاد ص112.

(3) ابن الغملاس: تاريخ الزبير والبصرة، بتحقيقنا، عمان دار دجلة 2005، ص40 و42.

الشيرج والقناديل والحصران في مساجد النعماني وظهير الدين ودكاكين حبوب	40
الأئمة والمؤذنون والخدمة والأباريق في مساجد النعماني وظهير الدين ودكاكين حبوب	240
قراءة القرآن سنوياً	400
أضحية للواقفة	50
أضحية لزوجها محمد جلبي الرواف	50
أضحية إلى مُعتَقى زوجها : عنبر وياقوت	50
لكل مُعتق سنوياً	500
ثمار البساتين على الفقراء والمساكين	500
الناظر على الوقف	100
لتعمير العقارات الموقوفة وتنمية الوقف	المتبقى

من الوقفية نسختان، الأولى مُذيَّلة بعبارة تفيد أنها مسجلة في المحكمة الشرعية في بغداد في السجل 16 والصحيفة 47 والعدد 112، وقد وقفنا على نسخة منها في مجموعة لدينا تضم نسخ من وقفيات بغداد، والأخرى مسجلة في وزارة الأوقاف في بغداد (ديوان الوقف السُني اليوم) في السجل 2 الصفحة 57.

ذُيِّلت الوقفية المسجلة في المحكمة الشرعية باسم القاضي في بغداد في حينه وهو (الحاج خليل رشدي القاضي بمدينة بغداد المحروسة)، بينما نجد اسم قاض آخر في النسخة المسجلة في الأوقاف هو (محمد رفيع بن حسين)، ويمكن تفسير ذلك الاختلاف بأن الوقفية أعيد تسجيلها بعد سابقتها بعشرة أيام، فهي مؤرخة في 15 ذي الحجة 1236هـ.

وفيما يأتي نص هذه الوقفية:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي أوقف الواقفين الواثقين على مناهج الخيرات، لسلوك مباهج المَسَرّات، ووفق العالمين بأحاسن الطاعات، والصلاة على محمد النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه الغُر الميامين.

وبعدُ، فأني قد وقفتُ وأبَّدتُ وحَبَستُ ثلاث قطع البساتين الواقعة خارج الباب الشرقي من بغداد، تحد الأولى نهر دجلة، وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان مهدي الشمّاع بن حسين وبالطريق العام، وتحد الثاني بالطريق العام وببستان أحمد أفندي النائب، وببستان خليل بن محمد البستاني المستجدة. وتحد الثالثة وهي البستان المستجدة بمَزرَع أحمد أفندي النائب، وبمَزرَع السيد مهدي المذكور، وبالمَزرَع الذي هو تبع لهذه البساتين الثلاثة.

ووقفت أيضاً الدار الواقعة في بغداد، محلة النقاشين، التي هي عبارة عن دار الحرم والديوان خانه، المحدودة بالطريق العام، وبدارنا حوش الآخُور والحمام، وبمطبخنا الخارجي، وبدار مريم شقيقة الواقفة. ويحد الحرم بدار مريم المذكورة، وبدار محيي الدين وعبد القادر أفندي إبنى صبغة الله، وبدار الحاج محمد الأعظمي[1]، وبدار الجوخَجي، وبدار يونس، وبدار موشي اليهودي، وقفاً صحيحاً شرعياً على نفسها، ومن بعدها يكون الوقف والتولية إلى زوجها الحاج محمد الرواف، وعلى من سيُولد له من نسله وعَقبه، وإذا انقرضوا تُصرَف غلَّة الوقف على:

[المسجد الاول، وهو] المسجد المسمى مسجد السادة، الواقع في الطريق بين الطاق الأظلم وسوق السِّنَك، وبدار الملا عبد الفتاح بن عبد الله المفتى ببغداد، وبدار خميس الصباغ بن جُوَيد، ونجدية مملوكة زوجة كريم، وبدار اولاد محمد سعيد الدباغ.

ويحد المسجد الثاني، وهو المسجد المسمى مسجد النعماني بالطريق العام والخاص وبدار ريمة، ورثة الشيخ جمعة الكركوكي الدباغ، والسيد عبد الله الزرقلوني، وبدار ورثة الحاج فارس الدباغ.

ويحد الثالث، وهو مسجد ظهير الدين الواقع في محلة خان الحايك، وبالطريق العام من الطرفين، وبدار سبتي بن حسين كليب، وبدار ورثة الحاج خميس المعماري.

ويحد الرابع وهو مسجد دكاكين حَبُوب، وهو صغير، بالطريق الخاص وبدار صالح البقال، وبدار الشيخ رجب، وبدار الحاج بكر والي، وحمد السعيدي.

---

(1) وهو أحد الشهود على هذه الوقفية كما سيأتي.

وجامع اللحسائي في راس القُريَّة، قرب خان العادلية.

ويحد المسجد السادس وهو مسجد الرواف الواقع في الزبير بسوق البزازين وبالطريق العام وبدار علي النجار وبدار علي الحساوي.

والمتولي على هذه الأوقاف بعد الإنقراض للأعلم والأصلح من علماء بغداد يَصرف نماء الوقف في كل سنة أولاً على خُدّام المساجد المذكورة، يعطى للإمام في مسجد السادة الأول مائة وخمسين قرش رايج بغداد، وللمؤذن مائة قرش رائج بغداد، ولساقي الماء خمسين قرش رائج بغداد، وللشيرج والقناديل والحصران أربعين قرش رائج بغداد، ويعطى لكل مسجد من مسجد النعماني، ومسجد ظهير الدين، ومسجد دكاكين حبوب مائتين وأربعين قرش رايج بغداد، تُصرف على الأئمة والمؤذنين والخدمة، وللحُصُر والأباريق، وينفق أيضاً من غَلَّة هذا الوقف خيرات للواقفة، كل يوم ختمة قرآن تماماً، في كل سنة أربعمائة قرش رائج بغداد، وللأُضحيات الثلاثة في كل سنة خمسين قرشاً رايج بغداد، واحدة للواقفة، والثانية لزوجها الحاج محمد الروّاف، والثالثة على روح عنبر وياقوت، مُعتَقي زوجها الحاج محمد الرواف، وعلى ما تناسل منهما. وأن يُعطى لكل واحد منهما في السنة خمسمائة قرش رائج، وبعد وفاتهما على نسلهما بالسوية بلا ترتيب، وبعد الانقراض يرجع هذا المبلغ وينفق أيضاً من ثمر البساتين الثلاثة خمسمائة قرش رايج بغداد في كل سنة على الفقراء والمساكين، والناظر على المتولي العام والمُعتَقات أو نسلهما إن عَدَما أو عَدَم نسلُهُما فالصلحاء من أهل بغداد هو الناظر، وله في كل سنة من نَماء هذا الوقف مائتا قرش رايج بغداد، والفَضلَة تُصرف على تعمير المساجد والبساتين والديوان خانه والحَرَم، ويُشترى من الفضلة بعض الدكاكين ويضاف على الوقف[1]، فاطلب تسجيل تقريري بالوقف المذكور، والحكم بصحَته وفق شروطه. وبعد الترافع بالوجه الشرعي [أقر] هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعُمومه، عالماً بالخلاف الجاري بين الأئمة الأسلاف، حكماً شرعياً، ويسجل ذلك في اليوم الخامس من ذي الحجة الشريف سنة 1236 في السجل 16 والصحيفة 47 والعدد 112 وأنا الفقير إليه عز شأنه الحاج خليل رشدي القاضي بمدينة [بغداد] المحروسة).

---

(1) يلاحظ هنا اعتماد الواقف في تنمية وقفه على العقارات ذات الطابع التجاري داخل المدينة، بدلاً من الأراضي الزراعية خارجها.

ذُيلت الوقفية بأسماء عدد كبير من الشهود هم:

1- السيد فتاح صادق الموصلي[1]

2- روّاف زاده السيد عمر جلبي

3- ملا إسماعيل[2] إمام جامع الصياغين[3]

4- دباغ ملا عمر[4]

5- داود آغا بن ملا سليمان جوربجي[5]

6- رواف زاده السيد حسين جلبي

7- عبد الوهاب بن مصطفى آغا

8- حمو بن حاج يونس الموصلي

9- محمد أمين إبراهيم يتيِّم[6]

---

(1) نوه عبد الرحمن حلمي السهروردي بفضل أسرته فقال «هو بيت سيادة وفضل، ورجاله من بلدة الموصل، استوطنوا بغداد قبل سنة 1236هـ/1820م وأخذوا بالبيع والشراء وصار لهم حظ وافر والله أعلم، واشتهر من أهل هذا البيت السيد فتاح صادق المعروف بالموصلي، وهو رجل صالح محبوب» تاريخ بيوتات بغداد ص27.

(2) هو الشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصلي، هاجر إلى بغداد شاباً، حيث أكمل دراسته على كبار مشايخها، وتوفي سنة 1302هـ/1884. علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص93-95 ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص136، وأثنى عليه السهروردي بقوله «هو من أهل الفضل والعلم والصلاح.. صارت له شهرة فائقة بفضله وصلاحه» تاريخ بيوتات بغداد ص28-29.

(3) جامع الصياغين أو جامع الصاغة ويعرف أيضا بجامع الخفافين، أقدم مسجد ماثل في بغداد اليوم شيد في العصر العباسي، أنشأته السيدة زمرد خاتون سنة 599هـ/1202م، وكان يعرف عصر ذاك بمسجد الحظائر.

(4) قال السهروردي «أصلهم من الموصل، سكنوا بغداد سنة 1223هـ تقريباً، وظهر [فيهم] الرجل الصالح ملا عمر الدباغ».

(5) آل الجوربه جي أسرة من وجهاء بغداد، اصلها من الموصل، وكان لها مجلس في دارهم في محلة راس القرية في شرقي بغداد، وترددت أسماء رجالهم شهوداً على عدد من وقفيات بغداد. ينظر تاريخ بيوتات بغداد ص30 وهامش المحقق.

(6) جد هذه الأسرة هو إبراهيم بكتاش اليتيِّم (بالتصغير) شغل أمانة الإفتاء في بغداد، وتولى التدريس في مساجدها، ووقف جميع ممتلكاته على مسجد النورة في كرخ بغداد، ومسجد

10- أمين أفندي سُويدي زاده[1]

11- ملا محمد عُشاري[2]

12- الحاج محمد أعظمي[3]

13- الحاج عبد الرحمن أعظمي[4] بن الحاج محمد

14- ملا عبد الرزاق شيخلي[5]

15- محمد بن حاج درويش شوشه جي[6]

في محلة الحديثيين في الموصل، ابراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص146-148.

(1) هو العلامة المؤرخ الأديب محمد أمين بن علي السويدي، المولود في بغداد سنة 1240 والمتوفى في بريدة في طريق أوبته من الحج سنة 1246هـ (1785-1830هـ). تقدمت سيرته في هذا الكتاب ج1 س 391- 417 بعنوان (العلامة محمد أمين السويدي دفين بريدة).

(2) نوه عبد الرحمن حلمي السهروردي ببيته بقوله «بيت علم وفضل في بغداد، من رجاله الملا محمد العشاري». تاريخ بيوتات بغداد ص32.والعُشاري نسبة إلى موطن الأسرة الأول، وهو بلدة (عُشارة) الواقعة على ضفة نهر الخابور، وكانت تتبع في العصر العثماني لواء دير الزور من ألوية ولاية حلب.

(3) قال السهروردي (تاريخ بيوتات بغداد ص37) «بيت الأعظمي بيت فضل وديانة من رجاله الحاج محمد الأعظمي» قلنا: ومحمد الأعظمي هذا هو السيد محمد أفندي بن السيد جعفر أفندي الآعظمي، الوارد اسمه شاهداً على وقفية محمد سعيد باشا المؤرخة في 6 صفر 1230هـ.

(4) نوه السهروردي به وقال أنه: الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمد الأعظمي. تاريخ بيوتات بغداد ص37.

(5) قال السهروردي أن «بيت ملا عبد الرزاق الشيخلي من بيوت العلم، ومن رجاله عبد الرزاق المذكور» تاريخ بيوتات ص38، وكان لهم مجلس حافل في دارهم في محلة الحيدرخانه. البغداديون ص156-157.

(6) قال السهروردي «بيت الشوشه جي بيت تجارة، من رجاله محمد مصلح بن الحاج داود نعمة»، والشوشه: الزجاج والبلور. تاريخ بيوتات بغداد ص38.

نظام الاصناف في العراق
ابان العصر العثماني

كان من الآثار المباشرة لحركة نمو المدن العراقية في العصر العثماني، وبخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، وما نجم عنها من نشاط متزايد في الحياة الاجتماعية لسائر الشرائح والفئات. أن تعاظم دور التنظيمات الإجتماعية القائمة بما من شأنه أن يحقق نوعاً من التضامن داخل كل شريحة أو فئة، وداخل المجتمع ذاته ككل، فكان بروز دور تلك التنظيمات سمة عامة من سمات القرنين الاخيرين للعهد العثماني في العراق، لها دلالتها وأهميتها.

وتختلف مهمة هذه التنظيمات بين مدينة وأخرى اختلافات واضحة، يرجع أغلبها إلى طبيعة تكوين المدينة الإجتماعي والإقتصادي، كما تختلف أيضاً في وضوح إنتماءاتها للطبقات الإجتماعية التي نشأت عنها، وعلى هذا فإن أبرز تنظيمات هذا العهد، وهي: نقابات الأشراف، والطُرق الصوفية، وأصناف الحرفيين[1]، كان يفتقر إلى الحدود الفاصلة بينها عملياً، وهذا ما يؤكد حقيقة أن بعض التنظيمات قد فقد مُبررات قيامه الأولى، واتخذ في هذا العهد مبررات أخرى مُستمَدة من تطور المجتمعات المدنية المختلفة، كما يؤكد أيضاً أن جميع هذه التنظيمات قد أمسى يُمثِّل – في جوهره – مصالح الطبقات الدنيا من تلك المجتمعات، فالأشراف والطرق الصوفية والأصناف، كانوا يرتبطون – بصفة رئيسية – بمصالح طبقة واحدة تقريباً، وهي طبقة العامة، على تنوع فئاتها، فكان تعاظم أهمية هذه التنظيمات، منسجماً تماماً مع تعاظم دور تلك الطبقة وازدياد ثقلها السياسي والاقتصادي في الحياة العامة في مدن العراق آنذاك.

وفيما يتعلق بنظام (الأصناف) نجد أن تَزايُد النشاط الحرَفي في المدن العراقية خلال القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، وتطور العلاقات الانتاجية

---

(1) الصنف لغة: الطائفة من كل شيء، وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة، وقد أورد المؤرخون القدامى كلمة (صنف) على نحو يدل على أنها استخدمت للتعبير عن الجماعات الحرفية في المجتمعات الإسلامية، وهي ما كان يشار إليه بأصحاب المهن، وأهل الصنائع، وأرباب الحرف. ينظر عبد العزيز الدوري: نشأة الأصناف والحرف في الأسلام، مجلة كلية الآداب ببغداد، 1(1959) ص141.

بين الحرفيين من جهة، والتجار والفلاحين من جهة أخرى، قد أدى إلى تعاظم أهمية الأصناف باعتبارها تنظيمات إقتصادية – إجتماعية ذات أسس أخلاقية خاصة، تحمي أصحاب كل حرفة من التعدي، وتضمن مستوى مقبولاً للحرفة، وتحدد أسعار منتجاتها، وتنظم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف.

وكان من الطبيعي أن تضم هذه الأصناف أكثر الطبقات في المجتمع العراقي آنذاك نشاطاً وإنتاجاً، وأن تؤدي دورها في تماسك ذلك المجتمع إلى حد كبير. وكان شيوخ الأصناف يَلون في المناسبات العامة، الأعيان والأمراء[1]

ومن المهم أن نذكر أن علاقة هذه التنظيمات بالطرق الصوفية كانت علاقة وثيقة ومتداخلة تماماً. وقد لاحظ بعض الباحثين مدى تأثير هذه الطرق في نظام الأصناف[2]، إلا أنه من غير الواضح، على وجه التحديد، طبيعة العلاقة بين النظامين إبان العهد الذي ندرسه، فبينما نجد أن الطرق تحث أتباعها على إمتهان الحرف وإتقان الصنائع[3]، وتجعل من العمل قيمة أساسية من قيمها، وتضفي عليه عمقاً روحياً خاصاً، فإننا نجد الأصناف تتجه لأن تكون طُرقاً بذاتها، مستعيرة من الطرق الصوفية أغلب شعائرها وتقاليدها وروحانيتها المميزة لها، مثل المواكب الخاصة بأتباعها، ومواسمها في زيارة قبور مؤسسيها وأوليائها المفترضين وسلاسل مشايخها وإجازاتهم المتوارثة[4]، فكان للأصناف بوصفها تنظيمات اجتماعية، احتفالاتها ومواكبها ومواسمها الخاصة بكل منها. وتُعد هذه الإحتفالات من أهم مظاهر الحياة

---

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) Lewis, B, Islamic Guilds, Economic History Review vol. VII, PP. 28, 29

(3) لاحظ النظام الداخلي للطريقة الرفاعية في: أبو الهدى الصيادي: الطريقة الرفاعية (بغداد 1969) ص 88– 92، وقد عرف هذه الطريقة بأنها «اتخاذ حرفة للمعيشة من طريق حل، وقد عد ذلك الامام الرفاعي رضي الله تعالى عنه سلوكا وأوصى أتباعه بذلك وبالغ بالوصية» ونقل عن الشيخ سكران البعقوبي (نسبة إلى بعقوبا قرب بغداد) قوله: «اعمل ولو ببيع الابرة والجرة، واقصد بها الطاعة لاوامر نبيك يبارك لك في عملك وتثاب وإياك والكسل» ونقل عن أحمد الرفاعي قوله: «احترف بما تصل اليه قوتك ويبلغه امكانك ادنى حرفة من الاعمال والصنائع.. انسجوا وشى صنعاء وبز فارس وخز اشبيلية بين سواري أروقتكم بهذه القرية واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم..» وانظر أيضاً عبد المجيد الخادمي: شرائط النقشبندية (مخطوط في مكتبة جامعة القاهرة) وابراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد 1961) ص 130.

(4) أوليا جلبي سياحتنامه سي، استانبول 1314هـ، جا ص 513 و 499 – 500.

الاجتماعية للصنف، ودليلاً على تضامن أعضائه، وغالباً ما يكون الاحتفال عند وصول موكب أبناء الصنف إلى مرقد الولي (البير) الذي ينسب الصنف اليه تأسيس حرفته ويعده حامياً له[1]، بل بلغ التداخل بين النظامين أن طريقة صوفية عُرفت في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، كانت تشتق اسمها (وهو: الشاكِردية)[2]، من الاسم الخاص بالمبتدئين في الحرف (شاكِرد)[3].

ومن المرجح أن يكون هذا التشابه بين النظامين الإجتماعيين راجع إلى تأثرهما كليهما، بنظام (الفتوة) الذي عُرف في بعض أقطار العالم الاسلامي، وشهد تطوراً ونضجاً واضحاً في بغداد في نهاية العصر العباسي، وكانت الفتوة، هذه، تنظيمات اجتماعية شعبية ضمت اليها أهل الصنائع في المدن الاسلامية، وتميزت بضوابط أخلاقية رفيعة، مثل المروءة والكرم والايثار[4]، وكان منها أيضاً من عُرف بالشطار

---

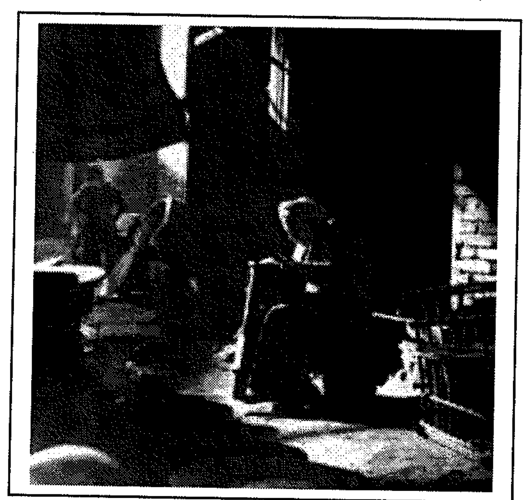
(1) من ذلك مثلاً أن جميع قصابي بغداد كانوا يحتفلون، في مواسم معينة، بزيارة الضريح المنسوب إلى (جومرد القصاب) في احد احياء بغداد الشرقية. وأن صنف الخياطين ببغداد، كان يزور بكامل هيئته، كل عام، قبر من يدعى بالسيد ادريس (في الكرادة الشرقية وسط مزارع خارج بغداد) على اساس انه كان رئيساً للخياطين أو حاميا لهم، فكانوا على ما وصف بعض معاصريهم «يحجون اليه وهم بكامل ملابسهم الجديدة المزركشة، بما كانت تجري عليه سنن الازياء في ذلك الوقت». وكان ثمة زيارة عامة يقوم بها عدد من الأصناف إلى ضريح الصحابي سلمان الفارسي في بلدة سلمان باك (عند المدائن القديمة) وهي احتفال يظهر التضامن العام بين أهل الحرف، على اختلاف اختصاصاتهم، فسلمان، على ما يذكر أوليا جلي، الحامي الرئيس لعموم أهل الحرف، ومنه تسلسلت اجازات الأصناف إلى اصحابها .

(2) رحلة نيبور الكاملة ص225

(3) أولياً جلبي سياحتنامه سي، ج1 ص604.

(4) يؤكد محمد بن أبي المكارم ابن المعمار البغدادي على أهمية قيم الفتيان وأخلاقهم، ويجعل من المروءة شرطاً أساسياً للفتوة، ويذكر مائتي خصلة يندب الفتى لفعلها، ونقل عن الجنيد البغدادي التعريف الآتي: (الفتوة كف الاذى، وبذل الندى، وترك الشكوى)، (كتاب الفتوة، تحقيق مصطفى جواد وآخرين، بغداد 1960 ص 153 و 168 و 256 – 261) وهذه الاخلاق هي التي دفعت بعض الباحثين، مثل (Hammer) إلى القول بأن نظام الفروسية الاوربي مقتبس من هذا النظام. ويرى تشنو ان حركة الفتوة بدأت حركة فروسية ارستقراطية، ثم تحولت إلى أن تكون حركة الطبقة المتوسطة في القرن 13 الميلادي، وأخيراً هبطت في القرن 15 إلى ان اصبحت حركة العوام، وهكذا اندمج الفتيان بنقابات الحرف (عبد العزيز الدوري: الأصناف والحرف الاسلامية، مجلة القضاء، (بغداد 1952) ص 12 ويرى كوبرلي أن الفتوة هي التي قلدت الطرق الصوفية في أركانها ومواسمها، وذلك قبل ان يغلب عليها

والعيارين، وتتسم فتوتهم بسمة عملية عنيفة، لها اثر اجتماعي ثوري، وسياسي في بعض الأحيان[1]. لقد أخذت الطرق الصوفية من (الفتوة) معظم تقاليدها وانظمتها الداخلية ومظاهرها الاجتماعية، وعليه فقد كان من المنتظر أن يكون لكل من الصنف والفتوة والطريقة، تأثيرات متبادلة، فتأخذ الاصناف الضوابط الاخلاقية الرفيعة من أهل الفتوة، وتأخذ الطرق الصوفية اصطلاحاتها منهم.



صانع الأواني في بغداد (صورة قديمة)

من ذلك أن شيوع استعمال لفظ (الشيخ) لرئيس الصنف قد أخذ عن حركة الفتوة، وحل محل اسم (الرئيس)، وظهور شعائر احتفالية معينة مثل (الشد) وهو الإحتفال بشد المئزر على الصانع كدليل على دخوله للصنف، على نحو شبيه بشد (الخرقة) للصوفي اشارة إلى دخوله الطريقة، ومثل انتساب كل صنف إلى أحد الصحابة أو الأولياء (ويسمى: بير) بوصفه حامي الصناعة أو الحرفة وشيخها الروحي الأول[2]. وكان فقيه عالم من أهل القرن العاشر للهجرة قد سُئل «فيما يعتقده أرباب

طابع الصناعة بانضمام (صبيان أرباب الحرف) اليها. انظر محمد فؤاد كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ص 110 – 111.

(1) ثمة تفاصيل مهمة عن صلة الفتوة بحركة العيارين والشطار التي ظهرت في العراق منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن للهجرة) وحتى اواخر العصر العباسي في: عبد العزيز الدوري: نشوء الاصناف والحرف في الاسلام، مجلة كلية الآداب (بغداد 1959) ص 157.

(2) جب وبوون: المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج2 ص 123.

الحرف من أن كل من لم يَنسب حرفته إلى صاحبها الذي اخترعها لا يُعتد به ولا يحل له تعاطيها ويحرم عليه تناول أجرة عمله فيها، كالخياطة إلى إدريس، والنجارة إلى نوح، والحلاقة إلى سلمان الفارسي، وسياسة الخيل إلى قنبر، ويعتقدون ذلك شيئاً يسمى الشد عندهم، وهو أن يجتمع أهل الحرف الذين في البلدة، فيُعد لهم من يريد الشد عندهم طعاماً ولغيرهم ممن حضر المجلس» وعد الفقيه هذه المعتقدات والاحتفالات من البدع لأنه من شأنها أن ترهق من يقوم بها من الفقراء مالاً مما يضطره إلى الاستدانة[1] وهو ما دعاه إلى الإفتاء بمنعها.

يتميز (الصنف) عن التنظيمات الاجتماعية الاخرى، بتكوينه الهَرَمي المحكم الذي يرأسه غالباً (شيخ) منتخب من الأساتذة (الاسطوات) البارزين في الصنف، ويجمع في منصبه أكثر من وظيفة، مثل: أمين صندوق، وكاتب. ولعل من أهم مميزات هذا التكوين إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) في العراق، تأثره الواضح بالنظام العائلي السائد في تلك الحقبة، فكان أن تحوّلت مشيخة الصنف إلى منصب وراثي محض، تتولاه في كل حرفة أسرة معينة مُبرزة في صنفها[2]، على أن ذلك كان يستلزم موافقة أساتذة الصنف مما يُبقي صفة الانتخاب. ويظل الشيخ في منصبه مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يوجب إبداله بسواه، ومن المحتمل أن يُعرف هذا الشيخ باسم كَهية، او كَتخُدا[3]، وهو لقب بقي معروفاً في المدن العراقية حتى مطلع القرن العشرين. ويتولى الشيخ او الكتخُدا مسؤوليات عديدة فيما يتصل بأعضاء صنفه، فهو يُشرف على شؤونهم الادارية والمالية، ويحل النزاعات بينهم، ويرأس هيئة الإدارة، ويرعى المراسيم والحفلات، ويقوم بالنظارة الدائمة على أحوال الصنف، وتمثيل مصالحه لدى السلطات، ويشكل (الأساتذة) وهم (الأسطَوات) القسم الرئيسي من الصنف، ويتمثل بأرباب الحرف

---

(1) خير الدين الرملي: الفتاوى الخيرية لنفع البرية، القاهرة 1300هـ. ص235.

(2) نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، بغداد 1956، ص 57 حاشية.

(3) الكتخدا، وتخفيفه: كهيه: كهيا، كاهية، اصطلاح فارسي مركب بمعنى صاحب الدار، وهو يطلق على وظائف متعددة متنوعة، منها مساعد الوالي ومعاونه. ويلاحظ ان محلات المدن العراقية الرئيسية، مثل بغداد والموصل والبصرة، كان يرأسها، في العصر العثماني، رؤساء يحملون لقب كتخدا هذا. سجلات الدولة العثمانية Tapu Defteri، سجلات ولاية بغداد، دفتر 1028، ورقة 361 وولاية الموصل دفتر 195 و 660 ومدينة البصرة دفتر 282 ورقة 442.

وأصحاب المشاغل اليدوية، وأصحاب العمل للفئات الاخرى من الصنف مثل الصناع والمبتدئين[1]، وقد ظلت تلك الفئة هي المسيطرة على أحوال الحرفة، حتى بعد انهيار نظام الأصناف في بدايات القرن العشرين.

ويلي الاستاذ – عادة – من يُعرف باسم (الخليفة) أو (الخَلفة) وهو ينوب عن أستاذه في العمل أحياناً، ويتبعه، ويتعلم منه، ثم (الصانع)، وأخيراً المبتدئ (الشاكِرد) الذي يلتحق بالعمل طلباً لتعلمه فهو أشبه بالتلميذ لأستاذه. ولقد ظل المصطلحان الأولان مستخدمين في الحياة الحرفية في العراق حتى عهد قريب، بل إلى الآن احياناً، أما مصطلح (الشاكِرد) فقد لاحظنا أنه اطلق، في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، على طريقة صوفية، لا على فئة معينة من أهل الحرف، وفي الواقع فأننا ما زلنا في حاجة إلى معلومات عن هذه الناحية.

ولقد كَفَلت قوانين العصر لأعضاء الأصناف، مكانة خاصة تميِّزهم عن غيرهم من أهل المهن الاخرى في المجتمع، فنرى أن فقيهاً بغدادياً من اهل القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)[2] يميز بين نوعين من الأُجَراء، وهما الأجير المشترَك (وهو الذي يستحق الأجرة بالعمل لا بتسليم النفس) والأجير الخاص (وهو الذي يستحق الأجر بتسليم نفسه في المدة المتعاقد عليها وإن لم يعمل)[3] فالحدّاد والنسّاج والطبيب هم أُجَراء مشتَركون لأنهم يقومون بأعمال خدمة لعدد مختلف من الناس في الوقت الواحد، وهم لذلك يتمتعون بالحقوق الهامة المكفولة لهذا النوع من الأجَراء، وأهمها توفر استقلال شخصياتهم من عملائهم، فهم – بحسب هذه القاعدة- أرباب عمل حقيقيون، وليسوا أجراء عاديين.

ويقدم الفقيه البغدادي المذكور أمثلة متنوعة على ما كان سائداً من حقوق حرفيي الأصناف في عهده. فمثلاً لا يُسأل الحارس المستأجر لحفظ الخان اذا ما

---

(1) انظر جب وبوون ج2 ص124 – 125 وكوبرلي: مصدر سابق 101 و Massignon مقالة sinf في Enc. Of Islam

(2) غانم بن محمد البغدادي الحنفي المدرس في المدرسة المستنصرية (توفي سنة 1620م/ 1030هـ): مجمع الضمانات في مذهب الامام ابي حنيفة النعمان (مخطوط في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد).

(3) مجمع الضمانات، الورقة 10

سُرق ولا يطالب بتعويض «لأنه يحفظ الأبواب، أما الأموال فهي بيد أربابها»[1]، وصاحب الخان المستأجر لحفظ الأمتعة غير مسؤول إذا ما سطا سارق على أمتعته أثناء غيابه، وكذلك لا يدفع الحرفي، مثل: النسّاج والحدّاد والقصّار (المشتغل بقصر ألوان الملابس) والدباغ، تعويضاً عن شئ فقد من محل حرفته أو تلف بغير سبب منه، حتى لو ترك محله ذاك في وقت كثر فيه اللصوص[2]، وجعل للحرفيين الذين لعملهم أثر كالصباغ حقاً في الإحتفاظ بالسلعة عند مماطلته بالسعر، وهو ليس مسؤولاً عنها اذا ما تلفت او فقدت[3]، وأعفى الأطباء والجراحيين عموما من مغبّة أعمالهم إذا ما هلك مرضاهم، دون سبب منهم واضح[4]، كما أعفى الملاحين من المسؤولية إذا ما غرقت سفنهم المحملة ببضائع غيرهم، حتى وإن كان غرقها بسبب عطب فيها[5].

اما الأجير الخاص، فهو على ما تدل الأحكام الخاصة به، تابع للحرفي، وهو في الغالب مُستأجر لديه، ولهذا فليست له شخصية خاصة به عن مخدومه، وهو يستحق أجرته منه في كل الاحوال، حتى في حالة تعطله عن العمل[6] لانه محسوب عليه ولا مَورد له من سواه. ويبدو أن هذا الأجير لم يكن في معظم الأحيان إلاّ تلميذ الحرفي أو صبيِّه، إذ يؤكد البغدادي على عدم قيام المعلم، أو الأستاذ، بضرب صبيه، أو تلميذه، إلاّ بإذن أبيه أو وليّه[7]، وإذا ما أذن للصبي بالترقي إلى مرتبة (الصانع) اختلف وضعُه القانوني، فيتحمل عند ذلك مسؤولية كاملة تجاه رب عمله (الحرفي) فهو يعوّض ما يفقد منه او يتلفه من سلع على عكس زميله غير المأذون، الذي يتحمل عنه مخدومه مسؤولية أعماله كافة[8].

ويحدد مؤلف عراقي مجهول، في مخطوطته عن تقاليد صنف الحلاقين كتبت في القرن الثاني عشر، ما يجب ان يكون عليه (الحرفي) الذي هو عنده (المُزيِّن) باثني عشر شرطاً، هي:

---

(1) المصدر نفسه، الورقة 15.
(2) المصدر نفسه
(3) المصدر نفسه، الورقة 22 (ضمان الصباغ).
(4) المصدر نفسه، الورقة 25 فصل (ضمان الفصاد ومن بمعناه).
(5) المصدر نفسه، الورقة 26 فصل (ضمان الملاح).
(6) المصدر نفسه، الورقة 14 فصل (في الأجير).
(7) المصدر نفسه، الورقة 22 فصل (ضمان المعلم ومن بمعناه).
(8) المصدر نفسه، الورقة 14.

1- أن لا يخدم أستاذاً ما خدم أستاذا ولا هو داخل في معرفة الاستاذين (كذا).

2- أن يخدم أستاذا عارفاً بأركان الصناعة وقواعدها وشروطها حتى يضع كل شئ في موضعه من الشروط والقواعد ولا يُنكِر على أستاذه لئلا ينكر عليه.

3- أن يكون مع الناس حاضراً في خدمتهم وناصحاً لهم ومحترمهم ومُعزاً لهم وقايماً بحقوقهم.

4- ان يأخذ العهد والبيعة من يد أستاذه ويستأذنه ويطلب منه الرخصة في الصنعة.

5- أن يعيش بالكد الحلال ويقنع به وإن كان قليلاً.

6- أن يكون مواضباً على الفروض الخمسة في الأوقات الخمسة ويكون صاحب عبادة وذكر لله تعالى على كل حال وان يكون حامداً شاكراً ذاكراً لله تعالى قانعاً بما قسم الله له.

7- ترك الهوى وحظوظ النفس والتكبر بل يكون متواضعاً خاشعاً خاضعاً عفيفاً لطيفاً.

8- أن يكون إذا رأى [شعر]رأس أحدٍ من المسلمين طويلاً يُزينّه ولا يُخجله في الثمن، فإنه ربما يكون لا يملك الثمن في وقته ذلك، بل إذا أعطاه شيئاً أخذه منه بالقبول والبركة قليلاً كان أو كثيراً، وأن يعطه شيئاً لا يطالبه فربما يكون صفِر اليدين.

9- ان ينظر إلى الغني والفقير بعَينٍ واحدة ويكون في خدمتهم سواء.

10- أن يُفرِّق بين المؤمن والمنافق فإذا حَضَروه (كذا) مؤمن ومنافق فيُقدِّم المؤمن على المنافق.. وإذا حضر شريف وعامي فيُقدِّم تزيين الشريف لشرفه.

11- أن يكون إذا رأى في جسد إنسان عيباً وخللاً فلا يظهره على الناس بل يكتمه ويستره.

12- أن يكون عارفاً بقواعد الصناعة عارفاً بشرايطها وأركانها وما يحتاج اليه في صنعته[1].

ويحدد صاحب المخطوطة المذكورة طبيعة العلاقة بين الصانع الحرفي (المُزِّين) وأستاذه، فيقول: «يجب عليه أن يكون في خدمة أستاذه كالميت بين يدي المُغسِّل،

---

(1) مجهول: رسالة في حلاقة الرأس، مخطوط في المكتبة القادرية ببغداد، الورقة 12-18.

والصانع لا يكون صاحب حُجّة على أستاذه، ويجب على الأستاذ أن يُعلم صانعه النصيحة، وأن يذهب به إلى المرشد الكامل حتى لا يبقى للصانع حق على أستاذه. وله — أي لأستاذه– أن يمنع صانعه من اللعب والطرب واللهو، ولا يغتاض على صانعه من غير ذنب، ولا يضربه بغير سبب، ولا يعمل في تعليمه له تقصيراً، وإذا كان عند أستاذه معرفة غريبة يُعلِّمها لصانعه، وكلما كان عنده من الصنائع يَظهره عليه، ولا يخرج الصانع من عند أستاذه إلاّ بإذنه[1].

ويبدو أن الرقابة على الأصناف والحرف ازدادت إبان العصر العثماني، فخضعت الأصناف إلى إشراف مُوحَّد، وذلك بان جُعلت تحت (مشيخة) عامة واحدة، وفُرضت عليها الضرائب بالضمان أو بالالتزام، فكان للحرف ضامن ملتزم أمام حكومة الولاية بتحصيل الضرائب على أهل الأصناف، وهو أمر أدّى إلى أن يُسمّى شيخ الأصناف مسؤولاً أمام الضامن مباشرة، وليس أمام الحكومة[2]. ويفهم مما أورده المؤرخ الموصلي محمد أمين العمري (توفي سنة 1201هـ/1786م) انه كان على هذا الشيخ أن ينظم حساباته في (دفتر) خاص يبين فيه ما ينُفقه وسبب انفاقه، وانه كان عليه أن يُقدِّم دفتره إلى الضامن ليُشرف بنفسه على سير الأمور المالية للأصناف بأسرها[3].

وكان لكل نوع من الأصناف قانون خاص يعرف بـ(الدستور) تتعلق أحكامه بالأمور المالية للصنف وبخاصة ما يتصل بتحديد أجور الصناع، وتقدير كمية الانتاج، والضرائب المفروضة على الصنف. وتكشف سجلات ولاية البصرة العثمانية (القرن العاشر /السادس عشر الميلادي) عن وجود عدد كبير من (دساتير العمل) هذه، فكان هناك دستور للقصابين وللدبّاغين وللخصّافين[4] وللعطارين، ولدلالي الأقمشة والعقاقير، وكان هناك أيضاً دستور لصباغي الغُزول وغيرها يحدد أسعار الصُبغ، وآخر للملاحين[5].

---

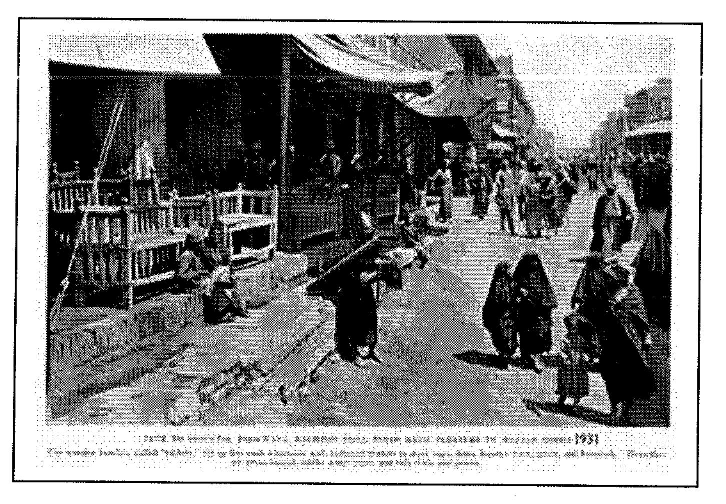
(1) المصدر نفسه، الورقة 21.

(2) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص 291.

(3) منهل الاولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1967، ج1 ص132.

(4) الخصّاف المشتغل بكبس التمور.

(5) الآرشيف العثماني، سجلات ولاية البصرة، دفتر 282، الورقة 425- 429.



مقاه وأسواق في بغداد (صورة قديمة)

وبقدر إهتمام واضعي (دساتير العمل) بالأمور المالية للأصناف، فإنهم أغفلوا توضيح دورها الإجتماعي في المدينة، ووضعها الاداري فيها. ففي الوقت الذي كانت فيه أصناف معظم المدن العثمانية تخضع لإشراف موظف خاص يدعى المحتسب، أو (احتساب آغاسي) مُوكل من قبل قاضي المدينة بتدقيق الموازين ومراقبة السوق(1)، فإن معطيات مصادرنا المحلية تخلو من الإشارة إلى هذا المنصب الهام، وإن تكن تشير إلى وجود ضريبة باسم (الاحتساب) تؤخذ على أساس النسبة الشرعية 40/1(2).

وكان على الأصناف أن تؤدي، متضامنة، أنواعاً من الضرائب الحرَفية إلى الملتزمين (الضامنين) الذين يُفوّضون حق إستيفائها بالمزايدة السنوية، وتعرف هذه الضرائب بالتمغا، أو الطغمة، وقد تدخل في هذه الطريقة من الالتزام دور

---

(1) الظاهر ان اولئك المحتسبين كانوا لا يعينون في مناصبهم إلا في المدن التي فيها قاض، وهم يقومون بتحصيل مختلف الرسوم على السلع والصفقات التجارية، كما كانت لهم سلطة القضاء في شؤون الاصناف بسرعة خلافاً للقاضي الذي تخضع أحكامه لاجراءات شرعية، أنظر جب وبوون:المجتمع الإسلامي والغرب ج2 ص130-131 ونقولا زيادة: الحسبة والمحتسب في الاسلام، بيروت 1963، ص 31- 41 ويلاحظ شابرول أن بعض الطوائف (الأصناف) في القاهرة كان يخضع لإشراف آغا العزبان والمحتسب، وللاخير حق الاشراف الخاص على المواد الغذائية . انظر: شابرول: دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب القاهرة 1976، ص 288.

(2) عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية، بغداد 1959، ص 50.

الصناعة العامة التي يملكها الصنف برمته، كأن تكون على المصابغ (بويه خانه) ودور النسيج (ابريسم خانه) ومواقد النار لإذابة القار (القير خانه) والمخابز (يمك كارخانه) والممالح، وفُرضت أيضاً على الدكاكين والأسواق[1].

وكان لتزايد النشاط الاقتصادي في مدن العراق، في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر للميلاد)، أثره في زيادة أهمية ضمان الأسواق والمرافق الاقتصادية وما يدره ذلك من أموال، فسجَّل (إلتزام) سوق الغزل ببغداد، وهو السوق المختص ببيع الغُزول اللازمة للنسيج، زيادة سنوية مستمرة خلال السنوات زيادة سنوية مستمرة خلال السنوات 1212 — 1216هـ/1767-1801م على النحو الآتي:[2]

1212	2250
1213	4000
1214	4500
1215	5000
1216	5400

وبلغ من نفوذ السلطة السياسية على شؤون الأصناف، أن تولّى الوالي نفسه إدارة تلك الشؤون أو الإشراف عليها من النواحي المالية، وهو ما كان يحدث في الموصل إبان القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر للميلاد)، حيث كانت عملية البيع تجري بين الأصناف بالدَين، بضَمانة الوالي نفسه، ويحتفظ الأخير بسندات الصفقة في خزينة الولاية[3]، ويحدد صاحب تاريخ ماردين([4]) أواسط القرن الثاني عشر تاريخا لقيام السلطات المحلية بالاقتراض المنظم من الأصناف، ومن ثم بدايةً جدِّية لتدخلها في شؤونها المالية مباشرة. فيقول في ترجمة (الخزينة كاتبي محمد أفندي) متسلم ماردين، وكانت يومذاك جزءاً من ولاية بغداد «ثم حكَم الخزينة كاتبي محمد افندي سنة 1155هـ/1742م، وحُكمه أربع سنين.. وهو الذي

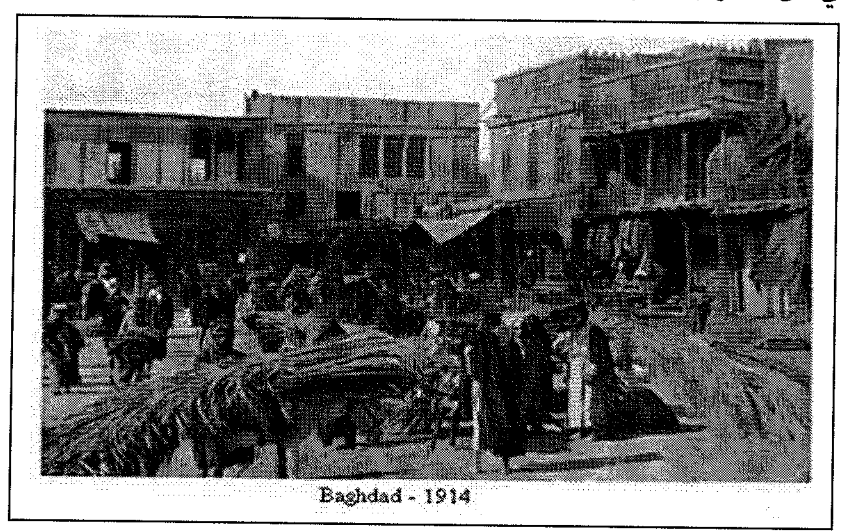
(1) سجلات ولاية البصرة، دفتر 282 ورقة 425.

(2) المحكمة الشرعية ببغداد، سجل 6 قديم، ورقة 34.

(3) مجهول: القوانين السلفية، مخطوط في دار المخطوطات العراقية ببغداد، الورقة 18.

(4) عبد السلام المفتي المارديني: تاريخ ماردين، مخطوط في دار الكتب المصرية، الورقة 141.

أبدع الدَين على أهل الحِرفة، وكان يعطيهم بذلك صكاً مختوماً، فاذا أراد أداء دينه أعطي من الأموال ما أراد بمقدار ما يريد كما هو المعتاد في هذا الزمان».



سوق قديم ببغداد سنة 1914

ويبدو أن للأسباب المالية والإدارية دورها في ضم عدد من الأصناف المتشابهة حِرَفها، ضمن صنف واحد. إذ تشير نصوص تاريخية[1] إلى أنه كان في الموصل سبعة أصناف، يرأسها شيخ يُعرف باسم (شيخ الأصناف السبعة). وأغلب الظن أن تحديد عدد الأصناف بسبعة فقط، لم يكن إلا تحديداً رسمياً، هدفه توحيد إدارة كل مجموعة من الأصناف المتقاربة المهن، في صنف واحد رئيس، تسهيلاً للإشراف على الحِرَف العديدة التي كانت منتشرة في ولاية الموصل آنذاك، وضم الجميع تحت (مَشيَخة) عامة واحدة[2].

وليست ثمة معلومات دقيقة عن عدد الأصناف في المدن العراقية إبان العصر العثماني، ويقدم لنا مؤلف فقهي مهم، كتب في القرن الحادي عشر (السابع عشر للميلاد)[3]

---

(1) امين العمري: منهل الاولياء ج1ص142- 143.

(2) كان عدد الاصناف في حلب المجاورة (72) صنفاً، وعلى كل واحد شيخ (توتل: وثائق تاريخية عن حلب، بيروت 1958)، ويذكر الجبرتي نحو 70 أو 72 (صنف) في القاهرة، وهو يماثل ما كان موجوداً في حلب (جب وبوون ج2ص139) ومن المحتمل ان يكون هذا الرقم عددا تقليدياً للأصناف في أكثر من مدينة، منها الموصل ذاتها، وذلك على افتراض ان وجود سبعة اصناف فيها يمثل اختزالاً شكلياً للعدد المذكور، أما القسطنطينية فقد كان فيها (1001) صنفاً، وهو عدد رمزي كما يبدو، يشكلون 57 شعبة. انظر أوليا جلبي سياحتنامه سي ج1ص604 الى 669.

(3) غانم البغدادي: مجمع الضمانات، الورقة 7- 25.

عرضا لأسماء الحرف الرئيسية القائمة في عهده والتي تبلغ الأربعين، ويمكن القول استناداً إلى ما يصفه المؤلف من الوضع القانوني الخاص بكل نوع من الحرف، بأن هذه الحرف كانت تشكل (أصنافاً) قانونية قائمة بذاتها، وأصحاب تلك الحرف هم:

القصّابون، الطبّاخون، الطحّانون، الخبازون، النساجون، الحيّاك، الخياطون، القصّارون، الصباغون، الصياغ، الصَيقليون (صاقلو السيوف)، الفصّادون، الحجّارون، الختانون، الكحالون (أطباء العيون) البياطرة، الملاحون، الوراقون، الغلافون، الكُتّاب، الإسكافيون، الخفافون، النجّارون، الدلالون، السماسرة، البياعون، النحّاسون، دلالو الأراضي، الحُرّاس، الخانيون (اصحاب خانات التجار)، المكاريون والحمالون.

ومن الواضح أن هذه القائمة أغفلت أصنافاً أخرى من الحرفيين مثل السقائين والنحّاسين والأطباء والحدادين.. الخ، وأنها لم تذكر إلاّ قسماً يسيراً منهم فقط[1]. ويعقد الرحالة التركي أوليا جلبي، في كتاب سياحته، (وكان قد زار بغداد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري) فصلا خاصاً بـ(الحرف والصناعات) ببغداد، لكنّه لا يشير إلى أكثر من خمسة أصناف رئيسة، هم صُناع السروج، والصاغة، والخياطون، والحدادون، وصناع السيوف[2].

وقد استخلصنا من نصوص الوقفيات التي وقفها بغداديون خلال العصر العثماني، أسماء الاسواق المنسوبة الى ما كانت تختص به من حرف مختلفة، فبلغت نحو خمسين سوقاً، ابرزها اسواق:

اسكيجيلر (باعة المواد القديمة)، الاطرقجية (باغة الامتعة المستعملة)، البزازين، البقالون، البلطه جية، البلانجية، التمّارة، الجبقجية، جوخجية، الحدادين، الحرير، الخرده فروشية، خونداقجية، الخياطين، الدقاقين، الدنكجية، الدهانة، السبزه راتجية، السراجين، السريرجية، الشعربافية، الصباغين، صبابيغ الآل، الصحاحيف،

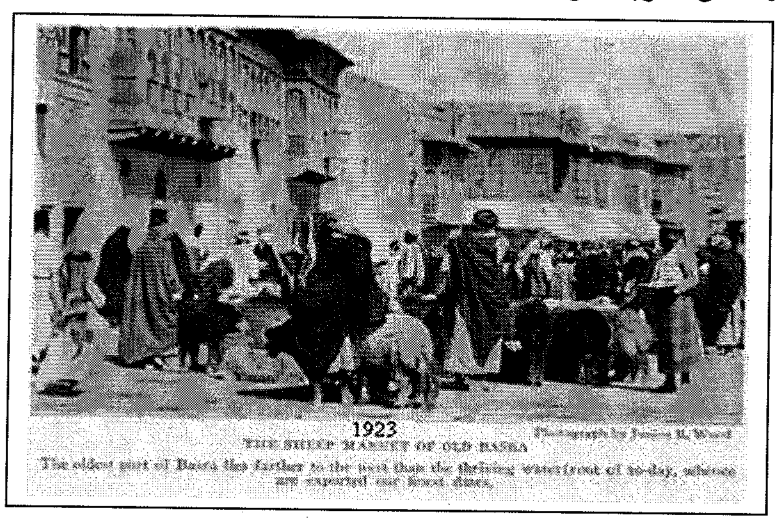
---

(1) ثمة أنواع من الحرفيين، اشار اليهم المؤلف، لا يدخلون -فيما يبدو- ضمن الهيئة الاجتماعية للمدينة، وانما هم ريفيون، وان كانوا يؤدون خدمات معينة لاهل المدن، مثل: الرعاة، ورعاة البقر، ويشير أوليا جلبي الى اختصاص الفلاحين باستانبول بصنف مستقل، ينتسب الى احد الاولياء (الأبيار – جمع بير) وهو منصور القطان المدفون في المدائن جنوب بغداد (اوليا جلبي سيا حتنامه سي 1 ج1 ص589) على أن هذا الصنف كان لا يشمل -فيما يبدو- الا الفلاحين القاطنين في المناطق المحلية من العاصمة (جب وبوون ج2 ص213).

(2) أوليا جبي سبا حتنامه سي ج4 ص422.

الصفارين، الصياغ، العطاطير، الغزل، القزازين، القطن، الفحم، الذهب، القوافين. وثمة حرف اخرى كثيرة يزوالها أصحابها في أسواق مشتركة، او اسواق تنسب الى محلات او اعلام[1] .

وتشير قائمة أحياء بغداد وعقودها التي وضعها الكوماندز فليكس جونز في سنة 1846، إلى نحو سبعين صنفاً متميزاً مستقلاً[2]، وتشمل أغلب ما تحتاجه المدينة، في ذلك العهد، من منتوجات وخدمات مختلفة[3].



سوق لبيع الماشية في البصرة القديمة 1923

وزاد من أثر الأصناف في الإدارة وفي توجيه الحكام، إنضمام معظم الحرفيين إلى أورطات (فرق) الجيش الانكشاري المرابطة في المدن العراقية[4] وإداؤهم، من

---

(1) كتابنا : معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط:2، الوقف السني، بغداد 2016، ص827- 361

(2) Jones. F.. Selection from the Rrcord of Bombay Government (Bombay 1954) pp. 312. 338

(3) ذكر الشيخ جلال الحنفي في كتابه (الصناعات والحرف البغدادية) بغداد 1966، جملة كبيرة من تلك المهن والحرف، تؤلف نحواً من ثلاثين مجموعة حرفية، اغلبها مما كان معروفاً في القرن التاسع عشر.

(4) يذكر روسو (Rousseau) ان سكان بغداد كانوا يتكونون بأسرهم من الانكشارية الذين يقومون بممارسة التجارة والصناعة (جب وبوون ج2 ص140) ويمكن القول ان الوضع نفسه كان موجودا في كل من الموصل والبصرة، حيث يذكر الاب دومنيكولانزا (Lanza) في معرض كلامه على الموصل، ان «كل الاتراك (يقصد المسلمين) تقريباً ينتسبون إلى احدى الاورطات

خلال تلك الأورطات، أدواراً مختلفة انحدر بعضها إلى مستوى الفوضى والتخريب، وتشير وثائق عثمانية ترقى إلى أواخر القرن العاشر الهجري (16م) إلى أن تلك الظاهرة بدأت في وقت مبكر، ففي سنة 985هـ/1571م أصدر السلطان حكماً إلى أمير أمراء بغداد يقضي بعدم تغيين (المحليين) في سلك القوات المسلحة[1]، وبلغ من خطورة هذه الظاهرة أن فئات غير منضبطة صارت تُدخل نفسها في عداد هذه القوات، فيرتكبون بإسمها أنواعاً من التعديات. ويؤشر حكمٌ موجه إلى قاضي الموصل في سنة 1119هـ/1707م إلى أن بعض الناس من سكان الموصل صاروا يذهبون إلى بغداد وإلى كركوك، وحينما يعودون إلى بلدهم يدّعون أنهم صاروا في عداد سلك الإنكشارية، ويقومون بتشكيل جمعيات للإفساد والتخريب، ويطلب الحكم بملاحقة هؤلاء ومعاقبتهم[2]. وفي سنة ففي عام 1191هـ/1777م، عَرَض (عامة البلد) في ماردين، على السلطان عبدالحميد الاول، إعادة تشكيل أوجاغ (صنف) للانكشارية كانت الدولة قد استحدثته في البلدة في أول عهدها فيها ثم ألغته «والتمسوا أن يخرطهم في سلك الينكجارية (الانكشارية) ويراعوا شروطها العُرفية كما هو القانون المعتاد، ويكونوا من عسكر السلطان كسائر البلاد، وغرضهم من ذلك ان يكونوا على الإتفاق لئلا يجور عليهم أهل البغي والنفاق، مع أن التدابير لا تغلب التقادير.. فأجابهم السلطان إلى ما طلبوا وأدخلهم في هذا الأوجاغ، ثم أنهم شرعوا بالزنا وشرب الخمور، وتعاملوا بأنواع الفسق والفجور، فمنهم من كان يمنع حقوق العوام، وبطل بينهم الشرع وحكم الحكام، وصاروا كأنهم عمالقة من بني حام.. ثم أنهم هجموا يوماً على الوَيوَده (متسلم وحاكم) عرب علي اغا، وقتلوه وقتلوا خزينة داره سليمان أغا»[3]. وفي عام 1225هـ /1810م لبس أهل الأسواق ببغداد سلاحهم وعزموا على قتل قائممقام المدينة، ولم يثنهم عن عزمهم سوى إستعانة القائممقام المذكور بقوات القبائل المجاورة[4].

ليحتموا بواسطتها من الغير» (مذكرات دمنيكو لانزا، ترجمة روفائيل بيداويد، الموصل 1952، ص 58 حاشية).

(1) الآرشيف العثماني، دفتر مهمة 20 ص 81 في 8 صفر 985

(2) الآرشيف العثماني، دفتر مهمة 115 ص255 في أواخر ربيع الآخر 1119

(3) تاريخ ماردين، الورقة 144.

(4) ياسين العمري: غرائب الاثر في ربع القرن الثالث عشر، الموصل 1940، ص120.



سوق السرجخانة القديم في بغداد

على أنه تجدر الإشارة هنا الى ان الأصناف لم تستطع ان تبلغ في فعاليتها السياسية حداً يمكنها من الاستحواذ على السلطة في المدن. حقيقة أنهم كانوا دوماً عنصراً له أهميته من الناحية الاقتصادية، إلا أنهم لم يتمتعوا بنفوذ سياسي مؤثر على نفس المستوى[1]. ولقد بقيت طبقة التجار، بما لها من تحكم في تصدير السلع المنتَجة وتوريد مواد التصنيع الخام، تمارس سيطرتها على السوق المحلية، ومن ثَمَّ على وضع الأصناف الاقتصادي نفسه. وبوصول تلك الطبقة، في بعض المدن العراقية إلى السلطة السياسية[2]، وتمكنهم في البعض الآخر من التأثير على تلك السلطة[3] فان سيطرة التجار على الأصناف أصبحت ذات مدلول سياسي أيضاً، إذ باتت طبقة التجار تشكل حائلاً فعالاً يقف بين الأصناف وبين السلطة السياسية ويمنعها من نَيل إمتيازات رئيسية كالتي نالتها مثيلاتها في أوربا، وهو أمر كان من شأنه أن يجعل نظرة هذه الأصناف إلى السلطة البلدية والمركزية مشوبة بكثير من الشك والريبة[4]، وأن تتضافر

(1) Bonne, Alfred : state and Economic in the Middle East. P, 50.

(2) وهو ما حدث في ولاية الموصل في عهد آل الجليلي.

(3) وهذا ما حدث في ولاية بغداد ابان عهد المماليك.

(4) Bonne, A. OP. Cit., P. 51

مع التنظيمات الإجتماعية الأخرى، كالطرق الصوفية والتجمعات الشعبية التي تقودها نقابات الأشراف، في الوقوف أمام تلك السلطة. على أن مثل هذا الموقف لم يكن يمنع — أحياناً— من أن تتخذ الأصناف موقفا مؤيداً للسلطة المحلية المتمثلة بنظام المماليك، وبخاصة عند تعرض هذا النظام لمحاولات السلطة المركزية العثمانية في التدخل في الشؤون الداخلية للولايات العراقية. من ذلك ما حدث سنة 1192هـ/1778م، حينما انضمت الأحياء التي تمثل مراكز ثقل هذه التنظيمات، وهي باب الشيخ (مركز قيادة الطرق الصوفية ونقابة الاشراف) والشورجة (مركز تجمع التجار والحرفيين) ورأس القُريَّة (مركز الأسواق)، إلى جانب القيادة المملوكية البغدادية، مناوئين بذلك محاولة الدولة العثمانية فرض والٍ دخيلٍ على الولاية[1]. وجبنما أعلنت تلك التجمعات تأييدها لحكم المماليك ازاء جيش الدولة المركزية الذي يقوده علي رضا باشا سنة 1247هـ/1831م لذلك لم يكن غريباً أن تفرض الدولة الضرائب الفادحة، بل الغرامات، على الأصناف إثر سقوط نظام المماليك، عقاباً لها على موقفها المساند لهذا النظام. ويذكر المؤرخ عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي (توفي 1287هـ/1870م) ناقلا عن أبيه الذي عاصر زوال المماليك ودخول علي رضا باشا بغداد أن الأخير «وضع ضرائب على التجار والبزازين والخفافين والحدادين والعطارين وغيرهم من الوجوه والأغنياء، فالذي لم يدفع يُحبَس ويُضرب»[2].

وعلى الرغم من الطابع الديني الصوفي الذي كان يسود الأصناف إبان هذا العهد، فقد ضمت الأصناف المذكورة مختلف الطوائف الدينية دونما تمييز إداري يذكر، وذكر عبد الرحمن السهروردي في نصّه المتقدم أن علي رضا باشا لم يميز في فرضه الضرائب بين «[أهل] الإسلام واليهود والنصارى». وكان معظم تلك الأصناف منظماً بحسب التخصصات المهنية المميزة للطوائف الدينية المختلفة، فمهنة الصيدلة والصياغة، إلى جانب معظم التجارة في المواد الغذائية، كانت حكراً على المسلمين، في حين كانت الصيَرفة والتجارة في الذهب والفضة من نصيب

وللمقارنة بين الاصناف في أوربا والشرق الاسلامي، أنظر: ماسنيون، لويس: الهيئات الحرفية والمدنية الاسلامية. مجلة المورد 3 (بغداد 1973) ص 18-19.

Economic history of the Middle East, P. 30 Hersbiac, Z.Y.. Introduction to the Modern

(1) عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، ص51

(2) تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، ص71.

أصناف يغلب عليها الذميّون، وبلغ هذا التخصص في الأصناف حد أن كانت مهن معينة، مثل صياغة الفضة والتطعيم بالمينا حكراً على طائفة الصابئة، بينما بقيت صياغة الذهب بيد المسلمين، وظل نحت الرُخام مهنة خاصة بالنصارى في الموصل، في حين اختص المسلمون بعملية البناء والعمارة.



سوق الصفارين في بغداد

ويبدو أن للعلاقات القَبَلية دَورَها أيضاً في تنظيم التخصصات المختلفة للأصناف، وهو أمر معقد اختصت به مدن العراق إبان العصر العثماني، وبخاصة في القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي)، حين اشتدت الهجرة القبلية والريفية إلى المدن. وفيما يأتي نماذج لهذه الحالة الاجتماعية في مدينة بغداد[1]:

الحمالون: عشيرة البو مُفرِّج.

العَلوَجية (وهم أصحاب مناثر المنتوجات الزراعية، أو أسواق الجملة): عشيرة الكُروية.

الحماميون والحمالون: عشيرة البو عَجيل.

الطباخون: عشيرة بني عِز.

العكّامون (وهم خدم القوافل وحراسها) عشيرة البو صقر والجنابيون والسواكن.

صناع الحُصُر: عشيرة الجعيفر

---

(1) محمد خورشيد: سياحتنامه حدود، ط. حجر استانبول، ص213- 216.

أهل الاطعمة (الأكمكجيون): جماعة الفلاحات.

المكاريون: جماعة الوشاحات.

القصابون: عشيرة المهدية.

الفحامون: عشيرة جميلة.

بوابو (حراس) المخافر: عشيرة البو شبل.

ولم يقتصر هذا الوضع على بغداد فحسب، بل تعداها إلى مختلف المدن العراقية كالحلة[1] وكركوك[2] وغيرها.

ولم يقف نمو طبقة التجار وسيطرتها على السوق المحلية عند حد ممارسة نفوذها على الحياة السياسية فحسب، بل تعداه، في القرن المذكور، ولاسيما في النصف الثاني منه، إلى ان يُوسِّع أولئك التجار نشاطهم متعاونين مع الجاليات الاجنبية، أو من يرتبط بمصالحها كالأرمن واليهود وبعض الأسر المسيحية الحلبية، فيفتحون بذلك الأسواق المحلية على مصراعيها، أمام البضائع الصناعية الأوربية الرخيصة. وهكذا فقد احتلت تلك البضائع الأسواق مُنافسة الإنتاج المحلي على نحو خطير، وانخفض في الوقت نفسه، استيراد الخامات نصف المصنوعة التي يحتاجها الحرفيون عادة في أعمالهم، وخاصة منها الغزول والأصباغ (النيلة) مما ادى إلى ركود مضطرد في الحياة الإقتصادية والإجتماعية للأصناف عامة، فانخفض -مثلاً- عدد ورش النسيج في بغداد من 12.000 معمل في منتصف القرن التاسع عشر إلى بضع مئات في بداية القرن العشرين[3]، ومثل ذلك ما حدث في البصرة، حيث اختفت تقريباً صناعة أنواع من النسيج المحلي عُرفت بها، وفي الموصل أيضاً، التي طالما اشتهرت بقماشها (الموصلين) الثمين. وبازدياد استيراد الأواني المعدنية المطلية من أوربا، تقلصت صناعة النحاس المحلية إلى حد كبير[4]، بعد أن وصفت في القرن الثامن عشر بأنها تفوق المصنوعات الأوربية إتقاناً وجَودة[5]، وعجزت صناعة النفط المحلية والأسفلت في (مندلي) و

(1) خورشيد باشا ص 300.

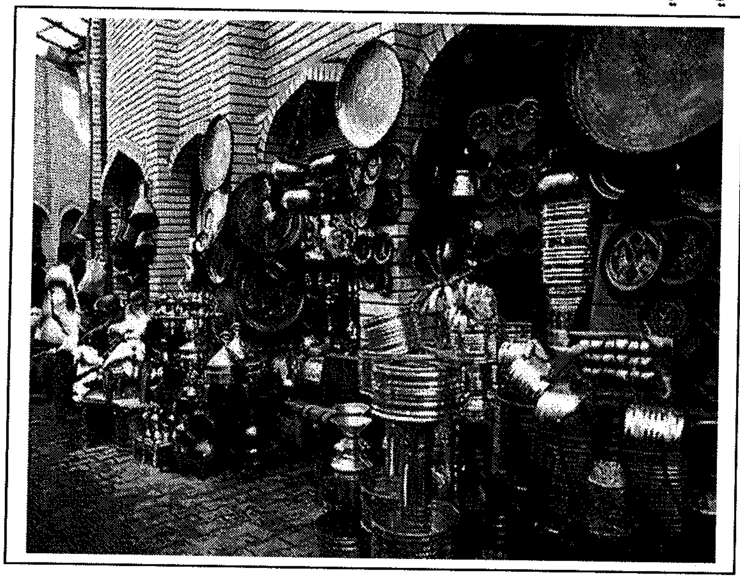
(2) المصدر نفسه ص 228.

(3) كوتولوف، ل.ن: ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد 1971، ص81

(4) المصدر نفسه ص81.

(5) جاكسون: مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1767، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ص 105 ويذكر هذا الرحالة أنه شاهد في الموصل عدداً كبيراً من مصانع النحاس والحديد، وأن

(هيت) من منافسة نفط باكو والولايات المتحدة، فاغلقت سنة 1901 العين النفطية في مندلي، وهي التي كانت تبعث بمنتجاتها حتى ذلك الحين إلى بغداد.



جانب من سوق الصفارين ببغداد

ولقد أضرّ هذا الوضع بمصالح طبقة الحرفيين بشكل عام، وأضعف من تنظيماتها إضعافاً شديداً. وشهدت أواخر القرن التاسع عشر ضموراً بالغاً في دور الأصناف، وفي أوائل القرن العشرين قامت بعض الاصناف باضرابات عامة مطالبة بزيادات في الأجور، ولعل اول اضراب نسمع به في بغداد، حدث في أواخر سنة 1912، حين اجتمع دبّاغو الأعظمية قرب بغداد في أحد ردهات مشغلهم مطالبين –فيما يبدو– بزيادة في الأجور، إذ ما أن زاد رئيسهم (الكتخدا) رواتبهم حتى «عَدَلوا عن غايتهم شاكرين له»[1]. ويلاحظ أن هذا الإضراب لم يكن ضد السلطة أو من يمثلها وإنما ضد رئيس الصنف، مما دلّ على أن حالة من التفكك أخذت تعمل على تدمير ما تبقى من نظام الاصناف التقليدي، تاركة المجال أمام تنظيمات جديدة، أكثر تمثيلاً لظروف المرحلة التالية وحاجاتها، لتحل محلها في قيادة حركة العمل في العراق الحديث.

كميات كبيرة من مختلف المواد التي تصنع من هذه المعادن كان يتم ارسالها عبر نهر دجلة نحو الجنوب حتى البصرة، بالاضافة إلى كميات هائلة من النحاس غير المشغول ترسل من المناطق الجبلية إلى الجنوب.

(1) مجلة لغة العرب 1912.

ضرائب صنف القصابين في العراق

القرن التاسع عشر

دراسة في وثائق جديدة

يشعر الباحث في تاريخ العراق الحديث بفداحة النقص في المعلومات المُتاحة عن النظم الضريبية في العراق، وهو أمر من شأنه أن يُبقي جوانبَ مهمَّة من الحياة الاقتصادية - ولا سيَّما ما يتعلَّق بموارد الولايات العراقية - غامضةً، وفي حاجة إلى ضوء يوضِّح مشكلاتها ومقاديرها ومصادرها، ولا يقل الأمر خطرًا بالنسبة للحياة الاجتماعية؛ لما للضرائب من أثر في طبيعة العلاقة بين السُلطة والسكان، ويمكن أن يُعزى سبب ذلك النَّقص إلى أن الضرائب بتقديرها وحسابها وجبايتها من الأمور المعقَّدة التي كانت تَتجاوز فَهم أكثر المؤرِّخين، وحتى الذين كانوا يتعرَّضون لها يكتفون - غالبًا - بملاحظة آثارها الاجتماعية، أو ما كان يصحَب جبايتها من عَسْف وقَهْر، ولا شكَّ في أن دراسةً جادَّة للنظام الضريبي في عهد ما يَستوجبَ الاطِّلاعَ على السجلات الرسمية والدفاتر والوثائق الخاصة به، وهو ما لم يكن مُتاحًا لأغلب المؤرِّخين.

ومما زاد في فداحة الأمر، أن جميع ما كان مُودَعا في سراي بغداد من (سجلات الخزينة وأوراقها) مما يَرقى إلى القرون الثلاثة الأولى من العصر العثماني وحتى نهاية عهد المماليك - فُقد أو تَلف؛ نتيجة الكوارث الطبيعية والإتلاف المتعمَّد في أثناء الفوضى الناشبة في ولاية بغداد سنة 1247هـ/1831م[1]، ولم يَجرِ الاحتفاظ بما تخلَّف من الوثائق حتى أواخر العصر العثماني[2].

ومن ناحية أخرى، فإن كثيرًا من السجلات والوثائق، على فرْض وجوده، لا يسجِّل جميع ما كان مفروضًا من ضرائب منظورة، فبعض تلك الضرائب كان يُفرَض من مسؤولين أدنى درجة، دون علم أو مراقبة الجهات المالية الأعلى، بل إن أكثر ضروب ذلك النوع من الضرائب لم يَكن يُسجَّل أصلاً، وفي أفضل الظروف كان يمنح دافعها تذاكر (وهي الوصولات بلغتنا العصرية) لا يعرف مدى دقتها، وهذه التذاكر مُعرَّضة - بالطَبع - للتبديد والضياع في كل حين[3].

---

(1) سليمان فائق: مرآة الزوراء، ص 177.

(2) بحثنا: واقع الوثائق العثمانية في بغداد، من هذا الكتاب.

(3) ومما يؤكِّد هذا المعنى أنه توجَد في المكتبة القادرية ببغداد (مضبطة) يوضِّح موقِّعوها أنهم دفَعوا الرسوم المستحقَّة عليهم ويُطالبون التأكُد من سجل الرسوم، تاريخها 1116هـ/1704م كتابنا: الآثار الخطيَّة في المكتبة القادرية، ج4، بغداد 1980، ص304.

وتُقدِّم المؤلفات الفقهية المتأخِّرةُ ومجاميع الفتاوى[1] معلومات لابأس بها عن (الضرائب الشرعية)، إلا أن تلك المؤلَّفات لا تتطرَّق إلى الضرائب العُرفية، وحتى بعد إصدار القوانين والأنظمة المالية العثمانية، فإن أكثرها لم يكن يُعبِّر عن الصورة الحقيقية للنظام الضريبي المُطبَّق في مدن العراق وريفه[2].

ومن هنا بات على الباحث في تاريخ الضرائب إبَّان تلك العهود، أن يتلمَّس طريقه بيده؛ وذلك بالبحث عن الوثائق المالية حيثما وجدت، وبأية صورة كانت؛ لعلها تُلقي ضوءًا على ذلك الجانب المهمِّ من تاريخ العراق المالي والاقتصادي.

ولقد أسعَدنا الحظ بالوقوف على وثيقتين تاريخيتَين[3] لهما أهمية بالغة في الكشف عن أنواعٍ من الضرائب والرسوم العُرفية مما كان مُطبَّقًا في العراق في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، والوثيقة الأولى عبارة عن (عَرْضَحال) رَفعه رجلان من فئة العلماء، من أهل مدينة الحلة، إلى والي بغداد علي رضا باشا اللاظ سنة 1247هـ/1831م يَطلُبان فيه إصدار أمره بإعفائهما من رسوم محدَّدة كانا يَدفعانها عن دكان قصاب يَملكانه في تلك المدينة، بينما كُتبت الوثيقة الأخرى في الجهة العُليا من الورقة نفسها، وهي عبارة عن أمر للوالي (المسمَّى بالتركية بيورلدى) يتضمَّن الإستجابة الكاملة للطلب المرفوع إليه، ونص (العرضحال) كالآتي:

(المعروض إلى حضرة أفندينا وليِّ النِّعم، أيَّدَ الله به الدين، وجعل العلماء بإحسانهم لمددهم نايلين

إن للداعين في الحلة قصَّاب نرجو من مراحمكم الوافية، وإحسانكم الكافية، الرُخصة العالية بأن يَذبح مستأجره فيه يوميًا خمسة رؤوس من الغنم، أو جاموسة، أو جملاً، أو بقرة، وألا يتعرَّضه أحد من ملتزمي المُومَخانة والقصّابخانة وميدان الثيران والمَطايا بطلب شحم ورسم المُومخانة ورسم القصابخانة ورسم المَيْدان، ولا يُطلَب عيدية، ولا يُرمى غنم أو جاموس أو بقر عليه، وألا يُمنع من شراء غنمٍ أو جمال أو جاموس أو بقرٍ في الحلة، وألا يتعرَّض بكافة العوارِض والتكاليف، وأن يُصان من جميع التَّعديات، وألا يَطلُب ملتزِمو المقاطعات المذكورة

(1) مثل: (نتيجة الفتاوى) و(فتاوى علي أفندي) و(فتاوى بهجة أفندي)؛ انظُر عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية (بغداد 1958) ص 55.

(2) المصدر نفْسه، ص 107- 108.

(3) نسخة مصوَّرة لدينا، وكنا قد صوَّرناها عن الأصل الذي يحتفظ به أحد باعة المخطوطات في بغداد سنة 1980.

التزامه عن الداعين، ونرجو الترحُّم ببيورلدى شريف بذلك خطاباً لخادمكم أمير الحلة، أيَّد الله دولتَكم إلى ممرِّ الأيام، وخلَّد سعادتكم إلى انقراض الأعوام

الداعي محمد أسعد، الداعي محمد سعيد مفتي بغداد سابقاً).

أما الأمر الصادر من الوالي، والمسمَّى (بيورلدى)[1]، فقد كتب بخط مائل على الجهة اليسرى من أعلى الوثيقة، ونصه:

(الذي يُعلَم به أمير الحلة قد رَخَّصنا أن يُذبَح بالدكان المذكور يومياً خمسة رؤوس غنم، أو جاموسة، أو جملاً، أو بقرة، وعفَونا عن الرسومات المذكورة، فينبغي أن تَمنع ملتزمي المُومخانة والقصَّابخانة والميدان عن التعرُّض بطلب الرسومات والعِيديَّة، ورمْي المواشي عليه، ولا تَدَعهم يتعرَّضون قصَّابَه بطلب التزامه، ولا بطلب شحم، ولا يمنعونه عن اشتراء مواشي بالحلة، ولا يَمدون يداً عليه من طرَف العوارض والتكاليف وسائر المواد من كل الوجوه، وتَصونه من التجاوز والتعدي من جميع الجهات، وتبقى بيورلدينا بأيديهم، وفيه الكفاية، 6 من (رمضان) سنة 1247).

ويثير هذان النصان (العَرْضَحال والبيورلدى) اهتمام الباحث من أوجه عدة؛ فهما أولاً صدَرا في عهد والي بغداد علي رضا باشا، أول والٍ عثماني يتولاها بعد إسقاط نظام المماليك، بيد أن تاريخ البيورلدى المبكِّر (وقد صدَر في أول سني حكمه) يدُل على أنه جرى في غايته وأسلوبه وشكْله على وفق ما كان يصدُر في عهد المماليك السابق، ولا يبعُد أن يكون ذلك جرى بتوسُّط حاكم الحلة، وهو آنذاك محمد أسعد النائب (حكمها من 1247 إلى 1253هـ/ 1831 - 1837م)[2]، الذي سبَق أن قام بمهمة مماثلة حين توسَّط سنة 1243هـ/1827م لأديب مصري بإيصال عريضته إلى والي بغداد السابق داود باشا، وكانت تتضمَّن إعفاءه من بعض التجاوزات والرسوم، والعمل لدى داود لإصدار أمر بذلك الإعفاء[3]، وفي الواقع أن هذا الرجل، وإن كان يَدين بمنصبه لعلي رضا، إلا أنه يمثِّل امتداداً لتقاليد المماليك في الإدارة والحُكم، حتى إنه دفَع حياته ثمناً لما اتُّهِم به من مُمالأة لتلك التقاليد[4].

---

(1) مصطلَح تركي، يعني: تفضلٌ بكذا.

(2) كتابنا: الأسَر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخِّرة، بغداد 1992، ص296.

(3) العزاوي: المصدر السابق، ص106- 107.

(4) انظر عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، بتحقيقنا، ط2: بيروت 2010م، ص81 و486 و576، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج2 ص224 و314.

ولنا أن نلاحظ أن العرضحال يسمِّي حاكم الحلة المذكور (بأمير الحلة)، وكذا ورد على لسان علي رضا باشا، ويظهر أن هذا اللقب كان موروثًا من عهد أن حكم الحلة أمراوها من آل عبدالجليل، وهي الأسرة العربية التي تولَّت الحكم فيها، بصفة وراثية، منذ سنة 1115هـ/1703م وحتى سنة 1232هـ/1816م، وإلا فلم يكن محمد أسعد إلا إداريًّا عيَّنه علي رضا نفسه.

ومُوقِّعا العَرْضَحال، رجلان نعرف أحدهما جيدًا، وهو الحاج محمد سعيد نائب زاده، أحد كبار علماء بغداد في عصره (توفي سنة 1273هـ/1856م)، وكان قد أفتى في الحلة عدة سنوات قبل أن يُصبح مُفتيًا للحنفية في بغداد سنة 1246هـ/1830م[1]، أما الآخر، فلم يوقِّع إلا باسمه الأول، وهو محمد أسعد، والراجح أنه محمد أسعد أفندي، الأخ الأصغر للمفتي (توفِّي سنة 1271هـ/1854م) وكان قد أفتى في الحلة عدة سنوات أيضًا[2]، فعلاقة الرجلين بالحلة واضحة، ويظهر أنهما تملَّكا دكانًا فيها، وأنهما أجَّراه لقصّاب، وكتَبا ذلك العرضحال لإعفائه من رسوم عدة، مما يرجِّح أنهما كانا يشاركانه الربح بنسبة معلومة، وهو ما نَفهمه من طلبهما بأن (يَذبح مستأجره فيه)، وتدُل استجابة الوالي لذلك الطلب بحذافيره على منزلة الرجلين؛ كونهما من العلماء المُفتين، وأنه هو الذي عيَّن محمد سعيد مفتيًا ببغداد في أول تَولِّيه الحكم فيها.

يوضِّح العرضحال حقيقة أن جميع الرسوم المستحصلة في ذلك العهد، كانت تُجبى من ملتزمين، على وَفْق نظام الالتزام الذي كان سائدًا في الدولة العثمانية عامَّة، ومن المعروف أن أول بيان رسمي يَعد بإلغائه، وهو (خط كُلخانة) صدَر سنة 1255هـ/1839م[3]؛ أي: بعد تاريخ العرضحال بنحو ثماني سنوات، وفي الواقع فإنه لم يُلغَ عمليًا إلا في أوائل القرن العشرين.

---

(1) محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر، ج1، بغداد 1930، ص96.

(2) المصدر نفسه ص (100)، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسَر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط:2 بغداد 2007 ص173، وجاء في كتاب (نزهة الادباء) لمحمد أمين السهروردي، بتحقيقنا، دار الزمان بدمشق 2016 ص 85 ما نصه «وأما محمد أسعد افندي فقد عزلوه أيضاً من إفتاء الحلة، وأخذ يزرع هو وأخوه محمد سعيد افندي المار الذكر بعض النهران، التي كانت بأيديهما من قبل، والآن فقد تهيئا الى الخروج من بغداد، ليسكنا الحلة».

(3) جاء في هذا البيان: لكن أصول الالتزامات المضرَّة المعتبَرة من ضمن أسباب الخراب التي لم يظهَر منها ثمرة نافعة في أي حال لم تَزل جارِيَة الآن، فيَلزَم بعدَ الآن تعيين خَراج مناسب

ويُطالب العرضحال بالإعفاء من تسديد الرسوم الآتية، وهي:

أولاً- رسم المُومخانة: وهي لفظة تركية مُركَّبة من (مُوم) وتعني الشمع، و(خانة) التي تعني الدار والمكان، فهي مكان الشمع، أو دار تصنيعه، وبما أن الكلام لا يتعلَّق بالشمع أصلاً، فالمقصود به هنا - فيما نرى - المكان الذي تُصنع فيه الشموع من الشحم خاصَّة، أو الذي يُستخلَص فيه الشحم لأغراض مختلفة، مثل الإضاءة وغيرها، ولا تُصرِّح الوثيقة بمقدار ما كان يُستوفَى من رسْم بهذا الاسم، ولكن من الواضح أنها كانت رسومًا نقديَّة؛ لأن الوثيقة تُميِّز بين هذا الرسم والشحم الذي كان يتوجَّب على القصَّاب تقديمه إلى الملتزمين.

ولا تَمُدُّنا مصادر الحقبة بمعلومات عن الموقع الذي كانت تَحتلُّه هذه (المُومخانة)، ومقدار ما تُنتجه من مواد، والذي نرجِّحه - بناء على قرائن عدة - إنها كانت مملوكة لصنف القصابين بذاته، وهو نوع من الملْكية الجماعية التي اختُصَّ بها نظام الأصناف الحِرفية في العصر العثماني، مثلها في ذلك مثل: (البُويَخانة = المصبغة) و(السَرجخانة= دار تصنيع الجلود) في مدن أخرى، وواضح أنه كان لهذه الدار مُلتزِم مهمَّتُه جمعُ الرسوم الخاصة بها من الصِّنف، بيد أن ذلك يُثير السؤال التالي: إذا كانت المُومخانة ملكًا لصنف القصَّابين، فلماذا يطالب أصحاب العرضحال من الوالي إعفاءهم من أداء الرسم إلى ملتزمها؟ وليس من حَلٍّ لهذا الإشكال إلا بافتراض أن الملتزم كان يدفع ما يجمعه من رسوم للسلطة، بوصفها تمثِّل حصة السلطة المذكورة من أموال الصِّنف نفسه.

ثانيًا- رسم القصَّابخانه: وهي لفظة مركَّبة من (قصَّاب) وتعني (الجزَّار) بلغة أهل العراق، و(خانة) التي تَقدَّم معناها، فتكون مهمتها مماثلة لمهمة (المجزرَة) في وقتنا الحاضر، ويظهر أن رسمًا مُعيَّنًا كان يُفرَض على المواشي التي يجري ذبحها في هذه الدار؛ ولذا فقد كانت تُمنَح بالالتزام، وإذ يَطلب صاحبا العَرْضَحال إعفاءهما من هذا الرسم، فإن ذلك يدُل على اختصاص الدار بالذبح مُطلقًا، ويؤكِّد هذا المعنى

على قدْر اقتدار وأملاك كل فرد من أفراد أهالي المملكة، انظر محمد فريد بك: تاريخ الدولة العليَّة العثمانية، بيروت 1977، ص254.

التماسهما أن يذبح مستأجر الدكان في دكانه عدداً محدَّدًا من المواشي، فذلك وحده ما يَعفيه من دفع رسْم القصابخانة، ولو كان جائزًا الذبح خارج الأخيرة لأمكن التخلُص من ذلك الرسم أصلاً، ويمكننا أن نتصوَّر عائدية هذه المجزرة كانت لصِنف القصابين، مثلها في ذلك مثل (المُومخانه).

ولا تشير الوثيقة إلى مقدار ذلك الرسم، والظاهر أنه لم يكن قليلاً، ففي رسالة قوجي بك المؤلَّفة في سنة 1041هـ/1632م شكوى مُرَّة من ارتفاع الرسوم المقرَّرة على رؤوس الغنم، فبينما كانت تُقدَّر في أواخر القرن العاشر للهجرة (السادس عشر الميلادي) بنحو نصف آقجة (وهو الدرهم الفضي العثماني)، زادت على يد المستوفِين في القرن التالي إلى ضعف ذلك المبلغ، ثم إلى 7 أو 8 آقجات، وقد عدَّ مؤلِّف تلك الرسالة هذه الزيادة غايةَ المُنتهى من الظُلم والاعتداء، فصار الأمر مما لا يُطاق[1].

ثالثًا- رسْم المَيدان[2]: واضح من سياق العرضحال أنه المكان المخصَّص لعرض الماشية وشرِائها، وكان ثَمَّة رسم يُستحصَل من ثَمن الماشية المُشتراة؛ ولذا فقد منح الميدان لأحد (الملتزمين) ليتولَّى جمع تلك الرسوم.

ومطالبة صاحبي العرضحال إعفاءهما من الرَّسم المذكور يدل على أن جزءًا منه كان يتحمَّله المشتري، وإلا فالمنطق يقضي أن يكون الرسم على البائع، وهو القابض للثمن، ولا تَمدنا الوثيقة بما يوضِّح مقدار ذلك الجزء، وطريقة تَقاسُم الرَّسم، وما إلى ذلك من تفاصيل، ويظهر أنه لم يكن مسموحًا لأصحاب الدكاكين من القصابين شراء الماشية من خارج (الميدان) المخصَّص لهذا الغرض؛ ولهذا يَطلُب صاحبا العرضحال السماح لهما بتجاوز ذلك المنْع، بشراء الغنم أو الجمال أو الجاموس أو البقر في الحلة، ولا معنى لهذا الطلب إذ لم يكن شراء المواشي من غير المكان المخصَّص لها، يَعني حِرمان الملتزِم (والسلطة) من الرَّسم المُشار إليه.

---

(1) العزاوي: تاريخ الضرائب 116.

(2) الميدان اصطلاح يقصَد به المكان، أو الساحة المخصَّصة لعرض الجيش حصرًا؛ ولذا فإنه يقع غالبًا قريبًا من قلعة المدينة، أو (القشلة)؛ أي: ثكنتها، والظاهر أن ميدان الحلة استغل في هذه الحقبة، ليكون مباءة لعرْض الماشية؛ نظرًا لموقعه المهم وتوسُطه المدينة، وفي هذه الحالة يمكننا أن نتصوَّر وجود المنشآت الأخرى ذات الصِلَة بذبح الماشية، كالقصابخانة والمومخانة في موضع قريب من هذا الميدان.

رابعًا- ضريبة باسم (عيديّة): لم تُحدَّد طريقة دفْعها، والظاهر أنها كانت ضريبة موسمية، تُدفع في عيد الأضحى، حين يَكثُر الذبح، وربما في عيد الفطر أيضًا، ومن المحتمل أنها بلغت شيئًا مذكورًا، بحيث لم ينسَ صاحبا العرضحال طلَب إعفائهما منها.

خامسًا- ثمَّة رسوم لم تُحدَّد أسماؤها: عَدَّها العرضحال أنواعًا (من العوارض والتكاليف) و(التعدي) وأضاف إليها البُيورلدى عبارة (التَّعدي من جميع الجهات).

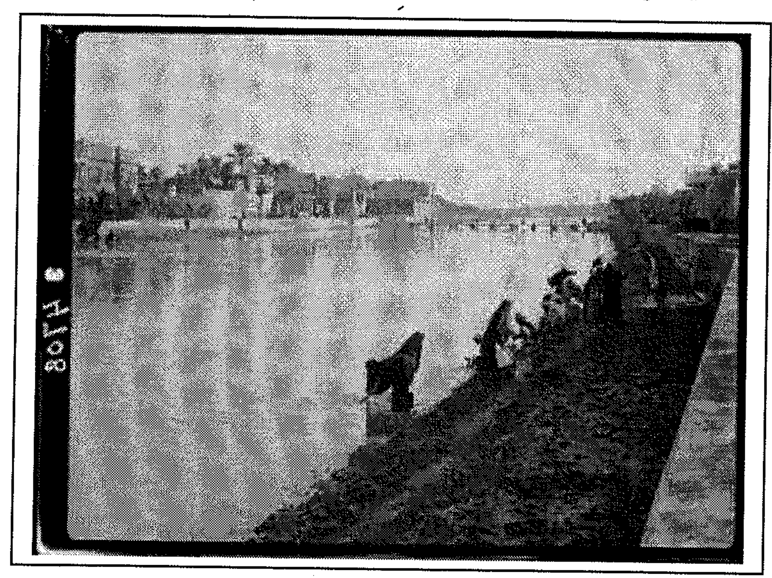
سادسًا- يَطلُب صاحبا العرضحال إصدار أمر يقضي بعدم (رمي غنم أو جاموس أو بقر عليه)؛ أي: مستأجِر دكانهما، وهذا يعني أنه كان يكلَّف بشراء ما لا حاجة له من الماشية، مما يُسبِّب تلَفه، وخسارة ثمنه، فضلاً عن ربحه، والظاهر أن هذا التكليف كان يجري العمل به من أجل تحقيق أكبر ربح ممكن لملتزم الميدان والجهات المستفيدة الأخرى، كالمومخانه والقصابخانه، لكنه يأتي - في الواقع - ضاراً بمصالح القصَّابين أنفسهم؛ لأن من شأنه زيادة العَرْض على الطلب.

ويلاحَظ أن كاتبي العرضحال لم يرفَعا طلبهما إلى أمير الحلة أو حاكمها، وإنما قدَّماه إلى والي بغداد مباشرة، ولا تفسير لهذا الأمر إلا على أحد الوجهين الآتيين: إما أن مسألة الإعفاء من تلك الرسوم تَستدعي صلاحية أوسع مما للأمير المذكور، أو أن الكاتبَين لم يشاءا - لأمرٍ ما - تقديم طلَبهما إلى الأخير، وفضَّلا تَجاوُزَه إلى المسؤول الأعلى عن الحلة في ذلك العهد، وفي الحالة الأولى لا يَبعُد أن يكون لحاكم الحلة يد في رفْع العرضحال إلى الوالي كما ذكرنا من قبل، خاصَّة وأنه ليس في البيورلدى مؤاخذة تدُل على أن صاحبَي الطلَب قد تَجاوزا مرجعهما المباشر، أو تَخطَّيا سلسلة مراجعهما كما نقول في هذه الأيام، وهو ما يدُل على اعتياد الناس على رفْع ظلامتهم، أو عرائضهم، إلى المرجع الأعلى، حتى في الأمور التفصيلية - كما في هذا العرضحال.

ويلاحظ أيضًا أن إجابة الوالي على العَرْضحال جاءت واضحة، ومُلبِّية للطلب بكل تفاصيله، وقد اتَّخذت الموافقة شكلَ أمر رسمي (بيورلدى) كتب في الجهة اليسرى من أعلى الورقة التي تضُم العرضحال نفسه، وكان مُتَّبَعًا ترْكَ فراغ في أعلى الطلبات التي تُقدَّم إلى المراجع العُليا؛ ليتسنَّى للمرجع كتابة مطالعته، أو أمره، حسَب كل حالة، وتاريخ البيورلدى هو السادس من شهر رمضان سنة (1247هـ/ 1831م).

وتُشير الوثيقة نفسُها إلى استمرار تمتُّع صاحبَي العرضحال بالإعفاءات المذكورة حتى ما بعد نحو ثلاثة عشر عامًا من صدور البيورلدى، فثمَّة حاشية بخط البيورلدى نفسه، على الجهة اليمنى من أعلى العرضحال، تقول: (ينبغي أن يعمل بموجَب هذا البيورلدى، وفيه الكفاية)، وهي مؤرَّخة في 13 جمادى الأول سنة (1259هـ / 1842م)، ويظهر أن أصحاب الطلب قد أكَّدوا ما بأيديهم من أمر، بعرْضه على الوالي علي رضا مجددًا على تلك العبارة القاطعة.

ولا شكَّ في أن القصاب الذي تَخصه هذه الإعفاءات كان واحدًا من قصابي الحلة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)، فما فُرِض عليه من رسوم وضَّحتها الوثيقة، كان مفروضًا على زملاء مهنته أيضًا، وبمعنى آخر: إنها تَختصُ (بصنف القصابين) بصفة التنظيم الحرفي الذي يُنظِّم أهل تلك الحرفة ويدافع عن مصالحهم في ذلك العصر، فالوثيقة تَكشف بصورة غير مباشرة، عن أزمة أهل الأصناف في موقفها من السلطة من جهة، ومن نظام الالتزام من جهة أخرى.



الحلة في الثلاثينيات من القرن الماضي، نِسوة يغسلنَ الثياب على شاطئ الفرات، وجِسر المدينة العائم، وجانب من دور المدينة على الجانبين

صور من العلاقات الزراعية في العراق

ابان القرن الثامن عشر

دراسة في وثائق تاريخية جديدة

لتاريخ العلاقات الزراعية أهمية خاصة في دراسة تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي إبان العصر الحديث، ذلك أن هذه العلاقات تمثل الخلفية الاقتصادية المباشرة لتطور المجتمع في الريف الزراعي، كما أنها من جهة أخرى تمثل الخلفية غير المباشرة للتطور الاجتماعي، بل والسياسي أيضاً، في المدينة نفسها. وصعوبة دراسة هذه العلاقات تكمن في أنها تستند – بصفة وحيدة تقريباً – الى الوثائق الزراعية، بخلاف الحال عند دراسة أحوال المدن في تلك الحقبة، حيث يسد المؤرخون المعاصرون بعض النقص في مواد البحث الأولية بما يدونونه من تواريخ مختلفة، فإن اهتمام المؤرخون كان قاصراً، بصفة عامة، على (المدينة) دون أن يمتد الى الريف، بعلاقاته وأوضاعه وتركيبه الاجتماعي والاقتصادي.

ووفقاً للقاعدة التاريخية القائلة بأن (لا تاريخ بغير وثائق) فإن جوانب مهمة من أحوال الريف تبقى دون تاريخ أصلاً، وسبب ذلك يعود الى أن قسماً كبيراً من علاقاته الزراعية لم ينظم بموجب وثائق بالمرة، وإنما جرى بحسب الأعراف السائدة في الحقب السابقة، والاتفاقات الشفوية فحسب، وليس تعليل هذه الظاهرة بعسير، فوسط حالة من الأمية المطلقة كانت تسود الريف ومعظم مجتمعات المدن، يصبح من الصعب تنظيم مثل هذه الوثائق التي تستدعي دِراية مُعيّنة في أمور (المعاملات). وفي ظل انقطاع الصلات الحقيقية بين المدينة والريف، وغَيبة الأولى عن ممارسة دورها الفعلي خارج أسوارها أو جوارها على الأكثر، تصبح العلاقات الزراعية القائمة بين الفلاحين أو العشائر الزارعة، والقبائل البدوية، علاقات مبنية على أساس توازن القوى عملياً، دون أن تستند في تثبيتها إلى صيغ قانونية مدونة.

ولما كانت سعة الأرض الزراعية في العراق أكثر بكثير من حجم الكثافة السكانية فيها، لا سيما في تلك الحقبة (حيث لم يزد عدد السكان الريفيين الذين يعتمدون على الأرض للزراعة والرعي على نصف المليون تقريباً)[1] فإن مساحات كبيرة من تلك

---

(1) محمد سلمان حسن: التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864–1958، بيروت 1965، ص52.

الأراضي لم تكن تعاني (مشاكل زراعية) أصلاً، ومن ثم لم تكن ثمة حاجة -غالباً- الى تثبيت حدود ملكيات المزارعين وحقوقهم في وثائق مُصدَّقة مُلزمة. ومن ناحية أخرى فان أنواعاً مختلفة من العلاقات الزراعية، لا سيما المغارسة، لم تكن منطبقة في أحيان كثيرة على القواعد الشرعية، مما كان يحول دون توثيقها، فإذا ما كتبت واحتيج إلى تصديقها لدى جهة شرعية، استعين على هذا الأمر بما يُعرف (بالحِيَل الشرعية) حتى يمنح ذلك (شكلاً) شرعياً يجوز الإعتراف به والمصادقة عليه.

ويزيد من صعوبة البحث في هذه الوثائق ودراستها، أنه لم يكن ثمة تصنيف خاص بها حتى بعد مصادقتها من طرف المحكمة الشرعية، فلا تميِّز سجلات المحاكم الشرعية بين الوثائق الزراعية وغيرها من الوثائق المتنوعة الأخرى، كالأحوال الشخصية والوقفيات وعقود البيع والشراء وسائر المعاملات، ولذا فإننا نجد عقود المزارعة والمغارسة والمساقاة واستئجار الأرض الزراعية وبيعها والعمل الزراعي، مختلطة مع غيرها من الوثائق بشكل يصعب تمييزها الاّ بعد دراستها وتحليل محتواها.

وعلى الرغم من أن عدد هذه الوثائق، بافتراض وجودها جميعاً، لا يغطي -في تقديرنا- المساحات الزراعية التي كان يجري فيها التعامل أصلاً إلاّ بنسبة ضئيلة جداً، فإن من شأن ما تبقى منها - اذا مادُرس ونُشرَ- الكشف عن جملة أمور مهمة في تاريخ التطور الإجتماعي والإقتصادي للعراق إبان العصر العثماني، فهي توضح طبيعة الملكية الزراعية في الريف، وسُبل انتقالها وتحوِّلها، وأنماط العلاقات التعاقدية بين مالك الأرض والفلاح من جهة، وبين الحكومة ومالك الأرض من جهة أخرى، وطبيعة واجبات الفلاحين تجاه المالك وأنواعها، ومقدار أجور العمال في الحقل أو البستان، ونسب مقاسمة الحاصل. ولا ريب في أن دراسة كهذه ضرورية تماماً لفهم تطور المدينة ذاتها، فكثير مما كانت تتعرض له المدن من ظروف هذا التطور، تكمن أسبابه في أعماق الريف. كما أن غير قليل مما كان يصيب الريف من تبدُل في علاقاته الزراعية كان يرجع في أصوله الى ما كان يمر به مجتمع المدينة من تغيرات.

ولقد عثرنا في أثناء بحثنا في هذا المجال على جملة من الوثائق التاريخية التي تكشف لأول مرة عن أنماط من التعامل الزراعي كانت سائدة في ريف العراق إبان القرن الثامن عشر، وفيها إشارات مهمة إلى عددٍ من الظواهر والأعراف الشائعة في الريف الزراعي في خلال تلك الحقبة.

وهذه الوثائق مكتوبة بلغة عربية، تتفاوت قوة وضعفاً، وفيها من الألفاظ والمصطلحات ما لا يستهان به، كأسماء بعض العملات وتحديد أقيامها، ومقاييس الطول المستعملة في تلك الايام، وما الى ذلك من أمور تفيد الباحث في تاريخ العراق الإقتصادي على وجه خاص. وهي محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد[1].

ويمكن تصنيف هذه الوثائق على النحو الآتي:

الوثائق (1) و(2) و(3) ثلاثة عقود مغارسة بين سعيد بك بن سليمان باشا والي بغداد بولاية أبيه، وبوكالة محمد سعيد بك، وبعض الفلاحين، على غرس مقاطعات من أرض الهندية قرب الحلة، مؤرخة في سنة 1213هـ / 1798م.

(4) عقد ضمان أو التزام بمعنى إجارة للأرض ووساطة زراعية بين والي بغداد وأحد الملتزمين، لقرى في الحلة، مؤرخ في السنة نفسها.

(5) عقد مزارعة بين والي بغداد وعشيرة البو هيكل على زراعة منطقة محددة من أرض مقاطعة الهندية، مؤرخ في السنة نفسها.

(6) عقد عمل زراعي بين الحاج محمد سعيد أفندي قاضي الحلة واثنين من الفلاحين على العمل في أحد البساتين في الحلة، مؤرخ في السنة نفسها.

(7) (8) عقد بيع يرد على عقار بين المرأة (خانة بنت جمعة) بوكالة الحاج عباس بن أحمد، وإثنين من الفلاحين، على بستان في قرية أم العتايق من قرى الحلة. مؤرخ في سنة 1220 هـ (1805م).

وترقى هذه الوثائق الى عهد والي بغداد سليمان باشا الكبير (1194-1217هـ/1780-1802م) وخلفه علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م) اي الثلث الاخير من حكم المماليك في العراق (حكموا من 1162 الى 1247هـ/1749- 1831م)[2] وهي الحقبة التي شهدت تحول المماليك فيها من فئة بيروقراطية – عسكرية تعتمد

---

(1) كنا قد وضعنا فهرساً مفصلا بمخطوطات هذه المكتبة ووثائقها، انظر الآثار الخطية في المكتبة القادرية، 5 أجزاء (بغداد 1974- 1980) .

(2) ينتمي المماليك الى أصول جيورجية، جلبوا رقيقاً في عهد والي بغداد القوي حسن باشا في مطلع القرن الثامن عشر، واتخذهم هدا الوالي، وابنه أحمد باشا من بعده، جيشاً له وموظفين، وأثبتوا من المقدرة ما مكنهم من تولي الحكم سنة 1162ه/1749م وشمل حكمهم بغداد والبصرة وشهرزور، بينما قوى نفودهم في ولاية الموصل، وتوالى على الحكم منهم عشرة ولاة كان آخرهم داود باشا الذي عزل سنة 1247ه/ 1831م .

في معاشها على ما تتقاضاه من خزينة الولاية من رواتب، الى طبقة مالكة لها مواردها الاقتصادية من ملكياتها العقارية الواسعة، وزاحمت خلالها الطبقات المالكة الأخرى، لا سيما تلك التي تمثل الملكيات الزراعية الكبيرة مصدر ثروتها الأساس. ويفهم من استقراء الوقفيات العديدة التي وقفتها أسر المماليك على مساجد بغداد، وعلى ذراريهم، أن تلك الأسر كانت تتجه في استثمار أموالها في اتجاهين رئيسين: الأرض، والتجارة. وكان معظم أصحاب الأموال يوزعون استثماراتهم تلك، بنسبة متعادلة تقريباً، بين الملكيات الزراعية والملكيات المتعلقة بأعمال تجارية بحتة[1]. ويظهر أن شيوع عقود المغارسة بين المماليك والفلاحين، في هذه السنين، كان يعود إلى رغبة المماليك في زيادة استثمارهم للأراضي الزراعية الواسعة التي بحوزتهم بهدف تحقيق أكبر ربح ممكن لاعادة توظيفه في مجالات تجارية وعقارية داخل المدن نفسها.

وفيما يأتي نصوص هذه الوثائق المهمة، ننشرها كاملة، ملحقين كل وثيقة منها بما تقتضيه من تحليل ودراسة[2].

الوثيقة (1) [عقد مغارسة][3]

«سبب تحرير هذه الوثيقة الشرعية، والنَميقة الصريحة المرعية، يُعرب مضمونها عن ذكر ما هو: أنه قد حضر الرجل المدعو محمد بن حمد بطَوعه وحسن اختياره من غير جبر ولا إكراه، وطلب المغارسة الآتية ذكرها مع حضرة أفندينا الأسعد الأمجد سعيد بك المجد،[4] نجل الوزير الأعظم، والدستور المكرم، حضرة أفندينا ولي النعم سليمان باشا والي بغداد المفخم، أدام الله تعالى دولته، في مقاطعة الهندية الواقعة في جانب الشامية قرب الحلة المحمية. على أن يُغارسه في زراعة بستان مشتملة على نخيل وكروم وآصال وأشجار. وحيث أن النجيب سعيد بك المومى إليه لم يبلغ حينئذ حد الحلم، تصدى لهذا العقد حضرة أفندينا المشار اليه بحسب ولايته الخاصة عليه، فأقر

---

(1) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوطة لدى المؤلف).

(2) أشكر الدكتور عدنان أحمد العزاوي على مساعدته إياي في دراسة هذه الوثائق من الناحية القانونية.

(3) العنوانات من وضعنا.

(4) سعيد بك (باشا فيما بغداد) ولد سنة 1205هـ (1790م) فيكون عمره عند كتابة هذه الوثيقة سبعة أعوام، تولى الحكم ببغداد سنة 1228هـ/1813م بسبب تأييد زعماء المماليك له، اثر خلافه مع عبدالله واليها السابق، واستمر في الحكم حتى تمكن داود افندي دفتر داره (باشا فيما بعد) من عزله، بتأييد الدولة المركزية،ثم قتله سنة 1232هـ/1816م وتوليه الحكم مكانه.

للمغارس المذكورة من أرض المقاطعة المزبورة أربعة آلاف ذراع طولاً بذراع الكرباس،[1] وألفي ذراع عُرضاً، مُعيَّنة عند المغارس المذكور محمد، فباعه بحب ولايته الميمونة من الأرض المذكورة، المفروزة خُمسَيها مشاعاً غير مقسوم، بمبلغ قدره وبيانه ألف قرش رايج، فصارت هذه الأرض المرسومة مشتركة بينهما بطريق الشيوع: ثلاثة أخماس الى جانب المشار اليه سعيد بك، وخمسان للمغارس المذكور. ثم أن المزبورة يقتضي لها بناء جدران وزرع أشجار ونخيل وفسلان، وتعاهد بسقيها وحفر سواقيها ومساقيها وغرسها وخدامتها. فقوَّم بناء جدرانها وقيمة أشجارها وفسلانها بقيمة معينة، فسلم المغارس محمد المذكور ما يترتب على استحقاقه قيمة بناء الجدران وقيمة الأشجار والفسلان، الى جانب شريكه سعيد بك المومى اليه، ليصرفها مع مصارف استحقاقه من بناء الجدران وإشراء الأشجار والفسلان. ثم أن محمد المذكور أجَّر نفسه الى مدة عشرين سنة من جانب المومى اليه بالمبلغ المتقدم ذكره، وهو ألف قرش قيمة خمسي الأرض المذكورة، على أن يعمل في هذه الارض جميع ما يطلب من الفلاحين في البساتين من الغرس والسقي والرفس[2] وحفر السواقي والمساقي وتعاهدها بالحفظ والخدامة. [و] بمَنه وكرمه تعالى جميع ما يحصل من نماء هذه المغارسة يقسم على خَمس حصص، ثلاث منها لجانب المشار اليه سعيد بك، وحصتان للمغارس المذكور.

ثم أن الحاكم المُوقَّع اسمه أعلى الكتاب[3] حكم بصحة المغارسة حكماً شرعياً مرعياً صحيحاً. وكان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر صفر الخير لسنة ثلاث عشرة ومائتين وألف.

تحليل الوثيقة

1- إن ظاهرة إثبات عقود المغارسة كتابة بهذا التفصيل ظاهرة تستلفت النظر في هذه الحقبة، اذ كان المعتاد حتى في ظل القانون المدني أن يصار الى اتفاق شفاهي، وهو الأمر الذي كان سبباً في ضياع حقوق المغارسين غالباً.

---

(1) ذراع الكرباس، ويساوي على الأرجح ما عرف بالذراع العامة، وهذه كانت تساوي 04، 54 سم . فالترهنتس: المكاييل والأوزان الاسلامية ص89، ترجمة كامل العسلي، عمان 1970، فيكون طول الأرض (216,60) متراً، وعرضها (1088) متراً. أي تسعة دونمات وبعض الدونم.

(2) الرفس لغة: الصدمة بالرجل في الصدر (تاج العروس. رفس) واصطلاحاً لدى أهل العراق: التسميد .

(3) ليس على الوثيقة اسم هذا القاضي، وأغلب الظن انه السيد رائف ابو بكر، وكان قد تولى قضاء بغداد في تلك السنة، واستمر فيه الى جمادى الأخر سنة 1214هـ / 1799 م . ابراهيم الدروبي : أخبار قضاة بغداد (مخطوط) .

2- إن عقد المغارسة عند الحنفية بخلاف المذاهب الإسلامية الأخرى[1]، عقد فاسد، آي انه لا ينعقد وإنما يكون الحكم على أن الشجر لرب الأرض وللمغارس قيمة غرسه يوم الغرس وأجر مثل عمله، وللمغارس قيمة غرسه يوم الغرس وأجر مثل عمله، أي أجر المثل[2]. والحيلة الشرعية الواردة في الوثيقة هو أن يبيع صاحب الأرض الى العامل او المغارس بثمن معلوم، ثم يأذنه بإنفاقه في غرس نصيبه. ومما يؤكد انطواء هذا العقد على حيلة شرعية هو أن بدل البيع قرر بذات المبلغ المقرر للمغارس كأجر له عن الغرس.

3- ان الشيوع شرط واجب به لصحة العقود الزراعية عموماً كالزراعة والمساقاة، وبهذا المعنى نصت المادة 1444 من مجلة الأحكام العدلية «يشترط أيضاً كما في الزراعة ان تكون حصة العاقدين في عقد المساقاة جزءاً شائعاً كالنصف والثلث».

الوثيقة (2) [عقد المغارسة]

«السبب الداعي لتحرير الكتاب الشرعي، والأمر الباعث لتسطير الخطاب المرعي هو: أنه حضر الرجل المدعو عمران بن عسكر، وطلب المغارسة والشركة الآتي ذكرهما مع حضرة جناب الأكرم الأفخم سعيد بك المفخم نجل الوزير المبجل حضرة افندينا سليمان باشا، أدام الله أيام سعوده، ومتعنا والأنام بطول بقائه ووجوده. وحيث أن المومى اليه سعيد بك لم يبلغ حينئذ، تصدى عنه والده الوزير المشار اليه فوكل من جانب الاكرم مصرف[3] بابه الحاج محمد سعيد أفندي[4]

---

(1) عقد المغارسة لدى المذاهب الاسلامية الأخرى، وبخاصة المالكية، عقد جائز ومشروع بل نظمت احكامه لدى الأخيرين بشكل يكفل حقوق المغارسين .

(2) انضر التفاصيل في عدنان أحمد العزاوي : العلاقات الزراعية في القانون العراقي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة بغداد 1976،ص12 -18.

12) سليم رستم باز : شرح المجلة، بيروت 1923، ص766 .

(3) المصرف، موظف يتولى حساب النفقات والواردات في عهد المماليك، واسم الوظيفة المصرفية، والمصرفدارية، والمصرفخانة: دار المصرف .

(4) تولى المصرفية في عهد سليمان باشا الكبير، ثم تولى (دفتردارية) بغداد، حتى عزله عنها والي بغداد عبدالله باشا سنة 1225ه/1810م، ولكنه عاد فعينه كتخدا بغداد وكالة لمدة شهر واحد سنة 1226هـ/1811 وكان مقرباً من سعيد باشا ومن أعوانه، فلما تولى داود باشا الحكم سنة 1232هـ/1816م وقتل سعيد باشا لاحق مقربيه وأعونه، فقتل منهم محمد سعيد المذكور، وارسل رأسه، مع الأخرين، الى استانبول. وكانت لمحمد سعيد دار تقع قرب السراي . رسول الكر كو كلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت، ص253، 277 .

المحترم وكالة مطلقة، بشهادة الأكرمين: لطف الله افندي[1]، ومحمد بك شاوي زاده[2] المحترمين، فحضر الوكيل المومى اليه وأحضر المغارس المزبور، وافرز له من أرض مقاطعة الهندية طولها ذراع بالذراع الحديد البغدادي الكرباسي[3] وعرضها ثمانمائة ذراع بالذراع المذكور، فباعه نصفه مشاعاً غير مقسوم بمبلغ قدره ألف قرش من الرايج في الوقت، بيعاً صحيحاً شرعياً. ثم انهما اتفقا على ان يغرسا جميع الأراض المزبورة نخلاً وآصالاً من الميواة[4] أنواعاً، ويصرف كل منهما على قدر استحقاقه وما يخصه من بناء الجدران وقيمة التال[5] والأشجار، فلما تم ذلك أجر المزبور حسين نفسه من البيك المشار اليه بأن يقوم بجميع ما يحتاج اليه البك المشار اليه من الغروس المذكورة من السقي والحرث والتحويض والتسميد والتلقيح والتعكيس والتركيس وحفر الحقبور[6] للتال والأصال، من تاريخ الورقة

---

(1) هو لطف الله أفندي، من مدينة كركوك أصلا، عاش في بغداد، وتلقى العلم فيها، وعين كاتباً فرئيساً للديوان (ديوان الأنشاء) ببغداد في عهد واليها سليمان باشا الكبير، وعرف بعلمه في الرياضيات، حتى ان داود باشا درس على يديه هذا العلم، وتوفى سنة 1216هـ/1801م، أي بعد شهادته على هذه الوثيقة . عثمان ابن سند : عبد القادر الشهرباني، تذكرة الشعراء، الأصل الكامل بتحقيقنا، بغداد 2002، ص356- 361 وعثمان بن سند: مطالع السعود بتحقيقنا، ص198، 277، 538 وومختصره لامين الحلواني، القاهرة 1371، ص 172 .

(2) محمد بن عبدالله بن شاوي من أمراء قبيلة العبيد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر . تولى عدة سفارات دبلوماسية بين بغداد وايران، وعرف بدهائه وحنكته، وكانت ثمة خلافات بينه ووالي بغداد سليمان باشا الكبير، فارسله هذا في بعض المهمات الصعبة طلباً للتفاوض مع الوهابيين، وبعد عودته اتهمه منافسوه بالميل الى الوهابيين، حتى اذا ما تولى علي باشا الحكم سنة 1217هـ امر بخنق محمد بك الشاوي مع أخيه عبدالعزيز بك، فخنقا ودفنا في محرم 1218هـ/1803 في منطقة قريبة من الموصل . مطالع السعود ص 142- 149، 158، 313، 319، 347، 348، ومختصره ص 21،26، 40، 44، 51، 72، ودوحة الوزراء ص164، 165،207، 213، 224 وابن سند : سبائك المسجد ص82 .

(3) ذراع الحديد، نوع من الأذرعة، يبلغ 25 أصبعاً شرعياً، كان يستخدم في مصر والحجاز كذراع بز، وطولها هو 58،187 سم، والظاهر أن كاتب الوثيقة أراد ان يميز ما عناه بالذراع الحديد عن غيره مما يحمل الاسم نفسه، فوصفه بالبغدادي الكرباسي، وقد تقدم ان الذراع الكرباسي هو 04 ، 54 سم، ولا ندري ان أراد به مجرد وصف للأخير، ام انه نوع مستقل من الأذرعة . هنتس : المكاييل والأوزان 87 .

(4) الميواة : فارسية، وتعني الفاكهة، وما تزال مستعملة أحياناً في العاميات العراقية .

(5) التال : فسلان النخل .

(6) كذا .

الى مضي عشرين سنة بالمبلغ المطلوب من قيمة نصف الأرض المزبورة، وذلك ألف قرش . فبمَن الله تعالى وبمَنه إذا بعث بالنماء والخير من الغروس المذكورة يقسم الحاصل مناصفة، نصف لحضرة افندينا البك المومى اليه، ونصف للمزبور عمران . وأما ما يزرعه المزبور عمران من الخضر والمخاضير والقطن والحنطة والشعير وانواع الحبوب والمخاضير فهو له خاصة دون البيك المشار اليه، بيعاً وشراكة صحيحتان صريحتان شرعيتان مرعيتان، جرت بينهم بالطوع والرضا .

وكان ذلك في سلخ ربيع الأول ثلثة (ثلاثة) عشر ومائتين والف» .





تحليل الوثيقة

1- إن عقد البيع الوارد على الأرض يتضمن في حقيقته عقد مغارسة توصل اليه العاقدان من خلال الحيلة الشرعية، اي الوصول الى إجراء عقد المغارسة من خلال عقد بيع صوري . ويؤكد ذلك أن المغارس استوفى مبلغاً لقاء الغرس يقابل مبلغ البيع، اضافة الى ان اقتسام الأشجار والثمر تم بذات النسبة التي تم بها الإتفاق .

2- ان اقرار الحق للمغارس مآلا، اي بعد إعمال الحيلة الشرعية بنصف الأرض والشجر يمثل حكماً جديراً بالملاحظة، لأن إثبات الحق بنسبة كهذه قد كرس في فترة متأخرة، وعلى وجه التحديد بصدور القانون 117 لسنة 1970.

الوثيقة (3) [عقد مغارسة]

«وجه تحرير السند الشرعي: هو أنه قد استأجرتُ من جناب الأفخر الأفخم الحاج محمد سعيد بك، مصرف حضرة افندينا ولي النعم، كثير الجود والكرم، الدستور المكرم والمشير المفخم، الذي فاضت سحائب جوده على الخاص والعام، والي

ولاية بغداد مدينة السلام، سليمان باشا يسر الله له من الأمور ما شاء، ولا زالت أغصان اقباله خضراء مورقة، وبحار سعادته ممتلئة متدفقة، وكلٌ بحسب ولايته على مخدومه الأفخم الأعظم افندينا سعيد بك المحترم، بشهادة صاحب المجد والعرفان، وكاتب الديوان الأكرم لطف الله أفندي المحتشم، وشهادة النجيب الأديب الأمجد الأمجد الأكرم محمد بك[1] المحترم : الأرض البيضاء[2] المتصلة بنهر الهندية، التي طولها ألفا ذراع بذراع الكرباسي، وعرضها ألفا ذراع كذلك، الى مضي تسعين سنة بأجرة معينة قدرها الفا قرش استيجاراً صحيحاً شرعياً . ثم بترضينا فسخت الاستيجار في نصف الأرض المذكورة فسقط نصف الأجرة المسطورة . ثم تشاركت مع جناب المشار اليه بحسب وكالته، على أن يضع من مال الأجرة التي بذمتي خمسمائة قرش وانا أضع مثلها، ونخلط المالين خلطاً لا يتميز، ونشتري بها تالاً أنواعاً، وأغصاناً أضراباً، من جميع انواع التال والآصال، ونغرسه في الأرض المذكورة. ثم بعد ما تم أمر المشاركة، استأجرني جناب المشار اليه بحسب وكالته الشرعية لخدمة ما يخصه من نصف الغرس المذكور من التال والأصال الى المدة المذكورة، ولبناء وحفر السواقي والتسميد وقطع الأغصان اليابسة [و] التلقيح والتطيين والتركيس والتعكيس وسائر الخدمات المعلومة بين ارباب المغارسات بأجرة معينة قدرها خمسمائة قرش. وقد قبلت ذلك الاستئجار بالأجرة المذكورة الى مضي المدة المسطورة، واذا جاءت الثمرة بإذن الله تعالى تقسم مناصفة، نصف لأفندينا الأكرم سعيد بك المحترم، ونصف لنا . وعلى هذا وقع الرضا والقبول .

وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة عشر بعد المائتين والف».

تحليل الوثيقة

1-إن صيغة الاجارة هي صيغة غير مألوفة خاصة من حيث مدة هذه المغارسة، وهي تسعين سنة، اضافة الى اقترانها بالتزام المؤجر مآلا بالغرس، وهو لا يقع ضمن التزامات المستأجر عادة. والأمر لا يعدو ان يكون حيلة شرعية أريد بها الاتفاق على الغرس واقتسام الارض والشجر بين المالك ومن قام بالغرس. ولكون

---

(1) هو محمد بك الشاوي المتقدم ذكره في الوثيقة السابقة .

(2) الأرض البيضاء : هي الأرض الجرداء التي لا نبت فيها .

الأحكام المرعية في المذهب الحنفي لا تجيز عقد المغارسة، فان الحاجة قد مست الى مثل هذه الحيلة لتمرير هذا التصرف.

2- يلاحظ أن العقد لا يرتب أية حقوق عينية للمغارس أن يدعي بأي حق من الحقوق المتصلة بالملكية، ويقتصر مركزه الشرعي على كونه مستأجراً فقط، ينتهي حقه بإنتهاء المدة المتفق عليها بالوثيقة. ويلاحظ أن المدة قد قررت على النحو الوارد بالعقد اي 90 سنة للوصل الى نتائج مقاربة لتلك النتائج المتوخاة عادة من المغارسة دون الاصطدام بالأحكام الفقهية الحنيفة التي لا تقر هكذا عقد أصلا .

3- يلاحظ أن هذا العقد هو بين ذات الأطراف الوارد ذكرهم في العقد السابق، وبنفس الشهود والتاريخ وينصب على ذات المنطقة، وهو أمر قد يفهم منه بأن محل العقد هو واحد في الحالتين، ولكن تعددت هذه العقود لضمان حقوق العاقدين في ظل واقع قانوني لا يجيز مثل هذا التصرف أصلاً، بحيث يصار الى الاستعانة بهذا المستند اذا اتضح عدم شرعية او اصولية المستند الأول.

4- يستشف من هذه الوثيقة وما سبقها ان التعامل بالمغارسة كان أحد ضروب التعامل الزراعي الشائعة في العراق، او على الأقل في هذه المنطقة، علماً بان عقود المغارسة لم تعرف في بعض البلدان الاسلامية الأخرى، كمصر مثلاً .

الوثيقة (4) [عقد ضمان أو التزام ووساطة زراعية]

«وجه تحرير التمَسُك : بأن عليَّ وفي ذمتي لباب حضرت أفندينا – أدامه الله تعالى – من الدين اللازم والحق الثابت مبلغاً قدره من الغلال ثمانية عشر تغار ونصف حنطة، وخمسة وعشرين تغار[1] شعير، وذلك عن طَلب ضابط الحلة علي جلبي[2]، الحنطة عن بقية ضمان الحبوب والشهابية، والشعير عن بقية ضمان

(1) التغار، والطغار، وزن شائع في العراق، وهو يعدل 20 وزنة عراقية والوزنة 4 أمنان بالمن العراقي، والمن ست حقق بالحقة البقالي، والحقة أربع أواق بقالي. ويزن الطغار 2165 كيلو غراماً و 125 درهماً (وهي خمسا الكيلو تماماً). ابراهيم سليمان العاملي: الأوزان والمقادير، صور 1962، ص80 –82 .

(2) هو علي جلبي بن خليل جلبي بن اسماعيل بن محمد ياسين جلبي، من الأسرة الحاكمة في الحلة، والمعروفة في فترة تالية على التاريخ الوثيقة بآل عبد الجليل (شجرة عائلتي الجلبية والبيكات في بغداد والحلة،مخطوطة لدى المؤلف) تولى حكم الحلة سنة 1207 و1209 هـ (1792-1794) ثم عزل عنها، وأعيد اليها بعد نحو سنتين، وهذه الوثيقة تشير الى وجوده

الحمزاوية، دين قرضة حسنة في ذمتي يستحق أداءه ووفاءه حين الطلب . وأعطيت هذه التمسك سنداً في 10 ر 1213 .

عن اقرار المصبح[1]».

تحليل الوثيقة

1-إن عقد الضمان الوارد في العقد لا ينصرف إلى معنى التزام الضريبة، وإنما هو صيغة من صيغ الايجار الشائعة في التعامل الزراعي المحلي، خاصة في ميدان البستنة. ويبدو أن بدل الإجارة قد حُدد سلفاً بمقادير معينة من الحبوب .

2- يستدل لتقريب معنى الضمان الوارد في الوثيقة الى المعنى الذي اسلفنا، أن الضمان قد اقتصر على مساحة زراعية معينة فقط، والغالب ان يجري الالتزام على كامل المنطقة. ويعزز هذا الإستدلال أن البدل قد اختلف في الحالتين، فهو حنطة في الاول، وشعير في الآخر.

الوثيقة (5) [عقد مزارعة]

«الباعث لتحرير الشرطنامة هو أنه: قد رخَّصنا ناقلين الشرطنامة البو هيكل على النزول بقاع الهندية من نصف أبو طرفة الى خان الدندان ويُسقِّمون[2] شتوي صيفي والبَزر والسِّكك[3] والمساحي[4] بالمناصفة، نصف على الباب[5]، ونصف عليهم، والمساعدة على الباب وما عليهم منها شيء. وأعطينا لسكنتهم[6] عشرين جوق[7] مطلق

حاكماً سنة 1213هـ، واستمر في منصبه حتى عزله عنه كتخدا بغداد علي باشا سنة 1214هـ/1799م . دوحة الوزراء ص 211 .

(1) كان ملتزماً للهندية، وقد ورد اسمه بهذه الصفة في وثيقة مرسلة اليه من والي بغداد سليمان الكبير تاريخها سنة 1216ه/1801م، وهي محفوظة في المكتبة القادرية .

(2) يسقم : يزرع .

(3) السِّكك جمع سكة، وهي حديدة الفدان (القاموس المحيط . سك) .

(4) المساحي جمع مساحة، وهي اداة حفر التربة وقلبها، وأورد اسمها ابن سيدة في المخصص 25/11 ولم توردها المعاجم العربية الأخرى .

(5) الباب : يريد الحكومة .

(6) يريد : للمقيمين في الأرض لأجل زراعتها من أبناء العشيرة .

(7) الجوق: الجماعة من الناس (القاموس المحيط . جوق) وبالفارسية : الجوخ، بالمعنى نفسه، ويبدو ان المقصود بها هنا كمية معينة من المحصول .

معاف[1]، ولشيخ المشايخ صاحب المُضيف خمسة أجواق أيضاً مطلق مُعاف، وبقية الأجواق اربعة، والخامس مطلق للفلاليح[2] على المعتاد. وحين الحاصل، بعد اخراج البَزر، نقسم عايد زراعتهم نصفين، نصف للباب، ونصف لهم. وأن يعمرون بالمحل المذكور بساتين. ونقل التال على الباب، ونقل الأصال على المرقومين، ومعتادهم من البساتين المذكورة على معتاد بني خيكان[3]. وأعطيناهم هذه الشرطنامة سنداً بيدهم».

تحليل الوثيقة

1- يلاحظ ان التعامل الزراعي المنصوص عليه في هذه الوثيقة ليس بتعامل مباشر بين صاحب الأرض ومزارعين، وإنما جرى تعيين الطرف المتعاقد مع صاحب الأرض إجمالا، وهو عشيرة البو هيكل دونما تخصيص .

2- إن هذا التعامل قد يفسر لنا – الى حدٍ ما – الصيغة التي تمت بها عملية التسوية التي أجريت في فترة لاحقة، حين كانت الأرض تسجل باسم الشيخ فلان وجماعته .

3- إن هناك إشارة الى تقرير حصة من الحاصلات الى المضيف، وهو تعامل استمر العمل به حتى عهد غير بعيد، سبق إصدار قوانين الإصلاح الزراعي الأولى.

4- يُفهَم من صيغة الترخيص، وهي صفة إدارية، الى أن العقد قد تم بين الوالي بصفته الرسمية، أي بين الدولة، والبو هيكل . وقد يفسر ذلك بأن الدولة كانت مالكة في الأصل لهذه المساحة الصالحة للزراعة، وهو الأمر الذي يمكن أن نبني عليه وجود ملكية مستقلة للدولة، تستقل عن ملكية الوالي الشخصية، وعن ملكيات الاشخاص.

---

(1) أي معفو من الضرائب .

(2) الفلاليح، والفلح، جمع فلاح عند العامة في العراق .

(3) بنو خيكان : مجموعة عشائر مختلطة من اصول عدة، وكانوا يعدون من العشائر الملحقة باتحاد قبائل المنتفق. أما رؤساؤهم فيمتون الى ربيعة. ومواطنهم الاولى في نواحي عكيكة وكرمة بني سعيد والجبايش، ثم انحدر قسم منهم للاقامة بين المدحتية وناحية القاسم من نواحي الحلة، وما زال هذا القسم مقيماً هناك، ومن الواضح -بناء على ما اوردته الوثيقة- ان انتقال بني خيكان الى هذه النواحي جرى في فترة قريبة من تاريخ العقد. عباس العزاوي: عشائر العراق 4، بغداد 1956، ص 58 و 62 .

5- أن العقد لم يتضمن مدة معينة للاستغلال، وهو ما قد يفهم منه أن هذا العقد يحمل طابع الامتداد أو الاستمرارية.

6- ثمة إشارة في الوثيقة الى معنى الاشتراك في مصاريف الانتاج، كما يستبان من عبارة «مناصفة مصاريف البذر والسكك والمساحي (أدوات الحرث)».

7- ثمة اشارة في الوثيقة الى معنى الالتزام بالتسليف من قوله «المساعدة على الباب» اي على صاحب الارض.

8- اختصت الوثيقة ببيان تكاليف المغروسات، فجعلت نفقات التال من واجبات صاحب الارض، والآصال من واجب المتعاقدين الآخرين.

9- يلاحظ أن الحصص الثلاثين الواردة في الوثيقة قسمت على النحو التالي:

20 حصة لعشيرة البو هيكل، وهي ما تمثل نسبة الثلثين من نسبة النصف المخصصة للزراعة أصلاً، اما النصف الثاني، وهو ما يقابل مجموعة هذه الحصص فللوالي .

9 حصص لشيخ المشايخ صاحب المضيف، 1 للفلاليح، ويبدو أن المقصود بهم العمال الزراعيين الذين تمس الحاجة اليهم في بعض فترات الزراعة كوقت البِذار ووقت الحصاد .

الوثيقة (6) [عقد عمل زراعي]

«وجه تحرير التمَسُك : هو أنه أنا نجم بن محمد، وحسين بن علي، ومشعل، [نُقِر] بأن علينا وفي ذمتنا لناقل السند الشرعي جناب الأكرم الحاج محمد سعيد افندي قاضي الحلة من الدَين اللازم، والحق الواجب، مبلغاً قدره ونصابه ماية وخمسين رايج بغداد[1] دين في ذمتنا متكافلين[2] متغامرين، الحي يؤدي عن الميت، والخاضر يؤدي عن الغائب، وهي عن مساعدة فلاحة في بستان الكبيرة المزملة، بشرط ان نفلح في البستان، ونتقيد بخدمتها خدمة تصلح لها، ونزرع بها صيفي وشتوي على حدودها، ويعطينا عوض خدمتنا كل واحد نصف تغار شعير تمويت[3]

---

(1) أي : قرش رايج بغداد .

(2) في الأصل : متكالفين .

(3) تمويت : أطفاء .

ما نطالب، وخمس منامج[1] مخيرات . وعلى هذا وقع الرضا بيننا، واعطيناه الوثيقة سنداً بيده لوقت الحاجة ـ في 7ر1 (ربيع الاول) 1213» .

تحليل الوثيقة

1- يبدو ان العقد ينصرف الى التعاقد مع بعض الفلاحين في البستان المشار اليها في الوثيقة في ظل وجود مساقي (اي فلاح بستان) يقوم بهذه المهمة، بحيث تأتي جهود المذكورين في العقد مكملة لجهود ذلك المساقي في العناية بالبستان. والتعبير الوارد فيها (مساعة فلاحة) يعزز هذا المعنى.

2- إشارة الوثيقة الى معنى التضامن بين المكلَّفين بأداء الالتزام بمعنى أن للمتعاقد الآخر أن يطالب أياً منهم يختاره للإيفاء بالالتزامات المترتبة عليهم جميعاً دون ان يضطر الى تجزئة الحق.

الوثيقة (7) [عقد بيع يرد على عقار]

«السبب الداعي لتحرير الكتاب الشرعي، والأمرالباعث لتسطير الخطاب المرعي : هو أنه قد حضر كل من المدعوين، وهما محمد وعليوي ابنا حميد ابي خشوت، وباعا بالبيع البات القطعي الشرعي، من وكيل رافعة هذا الكتاب الشرعي، الحاج عباس بن احمد، وهو اشترى وابتاع منهما بمال موكلته لموكلته المدعوة (خانة بنت جمعة) دون غيرها، ما هو للبائعين المزبورين وملكهما وبيدهما وتحت تصرفهما الى حين صدور هذا البيع منهما، وذلك ثماني حصص من أصل خمس وأربعين حصة من جميع فلحاني البستانة المعروفة بأم الخستاوي، الواقعة في قرية العتايق[2] المشتملة على نخل وأشجار وتال وفسلان، وأرض وكَرد على الفرات العظمى[3]، المحدودة بحدود الأربعة: الأول مغارسة ذياب البلبوص، والثاني طريق العذار[4]، والثالث بعضاً

---

(1) كذا في الأصل .

(2) قرية العتايق: قرية على شط الحلة، من الجانب الغربي، ذكرها الفيروزآبادي (ت 817هـ/1315م) بقوله «بلدة شرقي الحلة المزيدية" القاموس المحيط، ط بولاق 1301، 3 ج3 ص254 وهي معدودة من أخصب قرى الحلة وقد انتقلت، في الربع الاول من القرن العشرين، الى ملكية الاسرة المعروفة بآل سامي بك .

(3) يريد : شط الحلة .

(4) العذار : اسم يطلق على القرى الواقعة على ضفتي نهر الحلة في الجهة الجنوبية والشمالية من الحلة، ويمتد من أعالي اطلال بابل الى اسفل قضاء الهاشمية. يوسف كر كوش الحلي : تاريخ الحلة، النجف 1965، ج2ص153 .

سنجابة، وبعضاً الباغجات[1] اللاتي من وراء القرية، وبعضاً الطريق المار الى الفرات العظمى، والرابع الفرات العظمى، بثمن معين ومبلغ مبين، قدره ونصابه مائتا قرش رومي من عين الشوشي الكبير[2] المضروب بسكة السلطان سليم خان، عبارة عن القرش تسع تفاليس من رايج مدينة بغداد، مقبوضة في يد الوكيل المزبور الحاج عباس في مال موكلته المزبورة خانة، الى يدي البائعين المزبورين بالوفاء والتمام، بيعاً وابتياعاً صحيحين صريحين شرعيين مرعيين، مشتمل على الايجاب والقبول، والتخلية في الطرفين في اليدَين، وإسقاط الغُبن والخيار، صدر انهما في حال الصحة والإختيار من غير إكراه ولا إجبار، فيوجب ذلك حكم بصحة البيع، وصار جميع ما وقع عليه عقد البيع ملكاً من املاك الموكلة المزبورة خانة، وحقاً من حقوقها تتصرف به كيف تشاء وحيثما تشاء، كتصرف المُلاّك بأملاكهم وذوي الحقوق بحقوقهم، من غير مانع ولا منازع لها في ذلك . ثم غب صحة البيع وقبض الثمن إصطلحت المشترية مع البايعين وابرأت ذمتها إبراءً عاماً وأبرءا ذمتها أيضاً ابراء عاماً، ولم يبق لكل فريق عند الأخر دعوة ولا طلبة بوجه من الوجوه .

---

(1) الباغجة، مركبة من باغ : جنة، جه : أداة تصغير، فتكون، جنينة، والمقصود بها اصطلاحاً مزرعة البقول كالسلق واللفت والشوندر .الخ . داود الجلبي : كلمات فارسية في عامية الموصل، بغداد 1960، ص 19 .

(2) هذه إشارة فريدة الى نوع من العملات المستعملة في العراق في القرن الثامن عشر، ليس ثمة معلومات مؤكدة عنه لحد الآن، فالقرش الرومي اسم يطلق على القرش الصاغ، وهو عملة فضية عثمانية، كانت تعدل 40 بارة (عملة فضية صغيرة)، بينما ثمة نوع آخر من القروش، هو القرش الرائج، ويعدل ربع القرش الصاغ، أي عشر بارات، واشارة كاتب الوثيقة (من عين الشوشي الكبير) قد تحمل الى الظن انه عنى ما كان يعرف بالقرش العين، وهو نوع من القروش كان يضرب من الفضة الخالصة، ويعدل في القرن الثامن عشر قرش صاغ وثلث القرش، أي 54 بارة (كتابنا : الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص 557) ومما يعزز هذا الرأي ان فيلكس جونز اشار في منتصف القرن التاسع عشر الى ان قيمة الشوشي 56 (قرشاً) فالظاهر أنه اراد بما سماه قرشاً البارة عينها . (بغداد في سنة 1853، ترجمة عبد الوهاب الأمين، مجلة المورد عدد (2، 3، 1974، ص 80) لتقاربها الشديد مع عدد البارات في القرش العين، وعلل صاحب محيط المحيط تسمية الشوشي بأنها نسبة الى نقش فيه كالشوشة (الشوشة : الرأس) وصرح بافرنجية هذه العملة (ولعله استند في ذلك على اساس ان العملة العثمانية ليس فيها صور لرؤوس الملوك خلافاً للنقود الاوربية) وتابعه في هذا آخرون (عباس العزاوي : تاريخ النقود العراقية 169 والكرملي: النقود العربية 179) وتصريح كاتب الوثيقة بانها مضروبة بسكة السلطان سليم خان، ينفي افرنجيتها .

وكان ذلك في الرابع والعشرين من شهو شوال السنة عشرين ومايتين والف

عن قبول　　　　عن قبول

محمد　　　　عليوي»

الوثيقة (8)

«هو أنه قد حضر الرجل المدعو الحاج عباس ابن أحمد الوكيل عن المرة[1] المدعوة خانة بنت جمعة الميّاحي، وكالة مطلقة على الدعوى على الرجلين المدعوين محمد وعليوي ابني حميد ابي خشوت بالبستانة المعروفة بمال المياحي، الواقعة في قرية العتايق من أعمال الحلة السيفية. وان المزبور الحاج عباس وموكلته بعد ذلك قد اصطلحا معهما وإبراء ذمتهما من الطرفين في البستانة المزبورة، ماعدا ما كتبا لها بذلك حُجّة إبراء عاماً مُسقِط لجميع الدعاوى وحاسم لجميع الأثام، بحيث لم يبق للموكلة المزبورة عندهما من خصوص البستانة المذكورة دعوة ولا طلبة ما عدا ما باعاها من الحصص المذكورة في حجتها، وكذلك هما أبرءا[2] ذمتهما إبراءً عاماً مُسقط لجميع الدعاوى، وحاسم لجميع الآثام، بحيث لم يبق لهما عندها دعوة ولا طلبة بوجه من الوجوه، لا في الدنيا ولا في الأخرة.

وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر شوال السنة عشرين وما يتين والف .

عن قبول　　　　عن قبول

جمعة بنت خانة　　　　الحاج عباس

تحليل الوثيقتين

1- إن ظاهر النص ينصرف الى إبرام عقد بَيع بين طرَفين متعاقدين، ولقد تم تعيين محل العقد بشكل مفصل تجنبا للجَهالة والغَرَر، لا سيما وأن الشريعة الاسلامية لا تعرف مفهوم الشكلية في العقود (كالتسجيل في السجل العقاري الجاري به العمل الآن) مما يقتضي تعيين المحل تفصيلا، لأن هذا العقد هو ما سيكون المحرر الوحيد الذي يثبت هكذا بيع .

---

(1) المرأة.

(2) في الأصل : ابراء .

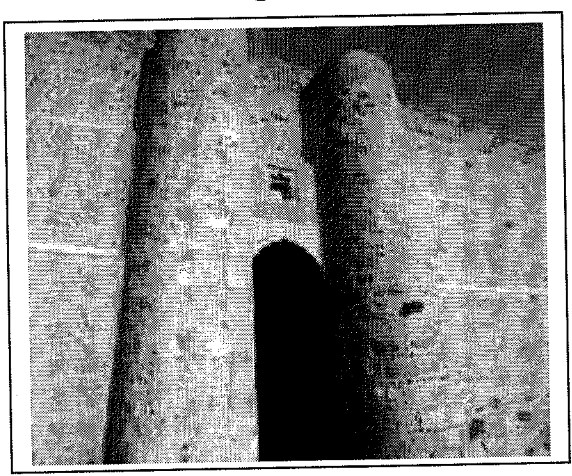
2- يلاحظ أن العقد يؤكد صراحة على العناصر الواجبة لصحة التراضي، أحد اركان العقد، خاصة بما يتعلق بسلامة الإرادة من العيوب، والمعبر عنها بالوثيقة بالإكراه .

3- إن الشرط الأخير يفيد معنى المخالصة، حيث يُقر كلا الطرفين باستيفاء كامل حقوقهما من الآخر، ومن ثم إسقاط اية مطالبة قضائية مستقبلا بهذا الشأن .

4- يلاحظ أن الوكالة عن المرأة لا تعني عدم أهليتها لإبرام هذه العقود، لأن المراة ذات اهلية شرعاً شأنها شأن الرجل في ابرام العقود المختلفة، بل أن ذمتها مستقلة بالكامل عن ذمة زوجها. خلافاً لما هو متبع حتى الآن في بعض الدول الاوربية .

من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد

كلما ذُكرت مشاريع الخدمة العامة التي قامت بها المرأة في العراق، بل في تاريخ الإسلام، إلتمعت في وجدان الباحث مأثرة تلك السيدة الكريمة زُبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد في توفير مياه الشرب للحاج في طريق الحج، في مشروع عملاق ما زالت معالمه باقية حتى اليوم، إلا أن تلك المأثرة لم تكن هي الوحيدة في مجال ما قدمته المرأة في العراق في مجال الخدمة العامة ونافع الأعمال، وإنما تلتها مآثر أخرى قامت بها نساء صالحات في ذلك المجال النافع.



مشروع السيدة زبيدة لارواء الحجيج في مكة

ويهدف هذا البحث إلى تقديم مدخل لدراسة تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد منذ أواسط العصر العباسي وحتى نهاية عهد الدولة العثمانية، من خلال دراسة نماذج من المشاريع الخدمية المهمة التي أنشأنها، أو شاركن في إنشائها، وهي موزعة على خمسة محاور رئيسة:

1- إنشاء المساجد والجوامع والوقف عليها.

2- إنشاء المدارس ودور القرآن والوقف عليها.

3- إنشاء الربط والزوايا والوقف عليها.

4- إنشاء الخدمات الصحية والبلدية.

5- وقفيات على أعمال خير متنوعة.

ولا شك في أن قيام هذه المبادرات يدل على تفهم كثير من النساء –في أكثر الحقب ركوداً– لحاجات مجتمعاتهن الأساسية، فإنشاء المساجد أو الوقف عليها كان يمثل تأكيداً على صلة المسلم بربه بإقام الصلاة في أوقاتها، وتأسيس المدارس العديدة كان يمثل في الواقع تقديراً لحاجة المجتمع إلى العلم والثقافة، وإنشاء الرُبط والزوايا، كان يمثل تقديراً لحاجة فئات من العُباد والصالحين الى مأوى لهم، ومن ناحية أخرى فإن وقف الأوقاف الكثيرة على الفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام يقف دليلاً على تفهم مشاكل تلك الفئات والتعاطف معها، ومن ثم فان ذلك كله يسجل مقداراً عالياً من (الوعي) لدى أولئك النسوة الصالحات.

وليس (الوقف) مجرد إيجاد مصادر ثابتة لتمويل مشاريع معينة، وإنما هو يتجاوز ذلك إلى إنشاء مؤسسات حقيقية تخدم المجتمع وتقدم النفع العام، فوقف أراضي زراعية ودكاكين، وخانات تجارية، ودور، في وقفية ما، يستلزم إدارة كفوءة وأمينة في آن واحد. ولقد سعى أصحاب الوقفيات إلى اختيار (مُتولِّين) تجتمع فيهم هاتان الصفتان لإدارة مشاريعهم من بعدهم، إلا أن سِعة الوقف كان يستلزم دون ريب موظفين آخرين (ناظر، محاسب، ساعي، مُعقِّب ...الخ) وهو ما يعني تكوين مؤسسة فعلية، مستقلة في مصادر ثروتها تعمل من أجل تحقيق أهداف الواقف.

ولم يكن دَور إدارات هذه المؤسسات قليلاً بأية حال، ففي المجالات التعليمية كان المتولي يمارس صلاحيات واسعة في اختيار المدرسين، واختبارهم، وفي عزلهم إن اقتضى الأمر ذلك، وفي قَبول الطلبة، وتوفير الخدمات لهم، مما نص عليه الواقف. أما إدارة المشاريع المخصصة للخدمة الإجتماعية، مثل مساعدة الفقراء والأرامل والأيتام، فكان على المتولي أن يسعى لرعاية من يستحق العون بحسب المواصفات التي حددها الواقف، وتشمل تقديم الطعام، والكساء، وتخصيصات مالية أحياناً.

وعلى الرغم من صعوبة إدارة مؤسسات كهذه، ودقتها فان المجتمع لم يَرَ بأساً في أن تتولاها سيدات عُرفن بالكفاءة والأمانة، لذا فقد حفلت الوقفيات بأسماء نسائية بصفتهن (مُتوليات) لإدارة الوقف، وهو ما يعني أن عدداً كبيراً من المؤسسات الدينية والثقافية والإجتماعية كانت تتولاها المرأة باستقلال تام، نظراً لما يتمتع به الوقف نفسه من حَصانة واستقلال، حتى أن المرء ليَحتار حقاً كيف استطاعت نساء في مثل تلك الظروف أن يتولين مؤسسات خدمية كثيرة الموارد، متنوعة المصادر، مختلفة الخدمات ولفترات غير قليلة من الزمن.

وتحتل بغداد نسبة عالية من مشاريع الخدمة العامة التي أنشأتها نساء فضليات على امتداد تاريخها الطويل وذلك على النحو الآتي:

أولاً: إنشاء المساجد والجوامع والوقف عليها

مسجد الحظائر

أنشأته السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/ 1170-1180م) في موضع نَزِه من شرقي بغداد، إلى الجنوب قليلا من مبنى المدرسة المستنصرية، مُطل على شاطئ دجلة عند مَشرَعة عُرفت، عصر ذاك، بمشرعة المُزَمَّلات، والمزملات هي السقايات الموقوفة على الواردين من أبناء السبيل، وما زال مبنى هذا المسجد حتى يومنا هذا شامخاً بقبابه المعقودة على الطراز العباسي البديع، وبمئذنته المزججة الرشيقة التي تعود إلى عهد إنشائه، وتتميز هذه المئذنة بالآجر الأزرق المزجج الذي يزين أعلى قبتها، وقد نُسب هذا المسجد أولاً إلى حظائر الشوك، أي أماكن حفظه وبيعه وقوداً، التي كانت بقربه، ثم عرف في العهود المتأخرة بجامع الصاغة بسبب انتقال الصيَّاغ إلى السوق الذي عند بابه، ثم بجامع الخفافين لتكاثر صناع الخِفاف في هذا السوق في العهود التالية[1]. وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بقوله «هو جامع وسط في السِّعة والكبر، له مُصلّى كبير مُطل على نهر دجلة.. وعلى يمين هذا المصلى مصلى صغير بباب معقود، وفيه باب يؤدي إلى المُصلّى الكبير، وهو مُعد للشافعية، وفيه مئذنة واقعة غربي المصلى، وعلى يمين الداخل إلى صحن الجامع غرف تحتية إحداها مدرسة.. فيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم»[2].

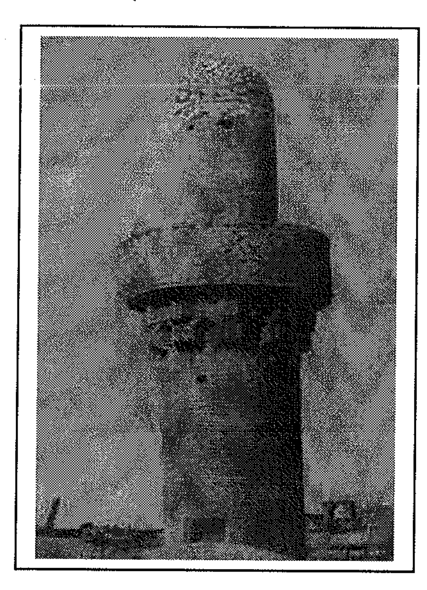
وكعادة هذه السيدة في الإشراف المباشر على شؤون مؤسساتها، اختارت بنفسها الشيخ عمر بن يوسف بن محمد بن نيَروز البغدادي (541- 611هـ/ 1145-1214م)[3] ليكون إمام مسجدها، وكان هذا شيخاً صالحاً كثير العبادة[1] «خيراً ثقة»[2] على ما وصفه معاصروه.

---

(1) محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1345، ص112 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص341-345. ومحمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006، ص95-100.

(2) خير الزاد ص96-97.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام الطبقة 62، الترجمة 33.



مئذنة جامع الخفافين

وقد وجدت في هذا المسجد خزانة كتب قديمة تضم نوادر المخطوطات. وصفها السيد محمود شكري الآلوسي بأنها تشتمل على مخطوطات قديمة العهد، والكثير منها تلف بتداول الأيدي[3]، وسجل السيد نعمان خير الدين الآلوسي أسماء نحو ستين كتاباً منها في فهرس خاص وقفنا عليه ونشرناه،[4] ومن تلك المخطوطات كتب جادة، اي كتب منهجية مما كان يدرس في المدارس الإسلامية، وكتب في الحكمة وعلم الحيوان والطب والأدب وغير ذلك، ومن بقايا هذه الخزانة شرح صحيح مسلم للنووي بخط بديع مُحلًى بالذهب، مخطوط سنة 900هـ، وبظهره وقفية المخطوط[5].

مسجد السيدة بنفشا خاتون ببغداد

أمرت السيدة بنفشة بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ/ 1170-1180م) بإنشاء مسجد كبير بسوق الخبازين من سوق الثلاثاء عند عقد الحديد ببغداد «فعمر عمارة فائقة وكُسي» وجرى افتتاحه في النصف من شعبان من سنة 573هـ/1177م، وكان أول من أمَّ فيه بالناس الشيخ عبد الوهاب بن

---

(1) ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد ج 817/4

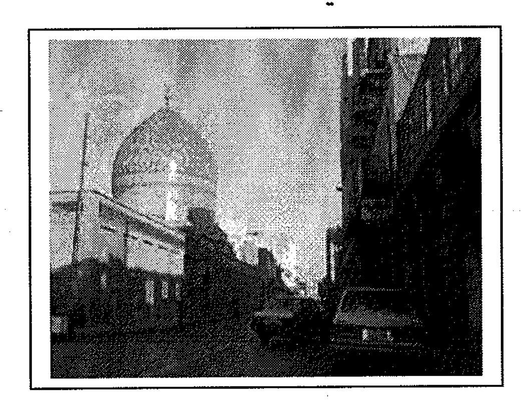
(2) مصطفى جواد: في التراث العربي 72/1 نقلاً عن تاريخ ذيل تاريخ بغداد.

(3) مساجد بغداد وآثارها 42.

(4) فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، الوقف السني ببغداد 2013، ص170-173.

(5) الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، 321.

العيبي (وهو زوج إبنة العلامة أبي الفرج ابن الجوزي)، وكان يقرئ فيه القرآن أيضاً. قال محمد بن سعيد بن الدبيثي الواسطي في ترجمته «وأقرأ القرآن الكريم وأمَّ بالناس في الصلوات بالمسجد الذي أنشأته بنفشا عند عقد الحديد»، وقال ابن النجار في ترجمته: «وكان يُصلي إماماً بالمسجد الجديد بسوق الخبازين عند عقد الحديد»[1]. وسوق الخبازين هو المحلة التي عرفت في العصور التالية بسوق باب الآغا القديم، تمييزاً عن درب فراشة الذي عرف فيما بعد بسوق باب الآغا، ثم عُرف القديم منهما بمحلة العاقولية نسبة إلى جامع العاقولي هناك. ولبث مسجد السيدة عامراً لكنه عُرف في العصر العثماني بجامع الحيدرخانة نسبة الى المحلة التي أحاطت به، ثم أمر والي بغداد داود باشا بنقضه وتوسعة أرضه بضم بعض الدور اليه، وشيد على هذه الارض جامعا كبيرا عرف بالحيدرخانه أيضاً سنة 1242هـ، وأضاف اليه مدرسة عُرفت بالداودية نسبة اليه وخزانة فخمة للكتب[2]. ويعد هذا الجامع انموذجاً لعمارة الجوامع البغدادية في العصر العثماني.



جامع الحيدرخانه (مسجد بنفشا القديم)

جامع الوفائية

يقع هذا الجامع في السوق المسمى قبل نحو قرن بالكبابجية ثم بسوق البزازين وبسوق العبي (جمع عباءة)، وهو جامع قديم لا تُعرف هُوية مؤسسته، او مُجددته، على وجه اليقين، وذهب بعض الباحثين[3] أنها السيد وفا خاتون من نساء الجلائريين

(1) ابن الساعي: جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، ص113 وهامش المحقق ص 114.

(2) تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص273.

(3) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج2 ص335.

المتوفاة سنة 761هـ، بينما ادعى بعض المتأخرين في إعلام شرعي متأخر أنها السيدة وفا خاتون بنت أحمد افندي من نساء القرن العاشر الهجري (16م)، وأنها وقفت عليه عدداً من الدكاكين لتنفق وارداتها على تعمير الجامع وترميمه ودفع رواتب العاملين فيه، مدعياً أنه من ذريتها، وسماها السيد عباس بن رجب البغدادي «السيدة وفا العباسية» رجماً بالغيب[1].

وقد وصفه السيد محمود شكري الالوسي في أوائل هذا القرن بأنه «من مساجد بغداد القديمة العهد، فيه مصلى صغير وفناء واسع وحُجر»[2]، ووصفه عبد الحميد عبادة بقوله «جامع قديم تقام فيه الجُمع والأعياد والصلوات الخمس.. وإدارة شؤون هذا الجامع من قبل متوليه»[3] وقال السيد محمد سعيد الراوي أنه «مشتمل على مُصلّى صغير، أمامه رواق مُسقف بالخشب، وفيه فناء واسع وبعض الحجر»[4].

وما زال هذا الجامع عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا.

جامع الوزيرية

أنشأت السيدة خاتون بلاسم جامع الوزيرية في المحلة التي كانت تعرف بهذا الاسم من محلات بغداد القديمة، وهي غير حي الوزيرية الحديث الذي نشأ بعد هذا التاريخ بأكثر من قرنين، ووقفت جميع القطعة المعروفة ببيت دراج على المسجد لخدمة منفعة دائمة وثواب غير منقطع وصارت القطعة والغرس وقفاً على المسجد المشهور في محلة الوزيرية وعلى الخدمة وذلك في محرم 1149هـ /ايار 1736م[5].

جامع الست نفيسة

ينسب هذا الجامع إلى السيدة نفيسة القشطيني من أهل القرن الثاني عشر للهجرة، ويقع في المحلة المعروفة باسمه قرب شريعة خضر الياس في كرخ بغداد، المسماة قبلاً بمحلة الحِجّاج. ونفى السيد محمد خلوصي الناصري أن تكون مؤسسته

---

(1) كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، بغداد 2006، ص36.

(2) مساجد بغداد وآثارها ص54

(3) العقد اللامع ص348.

(4) خير الزاد ص100-101.

(5) وزارة الاوقاف (الوقف السني اليوم) سجلات الاوقاف ج1 ص119 وسنرمز الى هذه المجموعة من الوقفيات فيما يأتي بكلمة (الاوقاف) إلتماساً للاختصار.

هي السيدة نفيسة المذكورة، وقال أن مؤسسه هو محمد سعيد القشطيني الأول، أو هو محمد سعيد المشهور بالحاج سعودي التكريتي، قلنا: فإن لم تكن هي المنشئة، ففي أقل تقدير أنها عمَّرته وجددته، فنسب إليها. ووصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بأنه «يضم حجرة للتدريس، وخزانة للكتب، وقفت فيها الكتب الغالية، وجعلتها لتدريس فقه الإمام الشافعي رحمه الله، كما يظهر من تلك الكتب الموقوفة التي معظمها كان في الفقه الشافعي، وقد رأيت كثيراً منها بعَيني.. وأنه مشتمل على مصلى واسع، فيه حجرة للإعتكاف والخلوة، وأمام المصلى صُفَّة، وشمالي الصُفة حجرة فيها قبور»[1].

وقفية حُسنى بنت عبد الله على جامع عمر السهروردي

وقفت السيدة حُسنى بنت عبد الله بن فتحي من سكان قرية بلاد روزين، وهي بلدة (بلدروز) الحالية في محافظة ديالى، من مضافات مدينة بغداد، الباغجة التي تملكها في القرية المذكورة (المشتملة على ثلاثين شجرة نخل والمعروفة ببستان محمد وعبد الله فتحي) على تعمير مرقد الشيخ ابي حفص شهاب الدين عمر السهروردي (المتوفى سنة 632هـ) ببغداد، بموجب وقفيتها المؤرخة 28 ذي القعدة 1157هـ/23 تشرين الثاني 1745م[2].

جامع العادلية الصغير

أنشأت هذا الجامع السيدة عادلة خاتون[3] بنت والي بغداد الوزير أحمد باشا بن والي بغداد حسن باشا، وكان يقع في المحلة التي عرفت (بالدنكَجيّة) من محلات الجانب الشرقي من بغداد[4]، فنُسب إليها[1]، شيّدته سنة 1160هـ/1747م إحياء لذكرى والدتها كُلرُخ خانم.

---

(1) خير الزاد ص398 والعقد اللامع ص482.

(2) سجلات الاوقاف ج1 ص10.

(3) افردنا كتابا مستقلا في سيرة هذه السيدة بعنوان (عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق) طبع ببغداد سنة 1997 ووسعناه واضفنا اليه مواد جديدة ووثائق مهمة وطبع في دمشق سنة 2015.

(4) يذكر الحاج أمين المميز، وهو الذي عاش سني طفولته وصباه في هذه المحلة بأنه سمع من الشيبة والعجائز انها نسبت الى جهاز يعرف بالدنك منصوب في دكان في عقد الصخر (قريب من سوق الصفافير حالياً) ويستعمل لتهبيش التمن، وهو عبارة عن صخرة كبيرة مشدودة الى ذراع طويل من الخشب يشبه العتلة، فيرفع الصخرة عدد من العمال ثم يهوون بها على التمن فتهبشه (أي تفصل السحالة عن حبات التمن الصحيحة) بغداد كما عرفتها، بغداد 1985، ص90.

وقد وصف الحاج أمين المُمَيِّز هذا الجامع، كما رآه في صباه، بما يأتي «هو يتكون من الحَرَم (يريد المُصلى أو بيت الصلاة) والطارمة الواقعة أمامه، وغرفة الامام، وغرفة الخادم والمِرحاض. وتتوسطه حديقة صغيرة فيها ثلاث نخلات»[2].

ووصفه في مفتتح هذا القرن السيد محمود شكري الآلوسي بقوله: «هو مسجد صغير حَسَن الوضع، قرب الجسر اليوم في الجهة الشمالية منه، وهو من المساجد التي تقام فيها الجُمع والأعياد وسائر الصلوات، وقد تداعى للسقوط فجدد عمارته متولي أوقافه سنة ثمان عشرة بعد الثلثمائة والألف[3](1900م)»

وقال السيد محمد سعيد الراوي: «هو جامع صغير واقع على يسار السالك من سوق الصّفارين الى طريق الجسر عند منتهى الدرب الواقع أمام بناية مطبعة الحكومة[4]. وهو جامع مشتمل على مصلى وصُفّة أمامه، وحجرتين عند مدخل الباب على يسار الداخل متجهة بابهما نحو القبلة. ويُدار هذا الجامع من قبل المتولي الذي يلي أوقاف جامع العادلية الكبير، وهو أيضاً من أبنية المرحومة صاحبة الخيرات عادلة خاتون بنت الوزير فاتح همدان أحمد باشا، وزوجة المرحوم الوزير الخطير سليمان باشا صاحب الخيرات رحمة الله عليهم أجمعين[5]» .

وكانت على باب هذا الجامع لوحة من الرخام، كتبت عليها ثماني أبيات دالية، تؤرخ بناءه بحساب الجُمّل، وقد طُمست معالم البيتين الأولين منذ زمن بعيد، وبقيت الأبيات الستة التالية، وسجلها الآلوسي[6] وعباده[7] والراوي[1] على النحو الآتي:

---

(1) أشار السيد عباس بن رجب البغدادي إلى هذه المسجد باسم مسجد الدنكجية، وقال: وهو معمور، ومن آثار المرحومة عادلة خاتون. نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل نشرناه في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) ص45.

(2) بغداد كما عرفتها ص 180-181 ولما تزل إثنتان من هذه النخلات باسقنان في موضعهما ولم تمسهما يد القطع، على الرغم من ازالة الجامع نفسه، وكان ذلك بسعي محمود بذله المرحوم الاستاذ الحاج أمين المميز لدى أمانة بغداد في حينه لتبقى شاهداً على مكان ذلك الجامع الشريف.

(3) مساجد بغداد وآثارها، بتهذيب الشيخ محمد بهجة الآثري، بغداد 1341هـ، ص45-46.

(4) هي البناية التي شغلتها مطبعة الحكومة ثم أصبحت مقرا لمديرية الآثار العامة، وقد أصبحت منذ 1970 متحفاً للموروث البغدادي باسم (المتحف البغدادي).

(5) خير الزاد ص233

(6) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص45.

(7) العقد اللامع ص274.

لقد أشبَعَتهـا الحادثاتُ وردّها	إلى صدف الأجداث بعد السنا الردى
فعمـّر أهلـوها لها أي مسجدٍ	على غـير تقوى الله لـن يتشيَّدا
أمانٌ ولا خوف، ورُشد ولا عمى	وخيرٌ ولا ضـرٌ، به أشرق الهُدى
فصَفوا به صَفو القلوب ولم يَزل	تـراه لأبـصار المُـصلّين أثمدا[2]
فلمـا زهـى بنيان باب دخوله	لنا وجلى ماءٌ لضمآن من الصدى
هنـاك اقتبسنا آية الذكر أرخوا	لرب السَّما الهادي أدخلوا الباب سُجَّدا

(1161)

إلاّ أن من المؤسف أن تُرفع هذه اللوحة هي أيضاً بعد تعميره الذي سبق إزالته كلية. وإذ تشير الأبيات المذكورة الى أن أهل سيدةٍ ما قد عمَّروا لها هذا المسجد[3]، فإن أبيات أخرى بالتركية، كانت قد حُررت على رخامه وضعت فوق مُصلاه، صرَّحت بأن تلك السيدة هي كُلرُخ خاتون، وإن ابنتها السيدة عادلة خاتون هي التي عَمّرت الجامع إيفاء لحقوقها عليها. وعجز التاريخ هو: (فبَنتْ لله داراً للعِباد الصالحين). وحسابه: سنة 1168هـ.

وهذه الأبيات، هي إحدى روائع ما خطته يد الخطاط المُجوِّد إسماعيل الأنوَري البغدادي[4]، من كبار خطاطي بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، ولم يكن

---

(1) خير الزاد ص234

(2) الاثمد هو حجر الكحل الذي يجلو البصر.

(3) ظن المرحوم السيد محمد رؤوف الشيخلي ان السيدة التي تشير إليها هذه الأبيات هي عادلة خاتون نفسها، وعليه فقد ذهب إلى أنها توفيت قبل سنة 1161 ولكنه لم يستطع تفسير الإشارة إليها بوصفها على قيد الحياة في الأبيات التي على جامع العادلية الكبير المبني بعد الجامع الصغير المذكور، فقال أن تواريخها بعد تاريخ هذا الجامع الصغير لم يذكر فيها وفاتها بل العكس يؤكد أنها على قيد الحياة، فمن يحل لنا هذا المشكل؟، المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة 1270– 1360هـ، البصرة 1977، ص87، قلنا: وسبب هذا اللبس أن المؤلف المذكور لم يرجع إلى الأبيات التركية التي تصرح باسم كُلرُخ خاتون.

(4) هو السيد إسماعيل بن مصطفى الأنوري البغدادي، أخذ الخط عن كبار خطاطي عصره، وسافر الى استانبول للأخذ عن خطاطيها، وتوفي هناك في شهر رجب سنة 1189هـ/ 1775م. انظر ترجمته في وليد عبد الكريم الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين ج2، بغداد 1989، ص595–596.

مصير اللوحة بأفضل من سابقتها، فقد أزيلت منذ عهد بعيد[1]، وانفرد عبادة بتسجيل ما كان عليها من أبيات.

ونلاحظ أن الوقفية المؤرخة في غرة جمادى الأولى سنة 1162هـ/19 نيسان 1749م على جامع العادلية الصغير تضمنت تخصيص راتب يومي لمحافظ المكتبة، وذكرت عناوين بعض الكتب في التفسير والفقه وغير ذلك، فضلاً عن المصاحف الشريفة، مع أنها خلت من اشارة الى وجود مدرسة، او مدرس، وليس في نص الوقفية التالية (المؤرخة في سنة 1171هـ/1175م) ما يدل على وجود مكتبة في هذا الجامع، وإنما صرّحت بوجودها في جامع العادلية الكبير حيث توجد مدرستها، فلعل الواقفة نقلت كتبها الى ذلك الجامع بعد حين. وكان عباس العزاوي قد أشار إلى وجود مدرسة في هذا الجامع، سماها (العادلية الصغيرة) لكننا لم نقف على أحد من مدرسيها[2].

وعلى الرغم من التعميرات التي قام بها متولو الوقف، فإن قراراً صدر بإزالة الجامع من الوجود، لغرض توسيع شارع المأمون الذي يفضي الى جسر المأمون (جسر الشهداء الحالي)، فكان أن نُقض الجامع برمته، وأدخلت أرضه في الشارع المذكور. وفي سنة 1382هـ/ 1963م قام متولو الوقف، بإنشاء جامع جديد، أكبر سعة، وأفخم بناءً، على قطعة أرض تبلغ مساحتها 2873متراً مربعاً، ويشغل الجامع منها نحو 1500م مربع، وهو يتسع لنحو أربعمائة مصلي، ولأنه من أوقاف عادلة خاتون أصلاً، عُرف هذا الجامع باسم هذه السيدة المحسنة[3].

وللجامع قبة ومئذنة ومغسل وداران للإمام والخطيب، فضلاً عن مقر لجمعية الآداب الإسلامية[4]، وأنشئت إلى جانبه قاعة كبيرة للمناسبات الدينية والإجتماعية. وتقع الباب الرئيسية في جهة الشمال، وهو مبني بالآجر الاعتيادي المكسو بالآجر الأزرق، وقد كتب في أعلاه ما نصه:

(مسجد السيدة عادلة بنت أحمد باشا جددته مديرية الأوقاف العامة سنة 1382هـ/1962م)

---

(1) تحطمت هذه اللوحة في أثناء تعمير الجامع سنة 1320هـ/1902م.

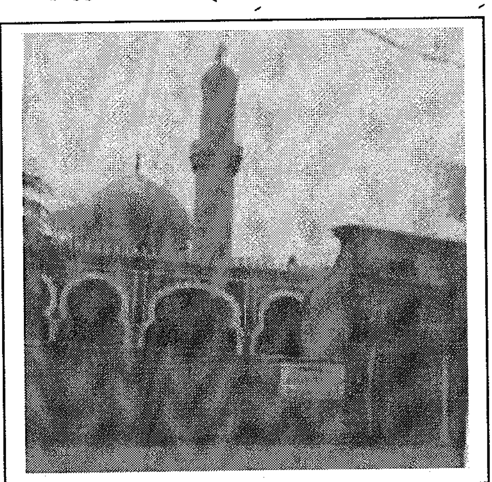
(2) تاريخ العراق بين احتلالين ج6 ص334.

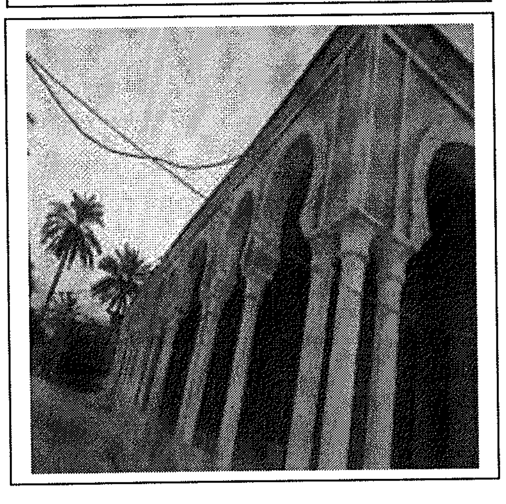
(3) تولى تصميم الجامع المهندس الحاج عبد الله الصغير، وتولى الإشراف على تشييده المرحوم المهندس عبد الغني شندالة رئيس المهندسين في الأوقاف المتوفى شهيدا سنة 1970م.

(4) جمعية خيرية ثقافية تأسست في أيلول من سنة 1946.

كما يوجد باب آخر صغير بالجانب الشمالي الشرقي كتب في أعلاه بالكاشاني ما نصه (جامع عادلة خاتون 1382هـ/1967م). وأمام بيت الصلاة طارمة تقوم على ستة أعمدة أسطوانية من الكونكريت تعلوها عقود مزخرفة على الطراز الأندلسي.

وفي أعلى الطارمة إفريز كتب عليه بخط بديع الآيات الكريمة من قوله تعالى (في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) (سورة النور آية 36-37 - 38 -39)





الرواق الأمامي لجامع العادلية الصغير الجديد

جامع العادلية الكبير

هذا هو ثاني جامع تقوم بإنشائه السيد عادلة خاتون في بغداد، وقد استغرق بناؤه السنوات 1163–1168هـ/1749–1754م كما دلّت عليه الكتابات التذكارية التي عليه. ووصفه السيد محمود شكري الآلوسي بقوله: «فيه مصلى واسع ومنارة شامخة[1]، وفيه مدرسة في الطابق الذي فوق الباب، وخزانة كتب، وبعض الحُجَر. أنشأته صاحبة الخيرات والمبرّات عادلة خاتون بنت أحمد باشا الذي تولى إيالة بغداد اثنتا عشر سنة وذلك من سنة تسعة واربعين ومائة والف الى السنة الحادية والستين[2]، وكان زوجها أحد موالي أبيها، وهو سليمان باشا.. وكانت هي من أهل التقوى والصلاح مُحبَّة لأهل العلم والزهد كثيرة الصدقات. ولوالدها مآثر مبرورة ومساعٍ مشكورة، وهو الذي حافظ بغداد وقاوم نادر شاه ملك الفرس من استيلائه على العراق .. وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة ثمان وستين مائة والف.. وهذا الجامع الى اليوم مشيد الأركان، رصين الجدران، تقام فيه الجمع والأعياد، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخدم، مفروش مصلاه بأحسن الفرش، له أوقاف كثيرة»[3].

ووصفه الشيخ عباس بن رجب البغدادي (المتوفى 1334هـ/1915م) بقوله: «مسجد عادلة خاتون من بنات وزراء بغداد السابقين، وهو جامع جمعة، وفيه مدرسة ومئذنة، وإمامان شافعي وحنفي»[4].

وأطنب السيد محمد سعيد الراوي في الحديث عن هذا الجامع، فقال: «هو الجامع الواقع على شارع النهر تجاه دار المحكمة الشرعية، يبعد عن جامع الصاغة[5]

---

(1) من غير المحدد تاريخ انشاء هذه المئذنة، فقد وجدنا كتابة بالآجر المزجج على حوضها تشير الى سنة 1229هـ/1814م فلعلها أنشئت في هذا التاريخ، او أن تعميراً أجري عليها في السنة المذكورة.

(2) هذه هي ولايته الثانية في بغداد، وقد امتدت من 8 رجب 1149هـ/12 كانون الأول 1136م إلى 24 شوال 1160هـ/29 تشرين الأول 1747م. كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991ص63.

(3) مساجد بغداد وآثارها ص 43.

(4) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل حققناه ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، .ص27.

(5) هو جامع الخفافين المعروف في العصر العباسي بجامع الحظائر.

قدر ربع ميل .. وهو جامع مشتمل على مصلى واقع على يمين الداخل اليه، ومنارة عالية واقعة على الركن الغربي للمصلى، وعلى يمين باب المصلى رواق صغير لصلاة من فاتته صلاة الجماعة فيصلي هناك منفرداً. وعلى يسار الداخل الى الجامع درج يُصعَد به الى المدرسة المطلة على الشارع. ويوجد بعض حُجر في الجهة الشمالية والشرقية للجامع مُعدّة لسكنى الفقراء. أنشأت هذا الجامع صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت أحمد باشا المعروف بفاتح همدان.. وقد كانت هذه الخاتون المرحومة من الصلاح والتقوى على جانب عظيم، كثيرة الصدقات، محبة لأهل العلم والصلاح... ولا يزال الجامع هذا مشيد الأركان قائم البنيان، غير أنه أصبح منحطاً عن الطريق أكثر من نصف قامة، بسبب تعديل الطريق وتعبيده، وقد اعتنت به دائرة الاوقاف بعد وضعها يدها عليه وعلى أوقافه.. وقد كانا يُداران من قبل المتولين ابراهيم افندي المذكور [المميز] ثم ابنه عبد الوهاب[1] ثم ولده[2].. وفيه من الموظفين مدرس وإمام وخطيب ومؤذن وخادم، وهو مفروش بأحسن البُسط وأوقافه كثيرة[3].

وكانت ثمة أبيات تؤرخ بناء الجامع. حُفرت على لوح من رخام ثبتت على بابه، وهي[4]:

ألا لله من بيتٍ مُعلى	مُعدٌّ للإقامة والصلاة
بناءٌ اسّسه تقوى ودين	ينيف على الخورنق من جهات
فنعم الجامع الوضّاح يزهو	كبدرِ في الليالي الحالكات
تنوَّر بالعبادة فهو يُزري	بأنوار النجوم الزاهرات
بَنَته بمالها أمُ المعالي	عقيلة قومها بنت السُراة
سليلة أحمد المرحوم رب الـ	محامد والعُلى مولى الكُفاة
وزوجة مفخر الوزراء حتف العـ	ـدا فلاق هامات الكُماة
(سليمان) الزمان الآصف القَرم	فتى الفتيان ممدوح السِّمات

(1) الصحيح أن عبد الوهاب هو ابن قدوري بك.

(2) هو عبد القادر بن عبد الوهاب.

(3) خير الزاد ص102-111.

(4) نقلها الآلوسي والراوي وعبادة بلفظ واحد.

ألا يا دهرُ فافخر أنتَ حقاً بعادلة الرضا أم الصلات

كريمةُ قومها في كل مجد وغُرّة دهرها ذات الهبات

ومُطعمةُ اليتامى والبَرايا وكاسية الأرامل والعُراة

تُجدِّد كلَّ يومٍ فعلَ خيرِ ومن حُسنى صنيع الصالحات

وتُعمَر مسجداً لله يبقى جزاء الخير في يوم النجاة

وهذا الجامعُ الأسنى بَنَته ترومُ به ثوابَ المُحسنات

وقد جَعَلتْ ثَواباً كانَ منه لوالدها الرِّضا ذي المكرُمات

ليحيا ذكرها في الدهر دوماً وتُذكر في الحياة والممات

حماها ربُنا من كلِّ سوءِ بعزٍ دائمٍ طولَ الحياة

وضاعَفَ أجرَها في دار خُلدِ ووفاها جزاءَ القانتات

ولمّا أن تكمَّل قيلَ: أرِّخ ألا يا تم حيّ على الصلاة

(1163)

وثمة أبيات أخرى، على باب مصلاه الغربي، كتبت بالآجر المزجج (القاشاني) هذا نصها:

ذا جامعٌ مؤسسٌ على تقى الرب المتين

بنت الوزير أحمد بنته للدين المبين

عادلة كريمة مخدومة للمؤمنين

دامت بعز دائم في حفظ رب العالمين

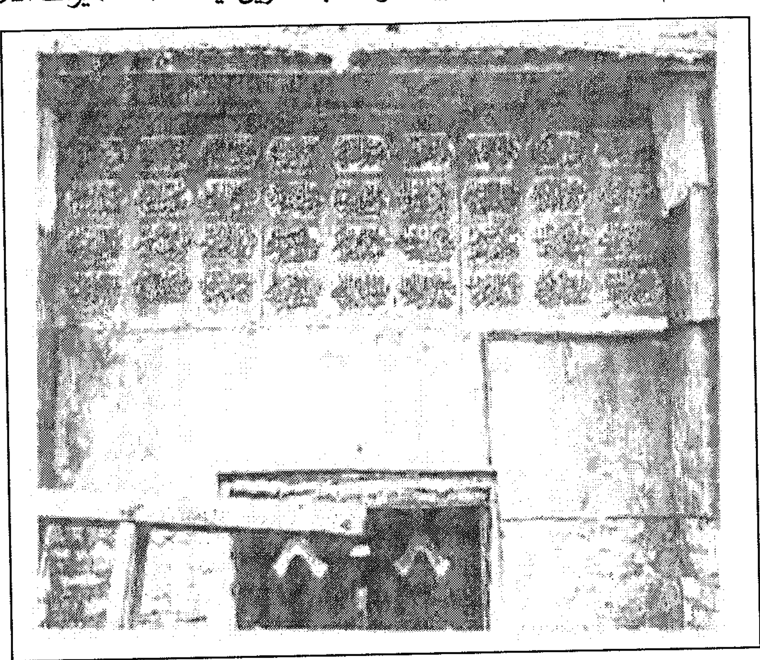
تاريخه جاء الهنا فنعم دار المتقين

(1168)

وقد حُرر تحت هذه الأبيات ما نصه: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا عز إلا بطاعة الله تعالى). أما المنبر فقد كتبت عليه، بالآجر المزجج. قوله تعالى: (في بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ [36] رِجَالٌ لَا

تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [37] لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [38]) وذلك سنة 1168.

وكانت ثمة أبيات بالتركية، بالمعنى نفسه، كتبت على رخامة في أعلى الباب الواقعة عكس القبلة. والكتابات تشير إلى تجديد جرى على الجامع سنة 1312هـ/1895م. إلا أن أكثر هذه الأبيات والكتابات أزيل في أثناء التعميرات اللاحقة.

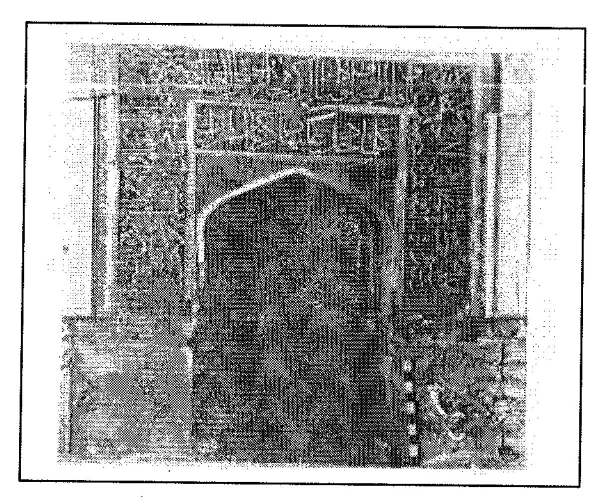


أما محراب الجامع القديم فقد كان مكسواً بالآجر المزجج، زين داخله بزخارف نباتية يحيط بها شريط على شكل مربعات تقريبية، وفي أعلاه كتبت الآية (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) ويحيط به شريط كتابي عريض كتبت عليه الآية (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)، وفي آخره التاريخ (1168).

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1817م شهادة لسيد حسن إمام العادلية، وإشارة إلى أن مما وقفه الواقف المذكور «المزرعة المعروفة بمزرعة دوب هندي الواقع قرب المنطقة المحدودة من جهة بأرض وقف جامع العادلية»[1].

---

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص132.



المحراب القديم لجامع العادلية الكبير

وفي سنة 1330هـ/1911م وُسِّع الطريق المقابل لباب الجامع، وهو الذي كان يعرف بسوق راس القُرَيَّة[1]، ثم عُرف بشارع النهر فشارع المستنصر، فهدمت الباب ورفعت عنها الرخامة المحررة عليها الأبيات المتقدمة، التي مطلعها (ألا لله من بيتٍ مُعلًّى..إلخ).

وكان ثمة سطر يعلو جدار الجامع وخطوط على محرابه ومنبره بخط الخطاط الشهير صبري بن مهدي[2].

وينوّه عبادة بوقفية قديمة لعادلة خاتون تاريخها سنة 1160هـ/1747م وقفت فيها على هذا الجامع أوقافاً معلومة، وإنها شرطت التولية لنفسها في الحياة وبعدها لأولادها، وإذا انقرضوا فالغلة[3] توصل إلى فقراء المدينة المنورة بتعيين رجل أمين يوصلها، وتعيينه مَنوط الى القاضي، وحكم بهذه الوقفية القاضي مومه زاده السيد

(1) تقع محلة راس القُريّة على دجلة، وتحيط بها محلات باب الاغا والدهانة والسبع ابكار، وهي قديمة عرفت باسمها هذا منذ العصر العباسي وكانت تضم في ذلك العصر قصور الخلفاء والامراء ودور الدولة، وكان ابرز قصورها الشاطئية قصر التاج الذي اصبح المقر الرسمي للخلافة العباسية، وعرف سوقها في العصر العثماني باسم سوق (قرية باشي) وهي ترجمة تركية لذلك الاسم، وكثرت فيها الخانات التجارية، ومن معالمها أيضاً بيت القضاة في المحكمة الشرعية وجامع العادلية وخان العادلية المذكور مما أنشأته عادلة خاتون. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2004 ص67.

(2) الدروبي: البغداديون ص278.

(3) الصواب: فضلة الغلة.

أحمد حسيب في 18 ذي الحجة سنة 1160هـ(21 كانون الأول 1747م)، وقد شهد فيها عدة أشخاص كرام، منهم أحمد أفندي المصرف، ورئيس البوابين (قبُوجيلر كَتخُداسي) حسين آغا، والكُمركجي علي أفندي، وأحمد آغا بن محمد أغا كَتخُدا، وعمدة الكرام صاحب السعادة محمد باشا، ورئيس الجواويش كَتخُداي جاوشان إبراهيم أغا.

والظاهر أن هذه الوقفية هي أولى وقفيات عادلة خاتون، وقد غيَّرتها في الوقفيتين التاليتين المؤرختين في سنة 1167هـ/1752 سنة 1171هـ/1757م، ولا شك في أن أحد أسباب التغيير يكمن في كونها لم تُنجب خلال المدة التالية من يمكن أن يتولى أوقافها الكثيرة، وسنجدها في الوقفية الاخيرة تُعيِّن للتولية ابن عمتها محمد صالح بك بن عبد الرحمن باشا[1]، ومن بعده أولاده وأولاد أولاده[2]، وهي لم تفعل ذلك إلاّ بعد أن تجاوزت سن الإنجاب ويئست من أن يكون لها وريث.

وتشير وقفية سنة 1171هـ الى العقارات الكثيرة التي وقفتها على جامعيها ومدرستها. ومنها بستان خارج باب المعظم، وهي بستان الصرّافية، وثلاثة خانات تجارية، ومقهيان في جانبي بغداد الشرقي والغربي، ودكاكين عديدة و أسكلة خشب، و ساقية، وبئر، ودولاب[3].

وبلغ من عناية أهل الخير بالوقف على هذا الجامع، أن أحد مماليك أحمد باشا بن حسن باشا، ويدعى بشير أغا، وقف سنة 1175هـ/ 1761م. أي في حياة الواقفة نفسها، عقارات عديدة منها «مزرعته المسماة بدولاب الفحامية، ومقاطعة خارج باب الإمام الأعظم على نهر دجلة على لوازم جامع العادلية الكبير، وقد اشترط أن يقوم ثلاثة قراء بتلاوة القرآن العظيم الشأن في جامع عادلية الشريف المنشأ لخيرات المغفور له المشار إليه أحمد أغا طيب الله ثراه، الواقع قرب محكمة مدينة بغداد دار السلام، على أن يتولى اثنان منهم يومياً جزءً من القرآن الشريف لكل واحد، ويتلو الثالث يومياً [سورة] ياسين الشريف المذكور بعد ضمة إلى واردات ذلك الجامع» مما يدل على جسامة الأموال التي كانت مخصصة للانفاق على هذه المنشآت النافعة.

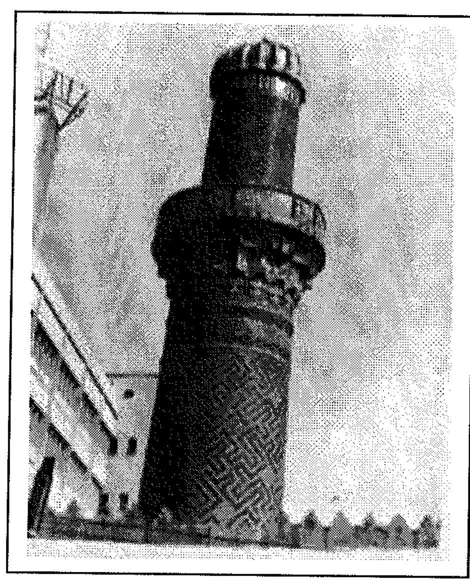
---

(1) تسميه الوقفية: امير امراء شهرزور وكركوك. وكان قد تولى شهرزور (مركزها كركوك) من محرم سنة 1143هـ الاسرة الحاكمة ص240.

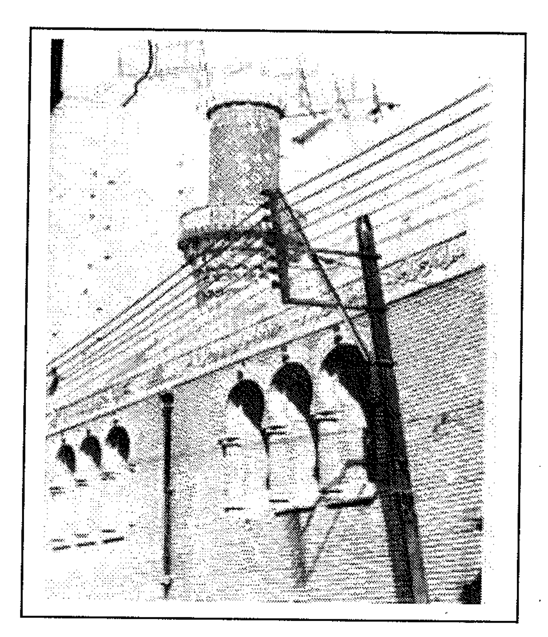
(2) وهم الذين سيعرفون، فيما بعد، بآل المُميِّز.

(3) نشرنا هذه الوقفيات في ملاحق كتابنا (عادلة خاتون)..

وقد أعاد متولو الوقف بناء الجامع كلياً سنة 1937م[1]. ولما يزل الجامع عامراً حتى يومنا هذا.



مئذنة جامع العادلية الكبير



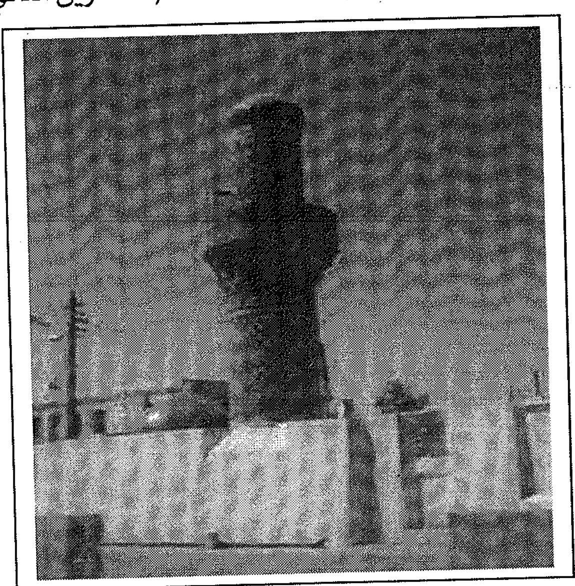
جانب من جامع العادلية الكبير

---

(1) مجلة لغة العرب، السنة 1937، ص317.

جامع النعمانية

انشأته السيدة الحاجة فاطمة خاتون بنت بَكتاش بن السيد ولي سنة 1185هـ/ 1719م، في محلة الشط من محلات الجانب الشرقي من بغداد قديماً (كان هذا الجامع يقع مقابل مبنى البريد المركزي القديم وبلصق المدرسة الثانوية المركزية) وألحقت به سقاية، وعيَّنت فيه عدداً من العاملين ورتبت لهم الرواتب، منهم: الإمام والخطيب والواعظ وستة مؤذنين ومؤذن المحفل والمشعلجي (الموكل بالإنارة) وخادم السقاية والكنّاس وحامل السَيف والكليدار وغيرهم. ووقفت لذلك عدداً من العقارات منها خان الصاغرجية في سوق رأس الجسر ببغداد، ويشتمل على ثلاثين حجرة، والمقهى قرب الخان، والدكاكين الاربعة القريبة من الخان، والمقهى والمخبز الواقع مقابل (كلخان الكيجه جية)[1]، والدار الملاصقة للمخبز، والدكان المتصلة بالدار، والدكان الملاصق لمدرسة الوفائية، ودار الحرم قرب الجامع، والديوان الصغير، وحصص عديدة من بساتين في قصبة منديجين (مندلي) وفي مقاطعة الخالص، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في شعبان سنة 1185هـ/6 تشرين الثاني 1771م[2] .



مئذنة جامع النعمانية

(1) الكله خانه المعمل والكجه جيه معمل اللباد.

(2) سجلات الاوقاف ج14 ص176.

مسجد حاجية خاتون

مسجد كان يقع في محلة الامام طه[1] في الجانب الشرقي من بغداد، أنشأته السيدة حاجية خاتون بن محمد، وأوقفت عليه أوقافاً كثيرة تشتمل على دكاكين وبساتين في بغداد وخارجها، منها دكاكين في سوق السلطان (قرب الميدان)، وأخرى في سوق الطويل، وخان قرب المصبغة، واقع بين جامع الصياغ (وهو جامع الخفافين) وشاطئ دجلة، وباغجة (حديقة) الشمّاع في قصبة الإمام الاعظم، وباغجة أخرى في القَصَبة نفسها، وبستان نهر عَلياوه في مندلي مع الأرض الخالية والمعروفة ببستان جميلة.

وقد اشترطت هذه السيدة المحسنة التولية على أوقافها لنفسها، ثم لأولادها ثم «للأعلم من في البلد» يأخذ اربعة أخماسه ويُصرف الباقي الى المسجد، وسجلت الوقفية في جمادي الاولى سنة 1187هـ/24 تموز سنة 1773م[2].

وتوفيت الواقفة سنة 1207هـ/1792م.

وقفية رحمة بنت أمين على مسجد التسابيل ببغداد

مسجد قديم ينسب الى المحلة المحيطة به، وقفت عليه السيدة رحمة بنت الحاج امين الملا خضير الدكان الواقع في سوق العطّارين (وهو سوق الشورجة اليوم) بحسب وقفيتها المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/10 كانون الاول 1818م[3].

فكان ذلك الوقف سبباً في تعميره في السنة التالية[4].

---

(1) محلة قديمة كانت تقع بين محلتي الدشتي والعاقولية نسبت الى مسجد فيها بهذا الاسم وقد دخل معظم المحلة في ارض ساحة الامين (حيث تمثال الرصافي اليوم) وبقي منها جزء فيه مسجد الامام طه نفسه.

(2) سجلات الاوقاف ج13 ص15 وعبادة: العقد اللامع ص 282-283 وقد هدم هذا الجامع ونقلت جهته إلى جامع الصليخ الجديد، حيث أصبح جامعاً تقام فيه الجمع والأعياد. ينظر إبراهيم السامرائي: تاريخ مساجد بغداد الحديثة ص268 وفي دليل خارطة بغداد المفصل ص299 ورد اسم الواقفة (حاجبة خاتون)

(3) الاوقاف ج4 ص149.

(4) مساجد بغداد وآثارها 78.

وقفت خديجة خاتون على مساجد بغداد والزبير:

عينت السيدة خديجة خاتون آل شريف جلبي بعدد من المساجد في بغداد، ومسجد واحد في بلدة الزبير، فوقفت ثلاثة بساتين غناء تقع خارج الباب الشرقي ببغداد وهي التي تعرف ببساتين الرواف[1]، نسبة الى زوجها الحاج محمد الرواف من وجوه أهالي نجد، ودار واقعة في محلة (النقاشين)[2] قرب جامع مرجان، على نفسها ثم زوجها المذكور وذريتها ثم على خمسة مساجد ببغداد هي:

1 مسجد السادة في محلة السنك «بين الطاق الاظلم وسوق السنك».

2 مسجد النعماني، وهو غير جامع النعمانية، ويقع في محلة السنك أيضاً

3 مسجد ظهير الدين في محلة (خان الحياك).

4 مسجد دكاكين حبوب (في محلة دكاكين حبوب)

5 مسجد الأحسائي في محلة رأس القرية (قرب خان العادلية). وهو الذي عرف بالتكية الخالدية لإقامة الشيخ خالد النقشبندي فيه.

ومسجد واحد في بلدة الزبير يسمى بمسجد الرواف ويقع في (سوق البزازين) هناك

وبلغ مجموع ما خصصته من أموال على هذه المساجد مبلغاً كبيراً هو (1740) قرشاً رائجاً من القروش البغدادية المستعملة عهد ذاك، تنفق سنويا على إعمارها ودفع رواتب الائمة والمؤذنين والعناية بتوفير الماء الصالح للشرب فيها ووقود الاضاءة أيضاً[3] وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 15 ذي الحجة 1236هـ/15أيلول 1820م.

وقفية السيدة أسماء على مسجد ظهير الدين

مسجد قديم لا يعلم أول انشائه يقع بين محلتي المربعة والحاج فتحي[4] من محلات شرقي بغداد، أوقفت عليه السيدة أسماء بنت علي المُزيِّن دارها الكائنة في

(1) استبدلت هذه الوقفيات بالنقد وبيعت واصبحت اليوم محلة كبيرة تعرف بمحلة الرواف.

(2) نسي اسم هذه المحلة اليوم.

(3) الاوقاف ج2 ص56.

(4) في وقفية الواقفة جاء تعريفه بانه الواقع في محلة الحياك.

محلة الحياك، وصدرت بذلك الحجة الشرعية المؤرخة 35 صفر سنة 1236هـ/ 1820م[1].

مسجد محبوبة خاتون

أنشأته الحاجة محبوبة خاتون في الجانب الشرقي من بغداد سنة 1237هـ/ 1821م[2].

وقفية عائشة بنت عبد القادر على مسجد آل مِدلج

كان الشيخ مدلج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحبي، المدرس في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (المتوفى سنة 1081هـ/1670) قد أنشأ سقاية للواردين ألحقها بمسجد أنشأه في محلة الشيخ عز الدين الجديداوي (قسم من محلة السنك فيما بعد). وفي سنة 1240هـ/1824م وقفت السيدة عائشة خاتون بنت الشيخ عبد القادر مدلج بستاناً في قصبة الكاظمية على مصالح المسجد بموجب الوقفية المؤرخة في 27 ذي القعدة من السنة المذكورة[3].

وقفية رحمة بنت عبد الكريم جلبي على جامع خضر بك ببغداد

أنشأ هذا الجامع خضر بك بن عبد الله جلبي بن أحمد جلبي من آل عبد الجليل بك امراء الحلة في القرن الثاني عشر للهجرة (18م) سنة 1200هـ/1785م في محلة في بغداد كانت تعرف بكمُوش حلقة، أي الحلقة الذهبية، ثم نُسي اسم هذه المحلة وعُدَّت جزءاً من محلة قنبر علي. وألحق بجامعه هذا مدرسة وخزانة للكتب[4]. ويتميز الجامع بمئذنته الصغيرة الجميلة.

وفي سنة 1212هـ/1797م عُنيت السيدة الحاجة رحمة خاتون بنت عبد الكريم جلبي من الأسرة نفسها بهذا الجامعُ فوقفت عليه حصصها من بساتين الحاج شهيب وعباس بن محمد النجم وعلي السلمان والحاج عبد المطيري، ونصف شاطئ أحمد،

---

(1) وقد عرف المسجد فيما بعد بمسجد نور الدين نسبة الى مجدده سنة 1259هـ/1840م محمد نور الدين ويظهر من الابيات التي نقلها الالوسي (مساجد 81) من على جداره انه كان اميرا حاز على رتبة الوزارة واصله من دمشق الشام.

(2) محمد بهجة الاثري: فوائت مساجد بغداد واثارها 143

(3) مجموعة من وقفيات بغداد

(4) العقد اللامع ص234 .

ونصف شاطئ الملحوس، وذلك بحسب وقفيتها المؤرخة في 10 رمضان سنة 1239هـ/10 آيار 1823م[1].

وتوفيت الواقفة سنة 1246هـ/1830م[2]. أما الجامع فلما يزل عامراً.

مسجد فاطمة خاتون في بغداد

أوصت السيدة فاطمة خاتون بنت عبد الله ان تُحوَّل دارها في محلة الصابونجية ببغداد، بعد وفاتها الى مسجد، ووقفت عليه بستاناً لها في قرية قزانية (من اعمال بعقوبة)، وشرطت أن تخصص غلة هذا البستان للإنفاق على إمام المسجد الشريف، ومؤذنه، وعلى الفرّاش، والكناس، وموقد الشموع، والخادم، والاباريقي، ولسائر الخدام، وعلى مفروشات المسجد وتعميره وترميمه، وأن تكون التولية عليه للسيدة عائشة خاتون بنت أحمد اغا، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ربيع الآخر سنة 1246هـ/أيلول 1830م[3].

وقفية الحاجة محبوبة خاتون على جامع حسين باشا ببغداد

وقفت الحاجة محبوبة خاتون، زوجة سليمان باشا[4]. جملة من العقارات على ذريتها، وبعد انقراضهم على الفقراء والمساكين، ثم على جامع حسين باشا السلاحدار، في محلة الحيدر خانة ببغداد، وتشمل هذه العقارات دكاكين في باب خان الدكَّة، ودكان في سوق الخفافين، ودكان في سوق هرج، ودكان في سوق قنبر علي، ودكان وزور خانة[5] في محلة قنبر علي، والعلوة الكبيرة والعلوة الصغيرة، والبستان في علاوي الطهماسية[6] في قصبة الحلة، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ذي الحجة 1257هـ/كانون الثاني 1843م[7].

---

(1) الاوقاف ج5 ص70.

(2) ابراهيم الدروبي: البغداديون ص 341.

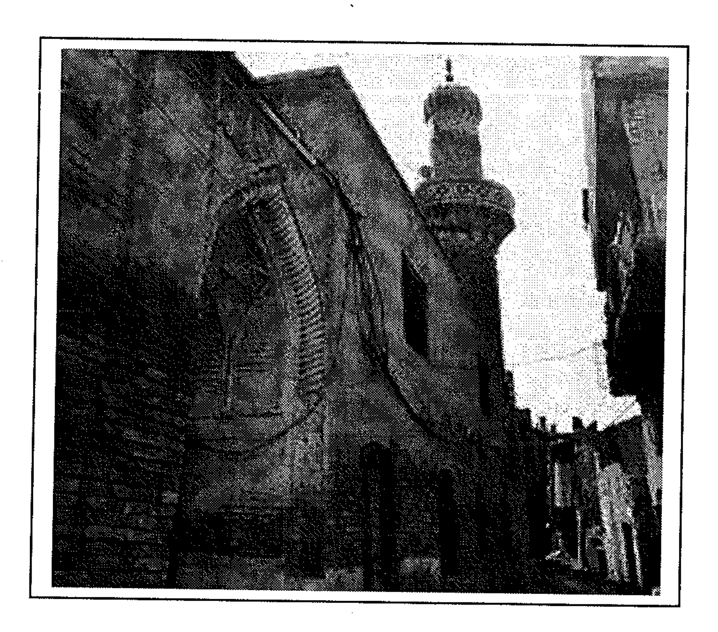
(3) الأوقاف ج2 ص23.

(4) هو سليمان باشا المعروف بالصغير، وقد حكم العراق من 1222الى 1225هـ/1807-1810م.

(5) الزور خانه مصطلح من الفارسية : زور بمعنى قوة، وخانه بمعنى المكان والبيت، فهو المكان المخصص لالعاب القوى، وهذه اول اشارة الى وجود مثل هذه الاماكن في بغداد.

(6) كذا وردت في الوقفية، وتعرف اليوم بالطهمازية بالزاي، وهي قرية في ضواحي الحلة، تتبع ناحية الخواص من نواحي محافظة بابل وتنسب إلى نهر بهذا الاسم.

(7) الأوقاف ج2 ص76.



جامع حسين باشا

مسجد أسماء خاتون

انشأت السيدة أسماء خاتون بنت الوزير يوسف باشا[1] وزوجة والي بغداد الوزير علي رضا باشا[2] مسجداً في محلة (البَلنجية) ببغداد محدودا بملك محمد اغا كشيش زاده، وبملك محمد كهية، وبالقاطرخانة، وبطريق عام، وعرفت هذه المحلة فيما بعد، بشارع الزهاوي (يتفرع من شارع الرشيد ويصل الى سراي بغداد القديم)، عند شقه واختراقه معالمها.

ولقد وقفت هذه السيدة على مسجدها المذكور الدكاكين بشرقي بغداد لإدامة الإنفاق على عمارته ثم على فَرشه وشيرجه وجميع ما يقتضي له، ثم على الخادم والمؤذن والإمام. وتتوزع هذه الدكاكين قرب حمام الباشا وفي سوق (الجُبُقجية) و سوق الميدان وسوق هرج.

---

(1) شغل منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد الحميد الأول. وقد ذكر مؤرخ المماليك سليمان فائق في كتابه (مرآة الزوراء) الذي ترجم الى العربية باسم تاريخ بغداد، ص182 ان علي رضا ترك زوجته ابنة يوسف باشا في حلب حين قدومه منها إلى بغداد، والذي يظهر لنا من هذه الوقفية، أنها جاءت إلى بغداد لتقف هذه الأوقاف.

(2) تولى بغداد من 1247هـ(1821-1842م).

وسجلت وقفيتها في 25 شعبان 1258هـ/22أيلول 1842م[1]. وعند توسيع شارع الزهاوي، نقض المسجد وادخل في نطاق الشارع الجديد.

مسجد عائشة خاتون

أنشأته السيدة عائشة خاتون بنت معروف، وكان يقع مقابل جامع الأزبك في محلة الطوب من محلات شرقي بغداد[2] وقريباً من جامع المرادية، وصفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله «مشتمل على مُصلّى، وصُفَّة أمامه، وفيه إمام وخادم، وموقعه في محلة الطوب، وإدارته من قبل الأوقاف»[3] ولا يُعلم تاريخ إنشائه. وذكر عبد الحميد عبادة في حاشية له على كتابه (العقد اللامع)[4] «لعلها عائشة خاتون بنت أحمد باشا، وزوجة عمر باشا والي بغداد». قلنا: وهذه هي الأخت الصغرى لعادلة خاتون المقدم ذكرها في الكلام على جامعي عادلة خاتون، زلكن اسم أبيها يختلف عن أسم أبي تلك السيدة.

وقفية خاتون على مسجد الخطيب ببغداد

سَعَت السيدة آسية بنت الحاج إسماعيل أفندي في تعمير مسجد خَرِب كان يقع في محلة الشيخ الخلاني، وعُرف بمسجد الخطيب[5]، فوقفت في صفر سنة 1261هـ/ شباط 1845م نحو نصف كرّادة[6] البوشاهين في الكرّادة الشرقية، ونصف البستان

---

(1) الاوقاف 2/ 83.

(2) في فوائت مساجد بغداد واثارها للشيخ محمد بهجة الاثري انه يقع في محلة الطوف بالفاء بغربي بغداد،

(3) خير الزاد ص271

(4) ص180

(5) كان هذا المسجد يقع في أرض ساحة الخلاني اليوم، سمي بمنزل الشهداء، وينسب إلى آل الخطيب، وهي الأسرة التي تولت الخطابة جيلا بعد جيل في جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة، قال إبراهيم فصيح الحيدري «بيت الخطيب، وهو بيت فضل وسيادة، وهم خطباء الجامع الأعظمي، وهم من أهالي سر من رأى"، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص93. قلنا: وتجتمع هذه الأسرة في نسبها بعشيرة ألبو عيسى العلوية السامرائية، وبالسادة آل التاتار في بغداد.

(6) الكرادة: الأرض التي تسقى من النهر بواسطة الكرود، وهي الدولاب الذي يدار بالدواب.

المستجدة هناك حِسبة لله، وشرطت أن تنفق فضلة النماء في «عمارة المسجد الخراب الواقع في محلة الشيخ الخلاني – عليه الرحمة- الشهير بمسجد بيت الخطيب»[1].

مسجد نائلة خاتون

أنشأته السيدة نائلة خاتون بنت عناية الله آغا بن أحمد افندي سنة 1261هـ/1845م في محلة الحيدرخانه بشرقي بغداد، ووقفت عليه البستان الكائن في قرية الحاج قره من مضافات بغداد، وشرطت أنه في حال خراب هذا المسجد ولم يبق من يصلي فيه تُصرف غِلّته في عمارة مساجد المسلمين.

وقفية مريم وعائشة بنتي محمد الباجه جي على جامع الصاغة

شاركت السيدتان مريم وعيشة (عائشة) بنتا الحاج محمد جلبي الباجه جي أخاهما الحاج عبد الرحمن جلبي، في وقف جملة من العقارات المهمة على مصطفى بن سليم مُعتَق الحاج بكر الباجه جي وعلى ذريته، وبعد انقراضهم تنفق غلة الوقف على مصالح جامع الصاغة (أو الصياغ) وهو جامع الخفافين المعروف قديماً بجامع الحظائر الذي شيدته السيدة زمرد خاتون (انظر هذه المادة) وجاء في نهاية الوقفية و«إذا خَرب ولم يبق من يصلي فيه فإلى فقراء مدينة السلام».

وتتألف هذه العقارات من نصف دار تقع في مقابل الكُمرك في البصرة، وربع الدارين والديوانخانه والحرم الواقعين في محلة آل عيسى في كربلاء، وربع الخان الواقع في محلة آل زُحَيك في البلدة نفسها، وربع بزارة الشيرج، وربع بزارة الصابون الداخلة فيها، وربع الدكاكين الملاصقة لهما، ورُبع بزّارة السيلان الواقعة في سوق العباس، وربع بزارة السيلان الواقعة في محلة آل فايز في البلدة نفسها. وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 24 رجب هـ/30 تموز 1845م[2].

وقف عادلة خاتون على جامع نازنده خاتون

وقفت السيدة عادلة خاتون بنت عناية آغا جميع أملاكها ببغداد على أولادها وذريتهم وبعد انقطاعهم تكون غلة الوقف على مصالح جامع نازنده ببغداد (انظر هذه المادة) بموجب الوقفية المؤرخة 25شوال سنة 1272هـ/1855م.

---

(1) الاوقاف ج3 ص127

(2) الاوقاف ج3 ص137.

وتوفيت الواقفة في سنة 1287هـ/1870م.

جامع الحاجة مُنوَّرة خاتون ببغداد

أنشأته الحاجة مُنوَّرة خاتون بنت عبد الله[1]، من سكنة محلة الطوب[2] في محلتها، ووقفت عليه بتاريخ 25 ذي الحجة سنة 1277هـ/5تموز 1861م حصتها البالغة ثلاثة أسهم من أصل خمسة أسهم من القرية والبساتين المعروفة بقرية (ديله) قرب قضاء الحلة، وبساتين بسبس قرب قزانية من أعمال مندليجين (مندلي)، واشترطت أن تُصرف غلة الوقف على تعمير الجامع الشريف المذكور، وتُصرف من الفضلة الباقية مبلغ قدره 1750 قرشاً صاغاً سنويا الى جهات الوعظ والإمامة والخطابة، ومبلغ 750 قرشاً صاغاً سنوياً لراتب جهة التدريس، بينما خصصت رواتب أخرى لقارئ الدَور والمؤذن والكناس والفرّاش ومُوقد القناديل وناقل الماء، والمسؤول عن السبيلخانة[3].

وقفية نازلي خاتون على جامع حسين باشا ببغداد

وعُنيت نازلي خاتون بنت عبد الغني بالإنفاق على جامع حسين باشا في محلة الحيدرخانه ببغداد (تأسس سنة 1085هـ/1674م) فأوصت في وقفيتها المؤرخة 21 شوال 1277هـ/14 نيسان 1863م، أن تؤجر ما تملكه من عقارات وهي دكان في سوق الصياغ بلصق خان جغان، ودكان في سوق الخفافين، وحصتها من الدكان الواقع في سوق البزازين، ومن بستان ركن الواقعة في مندليجين (مندلي)، والدار الكائنة في محلة

---

(1) هي منور خاتون زوجة والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير (حكم من 1193 إلى 1217هـ/1778-1802م) وأم ولده صالح بك، وتوفيت سنة 1269هـ/1852م. أنشأت هذا الجامع سنة 1267هـ وكان يضم مدرسة أيضا، هدم هذا الجامع في 1966 وبقيت منه مئذنته، ثم أنشئت في أرضه مدرسة، ينظر العقد اللامع ص221، ومساجد بغداد ص221.

(2) سميت هذه المحلة بالطوب والطوبجية نسبة إلى وجود قشلة (ثكنة) للطوبجية (المدفعيين) فيها، وتحتل اليوم أرضا على يسرة شارع الخلفاء من جهة القادم من باب المعظم، وقد زالت هذه الثكنة منذ عهد بعيد، ونسي اسم محلتها أيضا، وهي غير محلة الطوب الكائنة في أرض دار الكتب والوثائق مقابل مبنى وزارة الدفاع.

(3) الأوقاف ج2 ص50. وقد أبطلت هذه الوقفية فيما بعد.

كوكنظر ببغداد، وأن يعطى ثلاثة أرباع الغلة إلى من يلي الإمامة والخطابة في الجامع المذكور، بينما يعطى الربع الباقي الى المتولي على الوقف نفسه[1].

وقف الحاجة حَسنة على جامع الخنيني

من مساجد الكرخ القديمة، يقع في محلة سوق الجديد، جدد عمارته سنة 1292هـ/1873م الشيخ عبد الله بن صالح من آل خُنَين النجديين، فنُسب اليه[2].

وتولت السيدة الحاجة حسنة بنت الحاج حسين وقف الدار الواقعة في محلة جامع عطا الكرخي/وتخصيص رَيعها للانفاق على مصالح المسجد المذكور، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 29 شعبان سنة 1291هـ/1872م /27تموز 1881[3].

وتوفيت الواقفة سنة 1212هـ/1894م.

وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بقوله «عبارة عن مصلى في قبلي المسجد، بين يديه صُفّة، وعلى يسار الصُفّة دَرَج يُرتقى فيه إلى سطحه، وفي وسط الدَرَج حجرة يسكنها إمام المسجد، وكان يقيم فيها بعض الغرباء من طلاب العلم الذين يتولون الصلاة إماما، وكان الشيخ المذكور [يريد: عبد الله بن صالح] وبعض أهالي نجد يَصلونهم من الزكاة أو الصدقة، ويكاد النجديون جميعهم يصلون في هذا المسجد ومسجد آل عطا وجامع آل عطا، لأن أئمة هذه المساجد لم يكن لهم راتب، والصلاة خلف ذي الرتب عند الحنابلة غير صحيحة، لذلك يقصد النجديون الحنابلة في الصلاة هذه المساجد». ويقع هذا المسجد قريباً من جامع الشيخ صندل، وما زال عامراً، وقد جدده أحد أحفاد الواقف تجديداً شاملا سنة 1380هـ/ 1960م[4].

---

(1) الأوقاف ج2 ص112.

(2) الاوقاف ج12 ص7 وذكر الشيخ هاشم الأعظمي في تاريخ جامع الإمام الاعظم ومساجد الأعظمية، بغداد 1965،ج2 انها اشتهرت بالكرم واطعام واكساء المحتاجين وكان لها مجلس يحضره البارزون من رجال الولاية والعلماء والوجهاء والحاجة البارة تحسن القراءة والكتابة والأدب ولها خط جميل .

(3) الاوقاف ج17 ص52.

(4) خير الزاد ص556. وينظر مساجد بغداد ص114 والعقد اللامع ص491.

وقف أمونة بنت محمد على جامع بنات الحسن ببغداد

مسجد قديم في محلة رأس القُرية ببغداد، نُسبت اليه المحلة التي حوله، وترددت الإشارة اليه منذ منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (19م) ووصف في أوائل ذلك القرن التالي بأنه مسجد جمعة فيه مشهد يُزار، وله مئذنتان[1].

وفي 9 ذي القعدة سنة 1314 هـ/ 12 نيسان 1896م وقفت السيدة أمونة بنت محمد بك بن اسماعيل بك الدار الواقعة في زقاق كاتب العربية من أزقة محلة رأس القرية على نفسها، ثم على نساء سَمَّتهن، وبعد وفاتهن تكون الغلة –بعد التعمير– أقساماً منها الى أربع تهاليل في السنة، في الليلة السابعة والعشرين من رمضان المبارك، وفي ليلة عيد الأضحى، والى قراء القرآن، على أن يكون ثواب ذلك مُهدى الى روح الواقفة، وما بقي من الغلة يصرف الى ماء وشيرج وبعض اللوازم المقتضية الى جامع بنات الحسن الكائن في محلة رأس القرية.

ولم تكتف الواقفة بذلك وإنما أضافت في وقفتين ملحقتين دكاناً في محلة جامع عطا، وداراً في زقاق بنات الحسن، لتضم غلتهما الى إيراد الوقف.

ووقفت صفية خاتون بنت يوسف بن الحاج مصطفى داراً في محلة راس القرية على أعمال البر، ومنها تعمير وترميم جامع بينات الحسن في المحلة المذكورة، بموجب وقفيتها المؤرخة في 16 ذي القعدة 1322هـ/1904م.

جامع هيبة الله بنت عبد الرحمن في بغداد

أنشأته ضمن مبرّات أخرى السيدة الحاجة هيبة الله خاتون بنت عبد الرحمن افندي بن محمد افندي سنة 1336هـ/ 1917م في «أرض بستان السَّبخة الشهيرة ببستان الصباغ الكائنة في محلة النصَّة في الاعظمية» (قرب دائرة البريد القديمة في الاعظمية). وعلى الرغم من عدم اتمام البناء يوم تسجيل وقفيتها، وهو 12 ربيع الاول من سنة 1336هـ/27 كانون الاول 1917 فانها عيَّنت في مسجدها إماما وعدداً من الموظفين وقراء القرآن الكريم وقنديلجي (وهو الموكل بقناديل الجامع)، ومؤذن، وخادم، وسَبيلي (وهو الموكل بالسبيل خانة اي السقاية) وحددت لهم رواتبهم.

---

(1) عباس بن رجب: نيل المراد في في أحوال العراق وبغداد، فصل ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، ص25

وقد تم الفراغ من هذا المسجد وملحقاته في السنة التالية، وتوفيت الواقفة سنة 1337هـ/1919م[1].

ثانياً: إنشاء المدارس والوقف عليها

مدرسة تركان خاتون

هي ثالث مدرسة أنشئت في بغداد إبان العصر العباسي.[2] أمرت ببنائها السيدة تركان خاتون الجلالية،زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي، المتوفاة سنة 487هـ/1094م في الجانب الشرقي من بغداد، عند دار السلطنة السلجوقية، (أي في أرض محلة العلوازية الحالية). وكانت هذه السيدة موصوفة بالحزم والشهامة، باشرت الحروب، ودبرت الجيوش، وقادت العساكر.[3] وبقيت مدرستها عامرة آهلة، وإن لم نعلم من مدرسيها أحداً، حتى أواخر القرن الخامس للهجرة (11م) إذ أمر بنقضها الخليفة المستظهر بالله العباسي سنة 496هـ/1097م مع ما جاورها من منشآت[4].

مدرسة بنفشا الشاطئية ببغداد

من أجَل مدارس بغداد وأشهرها في العصر العباسي، أنشأتها السيدة بنفشا بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ/1170-1180م) في موضع نَزه كان يُعد من أحسن محال بغداد وأعمرها في أواخر العصر المذكور، فهي تُطل على دجلة من ناحية، وتجاور باب المراتب، أحد أبواب دار الخلافة العباسية المهمة من ناحية اخرى، وحولَها كانت دور القادة والوزراء والأدباء ومخازن الغلال[5].

وكان أصل هذه المدرسة داراً لنظام الدين أبي نصر المظفر بن علي بن جهير وزير المقتفى بأمر الله، ثم استملكتها السيدة المذكورة وجعلتها مدرسة، ووقفت عليها الأوقاف لإدامة الإنفاق عليها[6].

---

(1) العقد اللامع ص59 وابراهيم الدروبي: البغداديون ص344 وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ج2 ص58.

(2) المدرستان الاوليتن هما 1- مدرسة مشهد ابي حنيفة وقد افتتحت في 27 جمادي الاخرة سنة 459هـ 2- المدرسة النظامية وقد بناها الوزير نظام الملك وافتتحت في 10 ذي القعدة من سنة 451هـ اي بعد افتتاح المدرسة الاولى بنحو اربعة اشهر وثلاثة عشر يوماً.

(3) المنتظم ج9 ص84.

(4) المنتظم ج9 ص135

(5) ياقوت: معجم البلدان.

(6) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج8 ص510.

وقد اشتهرت السيدة بنفشا بالخير والصلاح، وعُرفت بمبرّاتها العديدة، والخدمات النافعة لأهل بغداد في عصرها، فأشاد بها معاصروها، وترجم لها المؤرخون. قال ابن الساعي البغدادي في ترجمته لها «مَولاة الإمام المستضيء بأمر الله –رضي الله عنه– كانت من خواصيه و سراريه، لها المكانة الرفيعة عنده، والمنزلة العالية والحكم النافذ والأمر والنهي، وكانت صالحة كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبر، جعلت دارها بأسفل البلد على شاطئ دجلة مدرسة ووقفتها على الحنابلة، ووقفت عليها وقوفاً»[1] .وترجم لها يوسف سبط ابن الجوزي بقوله: «كانت كريمة صالحة، كثيرة الصدقات والصلوات، عمَّرت الرُّبط والمساجد والجسر ببغداد، وتصدقت بأموال كثيرة على العلماء والفقراء..»[2].

وقد حرصت هذه السيدة المحسنة على اختيار أفضل العلماء ليدرِّس في مدرستها، فكان ان اختارت اولاً أبا جعفر ابن الصباغ، ثم ما لبثت بعد أيام ان سلمت المدرسة الى اشهر علماء بغداد في عصره، الفقيه المفسر المؤرخ، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (510–597هـ/1116–1200م) مما دل على ثقافتها ورعايتها المباشرة لشؤون المؤسسة التي أنشأتها. وبتولي هذا العالم شؤون التدريس، جرى افتتاح المدرسة بصورة رسمية، وكان ذلك في 15شعبان من سنة 570هـ/1175م. ولقد أرخ ابن الجوزي نفسه هذه المناسبة بقوله «وتقدم الى يوم الخميس المذكور بذكر الدرس فيها، فحضر قاضي القضاة ابو الحسن بن علي الدامغاني، وحاجب الباب، وفقهاء بغداد، وخُلعت عليَّ خلعة، وخرج الدعاة بين يدي والخدم، ووقف أهل بغداد من باب النوبي إلى باب المدرسة كما يكون في العيد وأكثر، وكان على باب المدرسة ألوف، والزحام على الباب، فلما جلستُ لإلقاء الدرس، عُرض كتاب الوقف على قاضي القضاة، وهو حاضر مع الجماعة، فقرئ عليهم، وحكم به وأنفذه، وذكرت بعده الدرس فألقيت يومئذ دروساً كثيرة في الأصول والفروع، وكان يوماً مشهوداً لم يُرَ مثله»[3].

ومن الذين زاروا هذه المدرسة، وشاهدوا معالمها، والتقوا بمدرسها وأعجبوا بتدريسه، الرحالة الأندلسي ابن جُبير، الذي وصل بغداد سنة 580هـ/1185م. قال واصفاً مجلس تدريسه «ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع الإثنان منهم او الثلاثة آية من

---

(1) جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ص113.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان 510/8 .

(3) المنتظم ج10 ص253

القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا زالوا يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة..فإذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن ـ في إيراد خطبته عَجلاً مُبتدراً، وإفراغ ـ في الأسماع من ألفاظه دُرراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات ـ في اثناء خطبته، فقرأ وأتى بها على نسق القراء لها، لا مُقدماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها .. ثم أنه بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب إشتياقاً، وذابت لها النفوس احتراقاً، الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفَراش على المصباح، كلٌ يلقى ناصيته بيده، ويمسح على رأسه داعياً له.. وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عَين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل»[1].

وتوفيت الواقفة في 29 ربيع الاول من سنة 598هـ/كانون الاول 1201م ودفنت في احتفال مهيب داخل تربة السيدة زمرد خاتون (القبة المنسوبة للسيدة زبيدة) المجاور لقبر معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد[2].

أما المدرسة فيبدو انها اندثرت في العصر المغولي[3] ولم نعد نقرأ عنها خبراً.

مدرسة زمرد خاتون

مدرسة أمرت بانشائها السيدة زمرد حاتون، أم الخليفة الناصر لدين الله، وزوجة الخليفة المستضيء بأمر الله، وهي التي اشتهرت بحبها لفعل الخير، وبكثرة منشآتها النافعة، ووفرة ماتقف عليها، وقد أشاد بذكرها المؤرخون فوصفها ابن الساعي بأنها «كانت كثيرة المعروف»[4] وترجم لها ابن قنيتو الإربلي فقال: « كانت من أرغب النساء في فعل الخير واكثرهن له فعلاً، ولها بر وافضال، فضلت به أمثالها في الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لا خفاء فيه عن نظر المتأمل»[5]. ووصفها سبط ابن الجوزي بقوله: «كانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات، دائمة البر والصلوات، متفقدة لأرباب البيوت. حجّت وانفقت

---

(1) رحلة ابن جبير ص 176

(2) جهات الأئمة الخلفاء ص113 وابن الساعي: الجامع المختصر في عيون التواريخ وأعين السير، تحقيق مصطفى جواد، ج9 ص89 وابن الأثير: الكامل ج9 ص258.

(3) كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي ص192

(4) ابن الساعي: الجامع المختصر ، ج9 س122.

(5) سنبط بن قنيتو الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص280.

ثلاثمائة ألف دينار -على ما بلغني- كان معها نحو من ألفَي جمل، وتصدَّقت على أهل الحرمين، وأصلحت البرك والمصانع، وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة التي الى جانبها وأوقفت عليها الأوقاف»[1].

وكان افتتاح مدرستها المذكورة في يوم الخميس التاسع عشر من شوال سنة 589هـ/19 تشرين اول 1193م، بعد ان اوكل امر التدريس بها الى أبرز علماء بغداد آنذاك، هو فخر الدين محمد بن ابي النوقاني، «وكان بارعاً في الفقه حسن الكلام»[2] ويقول يوسف سبط ابن الجوزي في حوادث تلك السنة: «وفيها فتحت المدرسة التي الى جانب تربة والدة الخليفة عند معروف الكرخي، وحضر أرباب الدولة وعمل سماط عظيم وسُلمت الى النوقاني فدرس بها»[3].

ولقد ألحقت هذه السيدة الفاضلة بمدرستها داراً لسكنى المدرس فيها، وحُجراً يقيم فيها جماعة من الطلبة، على نحو يشبه الأقسام الداخلية اليوم[4]، وأجَرت للجميع الرواتب الحسنة. وبلغ من عنايتها بها، وشدة اهتمامها بشؤونها، أنها أمرت ببناء قبة لها بجوارها، لتكون لها مدفنا فتجاورها ميتة كما عُنيت بها في حياتها، وهي تلك القبة المخروطية العالية التي لما تزل قائمة في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، والمعروفة خطأ بقبر الست زبيدة. وتدل تراجم مدرسي المدرسة على المستوى العلمي الفائق الذي أرادته هذه السيدة لها، فجميعهم كان عالماً، فاضلاً، واسع المعرفة، كثير التصانيف، معروفاً بالورع. كما تكشف ترجمة آخر المدرسين المعروفين لنا عن استمرار التدريس فيها حتى اوائل القرن التاسع الهجري (15م) ولا يستبعد استمراره بعد ذلك التاريخ أيضاً، دليلنا على ذلك وجود مبانيها قائمة بعد أن تحولت الى مسجد حتى سنة 1195هـ/1380م حين أمر والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1780-1802م) بنقضها واستعمال أنقاضها في بناء سور بغداد الغربية، وقد وصف بناءها السيد محمود شكري الآلوسي، بوصفها مسجداً بقوله: «كان واسعاً، رصين البناء قوي الاركان»[5] فكان هذا آخر وصف لها في تاريخها الطويل.

---

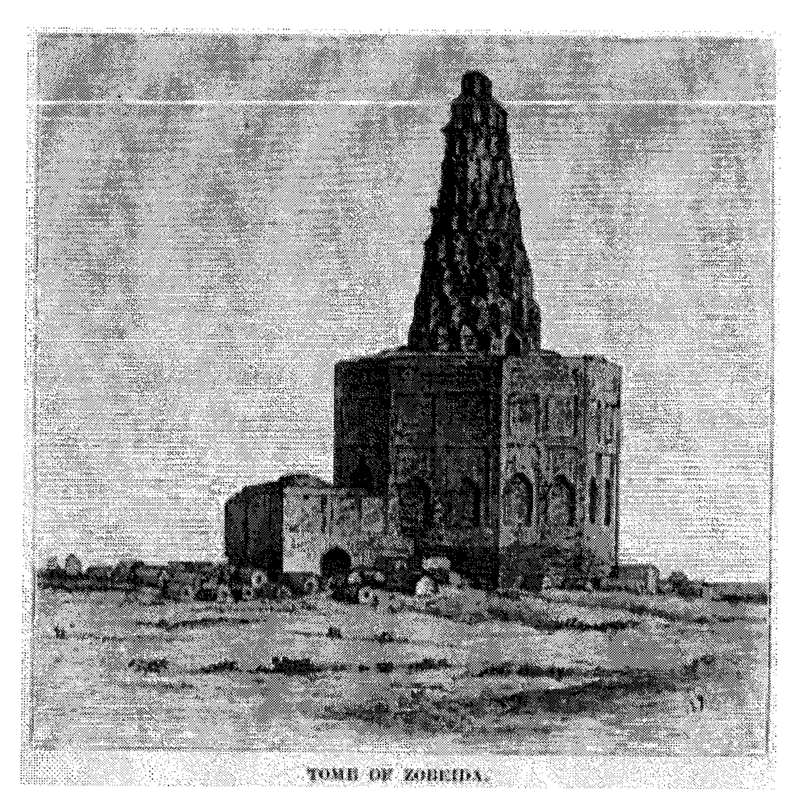
(1) سبط ابن الجوزي: مراة الزمان ج8 ص513.

(2) ابن الصابوني: تكملة إكمال الإكمال في الكنى والأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد ص351. الحوادث 207.

(3) مرآة الزمان ج8 ص422.

(4) مدارس بغداد ص123

(5) مساجد بغداد واثارها ص125



مرقد زمرد خاتون (صورة قديمة)

المدرسة البشيرية

أنشأت هذه المدرسة احدى نساء الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ) المعروفة بباب بشير[1] لتدريس مذاهب الفقه على قاعدة المدرسة المستنصرية المنشأة سنة 631هـ/1233م، فكانت ثاني مدرسة يجري فيها التدريس على هذه القاعدة، ليس ببغداد فحسب بل في العالم الاسلامي أيضاً، ولقد استمر العمل في بناء المدرسة هذه ما يقرب من اربع سنوات (من 649 الى 653هـ/ 1251-1255م) ومن هنا نعلم مدى اتساعها وضخامة مبانيها. قال صاحب كتاب (الحوادث) يصف افتتاحها سنة 653هـ: «وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد تجاه قطفتا،[2] التي أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم، أم ولده ابي نصر المعروفة بباب بشير، وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية، ووقفت عليها

---

(1) نسبة الى خادم بابها المسمى بشيرا

(2) محلة كبيرة ذات اسواق، مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي -رضي الله عنه- بينها وبين دجلة اقل من ميل، وهي مشرفة على نهر عيسى. ياقوت: معجم البلدان.

وقوفاً كثيرة قبل فراغها، وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشري جمادي الاخرة، وحضر الخليفة واولاده فجلسوا سطحها، وحضر الوزير وارباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون. وكان المدرس بها سراج الدين النهرقلي اقضى القضاة وشرف الدين عبد الله بن استاذ الدار ومحي الدين ابن الجوزي ونور الدين محمد بن الغربي الخوارزمي الحنفي وعلم الدين أحمد بن الشرمساحي المالكي، وعملت وظيفة عظيمة وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة والفراشين وخدم القبة، وانشدت الأشعار وكان يوماً مشهوداً»[1].

ويظهر من بعض النصوص التاريخية أن للمدرسة البشيرية هذه خزانة حافلة بالكتب ذات خازن خاص، مختص بأمورها، وفهارس مكتوبة بطريقة حسنة، قال عبد الرزاق ابن الفوطي في ترجمة فخر الدين ابو اسحق بن حسن بن عبد الله البغدادي الاديب «الشيخ الأديب الكاتب، صاحب الاخلاق الحميدة والاداب الغزيرة، كتب بخطه الصحيح، وهو الذي تولى كتابة فهرست المدرسة البشيرية على طريقة حسنة، وذلك في سنة اربع عشرة وسبعمائة»[2].

وتدلنا تراجم مدرسيها ومعيديها على استمرار التدريس في هذه المدرسة حتى اواخر القرن الثامن للهجرة (14م)[3].

اما السيدة الواقفة فقد توفيت سنة 652هـ/1255م.

دار القرآن البشيرية

امرت ببنائها السيدة المعروفة بباب بشير من نساء الخليفة العباسي المستعصم بالله على شاطيء دجلة بغربي بغداد، وافتتحتها في سلخ شعبان من سنة 652هـ/1255م[4]، اي قبل افتتاح مدرستها بنحو سنة واحدة، وكانت –على ما ترجح– تشبه دار القرآن التابعة للمدرسة المستنصرية، وذلك لرغبة السيدة باب بشير بتقليد نمط المدرسة المذكورة بكل مرافقها ونظمها. وممن تولى مشيخة هذه الدار الشيخ محب الدين احمد بن يوسف بن احمد بن عكبر العلوي الكرخي البغدادي، وكان عارفاً باللغة مؤرخاً.[5] ويدل تاريخ وفاته،

---

(1) كتاب الحوادث ص324

(2) تلخيص مجمع الاداب ج 4 الترجمة 1900، وانظر نفس المصدر، الترجمة 1899.

(3) ترجمنا لهم في كتابنا مدارس بغداد ص205-217.

(4) كتاب الحوادث ص319.

(5) تاريخ ابن الوردي 2/278.

وهو سنة 721هـ/1321م، على استمرار التدريس في هذه الدار الى النصف الاول من القرن الثامن للهجرة (14م) في اقل تقدير، ومن الراجح عندنا ان مبناها تحول بعد ذلك الى مسجد هو الذي عرف بمسجد السيف[1] وقد ازيل هذا المسجد سنة 1965م.

المدرسة العصمتية

وفي سنة 671هـ/1272م انشأت السيدة شمس الضحى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن ايوب، ارملة ابي العباس احمد بن الخليفة المستعصم (المقتول شهيداً في واقعة بغداد) وزوجة علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان العراق، مدرسة بجوار مشهد عبيد الله بن عمر العلوي المعروف بمشهد النذور[2]، ووقفتها على المذاهب الاربعة، على قاعدة المدرسة المستنصرية، فكانت أول مدرسة تنشأ على هذه القاعدة منذ احتلال المغول بغداد. وقد اختارت هذه السيدة لمدرستها افضل مدرسي بغداد في تلك الحقبة العصيبة من تاريخها، وهم القاضي عز الدين محمد بن جعفر البصري، وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي، وشرف الدين داود الجيلي، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ، وتم افتتاح المدرسة في احتفال كبير وزعت به الخلع على الجميع، واطعم فيها الحاضرون[3].

ولا شك في انها وقفت على المدرسة أوقافاً جمة، لأننا نعلم أنها جعلت النظر فيها، اي في شؤون المدرسة، لصدر الوقوف، وهو متولي اوقاف بغداد، شهاب الدين علي بن عبد الله، وجعلت الإشراف عليه الى من ولي قضاء القضاة ببغداد[4].

وقد اثنى صاحب كتاب الحوادث على هذه السيدة فقال «كانت كثيرة الصدقات والاحسان والمبرات، وكانت تحب اهل بغداد وترعى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم»[5].

---

(1) بحثنا: دار القرآن البشيرية وهل هي مسجد السيف القديم. جريدة البلد عدد 1749 (10 تشرين الثاني 1965).

(2) تقع بقايا هذا المشهد اليوم في محلة النصة بالاعظمية ويعرف بقبر ام رابعة، وهي كنية السيدة المذكورة، اذ هي والدة رابعة ابنة ابي العباس احمد بن المستعصم وقد دفنت رابعة بجوار والدتها سنة 685هـ.

(3) كتاب الحوادث ص408.

(4) كتاب الحوادث ص406

(5) كتاب الحوادث ص446.

توفيت سنة 678هـ/1279م ودفنت في تربة اعدتها لنفسها بجوار مدرستها المذكورة[1].

واستمرت المدرسة قائمة بمهمتها العلمية والثقافية نحو نصف قرن. بعد وفاتها في الاقل، ومن المحتمل انها توقفت عن تلك المهمة لما اصابها من الغرق العظيم سنة 725هـ/1225م، فقد ذكر ابن الوردي في تاريخه[2] انه مما انهار في ذلك الغرق مدرسة عبيد الله، وان خزانة الكتب التي بها غرقت «وكانت تساوي اكثر من عشرة الاف دينار».

المدرسة الايكيجية

من مدارس بغداد، انشأتها في منتصف القرن الثامن الهجري (14م) السيدة مخدوم شاه، الملقبة (ايكجي) والى لقبها نسبت وقد وصف المؤرخ البغدادي عبد الله بن فتح الله الغيائي هذه المدرسة بقوله انها «مدرسة عظيمة»، ولكنه لم يزد في توضيح جوانب عظمتها. ووصفت مؤسستها بأنها من الاميرات صاحبات الشأن والرأي الصائب والفصل في المهمات[3].

المدرسة الوفائية

تقع هذه المدرسة في الجامع الذي شادته السيدة وفا خاتون في سوق الكبابجية بشرقي بغداد، وكانت تشغل عدة حجر تطل على فناء الجامع نفسه. وقد ورد في الاعلام الشرعي المؤيد لما جرى به «التداول القديم»[4] ان هذه السيدة رتبت راتباً، من الاوقاف العديدة التي وقفتها للمدرس في جامعها، مما دل على ان المدرسة هي من انشأتها ايضاً.

واستمر التدريس في المدرسة طيلة العصر العثماني، درس خلاله فيها عدد غير قليل من العلماء علِمنا منهم مصطفى العلقبند المتوفى سنة 1228هـ/1813م[5].

مدرسة صالحة خاتون بنت عبد القادر الرحبي ببغداد

كان اصل هذه المدرسة دارا تشتمل على «حوش خارج» في اسفله بيت وايوان وزهر كبير (كذا) وباغجة (حديقة) نخل، وحوض، وبئر. وفي علوه كوشكان وايوانان،

---

(1) كتاب الحوادث ص446.

(2) تاريخ ابن الوردي ج2 ص378.

(3) التاريخ الغياثي بتحقيق طارق الحمداني، بغداد 1975،ص93.

(4) الدروبي: البغداديون 232

(5) الاوقاف 1/61

وعلى حوش داخل فيه اربعة بيوت وايوانان وبيت تتور وباغجة نخل وبئر وكَرد كوشك، تعرف قديماً بمحلة عز الدين، من محلات بغداد الشرقية.

وقد أمرت السيدة صالحة خاتون بنت الشيخ عبد القادر الرحبي بتحويل الحوش الخارج الى مجلس علم يحضره طلبة العلم من ذريتها وغيرهم، يشبه أن يكون مدرسة، بينما جعلت الحوش الداخل مسكناً للعيال. ووقفت لادامة هذه الدار، بمرافقها الثقافية المذكورة، أوقافاً جمة، منها حصة تبلغ النصف من دكانين ونصف في سوق السلطان (سوق الهرج الحالي)، ومنها نصف كَرد الوجيلاني عند نهر الزعفرانية المعروف بنهر قرارة، وسدس المزرعة المعروفة بدوب النخالة، وبستان في الاعظمية تعرف بالرحبية، وربع فدان في ارض الشالجية، ومثله في ارض الغُرابية من هور عقرقوف، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 21 ذي الحجة سنة 1118هـ/27 آذار 1707م[1].

مدرسة سُكينة خاتون

من مبرات السيدة سكينة خاتون بنت الحاج محمد العباسية، أنها أنشأت مدرسة ببغداد، في الجهة الجنولبة من السراي مُطلة على سوق السرّاجين، «جعلتها للخيرات» وأنفقت عليها من خالص أموالها، ثم أنها وقفت عليها جملة من العقار، منها نصف عقر المرادية في ناحية الخالص، وسبعة اسهم من أصل الستة عشر سهماً من مقاطعة الويسية، وسبعة أسهم من أصل ثمانية من جدول العامرية في «قرية بلاد روزين» (التي عرفت فيما بعد باسم بلد روز) وذلك في شهر ذي الحجة 1140هـ/ 1727م.

ثم انها وقفت عليها الدارين الواقعتين في محلة شالي قولي دلال ببغداد، وهي التي سميت محلة جديد حسن باشا، واشترطت أن يُصرف الحاصل من ايجارها سنة بعد أخرى على مصاريف المدرسة المذكورة[2].

المدرسة العادلية في بغداد

ألحقت السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد أحمد باشا بجامعها المسمى جامع عادلة خاتون او العادلية الكبير[3] مدرسة لتدريس العلوم في المعقول والمنقول، وكانت هذه المدرسة تشغل عدداً من الغرف في الطابق الأعلى من الجامع، وضمَّت اليها

---

(1) السجلات القادرية (مخطوط)

(2) الاوقاف 21/1

(3) الاوقاف 122/2

خزانة للكتب لتكون عوناً لطلبتها ومدرسيها على حد سواء، وحددت عدد طلبتها بخمسة عشر طالباً، وهو عدد كبير قياساً الى المدارس الاخرى، ورتبت الرواتب للمدرس، ولحافظ المكتبة، والمخصصات اليومية للطلبة. وبلغ من اهتمامها بأمر هذه المدرسة أنها كانت تشرف بنفسها على شؤونها وتتعهدها بالعناية، وقد ميَّزت طلبتها بأن جعلت لهم سمات (باجات) خاصة يحملونها على صدورهم، كتب عليها (طلبة المدرسة العادلية ببغداد)[1] وهو ما انفردت به بين واقفي المدارس كافة.

ولقد درَّس في هذه المدرسة، عبر الحقب المتعاقبة، صفوة من أشهر علماء بغداد، منهم السيد محمود شكري الالوسي، والسيد صبغة الله الحيدري، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ محمد افندي الحاج حمد العسافي وغيرهم.

أما المكتبة فقد تفرَّقت كتبها منذ أمد بعيد، ونقل المتولي ما تبقى منها الى داره، فعاثت بها الإرضة هناك «حتى اصبحت لا ينفع بها».

مدرسة جامع الصياغ

أشأ هذه المدرسة، في جامع الصياغ (جامع الخفافين المعروف قديماً بجامع الحظائر) الحاج ابو بكر الباجه جي الموصلي سنة 1205هـ/1790م. وفي سنة 1212هـ/1797م قامت أربع سيدات بغداديات صالحات هن:

أ- الحاجة حوّى خاتون بنت الحاج عثمان افندي.

ب- زينب بنت الحاج مصطفى.

جـ- عائشة بنت عمر الباجه جي.

د- لطيفة بنت عمر الباجه جي.

بأنشاء خزانة كتب في المدرسة ضمت كتباً عديدة، كما أنهن - حرصاً منهن على ادامة الانفاق على هذه المدرسة وملحقاتها- وقفن جملة من الأوقاف التي تتألف «من دور ودكاكين وعقارات وأراض وما اتصل بها من بناء وأشجار ونخيل متنوعة» على النحو الآتي:

- في بغداد: دكان واقع في سوق الصفافير، ودكان عند (القُلغ)[2] وأربع دكاكين في سوق الخفافين، وخان مشتمل على حجر عديدة وساحة في سوق الصياغ.

---

(1) البغداديون ص321

(2) كلمة تركية بمعنى مركز الشرطة.

- في البصرة: دار مقابل كمرك البصرة، وأرض عند باب الرباط من أبواب مدينة البصرة، وقطعة أرض معروفة بالشوّاكة.

- في كربلاء: دار مشترك بالنصف مع الحاج احمد بك الشاوي، يتألف من ديوان خانه وحرم وبزارة داخلها «بزارة للصابون»، وخمس دكاكين، وخان، ونصف بستان وربع بستان آخر.

وقد جعلت الواقفات في المدرسة مدرسين اثنين، لكل منهما 120 قرش رائج بغداد سنويا وقارئ للقرآن، وحافظ لأجزائه. وذلك بموجب وقفيتهن المؤرخة في سنة 1212هـ/1717م[1].

مدرسة نابي خاتون

أنشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبد الله، زوج والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1780-1802م)، ووالدة والي بغداد سعيد باشا (1228-1232هـ/1813-1812م)[2] في السوق الجديد من (الميدان) بالجانب الشرقي من بغداد سنة 1236هـ/1820م، ووقفت عليها عقارات عديدة في قرية السندية التابعة لناحية الخالص، وفي قصبة الإمام الأعظم (الأعظمية)، وفي منطقة أم العظام في الجانب الغربي، ودكاناً قرب حمام الكُمرُك (بجوار المدرسة المستنصرية)، وآخر في سوق السِّباهية[3]، أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب 1237هـ/1821م[4].

المدرسة الخاتونية

من أشهر مدارس بغداد وأهمها في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (19م) أمرت بانشائها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي نقيب الأشراف ببغداد (المتوفى سنة 1228هـ/1813م) وزوجة السيد محمود بن زكريا نقيب الأشراف أيضاً (المتوفى سنة 1258هـ/1842م) في موضع قريب من جامع الشيخ عبد القادر

---

(1) الاوقاف 3/87-8

(2) شاركت هذه السيدة في الحكم وأسهمت في توجيه سياسة زوجها وولدها، وبعد مقتل الأخير، اعتزلت الناس، وتركت الحياة العامة، ثم شرعت بجملة من الأعمال الخيرية النافعة. ينظر: سليمان فائق: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء (المسمى تاريخ بغداد)، ص51، وكتابه: تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمة نجيب الأرمنازي، بغداد 1961، ص49.

(3) السباهية هم الفرسان بحسب نظام التيمار العثماني.

(4) مجموعة من وقفيات بغداد.

الكيلاني، مقابل له، ووقفت عليها العقارات الكثيرة لتضمن بقاءها ودوام نفعها. منها بستان، ورحى للماء خارج بغداد، ودار وبستان (باغجة) باتصال الجامع المذكور/ ودكاكين في سوق الشورجة وسوق الخفافين، وعلوة للبصل، وذلك بموجب الوقفية الصادرة بتاريخ 20 جمادي الاولى سنة 1235هـ/1819م.

وتدل نصوص هذه الوقفية المهمة على مبلغ عناية السيدة عاتكة بمدرستها، وبشؤون العاملين فيها، فقد رتبت لها مدرساً، وعشرة طلاب علم، ومعيداً للدرس، وفراش، وكناس، وقندلجي، ومحافظ للكتب، وحددت لهم رواتب مجزية، وجعلت لكل طالب علم فضلاً عن المخصصات النقدية، ما يكفيه من الخبز والرز والخضروات والقهوة والشيرج للإضاءة وغير ذلك من المواد العينية.

كما ألحقت بمدرستها سقاية كبيرة لتوفير مياه الشرب لطلبتها ولسائر الناس في تلك المحلة، وشرطت لادامتها مبلغاً سنوياً محدداً.

وبلغ من اهتمام الواقفة بخزانة كتب مدرستها أنها أوكلت أمر حفظها والعناية بها الى أحد العلماء ببغداد يومذاك، هو الشيخ عبد الكريم جلبي دلّه، وقد أرسلته لغرض تنمية كتبها وتزويدها بكل هو طارف وتالد الى الآستانة، وبلاد الشام، ومصر، لشراء كتب مخطوطة ومطبوعة، ولما وصلت الكتب الى بغداد حفظتها في خزانات من خشب ووقفتها على مدرستها، وكتبت على ظهر كل كتاب منها عبارة (وقف المدرسة الخاتونية) وتحتها ختم (عاتكة خاتون).

وقد درّس في هذه المدرسة علماء أعلام، أولهم الشيخ العلامة علاء الدين الموصلي، وتخرج منها العلامة السيد محمود شهاب الدين الالوسي صاحب تفسير (روح المعاني) إذ أجيز من شيخه علاء الدين الموصلي إجازة علمية عامة، وقد أعدت السيدة عاتكة خاتون -بهذه المناسبة- وليمة فخمة دعت اليها جميع العلماء والأشراف والتجار للحضور الى المدرسة ليشهدوا حفلة تسليم الإجازة. ووصف الالوسي نفسه هذه الحفلة في كتابه (غرائب الإغتراب) بقوله: «ولما بلغت من العمر إحدى وعشرين سنة جمع لشهود إجازتي علماء بلدتي شيخي علي علاء الدين، فكان يوم الجمع مشهوداً ومشهوراً أفاض على العدو شروراً، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريباً من الحضرة القادرية»[1].

---

(1) غرائب الاغتراب ص30

وظلت المدرسة مزدهرة بطلاب العلم الى أن داهمها الغرق والطاعون اللذان عما بغداد سنة 1246هـ/1830م فتخرّبت، وتشعثت، ولم تعد صالحة للتدريس، ولذا نُقل التدريس الى المدرسة القادرية القريبة. ومع ذلك فقد لبثت بقايا المدرسة شاخصة الى أن أزيلت تماماً عند شق شارع الملك غازي سنة 1957م.

أما الواقفة المحسنة فكانت وفاتها بدمشق، في طريق عودتها من مكة حاجة، ودفنت في مسجد شيدته هناك، عرف بمسجد عاتكة خاتون، سنة 1245هـ/ 1829م[1].

مدرسة نازندة خاتون

أنشأتها السيدة نازندة خاتون بنت مصطفى اغا زوجة والي بغداد حافظ علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م) في محلة الحيدر خانة من محلات بغداد الشرقية، ورتبت لها مدرساً وإمامَين ومؤذنين ومحافظ كتب (مما يدل على وجود خزانة كتب فيها) وقارئ دَور، وقندلجي، ومسجد، ورئيس محفل، وكناس، وبواب المصلى، وبواب الجامع، وواعظ شهر رمضان، وممجِّد في ليالي رمضان.

ولم يحدد عدد الطلبة في هذه المدرسة، لكن الواقفة خصصت لهم نفقة باسم (نفقة الطلبة) تقدر بأربعة آلاف قرش كل سنة، تُدفع لهم عَيناً على شكل خُبز وشمع، فضلاً عن رواتب العاملين في هذه المؤسسة، وهي رواتب عالية إذا ما قيست برواتب أمثالهم من العاملين في المؤسسات التعليمية والدينية المشابهة، فبلغ راتب المدرس ثمانية الاف قرش رائج، ولمحافظ الكتب ستمائة قرش، ولماء السبيل في سقايتها ألف وثمنمائة قرش. ووقفت للإنفاق على ذلك كله أوقافاً جمة، هي جميع بستان الجلبية في البصرة، وجميع الخان الشهير بخان الباشا مع الدكاكين الثمانية المتصلة به الواقع في قصبة الحلة الفيحاء «وقفاً صحيحاً شرعياً على مصالح الجامع الذي أنشأته الخاتون. مع المدرسة الكائنة فيه إنشاءً لوجه الله» في وقفيتها المؤرخة في شعبان من سنة 1263هـ/1846م[2].

وتوفيت الواقفة سنة 1284هـ/1866م[3].

---

(1) البغداديون ص333-335.

(2) المصدر نفسه.

(3) البغداديون ص339.

مدرسة مُنوَّر خاتون

كانت هذ المدرسة في الأصل ثكنة للمدفعية تعرف بقشلة الطوبجية، وباتصالها من جهة الطريق المؤدي الى حمام المالح قهوة [خانه]، فاشترتها السيدة مُنوَّر خاتون زوجة والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير 1192-1217هـ/1778-1802م وجعلتها جامعاً وألحقت به مدرسة، وعيَّنت في المدرسة مدرساً هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الفتاح بن محمود بن حجازي، وكان عالماً نابهاً له تصانيف عدة، وتوفي سنة 1313هـ/1895م، وخصصت ثمة حجرات لسكنى الطلبة[1]. وقد كتب على باب الجامع أبياتاً تشير إلى تاريخ بنائه وبانيه[2] وهي:

جامعٌ للأنوار لاحَ محررٌ	في جبين الزوراء الله أكبرُ
أسسته على التُقى من حَلالِ	فحكى المسجد الحلال المُطهَّر
زوجُ فرد الزمان أعني سليمـ	ـان أبا صادق الوزير المُظفَّر
هي أم الخيرات ذات المبرّا	ت التي في ذرا المنابر تُذكر
قلتُ إذ أكمَلَته بالخير أرِّخ	(جامعٌ للأنوار شادَت مُنوَّرُ) 1267

ومن مآثر هذه السيدة أنها ألحقت بمدرستها خزانة حوت جملة وافرة من الكتب. ووقفت على الجميع عدة أراض ومُسقَّفات، منها الأراضي الواقعة في الحلة المسماة علاجية وهمينة ونصف البستان المسماة بسين[3].

ويلاحظ أن تاريخ الوقف جاء سابقاً على تاريخ الفراغ من بناء هذه المنشآت بمدة غير قليلة، وتاريخ الوقفية هو سنة 1241هـم 1825م بينما تاريخ إتمام البناء هو سنة 1267هـ/1850م.

وقد استمر التدريس قائماً في المدرسة إذ تعاقب على التدريس فيها نخبة من أشهر علماء بغداد، منهم العلامة عبدالوهاب النائب (1269-1354هـ/1852-1925م)

---

(1) عباس بن رجب: فصل من كتابه (نيل المراد في أحوال العراق وبغداد) في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) ص42.

(2) الآلوسي: مساجد بغداد ص34 والعقد اللامع ص212 وخير الزاد ص292.

(3) البغداديون ض338.

والشيخ حسين فوزي، والشيخ كمال الدين الطائي، والشيخ عبد القاهر بن عبد الرزاق خطيب جامع أبي حنيفة، وهو آخر من تولى التدريس فيها .

مدرسة نائلة خاتون ببغداد

أنشأتها السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم اغا سنة 1291هـ/1874م تجاه جامع الحيدرخانه ببغداد، وألحقت بها مسجداً وخزانة كتب ضمَّت نوادر المخطوطات في مختلف العلوم، وعيَّنت فيها مدرساً وإماماً ومؤذناً وخادماً ومحافظاً للكتب، ووقفت لإدامة الإنفاق عليها عقارات عديدة، منها أربعة بساتين في قرية الهُوَيدر من أعمال بعقوبة، وحصتها البالغة ثلاثة أرباع نخيل وأشجار البساتين المعروفة بعلاف وخشخشية في الحلة، والتي أرضها من الأراضي الأميرية، ونصف الحصة الشائعة من النخيل وسائر الأشجار من بساتين فنبان في قرية الحاج عبيد من أعمال الحلة، والتي أراضيها أميرية ايضاً، وكذلك الخانين الكبير والصغير المعروفين باسم خان الدفتردار[1] قرب سوق سرير جيلر (صناع الأسِرَّة)، والدكاكين الأربعة، والحصة الشائعة البالغة الربع من المخزن الواقعات باتصال الخانَين المذكورين.

ودار الحَرَم الواقعة في المحلة المذكورة، وبساتين عديدة في قصبة بدرة، ومندلي، ودار في محلة جديد حسن باشا .

وشرطت أن تُصرف غلة هذه العقارات أولاً على تعمير المواضع التي تحتاج الى عناية من المدرسة، ثم ينفق ما تبقى على النحو الآتي:

75 قرش صاغ شهرياً للإمام

50 قرشاً صاغ شهرياً للمؤذن

300 قرش صاغ سنوياً لتلاوة الوتريات في ليالي رمضان

300 قرش صاغ سنوياً لسقاء الماء في المدرسة

720 قرش صاغ سنوياً لحافظ الكتب في المدرسة .

وشرطت أن يتراوح عدد الطلبة «ممن هم فقيري الأحوال، أو غريبي الدار» بين خمسة طلاب وعشرة، «وأن يعطى لكل واحد منهم يومياً قرشان صاغ»، وأن يعطى

---

(1) شيدت على أرض هذين الخانين عمارة الدفتردار.

لكل طالب أربعمائة درهم من الشمع للإضاءة، وأوقفت عليها كتباً مخطوطة وغير مخطوطة[1].

وذكر عبادة في وصفه هذه المدرسة «كان جلوس الطلبة وتدريس المدرس في طاق كبير مُطل على الطريق، مُزيَّن بالمرآة، ومطلي جدرانه بالأصباغ الملونة. ولما وُسِّعت الجادة العمومية أخذ لها الدار الملاصقة له والمقابلة لها، والتي هي من جملة أوقافها، فتهدمت ثم بُنيت جميعاً مجدداً سنة 1340هـ/1921م»

ونقل أبياتاً كانت على باب هذه المدرسة تتضمن بيت التاريخ، وهي:

دَع ذكر نازندَه في وقتها	وما بنته من بناء نبيل
وانظر إلى ما قد بنت بعدها	نائلة الخير بباع طويل
وأوقفت لله ما قد أوقفت	مدرسةً ليس لها من مثيل
وشيدت أركانها حسبةً	والله يجزيها الجزاء الجميل
وأصبح العلم مقيماً بها	مخيماً ليس يريد الرحيل
ليهنها إن سلكت فعلها	في طرق الخيرات قصد السبيل
قد قلتُ لما أرسلت أرِّخوا	(نائلة الخير نالت مُراد الجميل)

1291

وتوفيت الواقفة سنة 1294هـ/1877م.

وكان من حظ هذه المدرسة أن تعاقب على التدريس فيها عددٌ من كبار العلماء ببغداد، منهم العلامة اسعد افندي الدوري، ومفتى بغداد العلامة قاسم القيسي، والشيخ محمد القزلجي، والعلامة الشيخ نجم الدين الواعظ، وكل منهم تخرج على يديه نخبة من خيار الطلبة الذين تولوا مختلف المناصب الثقافية والشرعية في العراق[2].

---

(1) العقد اللامع ص252.

(2) العقد اللامع ص255.

ثالثاً: إنشاء الربط والزوايا والوقف عليها

رباط فاطمة للنساء

أنشأته السيدة فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية، المتوفاة سنة 521هـ/ 1127م، وكانت واعظة متعبدة محدثة، تتلمذ عليها العلامة ابن الجوزي صغيراً إذ سمع منها كتاب (ذم الغَيبة) لإبراهيم الحربي، ومن مجالس ابن سمعون روايتها عن ابن النقور عنه، ومسند الشافعي وغير ذلك، وترجم لها، وقال: «لها رباط تجتمع فيه الزاهدات»[1].

رباط بَنَفشا للنساء

أنشأته السيدة بَنَفشا بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي، في سوق كان يعرف بسوق المدرسة، قريباً من المدرسة النظامية بشرقي بغداد، وقد جعلته للنساء الصوفيات. وجرى افتتاحه في الأول من رجب سنة 573هـ/24 كانون الاول 1177م، وأوكَلَت إدارته الى أخت أبي بكر الصوفي شيخ رباط الزَوزَني، أحد مشاهير الصوفية في ذلك العهد[2].

رباط المأمونية

أمرت ببنائه السيدة زُمُرُد خاتون، وافتتحته سنة 579هـ/1183م[3]. وكان يقع في محلة المأمونية شرقي بغداد فنسب اليها، ويظهر أن هذه السيدة لم تشأ ان تقتصر مهمة رباطها على العبادة والإعتكاف –كما هي مهمة الكثير من أمثاله– وإنما أرادت أن يكون داراً للثقافة والعلم. فألحقت به خزانة كتبٍ حَوَت كتباً قيمة، عرفنا منها واحداً، هو كتاب (الفنون) لأبي الوفاء ابن عقيل البغدادي، يكاد يؤلف، وحده، خزانة كتب قائمة برأسها فقد قُدِّر عدد مجلداته بمائتي مجلد وقيل 470 مجلداً.

رباط الأصحاب

أنشأته السيدة زُمُرُد خاتون أيضاً بجوار مشهد عُبيد الله العلوي (حيث دفن الخليفة المستعصم بالله فيما بعد، وهو في الأعظمية اليوم) وتعهدته بالعناية، فحين

---

(1) المنتظم ج10 ص 27.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج5 ص365.

(3) المصدر نفسه ج8 ص48.

أصابه الغرق سنة 646هـ/1248م وهُدم، تولّت هذه السيدة تجديده، وإعادته على ما كان عليه أول مرة، وجرى افتتاحه سنة 650هـ/1252م. قال صاحب كتاب الحوادث في حوادث تلك السنة «وفتح الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر، مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام، وعمل فيه دعوة، وكان قد تشعّث منذ الغرق وأجري على ما كان عليه أولاً»[1].

رباط الفَيروزجيّة

أنشأته عائشة إبنة الخليفة المستنجد بالله المعروفة بالفَيروزجيّة (المتوفاة 640هـ/1242م)، وكانت صالحة مُسنَّة بِكراً، رأت عدة من الخلفاء، أباها المستنجد بالله، وأخاها المستضيء، وابن أخيها الناصر، وابنه الظاهر، وابنه المستنصر، ثم ابنه المستعصم، وقيل أنها قاربت الثمانين، وبنت ببغداد رباطاً يُعرف بها[2].

رباط السيدة هاجَر في بغداد

أمرت ببناء هذا الرباط السيدة هاجر زوجة الخليفة المستنصر بالله، وام الخليفة المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين، المتوفاة سنة 646هـ/1248م، الى جانب تربة (مدفن) أنشأتها لنفسها في شارع ابن رزق الله احد شوارع الجانب الغربي من بغداد،[3] واستغرق بناؤه عدة سنين بعد وفاتها إذ جرى افتتاحه كما يذكر صاحب كتاب الحوادث سنة 650هـ/1252م. قال في حوادث تلك السنة «وفيها فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصم بعمارته الى جانب تُربتها بشارع ابن رزق الله وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة وكان الخليفة في سطحه وعملت فيه دعوة عظيمة وخُلع على كل من تولى عمارته»[4].

والسيدة هاجَر هي،كما وصفها ابن طباطبا الطقطقي «من بنات الناس»، أي من عامة الشعب، أصلها من بَندَنيجَين (مندلي الحالية) وكانت «ذات بُروج ونُسُك»[5]

(1) كتاب الحوادث 305.

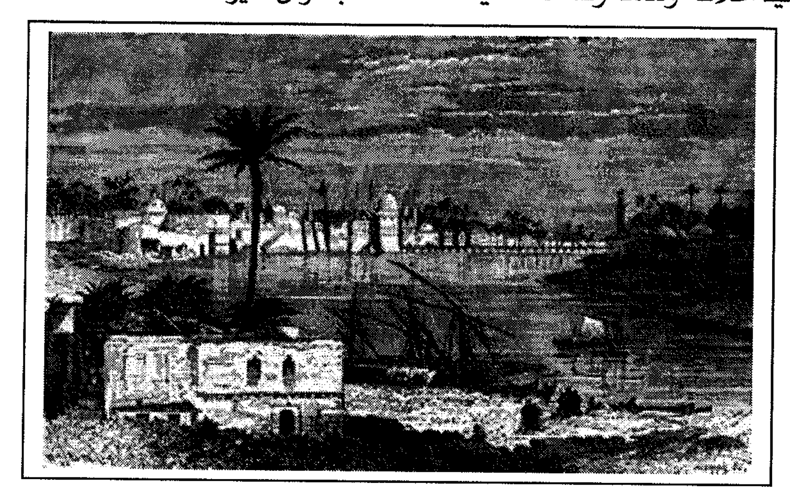
(2) المنتظم ج10 ص250.

(3) كان هذا الشارع مجاوراً لنهر عيسى الآخذ من نهر الفرات والنافذ بين دروب الجانب الغربي الى دجلة عند جامع قمرية في الكرخ.

(4) كتاب الحوادث ص304.

(5) ابن طباطبا الطقطقي: الأصيلي الورقة 127.

ووصفها صاحب الحوادث بانها «كانت راغبة في فعل الخيرات والمواصلات[1] للفقراء، حجّت في خلافة ولدها وتصدقت في تلك السنة بأموال كثيرة»[2].



بغداد سنة 1837

يظهر عن يمين الصورة جامع قمرية، وعن يسارها قلعة بغداد، تتلوها مباني السراي وقصور المماليك، فجامع الوزير، ثم جسر بغداد العائم، فجامع الاصفية وبعده المدرسة المستنصرية

رباط العِصمَتية

ومن مبرات السيد شمس الضحى الأيوبية، أنها أنشأت إلى جوار مدرستها المعروفة بالعصمَتية، عند مشهد عبيد الله بن عمر، رباطاً للمتصوفة، وجرى افتتاح هذا الرباط مَع المدرسة سنة 671هـ/1272م[3].

وقفية خوري بنت منصور على تكية الحاج بَكتاش

وقفت السيدة خورى بنت منصور، من أهالي قصبة بَندنيجَين (مندلي) البستان، المعروف باسم بستان سُوَيد في البلدة المذكورة على (تكية) الحاج بكتاش ولي، على أن ينُفق المتبقي من الغلة على تعمير البستان نفسه، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في جمادي الاولى1113هـ/تشرين الاول 1701م.

(1) المواصلة هنا : المحبة وبذل الصلات.

(2) كتاب الحوادث ص262.

(3)كتاب الحوادث ص408

وقفية صالحة بنت السيد علي البَندنيجي على تكية البندنيجي ببغداد

تكية مشهورة ببغداد، أنشأها الرجل الزاهد السيد علي البندنيجي (المتوفى سنة 1186هـ) في شرقي جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد،، والحق بها مدرسة لطلاب العلم، ووقف على مصالح التكية والمدرسة بعض العقارات في قصبة مندلي (بندنيجين) و«شرط أن يكون المتولي عليها أعلم تلميذ فيها».

وفي سنة 1257هـ/1841م وقفت السيدة صالحة بنت السيد علي البندنيجي بعض الأملاك على مصالح التكية، وهي جميع البستان الشهيرة ببستان رجب الواقعة على نهر السُوق من قصبة بَندَنيجَين، وكذا قطعة البستان الشهيرة بقطعة فاطمة خاتون الواقعة في المحل المذكور، وشَرَطت أن يرجع ثلث نماء الوقف بعد وفاتها «الى فقراء تكية والدها المرحوم السيد علي البندنيجي[1] يصرفه لطعامهم وشرابهم، وبعد انقراض ذريتها تعود غلَة الوقف جميعاً الى فقراء التكية المذكورة. وقد سُجِّل ذلك في 14 صفر من السنة المذكورة[2].

وقفية أم كلثوم على تكية البندنيجي ببغداد

ووقفت السيدة أم كلثوم خاتون بنت أحمد أفندي، من سكَنة كركوك، الثمن الشائع من نهر صَيدلان الواقع في ناحية زَنكباد «على تكية المرحوم ساكن الجنان السيد علي مَندَليجي الواقعة قرب محلة حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد[3]، بموجب وقفيتها المؤرخة في 3 ذي الحجة 1226هـ.

وقف مريم بنت إبراهيم على مصالح تكية البندنيجي ببغداد

وفي سنة 1325هـ/1907م وقفت السيدة مريم بنت حسين من أملاكها الدار الواقعة في فَضوَة عَرَب من محلات باب الشيخ، وبساتين ودكاكين في قصبة مندلي على ذريتها، ثم على مصالح مرقد السيد حسن الكائن في فضوة عرب، وبعد الإنقراض تكون الغلة والتولية بيد شيخ السجادة في تكية السيد علي البندنيجي، وسجلت الوقف في 3 من رجب من السنة المذكورة[4].

---

(1) يلاحظ الفارق الزمني بين تاريخ وفاة السيد علي البندنيجي وتاريخ وقفية السيدة صالحة.

(2) سجلات الاوقاف ج1 ص131.

(3) الأوقاف ج17 ص53

(4) الأوقاف ج4 ص175.

رابعاً: الخدمات الصحية والبلدية

مستشفى أم المقتدر

أشأته السيدة شَغَب، زوجة الخليفة المعتضد بالله، وأم الخليفة المقتدر بالله، في سوق يحيى على دجلة من الجانب الشرقي ببغداد (من أرض الأعظمية اليوم) وافتتحته أول محرم سنة 306هـ/14 حزيران 918م. وكانت ادارة المستشفى الطبية بيد رئيس الأطباء في عصره وطبيب الخلفاء، سنان بن ثابت بن قُرّه الحراني المتوفى سنة 231هـ/942م، فهو الذي يُعيِّن الأطباء في المستشفى ويشرف عليهم، أما الإدارة المالية فكانت بيد يوسف بن يحيى المنجم، ولم يكن ثمة تداخل بين عمل الإدارتين، وقد بلغت النفقة على هذا المستشفى في كل شهر ستمائة دينار (وهو مبلغ ضخم بحسب أسعار ذلك العصر)[1].

قنطرة السيدة بَنَفشا وجسرها في بغداد

من أعمال السيدة بنفشا بنت عبد الله زوجة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1180م) ذات النفع العام في بغداد، أنها أمَرَت ببناء قنطرة على نهر عيسى في الجانب الغربي من بغداد، وكان هذا يأخذ من الفرات ويصب في دجلة، وتسير فيه السفن، كما أمرت بعقد جسر جديد يصل بين أعلى دار الخلافة العباسية في الجانب الشرقي وما يقابله من الجانب الغربي، وهو باب الرقة حيث بستان الخلفاء[2].

دار الشفاء الإيكجية

أنشأتها السيدة مخدوم شاه الملقبة (إيكجي) في منتصف القرن الثامن للهجرة (14م) واليها نسبت، وكانت على جانب دجلة في الجانب الشرقي من بغداد[3].

بيت القضاة في بغداد

أنشأت عادلة خاتون (1112-1188هـ/1700-1774م) بنت والي بغداد احمد باشا، قرب المحكمة الشرعية ببغداد، داراً خصصتها لسكنى القضاة الذين كانوا يقدمُون إلى بغداد، ولم يكن ثمة دار تختص بهم قبل ذلك، وقد ذهب بعض الكُتّاب إلى

---

(1) ابن القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص122 وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1 ص272.

(2) ابن الساعي: جهات الأئمة الخلفاء ص113.

(3) التاريخ الغياثي ص93.

أنها أنشأت أيضاً مبنى المحكمة الشرعية نفسه[1]، بينما تشير النصوص الوقفية والتاريخية إلى أن هذا المبنى يرقى الى عصر سابق على عادلة خاتون إذ أشير اليه في وقفية حسين افندي المؤرخة سنة 1089هـ/ 1686م وفي وقفيته المؤرخة في سنة 1100هـ/1688م[2]. وذكر الشيخ عبد الله السويدي أنه كان يتلقى العلم في أول شبيبته في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18م) في المدرسة الأحسائية (جامع التكية الخالدية فيما بعد) على شاطئ دجلة «على يسار محكمة القاضي»[3]، فما وقفته عادلة خاتون كان الدار التي خصصته لإقامة القضاة، وكلهم كان يقدم إلى بغداد من مدن أخرى، وليس مبنى المحكمة نفسه[4].

وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن الدار التي وقفتها على سكنى القضاة كان في الأصل دارها[5]، وهي إشارة مهمة يؤيدها الدروبي حين نوه بأن هذه الدار «كان قصرها الذي تسكنه بجنب المحكمة الشرعية»[6]. ومن الراجح أن تكون قد عمَّرت المحكمة تعميراً شاملاً، أو أعادت بناءها على هيئة جديدة. ولاحظ الراوي أن المحكمة ليست من أوقافها كما يقول بعض الناس ظناً، لأن وقفية الجامع تنطق بالمحكمة الشرعية، وتعتبرها حداً من حدود ما وقفته، وقد كانت المحكمة قبل وجود الجامع المذكور وأوقافه.

وقد بقي الحال كذلك حتى أواخر العصر العثماني وأوائل عهد الدولة العراقية، غير أن دار سكنى القضاة تداعت ولم تعُد صالحة للسكن، ومع أن المحكمة الشرعية بقيت تزاول أعمالها في المبنى القديم، فإن البناء نفسه أصبح، في ثلاثينيات القرن العشرين آيلاً للسقوط ومُعرَّضاً للخطر.

---

(1) ذكر عبادة أنها «شرطت أن تكون محلا للقضاء ولسكن القضاة"، ولم نجد في وقفياتها ما يدل على هذا الشرط. العقد اللامع ص355 والآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص45.

(2) محمد سعيد الراوي: خير الزاد، تحقيقنا في ص109.

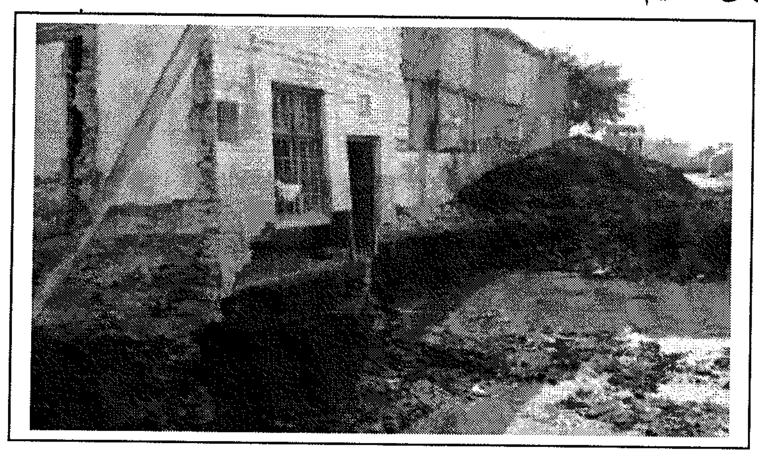
(3) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا ص70.

(4) وكان آخر من سكن تلك الدار من القضاة هو المرحوم محمد سعيد الحديثي قاضي بغداد الأسبق، وسمي الحمام المجاور للمحكمة الشرعية لهذا السبب (حمام القاضي)، وهو من أوقاف ليلى خاتون بنت جواد آغا، وقد هُدم هذا الحمام وبُني في مكانه سوق التجار حالياً. المميز : بغداد كما عرفتها ص168والدروبي: البغداديون ص125.

(5) خير الزاد ص109.

(6) فهرست الوقفيات المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية، الورقة 341ب. ونرجح أن تكون قد أنشأت قصرها هذا بعد وفاة زوجها سليمان باشا، إذ كان الولاة يسكنون حتى عهده في قصر مخصص لهم على شاطئ دجلة بينه وبين سراي الحكم.

وفي سنة 1352هـ/1934م شيدت وزارة العدلية (العدل) بناءاً جديداً للمحكمة في موقع المبنى القديم.



مكان المحكمة الشرعية بعد نقضها وإزالة أنقاضها سنة 2012

وكانت الواقفة قد دُفنت في مقبرة الإمام أبي حنيفة، وعند تجديد المحكمة، أقيم في وسط باحة المحكمة الشرعية القديمة قفص كبير ليضم رُفاتها بعد نقله من موقعه الأول. وقبل المباشرة بالهدم والبناء جرى الإتفاق بين المتولين السابقين من آل المميز، وبين وزارة العدلية، على تخصيص إحدى حُجرات المبنى الجديد لنقل الرُفات إليها، وقد تم ذلك سنة 1934، ونُقل الرُفات إلى حجرة خاصة تقع على الجهة اليسرى من مدخل المحكمة، ثم استخدمت هذه الحجرة – مع وجود القبر- مخزناً لسجلات المحكمة مدة من الزمن.

ولقد ظلت هذه المؤسسة النافعة تقوم بمهامها الإجتماعية لأهل بغداد منذ عهد الواقفة، وسُمِّيت محكمة الأحوال الشخصية في الرصافة. وفي سنة 2012 رأت الجهات (المسؤولة) أن تستفيد من موقعها المهم لأغراض تجارية بحتة، فكان أن أزالت مبناها بالكامل، وشيِّدت على أرضها سوقاً مقفلاً (قيصرية)، فزال بذلك مَعْلم مهم من معالم بغداد ارتبط بتاريخها نحو أربعة قرون أو يزيد.

سقاية عادلة خاتون في جامعها الكبير

ومن مبرّات عادلة خاتون أنها أنشأت سقاية كبيرة لتزويد جامع العادلية الكبير والمنشآت المجاورة، فضلا عن سائر الناس، بمياه الشرب. وكانت تلك السقاية تتألف من بئر عميقة تقع عند الشاطئ النهر، مقابل شريعة المحكمة، قد ثُبِّت فيها دولاب

(كَرْد) تحركه الدواب، فيرفع الماء من البئر إلى قناة عالية، مبنية على عقود من الآجر، أنشئت بجوار الزقاق النافذ من الشريعة المذكورة حتى تَقطَع، على قنطرة معقودة، درب راس القُريَّة فيجري الماء فيها حتى يصل إلى حوض خاص في الجامع، يستقي منه الناس، ودون أن تمَسَّه يد سَقّاء قط. وقد ورد في وقفيتها المؤرخة في سنة 1171هـ/1767م أن مما وقفته على جامعيها ومدرستها البئر والدولاب على دجلة والساقية القديمة الممتدة إلى الجامع الشريف المقابلة[1]، وأنها شرطت لـ «من يخرج الماء من البئر» راتباً يومياً قدره خمسة عشر آقجة، فضلا عن عشرين آقجة للسقّاء.

وقد أوقف العمل في الكَرد بعد تزويد الجامع والمنشآت الأخرى بالماء الصافي بواسطة الأنابيب المعدنية الحديثة والمضخات[2].

سقاية عادلة خاتون في جامعها الصغير

أنشأتها في مسجدها المعروف بالعادلية الصغير في محلة الدنكجية القديمة، على طريق الجسر القديم (جسر المأمون فالشهداء حالياً) وخصّصت راتباً لمن يقوم برفع الماء من بئر الجامع قدره خمسة عشر آقجة، وعشرين آقجة للسَّقاء[3].

وكان على باب المسجد لوحة من الرخام عليها ستة أبيات دالية فيها إشارة إلى السقاية وتاريخها، منها:

فلما زهى بُنيانُ باب دُخوله ... لنا وجَلى ماءٌ لظمآن من الصدَى

هناك اقتبسنا آيةَ الذكر أرِّخوا ... لربِّ السَما الهادي أُدخلوا البابَ سُجَّدا

(1161)

سوق القيصرية

أنشأته السيدة عادلة خاتون ايضاً، وكان هذا السوق يقع قريباً من سوق البزازين أحد أسواق الجانب الشرقي من بغداد[4]، في طريق ضيق عرف بطريق المصبغة، وقد وقفت فيه دكاكين أشير إليها في وقفيتها، ووصفها أمين المميز بأنها

---

(1) ينظر نص الوقفية في ملاحق كتابنا(عادلة خاتون) الطبعة الثانية.

(2) كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، بغداد 2002 ص112.

(3) عبادة: العقد اللامع وكتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب ص111.

(4) كتابنا: معالم بغداد ص219.

شيدت على أرض مساحتها تقرب من مائتي متر مربع، ولها مدخل يؤدي إلى فناء بمساحة 5×5 متر تقريباً. وفي المدخل سُلّمان يؤديان إلى الطابق العلوي، ويحيط بالفناء عدد من الدكاكين ومرافق، بينما يحيط الطارمة العليا عدد من الغُرَف و(مُسافرخانه) أي فندق. ويعلو الفناء سقف تتوسطه كُوَّة ذات مزاغل أشبه بالشبابيك مفتوحة من جهاتها الأربع، وذلك للتهوية ودخول أشعة الشمس[1].

خان عادلة خاتون في قوش تبّة

تقع بلدة (قُوش تبّة) على الطريق المؤدي من بغداد إلى أربيل، على مسافة لا تتجاوز 30 كم عن مركز الأخيرة، وقد نُسبت البلدة إلى تل عال مجاور سُمِّي بهذا الاسم، ويعني تل الطير، وهي اليوم بلدة زاهرة متنامية.

وقد ذكر نيبور أن الفضل في تأسيس بلدة قوش تبه، يعود إلى هذه السيدة وإلى أبيها والي بغداد أحمد باشا، فقال في رحلته «وقرية قوش تبَّه تسمى خان عادلة أيضا، ومع أن جميع أراضي هذه المنطقة كثيرة الخصب إلاّ أنها كانت إلى قبل بضعة أعوام صحراء قاحلة، خالية من السكان، ما خلا بعض الأكراد الذين يتجولون فيها في أوقات معلومة من السنة، وقد أمر أحمد باشا والي بغداد بحفر بئر وإقامة دار للراحة في هذا المكان وذلك لتسهيل الطريق على السُعاة وموظفي البَريد. كما أمرت ابنته عادلة خاتون بتشييد خان لتأمين راحة المسافرين والمستطرقين».

وأصدر الباشا فرماناً[2] يقضي بمنح الحرية وحق زرع الأراضي المحيطة بهذا المكان لكل من يرغب السكنى فيها من الفلاحين، و«بهذه الطريقة تكونت قرية كبيرة في مدة وجيزة من الزمن»[3].

ويُعد خان عادلة خاتون في قوش تبّة أنموذجاً واضحاً على مجموعة الخانات التي أنشأتها هذه السيدة المُحسنة في أنحاء مختلفة أخرى من العراق، فهو يشغل مساحة مستطيلة في جنوبي القرية، ويتألف مبناه من مدخل حصين، حيث يبلغ ثخن الجدار الخارجي نحو المتر، وإذا دَلَفَ زائره إلى الداخل رأى حجرة مقببة،

---

(1) بغداد كما عرفتها ص105.

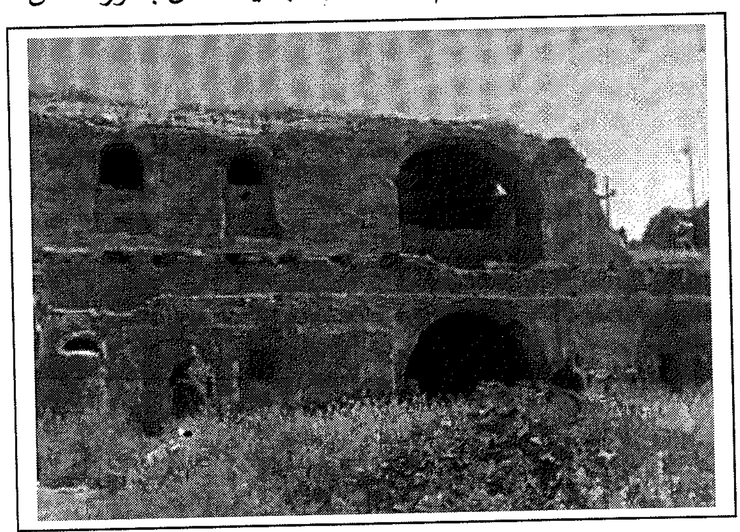
(2) الفرمان هو الأمر الصادر من السلطان حصراً، وكان الأولى ان يسميه (بيوراولدي) وهو مصطلح تركي بمعنى (تفضل بـ) وكان يختص باصداره الولاة.

(3) نيبور: رحلة ص89.

يُنفذ من يسارها عبر إيوان عال إلى فسحة مستطيلة مكشوفة، وإذا نفذ إلى اليمين رأى مخرجاً لحجرة مشابهة لكنه مغلق حالياً، أما إذا تقدم إلى الإمام فسينفذ من خلال عقد عال إلى رواق صغير على هيئة الحجرة السابقة يطل من واجهته على فناء واسع، وعن يمينه حجرة مقببة لها نافذتان، أما عن يساره فحجرة مقببة مشابهة لسابقتها، ولها نافذتان تطلان على الفناء، وثمَّ سلم عال يبدأ بالصعود من مكان في مدخل الحجرة اليمنى المشار إليه سابقاً ويدور فيصل بالصاعد إلى الطابق العلوي، ويتخذ هذا الطابق في تصميمه وارتفاعه ومواد بنائه هيئة الطابق المذكور، ففيه حجرة مقببة وتوجد عن كل من يمينها وشمالها حجرتان مشابهتان.

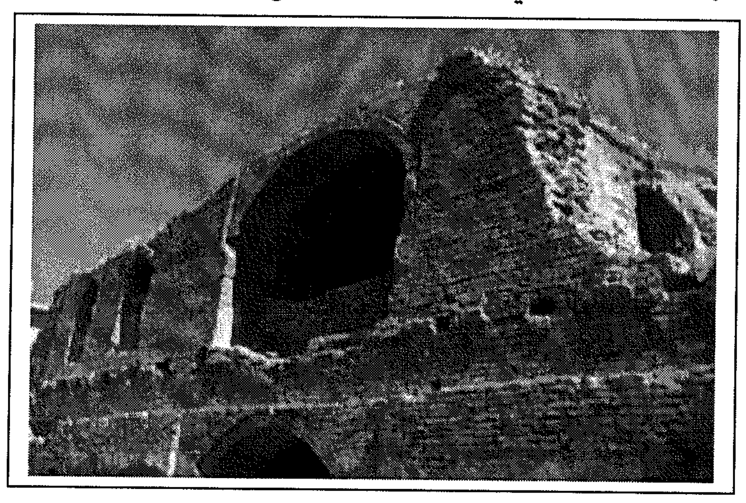
وثمة جناحان يتصلان بجناح المدخل هذا من يمين وشمال، فأما الذي من يمينه فيتألف من حجرتين مقببتين تتصل كل منهما بالأخرى، أعدت لتكون مطبخاً للنازلين في الخان، وثمة مرفق صحي في نهاية هذا الجناح. أما الذي عن الشمال فيتألف من إيوان كبير، يظهر أنه أعد لراحة النازلين. وقد أضيفت في وقت متأخر ثلاث حجرات إلى هذا الجناح، من طابوق نيء وفُصل الإيوان المذكور بجدار في وسطه.

وفِناء الخان يتخذ شكل مستطيل كبير، بُلط القسم القريب من جناح المدخل بالآجر الفَرّشي، وفي وَسَطه آثار بئر للماء، وثمّة صفٌ من حُجُرات وأواوين في الجهة المقابلة من الخان، نُقض ولم يبق منه إلا بقايا تتصل بسور الخان.



خان عادلة خاتون في قوش تبة- جناح المدخل (تصوير المؤلف)

بني الخان بقطع من الآجر المفخور، حسن الصنع، من حجمين مختلفين، وقد أحيطت نوافذ الطابق العلوي بإفريز يعلو عقده تاج تساقط معظمه.



خان عادلة خاتون في قوش تبة- جناح المدخل (تصوير المؤلف)

ذكرنا أن الخان يبعد عن مركز أربيل، أي قلعتها الأثرية، نحو ثلاثين كيلو متراً، ومعنى هذا أن عادلة اختارت أن تنشئ خانها على بعد مرحلة كاملة من أربيل، والمرحلة ما كانت تقطعه القوافل في النهار الواحد، وتقدر بخمسة فراسخ، ويساوي الفرسخ 6 كم، ولنا هنا أن نتساءل: وماذا عن المراحل الأخرى في طريق يبلغ نحو 400 كم، فيها الكثير من المفاوز والقفار، إن منطق الأشياء يقضي أنها أنشأت خانات أخرى على طول هذا الطريق، لأنه لا يعقل أن تنشئ خاناً في قوش تبة، وتترك سائر الطريق خالياً من أي منزل يمكن أن تبيت فيه القوافل، أو تحتمي فيه من أي تهديد محتمل، وإلاّ لا يكون لخانها في قوش تبة أي جدوى عملية إذاً، وقد أسعدنا الحظ أن وقفنا على إشارة مهمة تدل على وجود خان في بلدة آلتون كوبرى[1]، على الزاب الأسفل، وهي بلدة تبعد عن خان قوش تبة بنحو 30 كيلو متراً أيضاً، أي مسافة مرحلة كاملة، ومجرد وجود هذا الخان يدل على احتمال وجود خانات أخرى بين كل مرحلة وأخرى، لا سيما في الفضاءات التي تقع في

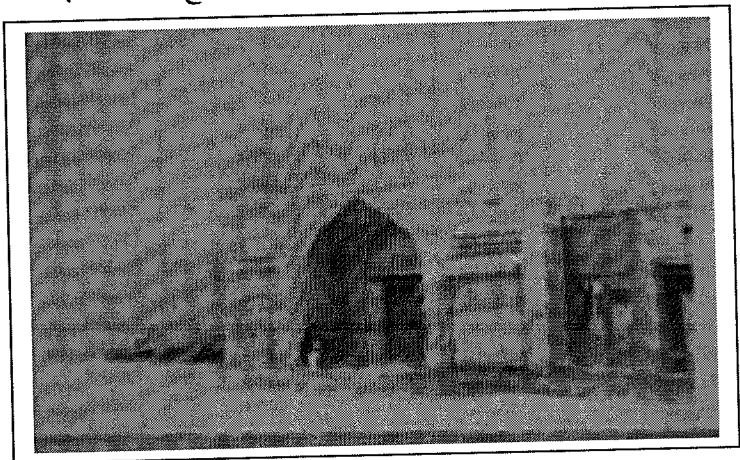
(1) ذكر الرحالة ليكلاما في أثناء مروره بالبلدة أنه كان ثمة خان في آلتون كوبري «كان سابقا كاروان سراي جميل واليوم مهدم"

Lycklama, voyage en Russie,au Caucase et en Perse,dans la Mesopotamie le Kurdistan, 1866-1867 et 1868, Amesterdam, P.88.

خارج المدن. ومن المؤسف أننا لا نمتلك معلومات كافية عن تلك المنشآت وما آل إليه مصيرها، نظراً لسكوت الرحّالين عن ذلك، وهنا علينا أن نتذكر أنه حتى خان قوش تبّه، على أهميته وضخامته، ما كنا لنسمع به لولا ما نوه به الرحالة نيبور من إشارة فريدة بشأنه.

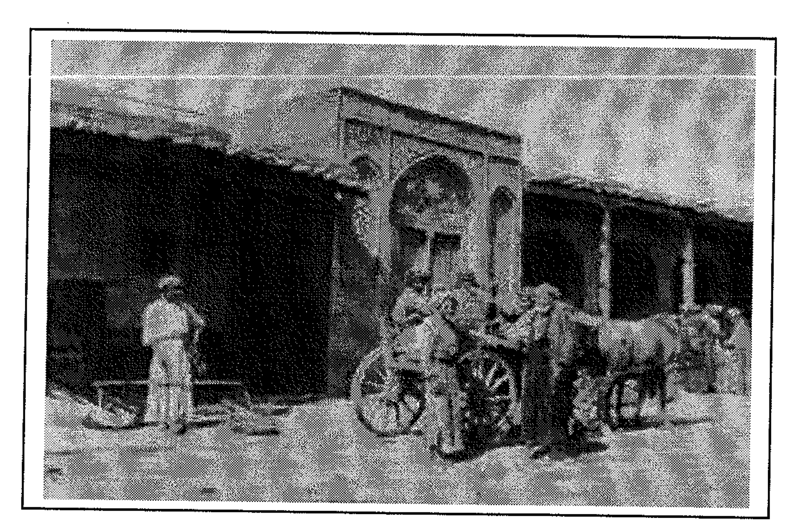
خان المحمودية

ومن مَبرّات عادلة خاتون أنها أنشأت خان المحمودية الذي يصفه نيبور بأنه بين خان النص وخان آزاد، على طريق الحلة، وقد نشأت عند هذا الخان على الفور قرية نُسبت إلى الخان، فقيل لها المحمودية، ومر بها نيبور في 5 كانون الثاني سنة 1766م، فقال «قرية المحمودية التي بنتها قبل بضع سنوات فقط عادلة خاتون زوجة سليمان باشا»[1]. وقد نمَت هذه القرية في القرن التالي حتى أصبحت بلدة كبيرة، واليوم هي مدينة مهمة تعد مركز قضاء باسمها تابع لمحافظة بغداد.



أما الخان فهو أنموذج آخر على الخانات التجارية التي أنشأتها عادلة خاتون، من حيث المتانة والسعة ووفرة الخدمات، وهو في تصميمه العام شبيه بالخان الذي أنشأته في قوش تبه، ويمكن وصف عمارته بأنه يشغل أرضاً مستطيلة، له مدخل عال يتألف من طابقين، يبرز عن سور الخان الخارجي، ويوجد في الطابق الأرضي ايوان كبير من الخارج، مُدبّب الرأس، ينفذ منه، من خلال باب، إلى الداخل، ويعلو الباب من الداخل عقد مدبب، وهو مفتوح على فناء الخان.

(1) رحلة نيبور ص148.



أما الطابق العلوي فيوجد فيه ايوان مشابه للإيوان الأرضي، ولكن لا يوجد على جانبيه جناحان كما في خان قوش تبة، وإنما يزين هذا الطابق من خارجه، صف من الزينة الآجرية على هيئة أواوين صغيرة مصمتة، وثمة نافذتان على شكل عقدين مدببين عن يمين الباب الخارجية وشمالها. ويحيط بالفناء أواوين معقودة على شكل نصف دائري يبلغ عددها (34) ايواناً في جهتيه الشمالية والجنوبية يقابلها (40) إيواناً اخرى في الجهتين الشرقبة والغربية، وأمام كل ايوان معلف وحلقة حديدية مثبتة بعمود من الخشب تستخدم لربط الحيوانات. ويتوسط الفناء أيضاً، مصليان بشكل مستطيل يرتفع كل منهما نحو 1,5 م عن سطح الارض وقد فرشت أرضيتهما بالطابوق الفرشي[1]، وتتقدم أواوين الخان سقيفة خشبية مغطاة بالحُصر تستند على دعائم من الخشب، وكانت مُعدّة لسكنى من ينزلون فيه واستراحتهم. وفي وسط الخان كان ثمة بئر يستخدم لإرواء الناس والدواب. ويلاحظ أن الخان يخلو من موضع خاص بالدواب عن شمال المدخل، كما في قوش تبّه، وإنما تربط الدواب في ركن يلي المدخل من الداخل مباشرة. والبناء كله مشيد بالآجر المفخور، وبحجم واحد في أغلبه، مما يدل أنه أعد خصيصاً لبنائه، ولم يكن منقولا من مبان أخرى.

ما زال الخان شاخصاً، وقد أحاطت بجدرانه صفوف من الدكاكين، وهو يعد أكثر المواقع التراثية أهمية في مدينة المحمودية الآن.

(1) علي هادي المهداوي، موقع على الأنترنيت.

تعمير جامع الكوفة

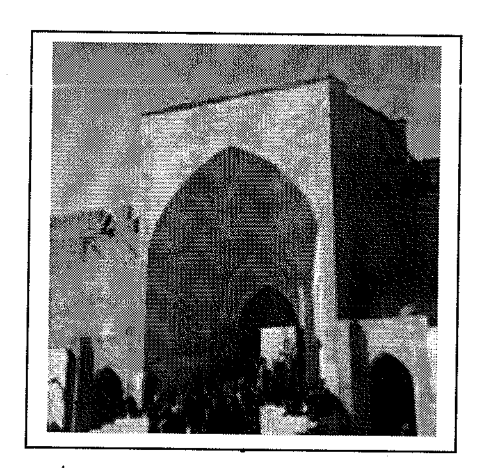
لم تقتصر عناية عادلة خاتون على إنشاء أو تعمير الخانات التجارية في الطرق الخارجية، وبناء الجوامع والمدارس ومشاريع الخدمات العامة في المدن، فحسب، وإنما سعت إلى تعمير بعض المعالم الإسلامية الكبرى في العراق، ومن أهم تلك المعالم مسجد الكوفة الشهير، وكان هذا المسجد الكبير قد أصابه، بعد اندثار الكوفة نفسها في القرون المتأخرة، شيء كثير من الإهمال، فتشعثت أركانه، وتهدم جانب كبير من جدرانه الخارجية، وتعطلت وظائفه، حتى وصفه نيبور، وقد مر به سنة 1179هـ/1765م، بـ «الجامع المتهدم»، وصار يؤدي- في أكثر تقدير- دور محطة على طريق زوار النجف الأشرف، فعمدت هذه السيدة إلى صيانة المسجد، وترميم جدرانه، وكانت جدرانه من ناحية الشمال الغربي قد انهارت بالكلية، فأعادت هي تشييدها، وبحسب نيبور فإنها رممت بعض تلك الجدران وشيَّدت البعض الآخر، ثم أن هِمَّتها انصرفت إلى العناية ببعض المشاهد التاريخية والمقامات الدينية التي يضمها الجامع، وإحداث إضافات فيه، من ذلك أنها أمرت بإنشاء بناية صغيرة ذات قبة واحدة، قرب الجامع ضمت عدة مواضع مهمة، ومن المعلوم أن ضخامة هذه الجدران المفرطة وارتفاعها كان يستلزم نفقات كبيرة وجُهداً بالغاً عهد ذاك[1].

وإذ أشاد نيبور بهذه الأعمال، فإنه ذكر أن من قامت بها عادلة خاتون زوجة سليمان باشا، وقال «التي توفيت منذ بضع سنوات»، وهذا غريب فعلاً، لأنه زيارته لهذا المسجد كانت في يوم 22 كانون الأول سنة 1765م ويوافق 9 رجب 1179هـ، بينما كانت وفاة عادلة في سنة 1188هـ/1774م، ويظهر أنه أراد أنها بَنَت ما بَنَت قبل بضع سنين، فهذا يتسق مع ما ذكره عن قرية المحمودية التي مرَّ بها بعد أقل من اسبوعين من هذا التاريخ[2]، وهكذا يكون إنشاؤها لهذه الأماكن في أواسط العقد السابع من ذلك القرن تقريباً.

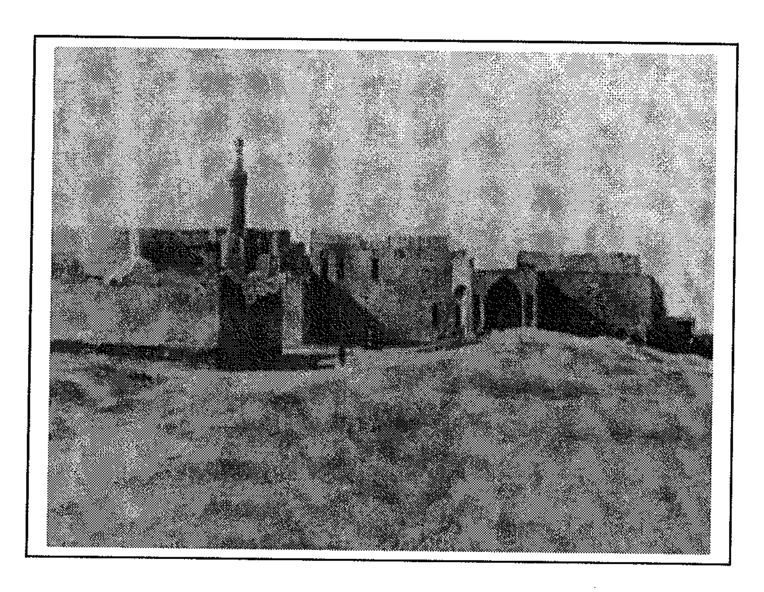
---

(1) في سنة 1290هـ/1873م نزل الكوفة بعض الناس وبنوا فيها بيوتاً من القصب على ضفة الفرات اليمنى، فكانت تلك البيوت نواة لحركة عمرانية نامية، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عُدّت الكوفة ناحية تابعة لقضاء النجف. كتابنا: الأسر الحاكمة ص351.

(2) رحلة نيبور ص1148.



بوابة مسجد الكوفة



مسجد الكوفة (صورة قديمة)

سقاية سُكَينة بنت محمد

أنشأت هذه السقاية الحاجة سُكينة (وتعرف أيضا باسم سكي) بنت محمد في مسجد كانت تتولاها أسرتها منذ سنة 1048هـ/1638م، وموقعه في الأرض التي شغلتها قشلة بغداد، وكان موضع السقاية منه مما يلي باب الجامع من شرقيه في السوق، ورتبت من يُعنى بالسبيل (مُسبِّلا) وسقاء ماء إلى حوض السبيل، وشرطت للأول يوميا خمس آقجات وللثاني ست آقجات، ولبثت هذه السقاية قائمة حتى

هُدمت في عهد ولاية مدحت باشا سنة 1286هـ/1868م، وقيل أن كتابات أثرية حطمت في أثناء هدمها[1].

سقاية وهبي خاتون ببغداد

انشأتها السيدة وهبي خاتون بنت عبد الله «في سوق المرحوم عبد الله باشا» ببغداد، ولا نعرف مكان هذا السوق، ووقفت لتعميرها والانفاق على سائر لوازمها من العقارات الحديقة الواقعة في ناحية بدرة من مضافات مدينة بغداد، عند خَرق البكتاشية، والحديقة الواقعة في قرية زَرباطية التابعة للناحية المذكورة حسبة لله تعالى، وذلك في 20 ذي الحجة سنة 1179هـ/24 كانون الثاني 1782م[2].

سقاية فاطمة خاتون على جامع النعمانية

أنشأت فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي مسجدها الذي عرف بجامع النعمانية، نسبة إلى زوجها وهو متوليه، نعمان آغا، وذلك سنة 1185هـ/1771م، ووقفت عليها، وعلى الجامع أوقافاً جمة، وكان موضع السقاية من المسجد قرب بابها يُطل شباكها على الطريق، وفي سنة 1322هـ/1902م أعاد من اسمه عبد الحميد تعمير السقاية وكتب على رخامة فوق شباكها ستة أبيات دالية، من نظم الشاعر عبد الرحمن البناء، في ثلاثة أسطر، وبيت التاريخ هو

ترى الكوثر الصافي عليه مؤرخاً ... وُرودك حوضَ السلسبيل حميدا

سقاية نابي خاتون

أنشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبد الله، زوجة والي بغداد سليمان باشا الكبير، باتصال مدرستها المتقدمة (تنظر هذه المادة) سنة 1236هـ/1820م، ووقفت عليها عقارات جمّة أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب 1237هـ/1821م[3].

سقاية أمينة خاتون

أنشأتها السيدة أمينة خاتون، إحدى المحسنات ببغداد في العصر العثماني، وكتبت

---

(1) العقد اللامع ص277 وكتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، بغداد 2001، ص178.

(2) الأوقاف ج10 ص57.

(3) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط)

على جدارها أبيات يفهم منها تاريخ الإنشاء وهو سنة 1210هـ/1799م. وهذه الأبيات هي:

ذا سَلسبيلٌ ماؤه سَلسلُ	راق ومنه طاب نفساً واردُه
زلاله عذبٌ فراتٌ سائغٌ	شرابه يروي العِطاش باردُه
عينُ الرِّضا قد سَلسَله صافياً	موصولة لشارِب عوائده
خيراته أمينة من ريبة	نافعة والخير صاف شاهده
مُرصَّعاً بجوهر العقد أتى	تاريخه حوض (صفت موارده)
	1214

سقاية نازندة خاتون

أنشأتها السيدة نازندة خاتون بنت مصطفى آغا (توفيت سنة 1284هـ/1867م) وافتتحتها سنة 1263هـ/1846م[1]، وكانت تقع في الجامع الذي شيدته في محلة الحيدرخانه، قريبة من شارع الرشيد، يطل شباكها على الطريق، وخصصت لها من الأوقاف العيدة التي وقفتها مبلغاً قدره (1800) قرشاً رائجاً للإنفاق على صيانتها، وتزويدها بالماء على الدوام[2]. قال السيد محمد سعيد الراوي واصفاً الجامع «وأنشأت فيه سقاية للمارين والعابرين، مطلة على الطريق»[3] وذكر أنها كتبت على جدارها هذه الأبيات[4]:

لنازنده خاتون المحامد قد غدا	لها عند ذكر الصالحات ثناءُ
فكم عمَّرت لله بيتاً وكم بها	بجبر قلوب المُعدمينَ بناء
لأعمالها المَرضاة عند إلهها	من الصدقات الجاريات بقاء
فذي بقعةٌ من بعض آثار برِّها	بها منهلٌ عذب المياه صفاء

---

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون ص340.

(2) مجموعة من وقفيات بغداد.

(3) خير الزاد ص260

(4) عبادة: العقد اللامع ص172 وخير الزاد ص263.

أعدت لورّاد السبيل فأرِّخوا (بمَوردها للشاربين شفاءُ)

1263

وقد تعطلت هذه السقاية منذ أن لحق الخراب الجامع نفسه، في أوائل القرن العشرين[1].

وقفية عائشة بنت عبد القادر على سقاية آل مِدلج

كانت السيدة عائشة بنت عبد القادر آل مِدلج الرحبي، قد وقفت سنة 1240هـ/ 1670م بستاناً في الكاظمية على مصالح السقاية التي أنشأها جدها الشيخ مدلج (المتوفى سنة 1081هـ/1670م) في محلة عز الدين الجديداوي (قسم من محلة السنك اليوم) وأضافها إلى المسجد الذي أنشأه هناك وتعهدته أسرته بالعناية من بعده[2].

وقف كلي بنت علي في بغداد

أنشأ رجل يدعى عيفان بن صالح البناء، حماما فنسب إليه، وكان يقع في جانب من محلة الفضل، فعرفت المحلة لشهرته باسم (الفضل وعيفان)، بل عُد ما حوله محلة قائمة بذاتها، ثم أن الحاجة (كُلي بنت علي) اشترت هذا الحمام سنة 1309هـ/ 1891م ووقفته على ابنتها عوّاشة، وابن زوجها الحاج توفيق بن الحاج محمد، ثم على أولادهم من بعدهم، وبعد الانقطاع «إلى الفقراء والعلماء القاطنين في بغداد»[3].

سقاية نافعة خانم في بغداد

ومن المشاريع الخيرية ذات النفع العام، السقاية التي أنشأتها السيدة نافعة خانم بنت والي بغداد محمد رشيد باشا الكوزلُكي (1268هـ/1851-1856م) في محلة الميدان ببغداد لإرواء المارة وأبناء السبيل، وبعد وفاة هذه السيدة تولت أمها السيدة فاطمة خانم بنت أحمد بك، وهي زوجة الوالي المذكور، بإدامة الإنفاق على هذا المشروع الخيري إذ وقفت عليه سنة 1280هـ/1863م جملة من أملاكها في نواحي ديالى، وهي نصف الحصة الشائعة من عقارات قرية (عنه بكي) وهي التي عرفت

---

(1) أعادت الأوقاف بناءه ليكون مدرسة دينية باسم (مدرسة نازنده خاتون). ثم شيدت وزارة الأوقاف مدرسة بالاسم نفسه في شارع المغرب بين ساحتي الرباط والمغرب وأجرتها إلى وزارة التربية، وشغلتها (مدرسة المتميزات).

(2) المصدر نفسه.

(3) العقد اللامع ص300.

بالعنبَكيّة، من اعمال الخالص، ونهر بوازير مع توابعها «لتأمين بذل الماء لابناء السبيل وسائر عباد الله وإرواء العطاشى، وأن يَصرف عند الاقتضاء لتطهير وتنظيف قنوات السبيلخانة (السقاية) ولتعميرها ولسائر ما يلزم لها من مصاريف» وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 17 ذي الحجة سنة 1280هـ/25ايار 1864م[1].

سقاية نائلة خاتون

من مبرات السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم آغا أنها أنشأت على الطريق المؤدية الى قصبة الأعظمية، ضمن البستان المعروف بالبراني، سقاية لإرواء العطاشى في تلك الناحية، ووقفت عليها غلَّة قطعتي أرض ميرية برانية وشطانية، وشرطت أن «تُصرف الغلة على تعمير المحلات المحتاجة للتعمير من السبيلخانة (السقاية) التي بنتها وأنشأتها .. والكائنة في بستان البراني المار الذكر، وكذلك لتعمير المقابر الكائنة في نفس المكان، ولتعمير الموقوفات نفسها، وأن يتم وضع حباب وسائر ما يلزم في السبيلخانة المذكورة، وما يبقى من فضلة الغلَّة يُصرف منها سنوياً تسعمائة قرشاً صاغاً الى شخص مستحق يُعين سبيلجياً (ساقياً) وخادماً في السبيلخانة المذكورة، ويقوم ببذل الماء لعباد الله وإرواء العطاشى، وذلك أثناء اداء الوظيفة المذكورة» بموجب وقفيتها المؤرخة في 8 ربيع الثاني 1291هـ/26 ايار 1874م[2].

وجعلت الواقفة من هذه السقاية مدفناً لزوجها مراد افندي، المتوفى سنة انشائها، ثم مدفناً لها بعد وفاتها سنة 1294هـ/1877م. وقد بقيت السقاية قائمة للنفع العام حتى إزالتها عند توسعة شارع الامام الأعظم سنة 1935 ونقل رفاة دفينيها الى مقبرة الامام الاعظم. ولما بنى السيد عبد الحميد الدهان جامعه على قطعة ارض كانت تعود الى هذه الواقفة بنى فيه سقاية، وبناؤها موجود الى اليوم[3].

سقاية عطية بنت محمود اغا في جامع العاقولي

أنشأتها السيدة عطية بنت محمود اغا بنت عبد الله سنة 1310هـ/1892م باتصال جامع العاقولي في شرقي بغداد، ووقفت عليها داراً في محلة جديد حسن باشا، وشرطت إخراج ثلثمائة قرش من الآقجات الصحيحة لتلافي اجرة نقل الماء الى

---

(1) الاوقاف ج2 ص92

(2) مجموعة من وقفيات بغداد.

(3) كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص124-125.

السبيلخانة (السقاية) في جامع العاقولي الشريف، وأن يُعطي كذلك الى من يقوم بايفاء خدمة السبيلخانة المذكورة ثلثمائة قرش صاغ في العام» وذلك في وقفيتها المؤرخة في 21 صفر/19ايلول من تلك السنة[1]. ولم يبق للسقاية اثر، وقد علمت ممن عاصرها[2] أنها زالت في الاربعينات من القرن الماضي.

سقاية عطية بنت محمود اغا في جامع عثمان أفندي

وحينما انتفت حاجة جامع العاقولي إلى الماء الذي وقفته هذه السيدة المحسنة، ولعدم وجود ماء في مسجد عثمان أفندي، فإنها اشترطت أن يصرف ريع الدار التي وقفتها لإنشاء (سبيلخانه) في مسجد عثمان أفندي الواقع في محلة جديد حسن باشا، وأن يصرف سنوياً مبلغ ثلاثمائة غرش بالآقجات الصحيحة لمصاريف نقل وإيصال الماء إلى السبيلخانه المذكورة، وأن يصرف إلى الخدم والعاملين في خدمة السبيلخانه مبلغ ثلثمائة غرش سنوياً كذلك[3].

سقاية فطيم بنت محمد في بغداد

ووقفت السيدة فطيم بنت الحاج محمد بن عبد الله بستاناً لها في قضاء خريسان وثلاثة دور ونصف في محلة الميدان، ونصف دار أخرى في محلة البارودية ببغداد، على نفسها ثم –من بعدها– تصرف غلَّة الأملاك المذكورة على تعميرها وترميمها، والفاضل منها يُصرف منه أربعون قرشاً صاغا على السبيلخانة (السقاية) التي ستنشئها، الكائنة في محلة كُوكنظر، من ماء وأواني للشرب وغير ذلك، ويُعطى في كل شهر قرشٌ صاغ لمن يلي خدمة السبيلخانة المذكورة، هذا فضلاً عن تخصيصها مبلغاً من المال لتلاوة القرآن الكريم بموجب وقفيتها المؤرخة في 12 جمادى الاولى سنة 1324هـ/5تموز 1906[4].

سقاية هَيبَة الله في بغداد

أنشأتها السيدة الحاجة هَيبة الله خاتون بنت عبد الرحمن افندي بن محمد افندي (المتوفاة سنة 1337هـ/1919م) في سنة 1336هـ/1917م وكانت تقع باتصال

---

(1) مجموعة من وقفيات بغداد.

(2) خالي عبد القادر سعيد.

(3) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ص270–271.

(4) معالم بغداد ص5.

مسجدها الكائن في محلة النصَّة في الاعظمية (قرب دائرة البريد اليوم) وعيَّنت فيها «سبيلياً موكلاً بشؤون السبيل خانة (السقاية)» ورتبت له راتباً جارياً[1].

سقاية صفية خاتون

أنشأتها السيدة صفية خاتون بنت محمد افندي بن مفتي بغداد الشهير عبد الغني افندي آل جميل[2]، في باب جامع آل جميل[3] في محلة قنبر علي، ووقفت أربعة دكاكين واقعات في سوق الخياطين، وشرطت أن يعطى (350) قرشاً لتصرف على لوازمها وذلك في سنة 1315هـ/1898م.

وتوفيت الواقفة سنة 1322هـ/1904م ودفنت في الجامع المذكور.

وقفية حُصَّة خانم آل الزيبق على وجوه الخير

وقفت السيدة حُصَّة خانم بنت عبد الله جلبي بن الحاج سليم جلبي الزَيبَق حصتها في الحمام الواقع في محلة الفحامة، وفي الحديقة وبئر الماء والخرابة الكائنة في المحلة المذكورة، على وجوه الخير، في وقفيتها المؤرخة في 7 ذي القعدة سنة 1331هـ/1913م.

خامساً: وقفيات على اعمال خير متنوعة

ثمة وقفيات كثيرة قامت بها نسوة فضليات على مختلف وجوه الخير، مثل الإتفاق على الفقراء، ومنهم فقراء الحرمين الشريفين، وفقراء من نجد، وعلى قراءة القرآن، وعلى الذرية، وعلى أشخاص بذواتهم، منهم علماء، وطلبة علم، ومماليك، وعلى إطعام الطعام، وأعمال بر أخرى، منها :

الواقفة	التاريخ	الموقوف
خجَّة خاتون بنت عيسى	رجب 1254	دار في محلة إمام طه

(1) مجموعة من وقفيات بغداد.

(2) توفي سنة 1279هـ/1863م.

(3) جامع صغير، يقع تجاه بيت عبد الغني آل جميل، ويضم قبور أسرته، أنشأه محمد أفندي آل جميل والد المفتي عبد الغني، وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن «فيه مصلى صغير واقع على يمين الداخل إليه، أمامه صفة صغيرة، وعلى شمال الداخل حجرة معدة لجلوس الإمام، الذي هو خطيب أيضاً، وعلى يسار الداخل حجرة متخذة تربة لآل جميل" خير الزاد ص305.

مريم خان بنت محمد	17 شعبان 1303	3 دور، دكان، في محلة امام طه
فاطمة بنت حمودي بن قاسم	6 جمادى الأولى1317	دكان في محلة امام طه
رقوشة بنت مصطفى بن احمد	4 ذي القعدة 1306	داران في محلة باب الآغا
رازقية بنت عبد الرزاق بن عباس	6 رمضان 1309	دار في محلة امام طه
آمنة بنت ولي بن بابا	12 ذي الحجة 1311	6 كاكين في محلة باب الاغا
رحمة بنت جواد بن ابراهيم	22 ربيع الآخر 1329	دار في محلة باب الآغا
فاطمة بنت سيد حسين	1337	عقار في سوق الصغير في باب الآغا
زهوة بنت عبد الوهاب المزراقجي	ربيع الأول 1229هـ	دكان في سوق الجوخجية في باب الآغا
عيشة بنت حسين آغا بن حسن	13 رجب 1331	دار في محلة البارودية
فطيم بنت الحاج محمد بن عبدالله	12جمادى الأولى 1324	دار في محلة البارودية دار في محلة الميدان
مريم بنت غريب بن عبد الله	16 شوال 1339	دار ودكان في محلة البارودية
بهية بنت أمين بن عبد الرحمن	1 شعبان 1317	داران ودكانان في محلة البارودية
نورية بنت يوسف بن علي	10 جمادى الأولى 1369	دار في محلة البارودية
فرحة بنت فاضل بن خلف	23 شوال 1368	دار في محلة بني سعيد
صفاتي (حفاتي) بنت نعمان آغا	25 محرم 1292	دار في محلة جديد حسن باشا
أموش بنت علي آغا بن خلف	3 ربيع الآخر 1296	دار في محلة جديد حسن باشا
رازقية بنت محمد آغا	11 ذي الحجة 1307	دار في محلة جديد حسن باشا
خميسة بنت عبد الله	23 شوال 1318	دار في محلة جديد حسن باشا

سعيدة بنت عبد الله	23 شوال 1318	دار في محلة جديد حسن باشا
عائشة بنت معروف آغا	15 شعبان 1320	دار في محلة جديد حسن باشا
حليمة بنت عبد الله بن عبد الرحمن	28 صفر 1324	دار في محلة جديد حسن باشا
صلوحة بنت عبد بن حسن خيوكه	21 ذي القعدة 1328	عقلرات عديدة
مريم خانم بنت الحاج عبد القادر أربيلى	سلخ ربيع الآخر 1326	داران في محلة جديد حسن باشا
تاجه خانم بنت أحمد أفندي بن على القصيب	15 جمادى الآخرة 1330	دار في محلة جديد حسن باشا
حصة خانم بنت عبد الله جلبى الزيبق	7 ذي القعدة 1331	دار في محلة جديد حسن باشا
منورة خانم بنت عبد الفتاح بن حبيب آغا	13 جمادى الآخرة 1320	دار في محلة جديد حسن باشا
فاطمة بنت السيد أحمد أفندي منيفة بنت السيد محمد أمين بن أحمد أفندي زينب بنت علي آغا بن عبد الله	17 جمادى الآخرة 1339	عقارات عدة في محلة جديد حسن باشا
شفيقة بنت مصطفى بك بن محمد	19 شوال 1341	دار في محلة جديد حسن باشا
طيبة بنت إبراهيم بن إدريس	30 ذي القعدة 1315	حصة في دار في محلة الحاج فتحي
عطية بنت أحمد بن عبد الله	23 جمادى الآخرة 1347	دار في محلة الحاج فتحي
حبيبة بنت محمد	28 رجب 1308	دار في محلة الحيدرخانه

أمينة خاتون بنت ابراهيم بن على	23 ربيع الآخر 1328	دار في محلة الحيدرخانه
ماهية خانم بنت الحاج على آل الشهيد	23 شعبان 1329	دار في محلة الحيدرخانه
درويشة بنت جاسم بن مهدي	غرة ربيع الأول 1321	دار في محلة الدشتي
زهوة بنت السيد يوسف بن عبد الحليم	23 جمادى الأولى 1341	دار في محلة الحيدرخانه
أسمى خاتون بنت داود	12 جمادى الآخرة 1167	دار في محلة الدنكجية
أمينة خانم بنت عبد القادر بك بن رستم بك	28 رمضان 1925	عقارات كثيرة في بعقوبا
خديجة بنت السيد عيسى	29 شعبان 1369	خان في محلة الدهانة
حليمة بنت عبد الله أفندي	9 شوال 1281	دار في محلة راس القرية
أسماء خانم بن عبد الرحمن الروزيهانى	سلخ صفر 1317	اسطبل في محلة راس القرية
صفية خانم بنت عبد الرزاق جلبى المزراقجى	28 ذي القعدة 1319	4 دور في محلة راس القرية
صفية خاتون بنت يوسف بن مصطفى	16 ذي القعدة 1322	دار في محلة راس القرية
زهو بنت حسين بن علو	4 رمضان 1338	باقجة في محلة راس القرية
خديجة بنت هداوي بن جاسم	6 ذي الحجة 1342	دار في محلة راس القرية
خديجة بنت الحاج خليل جلبي	30 ذي الحجة 1356	دار في محلة راس القرية
أمينة خاتون بنت الحاج عبدالرحمن جلبى الباجه جى	22 رجب 1333	دار قي محلة سبع أبكار، و6 دكاكين، وآخور (اسطبل)

فطومة بنت مصطفى	21 جمادى الآخرة 1342	دار في محلة سبع أبكار
سلتانة بنت موسى بن عبد الله	13 شعبان 1323	دار في محلة الست هدية
زمزم خاتون بنت علي افندي نقيب الأشراف	21 جمادى الأولى 1320	حصتها من خرابة في محلة السنك، بستان في محلة باب الشيخ
أمة الله خانم بنت الحاج محمد صالح الشيخلي	4 شعبان 1331	دار ونصف مقهى ونصف دكان في محلة باب الشيخ
رقوشة خاتون بنت محمد بن الحاج سلمان	8 ربيع الأول 1329	نصف دكان في محلة سوق الغزل
خديجة خانم بنت خليل بن أمين جلبي	15 رجب 1348	دار في محلة سوق الغزل
فطيم بنت خالد بن حمودي	12 جمادى الأول 1324	دار في محلة السيد عبد الله
عاتكة خاتون بنت عمر أفندي	1244	دار في محلة شاه قولي دلال
عبودة خاتون بنت محمد جواد الغرابي	11 جمادى الأولى 1330	دار في محلة سراج الدين دار في محلة الميدان
فاطمة بنت محمد جواد الغرابي	22 جمادى الأولى 1352	داران في محلة سراج الدين
عبودة بنت درويش بن ملا مصطفى	20 شعبان 1343	دار في محلة باب الشيخ
بهية خانم بنت عبد القادر بن مراد الكيلاني	5 شوال 1343	سهام في دار في محلة باب الشيخ
خانم خاتون بنت حسين	24 ذي الحجة 1147	خان، أربعة دكاكين، مقهى، في محل الشيخ نجم الدين

فاطمة خاتون بنت عبد الله	ربيع الآخر 1246	دار في محلة الصابوتجية
آمنة خاتون بنت عبد الوهاب آغا بن رضوان آغا	8 ذي القعدة 1325 8 ذي الحجة 1325	عقار في محلة الصابونجية دار ودكانان في محلة الفضل
فاطمة بنت الحاج حمودي		دكان في محلة إمام طه
عائشة خاتون بنت محمود أفندي بن محمد أفندي آل نظمى	6 جمادى الآخرة 1247	عدة مزارع وقرى في الراشدية وهبهب
كلثوم بنت سلمان بن موسى	17 رجب 1330	داران في محلة الطوب، منشآت أخرى
نورى خاتون بنت مصطفى	2 جمادى الآخرة 1266	دار في محلة العاقولية
حبيبة بنت خضير	4 شعبان 1277	دار في محلة العاقولية
زمزم خاتون بنت محمد آغا	16 ربيع الثاني 1288	حصص عديدة في الخالص
رحمة خاتون بنت الحاج بكر	5 جمادى الآخرة 1280	دار في محلة العاقولية
فضلة بنت عبد الله	17 ذى الحجة 1307	دار في محلة العاقولية
حنيفة بنت خضر آغا بن قاسم آغا	26 ذي الحجة 1323	دار في محلة عيفان
عائشة بنت أرناؤوط	17 شوال 1186	دار في محلة قاضى الحاجات
زهرة بنت حسين بن حسن	14 ذى الحجة 1305	دار في محلة قمر الدين
آمنة بنت ولى بن على	13 شوال 1307	دار في محلة قنبر على
جموعة بنت عنبر بن عبد الله	9 شعبان 1339	دار في محلة قنبر علي
آمنة بنت محمد النجار	17 جمادى الأولى 1339	دار في محلة قنبر على

سكنة بنت الشيخ صالح بن مهدى	17 ذي القعدة 1315	دار وكاكين في محلة قهوة شكر
اسمى بنت عباس	29 شوال 1310	حمام المالح، وكلخان، وبئر في محلة الفضل
كلي بنت علي	2 ذي القعدة 1309 25 محرم 1320	حمام ودكان ودار في محلة الفضل دار في محلة الفضل
زهرة خاتون بنت عبد الله	12 شعبان 1313	دار في محلة الفضل
مريم خان بنت محمد جان		
أمونة بنت محمد بن حمام	5 ذي القعدة	دار في محلة الفضل
زهرا خانم بنت أحمد آغا بن عبد الله	21 محرم 1320	دار في محلة الفضل
أمونة بنت الياس بن فارس	10 ربيع الأول 1326	دار وحصة من دار أخرى في محلة الفضل
فاطمة خانم بنت حسين باشا بن فيض الله	15 ربيع الآخر 1313	داران ودكانان في محلة الميدان
زهرة بنت طاهر بن معروف	26 شوال 1333	دار في محلة الميدان
مريم بنت شيخو بن عبد الله	11 جمادى الأولى 1334	دار في محلة الميدان
فاطمة بنت السيد هاشم بن أمين	17 شعبان 1307	دار في محلة الهيتاويين
سكنة بنت علي	7 رجب 1322	دار ودكاكين في محلة السيف ودار في محلة الشواكة
منيرة خانم بن عبد الفتاح بن حبيب آغا	13 جمادى الآخرة 1335	دار في محلة جامع عطا

نشعة بنت مال الله الجميلى	2 جمادى الأولى 1341	دار في محلة جامع عطا
آمنة بنت جاسم بن مهدي	27 شعبان 1322	دار في محلة سوق الجديد، دار في محلة المشاهدة
سكينة بنت باقي آغا	20 ربيع الآخر 1325	دكان وأسكلة الأحطاب في محلة سوق الجديد
لطيفة بنت قدوري بن علاوى	25 جمادى الآخرة 1340	دار في محلة سوق حمادة
عطية بنت محمد المعروف بالسعد	أوائل ذي القعدة 1337	حصتها من العلوة الكائنة في محلة الشيخ بشار
اسبريمة يوسف	10 جمادى الآخرة 1189	دكان في سوق اسكيجيلر
فطومة بنت قاسم	1 جمادى الآخر 1270	حصتها من دكان في سوق الأطرقجية
مريم بنت الحاج عبد الله نعمة	13 جمادى الاخر 1305	دكانان في سوق البزازين
صالحة بنت السيد عيسى بن مصطفى	6 ربيع الاول 1337	دكان في سوق البزازين
فاطمة بنت السيد هاشم	17 شعبان 1307	دكان في سوق الشورجة
أسمه بنت الحاج أحمد النعلجي	6 ذي القعدة 1304	7 دكاكين
فاطمة بنت السيد حسين	اوائل ذي القعدة 1337	دكان في سوق الصفافير
محبوبة خاتون بنت عبد الله	20 شعبان 1229	دكان في سوق الصياغ

آمنة بنت الحاج ابراهيم التكريتي	20 ربيع الأول 1223	دكان في سوق الهرج ومنشآت أخرى
نجو بنت الحاج عبد القادر	2 رمضان 1295	خان، مقهى قرب جامع العادلية

من تاريخ الخدمات النسوية العامة في الموصل

كان للمرأة الموصلية مبادرات مهمة في مجالات أعمال الخير، حيث تكشف لنا الوقفيات القديمة، المرتقية إلى العصر العثماني، والكتابات الأثرية الموجودة، أو التي وصلتنا نصوصها عن طريق المصادر التاريخية، وكُتب التاريخ والرحلات، عن جوانب مهمة مما عنيت المرأة به إبان القرون المتأخرة، ويتركز معظمه في مجالات الخدمة الثقافية والاجتماعية وهي[1]:

1- إنشاء المساجد والوقف عليها.

2- إنشاء المدارس والوقف عليها.

3- وقف الأوقاف للإنفاق على الفقراء والمساكين.

وسنتاول، في هذا البحث، نماذج مما وقفنا عليه من هذه المشاريع النسوية النافعة، في الحقبة الممتدة من بدء السيطرة العثمانية وحتى نهاية القرن الماضي وذلك كما يأتي:

1- انشاء المساجد والوقف عليها:

جامع رابعة خاتون الجليلية

أنشأته سنة 1180هـ/1766م، السيدة رابعة خاتون بنت والي الموصل اسماعيل باشا الجليلي (1139-1140هـ/1726- 1727م[2]) في محلة (شارسوق) في مدينة

---

(1) ساعدت المرأة الموصلية الرجل في سعيه الدائب لتوفير أسباب المعيشة لاسرتهما، فكانت المرأة في الريف تعمل في مجالات شتى مثل تهبيش القمح، واستخلاص الزبد من الحليب، وجمع العلف للحيوانات، والعمل في طواحين الحبوب، وكان الغزل من أهم مهام ربة البيت، سواء اكان ذلك في الريف أم في المدينة، وعد المجتمع الموصلي عدم معرفة المرأة بالغزل عيباً لا يغتفر في تربيتها المنزلية، ووصفت المرأة الكاملة بطول ما تغزله من خيط، فكانت المرأة بذلك ركناً أساسياً في الاقتصاد الموصلي الذي يعتمد على تصدير المنسوجات اعتماداً كبيراً، لذلك كان الرجل – عند اختيار شريكة حياته- يفضل المرأة العاملة على المرأة الغنية. ومن الجدير بالذكر أنه كان للمرأة دور مهم في الاحداث الكبرى التي عاشتها الموصل، فقد شاركت النساء بحماس عظيم في الدفاع عن المدينة في أثناء حصار نادرشاه لها سنة 1156هـ/1744م. انظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص356-360.

(2) هو أول ولاة الجليليين في الموصل، شارك في الحملة العسكرية التي جهزها والي بغداد أحمد باشا لفتح همذان، وكان قبل توليه الحكم ملتزما بضمان الضرائب على أصناف الحرف في الموصل،

الموصل، والتي عرفت فيما بعد بالرابعية نسبة إلى الجامع نفسه، وعينت فيه اماماً، وخطيباً، وواعظاً، ومؤذناً، واربعة مكبرين، وكناساً، وفراشاً، وقنديلجي، وسقاء للماء[1].

كما الحقت به مدرسة، وعينت لها مدرساً.

ووقفت على ذلك كله «ماهو بيدها وملكها وتحت تصرفها»من عقارات مختلفة، منها حصتها في رحاة (رحى) بايبوخت، على نهر الخوصر، ودكاكين عديدة في سوق التبن من أسواق الموصل، ودكاكين الحدادين، وقهوة (مقهى).

وعينت متولياً على إدارة الوقف ابن أخيها والي الموصل يومذاك محمد أمين باشا الجليلي، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 27 شعبان سنة 1181هـ/1767[2].

وتوفيت الواقفة في 17 رمضان سنة 1211هـ/1796م، وقد أصاب الجامع، في السنين الأخيرة[3]، الخراب، فأهمل شأنه، وتصدّعت جدرانه، وانقطعت الصلاة فيه.

جامع العراقدة في الموصل

أنشأته السيدتان فتحية خاتون وعائشة خاتون من نساء الجليليين سنة 1194هـ/1780م في محلة حمام المنقوشة بالموصل[4].

وفي سنة 1204هـ/1789م وقفت السيدة فتحية خاتون عقارات عديدة تشمل دكاكين في سوق الصياغ، والسوق الكبير، و (قهوة خانة) في سوق الشيخ عبد الله المكي للإنفاق على هذا الجامع وتأثيثه ودفع راتبي الإمام والمؤذن. وسجلت ذلك كله في الوقفية المؤرخة في أواسط جمادى الآخرة سنة 1204هـ/شباط 1789م[5].

وكان أحد ثلاثة انفقوا على انشاء قناطر لجسر الموصل سنة 1133هـ/1720م. أنظر عنه: محمد أمين العمري: منهل الاولياء ج1 (الموصل 1968) 146، وياسين العمري: الدر المكنون ص580 (مخطوطة المتحف البريطاني). وكتابنا: الموصل في العهد العثماني ص53-54.

(1) محمد الجليلي: مجموعة وقفيات الموصل جمعها بخطه وهي لدى الدكتور محمود الجليلي رحمه الله (مخطوطة)، وقد سمح لي بتصوير نسخة منها لمكتبتي الخاصة

(2) نقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1956، ص36- 38 وفيه مجموع ما حرر على جدران الجامع من كتابات أثرية.

(3) كان هذا في سنة1989.

(4) من محلات الموصل التي لما تزل تعرف بهذا الاسم، وتنسب الى نقوش كانت تزين حمامها، سيوفي: مجموع الكتابات ص 166.

(5) مجموعة وقفيات الموصل

ولما يزل هذا الجامع عامراً حتى اليوم.

مسجد العقبة

أنشأته زوجة والي الموصل الغازي محمد أمين باشا الجليلي (المتوفى سنة 1189هـ/1775م[1]) كما هو مكتوب في لوحة من المرمر مثبتة على بابه، وعُنيت بالإنفاق عليه، سيدة موصلية أخرى هي آسيه خاتون بنت الحاج سليمان أغا، زوجة والي الموصل سليمان باشا الجليلي (المتوفى سنة 1211هـ/1796م) فوقفت عليه، في شهر ربيع الآخر سنة (1216هـ/ 1791م) جميع «القهوخانة الشهيرة بقهوة خانة الانبار الواقعة بقرب حمام العليل المشتمل على رواق طويل ورواق صغير وحوش القهوة خانة الواقعة بسوق الصغير.. وأيضاً أرض بسيطة.. في سوق الصغير»، وشرطت هذه المحسنة، أن يعطى من ريع الأملاك الموقوفة للمؤذن في شهر 80 صاغة، وللإمام في كل شهر 160 صاغة، وللمتولي في كل شهر 60 صاغة، وأن يُصرف ما يتبقى من الريع على عمارة المسجد وتأثيثه، وعلى «المستحقين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل»[2].

جامع المحمودين

سعت السيدة زوجة والي الموصل محمد باشا الجليلي (حكم 1204-1221هـ/1779-1806م) وأم والي الموصل محمود باشا الجليلي (حكم 1224-1225هـ/1809-1810م) إلى انشاء جامع مزار يعرف باسم حامد ومحمود[3]، وفي سنة 1211هـ/1796م، أشركت ولدها محمود باشا بالامر، فتم بناؤه في السنة التالية.

قال المؤرخ ياسين بن خير الله العمري في حوادث سنة 1212هـ: وفيها أحدثت أم الخيرات أم الامير محمود بك، زوجة محمد باشا الجليلي، جامعاً للصلاة والخطبة في مقام حامد ومحمود، وبنت فيه مدرسة، وأوقفت عليه أوقافاً، وجعلت المتولي ولدها محمود بك، والمدرس عزيز الكردي.

---

(1) تولى الموصل مرات عدة في السنوات 1166- 1169هـ/ 1752- 1755م، و 1169-1170هـ/ 1755- 1756م، و 1172هـ/1758م، و1173- 1174هـ/1759- 1760م، و 1175- 1182هـ/ 1761-1768م، و1189هـ/ 1775م، أنظر عنه أمين العمري: منهل الأولياء ج1 ص166-175 وياسين العمري: منية الأدباء، تحقيق سعيد الديوه جي (الموصل 1955) 84 وكتابنا الموصل في العهد العثماني 64- 78.

(2) مجموعة وقفيات الموصل .

(3) وكان هذا المزار قد عمرته سيدة ذكرت- في كتابه تذكارية في اعلا بابه- أنها والدة الحاج احمد بن الحاجي صالح الدرويش سنة 1135هـ/ 1722م، سيوي: مجموع الكتابات ص 89.

وقد دفنت هذه السيدة وولدها في فناء الجامع[1]، ولما يزل هذا الجامع عامراً حتى اليوم، وهو يعرف أيضاً بجامع الحامدين، وبه تعرف المحلة التي يقع فيها[2].

جامع النعمانية

شاركت السيدة عائشة خاتون سنة 1212هـ/1797م أخاها نعمان بك (والي الموصل فيما بعد)[3] بن سليمان باشا الجليلي في إحياء مسجد السرج خانة القديم في محلة السرج خانة من محلات مدينة الموصل بعد أن «آل إلى الانهدام وقارب الانعدام» فهدماه، وأعادا بناءه مسجداً جامعاً للجمع والأعياد والأوقات، وعيّنا فيه عدداً من الموظفين لإدارة مرافقه والعناية به، منهم إمام، وخطيب ومؤذن، وقراء، وكليدار، ومكبرون، وموكلون بالإضاءة، وبمياه الشرب وغيرهم، ورتبا لهم الرواتب.

ولقد وقف الواقفان، للإنفاق على ذلك كله، عقارات جمّة في الموصل وأعمالها، وكانت حصة السيدة عائشة منها كبيرة، منها «القهوة التي في سوق الصياغ الشهيرة بقهوة ابن خروفة» و«سدس حمام القلعة، ودكاكين عدة في أسواق الموصل»[4] ولازال الجامع بفضل تلك الأوقاف عامراً بالمصلين[5].

جامع الحاجة فاطمة الخيَّاط

يقع هذا الجامع في محلة المكَّاوي، أنشأته السيدة المحسنة الحاجة فاطمة بنت يحيى أفندي الخيَّاط سنة 1212هـ/ 1797م والحقت به مدرستين، الأولى كُتّاب لصغار الطلبة، والأخرى تختص بتدريس الفقه للكبار، وكانت للجامع أوقاف متعددة، منها قرية في (النافكر)، وسبعة دكاكين من سوق الصرافين، وثلاثة بيوت في محلة رأس الكور. وقد أصابه في منتصف القرن العشرين إهمال أدى إلى انهدام قبته سنة 1962م، فأعاد بناءه الدكتور زين الدين سنة 1409هـ/ 1989م، وهو عامر بالمصلين[6].

---

(1) سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور (الموصل 1963) ص 223.

(2) ياسين العمري: منية الأدباء ص 105.

(3) تولاها من 1221 إلى 1223هـ/1806- 1808م. كتابنا : الموصل في العهد العثماني ص 91.

(4) انظر عنه: سيوفي: مجموع الكتابات المحررة ص23 والديوه جي جوامع الموصل ص 226- 228.

(5) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

(6) اعتمدنا في هذه المعلومة على الكتابة التذكارية المثبتة في أعلى بابه، وعلى إفادة المرحوم الحاج محمد السراج، أحد أقدم الساكنين في جواره، وهو الذي كان يحتفظ بالوثائق

وقف حمرة خاتون على فقراء جامع النبي جرجيس

وقفت السيدة حمره (حمراء) خاتون[1] بنت الحاج صادق أغا، وزوجة والي الموصل الشهير الحاج حسين باشا الجليلي[2]، ثلاثة أرباع الدكاكين الواقعات على حافة الخندق بقرب جامع الأغوات في الموصل على عمارة جامع النبي جرجيس، وأن «يؤخذ كل ليلة جمعة لحم للشوربة التي تطبخ في الجامع حضرة نبي الله جرجيس (عليه السلام) وتفرق على الفقراء «الساكنين في الجامع الشريف» وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 10 من شهر شعبان سنة 1213هـ/1798م[3].

وقف فردوس خاتون الجليلية على سقاية جامع النبي يونس

عُنيت السيدة فردوس خاتون بنت يحيى آغا الجليلي، زوجة حسن بك (باشا) والي الموصل، بمشكلة توفير المياه الصالحة للشرب للمصلين في جامع النبي يونس على تل التوبة، في الجانب الشرقي من الموصل. وكان ارتفاع التل الذي يقع عليه الجامع من ناحية، وبعده النسبي عن شاطئ نهر دجلة، يمثل مشكلة حقيقية لقاصدي الجامع من الزوار والمصلين فضلاً عن العاملين فيه. ويظهر أن توصيل المياه إلى سقاية الجامع كان يستلزم مالاً لم يكن من الميسور دفعه من واردات الجامع نفسه، لذا فقد وقفت هذه السيدة المحسنة «الربع من بستان الزيتون الشهيرة ببستان الزعامة في قرية باعشيقة من قرى الموصل المحروسة لسقاية الماء الذي ينقل من نهر دجلة إلى جامع حضرة نبي الله يونس عليه السلام في كل يوم للشرب ولخدمة الزوار

الخاصة بانتفاضة الموصل سنة 1255هـ/1839م. وهي الوثائق التي اعتمدناها في بحثنا (أضواء على انتفاضة الموصل المنسية في سنة 1839م) في هذا الكتاب.

(1) سيدة محسنة عرفت بصلاحها ولها موقف إنساني محمود، نوه به ياسين العمري في حوادث سنة 1154هـ/1741م (زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا، ط:2، دمشق 2017، ص 72) وتوفيت سنة 1213هـ/1798م.

(2) تولاها ثماني مرات، أولاهما سنة 1143هـ/ 1730م وآخرها سنة 1171- 1172هـ/ 1757-1758م، وكما تولى ولايات عديدة أخرى، عرف بحسن تدبيره وسياسته الرشيدة وعدله، واشتهر بدفاعه المجيد عن مدينته إزاء حصار نادر شاه لها سنة 1156هـ/1743م. انظر عنه: منهل الأولياء 144/1 ومنية الأدباء 81-185، 207-209 وياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون ص 586 (مخطوطة المتحف البريطاني) والموصل في العهد العثماني 62-64 و 102-115.

(3) مجموعة وقفيات الموصل.

والدراويش الساكنين في الجامع المشار اليه»، وكان تسجيلها لهذا الوقف النافع في شهر محرم سنة 1215هـ/ ايار 1800م[1].

وقفية زينب خاتون بنت عبد الله على جامع زقاق الحصن

ووقفت السيدة زينب خاتون بنت عبد الله على جامع زقاق الحصن[2] في محلة السرج خانة بالموصل، أوقافاً جَمَّة للإنفاق عليه، وعمرته تعميراً شاملاً وذلك سنة 1235هـ/1819م.

وكتب على باب الجامع :

عمارةُ جامع الخيرات فاقت   وطِبتم فادخلوها خالدين

قد تطوعت بعمارت الجامع الحاجة زينب خاتون إبتغاءً لمرضاة الله تعالى 1235[3].

وفي سنة 1373هـ/ 1954م هُدم أكثر الجامع وأدخل اكثر من نصف مساحته في شارع الفاروق، ثم اعيد بناؤه مجدداً.

وقفية خيري خاتون على جامع عمر الأسود

أنشأ هذا الجامع من يُدعى عمر الأسود بين سنتي 1091 أو 1093هـ/ 1680-1682م، فنُسب اليه وربما سمي (جامع شهر سوق)، لوقوعه في وسط المحلة المعروفة بهذا الاسم من محلات الموصل القديمة.

وفي سنة 1239هـ/1823م أصاب الجامع الإهمال، فوقفت عليه السيدة خيرى خاتون عقارات، وعينت له متولياً، فرمم بعض أقسام الجامع، وبنى فيه منارة مزينة بقطع الآجر المزجج[4]، ولا يزال هذا الجامع عامراً بالمصلين[5].

---

(1) مجموعة وقفيات الموصل.

(2) نسبة الى حصن قديم هناك، كان المغول قد أنشأوه بعد احتلالهم الموصل سنة 660هـ، واتخذ مقراً لحكومة الموصل حيناً من الدهر، واقيم في أرضه- فيما بعد- سراي الموصل ومسجد وحمام. والزقاق الذي يمتد أمام الحصن من السراج خانة الى الجامع النوري هو زقاق الحصن. انظر سعيد الديوه جي: جوامع الموصل ص160

(3) سيوفي: مجموع الكتابات 25.

(4) الديوه جي: جوامع الموصل 164.

(5) سنة 1986

جامع الخاتون

أنشأته السيدتان مريم خاتون بنت والي الموصل محمد باشا الجليلي (حكم 1204-1221هـ/1789-1806م) وأمها هيبة الله خاتون بنت عبد الله، في محلة حوش الخان في الموصل، سنة 1241هـ/1825م، وشاركهما في عملهما هذا محمد أمين بك محمد باشا الجليلي[1]. وكانت أرضه قبل بنائه خالية من العمارة، ويقول المرحوم سعيد الديوه جي: «ولا ندري هل أن الجامع أنشئ على آثار مسجد قديم أم أنشئ على غير هذا».

وعلى الرغم من إدخال أقسام من أرض الجامع وبنائه في شارع نينوى على اكثر من مرحلة من مراحل شقه وتوسيعه، فإن الجامع بعمارته الرئيسية ظل عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا[2].

وقفية مريم خاتون الجليلية على مسجد الصوفية

عنيت السيدة مريم خاتون بنت أحمد باشا الجليلي والي الموصل (1227-1237هـ/1812- 1821م) بهذا المسجد الذي كان يعرف أيضاً بمسجد عبد المُقيم، وذلك في وقفيتها المؤرخة في أواسط شهر ذي الحجة من سنة 1251هـ/1835م، فقد عينت راتباً للمدرس يقدره المتولي على أوقافها، وأن يدفع من ريع تلك الأوقاف، وتشمل دكاكين في قيصرية العباجية المطلة على سوق البارودجية من جهة، وعلى سوق الجبوقية من جهة أخرى، بينما يوزع سائر الريع على ذريتهما فاذا ما انقرضوا، يفرق «على المستحقين من الفقراء والمساكين»[3].

وقف رُقية خاتون على مسجد الخُضري:

وفي سنة 1278هـ/1861م وقفت السيدة رقية خاتون بنت محمد أفندي الشهير بابن المصرف، الساكن في محلة (عبدو خوب) من محلات مدينة الموصل، الدكان الذي تملكه في سوق الصفارين، على مصالح مسجد الحاج محمود أفندي بن عبد الجليل الخضري، بموجب وقفيتها المؤرخة 3 من شهر شعبان من السنة المذكورة[4].

---

(1) سيوفي: مجموع الكتابات 36 والديوه جي: جوامع الموصل، ص239- 241.

(2) كتب هذا سنة 1986

(3) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(4) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

تجديد فاطمة بنت محمد لمسجد الصوفية

مسجد قديم كانت فيه جهة تدريس- كما يفهم من وقفية السيدة مريم خاتون الجليلية (انظر هذه المادة)، وقد تطوعت لتجديده سنة 1326ه/1908م السيدة فاطمة بنت محمد، فكتبت على باب مصلاه النص الآتي[1]:

(تطوعت بعمارته تقرباً إلى الله تعالى وابتغاء جنته ورجاء رضوانه ومغفرته فاطمة بنت المرحوم محمد في غرة شوال سنة 1326).

وقف مريم خاتون على جامع العراقدة

خصصت السيدة مريم خاتون بنت إبراهيم بك بن نجيب بك، من سكنة محلة الرابعية في الموصل، قسماً من ريع ما أوقفته «لكل من يكون مدرساً في المدرسة الكائنة في مسجد العراقدة الواقع في محلة المنقوشة من محلات المدينة المذكورة» بموجب وقفيتها المؤرخة 20 من شهر جمادي الآخر سنة 1329هـ/1911م، فأظهرت بذلك رغبتها في رفع شأن العلم والعلماء[2].

جامع يحيى الإمام

يقع هذا الجامع في حي المنصور، من ضواحي مدينة الموصل، تطوعت بعمارته السيدة الصالحة الحاجة وهبية بنت خليل سنة 1388هـ/1968م.

جامع المصطفى

يقع هذا الجامع في حي الشهداء، من ضواحي مدينة الموصل، وقد تطوعت ببنائه السيدة الصالحة الحاجة والية الصفو سنة 1405هـ/1984م.

تعمير صديقة بنت أحمد بكر لمسجد حمام السراي

مسجد في محلة زقاق الحصن، كان قديماً يقع داخل الحصن الذي أسسه المغول قريباً من السراي، ومنه اكتسب اسمه، كما عرف أيضاً بمسجد (شيخ الأصناف السبعة) نسبة لمن عمره، وكانت عليه كتابة أثرية تشير إلى أن الشيخ يونس عمره سنة 1057هـ/1647م، وأنه رُمِّم سنة 1345هـ/1926م[3]، ثم ما لبث أن أهمل، كما أهمل

---

(1) نقولا سيوفي: مجموع الكتابات ص209.

(2) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

(3) أنظر سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل ص26 و 170.

رباط قديم مجاور له، ينسب إلى السيدة نفيسة (رضي الله عنها)، فكان أن تطوعت السيدة صديقة بنت احمد بكر حمو الحاج خليل رحمها الله لتجديده سنة 1405هـ/ 1985م، تجديداً شاملاً فأعادت بناء المسجد وأثثته تأثيثاً حسناً، وشملت عنايتها مزار السيدة نفيسة أيضاً. وثبتت على كل من المنشأتين كتابة تؤرخ قيامها بهذا العمل النافع.

2- انشاء المدارس والوقف عليها:

المدرسة الرابعية:

أنشأتها السيدة رابعة خاتون بنت والي الموصل اسماعيل الجليلي المتوفاة سنة (1217هـ/1802م)، في جامعها الكبير الذي شيدته سنة 1180هـ/1766م في محلة شارسوق من محلات الموصل القديمة[1] وكانت تشرف بنفسها على سير التدريسات في المدرسة، فتُعيِّن من تراه أهلاً للتدريس، وتعزل من لا تراه كذلك[2]. وأول من درَّس بها شيخ القراء الشيخ سعد الدين بن أحمد بن مصطفى البصير المتوفى سنة 1188هـ/1774م، والشيخ مصطفى الصباغ المتوفى سنة 1200هـ/1785م، ومن المتأخرين الشيخ محمد آل دباغ، والشيخ صالح الجوادي بن إسماعيل شيخ القراء بالموصل[3].

مدرسة جامع المحمودين

أنشأتها زوجة الوزير محمد باشا الجليلي سنة 1212هـ/1797م في جامع المحمودين الذي عمرته[4]، والكائن في المحلة المنسوبة إليه من محلات مدينة الموصل. وضمت اليها خزانة كتب حفظ الزمان 35 مخطوطاً منها[5]، يرقى أقدمها إلى القرن التاسع للهجرة، وهي تتوزع على موضوعات القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والطب والادب[6].

---

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) من ذلك انها عزلت الشيخ مصطفى الصباغ وكان يدرس النحو والفقه والفرائض والحساب، وكان سبب عزلها إياه ما بلغها عنه من «قلة المعلوم، وعدم الضبط، وسوء الحفظ» . محمد أمين العمري: منهل الاولياء 267/1.

(3) سعيد الديوه جي: مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، بغداد 1962، ص84.

(4) تقدم الكلام على هذا الجامع.

(5) أحصى منها داود الجلبي 28 مخطوطاً. مخطوطات الموصل ص91-92.

(6) سالم عبد الرزاق أحمد: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، 8 (الموصل 1983) 331-344.

مدرسة الحِجّيات

تقع هذه المدرسة في محلة القنطرة، قرب سور الموصل القديم، وهي من المدارس المستقلة عن المساجد في الموصل، أنشأتها الحاجة عادلة خاتون وأختها الحاجة فتحية خاتون ابنتي والي الموصل عبد الفتاح باشا الجليلي (1183- 1185هـ/1769-1771م) سنة 1241هـ.

وقد عُنيت الواقفتان بتوفير أجواء الدرس الملائمة في مدرستهما، فأضافتا اليها قسماً داخلياً يتألف من عدة حجرات لاقامة الطلبة، وخصصتا لكل حجرة نفقة مالية شهرية، وتخصيصات عينية من الشمع في أيام الشتاء[1]، كما ضمتا اليها خزانة كتب غنية بالكتب الخطية النادرة في التفسير، والحديث، والحكمة، والفقه، واللغة، والنحو، والادب، والطب، والفلك، وغير ذلك. وعينا لهذه الخزانة موظفاً خاصاً بعنوان (كتب خانجي) يعنى لها ويتقاضى راتباً شهرياً[2].

وجعلت الواقفتان للمدرسة ناظراً يرعى شؤونها المختلفة، مستقلاً بها عن المتولي الذي يدير ما عليها من وقف، ومن ثم فإنهما فصلا بين الإدارتين المالية والإدارية لهذه المؤسسة، ويلاحظ أيضاً إنهما حددا راتب المدرس بثلاثين غرشاً، وهو ما يزيد عن راتبي المتولي والناظر مجتمعين، مما دلّ على رجحان كفة الماليين على الإداريين خلافاً لأكثر الوقفيات الأخرى.

وقد رصدت الواقفتان المحسنتان، للإنفاق على مدرستهما رَيع ما يملكان وقفاً صحيحاً شرعياً ثابتاً، وهو بيت سكنهما، والحمام الشهير بحمام باب البيض، وبلغ من حبهما للعلم وتقديرهما لأهله. انهما أوصيتا بدفنهما عند وفاتهما في رحاب هذه المدرسة، وبالفعل فإنهما دُفنتا جنباً إلى جنب، داخل الحجرة التي يدخل منها إلى خزانة الكتب، ولقد أصاب الخراب هذه المدرسة وهجرت، وسكنت بعض الأسر في أقسام اقتطعت منها.

المدرسة النعمانية

شاركت في إنشائها سنة 1212هـ/1797م السيدة عائشة خاتون بنت والي الموصل سليمان باشا الجليلي[3]، وتقع في الجامع الذي شيدته، وأخوها نعمان بك (باشا فيما

---

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 98-120.

(3) تولاها اربع مرات (1185-1189هـ/1771-1775م) و (1189-1190هـ/ 1775-1776م) و (1191-1197هـ/1777-1783م) و (1200-1204هـ/1786-1789م).

بعد) في محلة السراج خانة من محلات الموصل، وعينا فيها مدرساً، وجعلا الإنفاق عليها مما وقفاه على الجامع من عقارات عديدة، وكانت للسيدة عائشة حصة كبيرة في تلك الأوقاف[1].

وضم الواقفان إلى مدرستهما خزانة كتب احتوت على جملة وافرة من الكتب في العقائد والحديث والفقه واللغة والمنطق والأدب والتاريخ والفلك وغير ذلك[2]، بقي منها اليوم (55) كتاباً مخطوطاً، آلت جميعاً إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل[3].

المدرستان الحسنيتان

من مبرات السيدة فردوس خاتون بنت يحيى أغا الجليلي أنها شاركت زوجها حسن بك (الذي كان واليا على الموصل فيما بعد) بن الحاج حسين باشا الجليلي في إنشاء إحدى أهم المدارس في الموصل ابان القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). وهي المعروفة بالمدرسة الحسنية نسبة إلى زوجها المذكور.

وتعد وقفية هذه[4] المدرسة من اكثر الوقفيات التي وصلتنا تفصيلاً ودقة، فقد سعى الواقفان إلى توفير أفضل الخدمات للعاملين في مؤسستهما الثقافية وللطلبة «الطالبين للإستكمال»، وكانت المدرسة تتألف بحسب رغبتهما من قسمين منفصلين، عدَّتهما الوقفية مدرستين قائمتين بذاتهما، الأولى «لأجل تدريس علوم النقلية والعقلية» والخرى «لأجل تدريس القراءة والتجويد»، فتكون الأخيرة، أشبه –من حيث طبيعتها- بدور القرآن المتخصصة بعلوم القرآن الكريم، التي ظهرت في العصور الإسلامية الوسيطة.

ومن حسناتهما انهما ألحقا بمدرستهما خزانة كتب كبيرة، احتوت على جملة وافرة من الكتب، في التفسير والقراءة والحديث، والفقه، وأصوله، والتصوف، والمواعظ، والعقائد، واللغة والأدب ودواوين الشعر، والطب، فضلاً عما يعرف بكتب الجادة، أي الكتب المنهجية البحتة، وتشمل النحو والمنطق والهندسة وما إليها[5] وجعلا لكل طالب علم حجرة خاصة.

---

(1) تقدم الكلام على هذا الجامع.

(2) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 224-227.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف في الموصل 7/ 273-283.

(4) نشرنا نص هذه الوقفية في كتابنا الموصل في العهد العثماني، الملحق العاشر ص540-544.

(5) عد الدكتور داود الجلبي منها في كتابه مخطوطات الموصل (ص120-139) 317 كتاباً مخطوطاً.

ورتبا لجميع العاملين في هذه المدرسة، وللطلبة، الرواتب الكافية، وذلك على النحو التالي:

1- مدرس العلوم العقلية والنقلية	120 صاغة[1] يومياً.
2- مدرس علم القراءة	80 صاغة يومياً.
3- كليدار الكتب خانة (أمين المكتبة)	28 صاغة يومياً.
4- كليدار المدفن (السادن)	4 صاغات يومياً.
5- تالي جزء من القرآن لروح الواقفين	8 صاغات يومياً.
6- خادم السبيل (السقاية)	20 صاغة يومياً.
7- 6 من الطلبة، لكل طالب	8 صاغات يومياً.
8- قابجي (بواب) المدرسة	24 صاغة يومياً.
9- ماء سبيل خانة (ماء الشرب)	360 صاغة يومياً.

وحدد الواقفان لكل موظف واجباته بكل دقة ووضوح، فالمدرس يقرأ درسه كل يوم، على أن يكون أول دروسه في علم الأخلاق، ثم بعده باقي العلوم، و(الكتاب جي) يمسح الكتب كل ثلاثة أيام مرة من الغبار، ويكنس الكتاب خانة (المكتبة). والسبيل خانه جي (الموكل بمياه الشرب) يغسل مزملة السبيل خانة كل شهرين. ولا شك أن إدامة مدرسة كهذه تتطلب أموالاً جَمَّة، وعناية فائقة، لذا فقد وقف المنشئان، حسن بك وزوجته السيدة فردوس، عقارات مهمة لهذا الغرض. وكان حصة السيدة فردوس أن وقفت ما آل إليها بالإرث الشرعي من والدها يحيى أغا الجليلي «من القيصرية الشهيرة بقيصرية علي أفندي بجميع ما اشتمل عليها من البناء في السوق الكبير[2] من أسواق الموصل المحروسة، (والـ) نصيب المنتقل اليها من رحاة بايبوخت المذكورة، وهو من كل أربع وثلاثين سهماً سهم واحد»[3].

---

(1) الصاغة: عملة عثمانية صغيرة كانت تساوي 4 فلوس من النحاس في تلك الأيام. كتابنا الموصل في العهد العثماني ص561- 563.

(2) السوق الكبير، ويعرف اليوم بسوق السراجين.

(3) وكان زوجها حسن بك (باشا) قد وقف حصته من الرحى المذكورة، وتقع على نهر الخوصر في شرق الموصل.

وقد سُجلت الوقفية في غرة شعبان سنة 1232هـ/1816م.

أما المدرسة نفسها فقد لبثت منهلا لطلبة العلم في الموصل أجيالاً متعاقبة، وشغلت مبناها مؤسسات تعليمية مختلفة، هي على التوالي: المدرسة الاسلامية، المدرسة الفيصلية، المدرسة الفيصلية الوقفية، المتوسطة الفيصلية الدينية، متوسطة الارشاد الدينية، مدرسة الارشاد الاعدادية الدينية، المدرسة الدينية، ابتدائية الاوقاف الاسلامية، وذلك من خلال المدة الواقعة بين سنتي 1924-1973م.

وقد آلت مخطوطاتها الكثيرة إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وبقي منها 84 كتاباً[1].

مدرسة فتحية خاتون

أنشأت السيدة فتحية خاتون بنت سليمان أغا مدرسة في مدينة الموصل عرفت باسمها، ووقفت لإدارتها حصتها من خان الشط[2] وتوابعه، والدكان الواقعة في قيصرية البابوجية العتيقة، وشرطت للمتولي عُشر الربُع من غلة الوقف، بينما خصصت الباقي للانفاق على لوازم المدرسة، وذلك في وقفيتها المؤرخة اوائل رمضان سنة 1271هـ/ايار 1855م[3].

مدرسة الخاتون:

أنشأتها السيدتان مريم خاتون بنت والي الموصل محمد باشا الجليلي، وأمها هيبة الله خاتون بنت عبد الله، في الجامع الذي شيدتاه في الموصل، وعرف بجامع الخاتون سنة 1241هـ/1825م. وشاركهما في ذلك محمد أمين بك بن محمد باشا ألجليلي[4]. فعرفت المدرسة بالأمينية نسبة إليه.

وضما إليها خزانة للكتب حوَت كتباً في التفسير والحديث والعقائد والفقه وأصوله والأدب، وكتباً مدرسية مختلفة[1]. بقي منها الآن (64) كتاباً مخطوطاً، وقد آلت هذه الكتب إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل[2].

---

(1) انظر فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل الجزء الاول، خزائن حسن باشا الجليلي (الموصل، طبعة 1، 1982).

(2) يرقى هذا الخان الى سنة 1122هـ/1710م كما تبين ذلك كتابة اثرية فوق بابه (نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل 125).

(3) الاوقاف 8/165.

(4) تقدم الكلام على هذا الجامع.

وقفية أسماء خاتون غصيبة على مدرسة الصائغ

تنسب هذه المدرسة إلى مؤسسها التاجر عبد الرحمن جلبي بن محمد الصائغ سنة 1250هـ/1834م، وهي تقع في محلة الإمام إبراهيم من محلات مدينة الموصل القديمة، وقد ألحق بها خزانة كبيرة تحوي المئات من نوادر المخطوطات[3] .

وفي سنة 1300هـ/1882م وقفت السيدة أسماء خاتون بنت عبد الرحمن غصيبة حصصها في خان الجفت الكبير قرب سوق باب الجسر «على مصالح المدرسة المشهورة بمدرسة عبد الرحمن جلبي بن محمد الصائغ المعلومة مشتملاتها وحدودها، الواقعة في محلة إمام إبراهيم من تعميرها وسائر لوازمها الضرورية، فإذا فضل شيء بعد مصاريف المدرسة المذكورة، يقسم على وجوه البر».

3- وقف الأوقاف للإنفاق على الفقراء والمساكين وبعض أوجه الخدمة الاجتماعية العامة

وقفية فتحية خاتون الجليلية على الفقراء:

سعت السيدة فتحية خاتون بنت عبيد آغا الجليلي إلى العناية بشؤون الفقراء والمساكين في مدينتها الموصل، فوقفت لهذا الغرض بعض حصصها في «الخان الواقع على نهر دجلة» وفي «الخان الشهير بخان عبيد أغا» والرحى الواقعة قرب ترجيلة وحمام عبيد أغا، وقهوة الإمام، وقهوة خانه باب الجديد، وبساتين لها في مدينة الموصل.

ولم تكتف بذلك، وإنما أوصت ببيع ثلث ما تملكه من عقاراتها السكنية مع ثلث ما تتركه من الأموال ليشترى بالثمن مسقفات، يُصرف رَيعُها في كل سنة على المستحقين من الفقراء والمساكين، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في أواسط جمادي الآخرة سنة 1204هـ/شباط 1789م[4].

وقف زينب خاتون بنت يونس أغا على الفقراء

وسعت السيدة زينب خاتون بنت الحاج يونس أغا إلى تخصيص مبالغ كبيرة من

---

(1) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 79-82.

(2) سالم عبد الرزاق: فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل 7 (الموصل 1983) 335-356.

(3) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 1500- 151.

(4) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

أوقاف رصدتها في مدينة الموصل للتخفيف عن كاهل الفقراء المنقطعين، في وقفية تعد من أكثر الوقفيات سخاء لهذا الغرض النبيل، ففي 6 من شهر ذي الحجة سنة 1229هـ/1813م وقفت السيدة المحسنة ما تحت يدها من حصص في العديد من مرافق المدينة الاقتصادية وتشمل: حمام، وخانات تجارية، ورحى قرب قرية بايبوخت على نهر الخوصر، ومقاهٍ، وقيصريات، ودكاكين كثيرة في اسواق مختلفة، وبستان خارج المدينة، ومنشآت اقتصادية اخرى، وشرطت أن تنفق واردات هذه المرافق، وهي كثيرة، على من يسكن الموصل من الفقراء المنقطعين[1].

وقف السيدة خديجة خاتون على الفقراء والمساكين

وقفت السيدة خديجة بنت الحاج صادق أغا ما تملكه من أسهم في عدد من المنشآت الاقتصادية في مدينة الموصل على بعض وجوه الخير سنة 1232هـ/1816م، وتشمل هذه الوجوه، شراء الأضاحي في عيد الأضحى، وإيقاد الشموع في ليالي رمضان للتراويح، وتوفير مياه الشرب، وانفاق الباقي «على المستحقين من الفقراء والمساكين»[2].

وقف عادلة خاتون بنت عبد الرحمن على وجوه الخير

وفي جمادي الآخرة 1233هـ/1817م وقفت السيدة عادلة خاتون بنت عبد الرحمن اغا ما تملكه من أسهم في المقهى الواقع في سوق الميدان بالموصل مع دكانين مُخرَجتين منها لتنفق على بعض أوجه الخير التي حددتها في وقفيتها، وهي التضحية في أعياد الأضحى، وتوفير مياه الشرب في كل ليلة جمعة، وقراءة القرآن الكريم، وتفريق ما يتبقى على الفقراء والمساكين والمستحقين[3].

وقفية الحاجة حمرة خاتون وكريمتها اسمه خاتون وعدله خاتون على الفقراء في الموصل

وقفت الحاجة حمرة خاتون بنت الحاج صادق أغا، وكريمتيها أسمه (اسماء) خاتون وعدله (عادله) خاتون بنتي سعد الله باشا الجليلي[4] والي الموصل السابق،

---

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(3) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(4) تولى الموصل من 1225 الى 1227هـ/1810-1812م.

جملة كبيرة من الاوقاف الدارّة على أنفسهن، واذا ما توفيت واحدة، يرجع نصيبها إلى الباقيات، وبعد انقراضهن جميعاً «ترجع الوقوف إلى المستحقين من الفقراء والمساكين وطلبة العلم».

وتتألف هذه الوقفيات من دكان قيصرية ... [1] وقهوة خانة في محلة (عبدو خوب) مع سردابين تحتها، وبستان في قرية نينوى تعرف ببستان البنات، مع بئر، وأشجارها هناك، وأخرى في القرية نفسها، مع بئرها، وأشجارها، وأكثر من نصف البستان المعروفة ببستان سعد الله باشا الكائنة في طرف القبلة من البلدة، مع بئر، وأشجار، وقصر البستانجي، ودكاكين ومعصرة وبيت فوق المعصرة في محلة اليهود، واكثر من النصف في ثلثي قيصرية السراجين مع ثلاثة دكاكين خارجها، ونصف قيصرية المطريانة الواقعة في ميدان القلعة، و قسم من بستان[2] على نهر الخوصر، وأكثر من نصف الملك الواقع في محلة الشيخ محمد عليه الرحمة، وحصص مختلفة في بستان علي أفندي، والفسيل الملاصق له، ومن خان عبيد أغا، ومن خان شيخ [الأصناف] السبعة، والمعصرة الواقعة خارجه، وذلك بموجب وقفيتهن المؤرخة في أواسط ذي القعدة 1244هـ/حزيران 1828م[3].

وقف خديجة خاتون بنت نعمان أغا على وجوه الخير

شاركت السيدة خديجة خاتون بنت الحاج نعمان أغا، سنة 1244هـ/1828م زوجها الحاج حسين آغا بن الحاج صادق أغا، في وقف حصتهما في خان الشط والكمرك وتوابعه، وخان عبيد أغا وتوابعه، في مدينة الموصل، على أوجه الخير والبر، وتشمل شراء الأضاحي في عيد الأضحى، والانفاق على «المستحقين من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام».

ثم عادت هذه السيدة فوقفت منفردة سنة 1255هـ/1839م، حصتها من الخانين المذكورين، مع دكانين لها في ميدان باب الجسر، بلصق الكمرك، وفي السوق الكبير في الموصل، على أوجه الخير المشابهة، وتشمل- فضلا عن تقديم الأضاحي- إيقاد الشمع

(1) فراغ في اصل الوقفية.

(2) فراغ في اصل الوقفية، واثبتنا ما رجحناه.

(3) الاوقاف السجل 9ص56.

في ليالي رمضان لأجل صلاة التراويح واطعام الفقراء والمساكين في ليالي القدر والأشراف (يقصد الأيام المُشرَّفة)، وتوفير مياه الشرب في هذه الليالي، وإنفاق الباقي «على المستحقين من الفقراء والمساكين»[1].

وقف عدلة خاتون على الفقراء

ووقفت السيدة عدله (عادلة) خاتون بنت أحمد أفندي بن السيد عبيد أفندي، من سكنة محلة المكاوي في الموصل، ثلث مالها، بعد وفاتها، للفقراء والمساكين، وأوصت ايضاً ان تصرف غلة الدكان الذي تملكه في محلة السراج خانة على الفقراء والمساكين، بموجب وقفيتها المؤرخة في 16 ذي القعدة 1300هـ/19 أيلول 1882م[2] .

وقفية مريم خاتون بنت احمد بك على الفقراء:

ووقفت السيدة مريم خاتون بنت أحمد بك الآي بكي بن عبد الله، من سكنة محلة جامع جمشيد في الموصل، دارها «التي هي عبارة عن حوشين داخل وخارج..» على بعض سكان محلتها، وبعد انقراضهم «يرجع الوقف المذكور للفقراء والمساكين» بموجب وقفيتها المؤرخة في 27 جمادي الآخرة سنة 1304هـ/24 آذار 1886م[3].

وقفية دولة بنت فتحي على أعمال البر والفقراء

ووقفت السيدة دولة بنت الحاج فتحي بن ياسين الصباغ، من سكنة محلة باب النبي في الموصل، دارا لها في محلة سوق الصغير، والنصف الشائع الذي تملكه من دار أخرى في محلة باب السراي من محلات مدينة الموصل، على أعمال البر والخير، إذ شرطت أن يُنفق من غلة الوقف – بعد تعميره– على من يعظ الناس، وعلى قارئ القرآن في جامع الأغوات خلال شهر رمضان من كل عام. وأن تشترى في الشهر نفسه شمعتان توقدان في «المحل المحتاج من الجوامع والمساجد»، وأضحيتان في عيد الأضحى، على أن يقسم المتبقي من الغلة «على الفقراء والمساكين» بموجب وقفيتها المؤرخة في 28 شعبان 1310هـ/16 آذار 1893م[4].

---

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) وزارة الاوقاف، السجل 9ص39.

(3) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص141.

(4) وزارة الاوقاف، السجل 10 ض44.

وقفية خَدّوجة بنت علي المفتي على الفقراء:

ووقفت السيدة خدّوجة (خديجة) بنت علي المفتي بن أحمد أفندي، الساكنة في محلة جامع جمشيد في الموصل، حصتها الشائعة في الدكان الكائن في سوق الصرافين «على الفقراء والمساكين في المواسم والأيام الأشراف» بموجب وقفيتها المؤرخة في 25 صفر 1315هـ/20 أيلول 1892م[1].

ثم أنها عادت، فوقفت حصتها الشائعة في دكانَين آخرين، أولهما في محلة السراج خانة، وثانيهما في سوق العتمة، وشرطت أن تُعطي غلة الأول إلى إحدى نساء محلتها وذريتها، وبعد انقراضهم تعطى «إلى الفقراء والمساكين»، اما الثاني فتعطى نصف غلته إلى«الفقراء والمساكين» والنصف الآخر إلى المتولين على الوقف نفسه، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 17 صفر 1317هـ/28 حزيران 1898م[2].

وقفية فاطمة بنت وحيد على الفقراء

ووقفت السيدة فاطمة بنت وحيد آغا الدار الكائنة في محلة امام عون الدين في الموصل حسبة الله، وشرطت في وقفيتها المؤرخة في 30 جمادي الاولى سنة 1350هـ/12 تشرين الاول 1931م على المتولي أن يبتاع في كل عيد أضحى «كبشين من الضأن ويوزع لحومها على الفقراء والمساكين. وان يبتاع المتولي (تَنَكة) كاز واحدة في شهر رمضان لادارة أي مسجد شاء أثناء صلاة العشاء والتراويح» كما خصصت هذه الواقفة سلفاً من المال على الفقراء «وفي بدء الشتاء من كل سنة يبتاع المتولي خمسة وعشرون ذراعاً خاماً وخمسة وعشرون ذراعاً كتان يعدله قيصا (قمصان) يوزعها على المحتاجين للكسوة. ويبتاع حسب الموسم عنباً وحلاوة مع خبز، بقدر ما يبقى عنده من ريع الدار، ويوزع ذلك على الفقراء[3].

وقفية مثيلة الصراف على الفقراء:

وقفت السيدة مثيلة بنت عبد اللطيف الصراف دارها الكائنة في محلة سوق الصغير بالموصل على وجوه من الخير، فجعلت ربع ريع الوقف ونصف الربع إلى

---

(1) وزارة الاوقاف، السجل 14 ض55.

(2) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص61.

(3) وزارة الاوقاف، السجل 10 ص84.

خدمتها، والربع إلى أخيها، على أن يشتري بالربع ونصف الربع الباقي في كل سنة بقرتان، وأربعة اكباش، وتضحى في أول يوم عيد الاضحى من كل سنة، ويشترى في فصل الشتاء، كل سنة عشرة قمصان وعشرة عباءات ويعطي ذلك للفقراء والمساكين، وصينية بقلاوة توزع على الصائمين في رمضان من كل سنة، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة 24 شوال 1366هـ/9 أيلول 1947م[1].

خاتمة

بلغ عدد المؤسسات الثقافية والدينية التي قامت المرأة بإنشائها في مدينة الموصل، إبان العصر العثماني وحده، نحو اثنين وعشرين مؤسسة، بين مسجد ومدرسة ودار قرآن، ويمثل هذا العدد أكثر من نصف منشآت المدينة المشابهة، خلال العصر نفسه، ويكشف هذا الاحصاء عن الاسهامات الواسعة للمرأة في مجالات الحياة العامة لمدينتها آنذاك.

ولنا أن نلاحظ مما تقدم في هذا البحث وفرة الموقوفات التي خصصنها للانفاق على تلك المشآت الخدمية النافعة، وتنوعها، بين قرى زراعية كاملة، وأرحاء، وآبار، وأسواق، ودكاكين، وخانات تجارية، وحمامات، ودور سكنية، وهو ما يشكل ثروة حقيقية تنفق، وفق شروط الواقفات، لضمان ديمومة المؤسسات وترميمها وصرف رواتب العاملين فيها .

وفي الواقع، فإن دور المرأة لم يقتصر على التأسيس او الإنفاق فحسب، وانما امتد ليشمل اختيار العاملين، وتحديد رواتبهم واختصاصاتهم، وانتقاء أفضل المدرسين للعمل في المدارس التي أنشأتها، وعزلهم عند التأكد من نقص كفاءتهم، كما يلاحظ اهتمامها، بوجه عام، بوقف الكتب، فقد ألحقت -كما تدل الوقفيات- خزائن حفلت بالعديد من الكتب، وبينها ماهو نادر ونفيس في بابه، تيسيراً على المدرسين والطلبة للحصول على ما يحتاجونه من مصادر البحث والدرس. بل بلغ من حب بعض الواقفات للعلم، انهن أوصين بأن يدفَنَّ في مدارسهن التي أنشأنها أو في الحجرات التي تضم خزائن كتبها الخاصة.

---

(1) وزارة الاوقاف 37/9.

وسعت اكثر الواقفات إلى توفير مستوى معقول لمعيشة العلماء والطلبة على حد سواء، فكان أن خصصن مبالغ محددة للانفاق المستمر على شراء الشمع اللازم للاضاءة، وتيسير ماء الشرب والغسل، وتوفير الطعام، بل والتدخل أحياناً بتحديد أصنافه.

وفي مجال الخدمة الاجتماعية، سعت المرأة إلى وقف الأوقاف الكثيرة للانفاق على أوجه الخير، منها شراء الأضاحي في الأعياد، وايقاد الشمع لاضاءة المساجد، وتوفير مياه الشرب فيها، وإطعام المساكين والأرامل والأيتام، بل والتدخل أحياناً بتحديد أصنافه.وإكسائهم بحسب فصول السنة، وغير ذلك من أوجه الخير.

إن رصد أعمال كهذه، لهو أمر جدير باعادة النظر في التقويم السائد لدور المرأة في تقديم الخدمات العامة لمجتمعها، ابان العصور الماضية، وهو يقدم محفزاً للباحثين في استجلاء هذا الدور المشرف في كل مكان.

دور الجماهير في صمود الموصل

سنة 1156هـ/1743م

مقدمة

لعل أكثر الإتجاهات حداثة في مجال الدراسات التاريخية تلك التي تحاول تبيان دور الشعوب في صنع الحدث، أو- في الأقل- دور(القوى التحتية) في المجتمعات الإنسانية التي تدفع بعض الأفراد، أو الفئات، إلى صنع ذلك الحدث. بل ربما ذهبت بعض الاتجاهات إلى معالجة ردود الأفعال العفوية لتلك القوى، في مواجهة تحد ما، ودراسة العوامل الخفية لهذا الموقف أو ذلك الفعل، عن طريق مقارنة ردود أفعالٍ تلك القوى عبر حقب متعددة، أو مقارنتها مع غيرها من القوى المشابهة في مناطق وأمم أخرى، وهذا ما دعا بعض المؤرخين المحدثين إلى الإعلان عن أن المؤرخ تواجهه في كل لحظة حاجة مستمرة للنفاذ إلى (أسرار القوى الجماعية) التي تشكل حياة المجنمع والأفراد المكونين لذلك المجتمع في أية لحظة في التاريخ[1].

وهكذا فقد امتدت يد البحث، وفق هذه النظرة العلمية، إلى حقب التاريخ المختلفة، فحاولت استيضاح دور حركة الشعب، أو الناس العاديين، في رسم صورة حدث ما، وفي تقرير نتائجه أيضاً، كقيام ثورة، أو تغيير نظام سياسي، أو تحرير بلاد محتلة، أو الوقوف في وجه تحد خارجي، أو داخلي..الخ، مما لم تكن ملامح الشعب ظاهرة فيه من قبل، أو أنه كانت مختفية وراء دور هذا القائد العسكري، أو زعامة تلك الأسرة.

إن البحث في عوامل خفية كهذه يشبه ما يقوم به الجيولوجي في البحث عن الحركات التي تحدث في الأعماق السحيقة من باطن الأرض، والتي تنجم عنها تغييرات جسيمة على سطحها، كانفجار البراكين فجأة، أو زوال الجزر، أو تغيير المعالم الظاهرة، وهو أيضاً يشبه عملية التنقيب عن الأسس الخفية من البناء، لا مجرد تبين ملامحه الخارجية.

وبما أن البحث في الأعماق ليس مُيسَّراً كغيره من ضروب البحث الأخرى، فربما استعان الباحث في عمله بما لم يفكر في استعماله أسلافه من المؤرخين السابقين،

---

(1) جفري براكلو: الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت 1984، ص118.

كعلوم الاجتماع، وعلم النفس الجمعي، والاقتصاد، وغير ذلك من علوم مساعدة تهديه إلى غايته.

ولا نشك في أن واقعة حصار الموصل من قبل الجيوش الإيرانية سنة 1156هـ/1743م/ هي من أكثر اللحظات التاريخية التي عبرت فيها القوى الشعبية عن نفسها في حدث ذي طابع سياسي وعسكري، حتى أنه من الصحيح القول بأن هذه اللحظة يمكن أن تكون نموذجاً دراسياً مهماً صالحاً لتبين ردود أفعال القوى المذكورة، إزاء ما مثّله الغزو، ثم الحصار، من تحدٍ خارجي عنيف، ومن المهم أن نذكر هنا أن الخروج بنتائج علمية، ومحددة، لا يمكن أن يكون إلا بدراسة اللحظات التاريخية التي سبقت تلك الواقعة، أي دراسة التطورات الداخلية العميقة، التي مر بها المجتمع الموصلي، منذ نصف قرن في أقل تقدير.

القوى الشعبية والسلطة

فمنذ أوائل القرن الثامن عشر، وربما قبله أيضاً، كانت القوى الشعبية الموصلية قد نجحت في إصعاد أسر ذات تراث ديني وثقافي، إلى مواقع الزعامة الحقيقية للمدينة، وكان آل العمري، تلك الأسرة الموصلية القديمة، يمثلون الأنموذج الأبرز لمثل هذا النوع من الزعامة المحلية، وفي الواقع كانت هذه الزعامات قادرة على منافسة ممثلي السلطة العثمانية المركزية، أو مقاومتها إن استدعى الأمر ذلك، ذلك لأنها تقف على نفس القاعدة الإقتصادية التي تقف عليها تلك السلطة، وتقوم هذه القاعدة على ملكية اقطاعية محلية قوية[1]. وبتملكها العديد من القرى الزراعية المنتجة في ريف الموصل، فأصبحت منافستها، أو مقاومتها، للنظام الإقطاعي- العسكري- الإداري العثماني فعالة ومؤثرة، بل أنها أصبحت تمثل القوى الشعبية الموصلية وتسيطر من ثم على أحياء مهمة من مدينة الموصل نفسها، وقادرة على إثارة الاضطرابات في وجه الولاة كلما شكلوا تهديداً لمصالح السكان، وبالفعل فإنها أعلنت الثورة غير مرة على الوالي العثماني سنة 1123هـ/1711م[2]، وسنة 1138هـ/ 1725م[3]،

---

(1) ينظر: كتابنا الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص41

(2) ياسين العمري: زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا ص61، والعمري أيضاً: منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1955، ص79.

(3) محمد أمين العمري: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، ج1، الموصل 1968، ص141.

ودامت الثورة في المرة الأخيرة نحو ستة أشهر كاملة، ويكشف دوامها لهذه المدة عن مدى شعبيتها.

ويمكن القول أن تلك الأسر استطاعت أن تكوِّن نوعاً من (الإقطاعية الوطنية) مقابل إقطاعية الدولة المركزية، وكان هذا اول تحرك سياسي مؤثر للقوى الشعبية في الموصل ضد سيطرة العثمانيين عليها في أوائل القرن السادس عشر.

تجلى روح الدينة

بيد أن النضال الذي قادته (الإقطاعية الوطنية) سرعان ما أخذ يضر بمصالح قوى شعبية أخرى كانت أهميتها الاقتصادية آخذة بالنمو في الوقت نفسه، فقد أدى استتباب حد أدنى من الأمن في المنطقة، إلى استعادة المدينة نشاطها الاقتصادي الذي يفرضه عليها موقعها الجغرافي، فنمت طبقة الحرفيين بتنظيماتها الاجتماعية المحكمة المسماة بـ(الأصناف)، كما نمت أيضاً طبقة التجار بنفوذها الواسع في سوق المدينة وعلاقاتها الممتدة إلى المدن الأخرى[1]، وكان طبيعياً أن يضر الصراع الدائر بين القوتين الإقطاعيتين، المركزية والمحلية، بمصالح هذه الطبقات الجديدة، فمركز ثقل الإقطاعية الوطنية هو الريف، بينما مركز ثقل الطبقات المذكورة في المدينة، وكان انتقال الصراع إلى داخل الأخيرة يعني إغلاق الأسواق، وتوقف الإنتاج، وتعطيل التجارة، وغير ذلك من الأنشطة الاقتصادية المدنية، فكان لابد لجماهير الحرفيين والتجار إصعاد الزعامات الأكثر تمثيلا لها إلى المستوى السياسي المؤثر، وهكذا فقد جرى تولي الأسرة الجليلية مقاليد الزعامة الشعبية العامة لتلك الجماهير، وهو الأمر الذي مهَّد لها الوصول إلى السلطة السياسية للمدينة، والإحتفاظ بمقاليدها مدة تزيد على القرن (1139- 1248هـ/1726- 1834م) ولم يكن التغيير يعني، في أحد جوانبه، إلاّ نجاح القوى الشعبية مرة أخرى في اختيار قيادتها الممثلة لمصالحها، وانتقال الزعامة من (الاقطاعية الوطنية) التي كان يمثلها العمريون وحلفاؤهم، إلى ما يمكن أن نسميه (البرجوازية الوطنية) التي كان يمثل مصالحها الجليليون وحلفاؤهم.

وكان وصول القوى الشعبية إلى السلطة السياسية قد عجَّل في عملية تحوُّل أخرى كانت تجري في فرق الجيش الإنكشاري المتخذة مواقعها في محلات المدينة

(1) ينظر: الموصل في العهد العثماني ص285- 311.

الرئيسة، وخلاصة ذلك التحول أن أعداداً غفيرة من السكان، ومعظمها من أبناء الحرفيين، قد أخذت بالانضمام إلى الفرق المذكورة، مستغلة ضعف الإدارة المركزية للجيش الإنكشاري، ويهذا أصبحت هذه الفرق، منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر، لا تعني إلا أصناف الحرفيين بأزياء إنكشارية[1]، ويهذا نجحت جماهير الموصل، أو قواها الشعبية، مرة ثالثة في الاستحواذ على السلطة الاقتصادية، بفرقها (أورطاتها) الخمس الموجودة في الموصل، فاستوت لها بذلك السيطرة على السلطات السياسية (السراي) والعسكرية (الإنكشارية) فضلا عن التنظيمات الاقتصادية (الأصناف) والثقافية (العلماء)، وهكذا فإن من المجافاة للواقع التاريخي، البحث في تلك المرحلة بالذات، عن خطوط تفصل بين هذه السلطات، لا سيما ما يتعلق بصناعة القرار السياسي، وعليه فليس من الممكن تصور موقف شعبي، قد يتناقض أو حتى يختلف، عن موقف أي من السلطات والقوى المذكورة، وبخاصة السلطة السياسية.. وفي الواقع فإن (روح المدينة) كانت تتخلل كل شيء فيها، وتتمثل في تلك العلاقات الاجتماعية والإقتصادية المتينة بين فئات السكان، من ولاة وتجار وحرفيين وعلماء وضباط وجنود محليين، فلقد كانت الموصل كلاً واحداً له أوجه مختلفة، وليس إتحاداً أو توازناً بين أجزاء، وكان ذلك، على وجه التحديد، هو مبعث قوتها، وسر صمودها، في طول أيام الحصار الشاقة الطويلة.

المشاركة في قبول الحرب

إن دور الموصليين في ذلك الحصار إذن، هو دور الجماهير لا أقل ولا أكثر، ليس من فرق بين وال وجندي وتاجر وحرفي ومثقف، وهذا في الوقت نفسه هو منشأ الصعوبة عند الحديث عن دور محدد لأي من هؤلاء. فمن الناحية السياسية فإن مجرد الحديث عن الموصليين بعيداً عن دور قائدهم الحاج حسين باشا الجليلي يعني تجريد القوى الشعبية الموصلية من زعامتها الشرعية، وإذ سمى الموصليون هذا الوالي القائد- كما يذكر دومنيكو لانزا- بأبيهم[2]، يعني أن العلاقة بينه وبينهم كانت تسمو

---

(1) نيبور: رحلة نيبورإلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، بغداد 1965، وينظر جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1970، ص92، والموصل في العهد العثماني ص144- 246.

(2) دومنيكو لانزا: الموصل في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الإيطالية رفائيل بيداويد، الموصل 1952، ص52.

على أي اعتبار طبقي، أو أسري، أو إداري مفروض، فهي علاقة أبوية أولاً، ولا يهم- بعد ذلك- بأي إطار تكون.

وفي ظل العقلية السياسية السائدة في تلك العهود، لم يكن مألوفاً على الإطلاق أن يكون للجماهير الشعبية كلمة، أو رأي، في القرارات الرئيسة التي يفترض أن تخص الدولة مباشرة، كإعلان حرب، أو عقد هدنة، أو توقيع إتفاق ما، وإنما كان ذلك من مهام السلطان وحده، ومن يختارهم ممثلين له، من ولاة وقادة كبار، ولكن الوالي حسين باشا الجليلي لم يكن ممثل السلطان وحده، وإنما كان يمثل جماهير الشعب في الوقت نفسه، فإنه خرق هذا العُرف عامداً، تاركاً لأدنى الفئات في المجتمع الفرصة لإبداء الرأي في أكثر الأمور فصلاً وأهمية.

وذكر الشيخ فتح الله القادري[1]، أن الحاج حسين باشا الجليلي، حينما وردت إليه أنباء تحرك نادر شاه بجيوشه الضخمة نحو الموصل، دعا إلى اجتماع جماهيري حاشد في دار الحكم، أي سراي المدينة، ولم تكن الدعوة مقترنة بأي قوة أو إلزام، بوصفه والياً، إذ يذكر:

فنادى في الناس هلموا واقبلوا ... إن تسمعوا قولي وإلا فاهملوا

فكان مجرد حضور الناس إلى المكان المحدد، في الموعد المضروب، مع ترك الخيار لهم بعدم الحضور، يمثل أول استفتاء شعبي حول ضرورة اتخاذ موقف جماعي موحد

(1) أرجوزة في حصار الموصل، نشرها سعيد الديوه جي في ملاحق منية الأدباء ص242- 272 ثم أعاد نشرها مستقلة بعنوان (ملحمة الموصل)، الموصل 1965، وتصور هذه الأرجوزة دور الجماهير الموصلية في أثناء الحصار بشكل يزيد تفصيلاً هلى ما أوردته المصادر التاريخية الأخرى، ومن الواضح، من الأرجوزة نفسها، أن اطلاع ناظمها كان دقيقا على مجريات الحصار والصمود، وسنعتمد هنا على النشرة المستقلة لها، ومن الجدير بالذكر انه من غير المحدد تاريخ هذا الاجتماع الشعبي المبكر، ولكن يفهم من الأرجوزة التي انفردت بالإشارة إليه، أنه سبق توجه نادرشاه إلى بغداد، ومعنى ذلك أنه جرى في أعقاب أول تغيير أحدثه نادرشاه في خطته، حينما أوقف عملياته في الشرق، وشرع يخطط لمهاجمة الدولة العثمانية، وكان قد جرى ذلك في ذي الحجة 1155هـ/كانون الثاني 1742م، وهذا ما يؤكد رواية طه بن يحيى الباليساني (في رحلته التي دونها بعد الحرب بسنة واحدة) بأن أفراداً من داخل جيش نادرشاه «أرسلوا خفية إلى أهل الموصل الخبر أن طهماس (يريد نادرشاه) مراده غدا وفي وقت كذا يأتيكم كذا، أصحوا أن أعملوا جهدكم (رحلة طه الكردي الباليساني، بتحقيقنا، ط2، أربيل 2007) وإذ ذكر ياسين العمري في(الآثار الجلية) أن استعداد الموصليين جرى بعد أن تحققوا من قدوم نادرشاه في ذي الحجة 1155هـ/ 1742م، يكون ذلك الاجتماع قد عقد في أحد أيام الشهر المذكور، ولا يذكر محمد أمين العمري هذا الاجتماع.

من الأحداث، كما أن حضورهم «لسماع قوله» يعني أيضاً، قبولهم، في هذا الاستفتاء الحر، به، ليس بوصفه والياً رسمياً معيناً من قبل الدولة فحسب، فهذا أمر لم يكن يحتاج إلى استفتاء، وإنما كزعيم شعبي، أو كـ (أب) كما يذكر لانزا.

وفي الاجتماع الكبير لم يطرح الوالي رأيه، وإنما طلب من الجماهير التي حضرته رأيها، يقول القادري[1]:

وقال: يا ناس فما التدبير؟ ما الفعل ما القول وما التقرير

واكتفى هو بتقديم تقرير فني حول إمكانات المدينة العسكرية، وبحسب القادري فإن ذلك التقرير جاء واقعياً تماماً، وبعيداً عن أي مبالغة في تقدير حصانة المدينة ومنعتها، وإنما قدم الحقائق كما هي، أو كما تبدو فعلا، فالسور (مدثور)، والخندق (من قدَم مهجور) و(آلة الحصر) معدومة، وهكذا فقد واجه الجماهير بالحقائق، بكل ما كانت تبدو عليه من قتامة، مكتفياً بنصيحة، لا بأمر، بأنه لم يفقد الأمل بقدرة الله على التدخل لصالحهم، إذا ما قاموا، متكاتفين متوحدين، لا فرق بين خواص وعوام، بإنجاز ما أشار إليه التقرير من مواطن ضعف وخلل[2].

فلتخرج الخواص والعوام كذا خطب، وكذا إمام

نحفر خندقاً ونبني سورا ونحفظ العيال، ثم الدورا



أحد أبواب الموصل القديمة

(1) ملحمة الموصل ص8.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

ولا نشك في أن مواجهة الجماهير بالحقائق المجردة، كان الخطوة الصحيحة الأولى في طريق المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار، وهو ما أدى- من ثم- إلى إطلاق كل طاقاتهم في سبيل تنفيذ ما توصلوا إليه من رأي مشترك. لقد أدركت الجماهير، بفطرة سليمة، أن المُستهدَف الأول هو وجودها نفسه، ومصير أجيالها المقبلة، قبل أن يكون نظاماً أو سلطاناً، فكان تعبير (حفظ الأولاد) و(العيال) و(الأطفال والعيال) و(الدُور) هو السائد على ألسنة الموصليين، وهو ما أدى إلى إحساس كل واحد منهم، بأن الحركة إن هي إلا حركته هو، وأنه اتخذ قراره بنفسه في وجوب الدفاع عن مدينته حراً بلا إكراه[1]، وإن مصيره الشخصي ومصير أسرته مرتبط بنتائج قراره. ووفقاً لهذه الروح هيأت المدينة قواها واستعدت للمجابهة العسكرية.

وحينما أرسلت الدولة العثمانية مفتياً إلى الموصل يحمل فتوى شيخ الإسلام بوجوب محاربة الإيرانيين، فوجئ هذا المفتي بتهكم الجماهير الموصلية، فقد كانت هذه الجماهير أكثر وعياً مما افترض شيخ الإسلام، وبواعث الثبات والمقاومة أكبر شأناً مما أودع في تلك الفتوى. ويشير القادري إلى أن الناس طلبوا منه، إن كان صادق المقال، أن يثبت ليشاركهم القتال[2]، وهي إشارة مهمة، لأنها تدل على أن الناس كانوا يُدركون، وهم يعيشون في عصر الفتاوى السياسية، أنه لا قيمة لقولٍ دون عملٍ وقتال.

ولم تفت أنباء استيلاء نادرشاه، على كركوك وأربيل، وتوجهه إلى الموصل، من عضد الموصليين، بل زادت من تماسكهم، ودعا الوالي الجليلي الجماهير مرة أخرى إلى اجتماع حاشد، واجهها فيه بالوقائع المحددة، كما وردت إليه، وفي لحظة توحد وتلاحم شعبي حقيقي، أكد أن وحدة القيادة بالشعب - في حقيقة الأمر- وحدة عضوية. يقول القادري في أرجوزته معبراً عن فحوى ذلك الخطاب:

فنحنُ منكم، ثم أنتم منّا ... فلا تخافوا فشلاً وجُبنا

وعرضكم عرضي، وأنتم مني ... وطفلكم طفلي، خذوا ذا عني

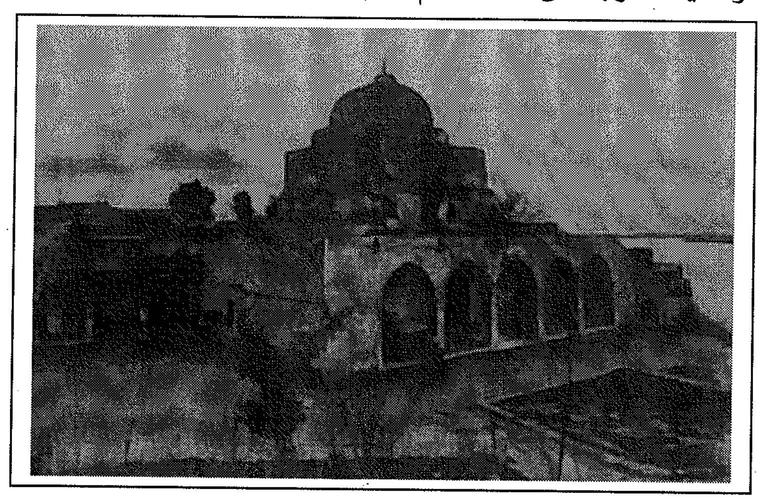
وفي 21 رجب 1156هـ/9 أيلول 1743م وصلت طلائع الجيش الإيراني إلى القرى القريبة من الموصل، محرقة مهلكة مدمرة، ووفدت إلى المدينة سفارة من مقر الشاه في أربيل يرأسها مفتي كركوك السابق، وتحمل رسالة كتبها ملا باشي علي أكبر، الرئيس

(1) من أرجوزة في وصف الحصار للسيد عبد الله الفخري. ينظر عثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، تحقيق سليم النعيمي، بغداد 1974 ج1 ص306.

(2) المصدر نفسه ص14.

الديني للإيرانيين إلى مفتي الموصل، يحاول فيها استمالة الموصليين بتصوير الحرب على أنها وسيلة لحسم نزاع عقائدي مع السلطان العثماني لا شأن لمدينتهم فيه.

ومع أن أمر الرد على رسالة كهذه، كان يقع ضمن صلاحية الوالي وحده، إلا أنه فضل مرة أخرى اللجوء إلى ما يمكن تسميته بالدبلوماسية الشعبية، فدعا (سكان المدينة على اختلاف طبقاتهم) إلى اجتماع كبير في الفضاء الواقع خارج باب السراي، أحد أبواب السور الجنوبية، قريباً من الجامع الأحمر[1]، أحد أقدم المساجد الأثرية في الموصل وأهمها. ويدلنا اختيار الفضاء موضعاً للإجتماع على ضخامة عدد الجماهير التي جرى توقع مجيئها إلى حضوره. وعند الجدار القبلي للجامع الأثري، تمت تلاوة الرسالة التي بعث بها نادرشاه على مسامع الجمهور المحتشد، وكما كان متوقعاً، تعالت الهتافات من كل ناحية تدعو إلى ضرورة التمسك بالمدينة إلى الرمق الأخير، وإلى تفضيل الموت في الحرب على الاستسلام المشين[2].



الجامع الأحمر (المجاهدي)

حيث اجتمع الموصليون لاتخاذ قرار الدفاع والمقاومة

---

(1) يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة، في جنوبي الموصل القديمة، أمر بإنشائه مجاهد الدين قيماز سنة 576 كما شهدت بذلك كتابة أثرية قرأها نيبور سنة 1766م، وسمي بالجامع المجاهدي نسبة إليه، ثم عرف في القرون المتأخرة بالجامع الأحمر بسبب لون مصلاه، كما عرف بجامع الخضر، جرى تجديده غير مرة.. ينظر سعيد الديوه جي: الجامع المجاهدي، مجلة سومر، المجلد 11، الجزء 1955.

(2) منية الأدباء ص180.

وعلى إثر ذلك الاجتماع، صيغت رسالة جوابية احتوت على أكبر قدر ممكن من معاني الإباء والشجاعة واستصغار العدو[1]، ووضح «أنه لن تسلم المدينة وفيها إنسان حي، ولن يرتكب أحد منا دناءة التسليم ولا يتحمل ذل مثل هذه الخيانة»[2]، وانتهزت الجماهير هذه الفرصة فبايعت قائدها «على القتل وقد تحالفوا لا ينقضن منا أحد».

ولسنا نريد هنا أن نستعرض واقع الحصار نفسه، بصفحاته المتعددة، فذلك ما يخرج عن نطاق بحثنا والغاية التي توخيناها من هذا البحث.

اعداد ساحة المعركة

وكان تحصين المدينة، الذي تعرض للإهمال إبان القرون الأخيرة، يمثل أول متطلبات التعبئة، فانطلقت الجماهير (الخواص والعوام) إلى فضاء الموصل لترميم ما تصدع من أسوارها، وتجديد ما اندثر من حصونها، وما إنردم من خنادقها. ويشير القادري إلى أن خروج الناس كان (على الإطلاق)، وأن واحداً لم يستثن نفسه لأي سبب كان، ويضمنهم تلك الفئات التي اعتيد على عدم زجّها في المعارك، كالعلماء والعلويين، وذوي المهن الدينية البحتة، كالخطباء وأئمة المساجد. ويذكر ياسين العمري أن الذين خرجوا هم أهل الموصل: الكبير والصغير، والغني والفقير، والعزيز والحقير. ويمكننا أن نتوصل من الإشارة إلى إغلاق الحوانيت والأسواق، إلى أن أغلب من خرج للعمل كان من أهل الحرف والكسبة والباعة والتجار، أي من كانوا يُسمّون بالعامة، ويلاحظ أن خروجهم لم يكن عشوائياً، وإن كان عفوياً، إذ يذكر محمد أمين العمري أن الوالي «نصب على كل صنف من الناس واحداً من المتقدمين عنده»[3]، وهو ما يدل على أن حركتهم كانت تجري في نطاق تنظيماتهم الحرفية المعروفة بالأصناف. وفي مدينة كالموصل، ذات نشاط حرفي وتجاري كبير، كان أغلب السكان منتظمين في أصناف، وكان لكل صنف جمهوره المتمثل بعامة الفعلة والخلفات، وقيادته المنتخبة المتكونة من شيخه وكهيته (أي نائبه) ومجلس الصنف الذي يضم الأسطوات[4]، ولا نشك في أن أصناف البنائين والحجّارين والمعمارين والصقالين والجصّاصين والمكارين والخشابين والنجارين كانت في مقدمة تلك الأصناف العاملة، وقد تعاملت قيادة

---

(1) نشرها سعيد الديوه جي في ملاحق منية الأدباء.

(2) سالنامة الموصل لسنة 1325هـ، ملاحق منية الأدباء، ص274.

(3) منهل الأولياء ج1 ص152.

(4) بحثنا: الملامح الاجتماعية لنظام الأصناف في العراق ابان العصر العثماني، من هذا الكتاب

الولاية مع جماهير الأصناف وفقاً لأصنافهم، وكل ما في الأمر، أنها عينت على كل صنف مشرفاً عنها، من أجل تخطيط العمل وتنظيمه، وإقامة التنسيق بين الأصناف نفسها في إنجاز الأعمال المناطة بها.

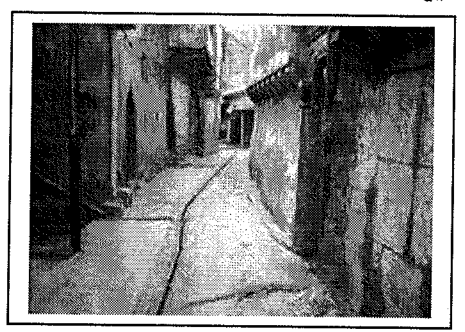
وبتوجيه من القيادة الموصلية انطلقت الجموع إلى خارج أسوار المدينة لتزيل الروابي والأكمات المحيطة بها، وتجعلها قاعاً صفصفاً، خشية من أن يتخذها الأعداء سبباً في التسلط على داخل المدينة، ولنا أن نتصور ضخامة الأعداد التي خرجت ليلا وهي تحمل معاولها، و(زنابيلها)[1]، لتحيل مثل تلك المرتفعات أرضاً مستوية خلال وقت قصير[2].

يقول القادري[3]:

ثم ترانا في ظلام الليل	نرفع زنبيلاً كهطل السيل
وتسمع الصياح والضجيج	كانما في مكة حجيج

الإعداد المعنوي

وكان للفنانين نصيبهم من التعبئة، أو التهيئة لها، فقد صدحت في فضاء المدينة أصوات الآلات الموسيقية، من الطبول والبوقات والنايات والمزامير[4]، وإذا افترضنا أن جانباً من ضاربي الطبول ونافخي الأبواق كانوا من فرقة الموسيقى العسكرية، المعروفة باسم (المهترخانه)، فإن النايات والمزامير كانت آلات شعبية تماماً، تنبئ بأن عازفيها لم يكونوا إلا موسيقيين عاديين من عامة أهل الموصل وفنانيها.



عوجة (زقاق) في الموصل القديمة

(1) الزنبيل: السلة الكبيرة التي تحاك من جريد النخل.

(2) ملحمة الموصل ص9.

(3) المصدر نفسه ص9.

(4) المصدر نفسه ص10.

الإعداد المالي

ولما كانت أعمال ضخمة كهذه تستلزم أموالاً جمة، تزيد على إمكانات الخزينة المحلية، فقد تسارع الموسرون إلى بذل الأموال للإنفاق على مستلزمات التحصين المختلفة. وعلى الرغم من أننا لا نملك معلومات عن الفئات التي أنفقت، ومقدار المبالغ المنفقة، ففي وسعنا القول أن الأمر شمل جميع البيوتات الموسرة، والتجار، وشيوخ الأصناف، وذلك أن حكومة الولاية قد اعتادت، في حالات الضرورة، دعوة اولئك الموسرين للإنفاق على المشاريع الخدمية ذات النفع العام، وهو ما عبر عنه القادري بقوله[1]:

بذلنا جهداً، وصرفنا مالا　　　لحفظ الأولاد والعبالا

إن مشاركة الموسرين بالتبرع من أجل الإنفاق على مستلزمات المعركة المقبلة يكشف عن حقيقة مهمة، وهي أن إعداد هذه المستلزمات لم يكن يجري على سبيل السُخرة، مع أنه لو جرى ذلك لما عُد الأمر غريباً، فالمعركة قادمة والدفاع عن المدينة واجب أهلها، إلا أن المبادئ، على نبلها، لم تكن مبررا للتجاوز على الحقوق.

تأمين الغذاء

وبعد أن أنجزت أعمال التحصين والحفر، واستردت المدينة مَنعَتها، أسرع الشعب، بتوجيه من قيادته، في حملة حصاد الغلال، بهدف خزن الغذاء الكافي للسكان في أثناء الحصار المقبل. ولم تكن الحملة بالأمر الميسر بأي حال، فحصاد كميات ضخمة من القمح في مساحات واسعة من الحقول، وبسرعة استثنائية مع ضيق الوقت، ثم نقلها، وهذا الأصعب، من القرى التي في شرقي الموصل إلى المدينة عبر جسر عائم وحيد، كان أمراً صعباً، لا سيما وأن هذا الجسر كان مشغولاً في الوقت نفسه بعبور أعداد كبيرة من أهل تلك القرى الفارين إلى المدينة للإحتماء بأسوارها، ومنهم عيال وأطفال لهم «عويل وصراخ». ويصور القادري هذه الحملة على أنها كانت صورة أخرى من صور التلاحم الشعبي، منقطع النظير، إذ قال[2]:

فأخرج الناس إلى الحصاد　　　أجابوا بالسمع بلا عناد

(1) المصدر نفسه ص11.

(2) المصدرنفسه ص13.

وقال: دوسوا[1] ثم ذروا وانقلوا غلتكم وأحذروا نصحي تهملوا

مما دل على أن الذين قاموا بحملة الحصاد الكبرى تلك، لم يكونوا من فلاحي القرى فحسب، وإنما شاركهم من خرج إليهم من جماهير المدينة، وهم الذين سبق أن شاركوا في حملة البناء والتحصين من قبل. ولم تقتصر عملية خزن الغذاء على القمح فحسب، وإنما تم نقل كميات كبيرة من الخشب ربما بوصفها مصدر طاقة للطبخ ونحوه، فضلا عن البقول[2].

وحينما تفتق ذهن نادرشاه عن خطة جديدة تعتمد على إضعاف معنويات الموصليين عن طريق قطع مياه الشرب عنهم، بتحويل مجرى الماء الذي منه يستقون، لم يعدم الشعب توفير هذه المياه من مصادر أخرى مختلفة، ومن ثم «بقي الجميع كما كانوا في طابيات الحصن الحصين معتصمين بالصبر الجميل»[3].

إعداد السلاح

وجرياً على أسلوب تنظيم الحملات الشعبية، جرى إعداد حملة أخرى لإصلاح قطع السلاح المتوفرة في المدينة، ومن الراجح أن هذه الحملة شملت آلات الحصار، كما وصفها تقرير الوالي القازيقجي، فضلاً عن المدافع والأسلحة النارية والعادية الأخرى[4]. ويدل توزيع الوالي قطع السلاح من (التُفك)[5] والسيوف على الجماهير، وتقسيم كميات البارود فيما بينها[6]، عن طبيعة المعركة كما فهمتها القيادة والجماهير معاً، فمسؤولية الدفاع لن تكون على عاتق الجيش النظامي وحده المتمثل بفرق الإنكشارية فحسب (رغم أن هذه الفرق لم تعد إلا أهل الموصل حصراً)، والحرب لن يتولاها الجنود المحترفون على الأسوار وفي الأبراج الحصينة، وإنما هي معركة الشعب كله، وعلى هذا ينبغي للسلاح أن يكون بأيدي الجميع، دونما تمييز.

---

(1) داس الزرع، تعبير عامي موصلي، بمعنى درسه.

(2) في النسخة المطبوعة من ارجوزة القادري ورد اللفظ بشكل (ثقل) ولكن المحقق ذكر أنه في نسخ أخرى من الأرجوزة ورد بشكل (بقل) ونرى أن اللفظ الأخيرهو الأنسب للسياق.

(3) تقدرير حسين باشا ص283.

(4) ملحمة الموصل ص13

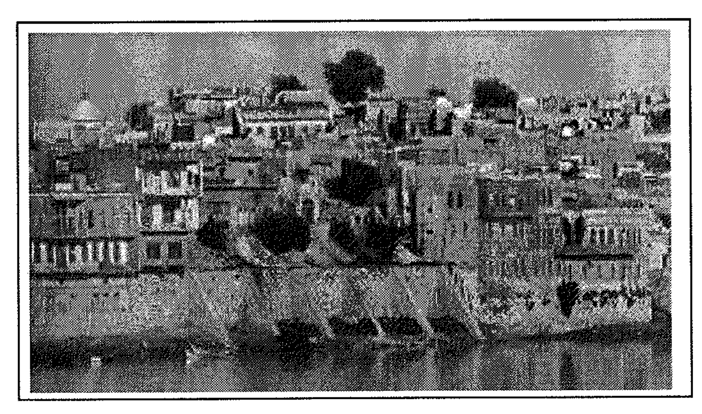
(5) التفك والتفنك: البندقية والبنادق.

(6) المصدر نفسه.

التطوع الشعبي للقتال

ويمكن القول أن جميع ما حدث بعد ذلك من وقائع كان يعبر بجلاء عن حالة نادرة من التماسك الاجتماعي، فلم نسمع بانتماءٍ غير الإنتماء إلى المدينة، ولم يكن ثمة هدف إلا الثبات ودفع العدوان. واندمجت قوى الشعب المسلحة، والقوات النظامية والقيادة العليا، بحيث يعسر على الباحث أن يضع أي خط فاصل بين هذه القوى، ولاشك في أن القوات النظامية لم تكن تكفي للمقاومة الفعالة، فهذه القوات لا تزيد على ستة آلاف أو سبعة آلاف مقاتل في أقصى تقدير، بينما احتاجت الموصل إلى عدد يفوق هذا بأضعاف لتواجه جيشاً قدر بنحو ثلاثمائة ألف جندي. ولما كان عدد السكان في داخل المدينة قد بلغ نحو (50000) نسمة[1]، يضاف إليهم من قَدِم إليها من أهل القرى[2]، فإن المجموع كان يصل إلى (70000) أو (80000) نسمة. ونستطيع القول بأن عدد من كان يستطيع حمل السلاح من هؤلاء كان لا يقل عن (20000) أو (30000) رجل، وهو أقصى ما تستطيعه مدينة محاصرة أن توفره من جنود، وهكذا فقد كانت الموصل كلها في المعركة، وقد كشفت مجريات الحصار والعمليات العسكرية التي رافقته عن أهمية هذا العامل في رسم نتائج جميع الوقائع وصفحاتها المتعاقبة.

ولما لم يكن جميع المتطوعين مدربين على استعمال السلاح، لا سيما في مثل هذه المعركة الحاسمة، فقد عمدت القيادة الموصلية إلى تكليف فئة من العسكريين «يُعلِّمون طُرق الجهاد» و«يهدون ناساً سبل الرشاد»[3].



جانب من محلات الموصل القديمة

(1) كتابنا: الموصل في العهد العثماني ص318- 319.

(2) حبش بن جمعة: مذكرات خطية نشرها روفائيل بيداويد في ملاحق مذكرات لانزا: الموصل في القرن الثامن عشر ص94.

(3) ملحمة الموصل.

المشاركة في القتال

ويبرز دور (العساكر) النظامية في معركة الخيالة الخفيفة التي جرت عند مشارف الموصل بين (عساكر الإسلام المنصورة) بقيادة عبد الفتاح الجليلي (700 أو 800 فارس)، أخي والي الموصل وبين قوة كبيرة من الجيش الإيراني، قدرت بنحو عشرة آلاف مقاتل، وفيما عدا هذه المعركة، لم يعد ثمة دور مستقل لهذه القوات[1]، إلا بوصفها جزءاً من قوى المدينة كلها، العسكرية والمدنية على حدٍ سواء، ولم نعد نسمع إلا إشارات إلى (الناس) و(أهل الموصل) و(رجال الموصل) و(الجميع).

لقد استنفر الوالي الجليلي الشعب للقتال، فخرج الجميع حاملين ما يملكون من أنواع السلاح.

ويقول القادري عن لسان حسين باشا الجليلي:

فقُوموا يا قَومي إلى السلاح   وصاح فينا صائح: الفلاح!

وأعطي لكل مقاتل دَورَه في المعركة، فلم يكن ثمة جزء من الأسوار إلا وعليه مقاتل:

ورتَّب الناسَ على البروج   وما ترى في السور من فروج

وحينما بدأ نادرشاه هجومه بقصف المدينة «بالمدافع الكبار والقنبر»[2] في 8 شعبان 1156هـ/25 أيلول 1743م، كان أهل الموصل على الأسوار، مرابطين في الليل والنهار، لا يفترون عن الاستغفار. ولم تميز اطلاقات الجيش الهاجم بين أحد من أهل الموصل، فقد صارت المدافع تطلق قنابلها من إثني عشر جانب على داخل المدينة. ويصف تقرير رسمي أثر تلك الإطلاقات بقوله إن «قطعها الهدامة للبيوت تسلب الراحة، وأصواتها الشبيهة بالصواعق تمثل حلول يوم القيامة»[3]. ووصف مؤرخ موصلي أن الناظر كأنه كان يرى «أن السماء أمطرت ناراً على الأرض، وهاجت

(1) في تقرير حسين باشا (ص 281) إشارة إلى أن هذه القوات كانت تضم قوات من الدلاة (جمع دلي وهي كلمة تركية تعني حرفياً المجنون)، ويقصد بهم المندفعون في خوض غمار المعركة، واللوند، وهي فرقة من القوات المجندة محليا، وأغوات الأندرون، أي الضباط التابعون للسراي، إلا أن هذه الأسماء لم يعد لها أي ذكر في صفحات القتال التالية.

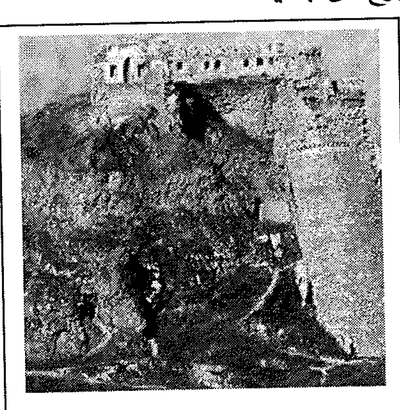
(2) زبدة الآثار الجلية ص75

(3) هذا التقرير رفعه كل من محافظ الموصل حسين باشا القازيقجي، ووالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي، ملاحق منية الأدباء ص277.

الحرب، وماجت الأرض، وعلا الصراخ، وكثر الرعد كالصواعق». وذكر أن هذه الإطلاقات هدمت كثيراً من الدور، و«دثرت بيوتاً لا يحصى لها عدد وأهلكت أنفساً كثيرة»[1]. ولكن آثارها على الروح المعنوية للشعب كانت مختلفة تماماً، يقول هذا المؤرخ «ومع ذلك ما هالت قلوب الناس الغازين (أي المجاهدين) بل كلما زاد عليهم شديد ضرب المدافع والقنابر، إزدادوا شجاعة وثباتاً، وعلت أصواتهم بالتكبير والتوحيد للجليل الجبار إلى أن صاروا يعُومون في بحر من نار كمثل طيور السَمندر»[2].

الالتفاف الشعبي حول القيادة

وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل، لاح للعيان فشل الصفحة الأولى من الهجوم في ترويع السكان بالقنابل لحملهم على الاستسلام، وافتتح نادرشاه الصفحة الثانية بتكثيف الهجوم بالمدفعية الثقيلة على برج (باشطابية) الأثري، حيث مقر القيادة الموصلية، وتمكنت قواته من إحداث ثغرة جسيمة فيه «تمكن الخيالة من اجتيازها فضلاً عن الرجَّالة»، فكان أن أمر الوالي الجليلي بسد الثغرة على الفور، وتولت فرقة مُعدَّة لهذا الغرض من البنائين، تسمى (المعمارية) العمل، فضلا عن سائر (الناس) وجازف هو بنفسه «وأحجار السور تهوى عليه كالمطر»[3] ليحثهم على الإسراع بسد الثغرة، «فكلما انفتح جانب من السور سدوه بغرارات التراب، ووضعوا أجسام القتلى بدلاً من الحجارة» فأنقذت شجاعته، فضلا عن الموقف الشعبي المساند، الموقف، وتم إحكام البرج من جديد.



برج باش طابية حيث مقر قيادة الحاج حسين باشا الجليلي

(1) منهل الأولياء ج1 ص 154 و155.

(2) المصدر نفسه. وتقرير حسين باشا الجليلي ص282.

(3) المصدر نفسه ج1 ص156.

وتوالى هدير المدافع خمسة أيام أخرى دون انقطاع، قُدِّر ما ألقي على الموصل خلالها بأربعين ألف أو خمسين ألف قنبلة مدفع، ومائة ألف قذيفة هاون، وكان الوالي الجليلي «من أول الليل إلى النصف الأول يدور حول البلد والبروج، ويقوي المجاهدين من الغُزاة والثبات على الأعداء»[1] ثم يقوم ولداه مراد ومحمد أمين بالسهر على الحصون حتى الصباح.

وازاء مقاومة الموصليين واستعدادهم عمد الإيرانيون إلى تكتيك عسكري كان متبعاً في حصار المدن المنيعة في ذلك العصر، وهو حفر أنفاق طويلة تحت الأرض، تتصل بأسس الأسوار، تسمى (ألغاماً)[2] وتحشيتها بالبارود وتفجيرها لهدم تلك الأسوار، وهكذا فإنهم حفروا أنفاقاً من ناحية مرقد الشيخ قضيب البان، في خارج باب سنجار، وحشوها بارودا، إلا أن ذلك لم يؤد إلى الغاية المرجوة، إذ انفجر نفقان على الذين فوقهما، ولم يصل أثرهما إلى دعائم سور الموصل، فزاد ذلك في ارتفاع معنويات المدافعين، و«ثبت أهل الموصل أحسن ثبات»[3]. ويصف القادري حال أهل الموصل في تلك الأيام الحاسمة بقوله[4]:

فالتجأ الناس نعم للسور ... وفوضوا الأمر إلى الغيور

وأخلصوا لله بالنيات ... ووطنوا الروح على الثبات

قتال النفس الأخير

ولما لم يُجدِ القصف، ولا قطع المياه، ولا إطالة أمد الحصار، في الفتِّ في عَضُد الجماهير المدافعة عن مدينتها، بدأت الصفحة الثالثة والأخيرة من العدوان، وذلك بالهجوم الكبير على الأسوار بأفواج كثيرة من الجند، تحمل نحو ألف سلَّم عال أعدت لتسلقها، وفي الواقع، فإن جماهير الموصل عبَّرت في صَد هجوم السلالم هذا عن أروع معاني البسالة والتماسك الإجتماعي، فحينما صد الجنود في الأسوار والمزاغل هجوم متسلقي السلالم بوابل من نيران بنادقهم، وبالقنابل

(1) منهل الأولياء ج1 ص155.

(2) أصل كلمة لغم: لقم، لأن البارود كان (يلقم) في أفواه الأنفاق.

(3) المصدر نفسه ص103.

(4) ملحمة الموصل ص14.

اليدوية، وبالسلاح الأبيض، بل والحجارة[1]، وأوقعوا بمن كان في الخنادق، هبطت جماعات من الموصليين لتفتك بمن وجدوهم في أسفل السور، فدارت معارك في الخندق «بالخناجر والسيوف»، وجرى سحب سلالم المهاجمين من على السور، «وكان كل واحد منهم كأنه أسد ضار»[2]. ويصف مؤرخ معاصر، هو محمد أمين العمري، تلك الساعات العصيبة من تاريخ الموصل بقوله[3]:

فنزل المسلمون وانقضوا عليهم انقضاض الشهب على الشياطين، وأعملوا فيهم السيف البتار، وفتكوا منهم ما لا عدد له، ولحق الغازون من خارج السور أثر الملحدين، كأمثال الذئاب، وقتلوا منهم ما لا يحصى عددهم، وأوقعوهم بالذل والخيبة، وكان يوماً على الكافرين عسيرا»

أذابت حمى الدفاع عن المدينة والاستبسال المتناهي عن كل حجر فيها، كل فرق بين من هو جندي في الجيش، وبين من هو فرد عادي من العامة، فلم نعد نقرأ عن جنود نظاميين، وإناس متطوعين، وإنما نقرأ عن (مسلمين) و(غزاة) و(شجعان موحدين) فحسب، يقاتلون بوصفهم كتلة متراصة واحدة.

وفي مساء ذلك اليوم «هبت نسائم النصر»[4] إذ تأكد لنادرشاه، بما لا يقبل الشك، خسارة جيشه المعركة نهائياً، وعدم جدوى الوقوف تحت أسوار المدينة الصامدة، لتلقي المزيد من الخسائر، بينما كانت بوادر التململ السياسي قد أخذت تبين في داخل ايران نفسها. وفي اليوم التالي جرت مفاوضات قصيرة حول الإنسحاب، أريد بها الحفاظ على ما تبقى من ماء وجهه إزاء جنده[5]، وبانتهاء ذلك، شرع الجيش الإيراني بالانسحاب غير مُخلِّف وراءه إلاّ ذكريات الفشل والهزيمة المرة[6].

---

(1) تقرير حسين باشا، مصدر سابق ص282. وياسين العمري: الدر المكنون، الورقة 594.

(2) تقرير حسين باشا ص286.

(3) منهل الأولياء ج1 ص159

(4) تقرير حسين باشا ص288.

(5) وافق نادرشاه على إخلاء جميع الأراضي التي احتلها. رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء س51.

(6) انسحب نادرشاه عن الموصل في 4 رمضان 1156هـ/21 تشرين الأول 1743م. ياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص182.



نادرشاه

خاتمة

لقد كشفت مجريات معركة حصار الموصل سنة 1156هـ/1743م عن أنها كانت – بالدرجة الأولى– معركة شعب يدافع عن وجوده، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وجميع ما ادعاه نادرشاه من أسباب الحرب، كشف الشعب بطلانه وزيفه. ولقد أدرك الموصليون، منذ اللحظة الأولى، أن الدفاع عن مدينتهم يبقى مسؤوليتهم هم، قيادة وجيشاً وشعباً، قبل أن تكون مسؤولية السلطان العثماني. لذا فقد استمات الجميع، دون انتظار لجيش أو مدد عثماني، من أجل الدفاع عن مدينتهم، ولذلك فإن النصر كله كان للجماهير الموصلية، على اختلاف أطيافها. ولم يجد مُعد التقرير الرسمي عن الحصار من فضل يُعزيه إلى السلطان سوى (دعواته المباركة)!.

لقد كانت– كما سماها باحث معاصر[1] بحق– (ملحمة الموصل) كل الموصل، وهي بذلك تعد أنموذجاً نادراً لمدى ما يمكن أن تؤديه روح المدينة، المعبرة عن تماسك جماهيرها ووحدتها، من دور مؤثر في الإستجابة للتحديات[2].

(1) المرحوم سعيد الديوه جي، صفحة العنوان لأرجوزة القادري سنة 1965.

(2) ذكرالأديب البغدادي محمد بن عبد الغفور الرحبي في ترجمته للسيد عبد الله الفخري أن له منظومة «في وقائع نادرشاه وما نتج منها ومحاصرته للحدباء ورحيله عنها وعدم نيله منها ما أراده، ولم يحصل له مُتمناه ومُراده، إذ هي محروسة بعين عناية الملك المتعال، وإلاّ فهي وقعة تشيب لها الأطفال، وتدك الجبال، وتذهب العقول، وتحير الفحول، وقى الله شرها، وبرَّد حَرَّها، ودفع ضرَّها، فألف هذا الفاضل الذي فاق الأوائل هذه الأرجوزة، وجعلها ميدان تلك الوقعة والحروب والنوائب». غاية المشتاق في علماء العراق (مخطوط)

أضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة 1839 م

عاش المشرق العربي إبّان إعادة الحكم العثماني المباشر إليه في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، منعطفا مهما في تاريخ تطوره السياسي والحضاري العام، تمثّل بزوال حكوماته المحلية شبه المستقلة عن الإدارة العثمانية المركزية، ومن ثمَّ ضياع آخر أمل بالاستقلال. ونتيجة لانفتاح البلاد على التجارة الرأسمالية الأوربية، قُضي على إمكانات تطورها الإقتصادي المستقل، ومهّد الطريق لهيمنة اقتصادية أجنبية متزايدة، سرعان ما اتخذت بُعداً سياسياً ملحوظاً، واقترنت بجملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة.

ومن ناحية أخرى شهد المشرق العربي قيام دولة محمد علي في مصر، بما تمثّله من روح عصرية جديدة، ووصول الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي إلى بلاد الشام، وإحرازه الإنتصارات السريعة على القوات العثمانية؛ ليضم هذه البلاد إلى مصر في دولة واحدة، ومن الطبيعي أن تؤدي تلك المتغيرات الجديدة إلى بعث الأمل لدى الفئات العراقية المعارضة لإعادة الحكم العثماني المباشر، للتخلص من السيطرة العثمانية، وهكذا فقد شهدت مدن العراق قيام انتفاضات شعبية متعددة، عبرت في واقع الأمر عن رفض السكان عودة السيطرة المباشرة على مدنهم، بما تعنيه من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة، وقد بلغ من عنف هذه الانتفاضات وامتدادها، أنها كادت – في بعض اللحظات – أن تقضي على الوجود العثماني نفسه، أو أن تحرجه إلى حد كبير، كما تدل مجرياتها على اختصاصها بقيادات ذات تجربة وبأس، وحسن تقدير للمواقف السياسية عهد ذاك، ففي بغداد شبت الثورة في الجانب الشرقي في 27 ذي الحجة 1247 (آخر أيار1832 م) بزعامة مفتي المدينة عبدالغني آل جميل[1]

وتشير التقارير إلى أن نصف أهل بغداد كانوا في ثورة على واليها علي رضا باشا اللاظ (1247-1258هـ / 1831 – 1842م[2] (ولم يتم القضاء على الثورة إلا بعد

---

(1) عباس العزاوي؛ تاريخ العراق بين احتلالين، 14/7.

(2) دار الوثائق القومية والتاريخية بالقاهرة، محفظة 238 عابدين، وثيقة رقم 68 تقرير لوحيد أفندي عن يوم 8 ربيع الآخر 1248هـ/4 تشرين الاول 1832م.

قصف مراكزها بالمدفعية، والتنكيل بالثوّار، وحرّق دُورهم[1]، ولم تكد الثورة أن تنتهي حتى نشَبت ثورة أخرى في الجانب الغربي من بغداد، قامت بها عشيرة عقيل النجدية التي سبق وأن اتَّفق زعماؤها مع القيادة المصرية في الشام، ونجح علي رضا في القضاء على الثورة بعد استعمال مدفعيته مرة أخرى[2].

وفي البصرة شكل الثوار قيادة جديدة تحت زعامة عزير آغا متسلم المدينة السابق، وحاول الأخير إزاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد بالقوة[3] إلا أن محاولته لم تنجح بسبب الأوضاع الدولية[4].

تدل الشائعات التي انتشرت بين الناس في تلك الآونة على مدى ضَعف السلطات العثمانية، وحراجة موقف علي رضا، فقد أُشيع أنه اعتصم بقلعة بغداد[5]، وأنه فرَّ من المدينة[6] وأنه لقِي مصرعه[7]، وأن أهل بغداد عزلوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية عليهم، وعينوا مكانه واليًا من بينهم؛ إبرازًا لميلهم إلى مصر[8]، ولم تقتصر الثورة على المدن الرئيسية فحسب، وإنما امتدت إلى ما سواها من المدن والقصبات، فأظهر متسلم (عانه) طاعته للحكومة المصرية، وأعلنت (هيت) انضمامها إلى جانب مصر[9]، فزاد ذلك من حراجة الموقف العثماني في بغداد، حتى قيل: إن «كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون قدوم العساكر المصرية المنصورين.[10]» وأكد

---

(1) العزاوي؛ المصدر السابق 15/7، وعبدالعزيز سليمان نوار؛ تاريخ العراق الحديث، (القاهرة 1968)، 452.

(2) الوثائق القومية، محفظة 246 عابدين، وثيقة 65 بتاريخ غرة شعبان 1248هـ/ 24 كانون الثاني 1832م والعزاوي؛ المصدر السابق 29/7، وانظر: عبدالرحمن حلمي السهروردي؛ تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا (بغداد 1996) ص71.

(3) .1832 هـ/ أيار1248في محرم 198وثيقة رقم 235الوثائق القومية، محفظة

(4) العزاوي؛ المصدر السابق 25/7.

(5) الوثائق القومية، محفظة 235 الوثيقة السابقة.

(6) الوثائق القومية، محفظة 250 الوثيقة رقم 480 في 2 ذي الحجة 1250هـ/ 2 أيار 1835.

(7) الوثائق القومية، محفظة 235 وثيقة رقم 198 محرم 1248هـ/ أيار 1832م.

(8) الوثائق القومية، دفتر معية تركي وثيقة 823.

(9) الوثائق القومية، محفظة 238 عابدين، الوثيقة العربية رقم 262 مراسيم إلى شيوخ القبائل العراقية في 24 ربيع الآخر 1248هـ/ أيلول 1832م.

(10) الوثائق القومية، محفظة 238 عابدين، وثيقة 68 تقرير وحيد أفندي في 8 ربيع الآخر 1248هـ/ 4 تشرين الاول 1832م.

التقرير الذي رفعه قنصل إنكلترا في بغداد «أن هذه الولاية هي الآن في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا، وأنظار الشعب العربي متجهة في المحبة نحو إبراهيم) يريد: إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في الشام[1]»

وفي الموصل كانت الأسرة الجليلية التي حكمت الموصل مدة قرن تقريبا[2]، تتحيَّن الفُرَص لاسترجاع حكمها بعد أن أوْدَت السياسة العثمانية المركزية بحكم آخر ولاتها يحيى باشا الجليلي، وقد أقام الأخير في حلب متابعاً أخبار تقدم الجيش المصري، وهزائم العثمانيين إزاءه، ويظهر أن اتفاقًا قد جرى بينه وبين القيادة المصرية بوساطة حليفه الشيخ صفوك الفارس شيخ مشايخ شَمَّر الجَربا؛ إذ ما أن قارب إبراهيم باشا دخول حلب، حتى غادرها يحيى باشا متجهاً مع حليفه صفوك نحو الموصل، وكانت المدينة تعيش فترة قلقٍ واضطراب آنذاك بسبب عجز الدولة العثمانية عن حمايتها إزاء الأخطار المجاورة[3].

وتشير بعض الوثائق إلى أنه «استولى على الموصل بمساعدة بعض سكانها[4]»؛ مما دلَّ على وجود كتلة، أو حزب، مؤيد له في الثورة على الدولة العثمانية، وإن هذا الحزب كان من القوة؛ بحيث لم يَبق بيد المتسلم المنصوب من قبَل علي رضا إلا حيٍّ واحد فقط، وهو قريب من السقوط، وأن يحيى باشا أعلَن بصراحة أنه يحكم الموصل بأمرٍ من دولة إبراهيم باشا لا بأمر الدولة العثمانية[5].

وإذ يذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تايلرTaylar، أنه كان في الموصل حزب قد أخذ جانب مصر[6]، فمن الراجح أن يكون هذا الحزب هو الذي استند إليه يحيى باشا في فرْض سيطرته على المدينة، ولم يستطع العثمانيون القضاء

---

(1) من تايلر القنصل الإنكليزي في بغداد إلى كامبل القنصل الإنكليزي في الإسكندرية، بتاريخ 6 تشرين الثاني 1833؛ داود بركات: البطل الفاتح إبراهيم 94.

(2) انظر عن حكم هذه الأسرة لولاية الموصل كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975.

(3) المصدر نفسه، ص202 – 203.

(4) الوثائق القومية، من إبراهيم باشا يكن إلى إبراهيم باشا بن محمد علي في 9 جمادي الأول 1248هـ/4 تشرين الثاني 1832، محفظة 239 وثيقة رقم 73.

(5) الوثيقة نفسها.

(6) عبدالعزيز نوار؛ تاريخ العراق الحديث، القاهرة 1968، ص 194.

علـى حكمـه إلاّ بعـد اتبـاعهم سياسـة إشـغال حليفـه صـفوك في نزاعـات قبليـة مستمرة[1]، وبعزله تمَّ القضاء على آخر الحكومات المحلية شبه المستقلة في العراق، وفرضهم الإدارة المباشرة عليه.

وكنا لا نعلم مصير هذا الحزب المؤيد لزعامة الجليليين، وللإدارة المصرية في الشام، بعد انتهاء حكم يحيى باشا الجليلي، حتى وقفنا على وثيقة مهمة تتضمن تقريرًا سريًا بعث به أحد ضباط الجيش المصري إلى إبراهيم باشا في الشام سنة 1255هـ/1839م، تحدث في بعض فقراته عن انتفاضة كبيرة قام بها الموصليون في تلك السنة، وقد جاء في التقرير ما يأتي[2]«جواب الشيخ الموما إليه (هو حُمود جَسّار) الأول بخصوص علي باشا (اللاظ) ، فإنه بتاريخ 35 ص (صفر1255)، قد وكل بغداد فريق باشا[3] وملا علي[4]، وهو توجه إلى الموصل بينه وبين بغداد مقدار اثني عشر يومًا، ومعه من العساكر مقدار سبعة آلاف من الجهادية وغيرهم، وكان وصوله في ثاني من ربيع الأول، وحصل بينه وبين أهل الموصل وقعة، فقَتَل من أعيانهم اثنين وسبعين شخصًا، وسيَّر من العلماء سبعة إلى نواحي البصرة من دون ذنبٍ، غير أنه يخبر على أنهم كاتبوا سعادة أفندينا إبراهيم باشا، ومُبغضون إلينا.» ...

فهذا النص يكشف على أن (الوقعة) المذكورة لم تكن – في حقيقة الأمر – إلاّ انتفاضة شعبية عارمة، شارَك فيها عددٌ كبير من أعيان المدينة وزعمائها؛ لأنه ليس مألوفًا أن يُعدم هذا العدد الكبير منهم، ما لم تكن قد شملت المدينة بأسْرها، وباتت تهدِّد الوجود العثماني هناك نفسه.

وتدل معاقبة العلماء بنفْيهم إلى البصرة، على مشاركتهم الفعلية في حوادث الانتفاضة؛ إذ لولا تلك المشاركة وجدِّيتها، لما تعرَّضوا إلى النفي والتبعيد، ولقد حاول

---

(1) الموصل في العهد العثماني، 206.

(2) الوثائق القومية، محفظة 267 عابدين، وثيقة حمراء من خورشيد إلى الباشمعون في غرة جمادي الآخرة 1255هـ/ 12 آب 1839.

(3) لم تقف على هُوية فريق هذا في مصادر الحقبة.

(4) هو المعروف بالملا علي الخصي، وكان يتولى وظيفة (كتخدا الحرم)، فقدمه علي رضا باشا وجعله بمنزلة قائد الجيش، ومسؤولاً عن ضرائب العشائر، واشتهر بظلمه؛ العزاوي المصدر السابق، 7/49.

والي الموصل العثماني تطبيق التجنيد الإجباري، مستهدفًا تحقيق أمرين معًا، أولهما: زيادة القوات العثمانية المتجهة لإسناد الجهد العسكري الرئيس في أعالي الفرات ضد الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، وثانيهما: التخلص من القيادات الموصلية السابقة، والمؤيدة لحكم الجليليين، وضرب زعامتها بالقضاء على تشكيلاتها العسكرية، فكان ذلك كله من الأسباب التي أدّت إلى سرعة انتشار الانتفاضة وعنف مواقفها من السلطة المذكورة.

كما يكشف التقرير أيضًا عن أن زعامة الإنتفاضة كانت تتصل سرًا بواسطة الرُسُل، بقيادة إبراهيم باشا؛ بُغية تنسيق المواقف بينهما، وهذا يدل على أنه كان للزعامة المذكورة تقديرها للظروف الخارجية، ورغبة في توظيف الظروف لصالحها، وفي الواقع فإن توقيت الانتفاضة نفسه يدل على دقة هذا التنسيق، فهي قد حدثت في أواسط شهر صفر سنة 1255هـ الموافق لأوائل أيار من سنة 1839م، وفي هذا التاريخ كان إبراهيم باشا في حلب يُهيِّئ قواته العسكرية وحلفاءه من القوى المحلية العربية للقاء العثمانيين في نزيب (في الغرب من بيره جَك) حيث دارت - بعد أقل من شهرين[1] -المعركة الشهيرة المنسوبة إلى هذا المكان (24 حزيران 1839م.)



ابراهيم باشا في مقدمات معركة نزيب

وبالنظر لقرب الموصل من حلب، ووجود قوى حليفة فيها لها تجربة سابقة في الانتقاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة - فإن من المعقول أن تكون ثمة اتصالات قد جرت بين القيادة المصرية في حلب، وزعامة

(1) انظر: عبدالرحمن الرافعي؛ عصر محمد علي (القاهرة ط3، 1951)، 310 - 323، وبيير كربتيس؛ إبراهيم باشا، (ترجمة محمد بدران القاهرة 1937)، ص 229-248 .

الانتفاضة في الموصل لتوقيت القيام بتلك الانتفاضة، على ما يشير إليه التقرير المذكور؛ إحراجًا للموقف العسكري العثماني بوجه عام.

وإذا كان هذا التقرير قد كشف - على سبيل الإجمال - عن حدوث الانتقاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة، فإن كثيرا من تفاصيله بقي غير معروف، يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصّي.

وكان من حسن التقدير أننا وقفنا في أثناء بحثنا عن وثائق بعض الأسر الموصلية القديمة، على نبذة تاريخية مخطوطة، ذات سمَة أُسَريَّة، بعنوان (تاريخ آل السراج في الموصل)، نقلها السيد محمد بن داود السراج، في سجل كبير يحتفظ به في داره في مدينة الموصل[1]، فاذا بها تتضمن تفاصيل مهمة لم تُعرف من قبلُ عن هذه الانتفاضة الشعبية، وقد عزز السيد محمد بن داود هذه النبذة بتوضيحات مهمة - مما يحفظه بقوة حفظ ملحوظة - عن أسلافه، وعند دراسة هذه النبذة والروايات المكملة لها، تأكَّدت لنا أهميتها بوصفها تلقي ضوءًا جديدًا على تلك الانتفاضة.

تدور معطيات النبذة حول شخصية قائد الانتفاضة، أو أحد أبرز قادتها، وهو عبدالكريم بن سبتي بن محسن، وكان سبتي هذا شيخا على فخذ البوحَمَد أحد فرعي قبيلة الخزاعل في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وتشير شجرة نسب الخزاعل إلى أنه ابن محسن بن محمد بن حمد بن عباس بن محمد بن مُهنّا[2]، وأكثر أبنائه تولّى مشيخة عشيرته، جيلاً من بعد جيل، يوم كانت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة في الجهة اليسرى من فرات الديوانية (صَوّب الجزيرة) أيام عمرانها، وقد تولى هو رئاسة عشيرته بصورة رسمية سنة 1212هـ (1797م)[3] في حياة عمه حَمَد الحمود شيخ الخزاعل ذائع الصِّيت،

---

(1) إن نسَبه كاملاً هو: محمد بن داود بن محمد بن أحمد بن عبدالكريم بن جاسم بن عبدالكريم بن سبتي، وتقع النبذة في صفحتين، نقلها من أوراق خطية كانت لدى أُسرته.

(2) كتابنا: الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة (بغداد 1992) شجرة الخزاعل ص208.

(3) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، (بغداد 1992)، شجرة الخزاعل، ص 208.

وبينما تذكر بعض المصادر الخطية أن لسبتي ولدًا اسمه ظاهر[1]، تشير النبذة الخطية إلى أن له ابنًا آخر هو عبدالكريم المذكور[2].

وفي الوقت الذي يشير فيه مؤلف غير معروف إلى «أن سبتي لقي مصرعه غريقًا في نهر المُسَرْهَد (الغرّاف) سنة 1228هـ (1813م)، عندما كان في حرب على قبيلة المنتفق[3]، تصرِّح النبذة بأنه توفي في الموصل سنة 1243هـ (1827م)، وسبب هذا الاختلاف – على ما يوضحه السيد محمد بن داود راويًا عن أبيه – أن سبتي توجه بجيشه القبلي في أثناء المعركة التي حدثت بين المنتفق والعثمانيين، إلى مساندة المنتفق، وهناك حُوصر من قبل القوات العثمانية النظامية والقوات القبلية المساندة لها، فاضطر إلى إلقاء نفسه بفرسه إلى نهر المسرهد (الغراف)، مما أدى إلى غرق الفرس، وعند بحث الخزاعل عنه، وجدوا فرسه ميتة على شاطئ النهر، فظنوا أنه غرق، أما سبتي نفسه، فإنه نجا من الموت ليقع أسيرًا بأيدي القوات العثمانية، فأبعدته السلطات العثمانية إلى الموصل؛ حيث سُجن هناك أحد عشر عامًا، والتحق به في تلك الأثناء ولده عبدالكريم وأمه، وكانت الأخيرة من قبيلة العبيد النازلة قرب الموصل آنذاك، فأقامت وولدها في منازلهم، وصادف أنه كان في صُحبة سبتي في سجنه أحد شيوخ العبيد الثائرين، وهو حسين آل هندي من إحدى حمائل فخذ البوشاهر من أفخاذ قبيلة العبيد[4]، فتوسط الأخير – بعد أن أطلق سراحه – لدى السلطات العثمانية لكي تعفو عن سبتي، وتم ذلك بالفعل سنة 1239هـ (1823م)؛ أي: بعد أن قضى في السجن نحو أحد عشر عامًا، ولم تمض إلاَّ أربع سنين حتى توفي، فدُفِن في جامع إمام إبراهيم أحد جوامع مدينة الموصل القديمة[5].

عاش عبدالكريم في كنَف أخواله من البوشاهر العبيديين حتى بلغ رشده، فتزوج من إحدى بنات خاله، فأنجبت له طفلاً واحدًا دُعي (جاسم)، وسكن هو في

---

(1) حمود الساعدي؛ دراسات عن عشائر العراق، الخزاعل (النجف 1974)، ص 115.

(2) المصدر نفسه، 65، عن كتاب مخطوط غير معروف المؤلف.

(3) شجرة عبدالكريم آل سبتي من عشيرة آل حمد المعروفين بآل السراج، (مخطوطة)

(4) حمود الساعدي؛ المصدر السابق، ص64.

(5) يذكر عباس العزاوي (عشائر العراق 143/3) أن رئيس آل هندي كان يُقيم في عهده في منطقة الحويجة.

مدينة الموصل في محلة من محالها تُعرف بالمكّاوي[1]، وهناك اشتَهر أمره، وذاعت بين الناس أخبار كفاءته وشجاعته، فاختاره أهل المحلة شيخًا لهم، على الرغم من أنهم كانوا من عشائر مختلفة، أهمها الزهيرات والشهوان، والبوحَمدان والبُدُش[2]، وغيرهم .

وكانت محلة المكّاوي تُعَد واحدة من المحلات التي اتخذت منذ القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) موطنًا لإحدى أكبر فرقتين إنكشاريتين في الموصل، وهي الفرقة السابعة والعشرون، المعروفة بالتركية باسم (يَكرمي يدي)[3]، وبموجب ما أصاب نظام الإنكشارية نفسه من تغير، وانقطاع إمداده بالجند الجديد منذ زمن بعيد، فقد أصبح منتسبو هذه الفرق هم أهل المحلات التي توجد فيها حصرًا، بمعنى أن الفرَق لم تعد تمثل إلا مصالح السكان أنفسهم - من تجار، وحرفيين، وأصحاب المهن الأخرى - ومن هنا يفهم سبب ولائها لزعامة الجليليين المحلية طيلة قرن كامل من الزمن، ولم يؤدي الإلغاء الرسمي لنظام الإنكشارية سنة 1241هـ (1825م) إلى زوال أسماء هذه الفرق، وإنما ظلت لحين تمثل القوى المسلحة لأبناء المحال التي كانت نتشكل منها، وهكذا فقد عُدَّ عبدالكريم بن سبتي بموجب زعامته لأهل محلته، زعيمًا للفرقة (يكَرمي يدي) أيضًا، وإذ كان لكل فرقة أو محلة علمها الخاص، أصبح عبدالكريم يسمى (بيرقدارًا)، فهو زعيمها وحامل رايتها في أثناء الملمات، وممثلها لدى القوى الأخرى.

وفي الواقع، فإن لهذه الفرقة تراثها العسكري الحافل في إسنادها لزعامة الجليليين، ومن المرجح أن تكون هي التي أسندت يحيى باشا الجليلي عند

---

(1) يقع هذا الجامع في محلة تنسب إليه، فيقال له: محلة الإمام إبراهيم، وإبراهيم هذا هو الأمير إبراهيم السَّهراني الجراحي، وكان معاصرًا للشيخ عدي بن مسافر، وهو الذي أنشأه، وفي الجامع مقبرة فيها بعض قبور متأخرة لآل الصابونجي وغيرهم، ولم أعثر بينها على قبر سبتي الخزعلي، فالظاهر أنه اندرس منذ عهد سابق، انظر نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل؛ تحقيق سعيد الديوهجي (بغداد 1956)، 70 - 72.

(2) لمَّا تزل داره موجودة حتى اليوم، إلا أنها قُسِّمت - بحسب الإرث - إلى عدة دُور، وقد ظل أحفاده من آل السراج يقيمون فيها حتى السنين الأخيرة، وانظر عن محلة المكاوي: أسامة غاندي، على موقع البيت الموصلي

(3) البدش: فخذ من عشيرة البوحمدان.

استعادته حكم الموصل، ممثلاً لإبراهيم باشا بن محمد علي سنة 1249هـ/1834م، وعرفتها الوثائق البريطانية المعاصرة - لذلك السبب - بحزب مصر، فمن الطبيعي أن تكون محلة المكاوي وجوارها من محلات الميدان ورأس الكُور - حيث يستقر زعماء الفرقة المذكورة والفرق المتحالفة معها - مؤهلة للقيام بالثورة كلما سنَحت الفرصة، فاذا أضفنا إلى تلك الأسباب العامة، الأسبابَ الشخصية المتمثلة بموقف عبدالكريم، ووالده سبتي وأخواله من العبيد المناوئ للوجود العثماني - يكون من المفهوم: لِمَ كانت هذه المحلات قاعدة الانتفاضة ومقر قيادتها ومنطلقها في الوقت نفسه.

وتعد محلات المكاوي ورأس الكور والميدان، وإمام إبراهيم - الجزء الأكثر كثافة وأهمية من محلات الموصل في القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)[1]، ويتميز موقعها بأنه يحتل معظم شاطئ دجلة، وهو ما يعني توفر طرق مواصلات جيدة لها، كما أنها تقع قرب سراي المدينة؛ حيث لا تفصل بين هذه المؤسسة والنهر سوى محلة الميدان، وتكتظ هذه المحلات بالأزقة (المسماة محليًا بالعَوْجات) الضيقة، والتي تسهل السيطرة على مداخلها عند الملمات، وإذا أضفنا إلى ذلك كله ارتفاعها النسبي عن مستوى سطح المدينة، ومن ثم إشرافها على أكثر المحلات الأخرى - تبين لنا أهمية أن تكون هذه المحلات منطلقًا لانتفاضة شعبية مسلحة عنيفة، تشارك فيها فئات عديدة من السكان.

واذا سكت التقرير السري المنوه به آنفًا عن أسماء قادة الانتفاضة، فإن النبذة الخطية تنوِّه بوجود زعامات أخرى، إضافة إلى عبدالكريم بن سبتي، منها رجال من آل نوح، وهم فرع من حمولة آل الهندي من البوشاهر العبيديين الذين كانوا يسكنون محلة رأس الكور الواقعة إلى الجنوب من المكاوي، وتربطهم بعبدالكريم

---

(1) وكان والي بغداد إسماعيل باشا قد نفاهم إلى الموصل سنة 1148هـ/ 1735م، أما الفرقة الأخرى المكافئة لها في العدد والأهمية، فهي المسماة أوطوزبير؛ أي :الفرقة رقم 31، هذا بينما يقل مجموع منتسبي الفرق الثلاث المتبقية: أوننجي (الفرقة 10)، واللي ايكّي (الفرقة 52)، واللي سكز (الفرقة 58) عن مجموع منتسبي الفرقتين المذكورتين؛ ينظر عبدالرحمن السويدي؛ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2003، ص404، وياسين العمري؛ الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة 294.

صلة المصاهرة، ونحن نعلم أن حسين الهندي كان ثائرًا في وجه العثمانيين منذ وقت سابق، وأنه كان مسجونًا في سجن الموصل يوم جيء بعبدالكريم إليه سنة 1228هـ (1813م)، ولكننا لا نعلم تاريخ ثورته وماهية أسبابها، ومن المحتمل أنه اعتُقل أثناء الاضطرابات المسلحة التي صاحبت السنين الأخيرة من حكم الجليليين، والتي كان من أسبابها محاولة السلطة العثمانية القضاء على هذا الحكم، وضرّب القوى المساندة له[1].

ولما كنا نعلم بوجود عشائر أخرى، كانت تقيم في هذه المحلات - منها الشهوان، والبو حمدان والبُدش - سبق لها أن أيَّدت زعامة عبدالكريم بن سبتي، فإن من المنطقي أن زعماء هذه العشائر كانوا يُعدون زعماءَ لهذه الانتفاضة أيضًا، ويدل قيام السلطة العثمانية بإعدام (72) ونفي (7) من زعمائها على سعة الانتفاضة وضخامة عدد المشاركين فيها.

وليس من المحدد الأسباب التي أدَّت إلى فشل هذه الانتفاضة الكبيرة، غير القسوة الشديدة التي واجهتها بها السلطة العثمانية، وهي قسوة بلغت حد استخدام المدفعية والجيش النظامي نفسه، وفي ذلك يقول القس (المطران فيما بعد) سليمان الصائغ: «أنه لَمَّا ثارت أهالي الموصل وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه، أرسل إليهم أحد أعوانه يدعى قاسم أفندي؛ ليدعوهم إلى الطاعة، ويقنعهم في الإذعان إلى القانون العسكري، فلما أقبل رسوله إلى الأهالي، ثاروا

---

(1) تعد محلة المكاوي من المحلات الكبيرة، يحدها من الشمال محلة عبدو خوب، ومن الغرب محلة جامع جمشيد، ومن الجنوب محلة رأس الكور، ومن الشرق نهر دجلة، ومثلها مساحة محلة رأس الكور التي تقع إلى الجنوب منها، وتمتد هذه المحلة من نهر دجلة شرقًا إلى محلة جامع جمشيد غرباً، وتمر أجزاؤها الغربية بشارع النبي جرجيس، وشارع عارف السماك، وتعد أعلى المحلات في المدينة القديمة؛ حيث يبلغ ارتفاعها 34م فوق سطح البحر، تليها محلة المكاوي، أما محلة الميدان، فتقع إلى الجنوب من محلة رأس الكور، وإلى الشرق من محلة باب النبي، وإلى الشمال من باب الطوب، وإلى الشرق من نهر دجلة، وتعد من أشهر محلات المدينة القديمة وأكثرها أهمية؛ من حيث طبيعة موقعها، والمنشآت التي كانت موجودة فيها، وبالقرب من هذه المحلات محلة إمام إبراهيم، وهي صغيرة تحيطها محلات: باب النبي، وجامع جمشيد، والمكاوي ورأس الكور؛ انظر: د. هاشم خضر الجنابي؛ التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة (الموصل 1982، ص95- 96

عليه وقتلوه، فأحضر محمد باشا (اينجه بيرقدار والي الموصل آنذاك) عشرين مدفعًا صَوَّبها على المدينة، ثم أرسل عليها بعض الكتائب النظامية، فدخلوها ونهبوا أسواقها، وسفكوا دماء أبرياء كثيرين، ثم أمسك بعضًا من وجوهها، وأرسلهم نفيًا إلى البصرة[1]»

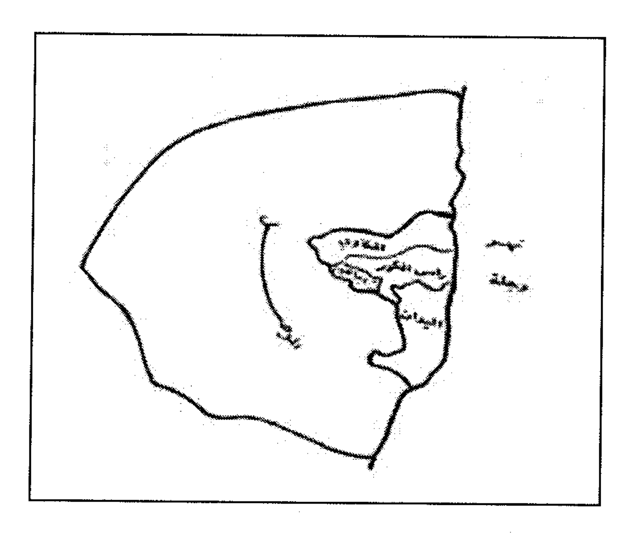
والذي نراه أن مسألة رفض القانون العسكري لم تكن إلاّ غطاءً أرادت به السلطة تغطية الأسباب الحقيقية للانتفاضة ودوافعها الكامنة في المجتمع الموصلي، وفي الظروف الدولية على حد سواء، لقد أدرك محمد باشا اينجه بيرقدار هذه الحقيقة، وهو ما يفسر قسوته وبطشه بالأبرياء، من غير المؤهلين لأداء الخدمة العسكرية أصلاً، ومن المؤسف أننا لا نملك معلومات عن الأشخاص الذين قُتلوا أو نُفوا، باستثناء واحد منهم، هو عبدالكريم بن سبتي نفسه؛ لأن النبذة الخطية تشير صراحة إلى أنه «اعتقل في تلك المعركة، وأصبح في قبضة الأتراك، ولم نعرف ما جرى له بعدها؛ لأنهم أخذوه إلى إسطنبول». وفي هذه المدينة تضيع أخبار عبدالكريم، ويُنسى أمره، فلا نعلم ما إذا كان قد سُجِن أو أُعدِم، وعلى أية حال، فإنه لم يَعُد إلى الموصل مرة أخرى.

على الرغم مما كان يبدو توقف الانتفاضة، والقضاء على زعمائها، فإن جمرها لبث مُتقداً في النفوس جيلاً آخر، من ذلك أن حفيداً لعبدالكريم بن سبتي، هو أسعد بن جاسم[2]، ورث زعامة محلته وتأييد أهلها، فاختاروه بيرقداراً؛ أي: حاملاً للوائها، واتفق الأخير مع رفاق له، منهم محمد آل ياس الزهيري من عشيرة الزهيرات التي تسكن الموصل، وكان هذا (بيرقدارا) هو أيضًا لمحلته، فعرف الثوار من ثَمَّ بالبيرقدارية نسبة إليهما، بيد أن خبر التكتل الجديد تسرب إلى أسماع السلطة العثمانية، فأرسلت قوة عسكرية حاصرت مساكن الثوار، وتم إلقاء القبض على أسعد «وجماعة البيرقدارية»، وأُلقوا بهم في السجن، وكان منهم محمد آل ياس الزهيري، فتمكن الأخير من الفرار بنفسه من السجن، بينما بقي أسعد وجماعته في سجنهم، وحكم على أسعد بالاعدام، فنُفِّذ شنقًا، أما رفاقه، فقد

(1) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، 242 – 245.

(2) تاريخ الموصل، 213 – 214.

حكم عليهم بالسجن، وبهذا انتهت آخر الانتفاضات التي قام بها الموصليون إبان العصر العثماني.



الملحق 1: المحلات الثائرة في مدينة الموصل

ألفاظ حضارية في فلسطين
من القرن السابع عشر

تُعد الفتاوى المصدر الأول لعلم الفقه، حيث كانت هذه الفتاوى تمر في ثلاثة مراحل في الأقل حتى تصل الى صورتها الأخيرة، وهي كتاب فقه. وأولى تلك المراحل جمع الفتاوى نفسها، والغالب أن يكون كاتبها، أي المفتي، هو من يقوم بذلك، وثانيها ترتيبها على حسب القسمة الاصلية للفقه، العبادات ثم المعاملات وهكذا، وثالثها تجريد الفتاوى نفسها من آثار زمانها ومكانها، فتُحذف تواريخها، وتسقط أسماء المستفتين، وأسماء من وردت الإشارة اليهم في ثناياها، فلا يبق إلا جسم القضية وحدها، وهو حكم المفتي فيها، وقد يتولى آخرون، من المؤلفين، أو من بعض طلبة المفتي، هاتين المهمتين الأخيرتين، فيخرج الكتاب وهو حاو للمسائل دون أولياتها، دافعاً بالعلماء وطلبتهم الى الوقوف على الأحكام الفقهية وحدها مجردة من التفاصيل التاريخية التي تحيط بها، والتي تخرج عن إهتمام الفقيه الذي تنحصر غايته في البحث عن حكم سابق يفيد منه في القضية المعروضة عليه.

على أن كتب الفقه تجد اليوم من يهتم بها غير الفقهاء، إذ يَعدها المؤرخ مصدراً أساساً يتعرف من خلاله على جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية للمجتمع موضوع بحثه، ربما سكت عنها المؤرخون، وهو من ثَمَّ مَعني بتتبع تلك الأوليات التي أهملها مؤلف الكتاب الفقهي أكثر من الحُكم المستخرج منها، فتلك الأوليات تمثل على نحو صادق الدواعي الواقعية التي أدّت بالمستفتي الى عرض مشكلته على الفقيه المفتي، طالباً حكمه، وتكشف عن هويته الإجتماعية، والفئة أو الطبقة التي ينتمي إليها، والمدينة والحي الذي يسكن فيه، كما أنها تصرح بأسماء خصومه في المشكلة التي تواجهه، بحسب طبيعة سؤاله، إن كانوا ذوي نفوذ ما أم إناس عاديين، ، وتكشف عن هوياتهم غالباً، والتاريخ الذي كتبت فيه أحياناً، وما إلى ذلك من شؤون متنوعة تمثل مصدراً حقيقياً لدراسات تاريخية مختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن لغة الفتاوى نفسها تمثل مصدراً مهماً لدراسة تطور اللغة في عصر كاتبها، فالفقيه المفتي يضطر في أحيان كثيرة إلى اختيار ألفاظ ومصطلحات من واقع الحياة في عصره طلباً لأن تكون فتواه مفهومة تماماً لدى المستفتي، بل أنه يختار

ألفاظ الأخير ومصطلحاته نفسها في رَدِّه عليه، مبتعداً إلى حد ما عن استعمال المصطلحات الفقهية التقليدية التي ربما لا تحتفظ بالدرجة نفسها من الوضوح لغير الفقهاء.

ويمثل كتاب (الفتاوى الخيرية)[1]، أنموذجاً بيِّناً للكتاب الفقهي الذي يقف في مرحلة وسطى بين مرحلة جمع الفتاوى الصادرة عن الفقيه المفتي، وتبويبها بحسب التقسيم التقليدي للفقه، وبين مرحلة تجريدها من كثير من أولياتها التاريخية التي استندت إليها، والإبقاء على الحُكم دون سؤال طالبه، ومن ثم فهو يستحق وقفة من المؤرخ الدارس لبيئته وعصره.

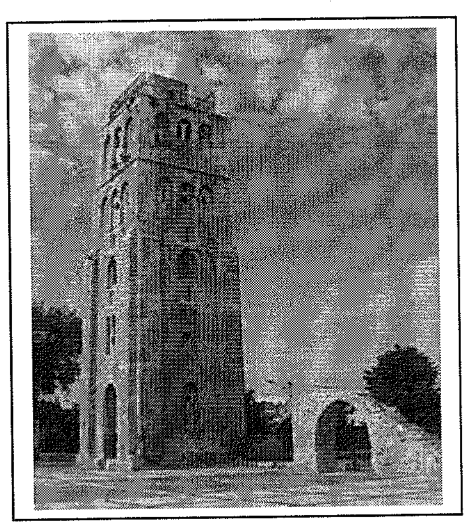
والكتاب يقدم تلخيصاً أميناً ودقيقاً للفتاوى الذي أفتى بها فقيه كبير، هو خير الدين بن أحمد بن علي بن زين الدين ابن عبد الوهّاب الأيوبي، العَليمي، الفاروقي الرَملي، الحنفي[2]، وهو علامة متبحر في علوم عصره، من أهل فلسطين، ولد في مدينة الرملة في سنة 993 هـ/1585م، وتلقى معارفه الأولية في مدينته، حيث قرأ القرآن وجَوَّده على يد الشيخ موسى بن حسن القُبي، ثم رحل سنة 1007 إلى القاهرة، مع أخ له للدرس في جامعها الأزهر، وكان لهما أخ أكبر تقدمهما في الدرس هناك، فاستقرت إقامته في القاهرة ست سنوات، لازم فيها الجامع الأزهر ملازمة تامة، متلقياً العلم على أيدي كبار علمائه، ومالت نفسه لدراسة الفقه الحنفي، مع أنه كان قبل ذلك شافعياً، فأخذه عن جماعة من كبار فقهاء الحنفية، منهم الشيخ عالم الأزهر عبدالله بن محمد النحريري، وسراج الدين محمد بن محمد الحانوتي، والشيخ أحمد بن محمد أمين بن عبدالعال وغيرهم، وقرأ الأصول على محمد ابن بنت محمد، ومحمد بن بنت الشلبي، وأخذ الحديث عن أبي النجا سالم السَنهوري، مُحدِّث الأزهر وجماعة، والقراءات على عبد الرحمن البهني، والنحو على الشيخ أبي بكر

---

(1) سماه البغدادي (الفتاوى السائرة) . وقد طبع في المطبعة الاميرية في بولاق، 1300هـ وهو في جزأين في مجلد واحد، يشغل الأول 250 ص، والثاني 244 ص، وثمة طبعه على الحجر، يظهر انها طبعت في باكستان، كتب عليها انها طبعت في القاهرة في 1376هـ الجزء الأول في 295 ص والجزء الثاني في 295 ايضاً. ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية، فهرس دار الكتب ج1 ص448 وفي المكتبة الأزهرية، فهرس الازهرية ج2 ص265

(2) ترجم له ولده صالح محيي الدين ترجمة مختصرة متضمَّنة في مقدمة كتاب (الفتاوى الخيرية) كما ترجم له المحبي ترجمة ضافية في خلاصة الاثر ج2 ص134- 138 واسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج1 ص358 وايضاح المكنون ج2 ص499 والزركلي: الاعلام، بيروت 2002، ج2 ص227وكحالة: معجم المؤلفين ج4 ص132

الشنواني وغيره، وقرأ الفرائض، وأكثر التردد على الشيخ فائد، وهو ولي مشهور ذاع صيته في عصره. ويسَّرت له إقامته الطويلة في الأزهر فرصة نسخ عدد كبير من الكتب مما كوَّن نواة مكتبته، وقد أجازه معظم من دَرَس على يده من العلماء، وعاد الى وطنه الرملة حيث تولي فيها التدريس والإفتاء والزراعة، حتى أنه غرس ألوفاً من الأشجار المختلفة من الفواكه والتين والزيتون و الكروم، «وكانت خيراته عامة على أهله وأتباعه وجيرانه بل على أهل بلدته»[1]، هذا مع حسن خلق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، حتى وفاته – رحمه الله- في 27 رمضان سنة 1081هـ/6 شباط 1671م تاركاً وراءه ولدين صالحين، عُرف أحدهما بالعلامة، فضلا عن عشرات الألوف من الفتاوى الناضجة التي عالجت مشاكل بيئته وعصره، وعدداً كبيراً من الطلبة الذين تتلمذوا على يديه، ممن تولى معظمهم المناصب العلمية والشرعية في مدن الشام المختلفة، اضافة الى مؤلفات مهمة منها (مظهر الحقائق الخفية من البحر الرائق في فروع فقه الحنفية) و(حاشية على الأشباه والنظائر) و(حاشية على جامع الفصولين) و(لوائح الأنوار على منح الغفار) و (حواش على شرح كنز الدقائق للعيني) وحواش على (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) لعثمان بن علي الزَيلعي و(ديوان شعر) و(مطلب الأدب وغاية الأرب) ورسائل مختلفة وغير ذلك[2].



الجامع القديم في مدينة الرملة

---

(1) خلاصة الأثر ج2 ص358

(2) هدية العارفين ج1 ص358

وطارت شهرته في الفقه، فصار مقصداً للمستفتين الذين يقصدونه بأسئلتهم مباشرة او يبعثون بها اليه من المدن الأخرى، منها دمشق والقدس والخليل ونابلس ويافا وغزة واستانبول. وتتناول هذه الأسئلة قضايا فقهية بالغة التنوع تتعلق بالحياة الشخصية والأسرية والتربوية والأخلاقية والتعليمية والمالية والتجارية والزراعية وغيرها، فكان يجيب عليها جميعاً بمستوى واحد من إتقان الإجابة وجودة الصياغة، والفهم المعمق وسعة الأفق والإطلاع، تُعينه على ذلك مكتبة ضخمة من مصادر الفقه، لا سيما الفقه الحنفي منه، فهو حريص على أن لا يُبيِّن رأيه في قضية مطروحة إلا بعد أن يستوفي فيها رأي من سبقه من فقهاء مذهبه وفقهاء المذاهب الأخرى، دون تعصب لمذهبٍ أو لرأي فقيه بذاته. وكثيرا ما نجده يستأنس بعددٍ كبير من المصادر الفقهية في جواب قصير على سؤال واحد، فنمَّ ذلك عن سعة إطلاعه عليها وقدرته على استدعاء ما فيها من نصوص وأحكام. وقد أشاد المحبي بخزانة كتبه الغنية فقال «حصَّل من الكتب شيئاً كثيراً ينوف على الألف ومائتين مجلد، غالبها من نفائس الكتب ومشاهيرها من كل علم»[1].

وكتابه الذي ضم مختارات من فتاواه، هو كغيره من كتب الفتاوى، يقدم أولاً عرضاً وافياً لسؤال طالب الفتوى، تحت عنوان (سُئل)، ثم يليه حكمه فيها تحت عنوان (أجاب)، ومن الواضح أن مادة الكتاب، استندت في ركنيها هذين على نُسَخ ثانية من فتاويه، غير التي يقدمها للسائلين، كان يحتفظ بها، في سجل خاص، كما كان يفعل المفتون عادة. على أن خير الدين لم يكن هو الذي رتبها ولخصها، وإنما من فعل ذلك هو ولده محيي الدين صالح، وكان عالماً بالفقه ايضاً، فقد قام باختيار موفق لما وجده يستحق التلخيص، متبعاً أربعة شروط وضَّحها في المقدمة القصيرة التي كتبها، وهي أن لا تتناول الفتوى أمراً عادياً تناوله المفتون من قبل، وإنما هو «ما قلَّ وجوده في الأسفار»، وبالمقابل فإنه لم يورد تلك الفتاوى التي تتناول القضايا نادرة الحدوث وإنما ما «كثر وقوعه في غالب الديار»، ومع أن هذه الفتاوى لا توجد في أبواب كتب الفقه، وإنما تفهم من «كتب الأصحاب» أي أصحاب مذهب أبي حنيفة.

واستمر في عمله حتى إذا بلغ الفتاوى الخاصة بالمَهَر، اي حتى ص 37 من الكتاب (بحسب المطبوع)، توفي فجأة، فلبث العمل ناقصاً في بدايته، فقام أحد طلبة خير الدين النابهين، وهو إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالعزيز، بإستئذانه في إكمال

---

(1) خلاصة الاثر ج2 ص134

ما بدأ به ولده صالح، فأذن له، واستأنف العمل حتى بلغ به نهايته، وقد بلغت صفحاته نحو خمسمائة صفحة كبيرة شاملة لجميع أبواب الفقه، وهو عمل كبير مُجهد، لكنه لم يلخص جميع ما أفتى به شيخه، وإنما اقتصر على «نزر يسير من جم غفير». وحينما أتمه أطلق عليه اسماً شاملاً هو (الفتاوى الخيرية لنفع البرية)، وأثنى عليه بقوله «مولانا شيخ الإسلام والمسلمين، خاتمة الفقهاء المحققين، أوحد الزمان، في فقه أبي حنيفة النعمان، وحيد الدهر، وفريد العصر، سيدي ووالدي الخير الدين المنيف، ومن هو خير محض كإسمه الشريف».

ومما زاد من أهمية هذه الفتاوى، طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها صاحبها، فهو قد عاصر أول ظواهر ضعف الدولة العثمانية، وتردي أحوالها العامة، ولهذا نجده شديد الإنتقاد لتلك الظواهر، مثل تفشّي رشوة القضاة الذين كانت ترسلهم الدولة لتولي القضاء في بلاده، أو جهلهم، وتدهور نظام التيمار العسكري- الاقطاعي، واستيلاء من يسميهم بالمتغلبين على القرى، وكثرة الضرائب غير الشرعية المفروضة على المزارعين في القرى، واضطرارهم الى ترك أراضيهم الزراعية وقراهم، وهيمنة القبائل البدوية على الريف وقطعها الطرق، وتدهور الزراعة، والإستيلاء على أراضي الوقف، والتعدي على الممتلكات الموقوفة، وكثرة اللصوص، وما إلى ذلك.

وفضلاً عن ذلك ففي الكتاب كثير من الألفاظ والمصطلحات الحضارية، عامية ودخيلة ومحلية، شاع استخدامها في وطن المؤلف فلسطين، أو في بلاد الشام عامة، في ذلك العصر، وهي خليط من كلمات ذات أصول فصيحة، ومولدة، ومصطلحات عثمانية وفارسية، بل وكلمات عامية لا يُعرف لها أصل.

وكنا قد عُنينا – منذ سنوات عدة- بهذا الكتاب، فاستخرجنا من تضاعيفه عدداً لا بأس به من هذه الألفاظ والمصطلحات، وحاولنا أن نفسر معانيها ونتتبع أصولها، ورتبناها على حروف المعجم، مما يمكن أن يستدرك به على المعاجم العربية، وذلك على النحو الاتي:

أرض سلطانية

أرض رقبتها للسلطان، بصفته ممثلا للدولة. قال في ج2 ص185 هي الأرض المباحة للزراع. على أن ذلك لم يمنع أن تجرى من هذه الأرض في تيمار . قال «أرض سلطانية لبيت المال، جارية في تيمار شخص أجَّرها مزارعها».

أستاذ القرية

من غير الواضح كون أستاذ القرية هو نفسه شيخ القرية. قال في ج1 ص244 « أسلمهم حمسين قرشاً أسدياً مقرضا يستحق وفاؤها في الموسم المرقوم، وذلك بكفالة فلان أستاذ القرية مالا ».

أسكَلة

اللفظ مأخوذ في الأصل من (صقالة) العربية، وهي اللوح الصقيل الذي يتخذ واسطة صعود الملاحين وأرباب السفن وحماليها من الرصيف إلى سفنهم، ثم أطلق على الموانئ حيث مراسي السفن نفسها، وربما أطلق اسم أسكلة على البلدات الواقعة على ساحل البحر، فقال في ج2 ص106 «أسكلة يافا». والأسكلة غبر الفرضة التي تعرف بأنها سلطانية، اي الميناء الذي تشرف عليه وتديره الدولة مباشرة.

أمين بيت المال

رئيس بيت المال أو ممثله في الولايات العثمانية، فله حق الإستيلاء على عقارات المتوفين الذين لا وارث لهم، وغلال المتوفين من أصحاب التيمارت. قال في ج1 ص97 «إمرأة ماتت ولها ابن مفقود، فوضع أمين بيت المال يده على عقار من تركتها فباعه» ولما سئل في ج1 ص17 «إذا مات أحد الجند بعد أن أدركت الغلة والزيت من القرى التي فيها تيماره، فهل ذلك حقه ولورثته المطالبة أم لا، أم لأمين بيت المال، أم لمن وجَّه السلطان التيمار له»، فلم يوافق على أي من هذه الخيارات.

أوقاف مصرية

هي أوقاف السلاطين المماليك في بلاد الشام، أصبحت – بعد سقوط دولتهم سنة 924هـ/1517م – تحت نظارة (ناظر عام) يُنصِّبه السلطان العثماني، ومثلها الأوقاف في مدينة القدس. قال في ج1 ص188 «الواقع في الديار الشامية من الأوقاف المعروفة بالأوقاف المصرية من أن السلطان ينصب ناظراً عاماً».

بابوج

لفظة من الفارسية بابوش وهو خُف أو حذاء من دون رقبة، معناه غطاء القدم . قال في ج1 ص78 ان مما تدعي به الزوجة من كسوتها بابوجان . قلنا: ولما يزل هذا اللفظ مستعملا في عاميات أهل العراق.

بازار باشا

كذا كتبها وهو يريد: بازار باشي، أي رئيس السوق، قال في ج2 ص25 «فوزنه بازار باشا فوجده عشر أواق».

باقورة

الباقورة هي البقر بلغة أهل اليمن، كما في لسان العرب، واستعملها بمعنى القطيع من البقر، قال في ج2 ص141 «راع يرعى باقورة ضاع منها بقر في مرعى»، و«لم يَرِدها رُعاة الباقورة مع قدرتهم على ردها». و«بقّار انتشرت باقورته في القرية»

بُندق

لفظ فصيح يعني لفظاً الثمر المعروف، واصطلاحاً مقذوف بحجمه شاع استعماله في الصيد في القرن السادس الهجري، يقذف من خلال النفخ بأنبوبة ضيقة خاصة، وحينما جرى اختراع البندقية صار هذا المقذوف، وقد أصبح يصنع من الرصاص، يُقذف بفضل إلهاب البارود من خلال أنبوبة مشابهة، بل عُرفت البندقية نفسها نسبة إليه.انتشر استعمال البندقية في القرن العاشر للهجرة، إذ ترددت الإشارة اليها في تضاعيف هذه الفتاوى، قال في ج2 ص69 «جماعة يضربون البندق حول مَطهَر، أصابت بندقة وجه صغير فبضعته». وسمى البندقية بندقة كما في ج2 ص215 حيث قال «رجل صَوَّب بندقة نحو رجل ليرميه بها»[1].

بوقات

جمع عامي لكلمة بوق كما في ج2 ص126، وفصيحها : أبواق. قال «فضربوا على بابه طبولات وبوقات»

بياري

لفظ عامي، مأخوذ من التركية أبيار، وتعني سقاء وملاء[2]. قال في ج1 ص160 «ساقية مُسبلّة يتعاطى إدارتها ومصالحها رجل بإذن ناظرها بسمى بيارياً»

---

(1) سأل احدهم محمد بن عبدالله التمرتاشي، وهو من أهل غزة، ومعاصر لخير الدين الرملي (ولد 939 وتوفي 1004هـ/ 1532- 1596م) عن جواز تحريم الضرب بالبندق فأجاب بنعم. فتاوى التمرتاشي، مخطوط في المكتبة الأزهرية الورقة 132.

(2) أمين خوري: رفيق العثماني، بيروت 1894.

بيورلدي

مصطلح تركي بمعنى (تفضُل بكذا)، وهو أمر صادر عن الصدر الاعظم والولاة غالباً[1]، بخلاف الفرمان الذي يصدر عن السلطان، والمسمى بالأمر الشريف. قال في ج2 ص38 «واطلعوا من جانب سعادته ما يسمى بيوؤلدي بعدم سَفَرهم بموجب الأمر الشريف».

تُرجمان

الترجُمان من يُترجم الكلام من لغة إلى أخرى، واستعمله هو بما يفهم منه أنه كان يعمل وكيلاً للقاضي في أستيفاء أموال غير شرعية. قال «قاض ظالم أمر ترجمانه الموكل بأخذ ما يسمونه محصولاً (أنظر هذه المادة)» ج2 ص148

تيماري

نسبة إلى تيمار، وهي قطعة معينة من الأرض يمنحها السلطان لفارس مقابل خروجه إلى الحرب عند استدعائه إليها، وربما كَلَّفه بمهام مدنية في أوقات السلم، وكان على هذا الفارس أن يجهز تابعاً له، أو أكثر، يخرج معه عند استدعائه الى الحرب. ويتضح مما ذكره في ج2 ص148 أن التيماري صار يبعث بتابعه إلى الحرب بديلا عنه. قال أن تيمارياً «أقرض مزارعاً حنطة وشعيراً وذرة فزرع ذلك في أرضه وسافر المزارع فاستأسره أهل الحرب». وعلى الرغم من أن منح التيمار هو من حق السلطان وحده فإن الناس تواضعوا في زمانه على بيعه بالمال، مما دفعه إلى الإفتاء بتقرير أن «الإستحقاق للتيمارات بإعطاء السلطان لا دخل لرضا الغير». ويفهم مما ذكره في ج1 ص221 أن أصحاب التيمارات كانوا يدفعونها للناس بالمزارَعة. قال في ج1 ص210 «الأراضي التي لبيت المال ويدفعها أرباب التيمارات مزارَعة للناس بالثلث والربع.. لا تورث ولا يجوز لهم بيعها»

جُباة المحلات

هو المكلفون بجباية الضرائب المفروضة على المحلات في المدن. وعد شهادتهم غير مقبوله لعدم تورعهم عن الحرام. كما في ج2 ص25

(1) سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000ص70

جاويش الكنائس

الجاووش كلمة تركية تعني العريف في قوات الانكشارية، ومن الواضح أنه كان مكلفاً بالاشراف على أمن الكنائس أو حمايتها. قال في ج2 ص87 «رجل إدعى على جماعة من أهل الذمة أن له بذمتهم على سبيل القرض الشرعي كذا من القروش تسلموها ودفعوها لجاويش الكنائس».

جَرَّة

تكررت الإشارة الى جِرار زيت الزيتون، ولكنه لا يعني به الجرة التي هي الخابية، وإنما هو معيار معلوم من الزيت كما في ج1 ص239

جرصن

لفظ عامي لم نقف على أصله، ويفهم مما ذكره في ج2 ص201 انه آلة لفتح الكُوى في الجدران، قال «رجل أخرج جرصناً الى طريق العامة وفتح به كُوة»

الجَمَلون

سقف محدب على هيئة سنام الجمل ومنه أخذ اسمه، قال في ج1 ص 179 «وقد وقع في حوانيت الجَمَلون بالغورية »

جوخَدار

مصطلح عثماني مركب من لفظ (جوخ) القماش الثمين المعروف، ودار بمعنى صاحب، فهو الموكل بثياب السلطان، ويعد أحد كبار رجال خدمته، وواضح مما ذكره خير الدين ان للقاضي في الولايات العثمانية جوخداره ايضاً. قال في ج1 ص140 «وقد أخذ القاضي الفلاني وجوخداره جميع ذلك [المال] بغير حق».

جوربجية

فئة من ضباط الينكجرية أصلها شوربه جية، من شوربه العربية، وجي أداة النسبة إلى عمل وحرفة، فهم المسؤولون عن توزيع الشوربة للجُند في ثكنات الينكجرية، وكان الجوربجي واحداً ممن تعهد إليهم مهام أمنية.[1] وفي ج2 ص150 أن

---

(1) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج2 ص185.

رجلاً ذا شوكة وتغلب تعدى على رجل «وانتسب إلى بعض الجوربجية» زيادة في شوكته.

حاكم سياسي

يظهر أنه الحاكم العُرفي، او حاكم العُرف، نفسه، بخلاف الحاكم الشرعي الذي هو القاضي[1]. كما يلاحظ أن من معاني تيمار: السياسة. قال في ج2 ص44 «رجل متهم بقتل أخيه ففتش حاكم السياسة عليه»، وقال في ح2 ص45 «لورثة الدافع المطالبة بما دفع مورثهم للحاكم السياسي». وقال في ج2 ص 197 «ويدعى على الأخ أاه شكا عليه لحاكم سياسي فغرمه مالاً». وفي ج2 ص153 ذمِّي سعى إلى حاكم سياسة يغرم على سعايته فغرمه. ورجل مسكه حاكم سياسة يغرم بالسعاية. وفي بعض الحالات التي أفتى فيها ثمة تداخل بين صلاحيات الحاكمَين.وكان لحاكم السياسة أعوان ولكن منهم من لا تقبل شهادته لأنه لم يكن «يتوقف عن الحرام، ولا يبال من أين اكتسب المال». كما في ج2 ص25. وفي ج1 ص245 أن رجلا أراد الخروج من بلده بسبب ما أخذه منه حاكم سياسة. قال في ج1 ص88 «اذا كان حاكم العُرف ليس به عسف، والسياسة نوعان، سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر» وسكت عن النوع الاخر منها[2].

حاكورة

الحكر لغةً الحبس، واصطلاحاً حبس السلعة بانتظار الزيادة في سعرها. واستعملها هو بمعنى الأرض المحتكرة من طرف جماعة . قال في ج2 ص155 : حاكورة بين جماعة أرضاً وغراساً باع أحد الشركاء حصته فيها. وفي ج2 ص78 ان الحاكورة قسم من أقسام البيت. قال معدداً أقسام بيت «العلية الكبيرة والثلاث خلاوي مع الحاكورة ليده وليدهم المطبخ» او هي قطعة أرض ملحقة به. ففي ج1 ص201 «دار موقوفة مع حاكورة ملاصقة لها» وجمعها حواكير كما في ج1 ص234.

---

(1) من معاني لفظ تيمار: سياسة. رفيق العثماني ص97.

(2) تردد هذا المصطلح في فتاوى التمرتاشي، بما يفهم منه أن أحكام حاكم السياسة كانت بعيدة عن العدل والإنصاف. فقال في الورقة 119 «زيد شكا على عمرو لبعض حكام السياسة" وفي الورقة 121 «رجل مسكه حاكم سياسة فأكرهه بالضرب والحبس على الإقرار بشيء فأقر به. وفي الورقة 95 «رجل اعتدى على آخر وشكا إلى حاكم السياسة".

حق حطب

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج1 ص247 والظاهر أنه كان يدفع مقابل ما كان يحصل عليه أهل القرية من أحطاب للوقود.

خان

لفظ يطلق على النزل، الذي ينزل به التجار والمسافرون غالباً، وقد اطلقه على الدور السكنية عامة. قال في ج2 ص159: الخانات وهي الدور.

خراج المقاسمة

اسم لنوع من الملكية يحوزها التيماري، يتقاسم فيها الفلاح والمالك، وهو هنا التيماري، محصولها بنسبة معينة. قال في ج1 ص67 «وأما ما هو من أرض خراج المقاسمة كما في بلادنا فهو متعلق بالخارج كالعشر لتعلقه به» فإذا قام فلاح بزراعة هذه الأرض ولا يعطي خراج المقاسمه فعليه أن يدفعها إلى التيماري وللأخير إخراجه منها. ولكن لا يجوز أن يتجاوز التيماري «الحق والشرع»، فيقسم غلتها بالربع «حسب عادتها»، كما لا يجوز توزيع ما فصله على قراريط أهل القرية، وإنما وفقاً للخارج، أي جُملة، على وفق النسبة الثابتة المتفق عليها (تنظر مادة فصل).

خزانة

من أجزاء البُندقية، مخصص لخزن البارود فيها. قال في ج2 ص196 «رجل أخذ بيده بندقية مُجرَّبة ثم وضعها وبعد استقراره وقع مشخاصها على خزانتها فأورَت وقتلت شخصاً». وهذا الوصف قريب مما سماه محل البارود حيث قال في ج2 ص215 «لما ضربه أصاب النار فألقاها على محل البارود فخرجت البُندقة بفعله». وفي ج2 ص208 أن رجلاً «خرجت من بُندقته .. فأصابت فرس صلحبه .. وكان قد قدح زناده فلم يُوره، ولم يَعلم ما سبب خروجها، هل هو من ريح حملته من الفتيلة نار فألقتها على محل الخروج».

خَفَرية

الخَفر لغة الكفيل والحافظ (لسان العرب)، والخفير المجير، واصطلاحاً: الحارس. واستعملها هو بمعنى الحراس الذين يرافقون القافلة. قال في ج2 ص136

«جميع ما دفعوه بإذنهم للخَفرية من مالهم أم من مال الجمّالة». أو الذين يحرسون المَحلة. وقال في ج1 ص247 «الحارس للمحلة التي يسمى في ديار مصر الخفير».

خلو

عامية، وهو مبلغ من المال يُدفع للحصول على محل تجاري. قال في ص179 أنه «الواقع في غالب الأوقاف المصرية والأوقاف الرومية في الحوانيت وغيرها». وفي عامية مصر: خلو رِجل.

خلوة

الخلوة هي المعتكف الذي يخلو فيه العابد الى ربه، واستعملها هو بمعنى الغرفة التي تقع في الطابق العلوي من البيت، فقال في ج2 ص79 «العلية الكبيرة والثلاث خلاوي»، وفي ج2 ص129 الغرفة التي يقيم فيها طالب العلم من مدرسته. وجمعها: خلاوي. وتكون عادة في الطابق العلوي من المدرسة. وفي ج1 ص167 «مدرسة لها بواب يسكن في خلوة من خلاويها».

خميسية

ضريبة غير شرعية، لم يتوضح معنى اسمها، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المُقاطِع مع خدم كانوا يؤدونها إليه كما في ج2 ص127، وفي ج1 ص247 أنها واحدة من عدة ضرائب ضريبة كان يتعين على أهل القرى دفعها في ثلاث دفعات بين ربيع الأول وذي القعدة من كل عام .

درجة رملية

هي الساعة من الزمن، إشارة الى الساعة الرملية التي تأخذ من الوقت ساعة كاملة لكي ينساب الرمل من جزئها الأعلى الى جزئها الأسفل. قال في ج1 ص151 «تؤخذ أجرتها من المُقاطِع دفعة واحدة، ويكتب الكاتب دفتر الوقف في أقل درجة رملية».

دَزدارية

اسم وظيفة من دَزدار، المركبة من دَز الفارسية بمعنى القلعة، ودار بمعنى صاحب، فيكون معناها محافظ القلعة. ينظر ج2 ص19.

دَست

لفظ فارسي له معان شتى، وبالعربية الملابس، استعمله بمعنى الصندوق الذي توضع فيه الملابس ونحوها. قال في ج2 ص145 «كان له دَستان من ثياب» .

دفتردار

مصطلح عثماني مركب من دفتر، وهو السجل، ودار بمعنى صاحب، فيكون معناها الموكل بالتسجيل والمقصود تسجيل العقارات في الدولة، وفي نهايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر للميلاد) صار لكل ولاية دفتردار يقوم بتنظيم الشؤون المالية في الولاية[1]. قال في ج2 ص79 « وكيل دفتردار خزينة الشام».

دِياس

لفظ عامي فصيحه دَوس، والمقصود به دَوس الحاصل في الحقل. قال في ج2 ص148 «وصار يستعمل البقر في الحرث والدياس».

روماني

نوع من الملكية الزراعية، غُرست زيتوناً تكون غلته لبيت المال، وهذا الزيتون «مفوض للإمام أو نائبه، إن شاء عمَّره لبيت المال من مال بيت المال، ومَرَد جميع الخارج في بيت المال، وإن شاء عامَل عليه بحصة من الخارج» ويدفع عنها غارسها ما عُيِّن عليها من الخراج، كما في ج1 ص67.

زعيم

لفظ عربي، وفي الإصطلاح العثماني رتبة لضابط كبير من السِّباهية، يُمنح إقطاعاً متوسطاً بين إقطاعات النظام الإقطاعي العثماني المسمى (تيمار)، ويكون زعيماً لعددٍ من السِّباهية في أثناء الحرب. قال في ج2 ص35 «جماعة إسباهية بمدينة نابلس قيل لهم كُتِبتم للسفر (يعني الحرب)، فأذنوا لزعمائهم المتوجهين للسفر أنهم إذا اجتمعوا بحضرة صاحب السعادة حاكم دمشق المأمور بالسفر..الخ».

سِباهي

وهو التيماري نفسه (تنظر هذه المادة) لفظ تركي بمعنى الخيال والفارس، كانت الدولة تمنحه قطعة أرض متفاوتة في دخلها بحسب طبقته في نظامها الإقطاعي،

---

(1) صابان ص 114

ويسمى أدناها (تيمار) ومنه اكتسب النظام اسمه، فقيل له نظام التيمار، يليه (الزعامت) فـ(الخاص) والأخير أعلاها دخلاً، ويُخصّص للسلاطين عادة . وهذا الإقطاع لا يُباع لأنه يُعد ملكاً للدولة، وإنما يُمنح صاحبه ضرائبه فقط، بوصفها دخلاً شخصياً له مقابل أدائه واجباته العسكرية والمدنية. قال في ج2 ص69 «الأرض ليست ملكاً حتى يَدَّعي الملكية، وواضع اليد كذلك، ليس له فيها ملك، وإنما هو مأمور بتناول خراجها مقاسمة أو وظيفة». ومثل ذلك قوله في ج1 ص45 أنها «أراضي بيت المال يُسلك بها مسلك أرض الوقف.. والأراضي الآن في أيدي المزارعين ليست ملكاً لهم وإنما مزارعون فيها لانقطاع مالكيها .. وأن الأراضي التي لبيت المال والناس تزرعها على الثلث أو الربع أو الخُمس ونحو ذلك »، بل «إذا لم تطق الخمس بأن كانت أرضاً قليلة الريع كثيرة المؤن، بحيث لو قرر عنها الخمس تعطلت، ولا يفضل لربِّها شيء بعد المؤن، كان يخسر من ماله، ينقص عن المؤن»، كما في ج1 ص97 . وعرَّف هذه الأرض بقوله في ص 61 أنها «أراضي بيت المال التي يقطعها السباهي نظير عطائه في الديوان»، بل لاحق له أن يقلع غرس زيتون بها مباح لأهل القرية سابقاً ولاحقاً.. إذ هو ليس بمالك، إنما له تناول أجزاء المعين له من جانب السلطان لا إتلاف ما فيه ضرر على بيت المال» كما في ج1 ص67 . وفي ج2 ص36 ملاحظة مهمة عن دلائل فساد هذا النظام في عصره، من الناحية العسكرية في الأقل، حيث قال أن السباهية كانوا يدفعون مالاً إلى الوالي حتى يستثنيهم من الذهاب إلى الحرب عند استنفارهم، وصار منهم من يفرض لنفسه خراجاً على القرية بوصفه هو «المتكلم على القرية»، على الرغم من عدم وجود خراج عليها أصلاً. ج1 ص97.

سلطاني

ضرب من النقد العثماني. قال في ج1 ص140 « كان للوقف تحت يدي مائة قرش بدل عن بستان له، وخمسة وسبعون سلطانياً كانت بذمة رجل».

سُوباشي، صوباشي

مصطلح تركي قديم معناه الحرفي قائد جيش(صو تعني جيشاً، وباشي بمعنى رئيس) وعربّه العرب قديماً بـ(شباشي) وكان الصوباشية يُكلفون بحفظ الأمن في المدن في عهد سلاجقة الروم[1]، ثم عُدوا في عصر الدولة العثمانية ضباطاً في قوات

---

(1) جب وبوون ج2 ص187

الينكجرية (الانكشارية)، مسؤولون عن الأمن في المدينة. وفي الاقاليم كان السوباشي يُعد قائداً في جيش التيمار[1]. قال في ج2 ص26 أن جماعة استولوا على مدينة الخليل «وقاتلوا صوباشي المدينة»[2]. وفي ج2 ص142 «واتهمه أن سوباشي أودع عنده ثلاثة آلاف من القروش».وفي ج2 ص25 «فطلب السوباشي تسطير ذلك» يريد كتابة محضر بما وقع.

سياسة

تكليف غير شرعى كان على أهل القرية تقديمه إلى صاحب الأرض، كما في ص98، والغالب أن له علاقة بالحاكم السياسي أو حاكم سياسة (تنظر هذه المادة).

شنبر

لفظ من التركية جنبر، بجيم مثلثة، بمعنى الطوق والقمطة، والدائرة[3]. وواضح مما ذكره في ج1 ص78 انه من أردية المرأة المتزوجة، فقد قال انه مما تدَّعي به الزوجة كسوة لها، ولم يوضح شكل هذا الرداء ووظيفته.

شعّال

لفظ يقصد به من يتولى إشعال القناديل في مسجد ونحوه. قال في ج1 ص153 «وقفٌ ضاق رَيعه عن الصرف إلى مستحقيه من خَطَبة وأئمة ومؤذنين وشعّالين وبوابين وتنوير».

شَوال

لفظ عامي من التركية : جوال، عُرِّب قديماً بجوالق[4]، وهو الكيس الذي يُعبأ فيه الحب أو الدقيق ونحوه. جمعه شوالات . قال في ج1 ص232 «رجل اشترى من آخَر ثلاث شوالات، ثنتان صفقة واحدة».

صَبرة

لغة الكَومَة من الطعام. أو الكمية بلا وزن ولا كيل، وفي الحديث أنه (صلى الله عليه وسلم) نهى عن بيع الصبرة من التمر لا يُعلم مكيلتها من الكيل المسمى للتمر.

---

(1) خليل اينالجق: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ص605

(2) ومن ذلك ما ذكره التمرتاشي إذ قال في الورقة 86 «رجل اتهمه صوباشي المدينة بأخذ خشبه».

(3) رفيق العثماني ص113

(4) رفيق العثماني ص102.

وأطلقها هو على الكمية من الأرز كما في ج2 ص150 إذ قال «صبرة إرز»، ومن الحنطة، فقال في ج1 ص21 «باعه صبرة حنطة». وفي ج1 ص233 «رجل اشترى من آخر غرائر معلومة من صبرة كبيرة» وفي ج2 ص20 «باع لهما البائع المذكور صبرة بلا وزن».

ضمادة

في لسان العرب هي خرقة تُلَف على الرأس عند الإدهان والغسل ونحو ذلك. وقال هو في ج1 ص78 انها مما تَدَّعي به الزوجة نفقة لها ولم يوضح شكلها ومادتها ووظيفتها.

طباخة

من التكاليف غير الشرغية التي يتوجب على أهل القرى تقديمها الى اصحاب أراضيهم، كما في ج1 ص98.

طُبولات

جمع عامي لكلمة طبل كما في ج2 ص126 وفصيحها : طبول

عالول

يفهم مما ذكره في ج2 ص148 أنها الحضيرة التي تخصص لعيش الأبقار. قال «رجل له عالول بقر وضع فيه قرصية فحلّها منه رجل».

عَريف

لفظ فصيح، معناه (العليم)، ولكنه في المصطلح العثماني ضابط في جيش الينكجرية (الإنكشارية) مهمته نقل الأخبار بسرعة دون المشاركة الفعلية في الحرب، ويسمى (عريف بروازي)[1]. وعد خير الدين العُرفاء ممن لا تُقبل شهاداتهم. فقال في ج2 ص25 «شهادة مشايخ القرى وجُباة المحلات والعُرفاء» لاتقبل. وأن شهادة «المعرفين في الممالك، والعرفاء في جميع الأصناف» لاتُقبل لأنهم فَسَقة! فالمعرف هذا غير العريف، وإذا كان المقصود بالأصناف أصناف أهل الحرف في المدن، فإن المعنى غير واضح.

عصوبة

عامية محلية، قال في ج1 ص89 أن من عادات الفلاحين أن يخطف رجل بنتاً ويدخل بها على شيخ القرية قائلا : بيني وبينها عصوبة!.

---

(1) صابان ص 152.

عُلوفة

عامية من العَلَف الذي تعلفه الدواب، وكان يمثل نوعاً من المخصصات المالية التي تعطى للفرسان في أول عهد الدولة العثمانية لإطعام دوابهم، ثم صار اسماً للرواتب التي تمنح لأفراد الينكجرية وبعض الموظفين الرسميين[1]، ويسمون (علوفه لي) أي أصحاب الرواتب[2]. ترددت الإشارة إليها بوصفها رواتب مقررة في وقفيات الواقفين. قال في ج1 ص151 «صارت علوفات الفقراء على حكم التوزيع». و«شرط الواقف للمتولي وأرباب الشعائر من العلوفات»[3]، و«نص السلطان في براءتي على أن لي من العلوفة كل يوم كذا وكذا».

عُهدة

لفظ معناه لغةً اليمين والميثاق، واصطلاحاً الإتفاق بين صاحب الأرض والزراع على قسمة الحاصل المسمى خراجاً. قال في ج1 ص100 «إذا أخذ خراج المقاسمة من الزراع مدة سنين فاستحقت الأرض بأن ظهرت وقفاً أرصادياً، هل يؤخذ من الزراع ثانياً أم لا، ويخرجون من العُهدة».

عوارض سلطانية

مصطلح عثماني، يعني الطوارئ، وهي الضرائب المفروضة على الرعية عند حدوث الطوارئ[4]، وأصبحت تدفع على شكل رسوم ثابتة، أو غرامات، قال في ج1 ص244 «رجل اشترى بيتاً لم يَدرِ أن عليه عوارض سلطانية وقت شرائه» وفي ج1 ص187 أن وقفاً «سكَنه أحد الموقوف عليهم بالغلبة فصار يدفع عنه مغارم سلطانية كالعوارض ونحوها».

عَونة

عامية، بمعنى أعوان. قال في ج1 ص140 «واخذ القاضي وعونته المال أخذ اللصوص»

---

(1) صابان ص 155

(2) محمد علي انسي:الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت 1320، ص377. وينظر جب وبوون ج2 ص248

(3) قال التمرتاشي «يكون ذلك التدريس لعلوفته لصاحب البراءة السلطانية الموافقة لشرط الواقف». الفتاوى، الورقة 64.

(4) صابان ص127.

عيدية

ضريبة غير شرعية، يظهر أنها كانت تُقدَّم في أحد العيدين، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطِع مع خدمات كانوا يؤدونها إليه كما في ج2 ص127 وعدها في ج2 ص119 من «العوائد الظُلمية» وأفتى ببطلانها. وفي ج1 ص247 أنها واحدة من عدة ضرائب كان يتعين على أهل القرى دفعها في ثلاث دفعات آخرها في ذي القعدة من كل عام.

غِلَّة دار

مصطلح من غلَّة العربية، ودار الفارسية بمعنى صاحب. قال في ج2 ص69 «لم تَجز الدعوى على أكّار الوقف وغير الوقف، وكذا غِلة دار الوقف وغير الوقف إذا ثبت أنه أكار أو غلة دار»، وهذان ليسا ناظرا وقف، إذ «لا تصح الدعوى في الوقف على غير ناظره».

غربية

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج1 ص247 ولم نقف على وجه التسمية.

غليون

من التركية قاليون[1]، وهو ضرب من السفن الكبيرة، وجمعها غلايين، ذكره في ج1 ص 219 .

فاخُورة

بيت شَي الآجر والفخار. في ج2 ص151 سَيلٌ جرى من ماء المطر فدخل في فاخورة شخص فأتلف بعض فخاره. وينظر ج1 ص115.

فتح المِنجَل

ضريبة غير شرعية، يظهر أنها كانت تؤخذ عند البدء بالحصاد، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطِع مع خدمات كانوا يؤدونها إليه كما في ج2 ص127

---

(1) رفيق العثماني ص223.

فردة قماش

مصطلح عامي، وهي القطعة من القماش، وتسمى في العراق (طَولاً)، قال في ج2 ص46 «رجل أرسل آلى آخر فردة قماش مصري وفي داخلها أربعون غرشاً».

فرسية

ضرب من الثياب لم نعلم الى أي شيء نُسب. قال قي ج2 ص106 «رجل أرسل الى بوّاب وكالة الرملة حِملاً من ثياب فرسية».

فريكة

لا معنى لها في اللغة والاصطلاح، ولكنه استعملها بما يظهر أنها جنس من البهائم. قال ج2 ص149 «في حرّاث أخذ بهيمة رجل .. وأخذها حراث آخر ودفعها لصبي يَعقِل معه سكين، قائلاً له هات له فريكة فأخذها الصبي وهربت منه فنحرها بسكين».

فصل

هو شيء معلوم من المال يضربه القسام على أراضي القسم التي يزرعه الناس بالحِصّة، وذلك على وجه الحزر والتخمين، ولا يطابق ما يخص حصتهم بل يزيد تارة وينقص بأخرى. وقال «ما يفعله بعض القسام مع المزارعين ويسمونه فصلاً أمر خارج عن الشرع الشريف» ج1 ص97.

(تنظر مادة خراج المقاسمة)

فِلاحة

الفلاحة لغةً حِرفة الفلاح، وهو الذي يشق الأرض للحرث (لسان العرب)، ولكنه اصطلاحاً كما في ج1 ص100 «ما يفعل الآن من الأخذ من الفلاح، وأن يزرع، ويسمى ذلك فلاحة، وإجباره على السكن في بلدة معينة، ليعمر داره ويزرع الأرض»، وعد ذلك حراماً.

قرش

عملة عثمانية من الفضة، أخذ أسمها من الالمانية Groschen ضُربت في الأصل بوزن 6 دراهم، ثم انخفضت قيمتها في العهود التالية[1]، وتكررت الإشارة اليها في هذه

(1) انستاس الكرملي: النقود العربية وعلم النميات، القاهرة 1938 ص181 و99، 139 وعباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية، بغداد 1958، ص148.

الفتاوى بوصفها عملة رئيسة من الوقف والمعاملات الاخرى، وقد سجل خير الدين انخفاضها في عهده فقال في ص 198 «فاللازم عليه غرة نصف عشر الدية، قدرها خمسمائة درهم، بحساب القروش الان، ستة وخمسين قرشاً تقريباً».

قرش أسَدي

أشار في مواضع عدة منها ج1 ص243 و ج2 ص20 إلى ضرب من القروش سماها «قروش أسدية»، وسماها في ج1 ص242 «القطع القروش الأسدية» وهي عملة ذات أصل هولندي كانت قيمتها تساوي ثلث العملة الذهب العثمانية[1].. ولكنها ظلت متداولة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر[2].

قرصية

كأنها دابة تربط في حضيرة كما في ج2 ص148(تنظر مادة عالول).

قطعة مصرية

نقد من النحاس، كل عشر منها كانت تساوي قرشاً صاغاً[3]. قال في ج2 ص124 «استأجر حماماً بإثنتين وعشرين قطعة مصرية»، وقال في ج2 ص 106 «رجل دفع لآخر ثلاثة قروش قِطعاً مصرية» وقال في ج1 ص77 «وقدره كل يوم ثمانية قطع مصرية».

قَنَواتي

عامية محلية، يظهر أن صاحبها كان مكلفاً بتنظيف المجاري، وعُدت «من الصناعات الدنيّة»،ولذلك كانت قرينة لمهنة الزبّال. كما في ج2 ص26

قَهوَجية

تكليف غير شرعي عدّه من الظُلم الذي لا أصل له، كان يؤديه الفلاحون برسم ضيافة صاحب الأرض عند مقاسمة الخراج . ج1 ص98

---

(1) صابان، ص178

(2) د. محمد منجد الحزماوي: النقد الاجنبي في مدينة القدس وقراها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دراسة من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد 15، العدد2، حزيران 2007 ص376

(3) الكرملي: النقود العربية، ص185

قوّاسية

القواس هو الرامي بالقوس، ثم أطلق على الهداف بالسلاح الناري، واشتق منه الفعل قَوَّص بمعنى أصاب الهدف، كما أطلق على الحارس الشخصي. ويفهم مما ورد في ج1 ص98 أن القوّاسية ضريبة، أو تكليف غير شرعي، كان على أهل القرية تقديمها لصاحب الأرض. وعده من الظلم الذي لا اصل له. ج1 ص98

كَردار

مركب من لفظين، كر وأصلها كار الفارسية بمعنى عمل، ودار بمعنى صاحب، ويقصد به اصطلاحا العامل في الحقل ونحوه. ج2 ض194 وفي ج2 ص163 هو المزارع الذي ليس له حق القرار، وهو أن يُحدث في الأرض بناءً أو غَرساً أو كبساً من تراب 161

كسر الفدان

دراهم يأخذها السباهي (أنظر هذه المادة) من قوم مهاجرين مقابل إعفائهم من العَود الى وطنهم الأصلي. ج2 ص185 وقال في د2 ص151 «وفيما تأخذه الظلمة ويسمونه كسر الفدان» وأفتى أنه حرام قطعي.

لِحافة

اللحاف لغة كل غطاء يتدثر به، واستعمله هو في ج2 ص149 بمعنى ما يغطي جذع الشجر من غطاء وقشر. قال «كُز غصنه في لحافته أو شقها في ركزه في نفسها في وضع القطع فأثمر».

كِيالة

ضريبة، أو تكليف غير شرعي،. وعده في ج1 ص98 من الظلم الذي لا أصل له، ومن المحتمل أنها رسم كان على أهل القرية تقديمه الى صاحب الأرض عند كَيل محصول قريتهم.

مارس

لا وجود لها في المعاجم، ويظهر انها أداة للغرس. قال في ج1 ص232 «جماعة استعاروا من آخر مارساً لزرع المقاث وأعاروه مثله لزرع القطن» وفي ج2ص136 أن رجلاً أجر لرجل آخر مارسيَن من أرض بأجرة معلومة.

مال طنطور

ضريبة غير شرعية كان يَتعيَّن على أهل الفرى دفعها في موعدٍ محدد من كل عام. كما في ج1 ص247 ولم نقف على معناها.

مُباشَرة

من التكاليف غير الشرعية التي يتوجب على أهل القرى تقديمها الى اصحاب أراضيهم، كما في ج1 ص98.

مَبطَخة

لا ذكر لها في المعجم، وقد تكون أرضاً يزرع فيها البطيخ، قال في ج2 ص141 في كلامه عن البقر «في بقّار انتشرت باقورته في القرية فوقعت في مبطخة إنسان فأتلفته».

متكلم

المتكلم على القرية هو صاحب الحق في أرضها أو حاصلها. قال في ج1 ص67 «ضيعة موقوفة على جهات متعددة .. هل لأحد المتكلمين على أحد الجهات الموقوفة الضيعة عليها أن يختص بها»، وفي ج1 ص97 عَدَّ السِّباهي هو «المتكلم على القرية»، و«الناظر متكلم على وقف». وفي ج1 ص146 «يُطالَب المتكلم على المدرسة بحصة بيت المال».

مجديّة

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل الفرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج1 ص247 ولم نقف على معناها.

محصول

اللفظ فصيح لكنه قصد به في ج2 ص148 : مبلغاً من المال كان بعض القضاة الظَلَمة يستوفونه بواسطة وكلائهم.

مَدبَسة

بيت صناعة الدبس كما في ج1 ص245

مُرتَفق

لفظ فصيح بمعنى الملحق بشيء ما، واستعمله هو بمعنى المرافق الصحية خاصة. قال في ج2 ص79 «ولهما بالمطبخ والمُرتَفق وساحة الدار تكون مشتركاً».

مِشخاص

أداة لإلهاب البارود في البُندقية. قال في ج2 ص196 «رجل أخذ بيده بندقية مجرَّبة ثم وضعها وبعد استقراره وقع مِشخاصها على خزانتها فأورَت وقتلت شخصاً».

مَصبَنة

البيت الذي يُصنع فيه الصابون . قال في ج1 ص129 «ناظر وقف أهلي جعل طاحونة الوقف مصبنة»

معاليم

جمع معلوم، وهو الراتب المقرر بحسب الواقف. قال في ج2 ص46 «جماعة وكّلوا رجلاً في قبض معاليمهم من ناظر وقف».

ميقاتي

الموكل بضبط مواقيت الأذان في المسجد. قال في ج1 ص153 «وينبغي إلحاق المؤذنين بالإمام وكذا الميقاتي لكثرة الإحتياج إليه».

ميمية

لفظ عامي محلي لضربٍ من البيوع يسمى بالمصطلح الفقهي بيع تلجئة، وهو بيع صُوري يلجأ إليه البائع في ظروف معينة مضطراً . قال في ج1 ص221 «رجل باع من آخر شجر زيتون بيع تلجئة ويسمونه بقرى فلسطين بيع ميمية، فتصرَّف فيه المشتري والآن مُنكرٍ كونه بيع تلجئة، ويدعي أنه يقع جد وحقيقة ».

وقف أرصادي

هي الأرض التي يقفها السلطان. قال في ج1 ص100 «أرض قرية قسمها الريع، وهي وقف أرصادي من حضرة السلطان».

وقف أهلي

هو الوقف الذري نفسه. قال في ج1 ص122 «وقف أهلي وقفه أبو الوفا على نفسه ثم على أولاده الذكور والإناث».

وَكْس

الوَكس لغةً هو النقصان. فال في ج2 ص160 هل تحل القسمة ويلزم المال المجعول مع الأوْكَس أم لا؟ أي الأشد نقصاناً.

ياظجية

لفظ تركي، يُلفظ يازجيه، بزاي مفخمة، جمع يازجي: وهو الكاتب، اسم لتكليف غير شرعي عده من الظُلم الذي لا أصل له. ج1 ص98.

وثائق وسجلات

واقع الوثائق العثمانية في بغداد

فتح العثمانيون العراق على مرحلتين رئيسيتين، الأولى بقيادة السلطان سليم الاول، وتم خلالها السيطرة على الموصل وشمالي العراق سنة 921هـ/ 1516م. وأخرى بقيادة السلطان سليمان القانوني، وفيها تمت السيطرة على أنحاء العراق الأخرى، وبضمنها بغداد، سنة 941هـ/ 1534م وبذلك عرف العراق أولى مؤسسات الإدارة العثمانية المباشرة، وعلى الرغم من تعرض عهد السيطرة العثمانية لفترة انقطاع محدودة، (من 1032 إلى 1048هـ-1622-1638م) إلا أن أسس الإدارة وفلسفتها ظلت مستقرة بشكل عام، فلم تتعرض إلى تغيير يُذكر حتى مطلع القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) حين أخذت بغداد تستعيد، تحت حكم والييها القويين حسن باشا وابنه احمد باشا، السيطرة المركزية على أنحاء العراق تدريجياً، حتى إذا ما انتصف القرن المذكور كان العراق كله، باستثناء ولاية الموصل، قد أمسى تحت إدارة بغداد (بدء من 1163هـ-1760م). وفي الحقبة التالية تولى المماليك في بغداد إدارة تلك الانحاء بشكل شبه مستقل عن الإدارة العثمانية العامة، بيد أن سقوط حكمهم سنة 1247هـ-1831م أدى إلى عودة الإدارة العثمانية المباشرة من جديد إلى العراق، لتلبث فيه، وإن تعرَّضت إلى تغييرات بسبب محاولاتها تحديث أجهزتها بل وفلسفتها، حتى نهاية الحكم العثماني نفسه.

وكان طبيعياً أن تتخلف عن هذه الإدارة، خلال المدة الطويلة التي تولَّت فيها البلاد، مجموعات ضخمة من الوثائق الرسمية تتناول مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، منها على سبيل المثال صور من الكتب المتبادلة بين الولاة والباب العالي، وبين الولاة وبين حكام المدن الثانوية التابعة لهم، وزعماء القبائل، وتشمل أيضاً السجلات المالية المحلية، وفيها التفاصيل الدقيقة عن واردات الولايات ومصاريفها ومراسلات الولاة مع حكام الدول والقوى المجاورة، والدول ذات التمثيل الدبلوماسي والتجاري في العراق، وغير ذلك من شؤون مهمة لدارس تاريخ العراق إبان تلك العهود.

وتزيد هذه الوثائق أهمية في العهد الذي شهد فيه العراق تأسيس الإدارة المملوكية المحلية، ففي هذا العهد كان الولاة يمارسون صلاحيات واسعة في تصريف

شؤون ولاياتهم دون الرجوع إلى الدولة المركزية إلا في أمور مهمة محددة، وهو ما يعني عدم تصور وجود صور من وثائقهم في أرشيف الباب العالي على أهميتها.

ويمكننا أن نتعرف على أهمية تلك الوثائق وفائدتها العلمية مما نقله عنها المؤرخون المعاصرون، الذين أتيحت لهم فرصة الإطلاع على نصوصها والإفادة منها في تواريخهم، أمثال عبد الرحمن السويدي في (حديقة الزوراء)[1] وعثمان بن سند في (مطالع السعود)[2] ورسول حاوي الكركوكلي في (دوحة الوزراء)[3] وسليمان فائق في (مرآة الزوراء)،[4] فقد أورد هؤلاء المؤرخون نصوص وثائق عالية القيمة أكثرها مما كان يُتبادَل بين ولاة بغداد وحكام إيران حول مختلف الشؤون السياسية والعسكرية، ومنها ما تم تبادله مع زعماء الوهابيين في نجد، ومعلومات استُمدت من سجلات مالية تتعلق بجوانب من الحياة الاقتصادية وغيرها، وقد صرح أكثر هؤلاء بأنهم ينقلون معلوماتهم من وثائق رسمية وسجلات، فالكركوكلي يشير إلى (السجلات العامة) و (السجلات المختصة)،[5] وسليمان فائق يذكر في تقييمه للحياة الاقتصادية إبان عهد المماليك انه يستند إلى ما عثر عليه من أدلة وسجلات[6].

ومن المؤسف ان أدَّت حوادث الفوضى والاضطراب، فضلاً عن العوامل الطبيعية إلى ضياع أغلب الوثائق الرسمية وتبددها، فتعرضت بغداد إلى احتلال إيراني في السنوات 1032هـ-1638م، وتعرضت البصرة إلى احتلال مماثل سنة 1108هـ-1696م وسنة 1190هـ-1776م، وتكررت مداهمة القوات الإيرانية لمدن العراق الشرقية، مما أدى إلى إتلاف السجلات الخاصة بشؤون الإدارة المختلفة، أما نتيجة الفوضى التي تشيع- عادة- في مقرّات الحكم إبان تلك الظروف المضطربة، وأما نتيجة الإتلاف المتعمد لها وسيلةً لطمس معالم تلك الإدارة ومظاهر السيادة العثمانية بشكل عام.

---

(1) بتحقيقنا، مطبوعات المجمع العلمي ببغداد 2003 ص20.

(2) بتحقيقنا، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسوعات ببيروت 2010 ص48.

(3) انظر مثلاً ص67، 71، 79، 73، 74، 76، 78، 86ة، 96، 110، 111، 126، 133، 200، 208، 209 (ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت 1963).

(4) انظر مثلاً 173 (ترجمة موسى كاظم نورس. بغداد 1962 ونشر بعنوان تاريخ بغداد).

(5) دوحة الوزراء ص131 و157 و224.

(6) مرآة الزوراء 173.

وكان للكوارث الطبيعية نصيب في ذلك أيضاً، فيذكر المؤرخ سليمان فائق أنه في سنة 1346هـ-1830م أدى انتشار الطاعون في بغداد إلى «تلف سجلات الخزينة وأوراقها مما تعذر معه معرفة الإيرادات والصرفيات التي كانت على عهد المماليك بصورة دقيقة»[1] وفي أثناء الاضطراب الذي ساد سراي بغداد في الأيام الأخيرة لحكم داود باشا آخر ولاة المماليك وتولي بعض الناس «نهب الخزينة بمن معهم وأشعلوا النار في الداخل»،[2] فكانت الوثيقة بذلك من أهم ضحايا تلك الكوارث، وهدفاً لها في اكثر الأحوال.

وكانت (الدفتر خانة) من اكثر الدوائر العثمانية حرصاً على وثائقها لما تضمه من قيود ملكيات الأراضي والعقارات العامة، وقد وقفنا على ما يفيد تعيين موقعها من بغداد، فإذا بهذا الموقع قد شغلته دوائر رسمية أخرى، في أزمنة تالية، فلم يُعلم مصير تلك الأرفف من السجلات التي حوتها تلك الدار من قبل[3].

وفي عهد الدولة العراقية، أضيف عامل آخر إلى عوامل ضياع الوثائق العثمانية، وهو ما يمكن ملاحظته في شيوع شعورعام بأن الدولة الجديدة قد نسخت في فلسفتها وأحكامها وقوانينها الدولة العثمانية السالفة، ومن ثم لم يبق من مبرر لحفظ وثائقها وسجلاتها العديدة كلما استعيض عنها بوثائق جديدة، وهكذا تبددت وثائق المعارف والمالية والبلديات والجيش والشرطة. فمنها ما حرق عمداً، ومنها ما أصابه التلف نتيجة حفظه في سراديب دوائر (السراي) الرطبة، والقريبة من النهر[4] وبذا ضاعت ثروة تاريخية لا تقدر بثمن للباحث في تاريخ العراق إبان تلك القرون.

ولقد عُنينا- منذ زمن- بتتبع مظان ما تبقى من الوثائق العثمانية في بغداد خاصة،

---

(1) المصدر نفسه 177.

(2) سليمان فائق: تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد (ترجمة محمد نجيب ارمنازي، بغداد 1961)، ص69.

(3) كانت الدفتر خانة تشغل آخر مباني قشلة بغداد، وقد اشغلت موقعها بعض المدارس العسكرية العثمانية، ثم امست تابعة للمحاكم التابعة لوزارة العدل، انظر تعليقنا على: عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة (بتحقيقنا، بغداد، ص115).

(4) ذكر لي الأستاذ ميخائيل عواد، وكان سكرتيراً لوزير المعارف (التربية فيما بعد،) اكثر من ثلاثين سنة، ان في احدى حوادث ارتفاع منسوب مياه دجلة، نزّ الماء في سراديب وزارة المعارف حتى امتلأت به، فأدى ذلك إلى غرق اكداس كبيرة من الوثائق القديمة كانت تصل بارتفاعها إلى السقف، ومن ثم تلفها الكامل، فما كان الا أن رفعت وألقيت في دجلة.

فتبين لنا ان هذه الوثائق تنقسم بحسب طبيعتها، والأماكن التي وجدت فيها، إلى المجموعات الآتية:

اولا: مجموعة الأوقاف:

تحتفظ وزارة الأوقاف العراقية بمجموعة من الوثائق الخاصة بالأوقاف الخيرية والذرية، أضافت إليها، في العقود المتاخرة، ما استحصلت عليه من نسخ مصورة ومنقولة، من أصول الوقفيات التي لها تعلق بالعراق مما هو محفوظ في أرشيف الوقفيات في تركيا، فشكلت هذه الوثائق، بمجموعها ثمانية عشر سجلاً كبيراً تضم (3406) وثيقة. وبعض هذه الوثائق مكتوب أصلاً باللغة العربية، بينما ترجم البعض الآخر من اللغة التركية العثمانية، ويمكن القول بأنها تمثل أقدم مجموعة وثائقية في العراق، حيث تضم وثائق ترقى إلى القرن الثامن للهجرة، فالقرون التالية، حتى نهاية العصر العثماني فالعهد الملكي، بمعنى أنها تغطي نحو ستة قرون كاملة من تاريخ العراق. وهي مدة طويلة لا تدانيها فيها أية مجموعة أخرى، وبضمنها سجلات المحاكم الشرعية التي لا ترقى إلى ابعد من أواخر القرن الثاني عشر للهجرة.

تبرز أهمية هذه الوثائق من نواحي عدة، فمن الناحية الاقتصادية تضم معلومات ذات شأن عن طبيعة الأراضي والعقارات، من بساتين وحقول وأراض غامرة وقرى وخانات وأسواق ودكاكين، وقفها أهل الخير على ما أنشأوه من مؤسسات خيرية أو على ذراريهم، فتوضح ما كانت تدُرّه من دُخول، وأوجه أنفاقها، وأنواع العملات المستعملة في عهدها، ومقادير رواتب فئات مختلفة من العلماء والقضاة والمدرسين والمتولين وغيرهم، مما يلقى أضواءً على تطور الملكية العقارية داخل المدن وخارجها ومستويات الدخول، والنشاطات الاقتصادية في زراعة وتجارة وصناعة. وما إلى ذلك من شؤون. ومن الناحية الاجتماعية، توضح الوثائق أنواع الخدمات العامة في المدن العراقية، مثل إنشاء المساجد والمدارس والربط والملاجئ والسقايات وما أوقفه الموسرون على الفقراء والأرامل واليتامى والمحتاجين لإطعامهم وأكسائهم وهو ما يكشف عن روح التكافل الاجتماعي في المدينة العراقية ابان تلك العهود. كما توضح الوثائق أيضاً دور المرأة في مثل هذه الأعمال، من خلال الوقفيات السخية التي وقفتها على مختلف شرائح المجتمع، وهو دور كبير لا يمكن الاستهانة به في أية حال. وتكشف بعض الوقفيات الذرية الخاصة عن طبيعة العلاقات الإنسانية والقانونية، داخل الاسرة الواحدة عهد ذاك.

أما الناحية الثقافية، فتتجلى فيما تحفل به تلك الوقفيات من أسماء مدارس ودور القرآن التي انشأها محبو الثقافة وما وقفوه عليها من أموال بهدف دوام العناية بها بعدهم، كما تشمل أيضاً معلومات متنوعة عن الفئات التي كانت تشتغل بالعلم والتعليم كالمدرسين والطلبة ومناولي الكتب وخزانتها والمعيدين والمقرئين وغيرهم، وتفاصيل مهمة عن طرق إدارة تلك المؤسسات وصلاحيات المشرفين عليها بحسب شروط الواقفين، وتتضمن بعض الوقفيات تفاصيل اكثر دقة عن خزائن الكتب الموقوفة، وفهارس ما تحتويه من كتب مما يقدم مادة خصبة للباحث في تاريخ التربية والتعليم والثقافة إبان تلك العهود.

وللوثائق أهمية خططية خاصة، فإن فيها معلومات لا تقدر بثمن عن القرى الزراعية في العراق، بوصفها قد احتوت على أراض و عقارات موقوفة، وكثيرا من القرى ما كنا لنعلم تاريخ وجوده لولا أن ورد اسمه في تلك الوقفيات، كما أنها ضمَّت أيضاً معلومات لا تقل أهمية عن تطور خطط المدن الرئيسية، وبخاصة بغداد، ففيها تتحدد للقارئ مواقع مساجد ومدارس ومحلات وأسواق ودروب وخانات وأبواب وعقود ودور حرفية (ورش). وجسور وقناطر ومشارع (جمع مشرعة وهي الشريعة) وقلاع وثكنات وحمامات، مما يكشف عن أسمائها القديمة، وما كان يشغل أرضها من مواقع بائدة، وما آل إليه حالها في الأزمان التالية، حتى يمكن القول أن دراسة الخطط بغداد في العهود المتأخرة لا يمكن أن تجري ما لم تستند أولاً على معطيات تلك الوثائق المهمة.

وتحمل الوقفيات دائماً أسماء القضاة الذين صادقوا على مندرجاتها وأسماء الشهود الذين شهدوا عليها وعناوين وظائفهم، وبما أنهم عادة من وجهاء المدينة وعلمائها، فان الوقفيات تدلنا على كثير من التفاصيل الخاصة بتلك الفئات، كما أنها تحتوي على معلومات مهمة تفيد في معرفة تاريخ الأسر التي تميزت بعلم وفضل ومال، وأعلامها، وأصولها، ومصادر ثرواتها وما إلى ذلك من شؤون.

ثانياً: مجموعة الطابو:

كانت الدفترخانة هي المسؤولة قانوناً عن تنظيم شؤون الاقطاعات الزراعية- العسكرية في الريف، وقد وجدت في بغداد، منذ أول عهدها بالسيطرة العثمانية دائرة (دفتر خانة) محلية تتبع (الدفتر خانة العامرة) أي المركزية في العاصمة، وإثر إلغاء هذه الإقطاعات في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أصبحت مهمة تلك الدائرة

مختصة بمتابعة رسوم الأراضي وإصدار سندات الملكية بشأنها، أما سندات ملكية العقارات داخل المدن فكانت تختص بها المحكمة الشرعية عادة[1].

وإثر صدور قانون الأراضي العثماني سنة 1275هـ/1858م والتعليمات المتعلقة به، استحدثت دائرة جديدة تتولى شؤون الملكية العقارية باسم (دائرة الدفتر الخاقاني) وربطت بها دوائر محلية بالاسم نفسه في مراكز الولايات المهمة، ومنها بغداد.

وأصبح من واجبات (الدفتر الخاقاني) في بغداد تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات النافذة بشأن إدارة الأملاك والأراضي والنفوس، وما كان مختصاً منها سندات التصرف بالأملاك والأرض وتثبيت حق ملكيتها رسمياً إضافة إلى واجبات أخرى.[2] وبما أن السياسة الاقتصادية للدولة كانت تستهدف منذ عهد مدحت باشا تسجيل أكبر مساحة ممكنة من أرض العراق بأسماء المالكين الجدد، فقد كان من الطبيعي أن تتخلف عن هذه الدائرة وبسرعة كميات كبيرة من الملفات التي ضمت أوليات عمليات المسح، والتسجيل وتثبيت الحدود، وتحديد العائدية، ومتابعة انتقال الملكية وما إلى ذلك من شؤون أقرَّها القانون الجديد.

وبما ان اكثر تلك الملكيات قد جُدد تسجيله في عهدي الاحتلال البريطاني والدولة العراقية، فقد فقدت الملفات القديمة الخاصة بها قيمتها القانونية، ومن ثم تعرضت- تدريجياً- إلى الإهمال والتكديس في أقبية دائرة الدفتر الخاقاني، التي عُرفت باسم الطابو. ثم أنها كُدست- على غير ترتيب معين- في أكياس كبيرة من الخيش (كواني) قدَّرنا عددها، يوم رأيناها سنة 1982 تحتل الطابق الأوسط من عمارة الدفتردار الكائنة في مدخل شارع المستنصر، بأكثر من مائة كيس يختص بعمليات تسجيل الأراضي في الريف، وقد سَعَينا في حينها لنقلها الى المركز الوطني للوثائق، فلم نجد لسعينا هذا اي صدى، بذريعة أن المركز لا يملك مساحة تكفي لحفظ هذه الكمية الكبيرة من الأكياس.

---

(1) انظر نجاتي اقطاش وعصمت بينارق: الأرشيف العثماني (ترجمة صالح سعداوي، عمان 1986، ص339-335) ودائرة المعارف الإسلامية، مادة تيمار بقلم ديني.

(2) د. عماد احمد الجواهري: تاريخ مشكلة الأراضي في العراق (بغداد 1978) 45-47 وغانم محمد علي: النظام المالي العثماني في العراق، أطروحة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل، كلية الآداب 1989)، ص49، 53.

أما سجلات التسجيل الخاصة بالمدن فقد كان حظها أفضل، اذ بقيت محفوظة في دوائر التسجيل العقاري (الطابو) ليُرجع إليها في الحالات التي تتطلب ذلك.

ومن حسن التقدير، أن مجموعة من تلك الوثائق قد انتقلت مؤخراً إلى أمانة الوثائق في دار الكتب والوثائق فأصبحت بذلك متاحة للباحثين، وتتألف المجموعة من 114 ملفاً، تضم نحن (13842) وثيقة، جميعها باللغة التركية العثمانية، وتغطي هذه الوثائق مناطق واسعة من الولايات العراقية: بغداد والموصل والبصرة وأبرز المدن والنواحي التي تتكرر الإشارة اليها كربلاء والديوانية والدليم والكوت وخانقين وبدرة وجصان ومندلي والجزيرة وخرسان (خريسان) والعزيزية وعانة والنجف والخالص والعمارة والمحمودية والحلة والسليمانية وكركوك.

وأقدم سجلات هذه المجموعة يرقى إلى سنة 1287هـ (1870م) وهي سنة المباشرة الفعلية بتسجيل أراضي العراق في أيام ولاية مدحت باشا (1286-1289هـ/1868-1872م) ويختص هذا السجل بالمعاملات الخاصة بالأنهار الواقعة غرب الخالص، وثمة نقص واضح في السجلات التي تغطي السنين التالية حتى نهاية القرن الثالث عشر للهجرة (19م)، ومن المحتمل ان يكون سببه هو ضياع ثلث السجلات أو تلفها أو عدم نقلها إلى أمانة الوثائق. وترقى السجلات المتبقية إلى ما بين سنتي 1300هـ/1882م و1333هـ/1915م.

وفي الواقع فإن التاريخ الأول يمثل البداية الفعلية لإصلاح نظام دوائر الطابو إذ أبدلت الأصول القديمة في منح سندات متعددة وتقرر إعطاء سند واحد في كل قطعة، واستخدمت دفاتر جديدة لتسجيل المعاملات عليها، فضلاً عن اجراء تغييرات أخرى مهمة[1].

تبحث سجلات الطابو، فيما تضمّه هذه المجموعة منها، في شؤون متنوعة ذات صلة بالأرض وملكيتها، منها مثلاً ما يختص بمبالغ الحاصلات المرسلة من الولايات العراقية إلى وزارة الداخلية العثمانية، ومحررات صادرة من المدن العراقية حول معاملات الطابو وسجلات خاصة بالأراضي والعقارات الأميرية في المدن المذكورة، وأخرى حول نوعية ومقادير الأراضي والبرقيات الصادرة من الولايات العراقية حول معاملات التملك، ومحررات صادرة حول الموضوع نفسه، وسجلات بالسندات

---

(1) الجواهري، المصدر السابق، 46.

الرسمية الخاصة بالأراضي والمقاطعات المعنية، وغير ذلك من أمور. وتضم تلك السجلات، فيما تضمه من وثائق، معلومات مهمة عن حجج الأراضي في كثير من المدن والنواحي العراقية، وأسماء المالكين، مع الإشارة إلى اسماء عشائرهم أو ألقابهم أحياناً، مما يفيد في معرفة أصولهم الاجتماعية والاقتصادية، كما أنها توضح أبعاد الأرض التي صدر بشأنها سند الملكية بقياس الدونمات واجزائه، وتوضح حدودها من أنهار ومزارع وتلال ومعالم طبيعية وصناعية أخرى، مما يكشف عن كثير من المعالم والشواخص البائدة في تلك النواحي. وفضلاً عن ذلك فإنها تتضمن تقدير أسعار الدونم الواحد من الأرض بحسب السنين المتعاقبة، وما يتعلق بحقوق وراثة المقاطعات المختلفة، واسماء الوارثين، ومبالغ إيجار أراضي القرى الزراعية، والمشاكل الحاصلة بين مالكيها الجدد بحسب السندات وزُرّاعها من العشائر المقيمة فيها، وأسماء الأعضاء المنتخبين لمجلس إدارة الولاية، ورواتب موظفي مركز الإدارة وملحقاتها، وبراءات ذممهم، وما له صلة بشؤون نقلهم وعزلهم، ومزادات بيع العقارات، وحجز الأموال وانتقال الأراضي، وعرائض عديدة تتضمن شكاوى على موظفين في الدائرة المذكورة، وبعضها مكتوب على هيئة قصيدة، أو قطعة أدبية، ومذكرات حول معاقبة بعض الموظفين المتلاعبين تصل إلى حد الإعدام أحياناً، وغير ذلك من شؤون، تفيد الباحث في الأحوال الإدارية والتطور الاقتصادي وأثره في الحياة الاجتماعية في العراق ابان القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد).

ثالثاً- سجلات المحكمة الشرعية في بغداد

احتفظت المحكمة الشرعية بالرصافة بمجموعة مهمة من السجلات المرتقية إلى العصر العثماني في العراق، يبلغ عددها (680) سجلاً وهي توثّق الحقبة الممتدة من سنة 1198هـ/1783م وحتى نهاية العصر العثماني واحتلال بغداد سنة 1336هـ/1917م[1].

(1) كنا قد سعينا منذ سبعينات القرن الماضي إلى نقل هذه السجلات، لاسيما ما يختص منها بالعصر العثماني، من الحجرة المذكورة التي لم تتوفر فيها أياً من شروط الحفظ الآمن، إلى دار الكتب والوثائق، بوصفها المكان الأفضل لحفظها، والأولى بذلك قانوناً، ولكن الموافقة على ذلك النقل لم تكن تحصل بسبب ممانعة المحكمة نفسها مرة بعد مرة، بحجة حاجتها إليها في عملها اليومي، وحينما أفرغت المحكمة الحجرة من سجلاتها لتخصص لقبر عادلة خاتون (ينظر: من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد في هذا الكتاب) على ما طالب

وتتفاوت أعداد صفحات كل من هذه السجلات، فتبلغ لصفحات القديمة منها (حتى سنة 1300هـ/1882م) مابين 84 و 150 صفحة، في حين يستقر عدد صفحات السجلات التالية (حتى نهاية العصر) على 200 صفحة، وكلها مجلد تجليداً محكماً على النمط القديم. وبعض هذه السجلات يتضمن نحو مائة معاملة، بينما يرتفع عدد المعاملات في سجلات أخرى إلى نحو ألف معاملة، وعلى الرغم من اختلاف مقاييس السجلات، الا أن السمة العامة لها أنها طولانية بشكل مفرط، حيث يتراوح عرضها بين 13 و 16 سم، وطولها بين 41 و 45 سم.

ولغة السجلات الغالبة هي التركية العثمانية، ولكنها تحتوي أيضاً على وثائق عديدة كتبت بالعربية، بل ثمة سجلات برمتها مكتوبة بالعربية وحدها.

وكتاب هذه السجلات هم قضاة بغداد أنفسهم، وهم - عادة - يتولون مناصبهم لمدد قصيرة (سنة أو سنتين) لذا فإنها مكتوبة بخطوط عديدة، لكنها جميلة غالباً، وتوجد في الصفحة الأولى من كل سجل بيانات باسم القاضي الذي يتولى التسجيل فيه، وأولهما فرمان توليته في منصبه، وتاريخ ذلك، وموضوع السجل، والزمن الذي يوثقه، وتوقيع القاضي نفسه، الذي هو غالباً على نمط واحد يتكرر لدى جميع القضاة.

به الحاج أمين المميز، المتولي على أوقافها المصفاة، لم تجد المحكمة مكاناً في مبناها لحفظ تلك السجلات، ومن هنا سعينا لدى دار الكتب والوثائق بطلب نقلها -إلى إحدى قاعاتها وحفظها فيها، وكنا يومذاك عضواً في الهيئة الاستشارية للدار، فما كان من المحكمة إلا أن وافقت على الطلب المذكور، فنقلت وصارت في متناول الباحثين. وكنا قد أعددنا دراسة وفهرسة للسجلات المذكورة تحت عنوان (سجلات المحكمة الشرعية في بغداد وأهميتها في دراسة تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي)، قدمناها إلى هيئة كتابة التاريخ في العراق سنة 1982، ثم نشرناها في مجلة المورد التراثية التي تصدر في بغداد، العدد2، السنة 12، 1983. وقد أخبرنا الدكتور بشير إسكندر مدير عام الدار سابقاً، في لقاء به في شتاء 2012 أن تلفاً كبيراً أصاب هذه السجلات في أثناء حوادث الفوضى التي رافقت، وأعقبت، الاحتلال الأمريكي لبغداد سنة 2003، وأن عملية ترميم تجرى الآن لصيانة ما تبقى منها، أما المحكمة الشرعية نفسها فقد ننتض مبناها وشيدت على أرضها سوقاً مقفلاً (قيصرية)، لبيع الملابس الجاهزة.

ونظراً لأن الفهرسة التي قمنا بها هي الأولى، والوحيدة التي جرت لهذه المجموعة النفيسة من الوثائق، قبل أن تمسها يدي الإتلاف والتخريب، رأينا أن من المفيد نشرها ليفيد منها الباحثون في وثائق العراق إبان هذه الحقبة المهمة من تاريخه.

تنقسم السجلات بحسب ما كان عليها وضعها في قسم الملفات في المحكمة الشرعية إلى مجموعتين رئيسيتين، هما:

أولاً- المجموعة العامة:

وأقدم سجلات هذه المجموعة عهداً، يرقى إلى 20 رمضان سنة 1198هـ/ 1783م، وليس للمحكمة علم بالسجلات السابقة على عن هذا التاريخ، ويعزى تنظيم معظمها إلى والي بغداد سليمان باشا الصغير (1223-1225هـ/1808-1810م).

وتتميز هذه المجموعة عن سواها بأنها تحمل أرقاماً متسلسلة بحسب أزمانها، باستثناء واحد، هو أن أقدم سجلاتها، المتضمن وثائق سنة 1198هـ يحمل الرقم 6 من المجموعة، وكان الواجب أن يحمل أول ارقامها، ويحمل سجلان منها رقماً متكرراً واحداً، كما توجد عدة سجلات ضائعة يكشف عنها الترقيم الموجود على المجموعة، وهو ترقيم قديم يرقى إلى العصر العثماني.

إن عدد السجلات كما يفهم من أرقامها كان (446) سجلاً، بينما لا يوجد منها في الوقت الحاضر إلا (419) فقط، وأهمية هذه المجموعة تكمن في أن قسماً كبيراً منها يرقى إلى ما قبل عهد التنظيمات العثمانية في العراق، وهي حقبة أدت فيها المحكمة الشرعية دوراً متميزاً في الحياة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، باعتبارها الجهة الوحيدة المختصة بتوثيق مختلف الشؤون الرسمية والشعبية، ففيها فرامين تعيين الولاة وتجديد تعيينهم، وسائر الفرامين الموجهة اليهم بشأن أمور عامة مهمة، وأوامر الولاة أنفسهم، وأوامر الصدور العظام وشيوخ الإسلام، وأنواع المكاتبات الرسمية، كالتي تختص بتصفية أموال الموظفين الرسميين بعد عزلهم، والتدقيق في معاملات الولاة، والأوامر العسكرية والإدارية وغيرها. كما أن فيها تسجلات دقيقة أحياناً لأسعار بعض المواد، ومقادير ما كان يجبى من الضرائب بأنواعها، وضمان (التزام) أصناف الحرفيين وسائر مرافق المدينة الاقتصادية، كالأسواق والحمّامات ودُور النسيج والصناعات، وتتضمن أيضاً وقفيات لعدد كبير من المساجد والمدارس، ورواتب العاملين فيها، والتدقيق في شؤون المتولين عليها من حيث الوارد والصادر، ومقدار ما كان يُنفق على تعميرها، ويدخل في ذلك أجور العمال وأثمان المواد، وأنواع المعاملات العقارية من شراء وبيع ورهن واستبدال واستئجار، يتعلق معظمها بقصور ودور ودكاكين وخانات وأسواق، حُددت معالمها وأبعادها. وقسم من تلك المعاملات

خاص بمدن تقع في خارج بغداد كما تشمل على وثائق تتعلق بالعلاقات الزراعية في الريف، كعقود المغارسة، والمساقاة والمزارعة، والعمل الزراعي، والضمان، ودعاوى بشأن ملكية اقطاعات متنوعة في أنحاء مختلفة من العراق، واعفاءات من رسوم مختلفة، حددت بدقة. ودعاوى قتول بين الأفراد والعشائر، وأخرى مرفوعة من طوائف مسيحية مختلفة بشأن بعض الكنائس وغيرها، ومعاملات مالية لعدد من الصيارفة اليهود، وبيانات بتخصيص رواتب لشخصيات بارزة من خزينة بغداد، وأخرى بشأن شركات تجارية ومضاربات. هذا فضلاً عن عقود النكاح والمواريث وتصفية التركات وشراء المماليك وعتقهم وما يتصل بذلك من شؤون تخص الاسرة والمجتمع العراقي في ذلك العصر.

والرقعة الجغرافية التي تتولى شؤونها محكمة شرعية بغداد واسعة نسبياً، فهي تشمل فضلاً عن مدينة بغداد ذاتها، مدن وسط العراق وقراه وريفه، كالحلة، والنجف، وكربلاء، وحديثة، وعانه، وهيت، وراوة، وكركوك، وأربيل، وبعقوبة، ومنها قرى داثرة، وأنهار مندرسة، وأرض نُسيت أسماؤها في حقب لاحقة.

وفيما يلي قطعة من أول فهرس كنا قد أعددناه للسجل الاول من سجلات هذه المجموعة:

رقم الصفحة والقضية	الموضوع	التاريخ	ملاحظات تشمل لغة القضية والعملات المستخدمة
ص2 ق1	إشعار بتعيين إسماعيل قاضياً في بغداد	27 رمضان 1198	بالتركية
ص2 ق2	نص فرمان تعيين إسماعيل قاضياً في بغداد	4 شعبان 1198	بالتركية
ص3 ق1	حجة شرعية باستبدال وقف من قبل متوليه الحاج قاسم يشمل دكاكين وقهوه خانه في راس القرية	8 ذي القعدة 1198	بالتركية

ص3 ق2	عقد زواج حسين آغا بن الحاج حسن بياسة بنت طعان بوكالة الحاج علي الموصلي	غير مؤرخ	بالعربية، زر محبوب
ص3 ق3	عقد زواج محمد بن علي من سكنة بنت أحمد بوكالة ملا كاظم بن محمود	21 ذا 1198	بالعربية، تومان، ربيات صغار
ص3 ق4	حجة بتعيين لجنة لتنفيذ وصية عائشة خاتون بنت فضلي من سكان بغداد	23 (غير واضح بسبب التصوير)	بالتركية
ص4 ق1	عقد زواج عبد المهدي بن الحاج قنبر من سكينة بنت عبد الواحد بوكالة ابراهيم اغا بن عبد الله	25 م 1199	بالعربية، قرش رومي
ص4 ق2	حكم شرعي لفض نزاع سقط فيه قتول بين عشيرتي بني سعد والدفافعة	12 م 1199	بالتركية.
ص4 ق3	عقد زواج الملا نعمان بن ابراهيم من خميسة بنت بيرة بوكالة حمود بن السيد علي	25 ص 1199	بالعربية، تومانات بغداد
ص4 ق4	دعوى ملا عبد الله بن شهيد الوصي على ابنته أمينة لرفع زينب ووكيلها السيد أيوب بن السيد أمين الأدهمي عن تركة عثمان شهيد	27 ص 1199	بالتركية، غرش رومي

ص4 ق5	اعلام شرعي بوفاة زوج زينب بنت محمد في اثناء الغوغاء	غير مؤرخ	بالتركية
ص5 ق1	قائمة بالمهمات العسكرية الموجودة في قلعة بغداد الواردة من الطوبخانة العامرة باستانبول تتضمن اسماء أسلحة نارية خفيفة.	غير مؤرخة	
ص5 ق2	حكم برفع يد مصطاف بن ملا حسن عن بستان التوث في نهر جرف الأحمر بناء على دعوى عباس بن حمزة على مصطاف بن ملا حسن بأن البستان هي لابن عمه محمود وأن مصطاف ضبطها من غير وجه حق.	27 محرم 1199	
ص6 ق1	دعوى برد مبلغ في ذمة فياض بن سلمان إلى حسين بن قاسم	25 دا 1199	بالتركية، غروش رومي
ص6 ق2	تحرير تركة الحاج علي بن عبالله الباجه جي وبيعها في سوق السلطان لصالح بيت المال، وتتضمن قبان وصناديق وسجاد ونقود	28 ذا القعدة 1199	بالتركية، غروش رومي
ص7 ق1	فرمان إلى والي بغداد وقاضيها بوجوب إظهار الزينات وإطلاق المدافع ابتهاجاً بولادة ولد للسلطان محمود	اواخر رمضان 1199	بالتركية

ص8 ق1	كتاب من الوالي بشأن تنفيذ الفرمان المذكور	غير مؤرخ	بالتركية
ص8 ق2	دعوى السيد مصطفى بن السيد اسماعيل على السيد يحيى بن السيد حسين بتسليمه ماشيته	2 ذ 1199	بالتركية
ص8 ق9	عقد شراء خديجة خانم بنت سليمان باشا والي بغداد لعقار واقع في محلة شاه قولي دلال في بغداد في مجلس شرعي من وكيل الباليوز بوكالة مفتي الحنفية الحاج إسماعيل أفندي ونقيب الأشراف الحاج عبد الرحمن أفندي، وشهد على البيع عدد من سراة بغداد بينهم المفتي والنقيب والخطيب السيد طه ودرويش أفندي امام قصبة الأعظمية وعبد الله أفندي كليدار الإمام الأعظم وحسن أفندي بن حسين أفندي الرحبي وعبد الله افندي بن محمود أفندي مفتي الحلة سابقاً والحاج محمد جميل افندي بن عبد الجليل والحاج محمد سعيد افندي بن	12 ربيع الآخر 1199	بالتركية

	عبد الجليل والحاج مصطفى سميكة والحاج حسين جلبي قصار زاده وعبد الله جلبي بن الحاج يوسف الأعظمي وملا مصطفى أفندي مدرس الوفائية وغيرهم.		
ص10 ق1	مصادقة على شراء خديجة خانم بنت سليمان باشا والي بغداد لعقار في محلة شاه قولي دلال بوكالة مفتي الحنفية الحاج اسماعيل افندي ونقيب الأشراف عبد الرحمن افندي، في آخرها اسماء الشهود من بينهم مفتي الحنفية والنقيب وسيد طه افندي الخطيب ودرويش أفندي الإمام وعبد الله افندي الكليتدار ولطف الله اغا وطوبجي محمود اغا ومحمد الخطيب ينيكجري افنديسي وعربه نجي باشي الحاج مصطفى اغا	13 ربيع الآخر 1199	بالتركية، غرش
ص10 ق1	حكم ببراءة ذمة ملا ابراهيم إمام جامع النعمانية الوكيل عن فاطمة خاتون زوج عجيمي زاده	15 ر 1199	بالتركية

	بكر اغا من حق التزامه ومن كافة المعاملات لعايشة خاتون بنت شاهين اغا وفي آخره اسماء الشهود موسى بك شاوي زاده وأحمد آغا بن عثمان اغا وأحمد آغا جاوش كهيه سي وجواد بن ملا فتحي.		
ص10 ق3	حكم لسليمان آغا بن خضر بك برفع يد درويش أفندي بن حمزة جلبي عن تركة المتوفى أحمد أفندي بن مصطفى أفندي	25 ذ 1199	بالتركية، غرش
ص11 ق1	حكم لكلثوم بنت ماجد برفع يد فضلي أوغلي حسن عن تركة زوجها المتوفى هاشم بن محمد درويش وهو حجل من الذهب	6 حا 1199	بالتركية
ص11 ق2	حكم برد مبلغ	17 جا 1199	بالتركية
ص11 ق3	إعلام لحضن بنت محمد بتسليم مصاغ ذهب لفاطمة بنت محمد العكيلي. واثبات وقف عقار في محلة الشيخ بشار بشهادة عباس آغا بن هاشم اغا وياسين بن (..) ومصطفى بن سليمان وتنبيهه	غير مؤرخ	بالتركية

ص12 ق22	إعلام بتسديد حسين مبلغ إلى درويش افندي المحاسبجي الوصي على تركة أحمد أفندي بن مصطفى أفندي.	1 جمادى ... 1199	بالتركية (كتب بخط ساذج يختلف عن خط سائر السجل)
ص12 ق23	إعلام بلزوم البرء والتوفيق لما تسببه فلح شاهين بن درويش من اعتداء على اراضي باعث الإعلام فارس بن درويش في قرية ينكجة من توابع الخالص	2 ج2 1199	بالتركية
ص12 ق24	إعلام برفع يد عباس بن عمر من سكنة بغداد عن تركة عائشة بنت علي وبيان حصص سائر الورثة	3 ج 1199	بالتركية
ص12 ق (غير مرقمة)	عقد زواج محمد أغا على الثيب شفيقة خاتون بنت عبد الله بوكالة مصطفى آغا بن عبد الله على مهر معجل قدره مائة ذهب زر محبوب وجارية سوداء ومعجل قدره مائة وخمسون ذهبا زر محبوب وجارية سوداء	(غير واضح)	بالعربية
ص12 ق (غير مرقمة)	عقد زواج فتاح بن عبد الله والباكر صالحة بنت ابراهيم بوكالة الحاج صالح بن الحاج أحمد على مهر	20رمضان 1200	بالعربية

	معجل قدره مائة وخمسين قرشا روميا ومؤجل قدره مائتي قرشا روميا		

2- المجموعات المتخصصة:

وتحتفظ المحكمة، فيما عدا السجلات المذكورة، بكُدس كبير من السجلات الرسمية لا يضمها تسلسل واحد، أو موضوع معين، وبعد دراستها تبيَّن أنها تتكون من عدة مجموعات، تتناول كل مجموعة موضوعاً محدداً، ويحتفظ بعضها بأرقام متسلسلة أحياناً، ومتقطعة غالباً، لذا فقد قمتُ بفرز هذه السجلات إلى مجموعات متخصصة بحسب وحدة الموضوعات التي تتناولها.

إن ظاهرة تنظيم السجلات المتخصصة تعد احدى أهم الظواهر الاصلاحية التي طرأت على عمل المحكمة الشرعية، ويمكن إرجاعها -بحسب سجلات المحكمة نفسها- إلى سنة 1265هـ/1848م حين أفرد أول سجل خاص بضبط الدعاوى عن السجل العام للمحكمة، ويقترن هذا التاريخ بفترة تولي محمد نجيب باشا الحكم في بغداد (1258-1265هـ/1842-1848) وهي الفترة التي شهدت أول تطبيق للتشريعات العثمانية القضائية في العراق.

وهذه المجموعات هي:

أ- سجلات الوكالات وتتألف من (24) سجلاً تغطي الفترة الممتدة من 17 جمادي الآخرة سنة 1332هـ/1920م ويحمل بعض هذه السجلات أرقاماً لكنها ليست متسلسلة بحسب السنين.

ب- سجلات ضبط الدعاوى: وتتألف من (118) سجلاً تشمل مختلف الدعاوى المرفوعة إلى المحكمة من 7 محرم 1265هـ/1848م إلى 24 ربيع الثاني سنة 1326هـ/1908م، ويحمل أغلبها أرقاماً متسلسلة مما يكشف عن فقدان بعضها، كما ان قسماً منها لا يحمل أرقاماً البتة.

جـ- سجلات الفرامين والأوامر وتتألف من (11) سجلاً وتشمل عدداً كبيراً من الفرامين والأوامر (أمر نامات) الصادرة من السلاطين العثمانيين والصدارة العظمى وبعض الدوائر الرسمية إلى ولاة بغداد، كما تشمل أيضاً أوامر مختلفة من شيوخ الإسلام وبعض الدوائر الشرعية العثمانية كمجلس التدقيقات الشرعية

وأمناء الفتوى موجهة إلى قضاة بغداد . وأول هذه السجلات مؤرخ في 11 شعبان 1283هـ/1866م وآخرها ينتهي في 23 نيسان 1918، وهي غير مرقمة.

د- سجلات القيود الخاصة وعددها أربعة سجلات تغطي الفترة من 27 محرم 1321هـ/1903 إلى 14 شوال 1330هـ/ 1911م.

هـ- سجلات القسّامات الشرعية: وهي (17) سجلاً، تحمل أرقاماً متسلسلة، وتغطي الفترة من 17 ربيع الثاني 1306هـ/1888م إلى 25 شعبان 1336هـ/1918م وتتضمن بيانات مهمة عن الزوجات والاولاد مما يقدم فوائد جمة عن تكوين الاسرة العراقية الاجتماعي والاقتصادي ابان تلك الحقبة.

و- سجلات عقود الزواج: وتتألف من (65) سجلاً وهي تحمل ارقاماً متسلسلة في الاصل، ولكن فقد منها بعضها، وعلى أية حال فان أرقامها غير متفقة مع ترتيبها الزمني وهي تغطي الفترة الممتدة من 2 رجب 1269هـ/1852م وحتى رمضان 1335هـ/1917م، وفيها معلومات طريفة عن مبالغ (المُهور) المُعجّلة منها والمؤجلة، وأمور أخرى تكشف عن جملة تفاصيل تخص وضع المرأة الاجتماعي في العراق، ومستويات المعيشة بشكل عام ابان ذلك العهد.

ز- السجلات الديون (ادانات): وتوجد منها خمسة سجلات لا تحمل أرقاماً، أولها مؤرخ في 12 جمادي الاولى 1306هـ/1889 وآخرها مؤرخ في 28 ذي القعدة 1318هـ/1900م وهي تتضمن مقادير ديون عدد كبير من الوجهاء والتجار وما يتصل بذلك من التفاصيل التي تفيد في دراسة الأحوال المالية والاقتصادية لتلك الفئات.

ح- سجل النفقات والمخالعات: وتوجد منها ستة سجلات لا تحمل أرقاماً، أولها مؤرخ في 18 شوال 1322هـ/1904 وآخرها في 19 شوال 1339هـ/1921م وهي خاصة بشؤون (النفقة) وما يتصل بها من أمور مالية تفيد في معرفة المستويات المعيشية للفرد والاسرة في العراق آنذاك.

ط- سجلات التبليغات:

ويوجد منها سجلات، يبدأ أولها في 11 ربيع الثاني 1315هـ/1897م وينتهي آخرها في 1 جمادي الآخرة سنة 1325هـ/1907م وهما يحتويان على التبليغات الصادرة عن المحكمة في شؤون متنوعة.

ي- سجلات المبايعات والرهنيات: ويوجد منها سجلات يبدأ اولهما في 7 شوال 1301هـ/1883م، وينتهي آخرها في 5 جمادي الاولى 1328هـ/1909م وهما يحتويان على جملة أمور تتعلق بالحياة المالية والاقتصادية في العراق آنئذ .

ك- سجلات متفرقة: وهي أربعة سجلات، تحمل تواريخ مختلفة، يبدأ أولها في 8 جمادي الاولى 1247هـ/1831م وينتهي آخرها في 23 ربيع الاول 1330هـ/1911م. وهي تتضمن وثائق متنوعة عن التزام مقاطعات، وشؤون الجنايات، والتركات وغير ذلك، ومعظمها لايحمل أرقاماً .

ل- سجلات محكمة شرعية الأعظمية: وهي ثلاثة سجلات، تتناول أموراً متنوعة مما كان يعرض على المحكمة الشرعية في الاعظمية في الفترة الممتدة من 3 ذي القعدة سنة 1301هـ/1883م إلى 14 ربيع الآخر 1332هـ/1913م مثل الوكالات وعقود الزواج وضبط الدعاوى.

ولما لم يكن في المحكمة الشرعية سجل أو فهرست يتضمن أرقام هذه السجلات وتواريخها وموضوعاتها، فقد قمت بدراستها وتصنيفها على النحو الآتي:

المجموعة العامة

1- المجموعة العامة

رقم التسلسل	الزمن	
1	19 محرم 1214- 2 ربيع الثاني 1215	
2	14 جمادى الآخرة 1215- 25 ربيع الثاني 1216	
3	19 محرم 1214- 11 جمادى الأولى 1215 وسلخ شوال 1217	
4	12 ربيع الأول 1219- 5 صفر 1223 ومن 24 ذي الحجة 1225- 3 شعبان 1236	
5	25 ذي القعدة 1221- 7 رجب 1224	
6	20 رمضان 1198- 29 ذي الحجة 1230	يضم معاملات متفرقة تعود

		للسنوات 1198-1201-1224-1230
7	28 شوال 1225- 26 شوال 1229	
8	25 ذي الحجة 1229- 6 ذي الحجة 1230	
9	1 محرم 1231- 15 شعبان 1231	
10	6 ذي الحجة 1231- 1 جمادى الآخر 1233	
11	7جمادى الأولى 1233- 12 ذي القعدة 1233	
12	20 ذي الحجة 1234- 12 ذي القعدة 1233	
13	23 محرم 1235- 20 ذي الحجة 1235	
14	غرة شعبان 1236- 12 صفر 1237	
15	غرة جمادى الآخرة 1237- 9 جمادى الآخرة 1238	
16	10 جمادى الآخرة 1238- 16 جمادى الأولى 1239	
17	30 رجب 1239- 1 جمادى الآخرة 1240	
18	غرة جمادى الآخرة 1240- 20 جمادى الأولى 1241	
19	5 شوال 1241- 28 جمادى الأولى 1242	
20	غرة جمادى الآخرة 1242- 30 جمادى الآخرة 1242	
21	6 جمادى الآخرة 1242- 30 جمادى الأولى 1244	
22	غرة جمادى الآخرة 1244- 30 جمادى الأولى 1244	
23	21 جمادى الآخرة 1245- 28 جمادى الأولى 1246	
24	28 رجب 1246- 23 رمضان 1247	
25	28 جمادى الأولى 1247- أول ربيع الأول 249	
26	24 ذي الحجة 1256- 29 ذي القعدة 1257	
27	24 رجب 1256- 29 ذي القعدة 1257	
28	غرة ذي الحجة 1257- 11 جمادى الآخرة 1259	
29	13 ذي القعدة 1260- 21 جمادى الأولى 1261	
30	21 جمادى الأولى 1261- 5 محرم 1262	
31	5 محرم 1262- 29 ربيع الأول 1262	

32	28 ربيع الأول 1262- 18 رجب 1263	
33	14 ذي القعدة 1262- 3 شعبان 1263	
34	11 شوال 1262- 4 ربيع الثاني 1264	
35	7 بيع الثاني 1264- 8 شعبان 1265	
37	2 ربيع الثاني 1265- 21 جمادى الآخرة 1266	
38	12 شوال 1266- 28 ذي الحجة 1266	
39	28 ذي الحجة 1266- 12 ربيع الثاني 1267	
40	15 ربيع الثاني 1267- 6 شعبان 1267	
41	20 رمضان 1267- 30 ذي الحجة 1267	
42	1 محرم 1268- 23 ربيع الأول 1268	
43	17 صفر 1268- 9 محرم 1268	
44	1 جمادى الآخرة 1268- 11 رمضان 1268	
45	26 ذي الحجة 1268- 24 محرم 1269	
46	12 ربيع الأول 1268- 17 جمادى الآخرة 1269	
47	12 جمادى الآخرة 1268- 28 شوال 1269	
48	23 محرم 1269- 28 ربيع الأول 1269	
49	28 ربيع الأول 1269- 29 جمادى الآخرة 1269	
50	28 جمادى الآخرة 1269- 28 شوال 1269	
51	17 جمادى الآخرة 1269- 3 ذي القعدة 1270	
52	2 ذي القعدة 1269- 10 صفر 1270	
53	10 صفر 1270- 24 جمادى الآخرة 1270	
54	23 جمادى الآخرة 1270- 16 رمضان 1270	
55	4 ذي الحجة 1270- 27 محرم 1272	
56	23 رمضان 1270- 20 صفر 1271	
57	20 صفر 1271- 20 جمادى الأولى 1271	
58	20 جمادى الأولى 1271- 20 شعبان 1271	
59	21 شعبان 1271- 22 ذي الحجة 1271	

60	24 ذي الحجة 1271- 13 ربيع الثاني 1272	
61	16 ربيع الثاني 1272- 25 رجب 1272	
62	26 رجب 1272- 30 شوال 1272	
63	25 شوال 1272- 9 محرم 1272	
64	27 محرم 1273- 16 ذي القعدة 1273	
65	21 ربيع الأول 1272- 17 جمادى الآخرة 1273	
66	10 محرم 1273- 1 ربيع الأول 1273	
67	17 جمادى الآخرة 1273- 22 شوال 1273	
68	23 شوال 1273- 26 صفر 1274	
69	16 ذي القعدة 1273- 14 شوال 1275	
70	27 صفر 1274- 15 جمادى الآخرة 1274	
71	15 جمادى الآخرة 1274- 21 رمضان 1274	
72	21 رمضان 1274- 6 محرم 1275	
73	6 محرم 1275- 8 ربيع الثاني 1275	
74	15 جمادى الآخرة 1275- 5 ذي القعدة 1275	
75	11 شوال 1275- 5 ذي الحجة 1276	
76	5 ذي القعدة 1275- 27 صفر 1276	
77	27 صفر 1276- 2 جمادى الآخرة 1276	
78		لا يوجد
79	13 رمضان 1276- غرة محرم 1277	
80	9 ربيع الآخرة 1277- 29 ربيع الآخرة 1277	
81	18 صفر 1277- 20 صفر 1278	
82	21 ربيع الثاني 1277- 23 رجب 1277	
83	23 رجب 1277- 21 شوال 1277	
84	22 شوال 1277- 15 محرم 1278	
85	13 محرم 1278- 16 ربيع الثاني 1278	
86	19 صفر 1278- 19 رجب 1278	

87	12 ربيع الثاني 1278- 25 شعبان 1280	
88	20 رجب 1278- 20 شوال 1278	
89	19 شوال 1278- 22 ذي الحجة 1278	
90	24 ذي الحجة 1278- 23 صفر 1279	
91	26 صفر1278- 5 ربيع الثاني 1279	
92	29 ربيع الأول 1279- 27 ربيع الثاني 1279	
93	25 رجب 1279- 15 ذي الحجة 1279	
94	24 رجب 1279- 12 رمضان 1279	
95	15 ذي الحجة 1279- 28 صفر 1280	
96	1 ربيع الأول 1280- 4 جمادى الأولى 1280	
97	4 جمادى الأولى 1280- 20 رجب 1280	
98	24 رجب 1280- 5 شوال 1280	
99	5 شوال 1280- 22 ذي القعدة 1280	
100	1 رمضان 1280- 7 شعبان 1282	
101	22 ذي القعدة 1280- 10 صفر 1281	
102	7 صفر 1281- 7 ربيع الثاني 1281	
103	18 ربيع الآخر 1281- 17 جمادى الآخرة 1281	
104	13 جمادى الآخرة 1281- 23 شعبان 1281	
105	23 شعبان 1281- 1 ذي القعدة 1281	
106	3 ذي القعدة 1281- 18 محرم 1282	
107	19 محرم 1282- 12 ربيع الأول 1281	
108	14 ربيع الأول 1282- 1 جمادى الأولى 1282	
109	14 ربيع الثاني 1282- 17 جمادى الآخرة 1282	
110	27 جمادى الآخرة 1282- 6 رمضان 1282	
111	18 جمادى الآخر 1282- 16 شوال 1282	
112	17 رجب 1282- 5 ذي الحجة 1282	
113	9 شعبان 1282- 18 ذي القعدة 1284	

114	8 ذي الحجة 1282– 25 صفر 1283	
115	ا ربيع الأول 1283– 24 جمادى الآخرة 1283	
116	19 شوال 1283– 14 محرم 1284	
117	20 محرم 1284– 20 ربيع الآخر 1284	
118	23 ربيع الآخر 1284– 9 رجب 1284	
119	4 رجب 1284– 1 ذي القعدة 1284	
120	1 ذي القعدة 1284– 15 صفر 1285	
121	13 ذي القعدة 1284– 17 محرم 1287	
122	11 صفر 1285– 18 جمادى الأولى 1285	
123	17 جمادى الأولى 1285– 28 شعبان 1285	
124	25 شعبان 1285– 3 محرم 1286	
125	3 محرم 1286– 27 جمادى الأولى 1286	
126	2 جمادى الأولى 1286– 28 جمادى الأولى 1287	
127	21 جمادى الأولى1286– 11 ذي القعدة 1286	
128	9 ذي القعدة 1286– 3 ربيع الثاني 1287	
129	27 شوال 1287– 4 صفر 1290	
130	9 ربيع الأول 1287– 17 رمضان 1287	
131	18 رمضان 1287– 3 صفر 1288	
132	3 صفر 1288– 8 جمادى الآخرة 1288	
133	8 جمادى الآخرة 1288– 5 ذي الحجة 1288	
134	15 جمادى الآخرة 1288– 14 ذي القعدة 1288	
135	7 ذي الحجة 1288– 27 صفر 1289	
136	14 صفر 1289– 25 جمادى الآخرة 1289	
137	29 جمادى الآخرة 1289– 19 شوال 1289	
138	10 شوال 1289– 27 ذي الحجة 1289	
139	27 ذي الحجة 1289– 4 ربيع الأول 1290	
140	25 محرم 1290– 18 ربيع الثاني 1291	

141	4 ربيع الأول 1290- 20 ربيع الثاني 1290	
142	24 ربيع الثاني 1290- 14 جمادى الآخرة 1290	
143	18 جمادى الآخرة 1290- 7 شعبان 1290	
144	6 رمضان 1290- 30 شوال 1290	
145	1 ذي الحجة 1290- 23 صفر 1291	
146	19 صفر 1291- 8 جمادى الآخرة 1291	
147	9 ربيع الثاني 1291- 2 شعبان 1291	
148	15 ربيع الثاني 1291- 9 ذي القعدة 1291	
149	3 شعبان 1291- 7 شوال 1291	
150	8 شوال 1291- 21 ذي القعدة 1291	
151	26 ذي القعدة 1291- 5 صفر 1292	
152	3 صفر 1292- 27 صفر 1297	
153	3 صفر 1292- 27 ربيع الأول 1292	
154	28 ربيع الأول 1292- 20 رجب 1292	
155	18 رجب 1292- 20 رجب 1292	
156	16 رجب1292- 21 رمضان 1292	
157	26 رمضان 1292- 15 ذي القعدة 1292	
158	20 ذي القعدة 1292- 19 ذي الحجة 1292	
159	26 محرم 1293- 17 ربيع الأول 1293	
160	25 محرم 1392- 2 ذي القعدة 1292	
161	25 محرم 1292- 17 شوال 1292	
162	16 ربيع الأول 1293- 5 جمادى الآخرة 1293	
163	6 جمادى الآخر 1293- 23 رجب 1293	
164	9 رجب 1293- 20 رمضان 1293	
165	24 شعبان 1293- 1 ذي القعدة 1293	
166	20 ذي القعدة 1294- 14 ربيع الأول 1295	
167	17 ذي الحجة 1293- 18 صفر 1295	

168	20 شوال 1293- 24 ذي القعدة 1294	
169	17 ذي القعدة 1294- 9 محرم 1294	
170	17 محرم 1294- 3 ربيع الآخر 1294	
171	3 ربيع الأول 1294- 10 رجب 1294	
172	9 جمادى الأولى 1294- 10 رجب 1294	
173	12 رجب 1294- 4 رمضان1294	
174	8 رمضان 1294- 21 شوال 1294	
175	27 شوال 1294- 21 محرم 1295	
176	29 ربيع الأول 1295- 14 محرم 1296	
177	10 جمادى الأولى 1295- 29 رجب 1295	
178	4 ربيع الثاني 1295- 4 جمادى الآخرة 1295	
179	22 رجب 1295- 9 رمضان 1295	
180	20 رمضان 1295- 17 ذي القعدة 1295	
	(مربوط به أوامر صادرة من شيخ الإسلام إلى محكمة شرعية بغداد في خلال المدة من 13 شعبان 1303 إلى 9 ربيع الأول 1307)	
181	5 محرم 1296- 17 صفر 1296	
182	19 محرم 1296- 24 صفر 1296	
183	13 صفر 1296- 17 صفر 1296	
184	9 ربيع الأول 1296- 17 صفر 1296	
185	2 ربيع الأول 1296- 16 ربيع الثاني 1296	
186	12 ربيع الثاني 1296- 9 جمادى الأولى 1296	
187	19 جمادى الأولى 1296- 23 جمادى الآخرة 1296	
188	24 جمادى الآخرة 1296- 2 شعبان 1296	
189	30 رجب 1296- 8 شوال 1296	
190	2 شعبان 1296- 9 شعبان 1296	
191	10 رمضان 1296- 21 شوال 1296	

192	24 شوال 1296- 5 ذي القعدة 1296	
193	14 ذي القعدة 1296- 18 ذي الحجة 1296	
194	19 ذي الحجة 1296- 6 محرم 1297	
195	8 محرم 1297- 13 صفر 1297	
196	4 صفر 1297- 4 ربيع الأول 1297	
197	4 ربيع الأول 1297- 5 ربيع الثاني 1297	
198	27 ربيع الأول 1297- 8 ربيع الأول 1297	
199		لا يوجد
200	24 ربيع الثاني 1297- غرة جمادى الآخرة 1297	
201	25 جمادى الأولى 1297- 6 رجب 1297	
202	24 جمادى الآخرة 1297- 7 شعبان 1297	
203	2 شعبان 1297- 24 رمضان 1297	
204	4 شعبان 1297- غرة صفر 1298	
205	26 شعبان 1297- 6 ذي القعدة 1297	
206	7 شوال 1297- 22 ذي القعدة 1297	
207	5 ذي القعدة 1297- 5 محرم 1298	
208	4 صفر 1298- غرة ربيع الأول 1298	
209	27 صفر 1298- 24 محرم 1298	
210	5 ربيع الأول 1298- 6 ربيع الثاني 1298	
211	5 ربيع الأول 1298- 23 ربيع الثاني 1298	
212	6 ربيع الثاني1298- 21 ربيع الثاني 1298	
213	2 جمادى الآخر 1298- 19 جمادى الآخرة 1298	
214	15 جمادى الآخرة 1298- 4 رمضان 1298	
215	14 رجب 1298- 7 رمضان 1298	
216	8 رمضان 1298- 29 شوال 1298	
217	20 رمضان 1298- 20 صفر 1298	
218	19 شوال 1298- 15 ذي الحجة 1298	

219	5 ذي القعدة 1298- 8 محرم 1299	
220	17 ذي الحجة 1298- 8 ربيع الأول 1299	
221	30 ذي الحجة 1297- 17 صفر 1298	
222	14 محرم 1299- 26 ربيع الأول 1299	
223	14 صفر 1299- 15 شوال 1299	
224	25 ربيع الأول 1299- 20 جمادى الأولى 1299	
225	19 جمادى الأولى 1299- 20 جمادى الأولى 1299	
226	29 جمادى الأولى 1299- 9 رجب 1299	
227	25 رجب 1299- 9 رمضان 1299	
228	9 رمضان 1299026 شوال 1299	
228	9 ذي القعدة 1301- 24 رجب 1301	رقم السجل مكرر
229	21 شوال 1299- 22 ربيع الثاني 1300	
230	28 شوال 1299- 29 ذي القعدة 1299	
231	29 ذي القعدة 1299- 10 محرم 1300	
232	5 محرم 1295- 19 ربيع الأول 1295	
233	17 ذي القعدة 1295- 23 ذي الحجة 1295	
234	10 محرم 1300- 21 صفر 1300	
235	22 صفر 1300- 4 ربيع الثاني 1300	
236	3 ربيع الثاني 1300- 15 جمادى الأولى 1300	
237	14 جمادى الأولى 1300- 21 جمادى الآخرة 1300	
238	16 جمادى الأولى 1300- 22 ذي القعدة 1300	
239	21 جمادى الآخرة 1300- 6 شعبان 1300	
240	30 رجب 1300- سلخ شوال 1300	
241	4 شعبان 1300- 8 شوال و28 شعبان 1300	
242	9 شوال 1300- 25 شعبان 1300	
243	2 ذي القعدة 1300- 7 ذي الحجة 1300	
244	8 ذي القعدة 1300- 112 ذي القعدة 1300	

245	7 ذي الحجة 1300- 17 محرم 1301	
246	26 محرم 1301- 20 ربيع الأول 1301	
247	17 محرم 1301- 4 ذي القعدة 1301	
248	5 صفر 1301- 2 شعبان 1301	
249	8 ربيع الأول 1301- 17 ربيع الثاني 1301	
250	20 ربيع الثاني 1301-24 جمادى الأولى 1301	
251	20 جمادى الأولى 1301- 24 جمادى الأولى 1301	
252	15 رجب 1301- 27 رجب 1301	
253	10 شعبان 1301- 7 شوال 1301	
254	13 شعبان 1301- 26 شوال 1301	
255	25 شعبان 1301- 7 شوال 1301	
256	26 شوال 1301- 24 ذي القعدة 1301	
257	13 محرم 1302- 18 صفر 1302	
258	14 صفر 1302- 7 جمادى الأولى 1302	
259	15 ربيع الثاني 1302- غرة ربيع الأول 1310	
260	9 جمادى الأولى 1302- 19 رجب 1302	
261	22 جمادى الآخرة 1302- 19 رجب 1302	
262	5 رجب 1303- 9 شوال 1303	
263	21 رجب 1302- 20 ذي الحجة 1302	
264	7 شوال 1302- 20 ذي الحجة 1302	
265		لا يوجد
266	5 ذي القعدة 1302- 28 ربيع الأول 1303	
267	20 ذي القعدة 1301- 15 محرم 1302	
268	20 ذي القعدة 1301- 20 جمادى الأولى 1302	
269	7 ذي الحجة 1302- 20 ربيع الأول 1303	
270	7 صفر 1303- 8 جمادى الآخرة 1304	
271	16 ربيع الأول 1303- 17 جمادى الآخرة 1303	

272	13 شوال 1303- 17 ذي الحجة 1303	
273	2 جمادى الأولى 1303- 6 صفر 1304	
274	6 ذي الحجة 1303- 5 ربيع الأول 1304	
275	27 صفر 1304- 13 ذي القعدة 1304	
276	29 صفر 1304- 6 جمادى الآخرة 1304	
277	20 ربيع الأول 1304- 14 شوال 1304	
278	3 جمادى الآخرة 1304- 9 رمضان 1304	
279	29 رمضان 1304- 19 ذي الحجة 1304	
280	12 ذي القعدة 1304- 10 ربيع الأول 1305	
281	28 ذي القعدة 1304- 19 شعبان 1305	
282	19 ذي الحجة 1304- 5 ربيع الأول 1305	
283	7 ربيع الأول 1305- 27 جمادى الآخرة 1305	
284	27 جمادى الآخرة 1305- 11 شوال 1305	
285	12 رجب 1305- 12 محرم 1306	
286	1 رمضان 1305- 25 ذي الحجة 1305	
287	10 شوال 1305- 26 ذي الحجة 1305	
288	29 محرم 1306- 7 رمضان 1306	
289	8 صفر 1306- 13 محرم 1309	
290	9 صفر 1306- 14 شعبان 1306	
291	غرة صفر 1306- 15 جمادى الآخرة 1307	
292	غرة صفر 1306- 4 شعبان 1309	
293	24 جمادى الآخرة 1306- 7 ذي القعدة 1306	
294	28 شعبان 1306- 21 ذي الحجة 1307	
295		لا يوجد
296	16 صفر 1307- 28 جمادى الآخرة 1307	
297	7 ربيع الثاني 1307- 8 شعبان 1307	
298	27 جمادى الآخرة 1307- 18 ذي القعدة 1307	

299	4 شعبان 1307- 26 شوال 1307	
300	6 ذي القعدة 1307- 25 ربيع الأول 1308	
301	غرة ذي القعدة 1307- 24 محرم 1308	
302	26 محرم 1308- 13 جمادى الأولى 1308	
303	25 ربيع الأول 1308- 13 جمادى الأولى 1308	
304	8 جمادى الأولى 1308- 27 رجب 1308	
305	17 رجب 1308- 2 رمضان 1309	
306	24 رجب 1308- 15 ذي القعدة 1308	
307	14 شعبان 1308- 20 ذي الحجة 1308	
308	22 ذي الحجة 1308- 2 ربيع الأول 1309	
309	21 ذي الحجة 1308- 8 ربيع الأول 1309	
310		لا يوجد
311	3 ربيع الأول 1309- 10 رجب 1309	
312	14 ربيع الأول 1309- 22 رمضان 1309	
313	28 رمضان 1309- سلخ محرم 1310	
314	4 ذي القعدة 1309- 11 ربيع الأول 1301	
315	4 ذي القعدة 1309- 27 محرم 1310	
316	29 محرم 1310- 27 ربيع الأول 1310	
317	11 صفر 1310- 24 ربيع الأول 1310	
318	10 صفر 1310- 7 ربيع الآخر 1311	
319	14 ربيع الآخر 1310- غرة ربيع الأول 1311	
320	6 ربيع الأول 1311- 9 ربيع الأخر 1312	
321		لا يوجد
322	سلخ ذي القعدة 1311- 27 ذي الحجة 1312	
323	15 جمادى الأولى 1312- 25 محرم 1313	
324		لا يوجد
325		لا يوجد

326	22 محرم 1313- 19 شوال 1313	
327	20 محرم 1313- 23 رجب 1314	
328	8 شوال 1313- 12 محرم 1314	
329	23 شوال 1313- 17 ربيع الأول 1314	
330	14 محرم 1314- 13 جمادى الأولى 1314	
331	19 ربيع الثاني 13140- 7 ذي الحجة 1314	
332	22 ربيع الأول 1314- 20 محرم 1315	
333	16 ذي الحجة 1314- 18 ربيع الأول 1315	
334	12 محرم 1315- 5 جمادى الآخرة 1315	
335	10 ربيع الأول 1315- 23 جمادى الآخرة 1315	
336	4 جمادى الآخرة 1315- 5 ربيع الأول 1316	
337	20 رجب 1315- 12 محرم 1316	
338	17 ذي الحجة 1315- 7 ربيع الآخر 1316	
339	21 صفر 1316–27 جمادى الأولى 1317	
340	4 ربيع الأول 1316- 4 ذي الحجة 1316	
341	غرة ربيع الآخر 1316- 2 رجب 1316	
342	22 جمادى الآخرة 1316- 21 ذي القعدة 1316	
343	22 ذي القعدة 1316- 13 صفر 1317	
344	9 ذي الحجة 1316- 18 ذي القعدة 1317	
345	16 صفر 1317- 25 جمادى الأولى 1317	
346	26 جمادى الأولى 1317- 11 رمضان 1317	
347	غرة جمادى الآخرة 1317- 9 ربيع الأولى 1318	
348	27 رمضان 1317- 30 محرم 1319	
349	23 ذي القعدة 1317- 30 محرم 1319	
350	20 محرم 1318- 12 جمادى الأولى 1318	
351	10 جمادى الأولى 1318- غرة شعبان 1318	
352	10 شعبان 1318- 20 ذي الحجة 1318	

	16 رمضان 1318– 17 شعبان 1321	353
	9 ذي الحجة 1318– 17 ربيع الأول 1318	354
	15 محرم 1319– 25 ذي القعدة 1319	355
	22 ربيع الأول 1319– 8 جمادى الآخرة 1319	356
	20 جمادى الآخرة 1319– 5 شعبان 1319	357
	4 شوال 1319– 3 صفر 1320	358
	20 ذي القعدة 1319– 20 رجب 1320	359
	29 محرم 1330– 27 ربيع الأول 1320	360
	18 ربيع الأول 1320– 23 جمادى الآخرة 1320	361
	8 جمادى الأولى 1320– 24 جمادى الأولى 1321	362
	11 جمادى الآخرة 1320– 8 شوال 1320	363
	9 شوال 1320– 14 ذي الحجة 1320	364
	17 ذي الحجة1320– 8 ربيع الأول 1321	365
	12 ربيع الأول 1321– 2 محرم 1321	366
	28 جمادى الأولى 1321– 6 شعبان 1321	367
	23 جمادى الأولى 1321– 6 شعبان 1321	368
	14 شعبان1321– 3 محرم 1322	369
	8 رمضان 1321– 14 صفر 1326	370
	16 ذي القعدة 1321– 12 ربيع الآخر 1322	371
	15 ربيع الآخر 1322– 18 ذي الحجة 1322	372
	7 ذي القعدة 1321– غرة محرم 1332	373
	7 ربيع الآخر 1322– 17 شعبان 1322	374
	15 شعبان 1322– 22 ذي القعدة 1322	375
	23 ذي القعدة 1322– 17 صفر 1323	376
	سلخ ذي الحجة 1322– 3 رمضان 1322	377
	18 صفر 1323– 15 جمادى الأولى 1323	378
	15 جمادى الأولى 1323– 20 رمضان 1323	379

380	17 رمضان 1323– 28 ذي القعدة 1323	
381	15 رمضان 1323– 13 شعبان 1324	
382	29 محرم 1324– 16 جمادى الآخرة 1324	
383	19 جمادى الآخرة 1324– 18 ذي القعدة 1324	
384	13 رمضان 1324– 15 جمادى الأولى 1325	
385	18 ذي القعدة 1324– 29 ربيع الأول 1325	
386	29 ربيع الأول 1325– 13 رجب 1325	
387	19 جمادى الأولى 1325– 28 محرم 1326	
388	16 رجب 1325– 17 ذي القعدة 1325	
389	5 ذي القعدة 1325– 25 محرم 1326	
390	28 محرم 1326– 10 رمضان 1326	
391	غرة صفر 1326– 14 ربيع الآخر 1326	
392	19 ربيع الأول 1326– 16 جمادى الآخر 1326	
393	1 ربيع الآخر 1326– 16 محرم 1327	
394	3 ربيع الآخر 1326– 11 ربيع الأول 1330	
395	15 جمادى الآخرة 1326– 13 رمضان 1326	
396	15 رمضان 1326– 24 شوال 1326	
397	1 محرم 1327– 9 محرم 1327	
398	10 جمادى الأولى 1327– 29 رجب 1327	
399	10 جمادى الآخرة 1327– 9 صفر 1328	
400	25 رجب 1327– 15 شوال 1327	
401	13 شوال 1327– 2 صفر 1328	
402	4 محرم 1328– 25 ربيع الأول 1328	
403	16 صفر 1328– 25 ربيع الآخر 1328	
404	29 ربيع الأول 1328– 15 ربيع الثاني 1328	
405	24 ربيع الآخر 1328– سلخ رجب 1328	
406	27 ربيع الآخر 1328– 21 ذي الحجة 1328	

407	27 رجب 1328- 21 ذي القعدة 1328	
408	22 ذي القعدة 1328- 22 ربيع الأول 1329	
409	18 ذي الحجة 1328- 22 جمادى الأولى 1329	
410	18 ذي الحجة 1328- 22 جمادى الأولى 1329	
411	1 محرم 1329- 21 رمضان 1330	
412	ربيع الأول 1329- 21 جمادى الآخرة 1329	
412	29 جمادى الأولى 1329- 20 محرم 1329	
413	25 جمادى الآخرة 1329- 15 ذي القعدة 1329	
414	8 شوال 1329- 23 ربيع الأول 1330	
415	16 ربيع الأول 1330- 16 رجب 1330	
416	15 ربيع الثاني 1330- 23 جمادى الآخرة 1331	
417	4 رجب 1330- غرة جمادى الأولى 1331	
418	17 رجب 1330- 18 ذي القعدة 1330	
419	28 شوال 1330- 18 ذي القعدة 1330	
420	16 ربيع الأول 1331- 10 جمادى الآخرة 1331	
421	18 ربيع الثاني 1331- 9 شعبان 1331	
422	7 جمادى الآخرة 1331- 16 شعبان 1331	
423	غرة شعبان 1337- 25 شعبان 1332	
424	13 صفر 1329- 22 ربيع الأول 1332	
425	27 ربيع الأول 1332- 10 محرم 1333	
426	13 شعبان 1331- 23 ذي القعدة 1332	

ب- المجموعات المتخصصة

رقم السجل	أ- الوكالات الزمن	
17	17 جمادى الآخرة 1301- 6 شوال 1319	
-	12 جمادى الأولى 1306- 10 شوال 1322	

3	26 شعبان 1306- 25 جمادى الآخرة 1307	
13	28 محرم 1309- 25 صفر 1310	
8	7 ربيع الثاني 1310-30 ذي الحجة 1311	
15	6 محرم 1312- 12 ربيع الثاني 1313	
-	26 ربيع الآخر 1313- 29 ذي الحجة 1314	
36	7 محرم 1316- 28 صفر 1317	
-	29 صفر 1317- 25 صفر 1318	
33	4 ربيع الأول 1318- غرة شعبان 1319	
39	5 شعبان 1319- 20 محرم 1321	
29	12 حماد الأولى 1321- 6 رمضان 1321	
48	غرة جمادى الآخرة 1322- 21 ذي القعدة 1323	
-	2 شعبان 1325- 2 محرم 1329	
58	10 ربيع الآخر 1326- 12 رجب 1326	
67	20 ذي الحجة 1327- 28 ربيع الأول 1329	
-	22 ربيع الأول 1329- 21 ربيع الثاني 1331	
71	9 جمادى الآخرة 1329- غرة ذي القعدة 1329	
77	29 ربيع الأول 1329- 12 رجب 1330	
8	7 جمادى الأولى 1330- 22 شعبان 1331	
8	7 ربيع الآخر 1310- 30 ذي الحجة 1331	
-	25 ربيع الثاني 1332- 15 رجب 1333	
-	17 ربيع الثاني 1334- 29 رمضان 1336	
-	21 ذي الحجة 1337- 19 محرم 1339	
	ب- ضبط الدعاوى	
-	7 محرم 1265- 18 شوال 1265	
-	9 محرم 1270	
76	24 ربيع الأول 1291- 14 جمادى الأولى 1291	
129	غرة جمادى الأولى 1291- 22 جمادى الأولى 1298	

137	21 ربيع الثاني 1298– 11 جمادى الآخرة 1298	
150	4 ذي القعدة 1299– 28 ذي القعدة 1299	
155	23 جمادى الأولى 1307– 29 رمضان 1397	(هذا السجل والذي يليه لفترة زمنية واحدة)
156	17 جمادى الأولى 1307– 29 رمضان 1307	
162	غرة صفر 1300– 19 ربيع الثاني 1283	غير مرتب زمنياً
174	28 ذي القعدة 1300– 30 ذي الحجة 1300	
185	25 شوال 1301– 16 ذي القعدة 1301	
–	غرة صفر 1303– 20 ربيع الثاني 1308	
214	6 شوال 1307– 2 محرم 1306	غير مرتب زمنياً
215	3 محرم 1306– 20 ربيع الثاني 1308	
–	13 ذي القعدة 1306– 22 صفر 1307	
217	2 جمادى الآخرة 1306– 2 رجب 1306	
218	2 رجب 1306– 22 شعبان 1306	
219	9 ربيع الأول 1307– 16 رمضان 1307	
221	15 جمادى الأولى 1307– 2 محرم 1306	
222	6 شوال 1307– 2 محرم 1306	
222	غرة رجب 1307– 17 شوال 1307	
227	9 صفر 1309– 28 جمادى الأولى 1309	
229	7 شوال 1309– 9 محرم 1310	
232	21 رجب 1310– 18 ربيع الأول 1311	
233	10 ربيع الأول 1311– 17 ذي الحجة 1311	
234	16 ذي الحجة 1311– 3 شعبان 1312	
236	8 رجب 1313– 23 محرم 1314	
238	27ذي القعدة 1313– 21 شعبان 1314	
239	13 محرم 1314– 24 شعبان 1314	

240	18 ذي الحجة 1314- 5 ربيع الثاني 1315	
241	27 ذي الحجة 1314- سلخ صفر 1317	
242	28 محرم 1315- 26 رجب 1315	
243	8 ربيع الثاني 1315- 28 ذي القعدة 1315	
244	28 رجب 1315- سلخ ربيع الآخر 1316	
245	27 ذي القعدة 1315- 17 جمادى الأولى 1316	
246	27 ذي القعدة 1315- 17 جمادى الأولى 1316	
247	5 جمادى الآخرة 1316- 17 ربيع الأول 1317	
248	16 شوال 1316- 4 ذي الحجة 1317	
249	28 ذي القعدة 1316- 22 جمادى الآخرة 1317	
250	27 ذي القعدة 1316- 23 محرم 1324	
251	9 جمادى الآخرة 1317- 24 صفر 1318	
252	19 شوال 1317- 17 شعبان 1318	
253	2 ربيع الأول 1318- 23 محرم 1326	
-	19 رجب 1318- 24 ربيع الأول 1319	
255	19 شعبان 1318- 15 ربيع الآخر 1320	
256	28 ربيع الأول 1319- 23 شوال 1319	
257	24 ربيع الآخر 1319- 24 شوال 1319	
-	18 شوال 1319- 28 جمادى الأولى 1322	
-	23 شوال 1319- 28 ربيع الآخر 1320	
260	28 ربيع الآخر 1320- 29 رجب 1321	
261	24 جمادى الأولى 1320- 20 رجب 1321	
262	28 شعبان 1320- 20 رجب 1321	
263	9 ذي الحجة 1320- 17 شوال 1321	
264	28 ربيع الأول 1321- 22 ربيع الآخر 1321	
265	14 رجب 1321- 5 جمادى الآخرة 1323	
-	28 شوال 1321- 21 شعبان 1322	

-	23 شعبان 1322- 27 ذي الحجة 1322	
267	23 صفر 1322- 27 ذي الحجة1322	
268	29 ربيع الأول 1322- 7 رمضان 1322	
269	18 ذي الحجة 1322- محرم 1324	
-	9 رمضان 1322- 7 ربيع الثاني 1323	
272	9 ربيع الثاني 1323- 14 محرم 1325	
-	12 جمادى الآخرة 1324- 14 محرم 1325	
273	5 جمادى الآخرة 1324- 5 ذي الحجة 1324	
274	7 شعبان 1324- 23 ربيع الأولى 1326	
-	6 ذي الحجة 1324- 13 جمادى الأولى 1329	
276	26 جمادى الأولى 1325- 10 محرم 1326	
-	11 جمادى الأولى 1325- 24 ربيع الثاني 1326	
-	17 ذي الحجة 1325- 27 رجب 1326	
-	10 شوال 1326- 12 ذي القعدة 1327	
-	20 محرم 1326- 28 جمادى الأولى 1327	
-	29 جمادى الأولى 1326- 21 محرم 1327	
-	30 جمادى الأولى 1326- شوال 1326	
280	10 شوال 1326- 12 ذي القعدة 1327	
281	11 ربيع الآخر 1327- 3 ذي القعدة 1327	
282	4 ربيع الثاني 1327- 14 ذي القعدة 1327	
-	7 جمادى الأولى 1327- 12 جمادى الأولى 1338	
-	23 صفر 1327- 15 رجب 1330	
-	15 ذي الحجة 1327- 12 شعبان 1329	
-	17 ذي الحجة 1327- 21 شعبان 1328	
-	8 شعبان 1327- سلخ ذي القعدة 1327	
284	23 رجب 1327- سلخ ذي القعدة 1327	
286	8 جمادي الأولى 1327- سلخ ذي القعدة 1327	

287	27 ربيع الآخر 1328- 29 ربيع الأول 1329	
288	9 جمادي الأولى 1328- 14 ربيع الأول 1329	
289	9 رجب 1328- 12 ربيع الأول 1330	
250 (290أ)	8 رجب 1328- 23 ربيع الأول 1330	
-	9 جمادي الأولى 1328- 14 ربيع الأول 1329	
-	22 ربيع الأول 1329- 24 شعبان 1330	
-	12 ربيع الثاني 1329- 4 رمضان 1330	
292	25 ربيع الأول 1329- 23 ربيع الأول 1330	
293	13 رجب 1329- 13 ربيع الأول 1330	
294	14 محرم 1330- 15 صفر 1331	
296	24 ربيع الأول 1330- 24 ربيع الأول 1331	
298	21 رجب 1330- 9 ربيع الثاني 1331	
299	4 ذي الحجة 1330- 9 جمادي الأولى 1331	
300	10 جمادي الأولى 1331- 27 صفر 1332	
300	28 ذي الحجة 1330- 24 جمادى الآخرة 1331	الرقم مكرر
-	21 صفر 1331- 3 رجب 1332.	
-	21 صفر 1332- 9 جمادى الأولى 1334	
303	10 جمادى الأولى 1331- 27 صفر 1332	
305	13 رجب 1331- 15 رجب 1332	
306	25 صفر 1332- 9 جمادي الأولى 1332	
307	10 ربيع الأول 1332- 3 شعبان 1324	
309	4 ذي القعدة 1333- 6 جمادى الأولى 1331	غير مرتب زمنياً
300	21 ربيع الأول 1333- 2 ذي القعدة 1333	الرقم مكرر
320	14 جمـادى الأولى 1331- 8 جمـادى الآخـرة 1332	
-	21 جمادى الاخرة 1330- 26 محرم 1331	
-	4 شعبان 1332- 23 ربيع الثاني 1332	

–	27 ربيع الثاني 1333- 25 شعبان 1333	
–	21 جمادى الآخرة 1330- 26 محرم 1331	
–	4 شعبان 1332- 23 ربيع الثاني 1332	
–	27 ربيع الثاني 1333- 10 جمادى الأولى 1334	
112	4 ذي القعدة 1333- 1 جمادى الأولى 1334	
–	5 شوال 1334- 21 ذي الحجة 1337	
–	19 ذي الحجة 1334- 4 ربيع الأول 1332	
–	12 شعبان 1334- 28 رمضان 1335	
–	12 جمادى الآخرة 1324- 28 جمادى الأولى 1337	نصفه الأول بالتركية والنصف الآخر بالعربية

ج- سجلات الفرامين والأوامر

رقم السجل		
–	11 شعبان 1283- 23 شوال 1291	
–	17 ذي الحجة 1291- 25 رمضان 1298	
–	17 شعبان 1298- 27 شعبان 1302	
–	22 ذي القعدة 1307- 1316	
–	5 ذي الحجة 1318- 13 شعبان 1322	
–	10 شعبان 1322- 22 شوال 1326	
–	16 ذي الحجة 1326- 11 محرم 1329	
–	غرة جمادى الأولى 1327- 11 رمضان 1331	
–	20 رجب 1328- 6 ذي القعدة 1332	
–	22 شوال 1332- 23 نيسان 1918	يعاصر هذا السجل فترة احتلال بغداد
–	سجل يتضمن صور من حجج صادرة من محاكم عثمانية مختلفة لسنوات عدة	

د- سجلات القيود الخاصة

رقم السجل		
-	27 محرم 1321- 29 جمادى الأولى 1322	
-	19 ذي القعدة 1329- 27 جمادى الأولى 1328	
63	5 رمضان 1327- 8 جمادى الأولى 1328	
67	4 ربيع الاول 1330- 14 شوال 1330	

هـ- سجل القسّامات

رقم السجل		
1	17 ربيع الثاني 1306- 1 رمضان 1307	
2	29 شوال 1312- 28 رمضان 1314	
3	27 شوال 1311- 12 شوال 1315	
4	15 شوال 1315- 8 صفر 1318	
5	20 صفر 1318- 10 صفر 1320	
6	11 صفر 1320- 17 ربيع الاول 1321	
7	20 ربيع الاول 1321- 14 رمضان 1322	
8	15 رمضان 1322- 25 رجب 1323	
9	25 رجب 1323- 16 ربيع الاول 1325	
10	17 ربيع الاول 1325- 25 ربيع الآخر 1326	
11	26 رجب 1326- 17 جمادى الأولى 1327	
12	لا يوجد	
13	13 جمادى الأولى 1328- 30 رجب 1329	
14	1 شعبان 1329- 24 ربيع الاول 1330	
15	24 ربيع الاول 1330- 27 ربيع الثاني 1331	
16	5 ربيع الثاني 1331- 5 ربيع الاول 1332	
17	6 ربيع الاول 1332- 19 صفر 1334	

18	19 صفر 1334- 25 شعبان 1336 (5 حزيران 1918)	يعاصر هذا السجل احتلال بغداد سنة 1917 ولذلك فان نصفه بالتركية، والنصف الآخر بالعربية

و- سجلات عقود الزواج

رقم السجل		
2	1 رجب 1269- 17 جمادى الاخرة 1271	
3	19 جمادى الأولى 1271- 19 صفر 1272	
4	20 صفر 1272- 14 رمضان 1274	
-	17 ربيع الآخر 1273- 24 شوال 1273	
-	25 شوال 1273- غرة شعبان 1275	
7	9 شوال 1275- 2 رجب 1277	بالعربية
8	غرة شعبان 1277- 19 ربيع الآخر 1279	
10	18 ربيع الآخر 1279- 25 ذى القعدة 1280	بالعربية
-	18 ربيع الاول 1282- 19 جمادى الاخرة 1283	
-	24 جمادى الأولى 1282- 29 ذى الحجة 1284	
11	22 ذي القعدة 1286- 15 ربيع الاول 1282	غير مرتب زمنياً. بالعربية
14	غرة محرم 1285- 12 جمادى الأولى 1286	
15	13 جمادى الاخرة 1286- 12 (؟) 1287	
-	13 ذى القعدة 1288- 12 محرم 1290	

16	غرة محرم 1290– 26 ذى الحجة 1290	بالعربية
17	غرة محرم 1291– 4 ذى القعدة 1291	بالعربية
19	19 شوال 1292– 25 محرم 1292	
20	24 محرم 1293– 8 محرم 1294	
21	19 جمادى الاخرة 1295– 28 صفر 1296	
22	1 ربيع الاول 1296– 29 رمضان 1297	
23	6 شوال 1297– 4 ربيع الاول 1298	
24	6 ربيع الاول 1298– 24 صفر 1299	
26	25 صفر 1299– 26 صفر 1299	
27	27 صفر 1300– 25 محرم 1301	بالعربية
28	25 محرم 1301– 28 ذى القعدة 1301	
29	1 ذى الحجة 1301– 28 محرم 1303	بالعربية
30	غرة صفر 1303– 14 جمادى الاخرة 1304	
31	22 جمادى الاخرة 1304– 3 جمادى الاخرة 1305	بالعربية
32	4 جمادى الاخرة 1302– 19 محرم 1306	

قرية القاطع المندثرة في ديالى
في وثيقة وقفية

من الوثائق التاريخية التي وقفنا عليها في أثناء بحثنا في أصول عهد الدولة الصفوية في العراق، وثيقة مهمة مؤرخة[1] في غرة شهر ربيع الأول من شهور سنة 929 (18 كانون الثاني سنة 1523هـ) فهي ترقى إلى السنة الأخيرة من حكم الصفويين في العراق (في الفترة الأولى من 914 إلى 930 هـ/ 1508- 1523م)، وكانت بغداد يومذاك تحت حكم إبراهيم خان، أمير قبيلة موصلّو الكردية[2].

والوثيقة المذكورة عبارة عن حجة شرعية مكتوبة بحسب الأسلوب التقليدي السائد آنذاك في كتابة الصكوك والحجج الشرعية، وتكشف عن ظروف نشوء إحدى القرى الزراعية في شمال مدينة بعقوبا، كانت تعرف باسم (القاطع)، وموقع هذه القرية وأراضيها – كما تحدده الوثيقة- بين نهر طريق خراسان (وهو نهر خريسان الحالي) شرقاً، ونهر ديالى غرباً، وبين القرية المعروفة بحَد مِكسر شمالاً، وأراضي قرية خرناباد (خرنابات الحالية) في محافظة ديالى.

وهذه المواقع التي حددتها الوثيقة بدقة شديدة، ما زالت معروفة حتى اليوم، فيما عدا قرية القاطع ذاتها التي لم يبق من آثارها غير اسمها يحمله هور أو مستنقع هناك، يُعرف بركة الكاطع (بكاف فارسية) وهو يمتد من شمال قرية خرنابات حتى جنوبي قرية العبَّارة، متصلاً شرقه بنهر خريسان، ويحمل هذا الهور اسم القرية المذكورة مما يدل على أنها كانت قريبة منه إلى حد كبير، ونحن نرجح أن تكون ركة القاطع المذكورة في الوثيقة نفسها هذا الهور، فإن الركّة، أو الرِقّة، كل أرض إلى جنب وادٍ يستقر عليها الماء أيام المد ثم ينضب[3].

---

(1) عثرت على هذه الوثيقة بين أوراق جدي المرحوم المحامي محمد رؤوف العطار (المتوفى سنة 1965).

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991 ص21- 29

(3) القاموس المحيط ج2 ص229

ولسنا نعلم ما جرى لقرية القاطع هذه بعد إعمارها في مطلع القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ولا في اي عهد اندثرت أو انقطع ذكرها، ومن الملاحظ أن المنطقة المحدودة بنص الوثيقة خالية من المستوطنات إلاّ من قريتين صغيرتين، أولهما قرية (العبّارة) والأخرى قرية (الدوريين)، وتقع الأولى عند الطرف الأعلى لهور القاطع، بين نهر خريسان والمرقد المنسوب إلى الإمام محمد بن علي. وتقع الثانية إلى الجنوب من (حد مكسر)، فإن لم تكن القرية قد اندثرت فعلاً، فلا يبق أمامنا إلا افتراض وراثة إحدى القريتين المذكورتين لموقعها . ونحن نرى أن قرية العبارة أولى بهذا الاحتمال، وذلك لقربها الشديد من رقة الكاطع، ولأن اسمها يفيد معنى العبور، والمقصود به عبور الهور أو المستنقع نفسه، وهو الذي عرف بالقاطع لقطعه الأرض الممتدة بين حد مكسر وخرنابات، فموقع القرية إذن له علاقة وثيقة بوجود الهور (االرقة) نفسه (انظر الخارطة).

وتبين الوثقة أن «جناب الصدر المعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ المساكين في الأمم، الغني عن الألقاب بعلو الشأن ومزيد الكرم.. الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني، فد عمد إلى الأراضي التي حدد معالمها في وثيقته، فقام بإحيائها من بعد مَواتها، وأجرى فيها الماء، وساق إليها مَن حَرَثها وزرعها وصَيَّرها قرية غناء، بعد أن كانت خراباً مقفرة، تسكنها السباع والذئاب، فصارت بذلك ملكاً له ولذريته من بعده، بموجب الحقوق المترتبة على مبدأ إحياء الأرض الموات.

ولا تمدنا المصادر بشيء عن مؤسس القرية هذا، وإن كنا نفهم مما أحيط به من ألقاب، أنه كان من طبقة الصدور، وهم ملتزمو الأرض الذين كانوا يتولون ضمان الأرض الزراعية مع قيامهم بتولي الإدارة والحكم فيها، وهي طبقة نشأت بعد الإحتلال المغولي للعراق في القرن السابع للهجرة، وتأسيس الإدارة الإيلخانية فيه[1]. وهذا النظام يشبه في كثير من جوانبه ما عرف بنظام (التيمار) الإقطاعي العسكري[2]، والذي يشمل تطبيقه اجزاء كبيرة من الولايات العراقية فيما بعد .

---

(1) ينظر د . جعفر خصباك: العراق في عهد المغول الإلخانيين، بغداد 1968، ص81- 84

(2) نظام عثماني كانت له آثار بعيدة على الحياة العسكرية والزراعية والإدارية في الدولة العثمانية، وهو يقوم على أساس إلزام صاحب الإقطاع (ويسمى سباهي أي فارس) أن يؤدي الخدمة العسكرية لقاء تمتعه برسوم إقطاعه، وأن يتولى السلطات الإدارية في هذا الإقطاع

ففي الوثيقة إذاً تأكيد على استمرار نظام الصدور الاداري في الريف الزراعي طيلة الفترة المضطربة التي استمرت من مطلع القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) وحتى عهد التنظيمات العثمانية الجديدة لأراضي العراق في منتصف القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد). ونلاحظ أيضاً ان هذا الصدر كان من أهل البلاد أنفسهم لا من الأقوام الغازية التي تولت على العراق في تلك القرون، فهو عربي، شيباني، ورث منصبه من أبيه الذي كان صدراً أيضاً، ولا ريب في أن كثرة الألقاب التي أضفيت عليه تدل على مدى أهميته وعظم منزلته في ذلك العهد.

وفي الوثيقة ما يدل على أن الصدر المذكور كان يتولى شؤون الحكم والادارة في المنطقة التي تقع فيها القرية المُحياة، وذلك أن الوثيقة جاءت خلواً من أي إشارة الى الحاكم الذي إذن لصاحب الارض بإحيائها، مع أن عدم وجود هذا الإذن كافٍ لإبطال شرعية عَمَله في ذلك الإحياء، لا سيما في فقه الشيعة الامامية الذي يدين به حكام العراق آنذاك من سلاطين الدولة الصفوية[1]، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن يكون هو نفسه حاكماً للمنطقة متوليا لشؤونها الإدارية.

وتمتد منطقة إدارته لتشمل أنحاء الخالص وطريق خراسان القديم (خريسان فيما بعد) والبَندنيجَين (مندلي حالياً) فهذه المناطق كانت منذ أول العهد المغولي الإلخاني مدمجة في إدارة صدر واحد، وتعرف باسم (الأعمال الشرقية)[2].

وأما مُحرِّر الوثيقة، والشاهد على ما فيها، فهو- بحسب لقبه- من أهل كربلاء، ينتمي إلى ذرية الحسين بن علي (ع) . والظاهر أنه كان يتولى إحدى الوظائف الدينية الكبيرة التي تؤهله تحرير مثل هذه الوثائق الشرعية. وكونه من أهل كربلاء ينسجم مع طبيعة العصر، حيث كان العراق خاضعاً للسلطة الصفوية على ما مر بنا. والأسلوب المنمق الذي كتبت به الوثيقة يدل على ثقافة الرجل الأدبية الرفيعة وحُسن ترسله في

في حالة السلم، وتنقسم اقطاعات إلتيمار إلى ثلاثة أنواع بحسب ما يقدمه كل نوع من واردات مالية، وهي خاص وزعامت وتيمار. ينظر خليل اينالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة د. عبد اللطيف الحارس، بيروت 2007 ص159، و224

(1) لا يجوز الإمامية إحياء الأرض الموات إلا بإذن الإمام أو نائبه، أو المرجع الديني، أو السلطان المسلم المبسوط اليد، وفي هذا يذكر صاحب الجواهر «لا يجوز لأحد الإحياء من دون إذن الإمام وانه إجماعي عندنا". الشيخ محمد حسن: جواهر الكلام ج6 ص194

(2) ابن الفوطي (منسوب إليه): كتاب الحوادث، بتحقيقنا ود. بشار معروف، بيروت ص361

الإنشاء، ولعله كان أديباً مرموقاً في عهده، مشهوراً لدى معاصريه، إلا أن أخباره ضاعت بضياع أخبار ذلك العهد وآثاره.

نص الوثيقة

الحمد لله الذي جرت أنهار عيون معرفته في قلوب أهل الإيمان، وأخضرت المقفرات وتشققت بسَيل نعَمه شقائق النعمان، واهتزت بوابل كَرَمه وصَيب ديَمه وتمايلت فنون الأفنان، واكتسى الدَوح خلَع السحاب الهامر وأورقت الأشجار وأثمرت الأغصان، وماست عرائس الآيات بقلائد الأزهار، وصَفَّقت المياه في الغُدران، وغنَّت الأطيار على أفنان الأشجار، وتراقَصَت ذوائب العيدان، ورجّعت الشحارير بأصوات المزامير وناح الحَمام، وصاح كل نَشوان، أحيا المَوات البائرات وساق إلى عمارتها بأحسن القضاء والتقدير، وتيسَّر كل مخلوق لما خُلق له وهو اللطيف الخبير، ودبَّر الأمور بقدرة، وأيسر به التقدير والتدبير.

فانظر إلى آثار رحمة الله كيفَ يُحيي الأرضَ بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فبيناً ترى الأرض مُقفرة البقاع، مُظلمة الضياع، مستهلكة في الضَياع، تسكنها الضباع، وتأوي إليها السباع، يخاف من سلوكها الإنسان، ويستقر في وهادها الجان، لا يمر بها المرء إلا وهو خائف غير متمالك، ولا يسلكها سالك إلا وهو مُستَغرق في المهالك، فقطاع الطريق قد اتخذوها وطناً، ومَرَدة الشياطين قد جعلوها مسكناً، يقرأ خلالها إذا مرَّ السالكون، ويتلوا خوفاً من شرِّها النازلون (رَبَّنا أخرجنا منها، فإن عُدنا فإنّا ظالمون)[1]، إذ ساق الله تعالى إليها بعض الأبرار، ووفق لعمارتها خيرة من الأخيار[2]، فبذل جهده وماله في إجراء المياه إليها، ونصب رجاله للتعب والنصب عليها، فلم يكن غير قليل حتى رأيتها كأنها جنّة تتمايل في غلايل الحسن والجمال، أو كعروس تتخايل بقلائد البهاء والكمال، قد تلألأ وجه لألائها وعبقت فوائح وردها الأريج، وتلا لسان حالها آمنا من كل أمر مريج (**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**)[3]

---

(1) سورة المؤمنون آية 108

(2) الإشارة هنا إلى الصدر رضي الدين الشيباني، المحررة باسمه هذه الوثيقة.

(3) الحج آية 5

أحمده على ما غمرنا من فيض عطاياه، وأشكره على ما أولانا من جزيل نعمائه، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيد أنبيائه، وخلاصة أحبائه، وعلى خيرة أوليائه، وصفوة خُلَّص أصفيائه، والطاهرين من آله المعصومين من خلفائه.

وبعد، فإن جناب الصدر المُعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ المساكين في الأمم، الواثق بعناية الله السحاب (كذا)، الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني، زاد الله شأنه قدراً، وأعظم له ثواباً وأجراً، عمد إلى الأرض المعروفة بركة القاطع، والأرض المعروفة بالقاطع، الواقع ذلك كله بطريق خراسان، بين قرية حد مكسر وبين قرية خرناباد، المحدود ذلك كله بشط ديالة، وبأرضين قرية خرناباد المذكورة، وبشط طريق خراسان، ونهر الشواخير[1]، وبالشريعة البيضاء، وبأرضين قرية حَد مكّسر، بعد أن كانت من البايرات الخراب، المعهودتان بسكنى السباع والذئاب، المُقفرة الجوانب، المحفوفة بالمكاره من كل جانب، فعمرها بعمارتها كروضة تميس حُسناً، وجعلها بعد الخراب والخلو كقريةٍ غنّاء، وأجرى الماء في أرجائها وأطرافها، وساق عوامل الحرث في حواشيها وأكنافها، فصار من رآها ينشد بلسان الحال، ويقول ناظرها بجارحة المقال شعراً:

جنَّة زاهية قد أصبحتْ	هذه الأرض فما أحسنها
كوكبُ السَّعد عليها طالعٌ	وانسكاب الماء قد زينها
عَمَّر الله لها غامرها	والذي عزَّ من استوطنها

فصارتا بذلك ملكاً له بالحق ودليله، وحقاً من حقوقه، لقول نبي الله ومصطفاه وخليله (مَن أحيا أرضاً مواتاً فهي له)، فضلاً من الله ورسوله، فيجب على حكام الإسلام، وولاة الأنام، والعلماء الأعلام، والخواص والعوام، أصلح الله شأنهم على مرور الأيام، أن لا يزاحموا الصدر المشار إليه في هذه الأرض، وعليهم تمكينه من

(1) لم نعلم موقع هذا النهر، ومن البعيد أن يكون هو نهر الشويخرات الحالي، ور بما هو امتداد قديم له، أو نهر آخر مستقل، وذلك لبعد نهر الشويخرات المذكور عن الأرض المحددة في الوثيقة، فهو يقع إلى الغرب من نهر ديالى، بينما تقع هي في غربه والمسافة بينهما غير يسيرة، ويتفرع نهر الشويخرات الحالي من نهر الخالص.

التصرف فيها بالطول والعرض، لتبقى في ملكه وملك ورّاثه إلى يوم النشور والعرض، ومن زاحمه فيها أو في شيء منها، فقد خالف الشرع الشريف، وخرج من سمت الدين المنيف.

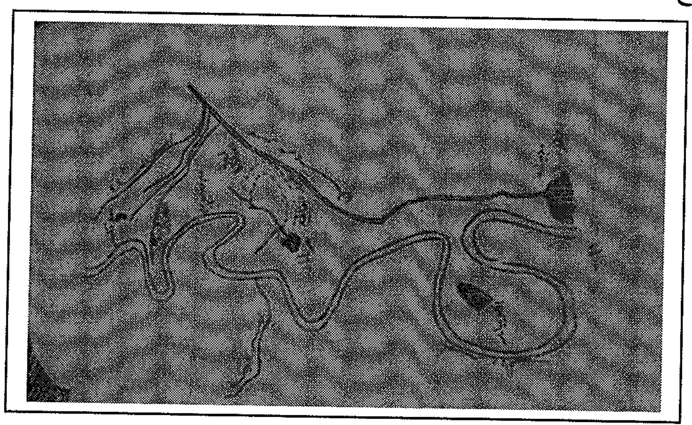
وكتب في غرة ربيع الأول من شهور سنة تسع وعشرين وتسعمائة، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

حرره شاهداً بما فيه:

العبد الأقل

حسن بن علي بن طوغان الحسيني الحائري

أصلح الله شأنه.



خارطة لمنطقة الارض التي جرى إحياؤها

وثيقة تكشف عن مشروع
رحلة الامير فخر الدين السرية الى مكة

حينما كنت أقوم بفهرسة المخطوطات المودعة في مكتبة دار التربية الإسلامية، الكائنة يومذاك في مبنى خاص بمدرستها في جانب الكرخ من بغداد، في شتاء سنة 1974، إطلعتُ على مخطوط قديم مجلد[1]، يضم مجموعة من الرسائل، قد ثخّن مَجلّده غلافه الداخلي بأوراق لصقت بمادة صمغية، على هيئة طبقات، وإذا بورقة ألصقَت على الغلاف الأول من داخله، كُتبت فيها بخط معتاد وثيقة في غاية الأهمية تكشف سراً مهماً سكتت عنه المصادر التاريخية المعاصرة، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد.

والوثيقة هي نسخة منقولة حرفياً من رسالة سرية مؤرخة في أواسط ذي الحجة سنة 1034هـ/ 4 أيلول 1625م، كتب في أعلاها بالخط نفسه العبارة الآتية (صورة مكتوب مولانا الشريف محسن سلطان مكة المشرفة، جواب الأمير فخر الدين ابن مَعَن، وكان طلب منه أمان وراي أنه مراده الحج بجماعة يسيرة)

وشريف مكة هذا هو الشريف محسن بن حسين بن حسن، من آل أبي نمي، وكان أولاد عمه قد اختاروه للشرافة في يوم الخميس رابع محرم من سنة 1034هـ/16 تشرين الأول 1624م، ووصل الفرمان القاضي بإقراره في منصبه في 14 رمضان من العام نفسه/19 حزيران 1625[2]، أما الأمير فخر الدين فهو أمير لبنان الشهير، فخر الدين بن قرقماز المَعني الثاني، المعروف بالكبير 980-1044هـ/1572-1635م أقوى أمراء الدولة العثمانية في عصره[3]. وتاريخ الرسالة تالٍ لتاريخ تعيين الشريف بنحو

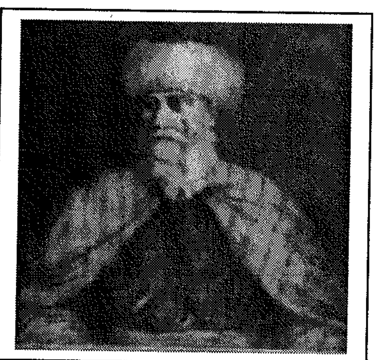
---

(1) عماد عبد السلام رؤوف: الآثار الخطية في دار التربية الإسلامية ببغداد، مجلة المورد، بغداد، المجلد 5 العدد2 (1977) ص266-267.ويحمل المحطوط العدد 156 من مجموعة مفتي سامراء عباس حلمي القصاب.

(2) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2007.

(3) تنظر سيرته في مصادر عصره، وأبرزها أحمد بن محمد الخالدي الصَفَدي: لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، ضبط وتنظيم أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت 1969، وعيسى إسكندر المعلوف: تاريخ

ثلاثة اشهر، مما يدل على أن الأمير قَصَد أن يخاطبه بمجرد إقراره في منصبه، والظاهر انه كان يثق بشخصه غير ثقته بسابقه الشريف إدريس وإن كان من الأسرة نفسها.



الأمير فخر الدين المعني

ونص الرسالة هو الآتي:

الحمد لله رب العالمين

إن أشرف ما يُهدى من الحَرَم،وألطف ما يُهدى من مَهبط الوحي والكرَم، هو تُحَف التحيات المباركة المكية، وأظرف التسليمات المتداركة المسكية، إلى حضرة الجناب العالي، عين الأماثل والآمال، فخر الأمراء المُكرمين، ذخر الكرام المُعظَّمين، ذي الشمائل الحميدة، والخصايل المجيدة، الأمير الكبير العظيم الشهير، حضرة الأمير فخر الدين ابن مَعن، أدام الله إجلاله، وبلغه آماله، وننهي إليه -أدام الله نعَمه عليه- إنه قد وصل الكتاب الميمون، وفُهم منه المضمون، وما ذكرتموه من الإخلاص وحميد الإختصاص، فعندنا لكم مثل ذلك، سَلَك الله بكم أحسن المسالك، وما أشرتم إليه ونبَّهتم عليه، من عقدكم النيَّة على حج البيت الحرام، وزيارة المشاعر العظام، فالله تعالى يهيئ لكم اسباب ذلك، ويهديكم إلى أداء المناسك.

وأما طلبكم منا الأمان والدخول في العُهدة والضمان، فما كان من جانبنا فأنتم آمنون وللسلامة غانمون، وأما من جانب السلطنة العلية، أدامها الله على كافة البرية، فما لنا طاقة أن نجير عليها، ونحمي من لم يكن يستند إليها، ودخولكم للحج لا يخفى

الأمير فخر الدين المعني الثاني، ط2، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1966. وينظر عزيز الأحدب: فخر الدين مؤسس لبنان الحديث، بيروت، دار الكتاب اللبناني

ولو جئتم بشرذمة قليلة، وطايفة غير جزيلة، فريما يقع ما لا أرضاه لكم ولا ترضونه لأنفسكم، فإن وثقتم منهم بميثاق، وأمنتم من نزاع وشقاق، فمرحباً بكم، وبوصولكم إلى بلد ربكم، وبدون ذلك لا يمكننا أن ندخل لكم في العُهدة، إذا وصلتم إلى هذه البلدة، فإننا خُدام السلطنة الشريفة، وحكامهم في هذه البلدة المنيفة، فالعذر ظاهر، والبرهان باهر، وقد أوضحنا لكم المراد، وبيَّنا لكم سبيل الرشاد، فما ترونه لايقاً بنا وبكم إفعلوه، وما تَرونه غير مناسب بنا وبكم إغفلوه، والسلام على الدوام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

تحريراً في أواسط ذي الحجة الحرام سنة 1034

المحب المخلص محسن بن الحسين

ونقش خاتمه [وهو]

(ومن أحسن ديناً ممن أحسن وجهه لله وهو محسن).

وواضح من العنوان التي كتب في أعلى الوثيقة أن رسالة شريف مكة جاءت جواباً على رسالة سابقة أرسلها الأمير فخر الدين اليه يطلب منه موافقته على أن يحج في تلك السنة «بجماعة يسيرة»، وبهذا المضمون لا يبدو الأمر مهماً على النحو الذي يتطلَّب فيه موافقة الشريف، بل كان الأولى أن يوجه الأمير رسالته الى السلطان العثماني يطلب موافقته، بوصفه مسؤوله الأعلى، فهذا هو التقليد السائد عهدذاك، ولكن قراءة محتويات الرسالة نفسها تكشف لنا سر إرسالها الى الشريف محسن دون غيره. وهو أمر لا علاقة له بأن يكون حجّه بجماعة يسيرة او كبيرة مطلقاً، وإنما في رغبته بإخفاء أمر رحلة الحج، وجعلها سرية تماماً فلا يصل خبرها إلى السلطان من قريب أو بعيد . فلماذا هذه السرية إذن؟

إن الجواب على هذا السؤال أوضحته السيرة السياسية للأمير فخر الدين نفسه، إذ لم يكن هذا الامير أميراً عادياً من أمراء لبنان الذين دانوا بالولاء للعثمانيين، وإنما كان حاكماً إستثنائياً بكل مقاييس عصره، يمتلك مشروعاً طموحاً يتجاوز حدود إمارته الى نواح واسعة من بلاد الشام، أو بلاد الشام كلها، بما فيها لبنان، واستطاع بما أوتي من دهاء سياسي أن يحصل على موافقة السلطات العثمانية على هذا التوسع غير المسبوق، بوصفه الحاكم الأقدر على حماية هذه البلاد من الأخطار

الخارجية والثورات الداخلية، والأكثر اخلاصا للدولة من الأمراء والولاة الآخرين. وعلى الرغم من آيات الولاء التي كان يُبديها، فانه لم يكن ليتردد في الإتفاق مع دول أوربا على مساندته في مشروعه، وفي مقدمتها إمارة توسكانيا في ايطاليا، حيث عقد معاهدة حربية – تجارية مع أميرها فرديناند الأول دي ميديتشي، وأبدى تعاوناً مع مشاريع اسبانيا في البحر المتوسط، وكانت الأخيرة تمثل خطراً حقيقياً، نظراً لقوتها العسكرية ووفرة أساطيلها وبعدائها للعالم الاسلامي، فضلا عن احتلالها لأجزاء مهمة من المغرب العربي. وكانت محالفتها تمثل نفاذ الخطر الاوربي الى الداخل الاسلامي، لا سيما المناطق القريبة من الأقاليم المركزية للدولة العثمانية، وكان مشروع (المَعني) يقضي أيضاً بالتوسع شمالاً نحو تخوم تلك الاقاليم، ومنها ولايتا حلب وانطاكية، المتاخمتان لحدود الأناضول الطبيعية، والمسيطرتان على منافذه المؤدية الى داخله. وقد حقق الأمير (المعنى) توسعه هذا بهدوء، من خلال مصاهراته للأمراء في لبنان، ثم تحالفه مع والي حلب علي باشا جانبولاد، الذي كان يملك نفوذاً في تلك النواحي شجعه على التمرد على الدولة العثمانية، ثم بالتحالف مع والي دمشق وغيره من الولاة المجاورين، ومحاولته مد نفوذه حتى جنوبي فلسطين(1).

ومن ناحية أخرى فقد سعى فخر الدين الى إنشاء جيش قوي حديث، وتقوية حدوده بتأسيس القلاع وتزويدها بالمدفعية والجيش. وهكذا غدا انتزاع بلاد الشام من العثمانيين يمثل المحور الأساس لمشروع فخر الدين الطموح.

على أن طموحاته لم تقف عند هذا الحد، كما تكشف عن ذلك الوثيقة التي هي موضوع هذه الدراسة. حيث يظهر منها أن فخر الدين أرسل رسالته إلى شريف مكة لتتضمن طلبين في الأقل، أولهما ما تسميه الرسالة (الأمان)، وما يسميه العنوان في أولها بـ(الراي والأمان)، وهو مصطلح يُقصد به الدخول في أمان من أرسلت إليه وحمايته، وفي الواقع، فإن الأمير لم يكن بحاجة الى هذا الطلب حقيقة، فمن كان يحكم بلاد الشام كلها لم يكن بحاجة الى من يحميه في رحلة حجه، ولا يتوضح معنى هذا الطلب إلا من خلال طلبه الآخر، وهو (الدخول في العهدة والضمان) وهذان

---

(1) تنظر التفاصيل حول هذا التوسع في أسامة محمد أبو فحل: علاقة فخر الدين المعني الثاني بالزعامات المحلية الفلسطينية وموقف الدولة العثمانية منه 999 – 1043هـ/1590 – 1633م .غزة 2006.

المصطلحان يتجاوز معناهما محض تقديم الحماية لتحقيق الأمان لشخصه وأتباعه، وإنما يشيران الى عُهدة، أي عهدٍ أومعاهدة، يتضمن التزامات معينة للطرفين المتعاهدين، وتقدم ضمانات لتنفيذها، وهذا يعني أن الامير فخر الدين كان يطلب من الشريف دخوله في معاهدة، وهو ما توضحه عبارة الشريف بالاعتذار عن دخوله في العُهدة، في حال وصول الأمير سراً إلى مكة، اي أن السبب الحقيقي وراء وصوله إليها هو أن يعرض على شريفها دخوله فيها، وهو ما يكشف السبب وراء سرية رحلته.

ونرى أن من شأن هذه المعاهدة أن تحقق أمرين، أولهما إكمال سلسلة المعاهدات والإتفاقات التي عقدها الأمير مع الأمراء والولاة المجاورين لحماية حدوده لتشمل هذه المرة حدوده الجنوبية، وثانيهما مَد نفوذه الى الحرمين الشريفين بما يمثل تهديداً خطيراً لهيبة الدولة العثمانية بوصفها الحامية لهما.

تضمنت الرسالة الجوابية لشريف مكة عبارات تقليدية فيها ترحيب ظاهر بالأمير، واعتذار في الحقيقة عن قبول مشروعه، فهو يعلم أن تعليقه الموافقة على الدخول في معاهدته، بمصالحة الدولة العثمانية والوثوق منها بميثاق أمر مستحيل عملياً، فمشروع الأمير التوسعي أصبح الآن واضحاً لدى السلطان، وهو مراد الرابع، ونوايا الأمير بَدَت مكشوفة أكثر من اي وقت مضى، ومن ثم فليس معقولاً أن يقبل السلطان منه ميثاقه فهو لم يعد يثق به أصلاً.

ثم أن تقديم شريف مكة نفسه على أنه مجرد حاكم من أتباع السلطان، لا يخرج عن أمره، يجعل من غير المجدي للأمير أن يجعل منه حليفاً له في مشروع يتحدّى فيه الدولة العثمانية. وقول الشريف أنه لا طاقة له على أن (يجير أحدا على الدولة، ويحمي من لم يستند إليها)، يدل بوضوح على أن رسالة الأمير كانت تحمل دعوة اليه بحماية ظهره إذا ما ثار على الدولة، ولم يعد يستند إليها، أي استقل عنها.

وتتصل الوثيقة بأمر آخر، وهو حقيقة ما يدين به الأمير فخر الدين من مُعتقَد، فمجرد رغبته بالحج، وقبول شريف مكة بحجه، بعد أخذه بموافقة الدولة، يؤكد أنه كان مسلماً، اشتهر أمر إسلامه بين معاصريه، يسند هذا قيامه ببناء المساجد في إمارته، هذا مع أن مصادر ترجمته تؤكد أنه كان درزياً بالولادة، بل أن منها ما يشير إلى أنه كان مسيحياً مارونياً، ولا تفسير لهذه الروايات المختلفة في تقديرنا إلا بالقول

بدرزيته أولاً، فهذا دين آبائه، ثم انه اعتنق الإسلام على مذهب أهل السنة حين قلّدته الدولة العثمانية أمر إمارته واعترفت بسيادته، ثم أظهر تعاطفه مع المسيحيين لرغبته في كسب تأييد الدول الأوربية له في أزمته مع الدولة العثمانية[1].

وهكذا كشفت الوثيقة عن أول مشروع لأمير عربي في الاستقلال عن الدولة العثمانية، بالاستعانة بعون أوربي، وهو بهذا مجرد نسخة مبكرة من مشروع الشريف حسين في إعلان المملكة العربية بعون بريطاني في اثناء الحرب العالمية الأولى.

---

(1) أرسلت الدولة العثمانية إليه حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا الكجك، يرافقها اسطول بقيادة جعفر باشا، وبعد عمليات عسكرية عدة قبض عليه وأرسل الى استانبول حيث اعدم في 13 نيسان 1635م.

وقفيات سليمان باشا الكبير
أنموذجاً لوقف الكتب في بغداد

يحتل وقف الكتب مكانة متميزة بين مجالات الوقف المختلفة في الحضارة الإسلامية، ذلك أنه على خلاف تلك المجالات، يتجاوز أن يكون صَدَقة جارية فحسب، الى أن يكون سبيلا للعلم الذي يُنتفع به أيضاً، فيتمثل فيه ركنان من أركان عمل الإنسان بعد مَوته[1]، ومن هنا كان وقف الكتب، أياً كانت أعدادها، مجالاً طيباً يؤبِّد فيه أهل العلم ما لدَيهم منها، ومن ثم يبقى نفعها مستمراً على مرّ الأحقاب، وإذا كان وقف المساجد والمدارس والمنشآت الخدمية لا يستطيعه إلا الأغنياء والموسِرون، فإن وقف كتابٍ أمر يستطيعه العالم والمتعلم بيُسر، ومهما قلَّت موارد أحدهما وضعفت إمكاناته المادية، فيكفي أن يقف كتبه الخاصة على مدرسة أو مسجد أو طالب علم حتى ينال من الأجر الكثير.

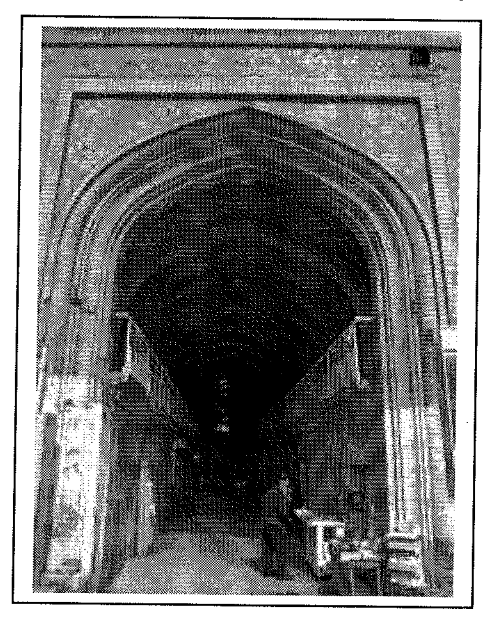
وفي عصر كان الكتاب فيه مخطوطاً عزيزاً، في كل نسخةٍ منه آثار من عَرَق ناسخه أو مؤلفه، وقد أنفق فيه الوقت الكثير الذي يتجاوز الشهور الطوال بحَرِّها وبَردها، كان وقف كتاب في خزانة ما عملاً مهماً فعلا في مجال نشر العلم والثقافة، ففي تلك الخزائن يجد القارئ سبيلا للإطلاع على كتب التعلم، أو ما يسمى بكتب الجادة، التي يحتاجها في درسه، وفيها يمكن له أن يتخذ من كتابٍ ما موضوعاً لشرح أو تعليق أو تذييل، فيُسَهِّل بذلك سُبل الإفادة منه بحسب مستوى طلبته وثقافة بيئته، وفيها أيضاً يمكن أن يُكثَّر عدد النسخ من الكتاب الواحد بنَسخه من قبل ناسخ محترف، أو طالبٍ نبيه، فيَحُول ذلك دون إنقراض الكتاب في حالة أن يكون رهين نسخة وحيدة منه، فضلا عن أن يكون تكثير نسخه سبباً في انتشار الكتاب في عدة أقطار، متجاوزاً حدود بلد مؤلفه، أو مالكه، فيفيد منه طلبة العلم في كل مكان، وليساهم في تعميق الثقافة المشتركة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من الشروط المشدَّدة التي وضعها الواقفون على استعارة الكتاب، حِفظاً له من الفَقد والضياع والتلف، وتعيينهم الموظفين الذين تُوكل إليهم العناية به،

---

(1) اشارة الى الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

من حَفَظة، وفراشين، إلا أن كل ذلك لم يكن كافياً لحفظ الكتب على وفق ما أراده واقفوها. ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة المؤسفة هو الجهل بالوسائل التي تبّقي الكتاب سليماً، في بيئة تغلب عليها الرطوبة العالية، حيث تُبنى خزائنها في مساجد قريبة من النهر، وتكثر فيها الحشرات القارضة وفي مقدمتها حشرة (الإرضة) التي لا يمنعها عن الفتك بما تجده منها شيء، هذا فضلاً عن إهمال المتولين وغَفلَتهم، وما كانت تتعرض إليه مدينة السلام من حوادث غرقٍ داهم بين حين وآخر، وكوارث بيئية وبشرية مختلفة. وهكذا ضاعت تلك الخزائن التي وقفها الواقفون، وتبعثرت محتوياتها، فلم يصلنا من خزائن جوامع الآصفية، والمصرَف، والحاج أمين الباجه جي، والحاج نعمان الباجه جي، والعادلية الكبير، و السيد سلطان علي، ومُنوَّر خاتون، وعاتكة خاتون، وخضر بك، والحاجة هَيبَت خاتون، والغُرابية، و حسين باشا، والداوودية، و نائلة خاتون، وعمر السهروردي، والأحمدية، وغيرها، إلا القليل، أو وصلتنا أسماء تلك الخزائن فحسب دون محتوياتها.



سوق للكتب في بغداد

ومن المؤكد أنه كان لجميع تلك الخزائن فهارس تقيِّد فيها عنوانات كتبها، حفظاً لها من الضياع والتبدد، إلا أن يد الحَدَثان امتدت إليها هي أيضاً فأفنتها أو أخفتها هنا أو هناك، ولا شك في أن دراسة تلك الفهارس- لو وجدت- من شأنها أن تقدم فوائد جمة لدارسي تاريخ الحركة العلمية والثقافية في العراق، بما تكشف عنه من

الاهتمامات الثقافية لطلبة تلك العهود، وأنواع ما كانوا يتلقونه من مناهج، وطبيعة ما يرجعون إليه من مصادر. كما أنها، من ناحية أخرى، توضح حدود ذلك الزاد الثقافي المهم الذي اغتذت هذه المدينة منه على مر الأحقاب، وتوضح لنا عنوانات كتب قيمة، احتوت عليها هذه الخزانة أو تلك، ثم فُقدت أو تفرَّقت في خزائن الخافقين، وتزيد معلوماتنا عن الكتب، عناوينها، ومؤلفيها، وشراحُها، ومُحشِّيها، مما يمكن أن يشكل استدراكات إضافية على الببلوغرافيات المؤلفة في هذا المجال.

أولاً: وقفية كتب سليمان باشا على جامع جديد حسن باشا

ومن الوثائق المهمة التي تُعد أنموذجاً لوقفيات الكتب في بغداد في العصر العثماني، وقفية والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير[1]، المؤرخة في 7 ذي الحجة سنة 1197هـ/1782م فقد وقف بموجبها خاناً قرب السراي ودكاكين عديدة وخانيَن في بغداد، وحمّامَين في قصبة حضرة الإمام الحسين وعَلوة متصلة بالسبيل خانه مع مخازنها الخمسة المحدودة بتكية البكتاشية[2]، على مصالح جامع جديد حسن باشا،

---

(1) هو سليمان باشا المعروف بالكبير، (وبالتركية بُيوك) بدأ حياته متسلماً مملوكاً لمحمد أفندي الماردينى متسلم ماردين، ثم رحل إلى بغداد ملتحقاً بخدمة سميه سليمان باشا أبي ليلة أول ولاة المماليك، وبرزت مكانته في عهد عمر باشا، فعينه هذا متسلماً للبصرة غير مرة في السنوات 1177-1190هـ/1763-1778م) وأثرت عنه إصلاحات مهمة فيها، كما أدى دوراً كبيرا في الدفاع عن البصرة في أثناء حصار الزنديين لها، وأشاد بذكره المؤرخون، ونال سليمان منصب ولاية بغداد بعد خروج حسن باشا منها سنة 1191هـ/1780م، حيث دام حكمه 22 سنة، استطاع خلالها القيام بأعمال عمرانية مختلفة ذات نفع عام، منها، عدا ما تناولناه في هذا البحث، إعادة بناء جامع الخلفاء (جامع القصر القديم في العصر العباسي) وتجديد عدة جوامع ببغداد، وقيامه بأعمال عمرانية واسعة في المدن والقصبات العراقية خارج بغداد، و توفي سنة 1207هـ/1802م. ينظر رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت بلا تاريخ، ص154 وعثمان بن سند: مطالع السعود، بتحقيقنا، بيروت 2009، ص93-100، 105-109، 182-217، 248، 275، 281، 220-240، 521-538.وعبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، بغداد ط2/ 1987، وسليمان فائق: مرآة الزوراء، نشر بعنوان (تاريخ بغداد)، ص15 وتاريخ جودت، استانبول 1303، ج2 ص92 وياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1969ص189، والدر المكنون، مخطوط، وزبدة الآثار الجلية، بتحقيقنا، دمشق 2017 ص 34، 104، 107، 115، 118، 120، 125، 165، وروضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار، بتحقيقنا، بيروت 2011، ص40-43.

(2) ورد التعريف بهذه الاماكن في وقفية المدرسة السليمانية. وينظر كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط:2، بغداد 2016، ص504 .

المقابل لسراي بغداد، وكان قد وقف في وقفية تالية، مؤرخة في سنة 1196هـ/1781م، مجموعة كبيرة من الكتب على هذه المدرسة، وتثير هذه الوقفية جملة من الملاحظات سنعرضها على النحو الآتي:

1- الوقفية في أصلها وثيقة رسمية من النوع المسمى (بيور أولدي) وهي الأوامر التي تصدر عن الولاة في الشؤون المختلفة، ولكنها تحمل في أول مقدمتها مُصادَقة قاضي بغداد فيض الله أفندي، وفي آخرها أسماء الشهود، وهم ستة من علماء وأعيان بغداد، وتتضمن الفذلكة الفقهية التقليدية في وقفيات ذلك العصر، والمتمثلة بالخصومة الشكلية عند القاضي بين الواقف وبين المتولي الذي عيَّنه، وهو دفتردار بغداد السابق عبد الله بك، بشأن رجوع الواقف عن وقفيته، على أساس رأي بعض الفقهاء بعدم جواز وقف المنقول، وتمسك المتولي برأي فقهاء آخرين بجوازه، وإقرار القاضي الرأي الأخير، فأصبح للبيورلدي حكم الوقفية.

2- اختار الواقف وكيلاً عنه لمراجعة المحكمة من فئة المماليك الذي قُدِّر لهم حكم بغداد في ذلك العصر، كان يتولى وظيفة (دفتردار) بغداد سابقاً، وهو منصب كبير يعنى صاحبه بحفظ سجلات الأراضي وتدقيقها. وقد وكل هذا عنه لطف الله افندي كاتب الديوان[1].

3- إن الشهود الذين اختارهم الواقف هم :

أ- الحاج سليمان بك الشاوي[2]

---

(1) هو ابن ولي أفندي كاتب الديوان الكركوكي الأصل البغدادي الموطن، ترجم له عبد القادر الشهرباني، وأثنى على علمه وأدبه، وعين تاريخ ولادته في سنة 1161هـ/ 1748موذكر له أنموذجات من شعره بالتركية، منها قصيدة يمدح فيها والي بغداد سليمان باشا الكبير. تذكرة الشعراء، الأصل الكامل بتحقيقنا، ص356-361، ومختصره بتحقيق أنستاس ماري الكرملي ص43. وقال محمد أمين السهروردي في ترجمته «له مجلس علم وأدب، كثير الكتب، ذا ولع بجمعها" نزهة الأدباء، بتحقيقنا، دمشق 2015.

(2) هو سليمان بن عبد الله بن نصيف بن شاوي، ولد ترجيحاً في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة، ونشأ ببغداد، ودرس على كبار شيوخها، حتى صار يعد من علمائها البارزين، والشعراء المجودين، وألف تصانيف أدبية ونحوية مهمة، نال لقب بك وظهر دوره السياسي بعد أن قتل عمر باشا والي بغداد أباه عبد الله بك غدرا سنة 1187هـ/1769م، فثار عليه، واشترك معه أخوته، ولبثت نتائج هذا الحادث مجهولة، والظاهر أنه لبث خارجاً على الحكومة حتى مقتل عمر باشا نفسه، وبعد ذلك أخذ باستعادة دوره في شؤون الحكم، وكثرت عليه الدسائس حتى

ب- مفتي الحنفية

ت- مفتي الشافعية

ث- نقيب الأشراف في بغداد

ج- إمام جامع الامام الاعظم ابي حنيفة

ح- خضر بك[1]

خ- حبيب الشاوي[2]

فهؤلاء هم نخبة من أعيان بغداد وعلمائها، ومما يلفت النظر أن الواقف جعل ترتيبهم على غير القاعدة البروتوكولية في ترتيب أمثالهم، حيث جعل أولهم هو الحاج سليمان بك الشاوي، وكان الأولى تقديم النقيب أولاً، أو في الأقل المفتيين، لكونهما من فئة العلماء، ولا يدل ذلك إلا على المكانة الفريدة التي كان يحتلها سليمان بك الشاوي في سراي بغداد، وقربه من سليمان باشا.

4- إن الوقفية تضمنت ملحقاً كبيراً بعنوانات الكتب الموقوفة، واللافت للنظر أنها تتألف من ثلاث مجموعات يبلغ عدد مجلداتها 427 مجلدا، هي:

الأولى: تتألف من 372 مجلد، كل مجلد يتضمن مخطوطاً مستقلاً، وثمة مجلدات عدة تؤلف كتاباً واحدا، بينما توجد أخرى تضم أكثر من كتاب، وهي نادرة. ولا تذكر الوقفية مصدر هذه المجموعة، على خلاف المجموعتين الأخريين.

الثانية: تتألف من 26 مجلداً، ذكر في أولها أن الواقف اشتراها من (خليفة الروزنامه جي أحمد أفندي). وتضم هذه المجموعة مجلدين، أولها صحيح البخاري،

أغتيل من طرف والي بغداد سليمان باشا المذكور سنة 1209هـ ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص84 ومحمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء ص98-104، 107، 126-132، 139-147، ودوحة الوزراء ص142 و194 و198 ومطالع السعود ص106 و142 و150 و205 و229،241-244 و277 و279 و284 وروضة الاخبار في ذكر أفراد الأخيار، ص32، 44-49، وزبدة الاثار الجلية ص118، 123، 165 والسهروردي: لب الألباب ص178-181 ومجلة لغة العرب، بحث لعباس العزاوي ج9 ص104، 491.

(1) هو خضر بك بن عبد الله جلبي بن احمد جلبي من آل عبد الجليل أمراء الحلة في القرن الثاني عشر للهجرة، وقد تولى هو حكمها من 1162 إلى 1172هـ.

(2) هو حبيب بن عبد الله الشاوي اخو سليمان المذكور شاهدا في هذه الوقفية.

والآخر شرح المطالع، أهداهما الملا خليل الموصلي، ولم نقف على هويته بين معاصري سليمان باشا.

الثالثة: تتألف من 27 مجلداً، ذكر في أولها أن الواقف اشتراها من (الحاج إبراهيم) ولم يزد بذكر اسم أبيه ولقبه، فلم تتيسر لنا معرفته.

5- يغلب على الكتب الموقوفة علوم العقائد والمنطق والحكمة وهي ما كان يُعرَف بالعلوم العقلية، ثم علوم الحديث والفقه والعربية، وهي ما عُرف بالعلوم النقلية، هذا مع كتب متفرقة في العلوم الأخرى كالفلك والطب لا سيما في المجموعتين الاخيرتين.

6- من الواضح أن فَهرسة المجموعات الثلاث هي من إعداد رجل واحد، له علم بصناعة الكتاب، وبشكل عام فإن هذه الفهرسة تتضمن مجموعة من البيانات تقرب ان تكون من عناصر الفهرسة الحديثة للمخطوط، هي:

أ- عنوان الكتاب، وفي الغالب فإنه يُثبت من هذا العنوان اسمه المختصر، أو شهرته بين ايدي العلماء والطلبة، مثل (المصباح) و(الإيضاح) و(الكشاف) و(قاموس) دون أن يذكر العنوان كاملاً، فهذا هو الذي جرت عليه العادة عصر ذاك.

ب -اسم المؤلف، وقد توخَّى فيه الإختصار على السياق نفسه، مثل (بيضاوي) و(خيالي) و(باقلاني).

ج- حجم الكتاب، كقوله (صغير) و (كبير) و (كامل) و (الرُبع) و (الثُمن) أو (كامل) والراجح عندنا أنه يقصد بالورقة الكبيرة ما كان يعرف بالقَطع البغدادي الكامل، وعرضها ذراع واحد، وطولها ذراع ونصف، وقَطع النصف هو نصفها، والربع رُبعها، والثمن ثمنها. ولكنه نوه بنوع من المساحات هو (الوزيري) وتبلغ مساحته 16×24 سم، و(الوزيري الخفيف) ولعله هو ما يعرف بالوزيري الصغير، وتبلغ مساحته 14×22 سم[1]، ونحو ذلك.

د- وصف الخط أحيانا كقوله (بخط حسن) و (خطه جميل)، دون تعيين نوع الخط.

هـ - نوع الغلاف ولونه، كقوله (خفيف) و (مقوّى)، (من الإبري) وهو ورق رقيق ملون، و(أحمر) و(أصفر) و(أخضر) و(أبيض)، و (أحمر وأطرافه أسود) و (غلاف اسود واحمر مع اطار) و(غلافه قطيفة)، و(غلافه من الروغَن) وهو الجلد اللامع.

---

(1) أحمد شوقي منين ومصطفى طوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي، الرباط 2006 ص113ص.

و- زينة الكتاب، كقوله (مُجَدوَل بالذهب) و(مُجدوَل بالسَرخ) وهو اللون الوردي، و(مُجَدوَل بالزعفران) وما إلى ذلك من أوصاف.

ز- الكتب المؤلفة من عدة مجلدات يذكر بأي باب يبتدئ المجلد وبأي باب ينتهي، ولا يذكر لغة الكتاب إلا في حالة أن يكون بغير العربية، وهي الفارسية حصراً.

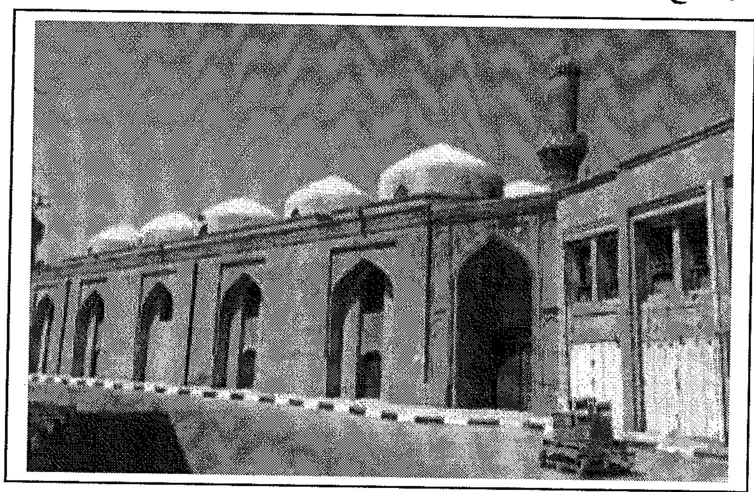
ح- عيوب الكتاب كقوله (ناقص من أوله).

ط - عدد مجلداته أو أجزائه.

7- وقف سليمان باشا هذه الخزانة على المدرسة الملحقة بجامع السراي المسمى بجديد حسن باشا بعد أن قام بتجديد الجامع وتعميره، وكان هذا الجامع في أصله مسجداً أنشأه الخليفة الناصر لدين الله في أواخر القرن السادس للهجرة، ثم قام بتجديد بنائه السلطان سليمان القانوني فعرف بالجامع السليماني نسبة إليه، ثم أعاد بناءه على نحو شامل والي بغداد الوالي حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م) فسمي بجامع جديد حسن باشا، تمييزاً عن جامع آخر أنشأه من قبل من يُدعى الوزير حسن باشا بن محمد باشا الطويل سنة 1008هـ/ 1518م، وتشير الوقفية إلى أن سليمان باشا قام بإنشاء هذا الجامع وتعميره، وفي الواقع فإن عمله اقتصر على التعمير لأنه كان موجوداً قبله كما يدل اسمه، أما «المدرسة الشريفة» الواقعة داخل الجامع فيحتمل انها المدرسة التي أنشأها السلطان سليمان القانوني ونسبت إليه في أثناء إعادة عمارة الجامع في القرن العاشر للهجرة، أو أن تكون منسوبة إلى سليمان باشا المذكور نفسه، لأننا وقفنا في مكتبة الأوقاف ببغداد على نسخة بالتركية من مخطوطة (جامع الأنوار في تراجم الأبرار) من تأليف المؤرخ البغدادي مرتضى نظمي زاده، كتب عليها أنها من أوقاف سليمان باشا على المدرسة السليمانية في سنة 1198هـ/ 1783م، وإذ سبق هذا التاريخ تأسيس سليمان باشا المدرسة السليمانية بست سنوات، فمن الراجح أن المقصود بها مدرسة اخرى حملت الاسم نفسه.

8- نص الواقف على أن الغاية من وضع كُتبه في هذه المدرسة أن «يطالعها ويستفيد منها طلاب العلم»، أي طلبة المدرسة المذكورة، وأن تكون خزانة الكتب هذه «بمعرفة ونظارة فخر المدرسين أحمد أفندي بن محمد أفندي»، وهو الذي كان يتولى التدريس في المدرسة، ولا نملك ترجمة لهذا المدرس، إلا أنه من الراجح من لقبه أن يكون أحد مدرسي بغداد البارزين، أهَّله علِمه أن يُولَّى مهمة التدريس في هذا الجامع المهم.

9- ان تاريخ الوقفية هو 22 ل (شوال) من سنة 1196هـ/29 ايلول 1787م، أي بعد اربع سنوات من تاريخ تولي سليمان باشا بغداد سنة 1192هـ/1783م، ومعنى ذلك أن تعمير الجامع ومدرسته وجمع الكتب ووقفها كان في بدايات حكمه، الذي امتد حتى سنة 1217هـ/1802م . ولم تكن هذه الخزانة هي الوحيدة بين مَبَرّاته العلمية، فقد أنشأ في سنة 1207هـ مدرسة مستقلة سميت (المدرسة السليمانية) سيرد الكلام عليها فيما يأتي. وأعاد بناء جامع الخلفاء الذي يرقى إلى العصر العباسي، وجامع القبلانية، وجامع الفضل[1].



جامع السراي في بغداد جدده سليمان باشا

وفيما يأتي نص هذه الوقفية:

صورة بيورولدي الوزير المكرم سليمان باشا تسجيل الكتب الشريفة المحررة في السجل مع وقفيتها في موضعها وتبقى في يده في 22 ل سنة 1196

[مصادقة القاضي][2]

حكمتُ بصحة وقف هذه الكتب المرسومة أسمائها في هذا الطرسي، وحكمتُ بلزوم هذا الوقف في ضمن دعوى صحيحة صدرت من المتولي والواقف، وأنا الفقير اليه -جل شأنه- فيض الله القاضي بمدينة بغداد المحروسة عُفي عنه .

---

(1) ومن اعماله العمرانية الاخرى خارج بغداد، تعميره بلدة كوت العمارة، وسورها، وتعمير أسوار البصرة، وبلدة الزبير، والحلة، وماردين، وأنشاؤه قلعة قرب الموصل. مطالع السعود ص339-341.

(2) هذه العنوانات المحصورة بين معقوفات من وضعنا .

[مقدمة الوقفية]

حمدٌ مَوفور، وثناءٌ غير محصور، الى فاطر جميع الأمور، وباعث مَن في القبور، والواقف على ضمائر بني آدم، وكاشف سرائر العالم، والى أعتابه المقدسة أليَق وأحرى، والذي جعل قلوب المؤمنين مزينة ومحلاة بأنوار الكتب الالهية، وجعل عيون المسلمين مُكمَّلة ومُحلاة بكل الهداية الذهبية القدسية.

ومئات الألوف من الصلوات والتسليمات إلى الروح المفتوحة[1] لمصباح الوجود، ومفتاح دفائن السخاء والجود، أعني به كَزيدة[2] الأنبياء، وقدوة الأولياء، الرسول المُجتبى محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، الذي نظام العالم وانتظام أحوال بني آدم، قائم على شرعه ودائم. وعلى آله وأصحابه وأولاده وأحبابه، الذين كل منهم وقف وجوده لحفظ الكتب الالهية، وبذل المجهود في ضبط الأحاديث النبوية، وأصبحوا متولى جهات الدين، والناظر الشريف لسيد المرسلين في تشييد الدين، وتبيين الطريق المبين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وبعد، فإن الباعث على تحرير وتسطير هذا الكتاب المُستَطاب، الصحيح النصاب، وهذا الخطاب النزيه النصاب، هو أن والي بغداد والبصرة الحالي، الدستور المكرَّم، المشير المفخَّم، نظام العالم، مدبر أمور الجمهور والأمم، رافع أعلام العدل والإنصاف، دافع ظلام الظلم والإعتساف، آصف دوران الظلام، باسط الأمن والأمان، ناموس السلطنة القاهرة، ناطور الخلافة الباهرة، حادي المعالي والمآثر، جامع أنواع المكارم والمفاخر، المحفوف بصنوف الملك العلام، حضرة سليمان باشا، يسّر الله تعالى له من الخير ما يشا، ولا زالت آيات عزه وجلاله في صفحات الأيام والشهور مسطورة، ورايات مجده وإقباله في طبقات الأعوام والدهور منشورة، قد وكَّل عنه الوكيل الشرعي قدوة الأماثل والأوان، شرف الصدور والأعيان، مقبول به أهل الديوان، صاحب الفهم والإذعان، صاحب النجابة، لطف الله افندي، الذي أقر، حسب وكالة موكله المذكور، في مجلس الشرع الشريف الأنور، بحضور المتولي المنصوب، والمُعيَّن لأجل التسجيل الشرعي للوقف الآتي بيانه، عمدة أرباب التحرير والقلم، وزبدة أصحاب التسطير والرُّقم، دفتردار بغداد السابق، صاحب النجابة عبدالله بك، الثابت

---

(1) كذا في الاصل وربما كان الصحيح (المنفوحة).

(2) كزيدة فارسية بمعنى المختار.

توليته بشهادة فخر الأماجد والأكابر، سعادة الحاج سليمان بك الشاوي، وفخر الأماثل والأكارم، صاحب النجابة خضر بك، أقرَّ إقراراً تاماً، منشئاً الكلام قائلاً: إن من الملاحظ بعين الاعتبار، أن هذه الدنيا ظالمة ولا أمان لها ومصيرها الفناء، ولذا فإن مُوكِّلي صاحب الخيرات والمبرَّات، الوزير المشار اليه، قد وقف وحبس في حالة كون تصرفاته الشرعية نافذة، كُتُب التفاسير الشريفة، وكتب الأحاديث النبوية، والكتب الفقهية المعتبرة، و الكتب العربية المجلدة بجلد نفيس والبالغة .مجلدا وكذا مجلداً، المحررة في صفحات أخرى التي هي منسلكه في سلك ملكه الصحيح، واشتراها من أطيب أمواله، وهي الكتب المحررة في ذيل هذا الدفتر الموقع عليه والمختوم.

[شروط المكتبة]

وقد اشترط مُوكِّلي أن توضع الكتب المذكورة في المدرسة الشريفة الواقعة داخل جامع جديد حسن باشا مقابل السراي، والذي أنشأه وعمَّره مجدداً، ليطالعها ويستفيد منها طلاب العلم بمعرفة ونظارة فخر المدرسين هذا، فضيلة أحمد أفندي بن محمد أفندي الذي يقوم بالتدريس في المدرسة المذكورة لطلبة العلوم. وقد اشترط لزوم عدم إخراج الكتب المذكورة النفيسة من مكتبتها الى الجامع او الى الخارج قطعاً، وكذلك عدم إخراج الكتب الأخرى المُبيَّنة أدناه من الجامع، وإذا راجع أيُ أحدٍ بشأن الكتب المذكورة، وطلب مطالعتها، فان[ه] لايُمنع من ذلك، مع عدم إدِّخار الوسع في انتفاع الناس بها، بشرط استعارتها ورهنها، وعدم تبديلها أو تغييرها.

[المصادقة على الوقفية]

وبعد التصديق المعتبر فإن مُوكِّلي المشار اليه، وجه كلامه الى مسمى آخر قائلاً: إن وقف الكتب التي هي من قبيل المنقولات أمر غير جائز لدى بعض الفقهاء، وغير لازم، ولذا شرعتُ بالرجوع عن الوقف وأطلب إعادة الموقوفات الى ملكية مُوكلي، وذلك حَسَب وكالتي، وأطلب تنبيه المتولي الى رفع يده عن الكتب المذكورة وتسليمها إليّ حسب وكالتي. وتصدَّى المومى اليه الى الإجابة الصائبة عليه قائلاً: ولو أن هذا الوقف غير جائز وغير لازم لدى بعض الفقهاء الكرام، ولكنه صحيح لدى بعض المشايخ، وصحتّه تستلزم اللزوم، ولذا فإني لممَتنع عن التسليم. وترافع الطرفان في حضور حضرة الحاكم مُوقِّع صدر الكتاب -طوبى له وحُسن مآب- وطلب الفصل وحسم النزاع، وإن الحاكم المومى اليه - أسبغ الله نعمه عليه - حكم على قول من يراه بصحته ولزوم الوقف المذكور، حُكما صحيحاً شرعياً، فمن بَدَّله فإنما إثمه على

الذين يبدلونه، وإن الله سميع عليم. تحريراً في الثالث والعشرين من جمادى الأولى لسنة ست وتسعين وماية والف.

شهود الحال: فخر الأماثل والأوان سعادة الحاج سليمان بك الشاوي

فخر العلماء الكرام مفتي الحنفية فضيلة إسماعيل افندي

فخر العلماء الكرام مفتي الشافعية فضيلة محمود افندي

فخر السادات فضيلة وسيادة السيد عبد الرحمن أفندي نقيب الأشراف

إمام عَتَبَة الأعظمية[1] درويش افندي

كليدار عتبة الأعظمية عبد الله افندي الراوي

فخر الأوان خضر بك

فخر الأوان حبيب بك الشاوي.

الكتب الموقوفة من قبل سليمان باشا[2]

1- قرآن عظيم الشأن، حجم صغير مُجَدوَل، وبخط حسن جلد 1.

2- تفسير البيضاوي، أوائله مُحسَّن حجمه وزيري، جلد 1.

3- تفسير معالم التنزيل، حجمه ربع وزيري، ومحلّى بالذهب، جلده أسود، ومغلف، جلد 1.

4- تفسير الكشاف، مجدول، حجمه نصف كامل، ومُذهَّب، جلد 1.

5- صحيح البخاري الوافي، مكتوب بماء الذهب، حجمه ربع كامل، جلد 1.

6- صحيح مسلم، حجمه كامل، مجدول بالسرخ، كامل، جلد 1.

7- صحيح مسلم، كامل آخر، حجمه ربع، جلد 1.

8- تفسير البيضاوي، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، جلد 1.

9- مصابيح شريفه كامل حجمه وزيري. مجدول بالذهب جلد 1.

10- مصابيح شريف، حجمه كامل، جلد 1.

---

(1) يقصد جامع الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان.

(2) اضفنا الارقام التسلسلية التي تتقدم عنوانات الكتب.

11- مشكاة المصابيح، حجمه كامل خفيف، جلد 1.

12- حديث اربعين، حجمه صغير، نصف ربع، جلد 1.

13- شرح المصابيح السنة للقاضي البيضاوي، حجم صغير وزيري، مجدول بالذهب، جلد 1 .

14- شرح أربعين لابن حجر، حجمه كامل خفيف، جلد 1.

15- شرح السنة، تأليف الإمام بغوي. جلده من المقوى، حجمه ربع، جلد، جلد ثاني في نهاية ابن الأثير، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1

16- تنبيه الانام في بيان علوم سيد الأنام. حجمه ربع، جلده أسود، مجدول بالذهب، جلد 1.

17- أذكار نووي، جلده اسود، حجمه ربع، جلد 1.

18- زبدة البيان في تفسير القرآن، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، خط جميل، الى سورة النجم، غلافه احمر، جلد 1.

19- تفسير بالتركية، غرابيزاده، حجم وزيري كامل، مجدول بالسرخ، غلافه أسود، جلد 1.

20- حاشية الطيبي على الكشاف، من سورة آل عمران الى سورة مريم، بالفارسية، حجمه ربع، كامل، غلافه أصفر، جلد 1.

21- حاشية الكشف على الكشاف، حجمه ربع كامل، غلافه أحمر، جلد 1.

22- حاشية عصام الدين علي البيضاوي، حجم وزيري، فلدي حباري، جلد 1.

23- أسباب نزول القرآن، حجم خفيف، غلاف احمر، جلد 1.

24- حاشية سيد شريف على الكشاف، حجم صغير وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

25- الجزء الاول من تفسير حسين الكاشفي، حاشية سيد شريف على الكشاف حجم صغير وزيري غلافه احمر جلد 1.

26- الجزء الاول من تفسير حسين الكاشفي لسورة الفاتحة، مجدول، حجمه ربع كامل بدون غلاف مجلد 1، الفارسية.

27- حاشية بهاء الدين عاملي على البيضاوي، بالفارسية، مجدول، حجمه ربع كامل بدون غلاف، مجلد 1 .

28- حاشية بهاء الدين عاملي على البيضاوي،بالفارسية، حجمه صغير، غلافه احمر جلد 1.

29- أيضاً حاشية بهاء الدين علي البيضاوي، حجمه وزيري، غلافه أسود، جلد 1.

30- تفسير مشكل القرآن، مجدول بالزعفران، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1.

31- دُرَر العزيز، حجمه ربع كامل، وزيري، غلافه أحمر، جلد 1.

32- ابراهيم حلبي، كبير الحجم وزيري، غلاف احمر مُذهَّب، مجدول بالسرخ، جلد 1.

33- فتوى البزازي، حجمه كبير، كامل. غلافه احمر جلد 1.

34- الملا مسكين، شرح كنز الدقائق، حجمه وزيري صغير، غلافه أسود، جلد 1.

35- ملتقى الأبحر، حجمه صغير وزيري، غلافه أسود، جلد 1.

36- باقلاني، شرح الملتقى، مجدول بالذهب، غلافه من الروغَن، حجمه وزيري. جلد 1.

37- ابراهيم قره ماني، مجدول بالذهب، حجمه وزيري، غلافه أسود . جلد 1.

38- الأشباه والنظائر، مجدول بالسَّرخ، ربع، غلافه مقوى. جلد 1.

39- الجزء الاول من جوهرة شرح القدوري، من كتاب الطهارة الى كتاب المساقاة، بالفارسية، حجمه ربع، كامل، مجدول بالسرخ، غلافه أحمر، جلد 1.

40- الجزء الثاني من الجوهرة من كتاب النكاح الى كتاب الفرائض، حجمه ربع، كامل، وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

41- شرح مجمع البحرين لابن ملك، حجمه كامل، غلافه أحمر، جلد 1.

42- فتوى أبو السعود الاسكوبي، حجمه كامل، غلافه احمر،بالفارسية، جلد 1.

43- الجزء الاول من فتاوى الهندية من كتاب الطهارة الى كتاب القضاء، بالفارسية، مجدول بالذهب، حجمه كامل، غلافه أحمر، جلد 1.

44- الجزء الثاني من فتاوى الهندية من كتاب الشهادات الى الفرائض، بالفارسية، مجدول بالذهب، حجمه كامل، غلافه أحمر وأطرافه أسود، جلد 1.

45- مقدمة ابي الليث، غلافه أسود، حجمه ربع كامل، جلد 1.

46- الجزء الأول من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيري، مجدول بالسرخ، من كتاب الطهارة الى اخر كتاب الحج غلافه أحمر، جلد 1.

47- الجزء الثاني من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيري، مجدول بالسرخ، من كتاب النكاح الى اخر كتاب،.... غلافه احمر جلد 1.

48- الجزء الثالث من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيري، من كتاب الدعوى، مجدول بالسرخ، غلافه أحمر، جلد 1.

49- الجزء الرابع من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيري، غلافه احمر، من كتاب الاقرار الى كتاب الفرائض، مجدول بالسرخ جلد 1.

50- فتاوى قاضيخان، حجمه ربع، غلافه احمر جلد 1.

51- فتاوى قاضيخان، حجمه كامل، وزيري، مجدول بالسرخ، غلافه احمر جلد 1.

52- شرح العيني على كنز الدقائق، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.

53- الجزء الاول من منح غفار، حجمه كامل، غلافه احمر، مجدول بالسرخ، من كتاب الطهارة الى آخر كتاب الوقف، 1.

54- كتاب هداية وفقه، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1.

55- فتاوى اسكوبي افندي، حجمه ربع، غلافه احمر، جلد 1.

56- شرح شرعة الاسلام، حجمه كامل، أسود، خفيف، جلد 1.

- صدر الشريعة، حجمه ربع كامل، غلافه أحمر، محشى، جلد 1.

57- كنز الدقائق، حجمه كامل، وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

58- الدقائق ايضاً، حجمه ربع كامل، وزيري، غلافه أسود، جلد 1.

59- البرذوي في اصول الفقه حجمه ربع غلافه مقوى جلد 1.

60- البرذوي في اصول الفقه ايضا حجمه دون الربع غلافه اسود جلد 1.

61- صدر الشريعة ايضا حجمه دون الربع غلافه احمر جلد 1،

62- فتاوى علي افندي شيخ زاده حجمه ربع غلافه احمر جلد 1.

63- مبرة الفتاوى حجمه ربع وزيري غلافه اسود جلد 1.

64- تحفة المبتديء حجمه صغير مجدول بالذهب غلافه احمر جلد 1.

65- درر المختار في شرح تنوير الابصار، مجدول بالذهب، حجمه ربع، وزيري، غلافه احمر، ومغلف بالأسود، جلد 1.

66- فتاوى انقروي، حجمه كامل وزيري، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.

67- الجزء الاول من الخلاصة، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.

68- المختار حجمه ربع خفيف، غلافه مقوى، جلد 1.

69- فتاوى علي افندي، حجم كامل وزيري، غلافه اسود، جلد 1.

70- شرح الوقاية برجندي، حجمه دون الربع، جلده اخضر، مجدول بالسرخ، جلد 1.

71- الجزء الاول من الملتقط، حجمه ربع وزيري خفيف، مجدول بالسرخ، جلد 1.

72- قاموس، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.

73- صحاح الجوهري، حجمه وزيري، غلافه اسود، جلد 1.

74- اختري، حجمه دون الكامل، غلافه احمر، مجدول بالسرخ، جلد 1.

75- كنز اللغة، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.

76- مغرب اللغة، حجمه دون الربع، ثخين، غلافه احمر، جلد 1.

77- حياة الحيوان، حجمه دون الكامل، غلافه أحمر، جلد 1.

78- ديوان الادب في فنون العرب، حجمه ربع كامل، غلافه اسود، جلاد 1.

79- المسنطرف، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، غلافه اسود، جلد 1.

80- سير التي برؤماق (بالتركية معناه: سيرة ذو الاصابع الستة) حجمه وزيري، غلافه أسود، مجدول بالذهب، جلد 1.

81- الجزء الاول من الفتوحات المكية، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.

82- الكبريت الاحمر في التصوف، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.

83- ترجمة قانون الطب، حجمه كامل وزيري، غلافه أحمر، جلد 1.

84- شرح المواقف حجمه ربع كامل غلافه احمر جلد 1.

85- أربعين حديث نووي، مع شرح، حجمه صغير، غلافه احمر، جلد 1.

86- شرح المنادى على الجامع الصغير، حجمه كامل وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

87- الصواعق المحرقة، حجمه دون الربع، غلافه صغير وردي، جلد 1.

88- درر العز، حجمه ربع وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

89- شرح المواقف، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.

90- صِحاح الجوهري، ربع كامل، غلافه اسود، جلد 1.

91- الربع الاول من ربع العبادات، الفتاوى لابن حجر، غلافه احمر، جلد 1.

92- الربع الثاني من ربع المعاملات، فتاوى ابن حجر، احمر، جلد 1.

93- الربلع الثالث من النكاح وباب آخر في الفتاوى لابن حجر، غلافه احمر، جلد 1.

94- عيون الاثر، حجمه كامل، غلاف احمر، جلد 1.

95- شرح جامع الصغير، مجدول بالذهب، حجمه ربع وزيري، غلافه اسود، جلد 1.

96- النصف الاول الى النهاية من ابن الاثير، مجدول بالذهب، غلافه احمر، حجمه كامل وزيري، جلد 1.

97- أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجدول بالسرخ، حجمه كامل، غلافه احمر. جلد 1.

98- محلّي شرح المنهاج، فقه الشافعية، مجدول بالذهب، غلافه احمر.

99- منح الغفار، حجمه وزيري مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.

100- الجزء الثاني من منح الغفار، حجمه وزيري، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.

101- الربع الاول من تحفة ابن حجر غلافه اسود حجمه ربع جلد 1.

102- الربع الثاني من تحفة ابن حجر غلافه اسود حجمه ربع جلد 1.

103- الربع الثالث من تحفة ابن حجر غلافه اسود قطيفة جلد 1.

104- جامع الرموز شرح الوقاية، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.

105- فتاوى النقشبندية، غلافه اسود، جلد 1.

106- تفسير حسين الكاشفي، حجمه ربع كامل، بالفارسية، جلد 1.

107- جلد ثاني ازنجاوي، حجمه ربع كامل، غلافه مقوى، جلد 1.

108- الجزء الثاني من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، غلافه قطيفة، وزيري، جلد 1.

109- الجلد الثالث من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، حجم دون الربع وزيري، غلافه حطاني جلد 1.

110- الجلد الرابع من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، حجم دون الربع وزيري، غلافه حطاني، جلد 1.

111- الجزء الخامس من حاشية شيخ زاده علي البيضاوي، غلافه وزيري، جلد 1.

112- الجزء الاول من شرح شهاب في الشفاء للقاضي عياض، حجم ربع وزيري، غلافه ابيض جلد 1.

113- الجزء الثاني من شرح شهاب في الشهاب، حجم ربع وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

114- الجزء الاول من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.

115- الجزء الثاني من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.

116- الجزء الثالث من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.

117- الجلد الاول من فتح القدير، حجم ربع وزيري، غلافه اسود، جلد 1.

118- الجزء الثاني من فتح القدير حجم ربع وزيري غلافه اسود جلد 1.

119- حاشية عبد الجبار زاده على الهداية، حجمه ربع وزيري، مجدول بالذهب، غلافه اسود، جلد 1.

120- بداية متن الهداية، حجمه دون الربع، غلافه ارغواني، مجدول بالذهب، جلد 1.

121- عناية الهداية، ربع كامل، مجدول بالسرخ، غلافه اخضر غامق، جلد 1.

122- شرح الخراج لابي يوسف عليه الرحمة، حجم ربع، غلافه اسود، جلد 2.

123- القدوري، حجمه ربع، غلافه اسود سادة، جلد 1.

124- الجزء الاول من الجوهرة، حجم وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

125- شرح النخبة لابن حجر.

126- شرح مجمع البحرين لابن ملك، حجم وزيري كامل، غلافه اسود، جلد 2.

127- سلامي في علم الفرائض، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

128- كنز الدقائق، حجم وزيري كامل، غلاف اسود، جلد 1

129- حلبي صغير، حجم وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.

130- ملتقى الابحر، حجم ربع مقوى، جلد 1.

131- الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

132- شرح الجزوية في علم القراءة، حجم ثُمن، غلاف مقوى، جلد 1.

133- الطريقة المحمدية، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.

134- الفردوس في علم الحديث، حجم ربع، غلاف أصفر، مقوى، جلد 1.

135- صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

136- جامع الفتاوى، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

137- الشجرة النعمانية، حجم ثمن، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.

138- النصف الاول من الدرّر، حجم ربع، غلاف اصفر، جلد 1.

139- تنوير الابصار، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

140- تلويح شرح التنقيح في علم الاصول، حجم وزيري كامل، غلاف اسود، جلد 1.

141- الربع الأول من جامع الاصول، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

142- الربع الثامن من جامع الاصول، حجم وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

143- درة التاج، حجم ربع كامل، غلاف اسود، جلد 1.

144- شرح الشاطبية لابي شامة، حجم وزيري كامل، غلاف احمر، جلد 1.

145- ترتيب زيبا، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

146- تذكرة الأولياء، حجم ربع، مقوى، جلد 1.

147- نهاية ابن الاثير في علم غريب الحديث، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

148- الشمائل الشريفة، حجم ثمن مربع، غلافه اسود، جلد 1.

149- كنز الدقائق، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.

150- حجري على الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف سرخ، جلد 1.

151- نصف مبسوط الرحبي، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

152- النصف الأول من المستخلص في شرح الكنز، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

153- شرح الرضي على الكافية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

154- حاشية الكشف عن الكشاف، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

155- شرح القهستاني، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد جلد 1.

156- صحيح البخاري، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

157- حاشية عبد الحكيم علي البيضاوي، حجم ربع كامل، وزيري، غلافه اسود، جلد 1.

158- شرح الهياكل في علم الحكمة، حجم ربع كامل مربع، غلافه احمر، جلد 1.

159- شرح العقائد للملا جلال ومعه حاشية، حجم صغير، وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

160- شرح النسفية للملا سعد الدين، معه قباني حجم صغير مربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

161- شرح الهداية في فن الحكمة، حجم صغير، غلاف مقوى ابري، جلد 1.

162- كتاب الدعاء الحسيني في فن الحكمة، حجم كبير كامل، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

163- حاشية فخر الدين سماكي على الهداية، حجم صغير، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

164- شرح حكمة العين، حجم وزيري، غلاف اسود جلد 1.

165- حاشية ميرزاجان على حكمة العين، حجم صغير، وزيري، غلاف مقوى جلد 1.

166- حاشية خفري على شرح التجويد، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

167- شرح اشارات الحكمة، حجم ربع كامل، تأليف الطوسي، غلافه اصفر، جلد 1.

168- تهافت الفلاسفة، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

169- مفتاح العلوم للسكاكي، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

170- اطباق الذهب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

171- شرح الهداية آخر، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.

172- شرح الضوء، حجم صغير، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

173- ابن الناظم شرح الفقيه، حجم وزيري، احمر، جلد 1.

174- خبيصي، حجم دون الربع، غلاف اخضر، جلد 1.

175- لب الالباب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

176- عبد الغفور حاشية شرح جامي، حجم صغير وزيري، غلاف اسود، مجلد 1.

177- حاشية زيباري في الاستعارة، حجم ربع خفيف، غلاف ابيض مقوى، جلد 1.

178- حاشية عصام جامي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

179- الهندي شرح الكافية، حجم دون الربع، غلاف مقوى اخضر، جلد 1.

180- عبد الله يزدي، التذهيب، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

181- الحسام الكاتي معه حاشية محي الدين، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

182- جامي، شرح كافية، حجم ربع، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.

183- المفصل، حجم دون الربع، غلاف مقوى، جلد 1.

184- شرح خالد ازهري، حجم ربع خفيف، غلاف احمر، جلد 1.

185- عبد الله يزدي في الخطاب، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

186- شرح شمسية، حجم دون الربع، غلاف اسود، جلد 1.

187- آخر شرح شمسية، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

188- حاشية سيد علي شرح شمسية، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

189- محي الدين علي حسام كاتي، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.

190- الخطاب في المطول، حجم صغير، وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.

191- سيد المطول، حجم دون الربع، غلاف مقوى، جلد 1.

192- المطول، حجم ربع وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

193- شرح مختصر التلخيص معه شرح الاجرومية، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

194- شافية، حجم ربع، غلاف مقوى اخضر خفيف، جلد 1.

195- سعد الدين تفتزاني الروض، حجم دون الربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.

196- شرح ابنية في علم الصرف، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

197- سيد شرح شمسية، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد.

198- جاربردي شرح شافية، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

199- آخر جاريردي في شرح شافية، حجم دون الربع، غلاف احمر، جلد 1.

200- سيد حاشية المطالع، حجم ربع كامل، غلاف احمر، جلد 1.

201- عصام وضع، مع شرانشي، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

202- مقولات في الحكمة، حجم دون الربع، غلاف احمر، جلد 1.

203- تذكرة في علم الهيئة، حجم صغير، اخضر، جلد 1.

204- شرح حكمة العين، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.

205- فتاوى مع برهان، حجم دون الربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

206- آخر فتاوى مع برهان، حجم صغير وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.

207- عصام استعارة، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.

208- سير في المطول، حجم وزيري، غلاف اخضر، جلد 1.

209- مغنى الاكراد، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.

210- شرح المفتاح ملا سعد الدين، حجم ربع كامل وزيري، جلد 1.

211- مغنى اللبيب، حجم كامل وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

212- حاشية مغنى اللبيب، حجم دون الربع، غلاف مقوى سرخ، جلد 1.

213- آخر مفصل، حجم كامل وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

214- عبد الله يزدي علي الخطابي، حجم صغير، غلاف اصفر، جلد 1.

215- اثبات الواجب، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.

216- شرح مختصر المنتهى في علم الاصول، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

217- شرح مختصر المنتهى، اوله ناقص، وكذا آخره، حجمه صغير، غلاف اصفر، جلد 1.

218- شرح المختصر في المنتهى في علم الاصول، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.

219- حاشية ابهري على شرح المختصر في علم الاصول، حجم دون الربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1

220- آخر فتاوى مع برهان، حجم صغير وزيري، غلاف مقوى، جلد 1.

221- عصام استعارة، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.

222- سيد في المطول، حجم وزيري، غلاف اخضر، جلد 1.

223- مغنى الأكراد، حجم ربع، مقوى ابيض، جلد 1.

224- شرح المفتاح ملا سعد الدين، حجم ربع كامل، وزيري، جلد 1.

225- مغنى اللبيب، حجم كامل وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

226- حاشية مغنى اللبيب، حجم دون الربع، غلاف مقوى سرخ، جلد 1.

227- آخر مفصل، حجم كامل وزيري، احمر، جلد 1.

228- عبد الله يزدي علي الخطابي، حجم صغير، غلاف اصفر، جلد 1.

229- إثبات الواجب، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.

230- شرح مختصر المنتهى في علم الاصول، حجم وزيري احمر، جلد 1.

231- شرح مختصر المنتهى، اوله ناقص وكذا آخره، حجمه صغير، غلاف اصفر، جلد 1.

232- شرح المختصر في المنتهى في علم الاصول، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.

233- حاشية أبهري على شرح المختصر في علم الاصول، حجم دون الربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

234- كتاب التنبيه في فقه الشافعية، حجم ربع كامل، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

235- الجزء الثالث من انوار الفقه، فقه شافعي، كامل، غلاف احمر، جلد 1.

236- جزء أول من شرح المنهاج للسبكي، حجم ربع كامل، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.

237- عمالة شرح المنهاج، فقه شافعي، حجم ربع كامل، غلاف اسود، جلد 1.

238- مجموعة كتاب في علم الفرائض، مع شرح تعليم المتعلم، وخلاصة الحاجة، جلد 1.

239- كتاب الأبواب في علم الصرف، حجم ربع خفيف، غلاف احمر، جلد 1.

240- قره بادي شفاء بالفارسية، في علم الطب، حجم دون الربع، غلاف اصفر، جلد 1.

241- متن وضعية مع نموذج، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

242- كتاب التقويم في معرفة التنجيم، حجم صغير، اصفر، جلد 1.

243- مجموعة رسائل عربي وأدب، حجم ربع كامل، غلاف احمر، جلد 1.

244- كتاب فارسي في علم الطب كفاية المنصوري، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.

245- سعد الدين مع خيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

246- شرح منار ابن مالك في علم الأصول، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

247- شرح الفقه الاكبر علي الفارسي، حجم ربع صغير، غلاف احمر، جلد 1.

248- حاشية خطائي على المختصر، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

249- غريب القرآن، حجم ربع وزيري، جلد احمر، جلد 1.

250- سر الصناعة، حجم ربع كامل، غلاف اسود، مجلد 1.

251- الفوائد الغياثية، في علم المعاني والبيان، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.

252- المفصل، حجم رُبع، غلاف اسود واحمر مع اطار، مجلد 1.

253- هداية الإعتقاد، حجم كامل، غلاف مقوى ابري، جلد 1.

254- التحصيل، ربع وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

255- شرح السراجية، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد 1.

256- مجموعة كتب ورسائل عديدة، حجم دون الربع، غلاف اصفر، جلد 1.

257- الدرة الشنوانة على شرح الاجرومية، غلاف احمر، جلد 1.

258- حاشية حلب ازاز، حجم ربع غلاف، مقوى ذهبي، جلد 1.

259- درة الغواص، حجم وزيري، غلاف مقوى ذهبي، جلد 1.

260- شرح جغميني، حجم ربع، غلاف مقوى مذهب، جلد 1.

261- حاشية مصري علي سعد الدين، حجم ثمن، غلاف احمر، جلد 1.

262- شرح الآداب للحنفي مع شرح الفتاوى، حجم ثمن، غلاف مقوى ومذهب، جلد 1.

263- شرح قطر الندى، حجم ثمن، احمر، جلد 1.

264- متن تجريد العقائد، حجم ثمن، غلاف مقوى، جلدا

265- شرح التهذيب، حجم ربع، غلاف مذهب مقوى، جلد 1.

266- إيساغوجي مع حاشية سعد الله حجم، ربع، غلاف مذهب ومقوى، جلد 1.

267- شرح مختصر التلخيص، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

268- صحاح الجوهري في اللغة، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

269- نصف تفسير الجلالين، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

270- بيان الناسخ والمنسوخ، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

271- تنوير الأذهان والضمائر شرح الاشباه والنظائر، غلاف وزيري أحمر، جلد 1.

272- ظواهر الجواهري في الأشباه والنظائر، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

273- توضيح أصول الحنفية حجم ربع غلاف مقوى جلد 1.

274- شرح المواقف حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.

275- الجزء الخامس من فتح الباري شرح البخاري حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.

276- الجزء السابع من فتح الباري، حجم وزيري، احمر جلد 1.

277- حاشية حامد، غلاف مقوى، مجلد 1.

278- الكشاف، حجم كبير، غلاف احمر، مجلد 1.

279- صراع مختصر الصحاح حجم وزيري غلاف احمر جلدا-

280- الشفاء في حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، حجم ثمن، غلاف اسود، مجلد 1.

281- شرح الشمائل لابن حجر، ربع، غلاف احمر، جلد 1.

282- شرح الوقاية لابن ملك، حجم كامل، غلاف اصفر، مجلد 1. (290)

283- المطول، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

284- حسن جلبي على المطوّل، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.

285- كُلستان، غلاف احمر، مجلد 1.

286- ذخيرة الملوك بالفارسية، غلاف احمر، مجلد 1.

287- حاشية عصام على البيضاوي، حجم ربع وزيري، غلاف احمر، مجلد 1.

288- شرح المفتاح للعلامة محمود الشيرازي، حجم نصف كامل، غلاف احمر، جلد 1.

289- فتاوى خير الدين، حجم وزيري، غلاف اسود مجلد 1.

290- تحفة المؤمنين في علم الطب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

291- مقامات الحريري، حجم ربع كامل، غلاف اسود، مجلد 1.

292- شرح المقامات للمطرزي، حجم ربع كامل، غلاف اصفر، جلد 1. (300*)

293- مغنى اللبيب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

294- إيضاح الاصلاح، حجم ربع، احمر جلد 1.

295- حاشية اللاري، حجم وزيري، غلاف اسود، مجلد 1.

296- حاشية مير ابو الفتح على التهذيب، ثمن، غلاف اصفر، مجلد 1.

297- حاشية عصام الدين على صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف احمر، جلد.

298- حاشسية يوسف القره باغي شرح الملا جلال، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.

299- حاشية المصري علي سعد الدين، حجم ربع وزيري، غلاف احمر، مجلد 1.

300- الوضعية الكبرى، حجم ثمن، اسود، مجلد 1.

301- حاشية محي الدين مع القره باغي علي حسام كاتي، مجلد 1.

302- كتاب الايضاح على تلخيص المفتاح، حجم ربع، غلاف صديدي اللون، مجلد 1.

303- حاشية محمد امين جهة الوحدة مع حاشية ابراهيم خيرو، غلاف احمر، حجم ربع، مجلد 1.

304- حاشية عبد الله حيدر علي قول احمد، حجم وزيري، غلاف خفيف احمر، جلد 1.

305- شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.

306- حاشية السيد على شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.

307- حاشية نملية علي الخيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

308- المطول، حجم وزيري، غلاف احمر، مجلد 1.

309- شرح ابن النجم على المنار، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

310- حاشية عبد الغفور، حجم وزيري، غلاف اسود، مجلد 1.

311- إيساغوجي، مربع، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.

312- شرح المختصر، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

313- جامي، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

314- تركيب خالد، نصف ربع، غلاف اسود، مجلد 1.

315- شرح التهذيب، حجم وزيري، غلاف احمر، مجلد 1.

316- إثبات الواجب، مربع، غلاف مقوى، مجلد 1.

317- إيساغوجي، مربع، غلاف اصفر مقوى، مجلد 1.

318- حسن جلبي على المطول، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.

319- ابن عقيل شرح الألفية، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.

320- نسخة بست باب في علم الاسطرلاب، ونسخة فتحية علي قوشجلر في علم الهيئة، حجم نصف الربع، غلاف احمر، مجلد 1.

321- شرح كُلشن راز، حجم وزيري، غلاف احمر، مجلد 1.

322- جزء منظومة نهاية، حجم كامل، غلاف اسود، مجلد 1.

323- سعدي جلبي علي البيضاوي، حجم وزيري، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.

324- شرح التجريد في علم الحكمة، غلاف احمر، حجم ربع، جلد 1.

325- شرح الكافية في علم الصرف، ربع، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.

326- الجزء الأول من البخارى قسطلاني، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

327- الجزء الثاني من البخاري قسطلاني، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

328- الجزء الثالث من البخارى قسطلاني، حجم وزيري، مجلد 1.

329- الجزء الرابع من البخارى قسطلاني، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

330- الجزء الخامس قسطلاني علي البخاري، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

331- الجزء الخامس قسطلاني علي البخاري، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

332- شرح المراح، حجم ربع، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.

333- تفسير كبير آخر، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

334- شرح الصدور في احوال اهل القبور للسيوطي، حجم غلاف احمر، جلد 1.

335- شرح امالي لعلي القاري، غلاف اسود، حجم ربع، مجلد 1.

336- نخبة الفكر، حديث شريف، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

337- النسفية في العقائد حجم وزيري غلاف مقوى جلد 1.

338- مثير العزم في العقائد،غلاف اسود، جلد 1.

339- شرح الألفية للسيوطي، نحو، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

340- الوافي في متن الكافي،فقه، حجم وزيري، غلاف اسود، جلدد 1.

341- مُنبه المصلى، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

342- شرح متن التلخيص للخلخالي، معان وبيان، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

343- الإظهار في النحو، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.

344- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، حجم وزيري، غلاف مقوى، مجلد 1.

345- شرح خالد، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.

346- عيون الاخبار، حديث شريف، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

347- شرح الكنز،الجزء الاول، حجم وزيري غلاف مقوى جلد 1.

348- نزهة القلوب مع رسالة شيخ شهاب الدين، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

349- شرح غزنوي، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

350- شرح برئية ومعه تفسير متشابهان، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

351- كتاب السبعيات، مواعظ، حجم ربع، غلاف اسود

352- منهاج القاصدين، مواعظ، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

353- شفاء شريف، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.

354- مقدمة ابو الليث، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

355- على القاري شرح حديث الاربعين، حجم وزيري، غلاف احمر، مجلد 1.

356- حاشية على الشمسية في المنطق، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد 1.

357- لسان الحكام فتوى، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

358- نقض المحصل في علم الكلام، حجمه ربع، غلاف اسود، جلد 1.

359- اختلاف المذاهب، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

360- شرح السراجيه فرائض، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

361- الكفاية- فقه- حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.

362- تاريخ البلدان، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

363- جواهر الحكم، ربع، غلاف اسود، جلد 1.

364- شرح حصن الحصين، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.

365- المختار، فقه، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

366- جزء من شرح المقاصد،كلام، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

367- شواهد النبوة بالفارسية، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

368- شرح اللمع، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

369- جزرية، حجم نصف ربع، غلاف احمر، جلد 1.

370- نسخة مجهولة المؤلف في علم التوحيد، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

371- نسخة في علم الحكمة لداود الحسن، حجم ربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.

372- حاشية الفخر على الهداية، حجم نصف ربع، غلاف ابيض، جلد 1. 381

الكتب التي اشتراها صاحب الدولة والي بغداد سليمان باشا من خليفة الروزنامه جي احمد افندي ووضعها في المدرسة:

373- شمائل شريف، حجم ثمن، مربع، غلاف اسود، جلد 1.

374- كنز الدقايق، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.

375- حموي على الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف سرخ، جلد 1.

376- نصف مبسوط سرخسي، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

377- النصف الاول من المستخلص شرح الكنز، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

378- شرح رضا على الكافية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

379- حاشية الكشف على الكشاف حجم كامل غلاف احمر جلدا.

380- شرح فهرست، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.

381- صحيح البخاري، اهداه خليل الموصلي، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

382 - حاشية عبد الحكيم، حجم كامل، غلاف اسود

383- حاشية عصام على صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

384- مقامات الحريري حجم ربع كامل غلاف اسود جلد 1.

385- شرح مقامات الحريري للمطرزي، حجم ربع كامل، غلاف اصفر، جلد 1.

386- حاشية لاري، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.

387- مغنى اللبيب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

388- ايضاح الاصلاح، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

389- حاشية مير ابو الفتح، حجم ثمن، غلاف اصفر، جلد 1.

390- حاشية يوسف قره باغي شرح الملا جلال، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

391- حاشية مصري علي سعد الدين، حجم ربع وزيري، غلاف وزيري، جلد 1.

392- الوضعية الكبرى، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.

393- حاشية محي الدين مع قره باغي علي حسام كاتي، جلد 1.

394- كتاب الايضاح على تلخيص المفتاح، حجم ربع، غلاف صديدي اللون، جلد 1.

395- حاشية محمد امين على جهة الوحدة مع حاشية ابراهيم حيدر، غلاف احمر، بحجم ربع جلد 1.

396- حاشية عبد الله حيدر على قول احمد، حجم وزيري خفيف، اصفر، جلد 1.

397- شرح المطالع، اهداه الملا خليل الموصلي، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.

398- حاشية السيد على شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.

399- حاشية نمليه على خيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

الكتب التي اشتراها صاحب الدولة والي بغداد سليمان باشا من الحاج ابراهيم ووضعها في المدرسة:

400- المطوّل، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1.

401- شرح ابن نجيم على المنار حجم مربع غلاف احمر جلد 1.

402- حاشية عبد الغفور حجم وزيري غلاف اسود جلد 1.

403- ايساغوجي حجم مربع غلاف اصفر مقوى جلد 1.

404- شرح مختصر التلخيص حجم وزيري غلاف اسود جلد 1.

405- جامي حجم وزيري غلاف احمد جلد 1.

406- تركيب خالد نصف حجم مربع غلاف اسود جلد 1.

407- شرح التذهيب حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.

408- اثبات الواجب حجم مربع غلاف مقوى جلدا-

409- دفعه ايساغوجي، جم مربع غلاف اصفر مقوى جلد 1.

410- حسن جلبي على المطوّل حجم ربع احمر جلد 1.

411- ابن عقيل شرح الالفية حجم ربع غلاف احمر جلد 1.

412- نسخة بست باب في علم الاسطرلاب، ونسخة فتحية على قوشجي في علم الهيئة، حجم ربع، غلاف احمر جلد 1.

413- شرح كلشن راز، حجم وزيري، جلد 1.

414- النصف الاول من منظوم النهاية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

415- سعدي جلبي علي البيضاوي، حجم وزيري، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.

416- شرح التجريد في علم الحكمة، غلاف احمر، حجم ربع، جلد 1.

417- شرح الكافية في علم الصرف، حجم ربع، غلاف اصفر، جلد 1.

427- شرح البخاري للقسطلاني، حجم وزيري، غلاف احمر، جلد 1. 19

نقلت هذه الوقفية من السجل الرابع عشر القديم للوقفيات ص157 وترجمت الى اللغة العربية من قبل السيد حبيب الهرمزي.

ثانياً: وقفية سليمان باشا الكبير على مدرسته

في سنة 1207هـ/1792م أنشأ سليمان باشا الكبير مدرسة متكاملة، غير ملحقة بمسجد، سميت بالمدرسة السليمانية، وكانت هذه المدرسة تقع في مكان قريب من سراي الحكم في بغداد، بين مسجدين، الأول جامع الشيخ أبي النجيب السهروردي، حيث يوجد قبره ومدرسته، وجامع النعمانية الذي شيدته سيدة محسنة، هي فاطمة بنت بكتاش بن ولي قبل نحو عقدين من ذلك التاريخ، وتحديداً سنة 1185هـ/1771م، وقريبا منها كانت المدرسة العلية التي أنشأها والي بغداد علي باشا، سنة 1176هـ/1762م أي قبل نحو ثلاثة عقود، على أرض شغلتها من قبل المدرسة العلائية التي شيدها علاء الدين علي بن عبد المؤمن السكرجي سنة 694هـ/1294م([1])، على أن العناية الفائقة التي بذلها سليمان باشا بإنشاء مدرسته ميزتها على أكثر مدارس بغداد فضلا عن المدارس المحيطة أو القريبة منها.

ويفهم مما ورد في نص وقفيتها أنها كانت تتألف من فناء مفتوح، في صدره إيوان، وتحيط بالفناء ثماني حُجرات، ولها طابق علوي فيه غُرفتان في الأقل، وبما أن المدرسة كانت تضم جناحاً لمبيت الطلبة، فلنا أن نتصور أن هذا الجناح هو الذي كان يشغل هاتين الغرفتين، فقد جرت العادة في المدارس الإسلامية أن تخصص غرف الطابق العلوي لسكناهم، وإيوان آخر، وحجرة تستغل كمكتبة، وبحسب التقاليد نفسها فإن الإيوان كان يستخدم مكاناً للتدريس صيفاً، بينما تستخدم حجرة خاصة للتدريس في الطابق الأرضي. وثمة ثلاث حجرات تحتها لا يمكن التكهن بوظيفتها، ويمكن أنها كانت تستغل لغرض التدريس، أو لإقامة المدرس، وثمة مرافق أخرى، منها حجرة خاصة بالأباريقي، عند بابها، وهو الموكل بملء الأباريق المخصصة لمياه الشرب، وربما (الحبوب) الفخارية أيضاً حيث يحفظ الماء لغرض تبريده صيفاً، وسرداب كبير،

---

(1) كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد 1986، ص32.

وسلم يؤدي إلى الطابق العلوي، ومزملة ذات حوض حجري، يحفظ فيه الماء، ويصب منه من خلال فتحات فيه. وقد وصف عبادة حال المدرسة في أوائل القرن العشرين بقوله «إن هذه المدرسة اليوم على بنائها القديم، غير أنه قد أصلح بعض ما تهدم منها، وإدارة شؤونها اليوم بيد الأوقاف»، وقال عباس بن رجب، وهو يصفها في أوائل ذلك القرن أيضاً «المدرسة الشهيرة بالسليمانية من آثار المرحوم سليمان أبي سعيد باشا، وهي معمورة»[1]. وتَعاقَبَ على التدريس فيها أربعة من كبار علماء بغداد، هم عبد القادر السليماني، ومحمد فيضي الزهاوي، وابنه محمد سعيد الزهاوي، ثم أمجد الزهاوي، وقد تولى الثلاثة الأواخر منهم إفتاء بغداد على التعاقب. اتخذت في خمسينات القرن الماضي مقراً لرابطة العلماء، وكان لهذه الرابطة الفضل في تأسيس العدد الكبير من الجوامع في بغداد[2].

ويمكن أن نعد باب المدرسة أنموذجاً على فخامة بناء المدرسة الزائلة، فهو عال، تعلوه سبعة أبيات بالتركية، مكتوبة بخط الثلث على قِطَع من الآجر المُزجَّج بلون أزرق، وتصف الأبيات المدرسة بأنها قَصر، وتشيد بحسن وضعها، وبخزانة كتبها التي تضم كتباً نفيسة لتدريس العلوم العقلية والنقلية، وفي آخرها بيت التاريخ، وهو (حبَّذا مدرسة علم هي زهى جاي هدا) 1206، ويعلو هذه الأبيات زخرفة تتمثل بصفوف من المشكاوات الآجرية البارزة. وللباب مدخل على هيئة إيوان عريض مدبب، تزينه حلية بنائية تتألف من ضفيرة محززة، ومن المؤسف أن معظم مباني هذه المدرسة أزيل قبل نحو نصف قرن، فلم يتبق منها إلا بقايا إيوانها الداخلي، وهذه البوابة الأثرية الجميلة، ثم تهدم أولهما في ثمانينات القرن الماضي، بينما هُدم الباب في 2006، وأزيل في الوقت نفسه مبنى جامع النعمانية المجاور، وبقيت منه مئذنته الجميلة، ثم أدمجت أرضه بأرض المدرسة السليمانية الزائلة، وشيد عليهما مسجد حديث احتل المساحة كلها، باسم (مسجد السليمانية) ولما يزل عامراً والحمد لله.

وتكشف الاوقاف التي خصصها سليمان باشا على مدرسته عن جسامة العقارات التي كان قد اشتراها أو أنشأها ووقفها عليها، وتشمل مجموعة من المنشآت التجارية في بغداد وفي النجف، تتمثل بخانات كبيرة، وأسواق (قيصريات)، ودكاكين، ومقاهٍ،

(1) كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الإجداد، بغداد 2006، ص46.

(2) كتابنا: محمد سعيد الزهاوي، مفتي بغداد، أربيل 20009، ص8.

وأراض زراعية خارج أسوار بغداد الشمالية، وأخرى في الجانب الغربي منها. وعيّن أوجه الانفاق، ومقادير رواتب الموظفين، والترميم، وجعل راتب المدرس 125 اقجة.

المكتبة

وقف سليمان باشا على مدرسته مجموعة كبيرة من الكتب بلغ عددها 445 كتاباً، وهو عدد قريب من عدد الكتب التي وقفها على مدرسة جامع جديد حسن باشا، وعيَّن لها موظفاً خاصاً باسم حافظ الكتب وعيَّن له راتباً يومياً قدره 45 آقجة. وشرط ان «توضع في المدرسة، وبالأخص في المكتبة، وتكون بيد حافظ الكتب، يتصرف بها مستقلاً، فيحفظها ويحرسها، ويهتم بذلك، ولا يسوغ له أن يُخرجها من المدرسة البتّة، وإذا احتاج المدرس، أو الطلاب، أن يطالعوا في المدرسة فلهم ذلك. وبعد إتمام مهمتهم يعيدونها إلى محلها، ويضعونها بمكانها، وأن تُضمَن الكتب التي تفقد من حافظ الكتب». وقد ذكر إبراهيم الدروبي أن الواقف «ألحق بالمدرسة مكتبة عظيمة فيها نوادر المخطوطات القديمة»[1].

وتتألف الكتب من 24 مجموعة، يختص كل مجموعة منها بعلم محدد، وذلك على النحو الاتي:

نوع العلم	العدد
المصاحف	2
القراءة والتجويد	11
التفسير الشريف	41
الأحاديث الشريفة	43
لغة الأحاديث الشريفة (غريب الحديث)	3
في أصول الأحاديث الشريفة (مصطلح الحديث)	6
متون الفقه	25
شروح الفقه	46

(1) البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص300.

الفرائض	7
أصول الفقه	11
العقائد	18
التصوف	22
الفقه الشافعى	7
الفقه الحنبلى	1
الكلام والعقائد وأصول الدين	26
اللغات	10
التاريخ	21
الأدب	9
الصرف	15
النحو	46
الوضع والإستعارة وآداب البحث	5
المعاني والبيان والبديع	21
المنطق والحكمة	21
الحكمة الطبيعية	17
الحكمة الرياضية والحساب والاسطرلاب والهيئة والهندسة	57
الطب	5
المجموع	445

ومثلما فعل في وقفيته السابقة، فإنه صنع لهذه الكتب فهرساً مفصلاً شمل «أسماءها ورسومها وحجومها وقطع جلودها ومخطوطاتها وتعريفها» جعله ذيلا ملحقاً بالوقفية، إلا أننا لم نقف على هذا الذيل، فلم يبق لنا ألا الإحصاءات العامة التي احتوتها الوقفية ذاتها.

ومما يلفت النظر هذا التنوع الكبير في أنواع العلوم التي تتوزع عليها الكتب، وشمولها جميع أنواع المعرفة المتاحة في ذلك العصر، ففضلا عن العلوم المتصلة بالشريعة، مما كان يدرس في المدارس وحلقات العلماء، فإن الأعداد الكبيرة من كتب الحكمة الطبيعية، والحكمة الرياضية، والحساب والاسطرلاب والهندسة، والطب، يجعل من هذه الخزانة دار كتب متكاملة فعلاً، تتجاوز ما كان يُدرَّس عادة في مدارس ذلك العصر، وإذ كان للمدرسة مُدرِّس واحد، يتقاضى مُرتبه من وارداتها، فإن علينا أن نتساءل: على من كان الطلبة يتلقون هذه العلوم، ولفائدة من وقفت أصلاً، لا سيما وأن الواقف منع إخراج أي كتاب إلى خارج مدرسته، ولا يَبقَ لنا إلا أن نفترض أن علماء آخرين لهم تخصص بهذه العلوم كانوا يترددون إلى المدرسة لإلقاء محاضرات فيها، إذ لا يعقل أن يتولى مُدرِّس واحد تدريس كل هذه العلوم، وفي هذه الحال، سيكون من المعقول أن ترتب لمحاضرات العلماء الآخرين مواعيد، على وفق جدول معين، وسينتهي كل عدد من المحاضرات بمنح المدرس طلابه النابهين إجازات، على وفق تقاليد الإجازة العلمية عصر ذاك، أو ما يسمى في يومنا هذا بالشهادات، وهذا ما يجعل المدرسة أقرب إلى المدارس الحديثة إلى حد ما، ولا شك في إن هذه الأمور تحتاج إلى بحث في ضوء الإطلاع على وقفيات علمية وثقافية أخرى.

وعلى الرغم من سخاء هذه الوقفية[1]، والشروط الصارمة التي وضعها الواقف فيما يتعلق بخزانة الكتب الغنية التي ضمتها، إلا أن شيئاً من الإهمال أخذ يسري إليها، فتناقص عدد تلك الكتب، حتى لم يبق منها في أواخر القرن الثالث عشر شيئاً يعتد به، فعد السيد محمد آل جميل (المتوفى سنة 1318هـ/1900م) مكتبة المدرسة السليمانية، ومكتبة جامع جديد حسن باشا، مما أنشأه هذا الوالي، من بين المكتبات التي «لا يوجد منها ولا كتاب واحد»[2].

---

(1) لم يمض على تأسيس المدرسة ثلاث سنوات حتى وقف سليمان باشا وقفية أخرى في 23 ذي القعدة 1210هـ /1795م على المدرسة السليمانية اشتملت على سوق ملاصق لسوق القزازين، والمحادد لسوق القبوقجية، والمتضمن 33 دكاناً ومخزناً وخاناً، ثم وقف أحد المحسنين وهو أحمد أفندي بن زين الدين بن علي على المدرسة السليمانية في 28 جمادى الأولى سنة 1213هـ/1798م، وقفية أخرى، اشتملت على عقارات في بغداد والخالص والأعظمية.

(2) جريدة الزوراء، 12 شباط 1287 رومي. وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن «في هذه المدرسة أنواع الكتب العلمية المخطوطة والمطبوعة محفوظة معتنى بها" خير الزاد ص154. والذي نراه أن هذه الكتب هي ما وقفه العلماء من آل الزهاوي، الذين تولوا التدريس في المدرسة لثلاثة أجيال، لا سيما مكتبة العلامة محمد سعيد الزهاوي، وقد نقلها الشيخ أمجد الزهاوي إلى مكتبة دار

وأصل الوقفية باللغة التركية، وقد نقلها إلى اللغة العربية المرحوم المحامي عباس العزاوي[1].

[مصادقة القاضي في أعلا الوقفية]

حكمت بصحة هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعمومه، عالماً بالخلاف بين الأئمة الأسلاف، السيد محمد هاشم، القاضي ببغداد المحروسة

[نص الوقفية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الوقفية]

حمداً غير محدود، وثناء غير معدود، لواجب الوجود، ومُفيض الخير والجود، الواهب لخاص عباده زينة العقل الراسخ، وحلية الشرع الناسخ، فجعلهم مُزيَّنين بها ومُحلين فيها، وكَحّل عيون بصائرهم بكُحل الهداية جَلاّها، متى سلكوا مسالك رشاده، وجعل التوفيق رفيقهم، وهداهم لتمهيد أساس المعاش وتحقيقه، والورود العميم الورود، على روح صاحب المقام المحمود، ومصباح سرمد الوجود، ومفتاح خزانة السخاء والجود، أعني المختار بين الأنبياء والرسُل، وهادي السُبل، الرسول المجتبى محمد المصطفى عليه أفضل الصلوة وأكمل التحيات، المرجو شفاعته ولطفه وكرمه، والمأمول لأصحاب المعاصي والآثام، يوم يُؤخذ المجرمون بالنواصي والأقدام.

والتحيات الوافرة، والتسليمات العميمة لأرواح آله وأصحابه الطيبين، وذريته وأحبابه الطاهرين، الذين كل منهم واقف على الحديث الشريف، المرء يستظل تحت ظل صدقة[2]، فيختار أن ينفق أمواله وأرزاقه، وينشرها في سبيل الله، فيرجحها على سائر الأفعال، عليهم رضزان الله الملك الأكبر.

التربية الإسلامية، حيث لبثت محط عناية القائمين على هذه الدار حتى اليوم، وقد قمنا بفهرستها هناك، ونشرنا الفهرس في مجلة المورد التراثية، بغداد 1977، وأعدنا نشره في كتابنا محمد سعيد الزهاوي، حياته ومخطوطاته، أربيل 2009. ومما يؤكد أن هذه الكتب لا علاقة لها بما وقفه الواقف سليمان باشا الإشارة إلى ضمها كتبا مطبوعة.

(1) تقع هذه الترجمة في 13 ورقة، وقد اهداها الى جدي المحامي محمد رؤوف العطار، وكان صديقاً له.

(2) الحديث (وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ) مسند عقبة بن عامر حديث 195.

وبعد، فلا يخفى على أرباب الألباب، وأصحاب الآراء، أن هذه الدنيا الغدارة، دار بَوار لا تبقي ولا تذَر من بناء، وأن مقيمها مشرف على الإرتحال، ونعيمها مترقب الزوال، وهي مسكن للمصائب، ومغنى النوائب، فليست محل إقامة وسرور، ولا محل راحة الوجود، ظاهرها باهر مبين، ولباس الحياة عارية، والإنسان الكامل من أخلص العبادة لخالقه بمقتضى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون)[1] فلا يغفل، وفي حال العافية يتفكر برأي رشيد، وتدبير سديد، فيزرع بذور الخيرات في مزرعة الدنيا بمقتضى (الدنيا مزرعة الآخرة)، فيحرث بذور الحسنات، ويحصل الملكات القدسية، ويرى تكميل المعارف الأنسية، فيبذل جهده وطاقته في هذا الباب، ويتحلى بمحاسن الأفعال، ويتزكّي بالأعمال الحسنة، ليكون في المحشر محشوراً بهيئة بهية، وفي دار النعيم مسروراً بنعيم مقيم.

وعلى ذلك، لاحظ بكمال المرتبة، صاحب الخيرات والحسنات، وطالب المبرات والصدقات، حلال مشكلات الخطوب، ودفاع معضلات الكروب، موفق خبايا الأمور، المدبر بعميق الشعور، مفتاح كنوز التوفيق، مريد الخير للبلاد والعباد، ذو الحمية على فقراء بغداد خاصة، الداعي لحدود الله، المانع رسوم الملاهي، الوالي ذو الشأن لبغداد والبصرة، الوزير المتيقظ الباهر النُصرة، ولي النعم، عليُ الهمم، جزيل الأيادي، عميم الكرم، صاحب الدولة والعناية سليمان باشا، أعلى الله شانه، وصانه مما شانه، لا زالت أقطار العراق في الآفاق مشرقة بأنوار مَعدَلته، ومناشير الأمن منشورة على صفحات الأيام بدولته، ما أحسن الله رب الأملاك، حلّت عظمته، وعلت قدرته، عليه من نعمٍ جميلة، ومِنَن جزيلة، لم يغفل الأمر الشريف (أحسن كما أحسَن الله إليك) وراعى بإدراكه السريع، وقلبه السليم (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)[2]، ومشى بمقتضى مضمون الحديث الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علمٌ يُنتفع به، أو صدقة جارية، أو ولدٌ صالح يدعو له)، فرغب أن يسلك في سلك أرباب الحينات الجارية، وأصحاب الصدقات الباقية، فقد وكل وهو في حال نفاذ تصرفاته الشرعية، بالإقرار بالوقف الآتي البيان، الصادر من طرفه الباهر للشرف، بالوكالة الثابتة بالثبوت الشرعي، بشهادة قدوة العلماء الكرام، مفتي بغداد حالاً، ذي الفضيلة الحاج إسماعيل أفندي، ومفتي الشافعية حالاً ذي السماحة محمد أمين أفندي، وقدوة

(1) الذاريات 56.

(2) النحل 95.

السادة النجباء الكرام، نقيب الأشراف حالاً، ذي السيادة السيد الحاج عبد الرحمن أفندي، وخطيب الإمام الأعظم حالاً، والهمام الأكرم رحمه الله، ذي السيادة السيد طه أفندي، وسادن الإمام الأعظم حالاً عبد الله أفندي الراوي، ونائب الحلة حالاً الحاج محمد صالح أفندي. وعهد الوزير المشار إليه بالوكالة إلى خازنه، فخر الأماثل والأقران، عبد الله آغا ابن سليمان، وأن الواقف المشار إليه، نصب في مجلس الشرع الشريف الأنور، ومحفل الدين البين المطهر، لأجل التسجيل، وإجراء لوازم وتكميلها، دفتري بغداد حالاً، عمدة أصحاب التحرير والقلم، وزبدة أرباب التسطير والرقم، ذا النجابة السيد عبد الغفور أفندي، فأقر بمحضره إقراراً صحيحاً شرعياً، واعترف اعترافاً صحيحاً مرعياً، قال:

[وصف المدرسة]

إن موكلي الوزير المشار إليه قد وقف ما هو تحت تصرفه الآن العَرَصَة التي بناها وأنشأها مدرسة، وهي الكائنة بمدينة بغداد دار السلام، في محلة الشيخ نجيب الدين قدس سره المعين، المحدودة من جهة بالمسجد الشريف العزيز المشار إليه، ومن جهة بجامع النعمانية المنيف، ومن أخرى بالعرصة التي هي ملك موكلي[1]، وبالطريق العام، وتحتوي على حُجرتين تحتانيتين في يسار بابها من جانب القبِلة، وحُجرتين فوقانيتين، وإيوان، وفي يمينها خزانة الكتب، وفي يسارها غرفة التدريس، وتحتها ثلاث حجرات، وسرداب كبير، وباتصالها حجرة، وفي شمالها إيوان كبير، وباتصاله حجرة صغيرة طولانية، وفوقها سلَّم، وفي وسطه حجرة منيرة طولانية، وعن يمين الباب سلم وتحته حجرة للأباريقي، ومزملة حجرية، وفي الناحية الشمالية طاقان صغيران يقال لهما (نيمكار)[2]، وساحة تبلغ عشرين ذراعاً ونصف الذراع، وعشرين ذراعاً عرضاً، ذلك ما تشتمله المدرسة، فوقفها الوزير المشار إليه خالصة لوجه الله رب العالمين، ومخلصة لمن لا يضيع أجر المحسنين، وحبسها حبساً صريحاً مرعياً.

---

(1) انتقلت ملكية هذه العرصة إلى حسين خيَوكه، المعروف بحسين كهية، وحينما توفي باعها وصيه السيد أحمد أفندي خطيب الإمام الأعظم، إلى الحاجة نازندة خاتون، وشيد عليها والي بغداد عبد الرحمن باشا المدرسة الرشدية العسكرية سنة 1296هـ/1879م، وبعد الاحتلال البريطاني جعلت مدرسة للمعلمين، ثم معملاً عسكريا بريطانيا، لكنه احترق، فأنشأت وزارة المعارف في ارضه المدرسة الإعدادية سنة 1340هـ/1927م، ولما تزل هذه الإعدادية عامرة حتى اليوم. العقد اللامع ص144.

(2) مصطلح فارسي من نيم بمعنى نصف، وكار بمعنى عمل.

[العقارات الموقوفة]

ثم أخرج من سلك ملكه خان السرّاجين الواقع بقرب السراي في مدينة بغداد، بما يشتمل عليه من الحد الفوقاني والتحتاني، بحُجره المعلومة وتوابعه ولواحقه، وكذا ما يتصل به في سوق السراجين من الدكاكين التي هي بصفين، في صف منها خمسة عشر دكاناً وقهوة، وبإتصالها دكة ونصف دكان، المحدودات بالحدود الأربعة، أحدها دار مصطفى آغا طويق زاده، وثانيها دكاكين المزبور، ومن جهة أخرى العرضحالاتية[1]، ومن جانب آخر الطريق العام، وتجاهها في الصف الآخر ثمانية عشر دكاناً متصلة بدكة القهوة المذكورة، المحدودات من جهة بالسراي، ومن أخرى بدكان وقف الإمام عبد الله عليه الرحمة، ومن جهة ثالثة بباب السراي، وأخرى بالطريق العام. وأيضاً خان المدرسة[2] المعروف بهذا الاسم، وهو الخانان الواقعان ببغداد في رأس الجسر، المحدودان بسوق الخياطين[3] والخُردَه فَروشية[4]، وبالكُمرك[5]، وبدجلة العظمى، وبسوق التحميس. وأيضاً خان التتن الذي باتصاله مع مخزنه الذي اتخذ قيصرية، وبقرب باب الكُمرك[6]، المحدود منَ جهة بالخان المذكور، ومن أخرى قسماً بقهوة السيد أحمد الأورفه لي، ومن جهة بسوق وقف الشيخ شهاب الدين عليه الرحمة[7]، وبشارع السوق، وبدكان درويش قاسم، وبالقهوة التي هي وقف جامع الصاغة[8]، ومن جهة أخرى بالطريق العام، وهذه القيصرية المتخذة جعلت بها بابان أحدهما بقرب الكمرك،

---

(1) مصطلح من العربية (عرض حال)، وهم كاتبو العرائض التي يرفعها الناس إلى السلطات، وهذه هي المرة الوحيدة التي يرد ذكر هذه المهنة في العصر العثماني، كونهم لهم مكان محدد في سوق قريب من السراي.

(2) هي المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله، وحينما أهمل أمر التدريس منها، تحول فناءها المتسع إلى خانين، هما اللذين وقفهما الواقف هنا.

(3) هو السوق الذي عرف بسوق البزازين.

(4) مصطلح فارسي بمعنى باعة الخردوات.

(5) شغل كمرك بغداد في العصر العثماني جانباً من مبنى المدرسة المستنصرية.

(6) هو باب المدرسة المستنصرية نفسه.

(7) أنشأ هذا السوق والي بغداد حسين باشا السلاحدار سنة 1086هـ/ 1657م وجعله وقفاً على مشروع كبير لايصال مياه الشرب من شاطئ دجلة، عند شريعة الميدان، إلى السقاية التي أنشأها عند جامع الشيخ عمر السهروردي عند سور بغداد الشرقية.

(8) وقد سمي في وقت تال بجامع الخفافين، وما زال يعرف بهذا الاسم، وهو أقدم مسجد عامر في بغداد، وكان يعرف في العصر العباسي بمسجد حظائر الشوك، شيدته السيدة زمرد خاتون المتوفاة سنة 599هـ/1202م، زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي، وقد جدد مرات عديدة.

والأخرى برأس السوق الموقوف على ساقية الشيخ شهاب الدين عليه الرحمة، ويتصل بهذه القيصرية الدكان الذي نصفه محدود من جهة بدكان ملا آحمد، ومن أخرى بالقيصرية المذكورة، ومن جهتيه بالسوق السلطاني[1] والمنتهي به، والمُتَّخذ داخله قهوة، وبابه من رأس السوق وقف لساقية الشيخ المشار إليه، وبباب القيصرية المذكورة وقد فتح عند اتصالها، ويقع تجاه حان جِغال زاده[2]، والتي النصف الآخر الدكان على حاله، فصار دكاناً، وأضيف ذراع ونصف سلطاني من دكان ملا أحمد الواقع باتصاله إلى القيصرية، وكذا حديقة السيد أحمد آغا المحتوية على دارَين، وأشجار مثمرة وغير مثمرة، ونخيل وفسيل، المحدودة من جهة بهور الغرق[3]، وبحديقة العيوازية[4]، وبدجلة العظمى، وبحديقة جامع العادلية الشريف[5]، وتقع خارج باب الإمام الأعظم[1] الذي

---

(1) لم تتوضح هوية هذا السوق، ولكن وردت الإشارة إليه في وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله المؤرخة في 26 محرم 1098هـ/1686م.

(2) خان كبير أنشأه والي بغداد سنان يوسف باشا جغاله زاده (998- 995هـ/1586-1597م) (999-1001هـ/ 1093م)، في مطلع ولايته الثانية، وقد عرف باسم خان جغال، وخان جغان، وعرف أيضاً بخان الصاغة بسبب إشغال أهل هذه المهنة بعض دكاكينه، ثم كان أن اشتراه اليهودي مناحيم صالح دانيال وشركاؤه فنقضوه وشيدوا مكانه سوقين جديدين، عرفا بسوق دانيال، ولم يبق من الخان المذكور سوى لوحة من القاشاني المزجج بالأزرق كتبت عليه عبارة تفيد إنشائه سنة 999هـ. العقد اللامع ص331..وكان هذا الخان يعد من حدود السوق الذي أنشأه حسين باشا السلاحدار وقفاً على ساقية الشبخ عمر السهروردي.

(3) هور الغرق: هور كبير وردت إشارة إليه في وقفية ارسلان باشا بن علي الديوه جي المؤرخة في 3 رجب 1169هـ بوصفه الحد الذي ينتهي إليه البستان البرانية التي وقفت على مسجد الشيخ محمد الطيار، كما أشير إليه في وقفية بشير آغا معتق والي بغداد الوزير أحمد باشا على جامع العادلية المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1175هـ حيث جاء فيها أنه «وقف مقاطعة الوقف القديمة الواقعة خارج باب الإمام الأعظم في الجهة الشمالية من قصبة الإمام المشار إليه بجوار نهر دجلة العظمى.. والمحدود شرقاً بالطريق العام المعروف باسم طريق ينيجه المكون الحد الفاصل بين هور عَرَق وأراضي الدواليب الأخرى". قلنا وقد لبثت بقية من قصب هذا الهور موجودة في ساحة المجمع العلمي العراقي حتى سنة 1970 حيث أزيلت عند الشروع بتشييد مبنى المجمع الحالي.

(4) بستان كبيرة أشير إليها في وقفية صادق بك بن سليمان باشا على ذريته في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ وهي تقابل بستان له، وتعرف أيضاً باسم العيواضية والعلوازية، وهي من محلات بغداد اليوم.

(5) كانت السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد الوزير أحمد باشا، وزوجة واليها سليمان باشا الأول الملقب بأبي ليلة، قد أنشأت جامعين في بغداد، أولهما جامع العادلية الصغير وكان يقع

هو أبواب حصن المدينة، وكذا النصف الآخر من الحديقة المتصلة بها، وهي حديقة العيوازية المحدودة بالحديقة المذكورة[2]، وبدجلة العظمى، وبالطريق العام، وبهور الغرق، وتحوي أشجاراً مثمرة، وبئراً مطوية، وكذا الحديقة التي بقرب جامع القمرية[3]، ودار الحرم بجميع ما تشتمل عليه من توابع ولواحق المحدودة بالحدود الأربعة، وهي من بعض الجهات الطريق العام الوارد إلى دجلة العظمى من جهة جامع قمرية، ومن البعض الآخر قهوة حبيب بك بن عبد الله بك الشاوي، وبعضاً دار ملك الحاج داود، وبعضاً المنزل المملوك للحاج عبد الكريم بك، وبعضاً دار طعمة، والطريق العام المار من جهة خضر الياس، وينتهي بدجلة العظمى.

وكذا الخانان الكبير والصغير المتصل بعضهما ببعض، مع القهوة والبزارخانه والسوق الكائنات كلها في قصبة الحسين رضي الله عنه، من مضافات بغداد، المحدودات قبلة بحديقة السيد محمد غياث، ودار عباس التي أرضها تعود لآل دراج، وملك محمد صالح الكاتب، وأيضاً خرائب وقف آل دراج، وجبلا بأملاك الكاتب محمد صالح، ومحمد ذنولي، ومريم بنت ابن عرب، وغربا بملك السيد مرتضى النقيب، وبالطريق العام. وإن الخان الكبير فيها المشتمل على ساحة بعرض 40 ذراعاً من جهة الغرب، و35 ذراعاً قبلة وجبلاً، وفيه 33 حجرة فوقانية، و13 تحتانية، وفيه اصطبل مستدير من أطرافه الثلاثة، وفيه بئر ماء، وأما الخان الآخر الصغير فيحتوي على ساحة طولها من جهة القبلة والجبل 45 ذراعاً، وعرضا من جهة الشرق والغرب

في أرض مرأب الرصافي، مقابل مبنى المتحف البغدادي، وجامع العادلية الكبير، ويقع في راس القرية على شارع النهر (المستنصر) مقابل مبنى المحكمة الشرعية القديمة (أزيلت سنة 2012)، وبينما ظل الجامع الأخير ماثلا حتى اليوم، أزيل الجامع الأول بسبب توسعة شارع المأمون المؤدي إلى الجسر، فسعى متولو وقفيتها إلى إنشاء جامع حديث باسم جامع عادلة خاتون في الطرف العلوي للأرض الواسعة التي وقفتها على جامع العادلية الصغير الزائل، والمعروفة باسم أرض أو بستان الصرافية.

(1) وقد عرف فيما بعد بباب المعظم وهو الباب الشمالي لبغداد وكان يعرف، منذ تشييده في أواخر العصر العباسي ولمدة بعده، بباب السلطان بسبب مقابلته دار السلطنة السلجوقية وموقعها في أسفل محلة العلوازية الخالية؛ هدم هذا الباب سنة 1923م.

(2) يريد بستان الصرافية التي كانت موقوفة على جامع العادلية الكبير، وفي طرفها الأعلى شيد جامع عادلة خاتون الحديث.

(3) هذه الحديقة هي يقوم على ارضها اليوم مستشفى الولادة في الكرخ في الجانب الغربي من بغداد.

33 ذراعاً، وفيه 25 غرفة فوقانية، و8 تحتانية، ومن ثلاثة أطرافه آخور[1] مستدير مع بئر ماء، وأما البزارخانه فإنها تحوي غرفتين فوقانيتين، ومخزناً تحتانياً، وساحة مع بئر، وكذا بين الخان الكبير والبزارة مخزن بطول 19 ذراعاً، وبعرض 6 أذرع. وأما السوق فهو بطول 21 ذراعاً، وبعرض 14 ذراعاً، وداخله قهوة ملاصقة للخان، ويشتمل على 7 دكاكين. وكذا العقارات الكائنة بمقابل المحال المذكورة، المحدودة بملك الدده، والحاج علي، وبمطبخ تكية البكتاشية[2]، وبتكية البكتاشية المذكورة، وبملك السيد دخيل، وبالطريق العام. والبزارة الأخرى داخلها مخزن وحوش، ونصف بئر ماء المشترك مع السيد دخيل، وثلاثة دكاكين وقهوة.

[وقف الكتب]

وأيضاً الكتب التي داخل المكتبة تحت تملك مُوكّلي الوزير المشار إليه، المبين أوصافها وأسماؤها ورسومها وحجومها وقطع جلودها ومخطوطاتها وتعريفها بموجب المرفق المبين في ذيل الكتاب، وهي: جلدان من القرآن العظيم، مجلدان ومجدولان و11 جلداً في علم القراءة والتجويد و41 جلداً في التفسير الشريف و43 مجلداً في الأحاديث الشريفة و3 مجلدات في لغة الأحاديث الشريفة و6 مجلدات في أصول الأحاديث الشريفة و25 جلداً في المتون الفقهية الشريفة و46 جلداً في شروح الفقه الشريفة. و7 مجلدات في علم الفرائض و11 جلداً في أصول الفقه الشريف و18 جلداً في الفقه الحنبلي و24 جلداً في التصوف و7 مجلدات في فقه الشافعي. و1 جلد في فقه الحنبلي. و26 مجلداً في علم الكلام والعقائد وأصول الدين. و10 مجلدات في اللغات. و20 مجلداً في التاريخ. و9 مجلدات في الأدب. و15 جلداً في علم الصرف. و46 جلداً في النحو. و5 مجلدات في علم الوضع والإستعارة وآداب الحديث. و21 جلداً في علم المعاني والبيان والبديع. و21 جلداً في الحكمة والمنطق. و17 جلداً في الحكمة الطبيعية. و57 في الحكمة الرياضية والحساب والأسطرلاب والهيئة والهندسة. و5 مجلدات في علم الطب. فيكون من حيث المجموع 445 مجلداً من الكتب.

---

(1) الآخور: تركية بمعنى اصطبل.

(2) تكية كانت تقع عند باب القبلة على يمين الداخل الى الصحن الحسيني وعرفت ايضا بتكية الدده نسبة للقب مؤسسها ودفينها، عبد المؤمن دده، ومن أهم من دفن فيها الشاعر التركي الكبير فضولي.

[رواتب موظفي المدرسة]

والحاصل أن المدرسة المذكورة، والعقارات المحدودة المرقومة، والكتب المرسومة، كل هذه أطرحها الوزير المشار إليه من ملكيته، ووقفها حسبة لله تعالى، وقفاً صحيحاً مؤبداً، وحبسها حبساً صريحاً مخلداً، وشرط وحدد وعين ذلك بأن العقارات المرسومة تؤجر بأجر مثلها، فيؤخذ من غلتها

للمدرس يومياً 125 آقجة[1].

ولحافظ الكتب 45 آقجة.

وللفراش 15 آقجة.

وللبواب 15 آقجة.

وللأباريقي 10 آقجة.

و40 آقجة للشمع والزيت، وللشراب والأقداح والأباريق تصرف بنظارة المدرس.

ولسيد الشهداء... 30 غرشاً رومياً[2].

وبمرور الأيام إذا احتاجت المدرسة المرسومة تعميراً، فإنه تُعمَّر من فضلة غلات الوقف ما يلزم للتعمير والترميم، وبقية غلات الوقف تقسم بين أولاد حضرة الوزير المشار إليه، وأولاد أولاده طبقة بعد طبقة، ونسلاً بعد نسل، للذكر مثل حظ الأنثيين، وبعد الإنقراض- حاشا ثم حاشا!- تُصرف غلة الوقف المرسوم على فقراء المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأشرف التسليمات، وأن يكون الواقف المشار إليه متصرفاً مستقلاً، وبمقابل التولية يأخذ مائتي آقجة. وما دام مكتسياً بكسوة الحياة أبقاه الله إلى مديد الزمان، تبقى التولية بيده، ويتولاها بنفسه مدة بقائه في هذه الدار الفانية، وله حق أن يرى عامة أمور الوقف المزبور، فيتعهد مصالحه المذكورة، ويعزل

(1) آقجة نقد عثماني يعزى ضربه إلى السلطان أورخان سنة 729هـ/1335م، ومعنى آقجة (المبيضة) أي البيضاء لغلبة الفضة على معدنها، ثمم انخفضت قيمتها بانخفاض نسبة الفضة في عيارها، في عهد الواقف، إلى دون النصف. ينظر كتابنا، الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص524.

(2) الغرش الرومي، ويسمى أيضا القرش الشامي، ضرب من الغروش، مرتفع القيمة، كان يساوي في عهد الواقف قرشاً (عين) ثم انخفضت قيمته في عهد داود باشا حتى بلغ ثلاث قروش عين، واستمر بالانخفاض بعد ذلك. ينظر الموصل في العهد العثماني، ص555-560.

وينيب أرباب الوظائف، وأن يزيد في المصارف، ويبدل ويغير ويستبدل،ويحول ويكثر سائر الأمور منفرداً ومستقلاً ما دام لابساً ثوب الحياة، فيقوم بالتولية المشار إليه، وبعد أن يفارق حياته، ويجيب داعي لقائه بربه، يتولى أرشد أولاده التولية، وأن يأخذ من غلة الوقف مائتي آقجة على ما هو مشروط.

[شروط المكتبة]

والكتب الموصوفة، والمرسومة، والمعدودة، توضع في المدرسة، وبالأخص في المكتبة، وتكون بيد حافظ الكتب، يتصرف بها مستقلاً، فيحفظها ويحرسها، ويهتم بذلك، ولا يسوغ له أن يُخرجها من المدرسة البتَّة، وإذا احتاج المدرس، أو الطلاب، أن يطالعوا في المدرسة فلهم ذلك. وبعد إتمام مهمتهم يعيدونها إلى محلها، ويضعونها بمكانها، وأن تُضمَن الكتب التي تُفقد من حافظ الكتب.

[المصادقة على الوقفية]

وبعد أن بين هذه القيود والشروط، سَلَّم المدرسة المذكورة، والعقارات المحدودة المرقومة، والكتب الآنفة الذكر، إلى المتولي الموما إليه السيد عبد الغفور أفندي، فتسلمها وقبضها، وعند التصديق الشرعي، وتحققه شفاهاً، وتأييد المتولي الموما إليه ذلك، فإن وكيل الواقف المشار إليه عبدالله آغا، أعاد الكلام، مبيِّناً أن موكلي الواقف الوزير المشار إليه أسبغ – الله نعمه عليه– رأى إن وقف العقار والمنقولات لا يَلزم، وأن القضية خلافية، فتصدى للنزاع — وهو عارف به، كما هو قول الإمام الأعظم والهمام الأكرم، النعمان بن ثابت الكوفي، جُوزي خير الجزاء، وهو من المجتهدين الذين أسسوا أركان الإجتهاد، واستنبط الأحكام على بنيان قويم، من أن الوقف صحيح وغير لازم، وأما الإمام الثالث محمد بن الحسن الشيباني، فإنه يرى وقف المنفعة على نفسه ما يجعل الوقف غير صحيح، فدعا أن يرجع مُوكِّلي عن الوقف فرجع، ومن ثم أدخل المدرسة المذكورة والعقارات والكتب المذكورات إلى ملكيته، وطلب استردادها، وقال ذلك وتوجه نحو المتولي، وأدى إلى المحاجة والمشادة، فعارضه المتولي مُتَّبعاً آداب البحث، والأسلوب الحكيم المُعوَّل عليه، فوجه خطابه إليه، وامتنع من قبول ما أبداه، وبيَّن له أن قول الإمام الأول أبي حنيفة ما ذكر بالوجه المبسوط، ولكن الإمام الثاني أبا يوسف فإنه يرى صحة الوقف بمجرد القول بوقف فيكون معتبراً، والإمام الثالث محمد بن الحسن الشيباني يرى لزوم الوقف بالتسليم إلى المتولي يصبح صحيحاً لازماً، وعلى رأي الإمامين الهمامين لا يصح الرجوع عن الوقف، ولا يسوغ شرعاً رجوع الوزير

المشار إليه، مما أدى إلى النزاع بينهما، فترافعا وطلبا من حاكم الشرع الموقع في صدر الكتاب، طوبى له وحسن مآب، أن يَفصِل النزاع ويحسمه، إن حاكم الشرع المشار إليه رأى أن تمهيد قواعد الخير أولى، وتشييد مباني الوقف أحرى، عالماً بالخلاف، ومُراعياً لما يجب رعايته في الحكم بالأوقاف، فحكم أولاً بصحة الوقف، وثانياً حَكم حُكماً شرعياً، وقضى قضاء صريحاً مرعياً بلزومه، وأن يكون حبساً صريحاً محتماً، فمن بدله بعدما سمعه، فإثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم، وأجر الواقف على الحي الجواد الكريم، تحريراً في اليوم الثاني من شهر شوال المكرم سنة ست ومائتين وألف هجرية.

الشهود:

1- نقيب الأشراف حالاً صاحب السيادة السيد الحاج عبد الرحمن أفندي بن المرحوم السيد فيض الله أفندي

2- مفتي الشافعية حالاً صاحب السماحة محمد أمين أفندي بن المرحوم عبد السلام أفندي

3- مفتي الحنفية حالاً صاحب الفضيلة الحاج إسماعيل أفندي بن المرحوم الحاج محمد أفندي

4- نائب الحلة حالاً صاحب الفضيلة الحاج محمد صالح أفندي بن المرحوم عبد اللطيف أفندي

5- سادن الإمام الأعظم حالاً صاحب الفضيلة عبد الله أفندي بن الحاج محمد أفندي الراوي

6- خطيب الإمام الأعظم صاحب السيادة السيد طه أفندي

7- محمد أمين أفندي ابن محمود أفندي مفتي الشافعية

8- السيد سلمان أفندي بن المرحوم السيد عبد الله أفندي

9- صاحب الفضيلة محمد أسعد أفندي بن عبد الله أفندي آل صبغة الله أفندي

10- صاحب النجابة أحمد بك بن صالح بك

11- حسن بك بن صالح بك

12- صاحب النجابة الحاج صالح آغا بن عبيد الله آغا آل عبد الجليل

13- الحاج أبو بكر بن رمضان الموصلي

14-ملا عبد الرزاق بن محمد أفندي

15- السيد أبو بكر ابن السيد إسماعيل أفندي القادري

16- الحاج عبدالله الأعظمي بن حسين

17- السيد أيوب بن السيد أمين الأدهمي

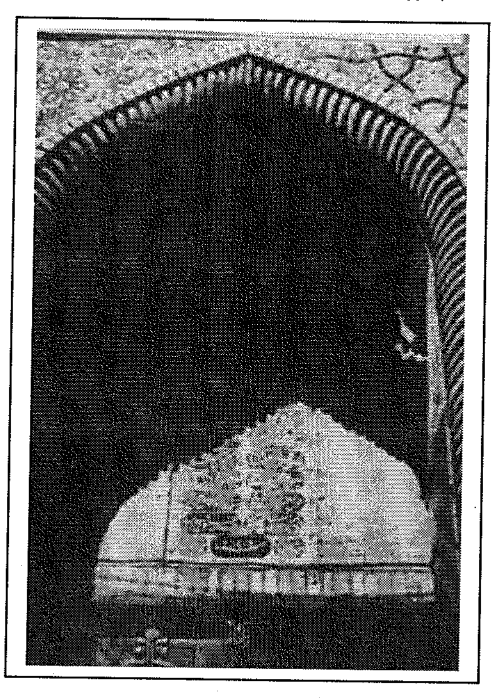
18- حموش آغا بن الحاج يوسف

19- السيد أحمد بن السيد حسين الموصلي

20- إبراهيم آغا المحضر باشي بن عبد الله آغا

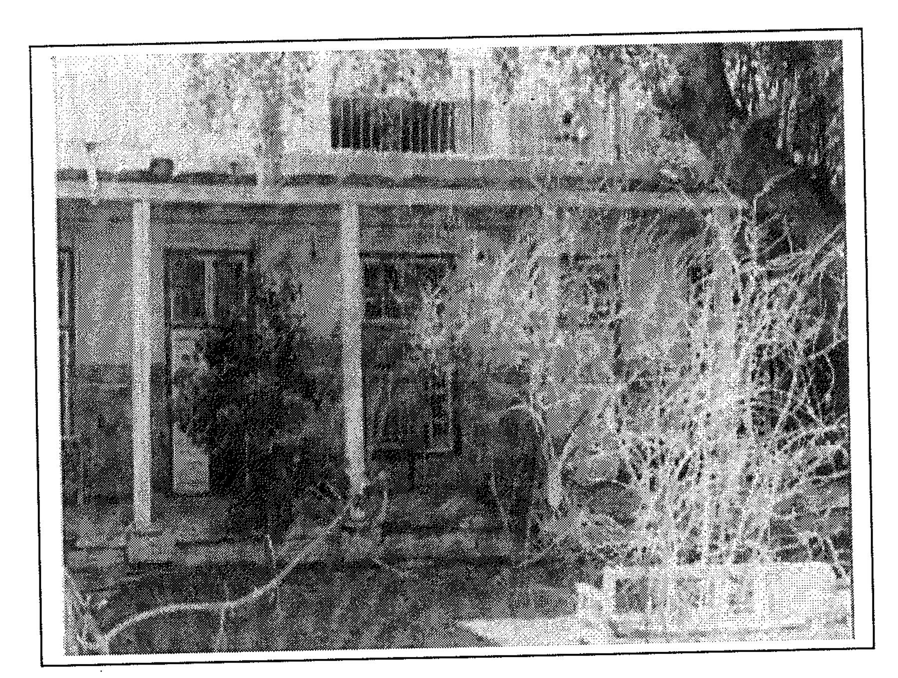
21- ملا عبد الرحمن بن ملا مصطفى

22- إسماعيل النائب ببغداد

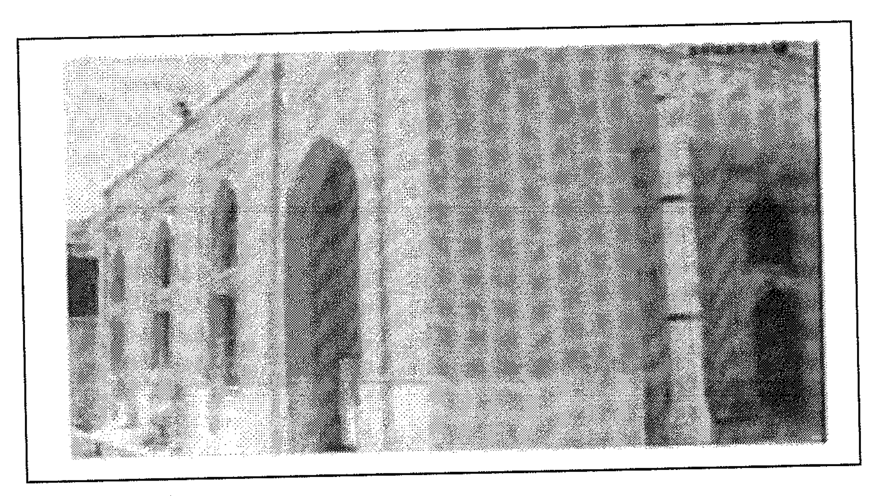


الكتابة التذكارية على بوابة المدرسة السليمانية المندثرة

بعدسة كاتب البحث 1989

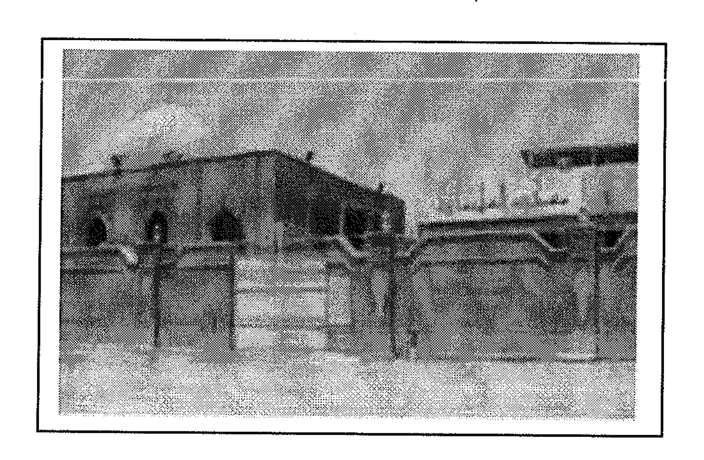


بعدسة كاتب البحث 1989



مسجد السليمانية الحديث (حيث كانت تقع المدرسة السليمانية)

بعدسة السيد زين النقشبندي



مسجد السليمانية الحديث

وقفية داود باشا
نص وتحقيق

ولد داود باشا في مدينة تَفليس عاصمة جيورجيا سنة 1188هـ/1774م، وقيل سنة 1190هـ/1176م، وسرقه النخاسون من أهله ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وجيء به إلى بغداد، حيث اشتراه مصطفى بك الربيعي أحد وجهاء بغداد عهدذاك. ثم وهبه هذا إلى خزندار بغداد سليمان بك، حيث شرع داود بتلقي العلم على كبار علماء المدينة حتى نال الإجازة العلمية من أكثرهم، كما نبغ في الأدب، ونظم الشعر البليغ بالعربية[1] والتركية. يقول إبراهيم فصيح الحيدري «وقد دَرَس هذا المشير قبل وزارته وفي أثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة، وأخذ عنه عدة أعلام». ولما صار سليمان بك (باشا) والياً 1193-1217هـ/1779-1802م عيَّن داود في منصب (الدفتردار) وهو المسؤول عن سجلات الولاية وارداتها من الضرائب الزراعية خاصة، فلبث فيه إلى نهاية ولاية سعيد باشا بن سليمان باشا (1228- 1231هـ/1813-1815م)، ولما بلغه سعي هذا الوالي الى عزله، سارع هو بالخروج من بغداد ثائراً، حيث التمس العون من أمراء البابانيين في شهرزور، وكتب الى الدولة يُعلمها بضعف سعيد وسياسته الطائشة، ملتمساً توجيه الحكم اليه، فنجح في إقناع الدولة بوجاهة مطلبه، وحصل بالفعل على فرمان يقضي بعزل سعيد باشا وبتعيينه هو والياً على بغداد وتوابعها، ودخل بغداد والياً في 2 محرم 1232هـ/21 كانون الأول 1811م، وقد تميز عهده باهتمام واسع بالحركة العلمية والأدبية، تجلى بظهور عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، وبنشاط حركة التأليف في معظم علوم العصر، وكانت هذه الحركة تحظى بتشجيع داود باشا نفسه.

ومما تميَّز به أيضاً عنايته بالحركة العمرانية، فكان أن جدَّد، ووسع، معظم مساجد بغداد، وألحق ببعضها المدارس وخزائن الكتب، كما أنشأ عدداً من المنشات العامة ذات النفع العام، ووقف عليها العقارات العديدة لينفق من رَيعها على تلك المنشآت[2]. وتُعد

---

(1) تنظر نماذج عديدة من شعره بالتركية في عبد القادر الشهرباني: تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص39- 56.

(2) ألف في سيرته كتابان مستقلان، هما (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود) لعثمان بن سند البصري الوائلي، و(دوحة الوزراء في سيرة الوزراء) لرسول حاوي الكركوكلي، وترجم له ولمعاصريه من الأدباء عبد القادر الشهرباني: تذكرة الشعراء، وقد تقدم، وتناثرت أخباره في

وثائق الوقفيات الخاصة به نصوصاً بالغة الأهمية ليس في تاريخ ما أنشأه أو جدده منها، وإنما في الكشف عن تفاصيل ثروته من العقارات المتنوعة المتمثلة بما سجلته تلك الوثائق.

وعلى الرغم من أن أعمال داود العمرانية شملت معظم مساجد بغداد القائمة في عهده، إلا أنه تبقى إعادة بنائه لجامع الحيدرخانه أكبر اعماله العمرانية وأهمها على الاطلاق.

يرقى أصل هذا الجامع الى عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وكان يتوسط بحسب خطط ذلك العهد محلة واسعة وكثيفة السكن من محلات بغداد هي محلة سوق الثلاثاء وكان هذا السوق يمتد من سوق السلطان، حيث برز سوق الميدان في القرون التالية، حتى يصل الى باب دار الخلافة العباسية، وهو باب النوبي، الواقع قرب جامع مرجان العالي، وقد عُرف في عهد تأسيسه بمسجد درب الخبازين لوقوعه في مدخل درب كبير اشتهر بكثرة الخبازين فيه، ثم عرف الدرب في العهد العثماني بمحلة العاقولية نسبة الى جامع وقفه ودفن فيه العلامة جمال الدين عبدالله العاقولي المتوفى سنة 728هـ/1328م. ومن الواضح أن خراباً عم هذا المسجد حتى صار أرضاً خالية، فطمع بالاستيلاء عليها بعضهم، فما كان من أحدهم ويدعى (حسن) إلاّ أن أسس فيها مسجداً جديداً، سنة 1207هـ/1792م أطلق عليه اسم محلته فعرف بمسجد الحيدرخانة[1]

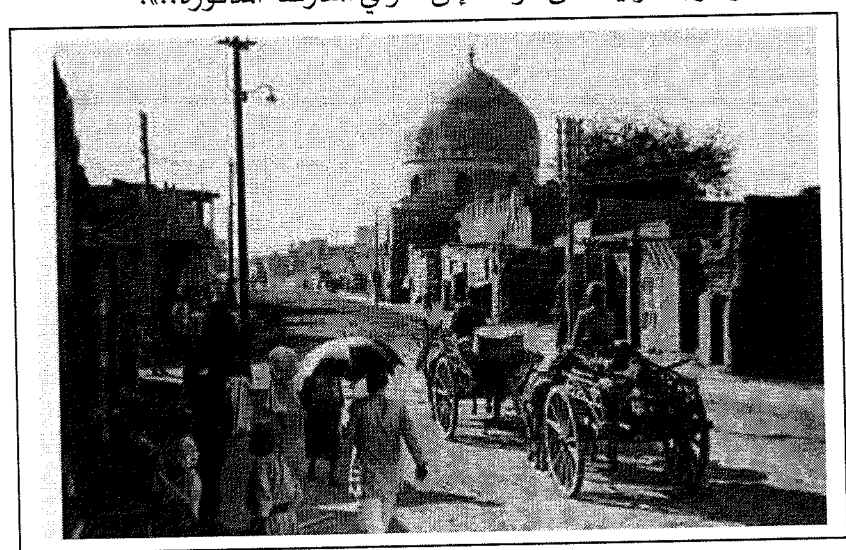
التفت داود باشا الى هذا المسجد، فأنشأ فيه مدرسة، ووقف عليه عقارات كثيرة في وقفيات عدة مؤرخات بتواريخ مختلفة.

كتب المعاصرين، في مقدمتهم محمد الامين السهروردي في (نزهة الادباء)، بتحقيقنا، ص62- 97 وسليمان فائق: مرآة الزراء في سيرة الوزراء، وألف في سيرته من المحدثين الدكتور عبد العزيز سليمان نوار كتاباً بعنوان (داود باشا والي بغداد) القاهرة 1968، والدكتور يوسف عز الدين رسالة بعنوان (داود باشا ونهاية عهد المماليك)، بغداد 1967.

(1) ينظر محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الآثري، بغداد 1924، والآلوسي نفسه: مقتطفات جمعها أنستاس الكرملي في كتابه (اللمع التاريخية) حققه طارق الحمداني وحكمت رحماني، بغداد 2015، ص98- 105 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص242 ومحمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقما، ص242 وإبراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958 ص304 وكتابنا معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2، بغداد 2016 ص178-182.

ففي وقفيته المؤرخة في غرة محرم 1234 هـ/30 تشرين الأول 1818م نقرأ أنه «أما بعد فإن الوالي على أمور ولاية بغداد والبصرة وشهرزور الحالي الوزير المكرم.. داود باشا.. وكل عنه..المسجل الشرعي محسن أفندي بن صالح أفندي.. وأقام بمواجهة المتولي المسجل الشرعي عن الوزير المشار إليه.. نجيب آغا بن عبدالله.. قائلا: إن موكلي قد وقف الأملاك التالية المنسلكة في سلك ملكه، وهي:الدار المشتملة على غرفتين وإيوان وبستان أشجار نخيل، المحدودة من جهة بالأرض البسيطة الداخلة في بستان يوسف بك- أطال الله عمره- ومن جهة بطريق الإمام الأعظم، ومن جهة بدريونة بستان القصر.

وكذلك المقهى والدكان الملاصقان مع الدار المذكورة، قرب الإمام الأعظم رضي الله عنه، وعلى الطريق. وأخرجها من ملكه – حسبة لله تعالى- ووقفها على السبيلخانة التي أنشأها ملاصقة للعقارات المذكورة، وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً. وإنه اشترط أن تؤجر المقهى والدكان المذكوران إلى ساقي السبيلخانة المذكورة أبداً، وأن يواظب على سقي عباد الله، وأن تكون فضلة غلة الوقف، بعد التعمير والترميم مع المتولية عليه إلى مدبرته فخر المخدرات أمة الله خاتون، ومن بعدها تصرف الفضلة المذكورة لصالح المدرسة التي أنشأها ووقفها الواقف الوزير المشار إليه في سوق الحيدرخانة، وتكون التولية على الوقف إلى متولي المدرسة المذكورة..».



جامع الحيدرخانة

وقد نقض ما حوله من أسواق بسبب فتح الشارع العام سنة 1916 (صورة قديمة)

وفي وقفيته المؤرخة في 4 صفر من السنة نفسها /29 تشرين الثاني 1818م نقرأ أنه وقف عقارات متنوعة فضلا عن مواد منقولة، وكتب، هي «.. الدكاكين الأربعة الواقعة في سوق الحيدرخانة، من أسواق بغداد، المحدودة من جهة بملك الملا أحمد، ومن جهة بملك أمين آغا الجادرجي، ومن جهة بملك الحاج حسين، ومن جهة بشارع السوق، والملاصقة والمتصلة بعضها ببعض. وكذا المحل الملاصق لتلك الدكاكين والخانات الموجودة فيه، وهي: جدر[1] كبير من النحاس، وسطل كبير، وجدر زند لعمل الحلاوة، وجدر زند آخر، وجدر بابير، وجدر أبو كردان، ورحاتي واحد، وأربعة زناجير، وبشت، وجدعة مع زنجير، وميزان كبير، وتسعة حباب، وخوان كبير، ومسحاة واحدة، وتنكة واحدة، وبكرة، وشب جدعة، ومعكال واحد، وكبنك.

وكذلك المقهى الواقع في سوق الحيدرخانة، والمحدود من جهة بملك أيتام عساف، ومن جهتين بملك أمين آغا فندق زاده، ومن جهة بشارع السوق، وكذلك الدكان الواقع في سوق الحيدرخانة، المحدود من جهة بدكان وقف مدرسة ولي النعم، ومن جهة بملك قره محمد، ومن جهاين بالطريق العام.

وكذلك الدكان الواقع في سوق دنكجيلر[2]، والمحدود من جهة بملك فيض الله بن عبدالله آغا، ومن جهة بملك الحاج محمد، ومن جهة بملك عمر بن عبدالله، ومن جهة بشارع السوق.

وكذلك الدكاكين الثلاثة الملاصقة، والمتصلة بعضها ببعض، الواقعة في سوق الزنجير، والمحدودة من جهة بشارع السوق.

وكذلك الكتب المعتبرة من الفقه ستة عشر مجلداً، والحديث الشريف عشر مجلدات، ومن المعاني والكلام ثلاثة مجلدات.

وإن ..الوزير المشار إليه قد أخرج هذه الأملاك من ملكه حسبة لله تعالى، ووقفها على المدرسة الشريفة التي وفق إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة..»

وفي وقفيته المؤرخة في 15 شوال 1234هـ /16 آب 1819م «وقف ما هو تحت تصرفه التام، ومنسلك في ملكه، وهو الحصة البالغة تسعة أسهم من مجموع إثنا عشر

---

(1) عامية، يريد: القدر

(2) تقدم التعريف بأكثر هذه المواضع في دراستنا عن وقفية سليمان باشا الكبير، كما سيرد التعريف بها في تعليقنا على الوقفية الجامعة لداود موضوعة الدراسة

سهماً من البستان المعروفة بإسم بستان الفصر الواقع في قصبة الآعظمية، والمحدود من جهة بدجلة العظمى، ومن جهة ببستان سليمان بك آل فخري، وبساقية الشيخ شهاب الدين – قدس سره المتين- الموقوفة على بستان الوقف، ومن جهة ببستان الملا رجب، ومن جهة بالطريق العام.

وكذلك البئر الواقع في دولاب بستان القصر، والمشترك مع الملا رجب وإسماعيل.

وكذلك خمسة أسهم وربع السهم من أصل تسعة أسهم من الجماعة. وكذا تمام قطعة الأرض المحتوية على دولاب نبعية وشجرتي نخل، الواقعة في القصبة المذكورة، والمحدودة من جهتين بأملاك ولي النعم، والملا رجب بن سليمان، ومن جهة بملك مصطفى بن أحمد، ومن جهة بطريق العام. وقد تفضل موكلي فحدد شروط وقيود الوقف، فاشترط أن يؤجر الوقف المذكور من قبل المتولي سنة فسنة، وأن يُصرف من الغلة المتحصلة للتعميرات المقتضية في الوقف، وتعطى فضلة الغلة إلى أم ولد موكلي فخر المخدرات .. ماه جين خاتون بنت عبدالله، ومن بعدها إلى أولاد مآه جين خاتون.. وبعد انقراض الجميع.. يرجع الوقف المذكور ويلحق ويضم إلى أوقاف المدرسة الشريفة التي وفق الوزير.. إلى إنشائها وبنائها».

وفي وقفيته المؤرخة في 10 جمادى الاخرة من السنة 1234هـ/نيسان 1819م نقرأ أن «الوكيل نجم آغا بن عبدالله.. أقر .. قائلاً: إن موكلي الوزير المشار إليه قد وقف.. المقهى المعروف بإسم مقهى عباس أفندي الواقع في محلة عباس أفندي، من محلات مدينة بغداد، المحدود من جهتين لملك الملا حسين، ومن جهتين بالطريق العام.

وكذلك طاقم الحاجات الموجودة في المقهى المذكورة، وهي: ستة تخوت، وخمسة حصران جديدة، وأخرى قديمة مستعملة، وخمسة .. وأربع سجاجيد وإحرام واحد، وكركم كبير، وثلاثة أباريق وطاسة كبيرة، وصينيتان، ومقطع.

وكذلك دكان البقال الواقع في المحلة المذكورة المحدود من جهتين بملك الملا حسن كراوي، ومن جهة بملك الى حسن توتونجي، ومن جهة بالمقهى المذكورة، وكذلك دكان القصاب، ودكان الحلاق الملاصقين لدكان البقال المذكور، وكذلك طاقم الحاجات الموجودة في دكان البقال، وهي: خوان و.. وأن موكلي الوزير المشار إليه قد أخرج هذه الأملاك من ملكه ووقفها – حسبة لله تعالى- على مدبرته فخر المخدرات أمة الله خاتون، واشترط التولية إليها بيدها ما دامت حية. ومن بعدها يعود هذا الوقف

ويلحق ويضم بوقف المدرسة الشريفة التي وفق الوزير الواقف المشار إليه إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة.. ».

وفي الوقفية المؤرخة في2 ربيع الأول سنة 1235هـ/18 كانون الأول 1819م أنه «وقف الأملاك المنسلكة في سلك ملكه، وهي الدكان الواقع في سوق جُبُوقجيلر من أسواق مدينة بغداد، والمحدود من جهة بدكان جامع الوزير، ومن جهة بوقف بملك فاطمة خان، ومن جهة بدار خجة، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في خان الكمرك، المحدود من جهة بخان المدرسة الآتية الذكر، ومن جهتين بملك اليهودي المسمى الخواجة عبدالله، ومن جهة بشارع السوق؛ وكذلك الدكان الواقع في سوق القزازين، والمحدود من جهة بدكان القزاز الشيخ مهدي، ومن جهة بملك محمد أمين آغا الأعرج، ومن جهة لخان الدوكمة، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق قطني، المحدود من جهة بملك الحاج مرزه جان، ومن جهة بملك الحاج محمد جلال، ومن جهة بخان الإبريسم، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق خان بكر المحدود من جهة بدكان وقف الرسول الأكرم والجناب المحترم صلى الله عليه وسلم، ومن جهة بدكان غبدالله بن الحاج علي بن قره، ومن جهتين بشارع السوق.

وكذلك الدكان الواقع في سوق بكر المذكور، المحدود من جهة بدكان وقف حضرة قطب العارفين الشيخ عبدالقادر الكيلاني – قدس سره العزيز-، ومن جهة بجامع المرجانية، ومن جهة بدكاكين الحاجة فاطمة والحاجة زينب بنتي الحاج إبراهيم، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق العطارين، المحدود من جهة بدكان سيد عيسى، ومن جهة بدكان إسحاق، ومن جهة بخان اليهود، ومن جهة بشارع السوق.. ووقفها وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً، واشترط أن تؤجر دكاكين الوقف المذكور من قبل المتولي سنة فسنة، وأن يصرف من الغلة المتحصلة للتعميرات المقتضية في الوقف المذكور.. واشترط الفضلة الباقية من الغلة إلى نجله المحترم النجيب يوسف بك- أطال الله عمره- وبعد انقراض الجميع والعياذ بالله فيرجع الوقف ويلحق ويضم إلى أوقاف المدرسة الشريفة التي وفق الموكل.. إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة. .»

وفضلا عما تقدم، فإنه وقف في 4 رجب الفرد سنة 1234هـ/28 نيسان 1819م عقارات أخرى هي «النصف الشائع من قطعة البستان المنخرطة في سلك ملك موكلي عن طريق الشراء الشرعي من أحمد آغا بن عبدالله الأندروني بموجب حجة شرعية، والواقعة في قرية خشخشية الواقعة بناحية الحلة، من مضافات مدينة بغداد،

والمحدودة من جهة لبستان الإمام محمد عليه الرحمة، ومن جهة ببستان عمران بن حسن، ومن جهة ببستان ميتافيش، ومن جهة بالفرات العظمى، وكذلك وقف الربع الشائع في قطعة البستان الواقعة في القرية المذكورة، والمحدودة من جهة بالفرات العظمى، مع جميع شروب ودروب وسواقي ومساقي وعامر وغامر القطعتين.. وقد اشترط أن يُؤجَّر الوقف المذكور إلى الغير سنة فسنة من قبل المتولي بما يعادل أجر مثله، وأن يصرف الثلثان من الغلة المتحصلة إلى فقراء مدينة بغداد، ويهدى ثوابه إلى الروح الطاهرة للشيخ شهاب الدين قدس سره المبين، ويصرف الثلث الآخر من الغلة إلى عزير آغا بن عبدالله، ومن بعده يكون الثلث مشروطاً إلى أولاد عزير آغا وأولاد أولاده.. وبعد انقراض الجميع والعياذ بالله من ذلك، يرجع ثلث الغلة المذكورة ويلحق بوقف المدرسة الشريفة التي وقف موكلي.. إلى بنائها وإنشائها في الحيدرخانة».

وفي الوقفية المؤرخة في 3 رمضان سنة 1235هـ/13 حزيران 1820م «وقف الأملاك المنسلكة والمنخرطة في سلك ملكه لحين صدور الوقف منه، وهي: الحديقة المسماة حديقة جديد الواقعة في قرية إمام جيزاني من قرى الخالص، والمحدودة من جهة ببستان الجديد، ومن جهة ببستان التُكّي، ومن جهة بقرية جيزاني، ومن جهة بساقية قصب، ومن جهة بالطريق العام، مع جملة توابعها ولواحقها وأخرجها من سلك ملكه.. وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً .. وأن الموكل الوزير.. قد اشترط ضم وإلحاق ورجوع هذا الوقف إلى أوقاف المدرسة التي وفق إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة»..

وفي وقفيته المؤرخة في 18 ذي الحجة سنة 1235هـ/25 أيلول1820م أضاف الى وقفياته السابقات «الدكان والمخزن المتلاصقين الواقعين باتصال خان التمر، والمحدودين من جهة بالخان المذكور، ومن جهة بباب الخان، ومن جهة بدكان حسين آغا، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق الأطرقجية المحدود من جهة بملك محمد آغا بن حسين خورماتي، ومن جهة بدكان وقف جامع القبلانية، ومن جهة بالجامع المذكور، ومن جهة بشارع السوق، وقد اشترط موكلي جعل هذه الأملاك راجعة وتلحق وتُضم إلى وقف المدرسة التي وفق موكلي الوزير، الإفلاطوني التدبير، إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة، بموجب الشروط والقيود المصرح بها في وقفيته الكبيرة للمدرسة المذكورة».

وزاد في وقفيته المؤرخة في 7 رجب سنة 1236 هـ «دكان الخباز الواقع في السوق الواقع قرب المصبغة، من أسواق بغداد، المحدود بالمصبغة المذكورة، ومن جهة بشارع

السوق النافذ، إلى دجلة العظمى، ومن جهة بالقشلة الخامسة والثلاثين، ومن جهة بشارع السوق، وهو الدكان المشتمل على إيوان وثلاث غرف ومحل صنع الخبز؛ وكذلك وقف دكان الكبابجي الواقع بإتصال الدكان المذكور، والمحدود من جهة بدكان سيد حمودد سريرجي، ومن جهتين بدكان الخبز المذكور.. واشترط أن تؤجر الأوقاف المذكورة من قبل المتولي سنة فسنة، وأن تصرف الغلة إلى مصالح المرقد الشريف للشيخ حبيب العجمي، قدس سره العزيز، واشترط أن تكون التولية على هذا الوقف بيد متولي المدرسة الشريفة التي وفق الواقف المشار إليه إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة».

أما في وقفيته المؤرخة في 2 صفر سنة 1236 /8 تشرين الثاني 1820م فقد «وقف وحبس خان الزوار الذي كان في الأصل إسكلة، والذي هو منسلك في سلكه وملكه، والواقع بدار محمد بن قره باجق، ومن جهة بملك معروف بن رجب، ومن جهة بملك عزيزة بنت كاظم، ومن جهة بالطريف العام، مع توابعه ولواحقه، وأخرجه من ملكه ووقفه حسبة لله تعالى وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً. وقد أمر واشترط أن تعود غلة هذا الخان المذكور إلى غلة المحترم صاحب النجابة يوسف بك.. وبعده إلى أولاده..وبعد انقراض الجميع.. يعود الوقف المذكور ويضم ويلحق بوثق المدرسة التي وفق الوزير إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة.. »

ثم أنه وقف في وقفيته المؤرخة في 7 شعبان من السنة نفسها /9 نيسان 1821م «الدكان الواقع في سوق البزازين من أسواق المدينة المذكورة، والمحدود من جهة بخان الدوكمة، ومن جهتين بدكان ورثة الحاج خليل عرموش زاده، ومن جهة بشارع السوق. وكذا الدكان الواقع في سوق الأطرقجية، المحدود من جهة بدكان رئيس كتاب الكمرك الحاج صالح آغا، ومن جهة بدكان محبوبة خاتون، ومن جهة بدكان الخياطين، ومن جهة بشارع السوق، مع جملة توابع الدكانين.. وقد تفضل واشترط أن تؤجر الأوقاف المذكورة سنة فسنة من قبل المتولي. وبعد الصرف للتعميرات المقتضية للوقف من الغلة المتحصلة يعود الباقي من الغلة إلى .. نجله يوسف بك.. وبعده لأولاده.. وبعد إنقراض الجميع يرجع الوقف ويلحق بأوقاف المدرسة التي وقفها الواقف.. التي أنشأها وبناها في سوق الحيدرخانة»

وفي كل وقفية كان داود يزيد في العقارات شيئاً يَقفه عليه، ولم ينفك مهتماً به حتى أنه اشترى بعد نحو تسع سنين ما كان يحيط به من دور سكنية، ثم أنه نقض الجميع، وأنشأ على أرضه جامعاً جديدا كبيراً، سمي باسم سابقه، ولكنه أضاف اليه

مدرستين عرفتا بالمدرسة الداودية نسبة الى اسمه. ومن الواضح أن داود وقع عليه إختياره ليكون جامعه الرئيس الذي يقترن باسمه، مقتدياً في ذلك بما فعله الولاة الكبار السابقون، الذين أنشأوا جوامع خلدت أسماءهم، مثل المرادية، الذي أنشأه مراد باشا (978هـ/1570م)، والقبلانية، الذي أنشأه قبلان مصطفى باشا (1087هـ/1676م) والوزير، من إنشاء الوزير حسن باشا الاول (1008هـ/1100م)، وجديد حسن باشا الذي أنشأه حسن باشا (1133هـ/1720م) مؤسس نظام المماليك، وآخرها المدرسة السليمانية التي أنشأها الوزير سليمان باشا الكبير.

يُعد جامع الحيدرخانه أنموذجاً بارزاً لما بلغه فن العمارة في بغداد في عهد المماليك من تطور، وقد تأثر في عمارته بجامع الأحمدية، الكائن في صدر محلة الميدان والمقابل للقلعة الداخلية، وهو الجامع الذي أنشأه أحمد باشا كتخدا والي بغداد سليمان باشا الكبير، سنة 1210هـ/1795م والأخير هو سيد داود ومولاه، ومُقتداه في حكمه وسياسته. فجاء جامعه شبيهاً بجامع الأحمدية حتى يمكن القول أنهما من عمل معمار واحد. وهما يتميزان بوجود قبة عالية بَصَلية الشكل تغطي معظم مُصلاّه، وتقوم على رقبة مرتفعة، ذات نوافذ طولية، وقبتين ثانويتين شبيهتين بها لكنهما أصغر حجماً، وذلك بديلاً عن صفوف القباب المنخفضة التي التزم بها مهندسو الجوامع السابقة، إضافة الى طارمة عالية تقوم على أواوين عالية متناظرة، ومئذنة رشيقة سامقة ذات حوض واحد ترتفع من يمين المصلى مباشرة. ولا اختلاف بين الجامعين إلا في القبة الرئيسة، فإنها في جامع الحيدرخانة أكثر سعة. ولكل من الجامعين فناء متسع، تحيط به من جوانبه صفوف من حجرات كانت تستغل لاغراض متنوعة، ففي جامع الحيدرخانة كانت هناك مدرستان على ما ذكرنا، وقد ألحقت بهما خزانة كبيرة للكتب وعين لها حافظ مسؤول عنها بحسب وقفيته. ويتميز الجامع بالزينة الفائقة التي تكسو قبابه ومئذنته واواوينه من قطع الاجر الملون والذي يمثل زخارف نباتية مورقة وموردة، وهي نشبه الى حد بعيد تلك الزينة التي تكسو جامع الأحمدية، مما يبعث على الظن أن مصدر الزينتين واحد.

ضم داود باشا وقفياته السابقة على مسجد الحيدرخانة القديم إلى وقفيته الجديدة، المؤرخة في سنة 1243هـ/ 1828م. على جامعه الذي أحدثه، فصارت وقفية واحدة، شاملة لكل ما وقفه من وقفيات وبالشروط السابقة نفسها، لاغياً بذلك العمل بتلك الوقفيات بصفة مطلقة.

وتشمل تلك الوقفيات مجموعة كبيرة من العقارات التجارية والزراعية في بغداد واطرافها وفي مدن أخرى، على النحو الآتي:

نوع العقار	العدد	المكان
دكان	1	سوق الحيدرخانة
دكان	19	مقابلة لجامع الحيدرخانة
دكان	11	متصلة بجامع الحيدرخانة
قهوة	1	مقابلة لجامع الحيدرخانة
بزارة (مخزن حبوب)	1	سوق الحيدرخانة
دكان	2	سوق الحيدرخانة
دكان	2	مقابلين للدكاتين السابقين
دكان	1	سوق الحيدرخانة
دكان	1	قرب خان جغان
دكان	7	سوق قاضي الحاجات
دكان	1	سوق الأطرقجية
دكان	1	سوق الأطرقجية
دكان	1	سوق الأطرقجية
دكان	1	سوق الدنكجية
دكان	1	سوق الدنكجية
دمان	1	سوق الزنجير
دكان	1	سوق الشورجة
دكان	1	سوق المرجانية
دكان	1	سوق الدنكجية
دكان	3	سوق الدنكجية

دكان	1	سوق الشورجة
دكان	1	سوق المرجانية
دكان	1	سوق العطارين
دكان	1	سوق العطارين
دكان	1	سوق راس القُريَّة
دكان	1	سوق الدفتردار
دكان	1	سوق الخفافين
دكان	2	سوق الجبوقجية
دكان	1	سوق الصاغة
دكان	1	سوق البزازين
دكان	1	سوق الشعربافية
دكان	1	سوق بكر
دكان	1	سوق بكر
دكان	1	سوق التمر
دكان	1	قرب المصبغة
دكان	1	قرب المصبغة
دكان	1	سوق البزازين
دكان	1	سوق القبلانية
دكان	1	سوق القبلانية
دكان	4	سوق السراجين
دكان	1	سوق البزازين
خان	1	سوق الوفائية
خان	1	سوق الوفائية
علوة	1	سوق الشورجة

علوة	2/1	سوق الشورجة
علوة	1	رأس الجسر الغربى
قهوة	1	سوق الحيدرخانة
قهوة	1	سوق الحيدرخانة
قهوة	1	سوق الحيدرخانة
قهوة	1	سوق الميدان
قهوة	2/1	رأس الجسر الغربى
علوة	2/1	رأس الجسر الغربى
خان	2/1	رأس الجسر الغربى
دكان	1	قرب المصبغة
دكة	2	سوق الوفائية
دكة	1	سوق المرجانية
دكة	1	سوق البزازين
دكة	1	سوق القبلانية
بستان الفريجات	1	غربى قصبة الإمام الأعظم
كرد الفريجات	2	غربى قصبة الإمام الأعظم
بستان الجديدة	1	الخالص
بستان التوث	1	الخالص
نهر قصب	1	الخالص
بستان القصر	1	شرقى قصبة الإمام الأعظم
مزرع	1	طريق أبو صيدا
أرض بسيطة	1	طريق أبو صيدا
بستان الحاج صالح	1	طريق أبو صيدا

بستان الحاج نور	1	طريق أبو صيدا
ساقية	1	طريق أبو صيدا
بستان الياس بن خضر	1	طريق المحمودية
عقر هور الجيبه جى	1	طريق المحمودية
عقر هور الزعفرانية	ثلث	الزعفرانية
مزرع	1	طريق أبو صيدا
أرض نهر قرية اللحمة	1	الدجيل
أرض نهر العواضر	1	الدجيل
أرض الموح	1	الدجيل
خان	1	أربيل
بستان	1	قرية الهاشمية
بستان	4 أسهم	الخالص
رحى	1	قرية قره تبة
عقر أبو دبس	1	المحمودية
بساتين	9	يظهر أنها في طريق المحمودية

ويظهر وفقاً لما تقدم، أن أكثر الموقوفات هي عقارات ذات طابع تجاري، تقع في أسواق المدينة، فثمة 3 خانات تجارية، واحد منها في أربيل، و84 دكاناً، و4 علوات، و6 مقاه، و4 دكات، و1 بزارة كلها في بغداد، فيكون مجموعها 92 عقاراً، وتتوزع أغلب هذه العقارات في الجانب الشرقي، وهو الأكثر كثافة بينما لا تزيد هذه العقارات في الجانب الغربي عن أربعة فحسب.

أما العقارات الزراعية فهي 31 عقاراً، تتنوع بين هور، ومزرع، وكَرد، ونهر، وساقية، ورحى، وأرض فضاء، وهي تتوزع على جانبي دجلة، ولا يبعد أقصاها عن مركز بغداد بأكثر من اربعين كيلومتراً[1].

(1) جرت العادة على تعيين رواتب الموظفين في عهد المماليك بالقرش الرائج، وهو يعدل ربع قيمة القرش الصاغ، وبما أن القرش الأخير كان يساوي 40 بارة، فالرائج كان يساوي 10 بارات، وهذه

يمثل ميل الاستثمار الى القطاع التجاري على حساب القطاع الزراعي والرعوي، في هذه الوقفية، ظاهرة عامة من أهم الطواهر الاقتصادية في عهد المماليك، ولا سيما في عهد داود باشا، وهي ظاهرة طبعت آثارها على مجمل الحياة الاجتماعية في البلاد، حيث أصبح التجار، لا الاقطاعيون، هم الطبقة الأقوى والاكثر ثقلا وتأثيراً. وبعد أن كانت الثروة والنبالة تتمثل بتملك القرى والأراضي الزراعية، أصبحت – كما تكشف هذه الوقفيات– تتمثل بالدكاكين والخانات بل وحتى المقاهي. وبحسب الوقفية يجري توزيع الاموال المستحصلة من هذه العقارات على عدد كبير من العاملين في الجامع، وذلك على النحو الآتي:

اسم الوظيفة	مبلغ الراتب بالقرش البغدادي الرائج
المدرس	300
الخطيب	200
الواعظ	100
إمام عدد 2	400 (لكل إمام 200)
قرّاء عدد 4	40 (لكل قارئ 10)
مؤذنون غدد 4	250 (لكل مؤذن 72 و2/1)
معيد درس الواعظ	30
حافظ الكتب	100
مُشعل القناديل	50
من بيَده المفاتيح	145
مُناول السيف للخطيب في أيام الجمعة	30
كنّاس	100

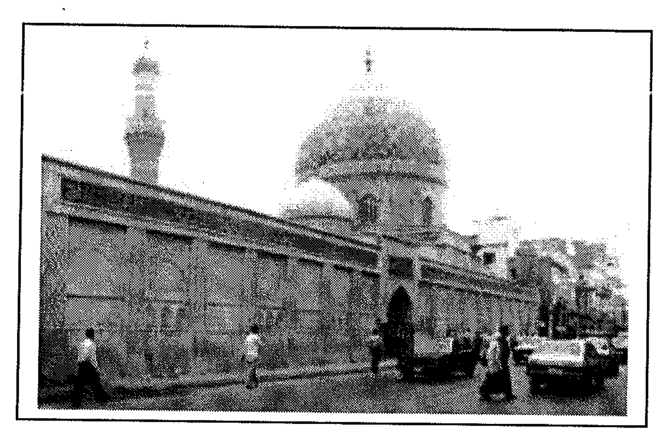
كلها من الفضة، بينما تساوي كل بارة اربعة فلوس نحاس. ومن الصعب تحديد القوة الشرائية لهذه العملات في ذلك العهد، بسبب الانخفاض المستمر لعيار الفضة فيها من حين إلى آخر، ولأسباب أخرى. ينظر كتابنا : الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، الملحق 15.

الإبريقي	80
مناول الماء للشاربين	50
من يرش أرض الجامع بالماء	50
سقّاء	360
من يأتي بالقناديل للجامع	30
من يأتي بالأباريق للجامع	25
المعمار	50
مدرس جامع حبيب العجمي	100
مؤذن جامع حبيب العجمي	50
خادم جامع حبيب العجمي	35
أباريقي جامع حبيب العجمي	35
المتولي على الوقف	1000
مجموع الرواتب	2755(1)

وعلى الرغم من أن جامع الحيدرخانه يبدو هو المقصود بهذه الوقفية، إلا أنها تشمل في نصها جامع آخر قي الجانب الغربي، هو جامع حبيب العجمي، الذي كان داود قد أعاد بناءه في ذلك التاريخ.

كما أن نص الوقفية مَنَح المتولي للوقف حق الإنفاق على كل ما يراه نافعاً «في سائر وجوه الإنتفاعات»، بعد إخراج مبلغ الرواتب على الجامعبن المذكورين، ويعني هذا أن له أن يُنفِق على جميع ما أنشأه من الجوامع والمساجد التي لم يخصّها بوقفية بذاتها. ويعني أيضاً ان المبلغ المستخلص من العقارات الموقوفة يزيد على ما هو مخصص للإنفاق على الجامعين بشيء كثير .

(1) في الوقفية 2820 قرشاً.



جامع الحيدرخانة بعد تجديد واجهته وازالة صف الدكاكين الموقوفة في هذه الواجهة

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الوقفية]

الحمد لله الذي جعل جنَّته وقفاً على عباده المؤمنين، ووزَّع رحمته رفقاً بالطائعين والعاصين، وأبرز ما أجرَته الإرادة بأيدي قدرته، وأحكم ما أظهرته على وفق حكمته، فخلق الإنسان أشرف الموجودات، وميَّزه بمزايا على البَريّات، وملَّكه من الدنيا ما هو الأنفع له والأحرى، ووعده إن زهد فيها يُتحفه خيراً منها في الأخرى، واستخلصه لعبادته واصطفاه، وكلّفه بما اختار له وارتضاه، فبذلك أرسل فيه من نوعه الرسُل مُبصِّرين ومُنذِرين، وهادين إلى معالم الحق الواضح المستديم، وكان منهم واسطة العقد وبيت الحمد، إمامهم الأفضل ومقتداهم الأكمل، الآخر بعثاً وإرسالاً، والأول مجداً وأفضالاً، خاتم خِزانة الإرسال، فاتح أبواب الكمال، أعمَّهم إرسالاً، وأتمهم أقوالاً، وأفضلهم بَلاغاً، وأسرعهم إبلاغاً، وأقواهم برهاناً، وأفصحهم بياناً. فقام بأعباء الرسالة حتى أودي قبساً لقابس، وحبس نفسه على تمهيد طرق العدالة، فلله دَرّه من حابس، فعمَّت رسالته الأسود والأحمر، وبلغت دعوته الأصغر والأكبر. اللهم فصَلِّ عليه وعليهم صلاة موقوفة على أرواحهم، مُزيِّنة لأشباحهم، وعلى آله وآلهم وأصحابهم، الذين وقفوا نفوسهم على اتباع الحق ونصرته، وتشييد ركن الدين ورفعته، وعلى التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول العبد المفتقر إلى عفو رب العباد إبراهيم بن محمد أفندي القاضي في مدينة السلام بغداد[1]:

(1) عين هذا القاضي ببغداد سنة 1242هـ/1826م بموجب الفرمان المؤرخ شوال من العام نفسه (إبراهيم الدروبي: قضاة بغداد ص224 مخطوط).

إن حضرة ولي النعم، ومُبيد الزور والنقم، الوزير الكبير، والبدر المنير، أبو الفتوحات الناصر لدين الله داود باشا، والي بغداد، لما علم أن الوقف من أشرف الطاعات، وأجل القُربات، حتى قصَر الله تعالى نَيل البر عليه، كما نص عليه المفسرون، فقال عز وجل (لَن تَنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا ممّا تُحبُّون). ولذلك لما سمع هذا الخطاب، المُعنوَن بالصواب، أبو طلحة رضي الله عنه، دبَّت فيه أريحية الطاعة، فانخرط من بين الجماعة، وبادر إلى وقف أحب أمواله إليه، أعنى (بيرحاء) حديقة له مشهورة، وجنة له معمورة[1]. ووقف سيدنا عمر بن الخطاب رض الله تعالى أرضاً بخَيبَر أصابها بأمره صلى الله عليه وسلم، وهو أول وقف في الإسلام[2]، ثم جرى على سُنَّته الخاص والعام، ووقف صلى الله عليه وسلم أموال (مخيريق) التي أصابها في السنة الثالثة[3]. وقال صلى الله عليه فيما رواه مسلم في صحيحه: (إذا مات مسلم انقطع عمله إلاّ من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، والمراد بالصدقة الجارية الوقف باتفاق أكثر العلماء الأعلام والأئمة هُداة الإسلام، . وجاء عن جابر رض الله عنه: انه ما بقى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له مَعذرة حتى وَقَف.

[شروط الوقفية]

أحَبَّ أن يقتفى سُنة سيد المرسلين، وينخرط في أولئك الواقفين الصالحين، فبنى جامعاً ومدرسة واقعين في الجانب الشرقي من مدينة بغداد، في محلة الحيدرخانة ووقفهما، ووقف عليهما أوقافاً يأتي ذكرها، وذلك في سنة 1234، وكتب وقفية ذلك مختومة بخواتيم قضاة بغداد[4]، وقد دُوِّنت بحروفها وألفاظها في الدفترخانه. وقد

---

(1) قال الإمام احمد: حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، سمع أنس من مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء — وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضَعها يا رسول الله حيث أراد الله". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بخٍ ذاك مال رابح. ينظر ابن كثير في تفسير الآية.

(2) في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر، فما تأمرني به؟ قال حبس الأصل وسبل الثمرة. ينظر تفسير ابن كثير

(3) ينظر سيرة ابن هشام ج2 ص 89 طبعة مؤسسة علوم القرآن

(4) وكان داود باشا قد وقف على جامعه ومدرسته عدداً من الوقفيات في تواريخ مختلفة، ثم وحدها واضاف عليها في وقفيته الأخيرة هذه.

شرط فيها شروطاً متعددة، من جُملتها أن شرط لنفسه الإدخال والإخراج، والزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل. ولما كان هذا الشرط جائزاً قد صرَّح بجوازه جماعة من فقهاء السادة الحنفية، القائلين بأن شرط الواقف كنص الشارع، منهم صاحب الواقعات[1]، فانه نقل عن قاضيخان[2] أنه قال: أجمَعوا على أن الواقف إذا شرط الاستبدال لنفسه في أصل الوقف يصح الوقف ويملك الاستبدال، ومنهم صاحب در المختار[3] في شرح تنوير الأبصار[4]، حيث قال: وجاز جعل غلة الوقف والولاية لنفسه عند الثاني وعليه الفتوى، وجاز شرط الاستبدال به أرضاً أَخرى انتهى. ومنهم خير الدين في فتاواه[5] فانه قال فيها: سُئِل فيما إذا وقف رجل وقفاً على نفسه أيام حياته، ثم من بعده على أولاده الموجودين يومئذ وسمّاهم، وعلى من يحدث له من الأولاد الذكور والإناث بينهم على الفريضة الشرعية، ثم من بعدهم على أولادهم ما تناساوا، وبعد الانقراض إلى جهة بر متصلة. وشرط شروطاً من جملتها أنه شرط لنفسه الإدخال والإخراج والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل كما بدا له، وإن تناهى له ذلك أو تسلسل شرط الصحيح معتبر فله الإدخال والإخراج إلى آخر ما قال، وقال الطرسوسي في أنفع الوسائل[6]: أما استثناؤه في أن يزيد متى رأى زيادة، وأن يُخرج من صدقته متى شاء إخراجه منها، وأن يُدخل فيها من شاء فيه إدخاله فيها، ويُنقص من شاء أن يُنقصه منها، مما كان جعله له، فقد جوَّز هذا من أجاز الوقف من أصحابنا ومن غيرهم إن شاء الله تعالى إلى غير ذلك من النصوص.

---

(1) يريد كتاب (واقعات المفتين) تأليف عبد القادر بن يوسف، المعروف بقدري، المتوفى سنة 1083هـ، وهو في الفقه الحنفي. الزركلي الاعلام ج4 ص172.

(2) يريد كتاب (فتاوى قاضيخان) تأليف فخر الدين حسين بن منصور الاورجندي الفرغاني الحنفي المتوفى سنة 592هـأ

(3) الصحيح (الدر المختار)، وهو من تأليف محمد بن علي بن محمد الحصكفي، المتوفى سنة 1088هـ، في فقه الحنفية، ص369 من طبعة دار الكتب العلمية في بيروت2002، بتحقيق عبد المنعم خليل.

(4) تنوير الأبصار وجامع البحار، تأليف محمد بن عبد الله بن أحمد الغزي، المتوفى سنة 939هـ، في فقه الحنفية

(5) هو الكتاب المسى (الفتاوى الخيرية) في الفقه الحنفي، نسبة لصاحب الفتاوى خير الدين الرملي بدأ بجمعها ابنه محيي الدين من أهل القرن الحادي عشر للهجرة. وأتمها تلميذه إبراهيم بن إسماعيل الرملي سنة 1081 والنص في الورقة 124 من طبعة حجر القاهرة 1376

(6) هو كتاب أنفع الوسائل في تحرير المسائل، ويعرف بالفتاوى الطرسوسية، تأليف نجم الدين ابراهيم بن علي بن أحمد الطرسوسي المتوفى سنة 758هـ، القاهرة

أراد حضرة الواقف الوزير، حفظه العلي الكبير، في سنة 1243 الألف ومائتين وثلاثة وأربعين من هجرة سيد المرسلين، زيادة في الوقف وتغييره، فاشترى دوراً ملاصقة للجامع المذكور والمدرسة، فأدخله فيها، وخلط الجميع وعمرها جامعاً كبيراً، وعمر فيه مدرستين، وحجراً لطلبة العلم، فعند ذلك أبقى حضرة الوزير المشار إليه -أسبغ الله تعالى نعمه عليه- ما وقفه سابقاً على وقفيته، ووقف ما ألحقه أخرى من العقارات، وجعل العمل على هذه الوقفية الأخيرة، فان رأي الناظر في هذه الوقفيتين شيئاً مغايراً لما في الوقفية الأولى، فيجب عليه أن يتبع ما في هذه الوقفية، ولا يعبأ بما في الوقفية الأولى، وكذلك الكلام في جميع الوقفيات الآتية، والعقارات الموقوفة اولاً وأخراً:

[العقارات الموقوفة]

هي القهوة الواقعة في سوق الحيدرخانه[1] في الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد مقابل الجامع المذكور[2]، المحدودة بالطريقين العامين[3]، وبدار الملا عثمان، إمام جامع الوزير[4]، بن عبدالرحمن الجوهري، وبالغرف ملك ولي أغا بن عبد الله.

والتسعة عشر دكاناً المتصلة بالجامع المذكور[5]، المحدودة به وببابه وبالطريقين العامين.

والأحد عشر دكان والقهوة والبزّارة[1]، المقابلات للدكاكين الملاصقات للجامع

---

(1) سوق الحيدرخانه، في عهد الواقف، هو السوق الملاصق لواجهة جامع الحيدرخانه نفسه، وفيه بابه الرئيس، في أرض شارع الرشيد اليوم، وكان سوقاً مقببا مبنيا بالاجر على عقود يستند كتفها الايسر على جدار الجامع المذكور، وقد نقض هذا السوق عند فتح شارع الرشيد سنة 1916، ولم يتبق من آثاره إلا أكتاف عقوده، ثم أزيلت هذه ايضاً وشيد صف من الدكاكين الصغيرة المستندة الى واجهة الجامع الأمامية، ثم سدت هذه الدكاكين ايضا بجدار من الاجر المزين بأشكال هندسية عند تعميره في اواخر الستينات.

(2) يريد جامع الحيدرخانه، ويشغل ارض هذه الفهوة اليوم صف المحلات التجارية على الجانب الايمن من شارع الرشيد.

(3) يقصد بهذين الطريقين سوق الحيدرخانة نفسه، وطريق مواز له، مستند اليه، يقع من جهته الغربية، وموقعه اليوم في ارض شارع الرشيد ايضاً.

(4) هو الجامع الكائن على شاطئ دجلة، بينه وبين سوق القتدرجية، أنشأه الوزير حسن باشا والي بغداد سنة 1008 هـ، ولم يتبق من مبناه السابق غير الكتابة التذكارية التي تقع على بابه النافذ إلى سوق السراجين، وهي تحمل تاريخ بنائه واسم مؤسسه حسن باشا.

(5) هي الدكاكين المستندة الى واجهة جامع الحيدرخانه المطلة قديماً على سوقه.

المذكور[2]، والمحدودات بالطريقين العامين، وبدكان مصطفى بك الربيعي[3]، وبدار أمين آغا الجادرجي، وبدار معروف آغا السلاحدار سابقاً، ابن عبدالله.

والدكانان الواقعان في سوق الحيدرخانه، الملاصقان المحدودان بالطريقين العامين، وبدكان الحاج محمد بن أوسته ابراهيم، وبدار أحمد آغا بن محمد آغا، وبدار كتخدا بغداد.

والدكانان المقابلان للدكانين المذكورين[4]، المحدودين بالطريق العام، وبالطريق الخاص، الشهير بدربونة[5]، وبقهوة محمود أفندي بن ملا محمد ينكجري أفندي سابقاً، وبدار أبناء أستاذ معروف.

والدكان الواقع في سوق الحيدرخانه أيضاً، المحدود بالطريق العام وبالطريق الخاص، وبدكان أيتام الحاج مصطفى وبدار يوسف النصراني.

والقهوة الواقعة قرب الدكان المذكور، المحدودة بالطريق العام، وبالطريق الخاص، وبدكان حسين بن علي، وبدار محمد بن خلف. وقطعة الأرض المقابلة للقهوة، التابعة لها، المحدودة بالطريقين العامين، وبدار حبيب آغا بن عبد الله من الطرفين.

والدكان الواقع قرب خان جغان[6]، مقابل سوق الصياغين، المحدود بملك نابي خاتون[7]، والدة المرحوم سعيد باشا والي بغداد سابقاً، وببابه، وبالطريق العام.

---

(1) موضع خزن البذور.

(2) يريد المتصلات به من جنوبه، حيث تقع قهوة حسن العجمي اليوم، فالدكاكين الاحد عشر التي تقابلها هي التي تمتد من الجهة المقابلة حتى مدخل شارع المتنبي اليوم تقريبا، ولم يكن هذا الشارع يتصل بشارع الرشيد عهد ذاك.

(3) مصطفى بك بن علي الربيعي، من أعيان بغداد في عهده، وهو الذي اشترى داود باشا حينما جلب هذا إلى بغداد رقيقاً، وباعه أو وهبه إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد. وهو الجد الأعلى للواء نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة بعد ثورة 1958. وتقع دور آل الربيعي في مدخل محلة العاقولية، في أدنى جامع الحيدرخانة.

(4) اي في الجانب الايمن من شارع الرشيد اليوم.

(5) الدربونة: تصغير كلمة درب، وهي شائعة في عامية بغداد، والظاهر انه ثمة سقط بعدها أضاع اسم هذه الدربونة.

(6) خان جغان: هو الخان الشهير الذي شيده والي بغداد جغاله زاده سنان باشا والي بغداد من 995 إلى 998هـ/ 1586 إلى 1001هـ/ 1590- 1593م) وقد تقدم التعريف به.

(7) سيدة جركسية من المماليك، صارت زوجة والي بغداد سليمان باشا الكبير، وتدخلت بعد وفاته في شؤون الحكم، على عهد ولاية ولدها سعيد باشا، حتى صارت تولي هذا وتعزل ذاك، وكانت

والخان، والعلوة[1]، والسبعة دكاكين الواقعة في سوق قاضي الحاجات[2]، التي هي من محلات الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد. أما الخان فمحدود بملك سيمون الذمي ولد شمعون، وملك شهاب بن حسين، وبملك اروني الذمي، وبالطريق العام. وقد اشتمل على سبعة وعشرين حجرة، منها تحتانية ومنها فوقانية، وعلى أواخير[3]، وطارمات[4]، وبئر معينة مائي. وأما العلوة فمحدودة بقهوة سارة خانم بنت المرحوم سليمان باشا[5]، والطريق العام، وبالخان المذكور من الطرفين، ومشتملة على سرداب ومخزن وطارمة وبئر معين.

أما السبعة دكاكين فمتلاصقات، ومحدودات بالخان المذكور، بالعلوة، وبباب الخان، والطريق العام.

ودكان ودكة الواقعات في سوق الوفائية[6]، الذي هو من جملة أسواق الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد، المحدودات بالدكان الموقوف على جامع علي أفندي[1]، وبدكان وقف حضرة الوزير الواقف، وبالطريقين العامين.

السبب في تحريض ولدها على عزل الدفتردار داود افندي، مما دفع الاخير الى الثورة ثم تولي حكم الولاية، بتأييد عثماني، وقتل سعيد باشا المذكور سنة 1230هـ. وتفرغت بعد نكبتها هذه لأعمال الخير، فأنشأت مدرسة وسقاية في بغداد سنة 1237هـ وتوفيت في الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1246هـ مرآة الزوراء ص50 والبغداديون ص346.

(1) العلوة: هي موضع بيع المنتجات الزراعية بالجملة.

(2) ينسب هذا السوق إلى مسجد قديم يضم قبراً لأحد الصالحين، ويرى عبد الحميد عبادة أنه قبرأبي محمد بن أبي القاسم بن المظفر الشهرزوري، المعروف بقاضي الخافقين، ومنه عرف بقاضي الحاجات، وكان قد توفي ببغداد سنة 538هـ ودفن بمقبرة باب أبرز، وصار موضعه يعرف في نهاية العصر العباسي بعقد المصطنع، العقد اللانع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص297

(3) أواخير: جمع آخور وهي كلمة تركية معناها اسطبل.

(4) الطارمة: هي السقيفة.

(5) هو والي بغداد سليمان باشا الكبير، وأمها نابي خاتون، تزوجها والي بغداد سليمان باشا الصغير سنة 1223هـ، وبعد مصرعه، تزوجت من محمد آغا بن عبدالله آغا مهردار داود باشا سنة 1239هـ، وتوفيت سنة 1252

(6) هذا السوق هو جزء من سوق البزازين عرف بسوق الوفائية نسبة الى المدرسة الوفائية (التي أنشأتها وفا خاتون الجلائرية) الكائنة هناك، وكان يعرف حتى اوائل القرن العشرين بسوق الكبابجية لتكاثر دكاكين الشوائين في ذلك الطرف من السوق.

والدكان الواقع في سوق الأطرقجية[2]، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بدكان مصطفى بن محمود، وبدكان محمود بن عبد الكريم، وسوق الخياطين[3] وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الاطرقجية أيضاً، المحدود بدكان محمد آغا بن حسين آغا الخرمتلي، وبدكان وقف القبلانية، والجامع المذكور[4]، وبالطريق العام.

والدكان في سوق الاطرقجية أيضاً، المحدود بدكان صالح آغا باش كاتب الجُمرك، وبدكان محبوبة خاتون بنت عبد الله، وبسوق الخياطين، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الدنكَجيّة[5]، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان ... الله بن عبد الله، وبدكان درويش آغا القائم مقام[6]، وبملك عمر بن عبد الله، وبالطريق العام.

---

(1) أنشاه الحاج علي أفندي بن مراد أفندي في محلة البارودية في بغداد، وأوقف عليه أوقافاً عديدة، من العقارات، بحسب وقفيته المؤرخة في 8 جمادى الأولى1133. وقد نقض هذا الجامع عند شق شارع الملكة عالية (شارع الخلفاء حالياً) وشيد بدله جامع حديث باسمه على يمين هذا الشارع بالنسبة للمتوجه الى باب المعظم.

(2) الاطراقجية هم باعة المواد المستعملة، ويظهر من وقفية داود باشا والي بغداد المؤرخة في 18 ذي الحجة 1235 ان هذا السوق كان محادداً لجامع القبلانية الزائل وكان يقابل واجهة المدرسة المستنصرية. كما يظهر من وقفية فطومة بنت قاسم المؤرخة في 10 جمادى الآخر 1270 ان السوق كان قريباً من خان جغان

(3) يفهم من وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله (الغرابي) المؤرخة 26 محرم 1098، إن سوق الخياطين كان قريباً من سوق البزازين. بينما اشير اليه في وقفية آمنة بنت الحاج ابراهيم التكريتي المؤرخة في 20 ربيع الأول 1223 بوصفه من حدود دكان موقوف في سوق الهرج، (وهو سوق الهرج القديم) مما دل على كون السوقين في منطقة وأحدة.

(4) هو جامع الفبلانية أنشأه والي بغداد الوزير قبلان مصطفى باشا سنة 1087هـ، وكان يشغل أرض دار الطب وايوان الساعات التابع للمدرسة المستنصرية، ينظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص87

(5) هو السوق الرئيس لمحلة الدنكچية، وفيه كان يجري تهبيش التمن بواسطة آلة تعرف بالدنك، واليها نسب السوق، فالمحلة حوله ويقع السوق اليوم في ارض مرأب الرصافي السيارات.

(6) القائم مقام هو من ينصبه الأعيان غالباً في مقام الوالي بعد عزله من الولاية وحتى مجيء وال جديد. وذكر سليمان فائق أن درويش آغا هذا كان من ابناء المماليك، وأن الولاة يعهدون اليه بوظيفة (الكتخدا) من وقت لآخر، وعندما يغيبون عن البلد يجعلونه قائماً بمقامهم في تصريف الأمور. مرآة الزوراء ص95.

والدكان الواقع في سوق الدنكَجية أيضاً، المحدود بدكان أحمد أبن الحاج أسبر، وبدكان درويش بدر بن أحمد بدر، وبدكة ناحوم اليهودي، وبالطريق العام.

والثلاث دكاكين المتلاصقات، الواقعات في سوق الزَنجير[1] من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بباب خان جغان، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الشورجة، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بدكان محمد أمين أفندي مِدلج زاده[2]، وبدكان عبد النبي اليهودي، وبدار الياهو اليهودي، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق المرجانية[3]، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بدكان عبد اللطيف آغا بن أحمد أغا أسماعيل كهيه زاده[4]، وبجامع مرجان وببابه، وبالطريق العام.

والدكة التي تحتها مخزن، المقابلة للدكان المذكورة بدكان الحاج عبد الله بن الحاج مصطفى أفندي، وبدكان مصطفى بن صالح، وملا سليمان، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق العطارين[5]، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بالطريق الخاص أولاً وثانياً، وثالثاً بدكان محمد أمين آغا الطوبال، ورابعاً بالطريق العام.

---

(1) هو السوق الذي عرف في اواخر العصر العباسي بدرب السلسلة، ويقع متعامدا مع سوق البزازين[1]. ومقابلا لسوق الصاغة في عهد الواقف.

(2) آل مدلج أسرة قديمة نزحت من أطراف الشام إلى بغداد، وتولى جدها الشيخ مدلج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحبي (المتوفى سنة 1081هـ/1670م الافتاء في بغداد، وكان لأحفاده مآثر علمية وخيرية كثيرة، منها انشاؤهم مسجدا سنة 1184هـ/1770م. ينظر البغداديون ص80.

(3) نسب هذا السوق الى المدرسة المرجانية، لوقوعه عند بابها، وتنسب المدرسة الى مؤسسها الخواجة مرجان، حاكم بغداد من طرف الدولة الجلائرية.

(4) كان إسماعيل آغا من قادة المماليك البارزين، تقلد منصب (كتخدا) في عهد واليي بغداد عمر باشا وعبد الله باشا، وصار مرشح المماليك لمنصب الوالي في أثناء ثورة البغداديين سنة 1190هـ/ 1776م على عبد الله باشا المذكور، المعروفة بفتنة عجم محمد، وكان مهاباً عرف بدَماثة خُلقه ومجلسه الحافل، وورث عنه ابنه أحمد آغا مكانته، أما عبداللطيف بن أحمد آغا فقد تولى منصب قائمقام مندلي، وتوفي سنة 1311هـ/1893م. ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، ص 69، 73-91 والدروبي: البغداديون ص123.

(5) هو جانب من سوق الريحانيين القديم المعروف في العصر العباسي، وتتداخل حدوده، بحسب العهود المتتالية، بسوق الشورجة، وسوق البقالخانة.

والدكان الواقع في سوق العطارين أيضاً، المحدود بدكان السيد عيسى[1]، وبدكان إسحاق اليهودي، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق رأس القُريَّة[2]، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بدكان حسين بن الافغاني، وبمخزن ياسين آغا محضر آغا بن عبدالرحمن، وبدكان وقف المسجد، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الخفافين، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان نعمان بك الشاوي، وبدكان عثمان آغا بن الحاج خضير الأعظمي، وبسوق الزنجير، والطريق العام.

والدكانان اللذان تحتهما مخزنان واقعان في رأس الجسر الشرقي، المحدودان بباب الجسر القديمة[3]، وبدكان محمد جلال، وبجامع الآصفية[4]، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الجُوبُقجية[5]، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان وقف جامع الوزير، وبدكان عمر آغا مير آخور زاده، وبدار أيتام يعقوب آغا اللاوند سابقاً[1]، وبالطريق العام.

---

(1) هو السيد عيسى بن مصطفى بن محمد الشهير بالعطار، وآل السيد عيسى أسرة حسنية اتخذت هذا الموضع من الشورجة متجرا ومسكناً لها، وترتبط بنسبها بعدد من الأسر الحسنية في بغداد

(2) راس القرية جزء من محلة القريَّة (بالتصغير) احدى محلات دار الخلافة العباسية، وعرف السوق فيما بعد بشارع النهر، لموازاته نهر دجلة، ثم سمي رسمياً بشارع المستنصر.

(3) هو درب يؤدي الى الجسر الوحيد في بغداد في العصر العثماني، يقع بين جامع الاصفية والمدرسة المستنصرية، وله عند النهر باب خشبية كبيرة، حيث كان ثمة سور عال يحيط ببغداد من جهة النهر، وقد عرفت هذه الباب في مصادر العصر بصو قابي، أي باب الماء.

(4) نسب هذا الجامع إلى لقب كان داود باشا يعرف به هو (آصف الزمان)، وكان داود قد شيده سنة 1241هـ أي قبل عام واحد من انشائه جامع الحيدرخانة موضوع هذه الوقفية، في أرض كانت تشغلها قبل ذلك تكية لأتباع الطريقة المولوية تعرف بالمولاخانه، أو المولويخانه، وقد أنشئت هذه التكية في مطلع عهد الدولة العثمانية في العراق على أرض دار القرآن التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله باتصال المدرسة المستنصرية. وكان الجامع مشمولاً بوقفية داود باشا هذه.

(5) جُبوق كلمة تركية تعني اصطلاحاً الغليون الذي يحشى بالتبغ، وذكر الشيخلي أن هذا السوق هو نفسه سوق القندرچية أي سوق السراجين المحادد لجامع الوزير. ينظر: المعجم التاريخي لبغداد القديمة، البصرة 1970، ص153.

والدكان الواقع عند باب الخان، المقابل لسوق الصياغين[2]، المحدود بخان عبد الله اليهودي، وبدكان ...، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بدكان الحاج مهدي قزاز باشي[3] سابقاً، وبدكان محمد أمين آغا الطوبال، وبخان الزُرور، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الشعربافيّة، المحدود بدكان الحاج ميرزا خان التبريزي، وبدكان الحاج محمد جلال، وبخان الإبريسم[4]، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق بكر[5]، المحدود بدكان وقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدكان على بن الحاج عبد الله القره غولي[6]، وبالطريق العام من الطرفين.

والدكان الواقع في السوق المذكور، المحدود بدكان الشيخ عبد القادر الكيلاني، وبجامع مرجان، وبدكان الحاجة فاطمة، والحاجة زينب بنتي الحاج إبراهيم، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق التمر، والمخزن اللاحق به، المحدودان بخان التمر[7] وببابه، وبدكان حسين اغا ابن الحاج يوسف آغا إيتمكجي باشي[1] سابقاً، وبالطريق العام.

---

(1) اللاوند: اسم فرقة عسكرية تجند محلياً.

(2) كان الصاغة يشغلون في هذا العهد معظم دكاكين خان جغان حتى عرف ايضاً بخان الصاغة، وذلك بعد أن زاحمهم الخفافون (صانعو الخفاف الحمر) في سوقهم السابق غتد جامع الصاغة الذي عرف فيما بعد بسوق الخفافين.

(3) كبير تجار الحرير.

(4) كان هذا الخان واقعاً في سوق البزازين، وتعود ملكيته الى أحد مفتي بغداد وهو الحاج محمد أمين أفندي الزند بحسب الإعلام الشرعي المؤرخ في 21 شوال 1277 الصادر باسم نازلي بنت عد الغني.

(5) كان هذا السوق متصلا بخان الاورتمة (أي الخان المغطى وهو خان مرجان) ولا يعرف لمن نسب. جاء في وقفية الحاج محمد بن عثمان الحرباوي المؤرخة في 1337هـ/1919م، أنه وقف دكاناً في سوق بكر يحده من طرف خان مرجان، ومن طرف شارع السوق.

(6) هو الجد الأعلى لعبد المجيد محمود، الوزير في العهد الملكي، 1909-1992. ينظر مذكرات عبد المجيد محمود، بتحقيقنا، لندن 2006، ص25.

(7) خان قديم للتمر يقع قرب مشرعة تنسب إليه فتعرف بشريعة خان التمر، وقد عرف هذا الموضع في اواخر العصر العباسي بباب التمر، وباب سوق التمر ايضاً . كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي، بتحقيقنا مشاركة مع د. بشار معروف ص41) وفي عهد قريب من زمن الواقف تتردد اشارات الى محلة صغيرة باسم محلة خان التمر. منها وقفية الحاج جواد بن دلّي فتحي المؤرخة في 28 صفر 1235.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بخان الزرور[2]، وبدكان الحاج خليل عَرمُوش،[3] بالطريق العام.

والقهوة الواقعة في سوق الميدان[4]، المحدودة بملك إبراهيم آغا ابن النفُطجي، وبملك الحاج عمر آغا طويق زاده، وبخندق قلعة المدينة، وبالطريق العام.

ونصف علوة المُخضَّر، ونصف القهوة ونصف الخان الصغير، المشتركات مع ورثة مصطفى الخليل، الواقعات في الجانب الغربي من مدينة السلام بغداد، قرب رأس الجسر المحدودات بالطريق العام، وبعلوة محمد الطاهر الجبوري، وبخان اسماعيل آغا ابن وهيب، وبسوق البَلطجية[5]، وبملك ورثة مصطفى الخليل[6].

والدكان الواقع قرب المصبغة[7] في الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بالطريق العام، النافذ إلى الدجلة العظمى، وبالطريق العام الخير[1] وبدار المصبغة، وبقشلة اوتوزبيش[2]، المشتمل على إيوان وثلاث حجر، وكَرخانة خبز[3].

---

(1) مصطلح تركي من (ايتمك) بمعنى طعام و(جي) اداة نسبة الى حرفة، فهو معناه رئيس موردي الطعام لأفواج الانكشارية.

(2) ويعرف بخان الدكمة، أنشئ في عهد السلطان سليم الثاني (974- 982) كما دلت الكتابة على الآجر المزجج التي على بابه.

(3) هو الجد الأعلى لآل حمادي، من أسر بغداد القديمة، عرف بوقفيته المؤرخة في 112هـ/1767م وبمجلسه الحافل، وتوفي سنة 1214هـ/1799م. البغداديون ص72.

(4) هو جانب من السوق الذي عرف في العصر العباسي بسوق السلطان، وقد وردت الاشارة الى شارع سوق الميدان في وقفية محمد بك دفتردار بغداد على جامع بابا كركر في غرة محرم 1081.وأنشأ احمد باشا الكهية (المتوفى سنة 1210)، فيه جامعاً كبيرا، ووقف عليه الحاج عبد الله بك بن الحاج احمد أغا منشآت عديدة، منها علوة في خندق القلعة الداخلية، وثلاثة مقاه في الميدان قرب الجامع المذكور. فلعل الوقفية تشير الى احدها.

(5) من صنوف القوات الانكشارية. ينظر (فراءة في تعليم البلطجية) من هذا الكتاب.

(6) أسرة تحدَّر أسلافها من مدينة حماة، إلى حديثة، ثم استقرت في بغداد، في النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة، وأول اجدادها فيها السيد إسماعيل الحموي، الذي تولى الإفتاء ببغدد، ومصطفى بن خليل هذا هو حفيده. وورثة الأخير هما علي آغا والحاج محمد آغا. وقال عبد الرحمن السهروردي عن هذا البيت «وهو من بيوت الأغوات في بغداد"، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا، ص49.

(7) هي المصبغة التي كانت تصبغ فيها الاقمشة والملابس (وقد شغلت أرض دار الشفاء التي أنشأها الخواجة امين الدين مرجان وتحولت فيما بعد الى المقهى المعروفة بقهوة المصبغة) وقد عرفت هذه المشرعة في العصر العباسي الاخير بمشرعة الصباغين، مما دل على توارث

والدكان المتصل بالدكان المذكور، المحدود بالدكان المزبور، وبدكان سيد حميد السريرجي[4]، وبشارع السوق، المشروط من إجارتها خمسمائة قرش إلى مصارف جامع حبيب العجمي[5]، وذلك بأن يُعطي منها مائة قرش إلى مُدرِّسه، وخمسين قرش إلى إمامه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى مؤذنه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى خادمه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى الذي يملأ الأباريق، والباقي من الخمسمائة قرش المذكورة يصرف إلى القناديل والشيرج والأباريق والحبال والحصران والدلو وغير ذلك من المصاريف.

والذي بقى من الايجار بعد الخمسمائة يضم إلى أوقاف جامع الحيدرخانة.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بدكة الوقف الراجعة الى الحاج صالح بك نجل المرحوم سليمان باشا[6]، وبدكان السيد أحمد بن السيد علي وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق القبلانية، المحدود بدكان الوقف، الراجع إلى الحاج صالح بك ودكّة ودكان المذكور بالطريق العام.

والقهوة والعَلوة الواقعتان قرب سوق الشورجة، المشتركة مع أحمد آغا بغداد آغاسي[1] مناصفة، المحدودتان بجامع الخلفاء وبالطريق العام من أطرافها الثلاثة.

المكان وظيفته عبر الازمان المتطاولة. ويسمى أيضا سوق الصباغين، وكان ينسب الى هذه المصبغة سوق ينتهي عند شاطئ دجلة بمشرعة (شريعة) تسمى شريعة المصبغة ايضاً.

(1) كذا في الاصل، ولعلها: الاخر أو الأخير.

(2) أوتوزيش: اي الخامسة والثلاثون بالتركية، وهو اسم فرقة إنكشارية كانت تتخذ من ثكنة هناك مقراً لها.

(3) الكَرخانة: مصطلح فارسي عثماني من (كار= عمل) و(خانه= دار) فيكون معناه دار الصناعة وهي هنا بمعنى الفرن.

(4) كان جانب من هذا السوق، وهو المسمى بسوق الوفائية، وبسوق الكبابجية، يعرف أيضاً بسوق السررجية، وهم صانعو الأسرة.

(5) هو الشيخ الزاهد حبيب العجمي، المتوفى في البصرة حدود سنة 140، وقبره عند مشهد طلحة بن عبيد الله هناك، زاره ابن بطوطة سنة 727، فهذا القبر منسوب إليه. وقد جدد والي بغداد الوزير داود باشا آثاره وعمر الجامع عنده سنة 1235 ثم انه وقف «على مصالح مرقد الشيخ حبيب العجمي «دكان خباز في السوق الواقع قرب المصبغة ودكان بإتصاله، في شارع السوق المذكور». كما في وقفيته المؤرخة في 7 رجب 1236.

(6) هو سليمان باشا الكبير والي بغداد، وصالح هذا هو أصغرأبنائه. .وقد ولاه قادة المماليك منصب قائم مقام بغداد في أثناء حصار بغداد وعزل داود باشا سنة 1247، ثم لقي مصرعه في ميدان بغداد على ايدي جند علي رضا باشا الذي اقتحم المدينة .

ونصف العلوة المشتركة مع المفتى، الواقعة في سوق الشورجة، المحدودة بعلوة عمر آغا، وبدار يوسف عاشور، وبالطريقين العامين.

والدكان الواقع في سوق الدفتردار، المحدود بدكان الحاج مظهر بن عبدالله، وبدكان دروش بك بن الحاج أحمد بك، وبدار المرحوم عبد الله باشا[2]، وبالطريق العام.

والأربع دكاكين المتلاصقة، الواقعات في سوق السراجين، المحدودات بدكان محمد آغا بن أفندي خزينة كاتبي سابقاً، وبدار درويش بك بن الحاج أحمد بك، وبالسراي الخارج المنسوب إلى حضرة والي بغداد[3]، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق باب الآغا[4]، المحدود بقهوة البروازي، ملك الحاج مصطفى القزانجي، وبدكان وقف الإمام الأعظم، وبدار رستم آغا بن عبد الله[5]، وبالطريق العام. والدكانان الواقعان في سوق صبابيغ الآل، المحدودان بدكان الحاج جواد أفندي، وبالطريقين العامين.

والدكان الواقع في سوق البزازين، قرب سوق العجمي[6]، من أسواق الجانب الغربي من بغداد، المحدود بأسكلة[7] السيد حسين بن الملا محمد، وبالطريقين العامين.

والدكة الواقعة في سوق الخفافين المحدود أولاً بالدقاقخانة[8]، وثانياً وثالثاً ورابعاً بالطريق العام.

---

(1) بغداد آغاسي، أي آغا بغداد، هو رئيس أفواج الانكشارية فبها، وإلى ثكنته نسبت محلة باب الآغا الشهيرة من محلات الجانب الشرقي من بغداد.

(2) هو والي بعداد 1226-1228هـ/1810-1813م

(3) لم يتعين لنا موقع هذا السراي، وفي الغالب فإنه يشغل دائرة المحاكم السابقة (وكانت داراً لدفتردار بغداد، وقد سكنها داود باشا حينما تولى هذا المنصب).

(4) كان ثمة سوقان باسم باب الاغا، الاول باب الاغا العتيق، ويقع في مدخل محلة العاقولية حيث سوق الامانة اليوم، وهو الذي اشتهر بخبزه الفاخر، وباب الاغا الجديد، وهو الذي ما زال يعرف باسمه حتى اليوم.

(5) من قادة المماليك، تولى منصب (كتخدا) في عهد داود باشا. ينظر مرآة الزوراء ص92، 104، 115.

(6) سوق ومحلة يقعان قرب رأس جسر بغداد العتيق، ولا يعرف إلى أي عجمي نسب هذا السوق.

(7) الاسكلة هنا هي موضوع بيع الخشب وخزنه.

(8) في وقفية داود باشا المؤرخة في غرة محرم 1234 على مدرسة جامع الحيدرخانة ان مما وقفه هذا الوالي «الدكان والدكة الواقعين في سوق الدقاقين المحدودين من جهة بدكان علي

والبستان والكَردان[1] الشهيران بالفريجات[2]، الواقعان غربي قصبة الامام الأعظم، المحدودان بكرد الثعالبة المنسوب إلى السيد أحمد مفتي الشافعية سابقاً، وبالدجلة العظمى، وبكرد إبراهيم آغا النفطجي، وبمزرع أحمد أفندي الطبقجلي مفتي الحنفية سابقاً[3]، وبالطريق العام.

والبستان الشهيرة ببستان الجديدة[4]، الواقعة في قرية الجيزان، من قرى نهر الخالص.

وبستان التوت بالقرية المذكورة. ونهر قصب، وبالطريق العام.

والبستان الشهيرة ببستان القصر[5]، الواقع شرقي قصبة الإمام الأعظم، المحدودة بالدجلة العظمى، وبستان سليمان بك فخري زاده[6]، وبوقف ساقية الشيخ شهاب الدين السهروردي، وببستان الملا رجب بن سليمان، والطرق العام.

وأرض المزرع المحدودة بالبستان المذكورة، المشتملة على نخلتين.

وأرض البسيطة.

ونصف البستانين[1] المشتركتين مع الملا سليمان، الواقعتين في طريق أبي صيدة الكبيرة، المحدودة أولاهما، وهي المشهورة ببستان الحاج صالح. ونهر الحمر، وبستان

أفندي ومن جهة بدكان ايتام الكتخدا خالد أغا". وورد في وقفية ياسين بن خلف بن عبدالله المؤرخة في 22 ربيع الآخر 1211 إنه وقف منزلاً في محلة الصباغين والدقاقين الخام في بغداد، مما يفهم منه ان سوق الدقاقين كان من مشتملات محلة الصباغين، ويتصل سوق الصباغين بجامع الوفائية في نهاية سوق البزازين.

(1) الكردان: مثنى كرد وهو آلة رفع المياه من النهر.

(2) أرض منسوبة الى فخذ الفريجات من عشيرة الزبيد، وتقع مقابل التاجيات (جزيرة بغداد السياحية حالياً). شاد فيها والي بغداد الوزير داود باشا قصره.

(3) جد آل الطبقجلي الأسرة المعروفة في بغداد، ترجم له ياسين العمري فقال أنه «مفتي بغداد وعالمها وحبرها، كان أول كاتب للدفترخانة، ثم ولي الفتوى، وتوفي سنة 1213" غاية المرام ص263.

(4) بالتركية (ينكيجه).

(5) وقف داود باشا بستان القصر الواقعة في جوار قصبة الاعظمية وذلك في وقفيته المؤرخة 11 شعبان 1236.

(6) هو سليمان أفندي بن حامد أفندي آل الفخري، من أسرة نقباء الموصل العلويين، سافر إلى بغداد حيث صار من رجال حكومة واليها سليمان باشا الكبير، فولاه هذا أوقاف الحرمين في الموصل. غاية المرام ص36.

الحاج علي بن عبد الله، وببستان الحاج صالح بك. وبستان الحاج حسن بن فهد، وثانيهما المشهورة ببستان الحاج نور بن الرشيدية وبالطريق العام.

والساقية، وبستان الياس بن خضر، والخيط، وعقر هور الجيبة جي، المحدود بأرض العليمية، وبتل جماش أبي رأسين، وبخان آزاد[2] وبالدجلة العظمى.

وثلث عقر هور الزعفرانية[3]، المحدود بأرض قرارة[4] المتصلة بالدجلة إلى شاطئ جمال الدين، ومن اسكلة المخلط إلى أرض الناصرية وما بينهما ديالى، وبأرض الغُرابية[5]، وتل محمد، إلى دوب النخالة[6]، وإلى تلول بخش.

وأربعة أسهم وربع سهم من أصل أثنى عشر سهماً من جميع أراضي نهر قرية اللجمة الواقعة في مقاطعة الدجيل، المحدودة أولاً بطريق القرية الذي بين توث الحاج يعقوب والشطيطة، ويقرب معها إلى المهد الذي بين الثلاث سدرات الكائنات في الأرض البسيطة، وهي أرض عبارة ديوان، والحد الثاني ينتهي إلى شطيطة سيد مصطفى وسلطان، وثالثاً من الحدود وبباري الشُطيّطة من الجهة الشرقية التي تمتد على نهر الصخرية، إلى بزايز نهر جرجيس عند طريق الإمام، والرابع منه إلى نهر المسمى بالعلي.

---

(1) في الاصل: البستان.

(2) خان واسع حصين بين بغداد وبلدة اليوسفية، يظهر انه نسب الى رجل يعرف بهذا الاسم، كانت القوافل تتخذه محطة واستراحة لها، وأزيلت معالمه في تسعينات القرن الماضي تعدياً– على الرغم من اثريته– فلم يبق له من أثر سوى بئره. وكانت القرية التي نشأت عنده قد سميت، منذ سبعينات ذلك القرن، بقرية الحرية.

(3) الزعفرانية قرية قديمة ورد اسمها في العصر العباسي، ووصفت بأنها تحت كلواذى (الكرادة الشرقية) وقد اندثرت القرية، ووردت الاشارة إلى هذا الهور في وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م وكانت مياه دجلة تفيض إليه، ثم أطلق اسمها رسمياً على مزرعة تجريبية هناك، ثم شملت التسمية الأحياء السكنية التي أنشئت حولها. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ط2، بغداد 2013 ص96

(4) هي المنطقة المعروفة بجسر ديالى، بين بغداد والمدائن، وكانت تعرف في العصر العباسي ببند قريش.

(5) الغرابية مزرعة واقعة في جوار بغداد على نهر دجلة، محدودة من جهة بأرض كريات، ومن جهة بهور زعفرانية، ومن جهة بتل محمد، ومن الجهة الرابعة بنهر ديالى، كما في الإعلام الشرعي المؤرخ 16 جمادى الأولى 1282.

(6) أشير في وقفية زمزم خاتون بنت علي أفندي نقيب الأشراف المؤرخة في 21 جمادى الأولى 1320 الى «عقر دوب النخالة خارج باب الشرقي».

وثلاثة أسهم وثمن السهم من أصل أثنى عشر سهماً من جميع أرض نهر قرية الغواضر الواقع في مقاطعة الدجيل، المحدودة بنهر جمالية بلد. ونهر بني سعد، وبأرض الزاوية، وبالدجلة العظمى.

وسهم واحد من أصل عشرة أسهم من جميع الأرض الواقعة في ناحية الدجيل المتصلة بأرض غواضر الشهيرة بأرض الموح، المحدودة بالجُرف الذي ينتهي إليه مزرع نهر غواضر غرباً، وبأرض العبار جنوباً، وبأرض بني سعد شرقاً وبالجُرف أيضاً قِبلة.

والخان الواقع في بلد أربيل، المحدود بدكاكين صالح النجار، وبدكاكين الحاج عبد الله بك، وبدكاكين الكبابجي.

والبستانان الواقعتان في قرية الهاشمية[1]، وناحية الخالص، المحدودة إحداهما بملك ناصر وبالطريق العام، وبملك إبراهيم بن حسين، وبملك محسن بن سليمان، وثانيهما بالطريق العام، وبملك عبد القادر بن حسين آغا.

والرحي الواقعة في قرة تبة[2] بطريق زنكباد، وبنهر صارجق رحى عمر آغا وبأرض المزرع الراجعة للميري. ونهر الرحى المذكورة من الطرفين.

وعقر النهر المعروف بأبي دبس، الواقع في مقاطعة المحمودية، المحدود أولاً بنهر أبي عوسج، وثانياً أرض مقاطعة المحمودية، وثالثاً الأرض الشهيرة بأرض الحميرة، ورابعاً التلول في أراضي الإسكندرية.

والتسع بساتين: الأولى بستان كوت وشبيب، والبستان الثانية بستان إبراهيم وظاهر وثامر، والبستان الثالثة الشهيرة ببستان كاظم وحمادي، والبستان الرابعة بستان خضر ومحمد وخلف أولاد عابد، والبستان الخامسة بستان زرور وناهض وطارش، والبستان السادسة المسماة بستان جايد وأبيه حسين حمد الله، والبستان السابعة بستان مظلوم وحاجم، والبستان الثامنة بستان جاسم الدجيلاوي وعكرش، والبستان التاسعة بستان غالي ومحمد.

(1) لعلها بلدة الهاشمية في محافظة بابل، وتقع في الفرات الاوسط، على نهر الفرات، على بعد 130 كم من بغداد.

(2) بلدة تقع في قضاء كفري في شمال مدينة المقدادية وتبعد عن مركز محافظة ديالى حوالي 40 كم ويعني اسمها التل الاسود.

وقف الجميع وقفاً صحيحاً شرعياً خالصاً لوجه الله تعالى على الجامع المذكور المسمى بداودية.

وجعل الوزير الواقف التولية على الوقف والنظارة، فبدأ بنفسه أيام حياته، وشرط أن تؤجَّر هذه العقارات بأجر مثلها سنة واحدة، ويبدأ من غلَّتها بعمارتها وعمارة الجامع المذكور، ثم بمصارف الجامع والمدرسين الذين فيه، ثم يعطى من الغلة في كل سنة ألفان وثمانمائة وعشرون قرشاً من القروش الرائجة البغدادية وظائف للمدرس والخطيب وللواعظ وللإمام ولخدام الجامع والمدرسين منها، للمدرس ثلثمائة قرش، وللخطيب مائتا قرش، وللواعظ مائة قرش، وللإمامين أربعمائة قرش، لكل إمام مائتا قرش، وللقراء الأربعة الذين يقرؤن القرآن فوق المحفل يوم الجمعة أربعون قرشاً، لكل واحد منهم عشرة قروش، وللمؤذن الذي يؤذن ويُبلِّغ فوق المحفل يوم الجمعة ثلاثون قرشاً، وللمؤذنين الأربعة يؤذنون في أوقات الصلوات الخمس مائتان وخمسون قرشاً، لكل مؤذن إثنان وسبعون قرشاً ونصف قرش، ولمعيد درس الواعظ ثلاثون قرشاً، ولمن يحافظ كتب المدرسة مائة قرش، ولمن يشعل القناديل ويصلح حالها خمسون قرشاً، ولمن بيده مفاتيح أبواب الجامع ويكنس داخل الجامع مائة وخمسة وأربعون قرشاً، ولمن يناول السيف للخطيب يوم الجمعة، ويأخذه منه بعد انتهاء الخطبة ثلاثون قرشاً، ولكناس الجامع الخارجي مائة قروش، وللأبريقي الذي يملأ الأباريق ماء للمتوضئين ثمانون قرشاً، ولمن يناول الماء للشاربين من الماء المُسبَّل للشرب خمسون قرشاً، ولمن يرش أرض الجامع بالماء خمسون قرشاً، وللسقاء الذي يأتي بماء الجامع في كل يوم عشرة قِرب ثلثمائة وستون قرشاً، ولمن يأتي بقناديل الجامع ويُنوِّرها ثلاثون قرشاً، ولمن يأتي بالأباريق للجامع خمسة وعشرون قرشاً، وللمعمار الذي يتعهد الجامع، ويعمل فيه ما يحتاج إليه من الترميم خمسون قرشاً. ثم إذا فضل شيء من الغلة بعد العمارة والمصارفات فالفضلة له -أدامه الله تعالى- ينتفع بها في سائر وجوه الإنتفاعات، من غير مشارك له في ذلك ولا منازع له فيما هنالك.

[شروط التولية]

ثم جعل التوليه والنظارة من بعده إلى الأرشد فالأرشد من أولاده، وأولاد أولاده، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا، وشرط -حفظه الله تعالى- أن يأخذ المتولي الذي شُرطت له التولية من فضلة الوقف وظيفة تولية، ألف قرش، ويكون في الباقي كأحدهم في

الإستحقاق، وشرطاً أن تكون فضلة الغلة من بعده بعد التعمير والمصارفات لأولاده الذكور والإناث، للذكور مثل حظ الأنثيين، ما داموا موجودين في قيد الحياة، لا يستحق أحدٌ من أولادهم منهم في فضلة الوقف شيئاً. فإن انتقل أحد منهم من دار الفناء إلى دار البقاء، وخلف أولاداً ذكوراً فقط، أو أناثاً فقط، أو مختلفين واحداً أو أكثر، وخلف أولاد ابنٍ كان قد توفي قبله، وأولاد بنت كانت قد توفيت قبله، فيرجع نصيبه فقط إلى أولاده، وأولاد ابنه وبنته، الموجودين حينئذ للذكور مثل حظ الأنثيين، وإن انتقل أحد منهم ولم يخلف ولداً، ولا ولد ولد، ولا أسفل من ذلك، فيرجع نصيبه إلى أخوته وأخواته المشاركين له في الاستحقاق، بالذكر مثل حظ الأنثيين. وإذا انتقلت ولم تخلف أولاداً، سواء كان لها زوج أم لا، فيرجع نصيبها إلى إخوتها وأخواتها المشاركين لها في الإستحقاق، للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم إذا انتقل أولاد حضرة الواقف الصُلبيون بأجمعهم -والعياذ بالله تعالى- فترجع فضلة غلة الوقف إلى أولاد أولاد الذكور والإناث، للذكر مثل حظ الأنثيين، وأولاد أولاد أولاده، الذين توفي آباؤهم قبل استحقاقهم، فيشاركون مع أعمامهم وإخوانهم، للذكر مثل حظ الأنثيين. وشرط أن يكون أولاد البنات داخلين في الورد مشاركين لأولاد الأبناء في الإستحقاق حتى أنه لو خلف الابن بنتاً وخلفت البنت إبناً يكون لإبن البنت سهمان ولبنت الإبن سهم واحد. وشرط أن يكون الحكم في هذه الطبقة الثانية كالحكم في الطبقة الأولى على الوجه المشروح. وإن انقرضت الطبقة الثانية جميعها -والعياذ بالله تعالى- يكون الحكم في الطبقة الثالثة كالحكم المشروح في الطبقة الأولى، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا على الوجه المشروح. وشرط حضرة الوزير الواقف أن يدخل في جملة أولاده الموقوف عليهم أمهات أولاده أن يكن كالبنات في الإستحقاق، ويكون حكمُهن في جميع الطبقات كحكم البنات ما دُمن هن موجودات في قيد الحياة. وشرط أن من تزوّجت من أمهات أولاده فليس لها نصيب في الوقف المذكور. ثم إن انقرضت الذرية بأجمعهم -والعياذ بالله تعالى- وبقى من أمهات الأولاد واحدة أو أكثر، فيعطى من الغلة للباقي من أمهات الأولاد ما كُن يأخذن مع الذرية، والباقي يعطى للمُعتَقين والمُعتَقات والمُدَبرين والمدبرات، وأولادهم وأولاد أولادهم، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا، للذكر مثل حظ الأنثيين، الذين هم من مماليك حضرة الواقف المشار إليه، ومماليك أولاده أولاد أولاده وهكذا. وشرط أن يكون المتولي من هؤلاء الأرشد فالأرشد، وأن المتولي بعد أن يأخذ

الوظيفة المشروطة يكون كأحدهم في الاستحقاق في فضلة الوقف، ثم إذا انقرض المعتقون والمعتقات، والمدبرون والمدبرات، ولم يبقى منهم أحد، ولا من نسلهم أحد، يكون الوقف راجعاً إلى العلماء وطلبة العلم والصلحاء، الذين يسكنون في الجوامع والمدارس. ويكون أمر التولية راجعاً إلى حاكم الشرع الشريف، يختار واحداً من العلماء الأمناء وينصبه متولياً على الوقف المذكور.

ثم أن حضرة الوزير الواقف المشار إليه، وكَّل محمد آغا بن محمود أفندي، خزينة كاتبي سابقاً، وجعله متولياً للمخاصمة، وسَلَّمه العقارات الموقوفة، فقبضها قبضَ أمثالها.

ثم وكَّل حضرة الوزير الملا محمد نجيب، بأن موكله حضرة الوزير رجع عن الوقف المذكور، مدعياً بأنه غير لازم عند الإمام أبي حنيفة، إذ الوقف عنده كالعارية جائزة غير لازمة فيرجع عنه، لأن الوقف عنده حبس العَين على ملك المالك، فلا يلزم إذا كان غير محكوم به، فطلب إرجاع العقارات إلى ملك موكله، فنازعه محمد آغا الوكيل الآخر، مدعياً لزومه، محتجاً بقول الإمامين أن الوقف لازم، وإن لم يحكم القاضي بلزومه، لأن الوقف عندهما حبسٌ على ملك الله تعالى، وصرف منفعة الوقف على من أحبه الواقف، والفتوى على قولهما كما صرّح بذلك فقهاء الحنفية. فحكمتُ بصحة الوقف ولزومه وعدم جواز الرجوع، مع علمي بالخلاف الجاري بين الأئمة الأشراف، فصار وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً بحيث لا يباع ولا يوهب ولا يُعار ولا يُقسَّم ولا يُملّك، فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم.

وكان ذلك في غرة شهر رجب الأصب الواقع في السنة الثالثة والاربعين في الألف والمائتين للهجرة النبوية[1].

نمَّقه الفقير إليه عز شأنه

إبراهيم بن محمد القاضي بمدينة بغداد

---

(1) الموافق 17 كانون الثاني سنة 1828م.

أسماء ومعالم غير اسلامية
في وثائق وقفية بغدادية

تحنفظ وزارة الأوقاف في بغداد سابقاً (ديوان الوقف السني اليوم) بمجموعة من السجلات التي تضم كمية كبيرة من الوثائق الوقفية التي ترقى إلى عصر الدولة العثمانية في العراق، الممتد من دخول السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد سنة 1538 وحتى خروج العراق من يد العثمانيين في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة 1917.

ومن المهم القول أن أكثر هذه الوثائق هو نُسخ منقولة من سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، ويرقى أقدم تلك السجلات الى سنة 1188هـ/1774م، أما الوثائق المرتقية الى العهود السابقة على ذلك التاريخ فهي نسخ منقولة عن أرشيف الأوقاف الإسلامية في استنبول، أو من مصادر أخرى مختلفة.

وتشمل هذه الوثائق الوقفيات التي وقفها أصحابها على أنواع من المؤسسات الدينية والخيرية والخدمية، كما تشمل الحجج الشرعية التي تمنح لبعض من يطلبها إثباتاً لوقف وقفه أحد أسلافه، إضافة إلى الإعلامات الشرعية التي هي بيانات تصدر عن المحكمة بخصوص وقف عقار ما ومتوليه وحقوق المستفيدين من الوقف وما إلى ذلك.

وتقدم هذه الوثائق للباحث فوائد تاريخية شتى، لا يمكن الحصول عليها من المصادر الأخرى، ففيها نقرأ أسماء معالم المدينة: حصونها، ومؤسساتها العسكرية والمدنية، ومحلاتها السكنية، وأسواقها، وخاناتها، ومقاهيها، وحماماتها، ومشاريع مياه الشرب فيها، وبساتينها وما آلت إليه في العصور اللاحقة. وعلى الرغم من أن هذه الوثائق تختص بالأوقاف الإسلامية حصراً، فقد لاحظنا أنها لا تخلو من اشارات عَرضية إلى أسماء ومعالم لأشخاص يتبعون الديانتين المسيحية واليهودية، بحكم التجاور الشديد بين عقارات أتباع الديانات الثلاث في المدينة الواحدة. وتفصيل هذا الأمر، أن المحاكم الاسلامية لم تكن تعتمد أصلا الخرائط في تسجيل حدود العقارات، كما تحددها اليوم خرائط (الكادسترو) التي تثبت من خلالها حدود اي

عقار بأرقام ثابتة، وإنما هي تعتمد، بديلاً عن ذلك، تحديدها من خلال تعيين أسماء المالكين المجاورين، فيُسجِّل مثلاً أن فلاناً وقف داراً محدودة من الجهة الأولى بدكان عمرو، ومن الجهة الأخرى بدكان زيد، ومن الجهة الثالثة بدار آخر، ومن الجهة الرابعة الشارع العام او الطريق الخاص او السوق، وهكذا تفيدنا الوقفيات، ليس في معرفة الحدود الجغرافية لعقار ما فحسب، وإنما في معرفة طبيعة النسيج الاجتماعي للمحلة ومن ثم للمدينة كلها، من خلال تتبع أسماء مالكي العقارات المتجاورة في المكان الواحد، على أنها بالمقابل تفتقر غالباً الى توثيق مساحة العقار الموقوف، والى الأسماء الكاملة للمالكين، ومن ثم فان الوجود القانوني لهذه العقارات معرض دوماً الى الضياع، بحكم وفاة أصحابها، أو وفاة وارثيها، أو تعرض المحلة الى كوارث عامة من غرق وأوبئة وهو ما حدث مثلا عقب غرق بغداد وطاعونها سنة1188هـ/1774م وسنة 1247هـ/1832 حين ضاعت حدود المحلات فضلا عن حدود العقارات فيها. ولا يمكن توثيق أي عقار مرة أخرى إلاّ من خلال الإستعانة بالشهود من وجوه المحلة أو السوق التي يقع فيها، واستحصال (الحجج الشرعية) القائمة على توثيق تلك الشهادات، وحتى هذه الحجج فإنها مُعرَّضة الى ما تعرضت اليه أصول الوقفيات نفسها ما دامت توثق بياناتها وما يترتب عليها من حقوق المالكين بالأسلوب السابق نفسه.

وكنا قد تفحصنا جميع هذه الوثائق منذ عقدين من السنين، ويبلغ عددها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثيقة، في أثناء اعدادنا بعض الدراسات الخططية عن مدينة بغداد في العصر العثماني، واستخرجنا من مندرجاتها مادة ثمينة كانت موضوعاً لكتاب أصدرناه في سنة 2000 بعنوان (معالم بغداد في القرون المتأخرة)[1].

المسيحيون

توزع المسيحيون في محلات مختلفة من بغداد، ربما كانت محلة الميدان أقدمها، إذ برز وجودهم في هذه المحلة في أوائل القرن السابع عشر حتى نُسبت الى أحدهم محلة قائمة بذاتها، وسبب ذلك يعود الى أن السلطان العثماني مراد الرابع أراد مكافأة رجل من الأرمن الأرثذوكس يدعى كيورك نزارتيان، أي جورج الناصري، يشغل وظيفة

(1) كان هذا الكتاب يشغل 450 صفحة، وقد اصدرنا طبعة جديدة مزيدة ومنقحة منه، تشغل نحو 860 صفحة، وصدرت عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني سنة 2016.

مهمة في جيشه، هي (طوبجي باشي) أي كبير المدفعيين، وذلك لما أبداه من اخلاص في عمله، في أثناء حصار السلطان بغداد وفتحه إياها في19 شعبان 1048هـ/25 كانون الأول 1638م، بعد أن كانت بيد الصفويين، فما كان منه إلا أن مَنَحه رخصة بناء كنيسة في محلة الميدان القريبة من القلعة، فأصبحت هذه الكنيسة تعرف، ومحلتها، باسمه[1]. وقيل أيضاً أنه رجل من أرمن ديار بكر، انحدر الى بغداد، وتمكن بما حازه من نفوذ في عهد أحمد باشا والي بغداد (1136-1147هـ/1723-1734م) أن يضع يده على كنيسة قديمة، في محلة الميدان، شادها النساطرة في عهد الاحتلال الصفوي (1032-1048هـ/1632-1638م) وتحويلها إلى بني جلدته ومعتقده من الأرمن الأرثذوكس، فعرفت الكنيسة وجوارها به[2]. هذا مع أن الرحالة التركي أوليا جلبي أشار إلى وجود كنيسة للأرمن قرب الميدان، في سنة 1061هـ/1650م[3] أي قبل ولاية أحمد باشا المذكور بنحو قرن في أقل تقدير. وعلى الرغم من الاختلاف بين الروايتين فان مضمونهما يبقى واحداً كما ترى.

وكان من معالم محلة الميدان عقد يسمى (رأس الكنيسة)، أشير اليه في وقفية رقوشة خاتون بنت محمد بن الحاج سلمان، المؤرخة في 8 ربيع الأول1329هـ/ 1911م. فقد نصت الوقفية على أن الزقاق المنسوب الى محمد جلبي يقع «في عقد رأس الكنيسة في الجهة الخلفية لوقف آل القلعة لي»، وهذه الأسرة كانت من الأسر القديمة في بغداد وتتولى أوقاف جامع القلعة فنسبت اليها .

وكان ثمة عقار باسم (وقف الكنيسة) ولا ندري إلى أي كنيسة يعود، فإن الواقفين لم يكونوا يميزون بين هُويّات الكنائس، وقد وردت الإشارة اليه في وقفية علي بن كاظم الملا حسن على أعمال البر، حيث جاء فيها أنه وقف «جميع الدكان الواقع في سوق الجُوخَچية المحدود بوقف الكنيسة، وبدكان محمد سعيد الشيخلي وأخوته أولاد مصطفى چلبي، وبخان الذهب، وبالطريق العام» وذلك في وقفيته المؤرخة في 29 شعبان 1314هـ/1896م.

---

(1) بطرس حداد : كنائس بغداد- الأعمال الكاملة، بغداد 2017، ص338.

(2) روفائيل بابو اسحاق: كنائس بغداد في العهد العثماني، مجلة سومر 1964، ص285

(3) أوليا جلبي سياحتنامه سي ج4 ص419

وفي القرن الثامن عشر أخذ المسيحيون في بغداد يختارون تجمعاتهم في محلات متفرقة، خارج مستقرهم الأول في محلة الميدان، وتوزعت كنائسهم في أطراف الميدان، وفي سوق الغزل، وفي الشورجة، وفي أحد عقود محلة راس القُريَّة عرف بـ(عقد النصارى)، و(عقد الكنائس). وعلى الرغم من تسمية العقد هذه، فإن من الواضح أنه كان أصغر من أن يستوعب جميع المسيحيين في المدينة، ولذلك فقد وجد المسيحيون انتشارهم في محلاتها الأخرى، مما ذكرنا.

من ذلك ما جاء في وقفية صفية خاتون بنت يوسف المؤرخة في 16 ذي القعدة سنة 1281هـ/1863م من أنها وقفت دارها في محلة راس القُريَّة، وعيَّنت جيرانها فكان منهم (من جهة اليمين والخلف بدار فتوحي بن يوسف الميداني، ومن اليسار بشورا بن استيفان)، وهذا مسيحيان أولهما من مدينة (ميادين) السورية الواقعة على نهر الفرات[1].

وبشكل عام فإن الوقفيات تكتفي عند ذكر غير المسلمين بالاشارة الى إسمائهم الأولى فقط، وفي أحيان قليلة كان ينُص على أنهم من أهل الذمة، وهو مصطلح يطلق على غير المسلمين عامة. من ذلك مثلا أن وقفية الوزير داود باشا والي بغداد على مدرسة جامع الحيدرخانة المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/1827م أشارت الى سوق الحيدرخانة بوصفه من حدود تلك المدرسة، حيث أنه وقف سبعة دكاكين في السوق المذكور باتصال المسجد الواقع في غرب المدرسة، المحدودة من جهة بدكان كاتب العربية عبد الباقي چلبي، ومن جهة بدكان عُرف صاحبه بـ(الذمِّي جرجو)، ومن جهة بالمسجد ومن جهة أخرى بشارع السوق. فجرجو هذا مسيحي، واسمه مخفف من جرجي، او جورج.

وأشارت وقفية الوزير داود باشا والي بغداد على مدرسة جامع الحيدرخانة المؤرخة في غرة محرم 1234 الى أن من حدود سوق الحيدرخانه من جهة الغرب ملك محمد آغا، ومن جهة أخرى شارع سوق الحيدرخانة، وبعضاً ملك كاظم، ومن جهة ملك (ياسف الذمي القونداقچي)، ومن جهة بملك الملا محمد قنجق، كما في وقفيته

(1) عرفت ميادين في العصور الاسلامية باسم (الرحبة) وتقع على بعد 45 كيلومترا من مدينة دير الزور، في الجهة الجنوبية الشرقية منها.

المؤرخة في غرة محرم 1234. فهنا ذكر اسم هذا الذمي ولكنه لم يذكر دينه، والغالب انه مسيحي، أما القونداقجي، فمصطلح تركي يعني مُصلِّح الأسلحة النارية.

وفي وقفيته المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/1827م أشير الى سوق الحيدرخانة بوصفه من حدود تلك المدرسة، حيث ورد انه وقف «الدكان الواقع في السوق المذكور المحدود من جهة بملك الذِّمّي ياسف، ومن جهة بملك علي بك زاده، ومن جهة بالطريق الخاص، ومن جهة بشارع السوق».

ومن ذلك أيضاً أن خاناً تجارياً يسمى خان (جون) أشير اليه في وقفية الحاج محمد جواد بن الحاج علي كافل حسين المؤرخة في 28 جمادي الآخر 1294هـ/1877م بوصفه من حدود دكان وَقَفه الواقف المذكور في سوق الچوخه چية في بغداد، والاسم لمسيحي ولا ريب، لكنه لم يكن محلياً، وإلا لكان اسمه حنا، او يوحنا ،. كما هو معلوم.

ونجد في أحيان أخرى أن الواقف ينص على الهوية الدينية لمن يَرِد اسمه في وقفيته، من ذلك أننا نقرأ في وقفية حليمة خاتون بنت عبد الله أفندي أنها وقفت «الدار الحرم والديوانخانة في محلة رأس القُريَّة المحدودة بدار الحاج عبيد وبدار ورثة السيد عبد القادر وبدار ورثة الحاج خليل وبدار يوسف النصراني وبالطريق العام» فنصت بذلك على هوية جارها يوسف هذا ولكنها بالمقابل لم تنوه باسم أبيه. وذلك في وقفيتها المؤرخة 9 شوال 1281هـ/1863م.

وفي وقفية الحاجة نجُو بنت الحاج عبد القادر الحاج عبد الهادي أنها وقفت «خان صغير، والمقهى المتصلة به، والملاصقين أحدهما بالآخر، المحدودين بدار وقف جامع العدلية، ومن جهة بدار الواقفة، وايضا بدار المسيحي أغاكيم، واستيفان ولدي خضر، ومن الجهة الرابعة بالطريق العام» وذلك في وقفيتها المؤرخة في 12 رمضان 1295هـ/1878م، فهنا نصت الوقفية على اسمي مالكي الدار واسم أبيهما وهويتهما الدينية.

ومثل ذلك ما ورد في وقفية الحاج سلمان بن صالح بن شبلي من أنه وقف عقارات كثيرة منها «ودار خربة في محلة الميدان، محدودة بالطريق العام، وتتم بالدكاكين الثلاثة العائدة الى الوقف الهمايوني، وبالطريق العام، وبدار (عبد الجبار

أفندي الأوقات[1] بن عيسى المسيحي)، وبخان صالح آغا اليوزباشي، وذلك في وقفيته المؤرخة في 23 محرم 1324(1906م)»، فهذه الوقفية نصت على اسم الواقف واسم أبيه وهويته الدينية واسم مهنته، وهي المحاماة.

ومن المؤكد أن ابرز المعالم المسيحية هي الكنائس، وكان لهذه الكنائس أوقاف من عقارات تجارية ينفق من غلتها على شؤونها المختلفة، وتدلنا الوقفيات عن تقارب، بل تداخل عجيب بين هذه العقارات الموقوفة وبين عقارات موقوفة خيرية وذُرِّية إسلامية، ففي وقفية الحاجة فاطمة خاتون بنت سعد الله آغا بن حسن على ذريتها أنها وقفت دكاناً في سوق الهرج العتيق محدوداً من جهة بـ(دكان الوقف المشروط لفقراء كنيسة الأرمن)، ومن جهة بدكان اليهوديين مناحيم سلمان دانيل ومناحيم صالح دانيال، ومن جهة بدكان ورثة اليهودي اسحق سكمَن، ومن الجهة الرابعة بالطريق العام، في وقفيتها المؤرخة 23 شوال 1304هـ/1886م، فهذه البقعة الصغيرة من سوق الهرج ضمت في وقت واحد ملكيات متجاورة مختلفة لمالكين من الديانات الثلاث، فهؤلاء المالكون هم جيران، ولا شك انهم كانت تحكمهم علاقات الجيرة المألوفة بين الجيران.

ومثل هذه الجيرة نجدها في وقفية الحاج أحمد چلبي بن حمادي بن رغله آل المدلل المؤرخة في 20 ربيع الآخر 1321هـ/1903م حيث أشير فيها الى مقهى وقف الكنيسة، بوصفه من حدود دكان يمتلكه يهودي اسمه عبد الله، في سوق باب الآغا محدوداً بدكان آل الرحبي، وهذه الأسرة من أسر بغداد القديمة وقد خرج منها عدد من القضاة والعلماء.

ومثل ذلك ما نقرأه في وقفية فطومة بنت مصطفى المقيمة في محلة سبع أبكار، فإنها وقفت داراً في المحلة نفسها برقم 24/185 تسلسل 242، محدودةً جبهةً بالطريق العام، ويميناً بدار صفية بنت يوسف، ويساراً بدار ورثة خضير بن سعودي، وخلفاً بدار الوقف العائدة الى الكنيسة، على وجوه البر، في وقفيتها المؤرخة في 20 جمادى الآخرة 1342هـ/6 شباط 1924، فدار الوقف على الكنيسة إذاً، كانت تجاور، حائطاً بحائط، دار الجارتين فطومة وصفية، فضلا عن جيرانهم ورثة خضير، مما يؤكد أنهم كانوا قد قبلوا هذه الجيرة بما يترتب عليها من علاقات اجتماعية.

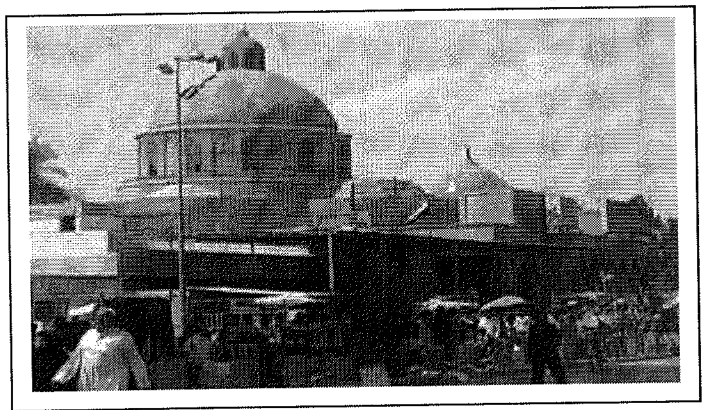
---

(1) كلمة مأخوذة من الايطالية (أفوكاتو) وتعني: المحامي.

وفي وقفية الحاجة زهوة بنت الحاج عبد الرزاق المزراقچي المؤرخة في ربيع الأول 1339هـ/15 تشرين الثاني 1920، أنها وقفت نصف دكان في الجادة السابعة من محلة باب الآغا، محدود من أحد جوانبه «بوقف كنيسة السريان».

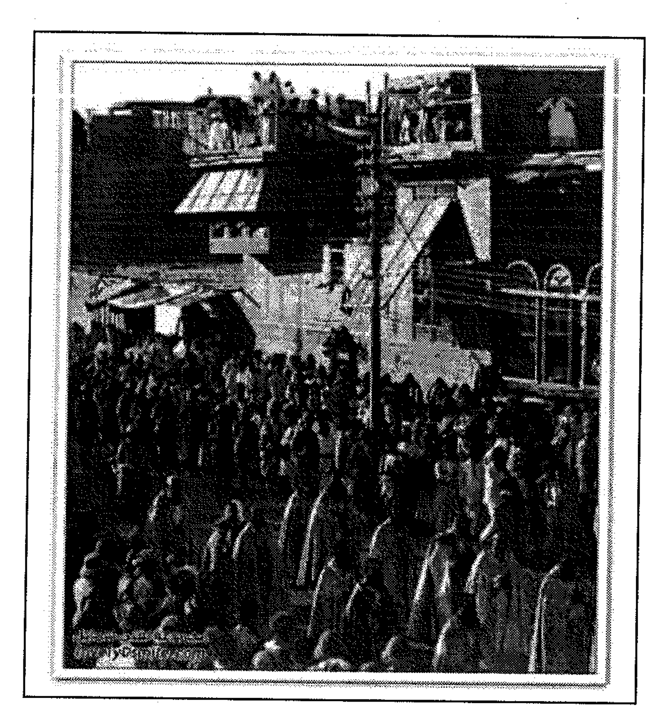
وفي وقفية فطومة بنت قاسم المؤرخة في 10 جمادى الآخر 1270 أنها وقفت «دكانا عائداً الى كنيسة النصارى» يقع سوق الأطرقجية المحادد لخان جغان (وهو المعروف اليوم بسوق دانيال).

ولم يكن ثمة ما يمنع أن يبيع بعض المسلمين داراً أو أكثر لمسيحي ليشيد عليها كنيسة، ففي محلة (جامع الخلفاء) أي محلة سوق الغزل، باع رجل يدعى محمود بن أحمد الرهاوي دارين متجاورين إلى أحد الأرمن الكاثوليك يدعى (لوقا الأرضرومي)، وكان هذا يرغب في جعلهما كنيسة، وقد سُجِّلت واقعة البيع هذه في سجلات المحكمة الشرعية بتاريخ 1215هـ/1800م فما كان من الأخير إلا أن نقض الدارَين ودَمَجَهما معاً في أرض واحدة شيد عليها كنيسة لبثت تؤدي خدماتها إلى أبناء طائفته مدة ست وثلاثين سنة، وورد اسم (محلة جامع الخلفاء) في وثائق هذه الكنيسة، وكان ذلك باسم بطريرك الأرمن غريغوريوس بطرس كوبليان. ومن الملفت للنظر حقاً أن تسجيل البيع في سجل المحكمة الشرعية كان يعني مصادقة قاضي بغداد على الشراء في ذلك الوقت، على الرغم من القرب الشديد بين موقع هذين العقارين وبين أكبر جوامع بغداد في ذلك العصر، وهو جامع الخلفاء المسمى في العصر العباسي بجامع القصر كونه كان المصلى الرسمي للخلفاء العباسيين عدة قرون[1].



كنيسة الكرمليين المقابلة لجامع الخلفاء

(1) كتابنا: مؤرخون سريان محدثون، بيروت 2015، ص127.



موكب احتفالي مسيحي في بغداد

اليهود

كان لليهود، كما تكشف الوثائق الوقفية، حضور أقوى في المحلات التي شهدت وجود أسواق وخانات ونشاطات تجارية، ففي وقفية الحاج عبد الرسول بن مهدي، المؤرخة في 15ذي القعدة1314هـ/ 1896م، أن الواقف المذكور وقف على أعمال البر، مصبغة الوقف، وعرَّف حدودها بأنها «محدودة من بعض جهاتها بدكان منشي شعشوع وبدكان عبد القادر وشريكه، وبالطريق العام». فهذه هي أول إشارة الى آل شعشوع الأسرة اليهودية المهمة في عالم التجارة، والتي ستزداد شهرتها في السنين التالية.

ومن المعالم التجارية اليهودية في سوق الشورجة خان روبيل، فقد أشير في الإعلام الشرعي المؤرخ في 9جمادى الآخرة 1317هـ/1899م إلى أن هذه السوق كانت تضم من المعالم: خان روبيل، وخان الباجه چي، وخان آخر وقفه الحاج عباس بن الحاج مهدي بن محمد شكرچي.

وتكشف وقفية جميلة بنت سليم أغا عن وجود دور سكنية لليهود في محلات أخرى من بغداد، منها محلة القراغول، حيث ورد فيها أنها وقفت سهامها الواقعة في

الدار الكائنة في محلة القراغول المرقمة 74/33، «المحدودة من الشمال الشرقي بالطريق العام، ومن الشمال الغربي بدار عزيزة ساسون، ودار سعيد علي، ومن الجنوب الغربي دار نعيمة وحسيبة بنتي حسين، ودار نعيمة بنت سمعون، ومن الجنوب الشرقي دار يوسف عزرا، ويتم بدار بهية عبد الرحمن». على وجوه البر كما في وقفيتها المؤرخة في 20 ربيع الآخر 17/1360 مايس 1941. فهاتان السيدتان اليهوديتان، نعيمة بنت سمعون، وعزيزة بنت سمعون، ويوسف بن عزرا، كانوا جيراناً لعدد من دور المسلمين من سكنة محلة واحدة، هي محلة القراغول.

وفي الوثيقة المؤرخة 15 رجب 1233هـ/1827م إشارة إلى بيع الحاج إسماعيل بن الحاج مصطفى، الأصيل عن نفسه، والوكيل عن ورثة المتوفى مصطفى أغا بن الحاج مرتضى، داراً حدد مواصفاتها بدقة، في محلة اسمها خواجة سلمان، في بغداد، إلى الياهو ولد الياهو ولد هارون اليهودي، وان الأخير قبل البيع واشترى لزوجته نَوعَم بنت عبد النبي بنت خاتون اليهودي هذا الدار المبلغ المذكور وبذلك «صار جميع هذه الدار كلها بتوابعها ومرافقها وكافة حقوقها لهذه المرأة اليهودية المذكورة تتصرف في جميع هذه الدار كلها كما تشاء بلا منازع»(1).

وفي محلة قنبر علي وقفت عايشة خاتون بنت السيد محمود داراً، محدودة من ثلاث جهات بدار محمد صالح آغا، ومن الرابعة بدار (ابراهام ولد حردون) وبالطريق الخاص، على وجوه البر، في وقفيتها المؤرخة 14 جمادى الآخرة 1277هـ/1859م. فابراهام بن حردون كان من سكنة المحلة، يجاوره فيها دار الواقفة ودار محمد صالح آغا المذكور.

ومن خانات اليهود البارزة خان كان يملكه ورثة (دينوس)، وهي أسرة يهودية برزت في مجالات التجارة والمال، وكان هذا الخان يقع بحسب وقفية الحاج محمد أمين چلبي بن الحاج محمد سعيد چلبي بن الحاج مصطفى الشيخلي المؤرخة في 6 جمادى الاولى 1296 هـ/ 1878م في سوق خان بكر من أسواق بغداد(2).

---

(1) سجلات المحكمة الشرعية، السجل 30، الورقة 12

(2) ذكر عباس بغدادي أن سوق الصفافير ينتهي بخان كرجي او خان شلش كما يسميه البعض، أما اسمه الآن فهو الحريري، فقد اشتراه السيد تقي الحريري من مالكيه اليهود بيت دنوس أصحاب سينما الزوراء، وقد هدمه الحريري وشيده سوقاً. (بغداد في العشرينات، بيروت 1998،ص158) .

ومن خانات اليهود أيضاً خان عبد الله اليهودي، وقد وردت الإشارة إليه في وقفية داود باشا المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/ 1827م بوصفه من حدود خان آخر واقع في سوق الصياغين.

ووقفت آمنة بنت ولي بن علي الساكنة في محلة قنبر علي، الدار الواقعة في المحلة المذكورة، المحدودة أولاً بدار الحاج طه القهوة چي، وثانياً بدار عبد الله اليهودي، وثالثاً بدار مريم بنت الطرف، ورابعاً بالطريق العام، في وقفيتها المؤرخة في 13 شوال 1307هـ/1889م.

ولا ندري ما إذا كان صاحب هذا الدار، عبد الله اليهودي، هو صاحب خان عبد الله اليهودي المتقدم في وقفية داود باشا أم غيره.

وأشير إلى خان باسم (خان اليهود) في وقفية رحمة بنت الحاج أمين الملا خضر على مسجد الخضيري (المعروف بمسجد التسابيل) المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/1818م بوصفه من حدود دكان وقفته في سوق العطارين في بغداد، وهذا السوق كان امتداداً لسوق الشورجة نفسه.

وفي وقفية الحاج محمد جواد بن الحاج علي كافل حسين المؤرخة في 28 جمادى الآخرة 1294هـ/1872م أن هذا الخان من حدود الدكان الواقع في سوق العطارين.

وادعى عبد الهادي بن سيد علي بن سيد حسين بن السيد يحيى أن الخان المرقم 46 الواقع في محلة الصفافير، المحدود بأملاك الحاجة نومة بنت الحاج أسعد، والحاج محمد العساف وبجدار الجامع (أي جامع؟)، وبدار إلياهو حسقيل، وبالطريق العام، كان ملكاً لسيد علي، ثم وقفه على أعمال الخير، فحكمت المحكمة بصحة الوقف، وذلك بموجب الإعلام الشرعي المؤرخ في 6 شعبان 1315هـ/1897م.

فهذا الاعلام يكشف أن الياهو بن حسقيل كان من سكنة محلة الصفافير، وليس مالكاً لمرفق تجاري فيها فحسب. كما أن داره كانت مجاورة لجدار جامع هناك، ومع ذلك لم يثر ذلك التجاور حفيظة المحكمة فضلاً عن جيران الجامع نفسه.

وثمة خان آخر لليهود في سوق العطارين، جاء في وقفية رحمة بنت الحاج أمين الملا خضر على مسجد الخضيري المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/1818م أنها وقفت «جميع الدكان الواقع في سوق العطارين ببغداد، المحدود بملك أحمد أغا بن اسماعيل كهية، وبملك مهدي بن مصطفى، وبخان اليهود، وسقفه الخان المزبور».

ووقف الوزير داود باشا والي بغداد دكاناً في هذا السوق، ففي وقفيته المؤرخة في 10 ربيع الأول 1234هـ/1818م أنه وقف الدكان محدود بدكان محمد أمين أفندي مدلج، وبدكان عبد النبي اليهودي، وبدار الياهو اليهودي، وبالطريق العام.

ومن معالم سوق السريرجية خان الدفتردار (الذين شيدت على أرضه عمارة الدفتردار الحديثة) خان مناحيم دانيال، فقد ورد في وقفية الحاجة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم على مدرستها المؤرخة في 9 ربيع الآخر 1291هـ/ 1874م، أن مما وقفته هذه السيدة «خان الكبير والصغير، المعروف باسم خان الدفتردار في سوق سريرچيلر، المحدود من جهة بخان مناحيم ولد سلمان دانيل، ومن جهة بالدجلة العظمى، ومن جهة بالطريق النافذ الى الدجلة، وبعضاً بأسكلة ورثة ولي الحاج فتحي المعلومين، ومن جهة بالطريق العام».

وكنا قد أشرنا الى أن في وقفية الحاج أحمد چلبي بن حمادي بن رغله آل المدلل المؤرخة في 20 ربيع الآخر 1321هـ/ 1903م اشارة الى دكان يمتلكه يهودي اسمه عبد الله، اذ جاء فيها انه وقف «دكاناً في سوق باب الآغا محدوداً بدكان آل الرحبي، وبدكان يهودا بن عبد الله، ويوسف، وبمقهى وقف الكنيسة، وبالطريق العام.

وكان في مدخل سوق الشورجة ثكنة عسكرية عرفت باسم سراي الينكجرية (وهم الانكشارية) اتخذها آغا هذه القوات مقراً لدائرته، فعرفت الثكنة باسم باب الآغا، وغلب هذا الاسم على المحلة المجاورة (وكانت تسمى بمحلة فراشة) فسميت بمحلة باب الاغا، وهذه القشلة هي التي تحولت، بعد انقضاء عهد الانكشارية، إلى دار تملكها الأرمني كريكور كيورك إسكندر وإخوانه، وظلت تعرف حتى سبعينات القرن التاسع عشر بدار القشلة، وكانت مقابلة لمحلة الرواق القديمة المرتقية الى العصر العباسي، اي المكان الذي يشغله اليوم مبنى بنك الرافدين المقابل لمدخل الشورجة[1].

ويمكننا ان نخرج من هذه النصوص الى جملة من النتائج هي

1- إن غير المسلمين، من المسيحيين واليهود، كانوا يشكلون جزءا من النسيج العام لمجتمع المدينة، لهم وجودهم في محلاتها المختلفة، وليس في محلة معينة خاصة بطوائفهم فحسب، وصحيح أنه كان للمسيحيين محلة تنسب اليهم هي عقد النصارى

---

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، الطبعة الثانية، ص453.

او عقد الكنائس، إلا أن وجودهم لم يكن منحصراً بهذه المحلة دون غيرها، فقد كشفت الوثائق عن وجودهم في محلات أخرى أيضاً، منها الميدان والقراغول وقنبر علي والشورجة وسبع أبكار وغيرها. وينطبق هذا الحال على اليهود أيضاً، حيث لم تكن (محلة التوراة) تمثل حياً مغلقاً عليهم، مثل محلات (الكيتو) التي عرفت في المدن الأوربية[1]، وإنما كانت حياً تجارياً يزوره الناس يومياً لأغراض التجارة من مختلف الديانات، ومن جهة أخرى، كان لليهود انتشارهم في محلات بغداد المختلفة، لا سيما في المحلات التي كانت تضم اسواقاً، مثل الشورجة، والبزازين، وباب الآغا، والصفافير، وكان منهم من يقيم في تلك المحلات بعيداً عن محلة التوراة التي تمثل أكبر تجمع لهم في بغداد، ولكن ليس التجمع الوحيد فيها. ومن الواضح تماما انه لا المجتمع الاسلامي ولا السلطة كان وراء نشوء ذلك التجمع أصلاً.

2- أقام المسيحيون، واليهود أيضا، في دور تجاور دور مواطنيهم من المسلمين، إلى حد أن عُدت دورهم حدوداً تُعرَف من خلالها دور أولئك الجيران. ومن الطبيعي أن تنشأ، في ظل ذلك التجاور، علاقات جيرة من التعاون والتعايش والمشاركة. ونرى أن هذه الملاحظة ترد على نظرية برنارد لويس في فهمه لنظام الملل العثماني، حين تصور أن المدينة الشرق- أوسطية كانت تتألف من مجتمعات منفصلة يختص كل منها بملة معينة لا يصلها بالملل الأخرى شيء يذكر[2]. وهي النظرية التي تبناها وروّج لها كُتّاب

(1) منطقة يعيش فيها، طوعاً أو كرهاً، مجموعة من السكان يعدهم أغلب الناس خلفية لعرقية معينة أو لثقافة معينة أو لدين، وقد أنشئت هذه الكيتوات في روما اولا، ثم انتشرت في مدن اوربية اخرى. وكان الكيتو هو الحصن الذي يعيشون داخله؛ كي يحافظوا على هُويَّتهم، ويدافعوا عن أنفسهم من خطر الاضطهاد المحتَمل في أيٍّ وقت.

(2) في 1980، بدأ برنارد لويس بتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة دول الشرق الأوسط جميعا، أو كلا على حدة، (ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ)، ثم تفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية. وفي مقابلة أجرتها وكالات الإعلام مع برنارد لويس في 2005/5/20 صرّح بأنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والاسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم. ينظر فيوليت داغر: عوامل حرف نهضة الشعوب المستضعفة، على موقع (اللجنة العربية لحقوق الإنسان) نشر في 31 آذار 2013 .

ومؤرخون، في عقد الثمانينات من القرن العشرين، وهم (يُروّجون) لنظام سياسي – اجتماعي مقبل، مشابه لما تصوروه أنه (نظام مِلَل)، تدور كل ملة، أو طائفة، في عالم خاص لا يجد ما يصله بالعالم الأكبر، وهو الوطن، من الوشائج إلا القليل أو لا يجد.

3- لم يكن سكنى غير المسلمين في أماكن قريبة من جوامع المسلمين مدعاة اعتراض أحد عليهم، أو اعتراض السلطة، فقد وجدنا القاضي في المحكمة الشرعية يصادق على عقود شراء مسيحيين ويهود لعقارات تجاور جوامع رئيسة، الى حد التماس أحياناً، دونما يبدي اعتراضاً يذكر.

4- لم تكن السلطة مهتمة بذكر الهوية الدينية لمالكي العقارات، ولذلك لم يكن ثمة تقليد محدد بشأن هذا الأمر، والظاهر أنه تُرك لاختيار الواقفين، فمرة تستخدم الوقفية مصطلح (الذمي) ومرة (النصراني) وثالثة (المسيحي) وفي أكثر الحالات لا يذكر اي مصطلح مميز، ويكتفى بذكر الاسم فحسب، أو الحرفة في أحيان نادرة.

5- وتأسيساً على هذا فإن السلطة لم تكن مَعنيّة بالتدخل في شأن هويات المالكين في حالات إنتقال الملكية او عند استئجار العقارات لمدد طويلة، حتى لو كانت تلك العقارات أوقافاً إسلامية بحتة، دليلنا على ذلك أنه سمح لإمرأة يهودية، تدعى (رفقة نورائيل) أن تستأجر سنة 1261هـ/ 1845م بالإجارة الطويلة، دار الشفاء التي أنشأها حاكم العراق الجلائري الخواجة أمين الدين مرجان سنة 760هـ/1358م، ووقف عليها العقارات الكثيرة، ومنها خان مرجان الشهير، لتحولها إلى مقهى يُنفق من رَيعه على مدرسة يهودية أنشأتها باسم (تلمود نوره)[1]، فعرفت هذه الدار، منذ ذلك الحين، باسم قهوة المصبغة نسبة إلى سوق الصباغين القريب، أو باسم قهوة الشط لإطلالها على النهر، وهكذا الأمر في عقارات موقوفة أخرى.

والخلاصة أنه لابد للباحث من اعتماد الوثائق بصفة رئيسة في تقرير نتائج قد تبنى عليها قناعات خطيرة، بدل أن يطلق القول جُزافاً من أجل تمرير أفكار يُراد بها تشويه حاضرنا فضلاً عن مستقبل أجيالنا.

---

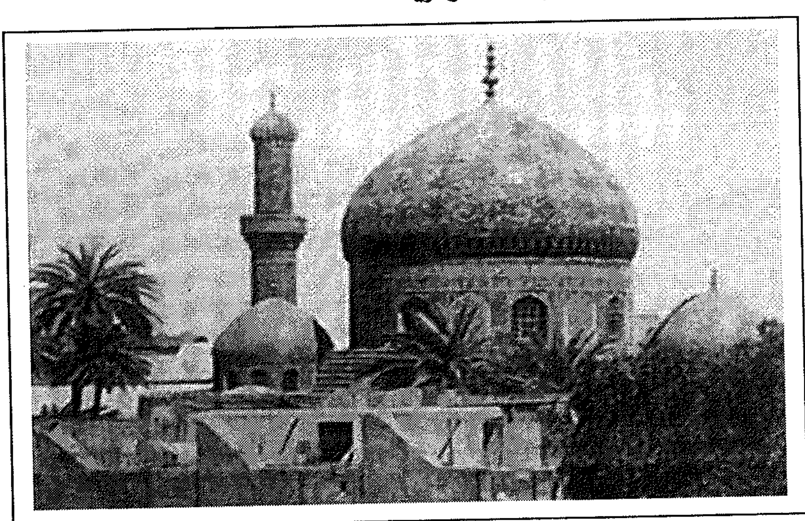
(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص345-346، ومحمد رؤوف الشيخلي: المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة، ص206.

من داود باشا إلى نقيب كربلاء

لعهد ولاة المماليك في العراق (1162-1247هـ/1749-1831م) أهمية خاصة في تاريخ العراق ابان القرون الأخيرة، وذلك لما اتسم به هذا العهد من تغيرات مختلفة شملت معظم مناحيه، وعلاقات سياسية واجتماعية معقدة نشأت بين مختلف القوى فيه، وبخاصة ما اضطلعت به بغداد من دور متميز في إدارة شؤون المدن العراقية الأخرى، بعد أن كان هذا الدور غير واضح، أو فاتراً، في العهد السابق من الحكم العثماني.

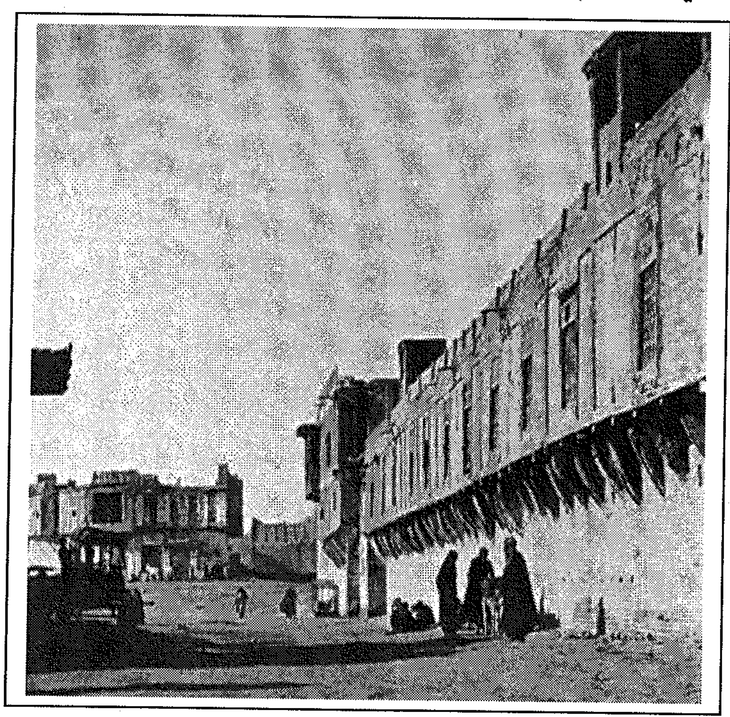
وقد أبدت بغداد نفوذاً متفاوتاً على جميع الأسر الحاكمة آنذاك، مثل الجليليين في الموصل، والبابانيين في قلا جولان ثم في السليمانية، والبهدينانيين في العمادية، وآل عبد الجليل في الحلة، وآل الملالي في النجف، والنقباء والسدنة في كربلاء، وغيرهم.

ولكن هذا النفوذ أخذ بالتعاظم السريع كلما اقترب عهد المماليك من نهايته، لا سيما في عهد آخر ولاتهم داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م)، فتم إزاحة جميع تلك الأسر الحاكمة بعد صراعات ونزاعات عديدة، وبذل كل مسعى لاستبدال تلك السلطات المحلية بسلطة بغداد المركزية.



جامع الحيدرخانة في بغداد الذي اعاد بناءه داود باشا

ومن المدن التي سعى داود باشا لفرض سيطرته المباشرة عليها، مدينة كربلاء، التي كانت تتمتع تلك الحقبة، بحكومة محلية، ثلاثية المظهر، يترأسها نقيب الأشراف، وسادن الحضرة الحسينية، وحاكم يُعيِّنه والي بغداد، وكانت الحياة السياسية في المدينة تتشكل على وفق توازن هذه القوى، حيث يتنقل مركز الثقل السياسي بين النقيب والسادن، بينما يمنح ممثل الوالي العثماني، شكل الحكم العثماني للمدينة فحسب.



كربلاء صورة قديمة

ولما كانت خطة داود باشا تتلخص بالإخلال بهذا التوازن عن طريق نقل السلطة الحقيقية في المدينة إلى ممثله فيها، فقد عيَّن حاكماً جديداً هو (فتح الله خان) وزوده بحامية ألبانية (ارناؤوطية) قُدِّر عدد أفرادها بنحو (500) جندي. وكان طبيعياً أن تشكل هذه القوة الجديدة خطراً كبيراً على الزعامة التقليدية في المدينة. وساعدت الأعمال غير المسؤولة للحامية الألبانية على تأليب الرأي العام ضد الحاكم الجديد، مما أدى إلى اغتيال الأخير في أوائل محرم سنة 1237هـ/تشرين الاول 1821م.

وطالب نقيب الاشراف بإحداث تغيير إداري يكفل للزعامة المحلية نفوذها السابق أو بعضه في الاقل، وذلك بتعيين سادن الحضرة الحسينية السيد محمد علي آل طُعمة[1] معاوناً لحاكم البلدة الذي سيتولى منصبه مستقبلاً.

وما أن وافق داود باشا على هذا الطلب، حتى قدم النقيب[2] طلباً آخر لإسناد سدانة الحضرة الحسينية (وكانت قد شغرت بعد نقل سادنها إلى منصبه الجديد) إلى زوج ابنته السيد محمد علي بن محمد موسى شرف الدين الشهير بأبي ردِن، وأيد كل من السيد محمد حسين اغا بُزرك الشهرستاني، ونقيب أشراف بغداد السيد علي بن محمود القادري الكيلاني[3] هذا الطلب، فاستجاب داود باشا اليه، مشترطاً على السادن الجديد والنقيب التعاون مع الحاكم الذي عيَّنه حديثاً، ويدعى علي أفندي، على تسليم قتلة الحاكم السابق فتح الله خان، إلاّ أن بوادر النزاع بين السادن والنقيب من جهة، والحاكم من جهة أخرى، لم تنته بعد، إذ سرعان ما اغتيل علي أفندي نفسه، مما جعل داود باشا يصمم على فتح المدينة واخضاعها بالقوة[4].

ويبدو أن الزعامة المحلية، ممثلة بالنقيب والسادن، شعرت بخطورة نوايا داود باشا، ففضلت تجنب الصدام المسلح بالطرق الدبلوماسية وباتباع سُبل تهدئة الخواطر، وكتب نقيب الاشراف رسالة، أرفقها بهدايا، إلى سليمان أغا أحد مُقرَّبي داود باشا يهنؤه فيها بمنصب (كتخدا البوابين) الذي ناله. واذ كان قد مضى على هذا التعيين خمسة أشهر، فمن الواضح أن رسالته وهداياه كانت تهدف إلى إزالة ما يكون قد وقع في النفوس من تكدر بسبب اغتيال علي أفندي من ناحية، وجَس نبض داود باشا نفسه من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أهمية هذه الرسالة بالنسبة إلى ما جرى بعدها من أحداث، إلا

---

(1) هو السيد محمد علي بن عباس آل طعمة، تولى السدانة من 1218 إلى 1240هـ، وقد شغل منصبه نائبا للمتولي في سنة 1237- 1238هـ. كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991، ص366.

(2) هو السيد حسين بن مرتضى آل دراج، وكان قد نال منصبه في 23 شوال 1234هـ/1810م.

(3) هو السيد علي بن محمود بن علي بن فرج الله، ولي النقابة سنة 1225هـ/1810م.

(4) تفاصيل هذه الاحداث في: محمد ابراهيم الهمذاني: كاشف الاعجاز (بالفارسية) وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج6ص287-288 ومحمد حسن الكليدار: مدينة الحسين ص119-206.

أن أحداً من المؤرخين لم ينقل لنا شيئاً من محتوياتها، ولكننا وقفنا، في أثناء إطلاعنا على بعض المجاميع الخطية[1]، على نص الرسالة التي أجاب بها سليمان أغا[2] كتخدا بوابي داود باشا على رسالة نقيب الأشراف المذكورة، ومنها يفهم فحوى هذه الرسالة ومرماها.

ويلاحظ أن رسالة سليمان اغا جاءت مبهمة في مطاليبها، لا تخرج عن التأكيد على نقيب الأشراف بإخراج مُسببي الفتن من (أرباب الزيغ والعناد) من البلدة، ونحن نعلم أن المقصود بهؤلاء هم قتلة علي أفندي، وربما فتح الله أيضاً، من حكام المدينة السابقين. وعلى أية حال فان رسالة سليمان أغا، بعدم إشارتهما إلى أسماء اشخاص بعينم، أو مطالبتهما بتحديد نوع العقاب المطلوب، قد تركت مجال العمل مفتوحاً للنقيب واولي الأمر ليتدبروا أمرهم في هذه المسألة.

وتحتوي الرسالة أيضاً جملة من عبارات التهديد والوعيد، في حالة عدم تنفيذ الطلب المذكور، مما يؤكد انها لاتمثل رأي سليمان أغا باعثها، وانما رأي داود باشا نفسه.

ويفهم من الرسالة أن وفداً كربلائياً قدم إلى داود باشا في فترة سابقة، وأن عفواً صدر من الأخير عن أحداث جرت قبلها، ولكنها لا تشير إلى تاريخ صدور هذا العفو، وماهية الأحداث التي أدت اليه، بيد أننا نرجح ان صدوره كان بعد حادثة اغتيال (فتح الله خان) مباشرة، فلقد سبق أن ذكرنا أن داود استجاب لمطلبَين رفعهما نقيب كربلاء، بعد تلك الحادثة، هما تعيين أحد أعوانه معاوناً للحاكم، وتعيين زوج إبنته سادناً للحضرة الحسينية، فلا يُعقل أن تكون استجابته قبل اصدار عفو شامل عما سبق من أحداث مهمة. وعلى هذا يكون وصول الوفد وصدور العفو في أحد أيام الفترة الممتدة من أول سنة 1237هـ/1821م وهو تاريخ مقتل فتح الله خان، إلى أوائل سنة 1238هـ/1822م وهو تاريخ مقتل علي افندي، فبعد الحادث الأخير كانت نية داود باشا قد تبدلت على ما يفهم من رسالة سليمان آغا بوضوح.

---

(1) مجموعة السيد عبد الفتاح الادهمي واعظ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (مخطوط منه نسخة في مكتبة المرحوم عباس العزاوي، اطلعنا عليها ولده المرحوم فاضل سنة 1971).

(2) تولى منصبه وكالة سنة 1239هـ؛ كتابنا: الأسر الحاكمة، ص83.

وتاريخ الوثيقة، كما جاء في المجموعة الخطية التي تحتويها، هو 10 لـ (شوال) سنة 1239هـ/1824م، فهي اذن اول وثيقة تفصح عن نوايا داود باشا وخططه، وهي الخطط التي بدأ تنفيذها عسكرياً منذ سنة 1241هـ/1825م واستمرت حتى نهاية حكمه، وعرفت باسم (وقعة المناخور) ثم استؤنفت في عهد نجيب باشا (1258هـ-1265هـ/1842-1848م).

والوثيقة من إنشاء الشيخ عبد الفتاح الادهمي[1] (توفي سنة 1246هـ/1830م) ولعلها بخط يده، كتبها بأمر سليمان اغا المذكور. ثم انه نقل صورتها في مجموعته الخطية ضمن ما نقله اليها من نماذج منشآته الادبية.

وفيما يأتي نص هذه الوثيقة، عدا ديباجتها فانه أضرب عن نقلها:

(وثانياً: وصلنا كتابكم وأسرّنا خطابكم، حيث كان مشتملاً على صدق وداد مُعيّن، وتهنئة لو لم تستعجل بها لكان ذلك أحسن[2]، وأما هديتكم فقد وصلت، وبخير القبول قد اتصلت

ثم انكم قبل هذا قد وفدتم نحو الحضرة العلية، ووَردتم من مناهل حياض رياض الرخاء أعذب الموارد السنية، وفزتم بحسن النظر، وحِزتم من الإكرام ما لم يكن يخطر في قلب بشر، ونشرت رايات القبول بحسن الشمول لمن أساء واقترف، وبرز التوقيع الغالي من الباب الرفيع العالي: عفا الله عما سلف، على أن تسلكوا أنهج المسالك، وتتركوا الأمور المؤدية إلى الوقوع في المهالك، وأن تصفوا تلك البقعة الشريفة من كدورات الأراذل، وتلقوا عن محاسنها المنفية مساويهم التي ليس تحتها من طائل ونراكم بعد الإقرار أنكرتم، وبعد الإقبال أدبرتم، وصرتم من

(1) هو عبد الفتاح بن محمد أمين بن محمد صالح الأدهمي، ولد ببغداد من أسرة حسينية نزحت من هيت على الفرات، وأخذ العلم عن علماء بغداد، ومنهم أبيه، وسافر إلى دمشق حيث أخذ عن بعض علمائها، وتولى التدريس في مدرسة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، والوعظ في جامعه، وكان أديبا، وله ميل إلى التصوف، وله مؤلفات منها (البهجة الجلية في المشايخ النقشبندية) وغيره. مصطفى الواعظ: الروض الأزهر ص15-70 ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص260 وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص232.

(2) يشير متهكماً إلى ان التهنئة جاءت بعد خمسة أشهر من تسنمه منصبه.

الخصال الذميمة في مرح وفير، وعدتم إلى أقبح ما كنتم عليه، (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)[1].

أما والذي لامؤثر في الوجود سواه، ولا معبود في الحقيقة إلاّه، لئن لم تنتهوا عن خلفكم ومَينكم، ولم تُخرجوا هؤلاء الأراذل من بينكم، لنَعقدنَّ عليكم رايات العَزم، مُطرَّزة بطراز العِز والبَها، ولنأتينكم بجنودٍ لا قبل لكم بها، ولنَسلنّ تلك الحضرة المنورة، ونصونَنَّ تلك الآستانة المطهرة، كما تُسَل الشعرة من العجين، وكما يُصان عن المؤذيات الجنين، ثم نخرِّب الديار، ونقطع من الأصول فروع النخيل والأشجار، ونسفك دماء الكباروالصغار، ولانبقي منكم إبداً ديار. وها نحن قد أنذرناكم، وبعد الإنذار خيرناكم، وهذا جزاء كل مجرم، ومن يهن الله فما له من مكرم ولأجل إفادتكم بالحال، وإطلاعكم على حقيقة الأحوال، حررنا قائمة النصيحة والتذكير، لدى وصولها بعون الملك القدير، أن تُشمّروا عن ساعد الجد والإجتهاد، وتخرجوا عنكم أرباب الزيغ والعناد، وتجلبوا رضا حضرة أفندينا ولي النعم، وتمتثلوا أمرنا فانه لكم أسلم، والسلام

سليمان كتخُداي بوابين

(1) النحل 45.

من كتخدا بغداد إلى أمير المنتفق

حول تداعيات الحروب الوهابية في شرقي الجزيرة

تُعد حملات الوهابيين على مدن العراق وبواديه في أواخر القرن الثامن عشر (أوائل الثالث عشر للهجرة) من الأحداث المهمة التي تركت آثارها على مجمل الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية في العراق في خلال القرون الأخيرة، فلقد أدّت العمليات العسكرية المفاجئة التي تعرضت إليها مدن العراق الجنوبية والفراتية، وبخاصة تلك التي تقع على حافة البادية مثل النجف وكربلاء والزبير وعانة[1]، إلى تداعيات مختلفة في بنيان المجتمعات العراقية هنالك، وبخاصة ما يتعلق منها بعلاقة حكومة المماليك بشيوخ القبائل العربية، وموقف المماليك من المسألة القَبَلية بشكل عام.

فبعد أن كانت سياسة المماليك تحوم، منذ عهد حسن باشا مؤسس نظامهم[2]، حول هدف واحد، هو تفكيك وحدة القبيلة، وخلق المناسبات لإضعاف ارتباطها بغيرها من القبائل وتقليل أهميتها العسكرية، فإن ظهور الخطر الوهابي غيَّر هذه السياسة إلى الضد تماماً، حيث سَعَت حكومة المماليك إلى محاولة تجميع القوى القبلية من جديد، وإسنادها بدعم رسمي كبير، بهدف اتخاذها سَداً بوجه قوة الوهابيين، وكان نصيب إتحاد قبائل المنتفق[3] من آثار هذه السياسة الجديدة كبيراً،

---

(1) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء (ترجمة موسى نورس) وابن بشر: عنوان المجد ص122 ولمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص90 وياسين العمري: غرائب الأثر ص57.

(2) حكم من 1116 إلى 1136هـ/ 1704- 1723م.

(3) بنو المنتفق قبيلة عربية قديمة كان لها شأن سياسي في منطقة البصرة في القرن العاشر للميلاد (الرابع للهجرة) واستطاع شيوخها أن يحكموا البصرة فترات متقطعة في العهدين الجلائري والتركماني ثم لفَّ الغموض تأريخهم القبلي بعد ذلك، حتى عاد اسمهم ليطلق في القرن السادس عشر للميلاد (العاشر للهجرة)، على اتحاد قبلي قوي تكوَّن في منطقة الفرات الأوسط، فقبيل بدء العصر العثماني تمكن الشريف حسن، وهو رجل من أشراف الحجاز أن يُوحِّد بين ثلاث قبائل عراقية، هي آل الأجود، وآل مالك، وآل سعيد، ويتولى هو زعامة (إمارة) الاتحاد الجديد، الذي عرف بإمارة المنتفق، وقد شكلت أسرة الشريف المذكور، بزعامتها الاتحاد، قوة مرهوبة الجانب، سيطرت على القسم الجنوبي من حوض الفرات وشط العرب سيطرة تامة في ظل السيادة العثمانية، وعرفت الأسرة بآل شبيب، ثم بآل السعدون.

انظر: سليمان فائق: مرآة الزوراء ص145 وتأريخ المنتفق حاشية لعلي الشرقي ص72- 73 ويعقوب سركيس: مباحث عراقية 8/1 و72 و 202.

يتناسب مع ضخامة حجمها، وموقع (ديرَتها) المهم، المسيطر على بوادي العراق الجنوبية، وما ينضوي تحت لوائها من قبائل وعشائر عديدة. ويذكر سليمان فائق أنه حينما استولى الوهابيون على الحَرَمين الشريفَين «انجبرت ولاة بغداد آنئذ على التغامض عن أعمال رؤساء عشائر المنتفق، لكي يوسعوا ويزيدوا قواهم، فيتمكنوا من إخماد فتنة الوهابية»[1].

وكان من نتائج هذه السياسة، أن زادت سطوة المنتفق على منطقة البصرة وقراها، وملكوا جميع ما يحيط بها من أماكن فيما عدا مدينة البصرة ذاتها، وقرية أو اثنتين[2]، واضطرت حكومة المماليك إلى إغضاء الطرف عن أعمال المنتفق السابقة، فأقرّت شيخهم، ثُوَيْني بن عبد الله علي إمارته، فكان ذلك اعترافاً منها أيضاً بأعماله التالية[3].

وفي عام 1213هـ/1798م جهَّز ثويني، إثر حملة وهابية على الأحساء[4]، جيشاً كثيفاً من قبائل المنتفق وأهل الزبير والبصرة ونواحيها، وجميع بوادي الضفير وبني خالد، وسار معه أسطول من البصرة، لاستخلاص الأحساء، إلاَّ أن اغتيال ثويني نفسه كسر الحملة، فتفرق جيشه، واستولى الوهابيون على مدافعه ومعداته[5]، فكانت تلك الحادثة سبباً في إضعاف هيبة المنتفق في العراق نفسه، واضطرت حكومة المماليك ببغداد، إزاء تلك التطورات، إلى توجيه مشيخة المنتفق إلى رجلٍ مُحَنَّك عُرِف بحذره وطول أناته، هو حُمُود[6] بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي، ابن أخي ثُوَيني لأمه[7]، فكانت مدة تولِّي هذا الشيخ منصبه، على ما تذكر المصادر، من أحفل عهود العلاقات

---

(1) سليمان فائق: تأريخ المنتفق ص14.

(2) تأريخ المنتفق ص15.

(3) دوحة الوزراء ص204- 215 وعثمان بن سند: مطالع السعود ص 82 و89-93، 175- 179، 182، و202، 203، 210، 212، 216، 218، 221، 23 وابن بشر: عنوان المجد في تأريخ نجد 112/1 وياسين العمري: الدر المكنون، ورقة 652 .

(4) ابن بشر: عنوان المجد ص107 وفيلبي، جون: تأريخ نجد (ترجمة عمر الديراوي) ي65، 83.

(5) دوحة الوزراء ص204 وابن بشر: عنوان المجد 112/1، وفليبي ص94.

(6) ويعرف بحمود الثامر، وقد استمرت إمارته إلى سنة 1242هـ/ 1826م، وخاض خلالها عددا من المعارك، ومنها معركته المشهورة التي انتصر فيها على عبد الله باشا والي بغداد وقتله، ممهداً لسعيد باشا بن سليمان باشا الكبير الوصول إلى منصب الولاية. وقد عمي في أواخر أيامه وتوفى في بغداد ودفن في غربيها.' أنظر مباحث عراقية 6/1- 7.

(7) مطالع السعود ص 221 ومختصره ص61.

المملوكية- المنتفقية بالتعاون والتنسيق بين قوى الطرفين، كما أنها- في الوقت نفسه- من أشد العهود ارتباكاً وقلقاً، نظراً لما كان سبّبه الوهابيون من خطر على وجودهما معاً، فإذا أضفنا إلى ذلك كله اختلاف مصالح الطرفين، وتباعد مواقفها السابقة، لاحت لنا صعوبة دراسة هذه الفترة التأريخية، وحاجة الباحث فيها إلى مزيد من الضوء للكشف عن ظروفها ومخفياتها.

وكنا قد عثرنا، أثناء بحثنا في ذلك العهد، على وثيقة مهمة[1]، هي رسالة رسمية موجهة من علي باشا كتخدا (مساعد ونائب) والي بغداد سليمان باشا الكبير[2] وقائد جيش المماليك، إلى الشيخ حمود الثامر أمير قبائل المنتفق، تكشف عن جوانب خفية من طبيعة العلاقات بين الطرفين في فترة الغزوات الوهابية.

وتأريخ الوثيقة، كما ورد في آخرها، هو 23 ربيع الأول سنة 1216هـ/ 1801م، أي قبل نحو تسعة شهور من حادثة هجوم الوهابيين بقيادة سعود بن عبد العزيز على مدينة كربلاء في يوم عيد غدير خم 18 ذي الحجة من العام نفسه[3]. وليس في المصادر أية إشارة إلى مثل هذه الرسالة، وإنما يورد رسول حاوي الكركوكلي، في أخبار السنة المذكورة[4]، خبراً عن رسالة أرسلها حمود الثامر نفسه إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد «يخبره أن سعود بن عبد العزيز وجموعاً غفيرة من الوهابيين انحدروا نحو العراق»[5]، غير أن الكركوكلي لا يزيدنا تفصيلاً عن محتويات هذه الرسالة، أو تأريخها، لذا فنحن لا نعلم- على وجه الدقة- ما إذا كانت سابقة على رسالة الكتخدا التي بأيدينا أم لاحقة لها، وأن كان الإحتمال الأول هو الأرجح، نظرا لخلو رسالة الكتخدا من أية إشارة إلى رسالة سابقة لحمود، فضلاً عن أن فيها ما يشير إلى أنها كُتبت، وعلي الكتخدا وجنده معسكرون في مكان ما خارج بغداد، منذ شهرين من

---

(1) ضمن مجموعة خطية في المكتبة القادرية ببغداد.

(2) من الشخصيات السياسية العسكرية البارزة في تأريخ العراق في عهد المماليك، نال منصب (كتخدا) المهم، مع رتبة (مير ميران) سنة 1211هـ/1796م، ثم تولى الحكم بعد وفاة سليمان باشا الكبير سنة 1217هـ/1802م واستمر واليا حتى مقتله سنة 1222هـ/1807م.

(3) ميرزا محمد تقي الكاشاني: ناسخ التواريخ، مجلد القاجارية ص63 والخونساري: روضات الجنات ص353 و516 ورحلة أبي طالب خان (ترجمة مصطفى جواد) ص385.

(4) دوحة الوزراء ص216.

(5) دوحة الوزراء ص216.

تأريخ كتابتها، فإذا ما علمنا، إستنادا إلى الكركوكلي أيضاً، أن الكتخدا أضطر، في مفتتح سنة 1216هـ (أواسط سنة 1801م)، إلى قضاء ثلاثة أشهر تقريباً في بلدة (شفاثا) جنوب كربلاء، تحسباً لغارة الوهابيين المتوقعة[1]، فيكون قد كتبها في أثناء مكوثه في هذا المكان، أي قبل أن يرسل إليه حمود برسالة التحذير المذكورة ببضعه أشهر.

وتكشف رسالة علي باشا الكتخدا عن جملة معلومات مهمة بصدد موقف المماليك من حركة الوهابيين من جهة، ومن حمود الثامر أمير المنتفق من جهة أخرى، حيث يفهم مما أورده المذكور أن من اسمه عبد المحسن[2] أرسل يطلب لجنده رَصاصاً وباروداً من متسلم[3] البصرة بهدف الدفاع عن بلدة (الزبير)، والظاهر أنه كان نازلاً بالقرب منها، إلاّ أن متسلم البصرة حوَّل طَلَبَه هذا إلى والي بغداد، الذي استغرب من الطلب، على اعتبار أن منطقة البصرة داخلة في نطاق دفاع حمود نفسه، كما أنها قريبة من مواقع المماليك، ولعله يشير هنا إلى معسكر الكتخدا في شفاثا.

ويبدو أن سكان الزبير[4] كانوا يطالبون، نظراً لاضطرارهم عدم ترك بلدتهم، إلى زيادة في الأرزاق المخصصة لهم، وأن حموداً أبلغ متسلم البصرة بذلك، بيد أن رد علي باشا جاء مُوضِّحاً ضعف موقف المماليك العسكري والمالي، حيث تضمنت رسالته جملة من الاعتذارات والتبريرات، هي:

---

(1) المصدر نفسه ص214.

(2) ليس في الرسالة ما يوضح علاقة عبد المحسن هذا بحمود، وحقيقة دوره، وعليه فليس واضحاً تماماً لماذا أختار علي باشا حموداً ليخاطبه بشأنه، وبعيد أن يكون عبد المحسن بن سرداح شيخ بني خالد وحليف المنتفق، لأن وفاته كانت قبل هذا التأريخ، في حدود 1201 وقبل 1204هـ.

أنظر: مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص67– 71.

(3) متسلم البصرة في هذه الأثناء هو سليم بك، وقد تولى منصبه من 1216 إلى 1217هـ. مطالع السعود ص242، 243، 272–276، 280، 245، 379 ومختصره للحلواني 70، وكتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق، ص405.

(4) وكان يتولى حكم بلدة (الزبير) في هذه الأثناء إبراهيم بن ثاقب آل وطبان وقد عينه حمود الثامر سنة 1213هـ واستمر في منصبه إلى سنة 1237هـ. عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي: إمارة الزبير بين هجرتين، الكويت 1985، ج1 ص68 وحسين خلف الشيخ خزعل: تأريخ الكويت السياسي 93/1.

1- أن حكومة المماليك لا تجد من المال ما يكفي لتغطية نفقات حمود وطلباته بسبب إرسالها الحصة المالية المفروضة عليها إلى الدولة العثمانية.

2- أن حكومة المماليك محتاجة إلى مبالغ ضخمة لإنفاقها على جيشها الذي يقوده علي باشا الكتخدا والمتجمع في (شفاثا) منذ شهرين، خاصة وأن إيرادات البصرة لا تكفي لتغطيتها.

3- أن التعبئة المعلنة في البصرة تكلف حكومة المماليك مالاً أيضاً.

4- أن مبالغ وفيرة أُرسلت إلى حمود الثامر نفسه، من قبل، بصفة رواتب لجنده.

وأسلوب الرسالة يكشف عن ضعف موقف المماليك بوجه عام، فهو مزيج من التودد والاعتذار، وهذا مظهر واضح من مظاهر اعتماد المماليك على القبائل العربية، وبخاصة اتحاد قبائل المنتفق، في درء الأخطار التي كانت تهدد العراق إبان فترة الغزوات الوهابية في أوائل القرن التاسع عشر، على ما أشرنا إليه من قبل.

ويلاحظ أن الرسالة مكتوبة بلغة عربية ركيكة، وفيها من الألفاظ والتعابير العامية غير قليل، وهي بذلك أنموذج على لغة الموظفين العثمانيين في العراق في عهد المماليك.

نص الوثيقة

(أزكى السلام التام بمزيد المودة والإكرام، ومديد التوقير والاحترام، إلى جناب قدوة القبائل والعشاير، عُمدة البطون والعماير، شيخ مشايخ المنتفك، الأخ سلَّمَه الله تعالى وأعانه، وأكرمه ولا أهانه.

أما بعد، فالباعث لتحبير كتاب المودة، هو أنه في هذه الدفعة وَرَدَتنا معروضات من أخينا الأكرم متسلم البصرة، ومن الجملة مُرسِل لنا قائمة أخيك عبد المحسن التي مُرسلها إليه على خصوص الرصاص والبارود لأجل سقمانية[1] النجادة[2]، ومحرر عن حال أهل قصبة سيدنا الزبير رضي الله تعالى عنه، بأن قبل هذا كان

(1) السقمانية تقدم توضيح هذا المصطلح في هذا الكتاب، والمقصود به هنا الهدافون أو القناصة بالبنادق مطلقا.

(2) يريد القوات النجدية الملتحقة بقيادة حمود الثامر.

سبب جلب معاشهم من الخارج، وأن الان انقطعت أسباب معيشتهم، ومقصوده توجيه معيشتهم[1]، ومُكثر في التمر بمثل هذا التقريب، وحيث أن المتسلم الموما إليه ما هو ممارس حال ذلك الطرف، بناء على ذلك مُرسِل القائمة المذكورة لطرفنا، ولما عُرضت على الحضرة العلية[2] استغرب هذا التحرير من أخيك، حيث أولاً: مثل جنابك مُعتَمد حضرة أفندينا ولي النعم- أيَّده الله تعالى- وسلاحه بذلك الطرف، ولا قاعد يُقصِّر بأمر المحافظة المطلوبة. وثانياً: أهل القصبة المرقومين إلى الآن ما بيَّن عليهم أحد ولا قصدهم عدو، فهذا حالهم والعياذ بالله تعالى إذا قصدهم العدو كانت يصير حالهم (كذا)، وقد تيقنَّا أنهم بوقت اللازم ما ينفعون، لأنهم لو قد ظهر العدو عليهم وقصد السوء معهم فان البصرة قريبة منهم وجنابك غير بعيد عنهم، واحنا أيضا[3]- بعونه تعالى- ما نغفل من طرفهم، ولكن هل مال[4] الذي ذكره أخيك فأنه المعلوم جنابك كيفية ترادف المصارف الذي اتفقت على الحضرة السنية، أولا: شيء كُلي راح إلى جانب الدولة العلية. والثاني: صار لنا مدة شهرين بهل[5] مكان، وبمعيتنا هل أكثر عساكر وفيرة، ويومية يقتضي لأجل مصارفهم مبالغ خطيرة، ومدة أقامتنا متمادية، ومصارفنا لم تزل متزايدة، ومع هذا بالبصرة أيضا تعينوا أهل كثير سقمان ويريد لهم شيء كلي مصارف، ولجانبك كذلك توجه مبلغ وافر لأجل مشاهرة[6] السقمان. غير هذا فأن مقتضيات سائر اللوازم ما يحيط بها الحَصر، وليس الخبر كالعيان. وإن كان أهل قصبة سيدما الزبير -رضي الله تعالى عنه- يريدون إدارتهم فوق هذه الأشياء ليست بمقدور أحد فهذا تكليف ما لا يُطاق. ومجزومنا أن جنابك ما يوافق على زيادة كلوفة الحضرة العلية ولكن إنكان[7] يقتضي لهم إعانة بشيء يسير وما فيه صعوبة علينا ولا زيادة كلوفة، فقد تحرر من طرفنا إلى الموما إليه المتسلم بك عليه، وإنكان[8]

---

(1) يريد: رواتبهم وعلوفاتهم.

(2) يريد والي بغداد سليمان باشا الملقب بالكبير.

(3) يريد: ونحن أيضا.

(4) يريد: هذا المال.

(5) يريد: بهذا المكان.

(6) المشاهرة: الرواتب الشهرية.

(7) يريد: إن كان.

(8) إن كان

قصدهم إدارة حالهم ما دامت الحرابة[1] قائمة، فهذا حال غير ممكن التيسير ولم نرى له وجه تدبير[2]. فعاد جنابك تتأمل، فإن عرفتَ اكتفاء المرقومين بشيء من غير كلوفة كُليَّة، فكما ذكرنا أنه تحرر إلى المومى إليه على تدبيره، لأن يا أخي إيراد البصرة معلوم جنابك ولا هو خَفي عليك، وتعرف مصارف الدونَنمة[3] وغيرها ما يقوم بها الإيراد، وإذا بقي منه بعض زيادة فهو أيضا يصير لازم لأجل مصارفنا بهذا الطرف، وإلاّ مجزوم جنابك إن المال ما يعز على النفس، ولو تيسر الإمكان منه ما كما نشِح فيه بمثل رَدع هَل باغي[4] الباغي المردود المخذول، فإذا صار معلوم جنابك يقتضي أن ترسل (صالح السحاب) لِطَرفنا حتى نتذاكر معه على تمشية مثل هذه الأحوال وغيرها بما يناسب مصلحة الأمور. ولأجل ذلك حررنا كتاب المودة وأرسلناه بمَنِّه تعالى، عند الوصول والاطلاع على المضمون بعد هذا، فلا تقطع الإعلام والأخبار الحادثة منطَرفنا[5] على الدوام، وخُص جنابك منا بالسلام.

المحب

علي باشا كتخُداي بغداد

23 (**ربيع الأول**) 1216

---

(1) الحرابة: يريد الحرب.

(2) هذه الفقرة غير واضحة لنا، حيث لم نفهم حقيقة طلب أهل الزبير (إدارة حالهم) ما دامت الحرب قائمة.

(3) الدوننمة: السفن البحرية أو الأسطول.

(4) يريد: هذا الباغي.

(5) يريد: من طرفنا.

آراء بشارة تقلا السياسية
في تقاريره السرية

كان تأسيس جريدة الأهرام حدثاً مهماً في تاريخ الصحافة المصرية بل العربية عامة، فعلى الرغم من كثرة الجرائد اليومية والعربية المعاصرة لها، فإنها استطاعت، بنشاط مؤسسيها، أن تَبز أكثر تلك الصحف في رصدها الحدث ومتابعته من ناحية، وفي حَيدَتها الفكرية ونضجها السياسي من ناحية أخرى، وفي عصر كانت الحياة الصحفية تشكو الكثير من المراهقة بل الفوضى، أثبتت الأهرام أنها الأكثر رسوخاً بين غيرها من الصُحف، ربما أنها لم تكن الأعلى صوتاً، لكنها الأقوى على إقناع القارئ وكسب ثقته. ولا شك في أن لشخصية المؤسسين وثقافتهم دوراً بارزاً في ان تبدأ الصحيفة مسيرتها على هذا النحو، ومن هنا لابد صار لزاما على الباحث أن يتوقف عند سيرة مؤسسَي الجريدة الأخوين بشارة وسليم تقلا، الشابين اللبنانيين اللذين ولدا في (كَفَر شيما) في لبنان، ثم انتقلا إلى مصر وعاشا في الإسكندرية، لكن أفُقهما كان، منذ اللحظة الأولى لصدور الصحيفة في 1876، أكثر سعة وامتداداً ليشمل أقطارا عربية أخرى، وأكثر رغبة في التطور، إذ ما لبثت الجريدة الاسبوعية أن تحولت بعد شهرين فقط إلى جريدة تصدر كل يوم(1).



بشارة تقلا

---

(1) ينظر يونان لبيب رزق: الأهرام ديوان الحياة المعاصرة، مركز تاريخ الأهرام، القاهرة، 1993.
و أنور الجندى : الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، القاهرة 1962وأديب مروة: الصحافة العربية منذ نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة، بيروت 1961.

وكان من حسن طالعنا، في هذا المجال، أن وقفنا على ثلاثة تقاريركتبها بشارة تقلا إلى صديقين له، نظن أنها لم تنشر من قبل، وهي

التقرير الأول

مقدمة

محفوظ في الارشيف العثماني باستانبول، أوراق يلدز، رقم القسم 18، رقم الاوراق 553/509، رقم الظرف 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة هذا التقرير في القاهرة في 12 نوفمبر سنة 1886م. وأرسله إلى رجل يدعى يوسف افندي، لم تتوضح لنا هويته، وقد وصفه بأنه صديقه.

ويتضمن التقرير معلومات وتحليلات عن مجمل الأوضاع في مصر والسودان ويمكن تلخيصه على النحو الآتي:

1- افتتاح التقرير بإبداء الولاء المطلق للدولة العثمانية وللسلطان، وهو عبدالحميد الثاني .

2- إن تدهور الأحوال الإقتصادية في مصر جاء نتيجة الاحتلال البريطاني

3- تقدم الثورة المهدية في السودان واستقطابها ولاء عدد من سكان الصعيد .

4- تغافُل بريطانيا عن هذه الأوضاع لتكون حجة لها في السيطرة على مصر، لا سيما بعد اضطرار المصريين إلى طلب مساعدة بريطانيا ضد التقدم السوداني «وهو ما يغير شكل المسألة المصرية» .

5- ضرورة الوقوف بحزم ضد هذا التدهور وتوضيح مخاطر هذه السياسة للدوائر البريطانية.

6- نتيجة لضعف سياسة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) كامل باشا وميوله البريطانية فهو يدعو ان يتولى السلطان بنفسه، وهو هنا عبد الحميد الثاني، هذه المهمة.

6- يحذر من قدوم رجل فارسي اسمه سليم افندي يدعي انه انكليزي التبعة، ليصدر جريدة في مصر، ويرى ان الغاية من قدومه الى مصر هي التجسس على الحركة الوطنية وتقديم المعلومات الى سلطات الاحتلال البريطاني.

7 - تكليفه بالحصول على كتاب في التاريخ من لبنان.

وفيما يأتي نص هذا التقرير

القاهرة في 12 نوفمبر أفرنجي سنة 86 [1886م]

صديقي وعزيزي يوسف أفندي.

ورد كتابكم الكريم، وكان لوروده شأن في فؤاد من لايفتر عن ذكركم، وما أفدتموه من الأمور تُطالَع بكمال الدقة والاهتمام، وإننا متفقون معكم رأياً ومبدأً بوجوب دوام تقديم الأدعية الخيرية بطول عمر وبقاء إقبال الحضرة العلية المقدسة السلطانية، ووجوب بذل ما عزَّ وهان لأجل خدمة صوالح البلاد بصداقة[1]، وان من يتحلى بحلل الصداقة والاستقامة خدمة سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم الشريف، وخدمة سلطنته السنية، فلا يكون خاسراً. أي نعم!، إن ما أتى في كتابكم المذكور هو عين الحق وكل الصدق وليس عليه مَرَد، وهو شأننا وعليه نسير والله الموفق. فهذا هو طريقنا سرنا عليه منذ بداية المسألة المصرية وسنداوم السير ولا يصدنا بحول الله أمر، كيف لا ونار بلادنا المصرية منذ حلول الجنود الانكليزية في تأخر واضمحلال، وكلما طال زمن الحلول زادت المسألة صعوبة والبلاد أضراراً، فإن مصر التي كانت قبل دخول الانكليز اليها زاهية بساية[2] ظل الله في الأرض، لم تعُد كما كانت، فرَواج تجارتها أمس أصبح كساداً، ووفور الدراهم أصبح قليلاً، والمضايقة كل يوم في ازدياد، ولا نعلم كيف تكون العاقبة. وترونا في كل عدد من الأهرام نبسط حقيقة الحالة دون مبالاة بغيظ الإنكليز وكَدَرهم منا، فما نُبدي إلاّ ما فرض علينا من واجبات الذب عن الوطن.

أما مركز الإحتلال فيُنبيء بالوَبال[3]، فالسودانيون يداومون التقدم دون من يَصُدُّهم وقوتهم ذات شأن، وكثيرون من أهالي الصعيد ينضمُون اليهم، وذلك كُرهاً

---

(1) يريد: بصدق.

(2) ساية فارسية، تعني ظل.

(3) على الرغم مما أبداه بشارة تقلا من كره شديد للآنكليز وتأييده الثورة العرابية في بدئها إلا أنه انقلب على هذه الثورة بعد فشلها في تحقيق أهدافها. ينظر محمود محمد شاكر(وأقول نعم، موقع طريق الاسلام)، إذ نقل عن أحمد عرابي حديثه عمّا لَقيَ في سجنه بعدَ هزيمته: «وبعد ساعة جاء ليزورني بشارة تقلا، مُحرِّر جريدة الأهرام، وظننتُ أنَّه قَدم ليعزِّيَني، ويُبديَ عواطفه نحوي، وقد كان ممَّن يَدينون بمبدئنا قبل الحرب، وقد أقسم بدينه وشرفه أنَّه واحدٌ منَّا، وأنَّه يعمل لحرية وطننا، وقد عددناه في الحق من الوطنيِّين، ولكنَّه لَمَّا دخل عليَّ توقَّح أشدَّ التوقُّح، ثم قال: أي عرابي، ماذا صنعت؟ وماذا حلَّ بك؟ ورأيتُ أنَّ الرجل خائنٌ ولا شَرفَ له". ونرى ان بشارة كان هنا متطابقا مع موقف السلطان العثماني غير المؤيد للثورة، وموقف الذين كانوا يرون ان عرابي، او فشله في الدفاع عن مصر، كان سببا في احتلال البريطانيين إياها. يقول الإمام محمد عبده «لم تكن الثورة من رأيي.. نصحت عرابي بالاعتدال، وقلت له: إني أرى أن بلاداً

بالإنكليز الذين يتظاهرون بعدم الإعياء، وإن ذلك عن سياسة، فيقال لهم أن دوام القلاقل والحالة الحاضرة تُخوِّلهم سبباً لدوام الحلول[1]، فيدَّعون أن مصر لا تزال محتاجة لوجودهم لأجل المحافظة على الأمنية والراحة العمومية، وقد برح من أفكارهم أن نجاح السودانيين ودوام تقدمهم، لا سيما إذا احتلوا مصر العليا، يجعل الاهالي المسلمين دون استثناء أن ينضموا اليهم، فيتغير وجه المسألة وشكلها، وتصبح البلاد في مركز حرج يصعب بعدئذ إصلاح شؤونه، ومن يعلم إذا تم ذلك كيف تجري التقادير، وهل تقدر مصر أن تلم شملها بزمن قريب. وإنني أرى انه قبل الوصول الى هذه الدرجة من الخراب فبسعي قليل وسياسة حازمة يمكن الوصول الى حل موافق، فإن مركز إنكلترة، والمعلوم من مأموريها حق المعرفة، كل ذلك أسباب قاطعة تجبر الانكليز لأن يُسلِّموا بوجوب تركهم البلاد المصرية، إذا كانت الأيادي التي تمتد لمخابرتهم فعالة ومستندة على عضد وسياسة حازمة مخلصة، وذلك مما لا نؤمله من وزارة كامل باشا[2] الانكليزي المبدأ والمشرب، ويا حبذا لو كان صاحب البلاد بها[3] الذي يهمه أكثر من سواه رغد رعاياه واستقلال بلاده، يطلع بذاته على حقيقة الحالة، وسر فرح عبيده المصريين بما اشتهر عن عظمته من قوة الفكر وشدة الذكاء مع حسن التدبير، وهيهات من أين لنا ذلك، ودون الوصول مراحل، فعلينا أن نداوم سيرنا ولا نعود عن صرحه، والله الموفق الى خير السبيل.

أخبركم أن صديقنا سليم افندي فارسي، قد حضر مع والده الى قطرنا المصري، وبوصوله قدَّم بواسطة قونسلاتو انكلترة دعوى بخصوص جريدة مُدَّعياً كونه إنكليزياً، وقد عجبنا من هذه الدعوى وكيف مع مظاهرته[4] بالتابعية العثمانية يقدم على مثل ذلك، وأمسَينا في شك من حقيقة إخلاصه للدولة والوطن، ونخشى من أنه يُخبر سراً ما يقف عليه من المعلومات الى مأموري الانكليز، فقبَّح الله من كان ظاهر غيره. هذا ما أكتبه الآن فهل لك أن تفيدني على ما يهمني من الحوادث لديكم؟ وأجيب عني بلثم أذيال من يحق لكل عثماني صادق أن ينتمي اليه ويفتخر بوجوده،

أجنبية ستحتل أرضنا، وأن لعنة الله ستقع على رأس من يكون السبب في ذلك". محمد عمارة: الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، دار الشروق، القاهرة 1993، ص614.

(1) الحلول هنا: التدخل والاحتلال.

(2) هو الصدر الاعظم في الدولة العثمانية 1885- 1891م.

(3) يعني السلطان عبد الحميد الثاني 1876- 1909م.

(4) يريد: تظاهره.

اسهم الدولة والوطن الوزير الخطير دولتلو جودت باشا الافخم، وأن تعرض لديه ان سير الأمر في لبنان بوجود كوبليان افندي يدعو [إلى] دقة النظر، وأن ترسل الينا بالمجلد الأخير من تاريخه الشهير[1]، وأن تعرفني متى يكون خروجكم من الآستانة العلية، وهل لا يزال يقترح المرور بمصر فنشاهدكم وتروي غليل الأشواق والسلام.

أخوك بشارة تقلا.

التقرير الثاني

مقدمة

محفوظ في الآرشيف العثماني بإستانبول، أوراق يلدز، نوع البحث: 3955 رقم القسم: 18، رقم الاوراق: 515/553، رقم الظرف: 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة هذا التقرير بالعربية إلى صديقه أحمد جودت باشا[2] ليرفعه إلى الجهات العليا في الدولة العثمانية، مرفقا إياه برسالة قصيرة ذات طابع شخصي.

وهذا التقرير مؤرخ في 3 ابريل (نيسان) 1894م. ويظهر من سياقه أنه كتبه في أثناء زيارة له الى برلين. وواضح انه يتضمن معلومات وآراء يمكن ان توصف بأنها خطيرة، وربما كانت خطورتها وراء إرساله من برلين وليس من مصر.

وخلاصة ما أورده في هذا التقرير الاتي

1- شراء الإنكليز ذِمَم أفراد من المصريين الذين عملوا في مجال الصحافة فروجوا إلى سياسة الاحتلال، لا سيما في السودان حيث وجدوا لهم مؤيدين بين زعمائهم.

---

(1) يريد من تاريخ جودت المسمى (تاريخ وقائع الدولة العثمانية).

(2) ولد سنة 1822م في إحدى مدن بلغاريا، وانتقل الى استانبول حيث درس العلوم العصرية، واجاد اللغتين العربية والفارسية الى حد أنه كان ينظم بهما، فضلا عن نظمه بالتركية، أظهر نبوغا في مجال الفكر التاريخي والقانوني فعين مساعداً للصدر الأعظم، مصطفى رشيد باشا، في أثناء إعداده للقوانين، كما بذل جهوداً جمة في مجالات الثقافة والتعليم، ثم أنه وضع تاريخا موثقا كبيرا باسم (تاريخ وقائع الدولة العثمانية) وشارك في لجان وضع القوانين العثمانية الجديدة، ومنح رتبة وزير، ولقب باشا، واختير لمنصب ناظر الحقّانية (وزير العدل) خمس مرات (1886,1879,1876,1875,1870) ولمنصب ناظر المعارف (وزير التربية) ثلاث مرات (1876,1875,1873) ولمنصب ناظر الداخلية مرة واحدة (1876)، وللأوقاف (1877) وللتجارة (1878) مثلها. كما عمل صدراً أعظم مدة عشرة أيام عام 1879، كما تولى عدداً من الولايات هي: حلب، وبروصة، ومرعش، ويانية، والشام مرتين. وتوفي سنة 1895.

2- أن «الجميع» كان يتِّهم رياض باشا رئيس وزراء مصر بالإتفاق مع الانكليز كرهاً منه بالأتراك والأسرة الخديوية.

3- اذا استمر الأمر هكذا مما يؤدي إلى الإضرار «بالوطن والإسلام»، فإن من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى تدخل الدولة العثمانية.

4- يتناول التقرير قضايا لا علاقة لها بمصر، ولكن تتعلق بلبنان وسوريا بوصفهما أقطاراً عثمانية، منها قضية استغلال ملتزمي ميناء بيروت العاملين فيه وجُلهم من المسلمين. وما كانت تنشره الصحف الانكليزية عن قضايا الفساد في الادارة العثمانية، وعلى الرغم من أنه مسيحي فإنه أظهر غيرة على حقوق المسلمين كونها أصبحت «مهانة ضائعة».

5- التحذير من سليم فارسي الذي أصدر جريدة في مصر مدعياً التبعية لبريطانيا، ويخشى أن يتكرر ذلك في الأقطار العربية الأخرى.

ونص الرسالة هو:

«مولاي صاحب الدولة والإقبال أحمد جودت باشا حضرتلري.

شرَّفني أمر سيدي العظيم فشكرته ودعوت، ولا أعجب من إلتفات دولتكم وقد تعودنا أن لايكون لنا رعاية إلا بوساطتكم، لأنكم من أخلص الجميع وطنية، وأصدق الرجال في خدمة المولى سلطاننا الأعظم، فتقدرون الإخلاص والصدق ضالة عبدكم وعائلته قدرهما، ولهذا لا أعجب إذا نال أخي حبيب ترفيع رتبته الى الأولى من الصنف الثاني، وإني سلفاً أقدم إمتناني أفندم. اعتقدوا مولاي اخلاصي، وحفظكم المولى وأبقاكم. قرينتي أحسن تقدم احتراماتها الى الفاضلة العالمة كريمتكم المصونة، شرفوني بأوامركم سيدي.

بشارة تقلا

(التوقيع). 3 ابريل 1894».

اما التقرير فهذا نصه:

«تقرير

رأى الإنكليز أن الاستبداد وحده لا يكفي لبث مبادئهم، فاستخدموا أصفرهم وأصفر مصر في تعميم مبادئهم، ولهذا أمالوا إليهم أفراداً من المصريين يكتبون في

جرائد الإحتلال الكتابات المُعلِّية من شأن الانكليز، وأن لا مناص من حماية انكلترة، وهم يبثون هذه الآراء في أكثر الأقسام العربية، وقد أفلحوا في السودان وأي فلاح، حتى أنهم يؤكدون أن زعماء السودان طَوع أيدي الانكليز، وأن وقوف عباس باشا[1] على ذلك أغاظهم، وكان ما كان من مسألة الحدود. عباس باشا غير راض عن وزارته، وهذه قد ماتت أدبياً لا سيما عن المصريين. والجميع يقولون أن رياض[2] متفق مع كرومر[3] على ضياع مصر، لأنه يكره الأتراك والعائلة الخديوية، وأنا أخاف أن تكون تلك هي النتيجة ضد الوطن والاسلام، مما يضطر السلطنة الى عمل عظيم يحول دون أغراض الأعداء، وإلا كانت العاقبة وخيمة والله الواقي.

وَرَدني من بيروت، ولا سيما من المسلمين، رسائل مهولة ضد مُلتزمي مرفأ بيروت والوالي وكثيرين من الرجال في الآستانة، مضمونها إتفاق هؤلاء على إلزام تجار بيروت والمتعيشين بمشروع جديد يكتسب منه الملتزمون مائة ألف جنيه ويقتلون بها حياة البيروتيين ولا سيما المسلمين، وقد وقفتُ على رسائل فرنسية هنا لجرائد انكلترة بمصر وهي شديدة جداً تطعن برجال الحكومة البائعين حقوق الخزينة والأمة بدُرَيهمات أشبه بالجاري قبل وقوع دولة اليونان وغيرها، وان حقوق المسلمين مهانة ضائعة في أيدي أمثال هؤلاء الحكام، أما أنا فتمكنت من تأخير نشر هذه الرسائل مؤقتاً، ولكن إذا لم تصدر الأوامر المتعلقة بمنع ضياع أمثال هذه الحقوق الإسلامية والوطنية.

أرَتنا جرائد مصر هنا أضعاف ما يخافه رجال الآستانة من جريدة سليم فارسي،

---

(1) هو الخديوي عباس حلمي.

(2) هو مصطفى رياض باشا، ولد سنة 1834 بدأ حياته الإدارية في خدمة الحكومة المصرية سنة 1864 بوظيفة (مبيض) أي كاتب، في وزارة المالية، ثم تدرج في المناصب حتى عُين قائممقاما في دائرة (المعية السنية) بمعية عباس الاول سنة 1869، ثم مديراً للجيزة سنة 1270، فمأمورا لإدارة الفيوم فقنا، ثم وكيلا للمرور والسكة الحديد، فمأمورا لإدارة المنوفية، ثم عضوا في مجلس الأحكام، ثم أسند إليه منصب وزير الخارجية والزراعة سنة 1292، ثم الحقانية (العدل) وتولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات، الأولى من 21 سبتمبر 1878 إلى 10 سبتمبر 1881، والثانية من 9 يونيو 1888 إلى 12 مايو 1891، والثالثة من 19 يناير 1893 إلى 15 إبريل 1894، وأثرت عنه اصلاحات جمة واستصدار قوانين مهمة، وتوفي سنة 1911م. ينظر أحمد زكي: كلمة على رياض باشا وصفحة من تاريخ مصر الحديث تتضمن خلاصة حياته، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2014، ص22-28.

(3) المعتمد البريطاني في مصر من 1882 الى 1906.

وخفنا أن تمتد هذه السياسة إلى الأقطار العربية امتداداً يعز على الجماعة تداركه وملافاة أضراره. وما دعاني إلى عرض هذه الحقيقة إلا إخلاصي لسلطاني وصدقي في خدمة وطني العزيز. والله الموفق».



احمد جودت باشا

التقرير الثالث

مقدمة

محفوظ في الآرشيف العثماني باستانبول، أوراق يلدز، رقم القسم 18، رقم الأوراق 553/569، رقم الظرف 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة تقلا هذا التقرير بالعربية إلى صديقه احمد جودت باشا بتاريخ 12 آذار (مارس) سنة 1894.

ويتضمن التقرير الأمور الآتية:

1- أدت حادثة الحدود[1] الى إضعاف ثقة المصريين، بل العرب في الشام والحجاز، بحكومة الخديوي وبالدولة العثمانية معاً. وهنا يدعو بشارة الى ان تعمل

(1) كان الخديوي عباس حلمي قد زار أسوان في 15 يناير 1894 حيث أبدى للقائد العسكري الانكليزي كتشنر ملاحظات انتقد فيها كفاءة الجيش البريطاني، فما كان من الأخير إلا أن عدّها إهانة لهذا الجيش، وأبلغ اللورد كرومر، المندوب السامي البريطاني في مصر بالأمر، الذي ابلغه بدوره إلى الدوائر السياسية البريطانية في لندن مما أثار ثائرة الصحف البريطانية على الخديوي، وكانت النتيجة أن طلب اللورد كرومر منه أن يتراجع عما أبداه من

الدولة العثمانية على حسم ما يسميه (النازلة المصرية) أي قضية هيمنة بريطانيا على مقدرات مصر خشية من أن يؤدي ذلك الى تداعيات غير محمودة في استقرار الحكم العثماني في (الأماكن العربية) اي أنحاء الوطن العربي الأخرى، لاسيما سوريا والحجاز وبين النهرين (اي العراق).

2- ينقل حديثاً للسفير البريطاني في إستانبول، وقد اجتمع به في برلين، مفاده أن بريطانيا تهدد الخديوي بأنه اذا لم يسير مع السياسة البريطانية فإنها ستعمل على إقناع الدولة العثمانية بعزله وتنصيب حاكم آخر بدله، لتظهر للمصريين أنها هي الآمرة الناهية في مصر، دون أن تحتاج الى فرض الحماية على البلاد.

3- يظهر التقرير أن بريطانيا كانت تسعى في هذه السنة إلى عقد إتفاق مع فرنسا لتسوية المسألة المصرية، وقد جرى ذلك فعلا بعد عقْد واحدٍ من السنين، حينما عقد (الإتفاق الودي) بين الدولتين سنة 1904، فصارَ بمقتضاه أن تطلق بريطانيا يد فرنسا في مراكش، مقابل أن تطلق فرنسا يد بريطانيا في مصر.

4- أوضح التقرير عمق الأزمة التي نشبت بين الخديوي وبين مجلس النظار (مجلس الوزراء)، وهي ازمة معقدة فالخديوي لا يعزلهم خشية من معارضة المندوب السامي البريطاني كرومر لهذا العزل، ومع ذلك فالانكليز يكرهون المجلس، أما الشعب فيحتقرونه. ويتوقع بشارة انه سيجرى عزل الوزراء خلال وقت قريب. وقد جرى ذلك فعلا في 15 ابريل من سنة 1894 اي بعد ثلاثة اشهر من (حادثة الحدود) المشار اليها، ويظهر من التقرير أن طلب كرومر عزل الوزراء جاء موافقاً لرغبة الخديوي أصلاً.

4- متابعة لموقف الزعامات السودانية الموافق للسياسة البريطانية في حَلَف وسواكن، والمناوئ لها في كَسلا، حيث يسيطر عليها الايطاليون.

5 - طلب شخصي بترقية حبيب بك تقلا، اخي بشارة، «مكافأة لصدقه وتشجيعاً له في خطته هذه الوطنية».

ملاحظات بأن يصدر أمراً عسكرياً يثني فيه على الجيش البريطاني، فما كان من الخديوي عباس حلمي إلا أن انصاع إلى التهديد، ولم يكتف كرومر بهذا بل طلب منه أن يعزل النظارة (مجلس الوزراء) التي كان يرأسه رياض باشا، ويأتي بنوبار باشا بدلا منه. فكشفت هذه الحادثة وتداعياتها عن مدى ضعف الحكومة المصرية إزاء قوة بريطانيا واستبدادها. والذي يفهم من تقرير بشارة تقلا ان تداعيات هذه الحادثة كان لها امتداداتها في الاقطار العربية ولم تقتصر على مصر وحدها.

6- عزمه على اصدار جريدة بالفرنسية.

7- يكشف التقرير عن ولاء بشارة تقلا المطلق للدولة العثمانية وأمله في تؤدي دوراً محموداً في عرقلة مشاريع بريطانيا في الهيمنة على مصر، كما يوضح تعاطفه مع القضية الوطنية، مع عدم فقدانه الأمل في الخديوي في أن يؤدي دوراً مؤثراً في صالح هذه القضية. كتب تقلا آراءه هذه في تقارير سرية أرسلها الى السلطان العثماني من خلال صلاته الايجابية بصديقه جودت باشا.

والتقرير مرفق برسالة بالعربية، إلى جودت باشا،، مؤرخة في 12 مارس 1894، ولم يتعين مكان كتابتها، ويفهم منها أن علاقة شخصية وعائلية كانت تربط بينه وبين من أرسلت إليه، وأن ثمة زيارات متبادلة بين العائلتين، وهذا نصها

«مولاي صاحب الدولة جودت باشا حضرتلري. الى مقام المولى أرفع عريضتي هذه ورجائي أن تحوز رعاية المولى ولا سيما لما تضمنته من الأحوال المصرية وارتباطها بالأحوال العربية أجمع، لاعتقادي أن دولتكم من أصدق العثمانيين وأخلصهم في خدمة الوطن والسلطان، رفعت مَواجبي لدولتكم مراراً بواسطة عطوفتلو عزت بك أفندي، وهذا أيها المولى لنذكركم بإخلاص الداعي الذي لايُقدَّر عن ترديد الدعاء بحفظ ذاتكم المحبوبة. قرينتي تسأل خاطر دولتكم وتهدي كريمتكم الفاضلة مواجبها ولم يمنعها عن مكاتبة حضرتها إلا شدة الأمراض مدة سنتين كما يعلم عزت بك، أما الآن فقد شَفيَت، وهي إذا لم تتمكن من الإعتذار وهذا الصيف شفاهاً قدمت مواجبها كتابةً. شَرِّفوني بأوامركم كعهدي، والأمر لوليه أفندم. بشارة تقلا (التوقيع) 12 آذار (مارس) 1894»

ونص التقرير هو:

«تقرير: إن حادثة الحدود الأخيرة أثرت تأثيراً سيئاً في جميع مصر لأنها برهنت أن الأمر الى الانكليز، وأن الخديوي ورجاله لاسلطة لهم ولا نفوذ، وأن لا أمل من مساعدة السلطنة السنية، حتى أن هذه الأفكار انتشرت في القطر المصري انتشاراً كانت نتيجته أن العباس[1] بسنتين خدم الانكليز أكثر من والده[2] هذا بضَعفه، والأول

---

(1) هو الخديوي عباس خلمي.

(2) هو الخديوي محمد توفيق بن إسماعيل.

باندفاعه. وقد ساعد الانكليز سكوت أوربا، وعدم اهتمام الدولة العلية. وأؤكد لدولتكم أن هذا التأثير كان لازمة وطنية في جميع الأماكن العربية سواء في الحجاز أو في سورية وما بين النهرين، لأن بريطانيا لا تعدم الدرهم والرجال في خدمة مصلحتها وأغراضها، ويساعدها على ذلك إستبداد بعض الحكام وظلم البعض، ولهذا أرى أن تتدارك حكمة جلالته إصلاح الحالة، ولاسيما في الحجاز، حتى لا تؤثر أعمال مصر على أولئك الشعوب لقاء عدالة ولاتها واهتمامهم بإنفاذ إرادة ولي النعم.

ومن أهم الأمور أن تستخدم السلطنة ما لديها من الوسائط لحسم النازلة المصرية حسما يضمن مصالح الجميع، ويصون حقوق السلطنة، ولا أحسن من استخدام سفير انكلترة الحالي بالآستانة لأنه مسموع الكلمة في بلاده. وقد اجتمعت اليوم على مكاتب التَيمس في برلين حضر لهُنا وقال لي بالحرف الواحد: اننا أرسلنا سفيرنا للآستانة للاتفاق مع السلطنة على أعمال مصر، بأن يكون قاعدة اتفاقنا ما يقرب من مذكرة السير وولف، فإذا رأينا استحالة السير مع خديوي مصر سألنا السلطنة تعيين والٍ لمصر كما كان في الروملي الشرقية قبل انضمامها الى بلغاريا، فاذا رفض السلطان الأعظم الاتفاق معنا استعملنا الاستبداد في أعمالنا المصرية، وأجرينا إرادتنا ليعرف المصريون أننا وحدنا الآمرون، وهذه الطريقة لا نعملها إلا بعد يأسنا من الإتفاق مع الدولة العلية وفرنسا، أما نحن فلا نضم مصر إلينا ولا نادي بوضع الحماية، ولكن نقضي بإنفاذ أوامرنا وهي الحماية المطلوبة بدون تحمل أثقالها، وفتح مسألة أوربية أو شرقية، ولا يَسع مصر إلا الخضوع لأوامر رجالنا كما حدث في حادثة الحدود. وقد وقفت من المذكور على أفكاره في سياسة أوربا وانكلترة، وخلاصتها ما لايخرج عن معرفة دولتكم تقريباً. تلك هي ملحوظات عبدكم أرفعها لأهميتها وقد قدمتها دائما في خِطتي هذه الصادقة في خدمة الوطن العزيز والجناب السلطاني الأعظم.

عبدكم أخي حبيب تقلا بك الذي اسأل له بواسطة دولتكم ترفيع رتبته الى رتبة أولى صنف ثاني مكافأة لصدقه وتشجيعاً له في خطته هذه الوطنية.

الخديوي ناقم على النُظّار، والإنكليز يكرهونهم والأهلون يحتقرونهم والأجانب يمقتونهم، ولكن كرومر لا يريد أن يسأل عزلهم حتى لايعارضه الخديوي الذي لا يريد أن يعزلهم حتى لايعارضه كرومر، ولكن يستحيل إطّراد هذه الحالة طويلاً ولا بد من سقوط النُظّار الى آخر رمضان.

أكثر حركات السودان في جهات كَسلا حيث رجال المعكرونة[1]، وأما في حلف وسواكن فلا خوف منهم لأنهم في المحلين عمال الانكليز.

صممت اصدار جريدة فرنسوية في أواخر السنة الجارية إذا ساعدتني الأحوال[2] وإذا زرتُ دار السعادة. عرضت الأمر على مسامعكم أفندم. (التوقيع)»



الأهرام

(1) اشارة الى الايطاليين، الذين احتلوا كسلا سنة 1894، بعد دحرهم قوات المهديين في معركة كسلا، ثم أنهم انسحبوا منها في سنة 1897 ليدخلها الجيش البريطاني بالاتفاق مع اللورد كتشنر الحاكم البريطاني العام للسودان.

(2) في 1900 أصدر جريدة بالفرنسية Pyramides .

جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

للجمعيات والأحزاب السياسية العراقية تاريخ حافل ابتدأت فصوله باحتلال القوات البريطانية الغازية العراق إبان الحرب العالمية الأولى، فقد شهدت المدن العراقية تكوين عددٍ من المنظمات، استهدفت مقاومة الوجود البريطاني الدخيل في العراق، وإنشاء السلطة الوطنية العربية على أراضيه. فتأسست في النجف سنة 1918 جمعية (النهضة الاسلامية) السرية، التي مهدت لثورة المدينة على الحكم البريطاني سنة 1919، ثم أعقبها تأسيس الفرع العراقي لجمعية (العهد) الشهيرة، في كانون الثاني من سنة 1919، و(جمعية حرس الاستقلال) في نهاية شباط من السنة نفسها. وكان لكل من هذه الجمعيات دوره المعروف في النضال الوطني التحرري في العراق آنذاك، ولا نستبعد أن تكون هناك جمعيات أخرى، عملت في هذا المجال، إبان تلك السنوات، ضاعت أخبارها بسبب سرِّيتها الشديدة، أو بسبب الشكوك التي أحاطت بعملها، ولقِصر عمرها الزمني[1].

ولقد وقفنا عند بحثنا في وثائق تلك الحقبة، على وثيقتين فريدتين[2]، باسم جمعية سرية عرفت بـ (جمعية الدفاع المقدس) يبدو أنها كانت تعمل في بغداد منذ اواخر العهد العثماني، واستمرت في عملها حتى بداية عهد الاحتلال.

---

(1) جاء في تقرير من تقارير الشرطة مؤرخ في 7 تموز سنة 1919 ان «كل عربي مسلم في بغداد لديه شيء من الثقافة كان ينتمي إلى جمعية لها فروع في جميع البلدان المهمة في العراق، وهذه جمعيات تسعى لاتحاد العرب ومناوئة للاجانب وغرضها طرد الانكليز وتأسيس حكم عربي» انظر: ايرلند، فيليب ويلارد: العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط – بيروت 1949، ص 147–148.

(2) كانت هاتان الوثيقتان من مقتنيات خزانة الاب انستاس ماري الكرملي (توفي 1947) في دير الاباء الكرمليين ببغداد، وقد وهبها إلى الاستاذ ميخائيل عواد (المتوفى سنة 1995) على ما أخبرني الأخير في مكتبة المجمع العلمي العراقي سنة 1974، فلبثت في خزانته أمداً من الدهر، حتى آلت ضمن مجموعته من المخطوطات والوثائق، إلى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب – جامعة بغداد، (نقلت مخطوطات هذه المكتبة إلى مكتبة المتحف العراقي، قسم المخطوطات، وهي اليوم دار المخطوطات العراقية) وفي أعلى الوثيقة الاولى تعليقة بخط الاب الكرملي تفيد بأن هذا النص هو بعينه الذي علق على الحائط»، وفي آخرها تعليقة له أيضاً نصها «علق في 29 آذار 1917»، والوثيقة مكسرة الاطراف، وبخاصة من طرفها الاعلى الايمن، من أثر انتزاعها – فيما يبدو- من الحائط

والوثيقة الأولى عبارة عن مُلصَق جداري، مكتوب بخط اليد بعناية ظاهرة، وتاريخه هو 29 آذار سنة 1917، أي بعد 18 يوماً فقط من احتلال البريطانيين بغداد، الذين دخلوها في 11 آذار سنة 1917. أما الوثيقة الثانية فهي نسخة بخط اليد أيضاً منقولة عن مُلصق جداري آخر، وتاريخه اليوم السادس من حزيران سنة 1917، وبهذا تكون هذه الجمعية هي أول جمعية سرية لها نشاط في العراق بعد الحرب العالمية الاولى، واحتلال بغداد مباشرة.

ويفهم من الوثيقة المذكورة، في أسطرها الأولى، انه قد مضت على تأسيس الجمعية آنذاك خمس سنين، فيكون تاريخ إنشائها إذاً هو سنة 1912، أي في مدة حكم والي بغداد جمال بك (26 آب 1911- 17 آب 1912م) أو خلفه محمد زكي باشا (13 تشرين الثاني 1912- 22 آيار 1913م)[1]، وكان هدفها آنذاك – على حد تعبيرها- هو «تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدن والإخاء من هذه الأصقاع العربية، والاستعانة عنها بحكومة راقية تخُلِّص البلاد من ذلك الإستبداد الأسود».

وتشير الجمعية إلى أنها مارست العمل المسلح في العهد العثماني، حيث كان لديها مخزن عامر بالقنابل، وتنسب إلى نفسها مسؤولية إحراق مخزن الذخيرة (الجَبَه خانه) في تلك الايام، وكان هذا المخزن يقع في قلعة بغداد[2]، واذ لم نعثر على ما يفيد حدوث مثل ذلك الاحراق في السنين المذكورة، فليس من سبيل للتأكد من صحة هذا الادعاء، وإن كنا قد عثرنا على ما يدل على حدوث عدة حرائق خطيرة ببغداد سنة 1912، أحدهما في معمل عسكري، إلا أن هذه الحرائق لم يكن أي منها في القلعة، وليست لها صلة ما بمخزون الذخيرة فيها. وأهم تلك الأحداث هو الحريق الهائل الذي نشب في خان النفط الواقع في محلة العُوينة، ودام أسبوعاً كاملاً، بلغ ما التهمته فيه النار ما يزيد على (13000) صندوق من النفط، و (250) صندوقاً من مادة (السِّبرتو) و (200) صندوق من البانزين، وكان هذا أعظم حريق عرفته بغداد، على ما

الذي الصقت عليه، أما الوثيقة الثانية فهي منقولة «من الأصل الذي علق على الحائط»، على ما جاء في تعليقة للكرملي ايضاً في أعلاها. ومن الملاحظ ان كلا من الوثيقتين خال من البسملة التقليدية.

(1) يعقوب سركيس: ولاة بغداد من سنة 1422هـ (1907م) إلى الاحتلال البريطاني (1917) مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 4 الجزء 1 (1956) ص 160-161.

(2) هي التي شيدت في مكانها مباني وزارة الدفاع في عهد الدولة العراقية.

ذكر المعاصرون في عهد الدولة العثمانية[1]. ولم تكد تمضي مدة قليلة، حتى نشب حريق هائل آخر في معمل (العبّخانة) العسكري[2]، المخصص لانتاج الاقمشة والألبسة العسكرية فاحترقت جميع الاقمشة المخزونة فيه، وقدرت الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحادث بنحو (5000) ليرة عثمانية .

وفي الوقت الذي تسكت فيه المصادر عن بيان سبب هذه الحرائق المتلاحقة فإننا نلاحظ بأنها حدثت كلها في وقت واحد، وهو التاريخ الذي زعمت الوثيقتان بأنه تاريخ تأسيس الجمعية المذكورة، وان الحرائق أضرت بمواد ذات صفة عسكرية مهمة.

وفضلاً عن أسلوب العنف الذي تُذكِّر به (جمعية الدفاع المقدس) فإنها تشير إلى سلوكها أسلوباً آخر في العمل السياسي، هو نشر المبادئ القومية والسياسية العربية، على حد تعبيرها، الذي تعتبره واجب كل جمعية في العالم. ولهذا فإننا نجدها توصي، في بعض مطاليبها (بيان 29 آذار 1917) بضرورة مشاركة العرب من أبناء العراق بمصالح الحكومة الاهلية، وبوجوب جعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق[3]، واعتبار الأمة العربية «كأمة راقية ذات مقام كما هو حقيقتها».

وعلى الرغم من أن هذه المطالب وطنية المظهر، فإن في الوثيقتين جُملة أمور من شأنها إثارة الريب حول نشأة الجمعية، وأهدافها، فالجمعية لا تخفي في أول بيان لها رأيها بأن «حكومة بريطانيا هي البديل المرغوب لحكومة الترك الدابرة،» وإن أعضائها كانوا ينشرون الأفكار المؤيدة لبريطانيا حتى قبل الإحتلال. وجميع مطاليب الجمعية لايصل إلى طلب استقلال البلاد، وانما هي تقوم على اعتبار الاحتلال امراً واقعاً لا مناص منه، ولهذا فهي تدعو إلى أمور من قبيل «معاملة الأهلين بالحسنى» و «إعطاء

(1) مجلة لغة العرب 12 (1912) ص 494 وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج8 8ص230 وثمة حريق آخر في بغداد في التاريخ نفسه. انظر: عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة ص189.

(2) كان معمل (العباخانه) هذا يقع في محلة نسبت إليه، قريبة من محلة المربعة، أنشأه والي بغداد نامق باشا 1861، ووسعه واليها مدحت باشا 1869م، ثم أنشئ في أرضه أول محطة لتوليد الكهرباء سنة 1917. ينظر كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ط2، بغداد 2013، ص57.

(3) لما اتم الانكليز احتلال العراق، كانت اللغة الانكليزية هي اللغة المتداولة في الدواوين الرسمية، وقد بقيت هذه اللغة، لغة رسمية مدة حكم وزارة النقيب الاولى، وطرفاً من ايام وزارة النقيب الثانية، ولم تلغ إلا يوم 27 كانون الاول 1921 بقرار من مجلس الوزراء . عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، صيدا 1965، ج1 ص56.

بعض الحرية للمطبوعات» و «حفظ الأمن العام» و «ملاحظة الأسعار الغذائية» ومشاركة بعض الاهالي في شؤون الحكومة.

وهذه المطالب، رغم طابعها العملي، فإنها لا تخرج في إطارها العام عما وعد به البريطانيون في البيان الذي أذاعه الجنرال مود قائد جيش الاحتلال بتاريخ 19 آذار سنة 1917[1]، وسنجد أن بيان وليم مارشال، الذي خلفه في قيادة الجيش، في 11 تشرين الثاني سنة 1918[2] يشابه في بعض بنوده، المطاليب التي دعت اليها الجمعية قبله في بيانها المذكور بنحو ثمانية شهور، فمطالبة الجمعية باعتبار الأمة العربية «أمة راقية ذات مقام»، للرد على ما يبثه رجال جمعية الاتحاد والترقي من «ان الانكليز سوف يعاملون العرب في بغداد معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود» تكرر- في الواقع- ما زعمه مود في بيانه من أن مأمول بريطانيا والامم المتحالفة معها «ان تسمو الامة العربية مرة أخرى عظمة وصيتاً، وأن تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام».

أما مطالبة الجمعية «بمشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الاهلية»، فهي لا تخرج عما دعا اليه مود، حين أراد مشاركة عدد من العراقيين في الحكم، لاكسابه مظهراً شرعياً وطنياً زائفاً، فقال: «اني مأمور بدعوتكم بواسطة أشرافكم، والمتقدمين فيكم سناً، وممثليكم إلى الاشتراك في ادارة مصالحكم المُلكية (اي: المدنية) لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش، كي تناضلوا مع ذوي قرباكم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً في تحقيق أطماحكم المترامية!».

وتطالب الجمعية في بيانها الأول بعد الاحتلال، إعفاء الجنود العرب الذين انسحبوا مع القوات العثمانية الاخرى من وسط العراق، من حصر اسمائهم في سجلات السلطة المحتلة «لما فيه من الخطر في المستقبل اذ عُدوا كأسرى حرب». وقد نص بيان مارشال على تحقيق ذلك حين «سمح لأسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع إلى أوطانهم، ما عدا الذين من الجيش التركي (أي العرب فقط) أما المطالبة «بملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حالة الفقير والضعيف» فهي ما أشار اليه بيان مارشال المذكور ايضاً بقوله: «يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن

---

(1) نص البيان في: عبد الرزاق الحسني: العراق في دوري الاحتلال والانتداب، صيدا 1935، ج1ص57-59.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

الاخرى، وتخفف القوانين الحالية بعض التخفيف». ولو وازنا بين كل الفقرات الواردة في بيان الجمعية الاول، وبين بيانات الاحتلال الصادرة قبله وبعده، لوجدنا أنهما كُتبا بروح واحدة تقريباً، هذا رغم زعم الجمعية بأنها ستلجأ إلى العنف «إذا لم يُلتفت إلى مطاليبها الاصلاحية».

ويؤكد بيان الجمعية الثاني (6 حزيران 1917) على أن الجمعية لا تحمل عداءاً لبريطانيا، وانها «اول صديقة صادقة لدولة بريطانيا بشرط أن لايكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين»، وأنها تؤيد السياسة البريطانية طالما وافقت هذه السياسة حقوق الشعب الأساسية، دون أن تبين ما تعنيه بهذه الحقوق. وعلى الرغم من تصريح الجمعية، مجددا بأن لجوءها إلى سبيل العنف غير بعيد، وأن أعضاءها مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل «تأييد حقوق الامة وواجباتها»، فإن البيان الثاني يسكت هو ايضاً عن أي تلميح إلى الاستقلال، هذا مع ان بيانات الاحتلال نفسها لم تر حرجاً من التلويح به في بعض الأحيان.

ويهتم البيان المذكور إهتماماً خاصاً بمسألة مشاركة بعض الشخصيات الكبيرة من أهل البلاد في «تمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة»، وهو يرشح عشرة من تلك الشخصيات بأسمائها مؤكداً على عدم وجود أدنى صلة للجمعية بهم، سوى ما تعرفه عن كفاحهم ضد السلطة العثمانية.

والناظر إلى الأسماء المرشحة يلاحظ أنها تضم خليطاً عجيباً من شخصيات بعضها معروف تماماً وله تراثه الوطني والثقافي، والبعض الآخر مغمور ليس له ماض يُعرف به أصلاً، ولا يجمع بينهم سوى أن أكثرهم كانت له مواقف مناوئة للسلطة العثمانية في أواخر عهدها في العراق، وان بعضهم لقى عَنَتاً شديداً من تلك السلطة، بلغ حد أمرها بنفيه وإبعاده. وإذا تتبعنا تراجم المرشحين نجد أن بعضاً منهم عُرضت عليه مناصب مهمة فعلاً في السلطة المحلية التي أقامتها قوات الاحتلال وقبلها، والبعض الآخر أبى المشاركة فيما دُعي اليه بأية صورة من الصور، مما يؤكد عدم وجود صلة ما بينه وبين ترشيح الجمعية له في بيانها المذكور، وواضح أن اولئك المرشحين كانوا ينتمون إلى الديانات الثلاث جميعاً: الاسلامية، والمسيحية، واليهودية، على النسب الآتية:

(6) مسلمون، ينتمون جميعاً إلى أسر مهمة أدت أدواراً مؤثرة في تاريخ العراق الحديث، ثلاثة منهم من العلماء الذين تولوا مناصب شرعية وإدارية وتجارية بارزة،

هم: 1- محمود شكري الآلوسي (عالم ومدرس)[1] 2- عبد المجيد بك الشاوي (أديب وإداري) 3- عبد الرحمن أفندي بن مصطفى جميل (عالم ومدرس) 4- السيد موسى الكيلاني (عالم ومن الملاكين) 5- حمدي أفندي الباجه جي (تاجر ووجيه)، وعبد اللطيف ثنيان (صحفي).

(2) مسيحيان. وأولهما مطران الطائفة السريانية، ولم يُسمِّه، ولم يعين ما إذا كان مطران السريان الكاثوليك أم السريان الأرثذوكس، والراجح أنه قصد الأول منهما، وثانيهما تاجر أرمني عرف بنشاطه المناوئ للعثمانيين .

ولنا أن نلاحظ أن الوثيقة تلقب السيد محمد شكري الآلوسي باسم (سيادة) وهو اسم لم يكن يعرف به العلماء المسلمون، وإنما كانوا يعرفون باسم (شيخ) مطلقاً، بينماكان اسم (سيادة) يختص به المطارنة دون غيرهم فيعرف أحدهم باسم (سيدنا) تمييزا له عن سائر الدرجات الكهنوتية.

(2) يهود . هم حاخام الطائفة اليهودية في بغداد، ومناحيم دانيال (تاجر معروف)

يمكننا القول اذن، بناء على ما تقدم، بأن الجمعية كانت:

1- لاتميل إلى أي استقلال سريع عن بريطانيا .

2- تريد تشكيل حكومة محلية من الأهالي (أو يشارك فيها الأهالي) تتولى تنفيذ الاصلاحات التي تراها ضرورية، وربما كان ذلك تحت اشراف بريطانيا نفسها .

واذا طرحنا جانباً أن تكون الوثيقتان من إصدار سلطة الإحتلال، أرادت بهما اظهار سياستها وكأنها استجابة لمطالب شعبية عامة، وافترضنا وجود الجمعية على ما أعلنت هي عنه، وأنها المسؤولة فعلاً عن إحداث الحرائق في المنشآت الحيوية ببغداد ابان العهد العثماني، فان الجمعية -كما نستنتج من كل ما عرضناه- كانت تضم بعض الفئات التي شعرت بأن مصالحها مرتبطة (بعد انقضاء الحكم العثماني في الاقل)، باستمرار وجود نوع من الإشراف البريطاني على الحكم في العراق، ولو إلى حين. ومن ناحية أخرى فإن اسم الجمعية نفسه لا يقع في ضمن سياق أسماء

---

(1) لا نستبعد أن تكون للأب أنستاس الكرملي، المالك الأول لهاتين الوثيقتين، يدٌ ما في هذا الترشيح، فقد جعلته الوثيقة في مقدمة المرشحين، وميزته باسم (سيادة) ومن المعروف تماما مدى الصداقة التي ربطت الكرملي بالآلوسي، وهو ما توضحه الرسائل العديدة المتبادلة بينهما .

الجمعيات الوطنية التي أسسها العرب المسلمون عهد ذاك، لا سيما بإضافة صفة (المقدس) بعد اسمها الأول (الدفاع)، ولعل الايام تكشف لنا عن حقيقة هذه الجمعية، مما يلقي ضوءاً جديداً على تاريخ الجمعيات السرية في العراق.

الوثيقة الاولى علقت على الحائط ببغداد في 29 آذار 1917

(هذا بلاغ للناس)

لقد مرَّ على تأسيس جمعيتنا، جمعية الدفاع المقدس، ما يقارب الخمس سنين، ونحن نحارب في خلالها حكومة الأتراك بما ننشره بين الشعب من المبادئ القومية، والسياسية العربية. وما هو الواجب الذي تشكل من أجله كل جمعية في العالم.

وكانت أكثر مقاصدنا السياسة هي تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدن والإخاء من هذه الاصقاع العربية، والإستعاضة عنها بحكومة راقية تخلص البلاد من ذلك[1] الاستبداد الأسود.

والذي نعرفه حقيقياً ان حكومة بريطانيا هي الجديرة بهذه الثقة. لذلك كنا ننشر بكل قوانا المبادئ الانكليزية بين أبناء العراق بصورة رشيدة حذراً من البوليس السري المعروف أمره من أبناء بغداد في تلك الايام.

وبما أن جمعيتنا من مبادئها أن تبقى سرية حتى ولو أصبحت بغداد أمريكا الثانية. لذلك[2] نحن ننشر هذا البلاغ باسم جمعيتنا طالبين من حكومة الاحتلال إجراء مقرراته.

أولاً- جعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق كما اللغة الانكليزية في ممالك بريطانيا الفخيمة.

ثانياً- مشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الاهلية بدون فرق بين الملل المختلفة في العقائد والنحَل.

ثالثاً- ملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حال الفقير والضعيف.

رابعاً- توصية جيوش المحتلة بمعاملة الأهلين بالحسنى.

---

(1) في الاصل: ذالك.

(2) في الاصل: ذالك.

خامساً حفظ الأمنية[1] العمومية، نظراً لفقدانها في كل أيام الاحتلال.

سادساً- إعفاء الجنود العربية من التحرير الذي تعمله الحكومة الآن، لما فيه من الخطر في المستقبل إذا عُدُوا كأسرى حرب.

سابعاً- ملاحظة الوشايات التي يتذرع بها أرباب الأغراض للايقاع بالغير.

ثامناً- اعطاء بعض الحرية للمطبوعات رغبة بالوقوف الزائد على أفكار الأحرار في العراق.

تاسعاً- اعتبار الأمة العربية كأمة راقية ذات مقام، كما هو حقيقتها، لا كما يَدسّه جمعية الاتحاد[2] من ان الانكليز سوف يعاملون العرب معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود.

عاشراً- تقديم الشكر الزائد لدولة الجنرال سر.ف.س مود[3]. قائد الجيوش المحتلة على منشوره الأخير في خطاب البغداديين[4]، وتعريفه بالوقت نفسه أن جمعيتنا عربية عمرانية وطنية فوضوية سرية، بمعنى انها اذا لم يلتفت إلى مطاليبها الإصلاحية ترجع إلى الفوضى سرياً، والسلام.

باسم اعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

الوثيقة الثانية علقت على الحائط ببغداد في 6 حزيران 1917

(الحق فوق القوة)

إن جمعية (الدفاع المقدس) ليست بعدوة لدولة بريطانيا حتى أخذت الحكومة أسباب التفتيش عنها بواسطة الجواسيس والمراقبين، لا بل العكس إن جمعيتنا من أول واجباتها تمشية السياسة الانكليزية بين العراقيين بصورة موافقة لحفظ حقوقهم الأساسية، وما دامت الحكومة لها نية حسنة نحو أبناء هذه البلاد فلا يجب أن تلاحظ

---

(1) يريد: الامن.

(2) أي جمعية الاتحاد والترقي التي قاد رجالها الدولة العثمانية في اثناء الحرب العالمية الاولى.

(3) تولى قيادة الجيش البريطاني في العراق عقب وفاة سلفه الجنرال طاوزند في مايس سنة 1916، وتم له احتلال بغداد والمدن العراقية الأخرى، وتوفي متأثراً باصابته بالكوليرا في مساء 18 تشرين الثاني سنة 1917.

(4) هو المنشور او البيان، المنوه به سابقاً، وقد أذيع بتاريخ 1917/3/19م.

من أعمال جمعيتنا التي مهدت إلى الجيش الانكليزي اقبال البغداديين يوم الاستيلاء، بما كانت تبثه في الخمس سنين الماضية في السياسة الحُبّية لحكومة الانكليز.

فجمعية الدفاع المقدس هي أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا بشرط أن لايكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين حذراً من ايجاد الأسباب التي كرّهت الاتراك إلى جمعيتنا، وجعلت لنا طريقاً واسعاً لتمشية سياسة الجمعية ضد سياسة الاتراك الإجبارية.

على أن جمعيتنا لها خطة رشيدة في ترويج سياستها الوطنية، لايخشى عليها من جلب أنظار الجواسيس والمراقبين، وبالوقت نفسه لا تبالي بالتهديد والوعيد لأن اعضاؤها[1] يفضلون الموت على الحياة في تأييد حقوق الامة وواجباتها، ولكن بالصورة السرية حسب نظام الجمعية الذي يجب العمل بموجبه.

ومتى حان وقت الضحية فالقنابل كثيرة في مستودع جمعيتنا السري، ولم ينقص منها سوى واحدة يوم احراق الجَبَخانة[2] في القلعة أيام الأتراك.

وقرار جمعيتنا الأخير الذي أوجب نشر هذا البيان، هو تأييد المطالب الإصلاحية التي أعلنتها جمعيتنا اولاً، والتي عملت الحكومة ببعض منها وتركت البعض الآخر بدون أن يكون لها عذر في ذلك الترك. وتكرار الطلب تمشية الاصلاحات الضرورية للبلاد، وتشريك أفراد العرب الناهضين بتمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة، وبعد كل هذا تحرِّض[3] جمعيتنا حكومة الإحتلال من الإعتماد على بعض المفسدين الذين يقفون عثرة سبيل الاصلاحات العمومية لأن هذا الاعتماد أوجب الإستياء العمومي الذي[4] بدأت علائمه تظهر في الوجوه.

وإذا كانت الحكومة حتى الآن لا تعرف من تعتمد عليهم في مثل هذه الشؤون التي تحتاج إلى الكفاءة والاختيار، فيمكنها أن تعتمد على إناس ترشحهم جمعيتنا بدون أن يكون لجمعيتنا أقل علاقة بواحد منهم. ولكن الجمعية تعتمد في هذا الترشيح على الاختيار والتجربة والشهرة، وفيما نعرفه أن هذا الترشيح سوف يوافق الجميع لأن

---

(1) الصواب: أعضاءنا.

(2) كلمة تركية مركبة من جبه: وتعني سلاح، وخانة: أي موضع ومكان.

(3) الصواب: تحذر.

(4) في الاصل الفت.

الذوات الآتية أسماؤهم ممن تهمهم مصلحة الحكومة الحاضرة، بالنظر لما صادفه أكثرهم من الإمتهان أيام الاتراك، والى الحكومة اسماؤهم:

1- سيادة محمود شكري الآلوسي[1].

2- سيادة مطران الامة السريانية المسيحية.

3- سيادة خاخام الامة الاسرائيلية.

4- عبد المجيد بك الشاوي[2].

5- عبد الرحمن افندي جميل.

6- سيد موسى افندي الكيلاني[3].

---

(1) هو العلامة الشهير الشيخ محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، ابو المعالي، من أعلام النهضة الادبية والفكرية في العراق في العصر الحديث، وله مؤلفات جليلة شتى. ولد ببغداد سنة 1857 وتوفي فيها سنة 1924م. كان بطبعه بعيداً عن الاشتغال بالسياسة، وانتدبته الدولة العثمانية، في أول نشوب الحرب العالمية الاولى، للسعي لدى الامير عبد العزيز آل سعود للقيام بمناصرتها ضد الانكليز، لكنه أخفق في مسعاه، وعاد إلى بغداد ليعمل -كعادته- في التأليف والتدريس، حتى احتلال بغداد سنة 1917 على يد الانكليز، فعرضوا عليه قضاء بغداد، فزهد فيه، وانقبض من مخالطتهم، ثم عرض عليه في أوائل تشكيل الحكومة المحلية المؤقتة الافتاء فرياسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء أيضاً، فالمشيخة الاسلامية، فرفض كل ذلك، وانصرف إلى اعماله العلمية البحتة حتى وفاته. وواضح ان ذكر الجمعية لاسمه جاء لما كان يتمتع به من احترام ومكانة كبيرة لدى العراقيين بوجه عام. انظر محمد بهجة الاثري: اعلام العراق ص 103-107.

(2) هو عبد المجيد بك بن حسن بك بن مسعود الشاوي العبيدي. أديب من أعيان العراق. ولد في بغداد سنة 1862، وارتقى في سلم المناصب حتى انتخب نائباً عن لواء العمارة في مجلس المبعوثان العثماني، وجدد انتخابه سنة 1912-13 و 1914-18 ولما ألغيت حكومة النقيب المؤقتة اختير وزيراً بلا وزارة (27 تشرين ألاول 1920) وكانت قد عهدت اليه رئاسة بلدية بغداد منذ سنة 1919 فشغلها إلى كانون الثاني 1922، وهو أول رئيس لبلدية بغداد. ثم عين متصرفاً للواء الدليم (سنة 1922-1923) ثم نائباً عن الكوت في المجلس التأسيسي (1924) ثم نائباً عن الدليم في مجلس النواب العراقي الاول (تموز 1925) وعين عضواً بمجلس الاعيان (اول آب 1927)، وتوفي ببيروت في أيلول من العام نفسه. محمد صالح السهروردي: لب الالباب ج2 ص170 و 175 ومير بصري: أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ج1.

(3) هو السيد موسى شرف الدين ابن نقيب الأشراف ببغداد السيد سلمان القادري الكيلاني، ولد سنة 1875 فيكون عمره عند سقوط بغداد 42 عاماً، وهو ابن أخي السيد عبد الرحمن الكيلاني، نقيب الاشراف، ورئيس أول حكومة عراقية في عهد الانتداب. وقد وصف بأنه «كان

7- ميخائيل افندي ياغجي[1].

8- مناحيم افندي صالح[2].

9- حمدي افندي الباجه جي[3].

10- عبد اللطيف افندي ثنيان[4].

وبعد الوقوف على هذا البيان، يجب مراجعة عنوانه.

باسم اعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

رجلاً فاضلاً معروفاً بالوداعة ولين الجانب..» وقد توفي سنة 1931، ابراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958، ص 17 – 18.

(1) هو ميخائيل بن روفائيل ياغجي (أو ياقجي) الأرمني البغدادي، ولد في 2 كانون الاول 1870 فيكون عمره عند احتلال بغداد 47 عاماً، اشتغل في بداية حياته بالتجارة، ثم سكن مدينة البصرة، وعند سقوط الدستور العثماني امرت السلطات العثمانية بنفيه، في سنة 1914 إلى (درسم) من أعمال معمورة العزيز، فأبعد إلى الموصل اولاً، وفيها صدر العفو عنه، فعاد إلى بغداد، وكانت وفاته فيها في 11 تموز 1930. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 8ص286 نقلاً عن مجموعة محمد درويش الخطية، وحكمت رحماني: نبذة نقلها لنا مشكوراً سنة 1977 عن كتابه غير المطبوع: أنساب نصارى بغداد.

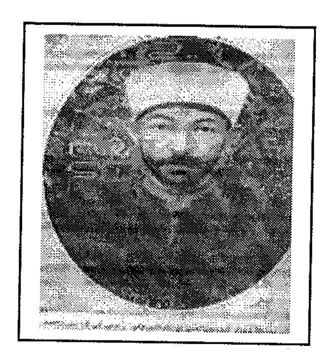
(2) هو مناحيم بن صالح آل دانيال، كان من كبار وجوه الطائفة اليهودية في بغداد، وممن له شهرة في عالم المال والتجارة، وقد اختير عضوا في مجلس المبعوثان العثماني سنة 1877 وبعد تأسس المملكة العراقية اختير عضوا في مجلس الاعيان غير مرة حتى وفاته سنة 1940.

(3) من أعيان بغداد، كان له نشاط معاد للعثمانين في العراق، حيث ألف مع بعض العراقيين (النادي العلمي الوطني) سنة 1912، واستمر في نشاطه حتى نشوب الحرب العالمية الاولى، فاضطرته الظروف إلى ترك البلاد، وحل النادي، ثم عاد إلى العراق بعد انتهاء الحرب، وعين وزيراً للأوقاف في 26 حزيران سنة 1925 وتوفي سنة 1948 مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية من 145 وعبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ج 1ص5.

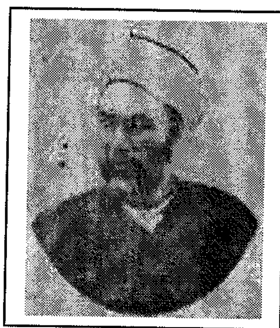
(4) صحفي أديب، ولد ببغداد سنة 1867، واشتغل بالصحافة، ثم أصدر على إثر اعلان الدستور العثماني جريدة الرقيب (28 كانون الثاني 1909) دعا فيها إلى مبادئ الحرية والدستور والاصلاح، واضطر إلى تعطيل جريدته في 1910 خوفاً من السلطات العثمانية، وخرج من العراق إلى الهند، ثم إلى الحجاز، وعاد إلى بغداد بعد زيارة مصر واسانبول، ويبدو أنه كان له نشاط معاد للعثمانيين، فقد اعتقل بعد نشوب الحرب العالمية الاولى في 10 تشرين الاول 1915، وابعد إلى الموصل منفياً إلى درسم، ثم عفي عنه وأعيد إلى بغداد، ولم نعلم مصيره اثناء احتلال بغداد، ولكن سلطات الإحتلال أبعدته إلى الفاو في اواخر سنة 1918 ثم عاد إلى بغداد، حيث عين مديراً للاوقاف من 1923 إلى 1924 ومن 1928 إلى 1929، وانتخب نائباً عن ديالى، فبغداد، وتوفي ببغداد سنة 1944. مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية 78/1 وإبراهيم الدروبي: البغداديون 105.



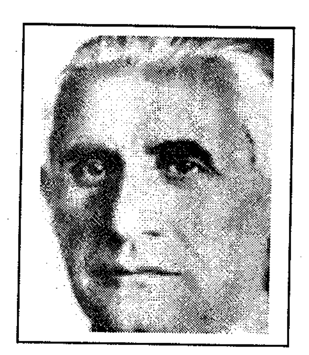
القوات الهندية البريطانية تسير في شارع الرشيد عند جامع الحيدرخانة



عبد الرحمن ال جميل

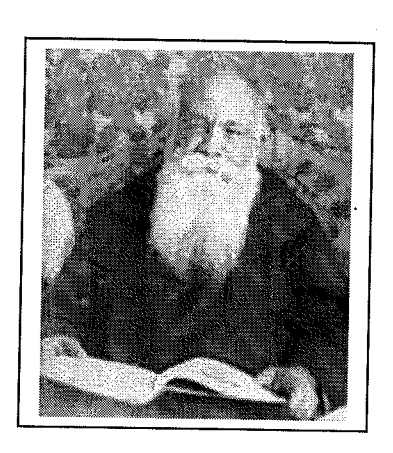


محمود شكري الآلوسي

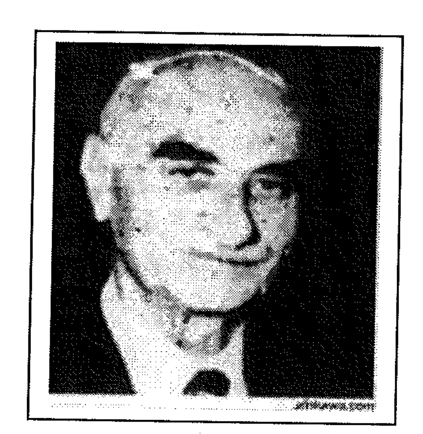


حمدي الباجه جي

من مرشحي الجمعية



أنستاس الكرملي المالك الأول لبياني الجمعية



ميخائيل عواد الذي آل إليه البيانان

من مفكرة ضابط عراقي
في الحرب العالمية الأولى

كثيرون هم العراقيون الذين ذهبوا إلى الجبهات الأوربية والروسية، في أثناء الحرب العالمية الأولى، فلم يعودوا إلى وطنهم، لا أحياءً ولا أمواتاً، بل فُقدت آثارهم في ثلوج القفقاس، وفي مضايق الدردنيل، وفي البحر الأسود، فلم يصل إلى أهليهم حتى خبر موتهم، حتى بات مصطلح السَّوق إلى (السَّفَر بَر) أي الحرب، كابوساً يؤرق الشبان العراقيين، ويبعث فيهم مشاعر الخوف من المستقبل المجهول والموت شبه المؤكد.

كم من الذكريات المريرة لهؤلاء الشبان الذين ذهبوا، ضاعت بضياعهم هم، وكم من التفاصيل التاريخية كان يمكن أن تصلنا لو أنهم سجلوا ما رأوا، أو أن أحداً سجل ذكرياتهم عند عودتهم إلى وطنهم. ولذا فقد كانت سعادتنا كبيرة حينما عثرنا في دفتر أسود كبير، كان يحتفظ به الفنان محمد بن المثال المعروف خالد الرحال، على صفحات كتبت بخط كبير الحرف، لرجل يبدو أنه كان في شيخوخته، كتب بعضها بقلم الحبر، والبعض الآخر بقلم الرصاص. وتضم هذه الصفحات بعض من ذكريات كتبها الضابط مهدي بن صالح بن سليم الرّحّال، وهو والد الفنان النحات المعروف خالد الرحّال، في أثناء أداء واجبه العسكري ضابطاً عراقياً في الجيش العثماني، في خلال الحرب العالمية الأولى.

وتبرز أهمية هذه الصفحات، على قلة ما فيها، شجاعة هذا الضابط العراقي بين غيره من الضباط الذين ينتمون إلى شعوب أخرى، فهو قد حصل على تكريم من الجيش العثماني، ومن الجيش العراقي، ونُشر اسمه في جريدة الحرب العثمانية بوصفه من الضباط الذين تحلَّوا بصفة الشجاعة.

كما تُبيِّن هذه الصفحات أيضاً سعة جبهات القتال، وتنوعها، التي قُدر لهذا الضابط العراقي أن يحارب فيها، فهو قد شارك في أول عهده في بعض الحركات العسكرية في منطقة الفرات الأوسط، ثم نقل للالتحاق بالجيش العثماني الرابع، وكان مقره في فلسطين، وهناك شارك في الهجوم على القطعات البريطانية المتمركزة في جبهة قناة السويس، ثم جرى نقله إلى أدرنه، ثم أعيد بعدها إلى غزة، وبعدها نقل إلى

أوربا، حيث حارب مع فرقتين عثمانيتين، هما الفرقتان 19 و20، من الجيش العثماني في منطقة جَناق قلعة، للدفاع عن كَليبُولي. ثم نقل مع الفرقتين إلى مدينة بلغراد، عاصمة صربيا آنذاك، ومنها انتقلت الفرقتان، بالقطار، عبر جبال التيرول، والمجر، حيث شارك في الجبهة الأوربية هناك. وقد عمل مدة من الوقت تحت إمرة ياسين باشا الهاشمي، الذي عاد برفقته إلى استانبول، ثم إلى حلب.



جنود عثمانيون في معركة جناق قلعة

وبعد إعلان الهدنة، انضم إلى جيش الثورة العربية في سوريا، وهو المسمى (الجيش العربي السوري)، وفي دمشق شارك في النشاط السياسي للضباط العراقيين الداعين إلى تحرير العراق، وضمه إلى الدولة العربية الوليدة بقيادة أبناء الشريف حسين،وقد حضر بعض الاجتماعات التي كان ضباط الجيش يعقدونها في بيت جعفر باشا العسكري، وأقام في سوريا، ملتحقاً بالجيش العربي هناك حتى سقوط حكومة الملك فيصل الأول إثر معركة ميسلون سنة 1920. وقام بمهمة سياسية خاصة، حيث كلفته قيادة الجيش بالذهاب إلى بغداد لاستمالة الضباط العراقيين إلى حكومة فيصل، ويظهر أنه أدى المهمة بنجاح، فقد تشكلت بعدها نواة ما سُمي بالجيش العراقي، وعُين هو آمراً للواء المدفعية، فتشكيل هذه النواة، كما تكشف المذكرات، جرى في دمشق، قبل أن يتأسس هذا الجيش رسمياً في بغداد في 6 كانون الثاني سنة 1921.

وفضلاً عن ذلك فإن المذكرات تكشف عن وقائع وأسرار لم يكشف عنها النقاب بعد، منها أن اجتماع الضباط العراقيين في دار جعفر العسكري، كان مخترقاً من ضابط بريطاني، يظهر أنه كان من المخابرات البريطانية، كان يأخذ موضعه في إحدى حجرات الدار، كما أن أثنين من حراس جعفر باشا كانا يتجسسان على المؤتمرين. ومعلوماتنا عن حياة مهدي الرحال، قليلة، باستثناء ما تمدنا به مذكراته، وغاية ما نعلم عنه أنه يتحدر من أسرة عربية أصلها من راوة، على الفرات، وأن أمه تركية من مدينة كوتاهية، وأنه أب لأربعة أبناء، هم1- خالد، وأمه أرمنية تزوجها في أثناء وجوده في الأناضول في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم طلّقها فيما بعد، ولخالد ولد واحد هو محمد. و2- سرحان، وأمه سورية، ولذا فهو ضابط شرطة برتبة لواء في سوريا، وله ولدان. و3- مثنى وخلدون، وأمهما عراقية، وللأول ولد اسمه محمد، وثلاث بنات، أما الثاني فهم محام، ولم يتزوج. وللرحال بنات، منهن زوجة الفنان النحات الراحل محمد غني حكمت.

ويلقى ابراهيم الدروبي ضوءً على أسلاف الرحال إذ قال«آل الرحال بيتٌ عربي كريم من بيوت بغداد المعروفة وأسرها، أصل هذه الأسرة من بلدة راوة، من عشيرة ألبو عبدالله، ويسمى بيت يحيى»، ويوضح سبب تسميتهم بالرحال بأنه «لكثرة ترددهم في تجارتهم بين نجد والعراق والهند والحجاز وسوريا ومصر» فهي إذاً اسرة تجارية كبيرة أنجبت عدداً من التجار، وقد تطرّق الدروبي الى أحد أبرزهم، وأثنى عليه فقال «وقد اشتهرت هذه الأسرة بتاجر كبير من تجارها هو عبد الرحمن الرحّال، عُرف بنزاهته وصداقته وأمانته، فكان بحق التاجر الأمين، وتوفي سنة 1255هـ/1839م». واشار إلى ولد له اشتهر بالثراء والتجارة فقال «وأعقبه ولده سليم الرحال، وقد تملك هذا ثروة كبيرة ونال شهرة عظيمة، فكانت له سفن تمخر البحار والمحيطات لنقل البضائع والأموال بين العراق والهند وأطراف العالم، ولكن الزمن جعله بين عشية وضحاها من فقر الحال بمكان يرثى له، حيث أن سُفُنه الكثيرة تعرضت لزوبعة هوجاء في عرض البحر فكانت شذر مذر.. توفي سليم الرحال سنة 1296هـ، 1878م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. ثم أعقبه صالح الرحال وعلى الرحال، أما صالح فقد ترك مهدي بك الرحال، كان هذا زعيماً في الجيش العراقي، وقد أحيل للتقاعد، وهو الآن يمتهن الزراعة»[1]. وبحسب أسرته فقد إحيل

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص159- 160.

على التقاعد في الثلاثينات من القرن العشرين، وكانت إحالته هذه بسبب رفضه الانصياع لأمر عسكري يقضي بقمع حركة شعبية في بلدته راوة، وتوفي في سنة 1975.

يبدأ الضابط العراقي مذكراته معلناً عن اسمه كاملاً، وولادته بالتاريخ الرومي المتخذ آنذاك في الوثائق الرسمية العثمانية، وموطن أبيه وأمه، فيقول:

«إني مهدي بن محمد صالح بن سليم الرحال، قد تولدت في بغداد سنة 1306 رومي، (1891ميلادية) من عائلة عربية الأصل، ومن قرية راوة، عشيرة البو عبيد، وبيت والدتي من عائلة معروف آغا أماً، ومن كوتاهية أباً. وكنت أول وَلَد من نسل الرحّال».

ولا نعلم معنى قوله أنه أول من ولد من نسل الرحال، وإلاّ فإن أباه وجده سبقاه في هذا النسل بالطبع.

ثم يتطرق إلى دراسته في مدرسة أبي النجيب السهروردي ببغداد، ومنها في المدرسة الرشدية العسكرية، فالإعدادية العسكرية، وكلتاهما في بغداد، ثم سفره إلى استانبول لدراسة الهندسة العسكرية في مدرسة (المهندسخانه) فيقول: «وقرأت في مدرسة الحاج حسن مقابل نادي العسكري، جامع نجم الدين السهروردي».

ولا نعرف مدرسة باسم الحاج حسن هذا، ولكن تحديدها بأنها تقابل النادي العسكري (وهو الذي سمي فيما بعد بنادي الضباط، فنادي الضباط الأعوان، وقد أزيل أخيراً وألحقت أرضه بمؤسسة بيت الحكمة) يوضح أنها كانت مكتباً أو كُتّاباً في الجامع الذي سماه بجامع نجم الدين السهروردي، والصحيح أنه جامع أبى النجيب السهروردي ومدرسته، وكان هذا الجامع، في أصله، المدرسة التى أنشأها الشيخ الصالح أبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي البكري (المتوفى سنة 563هـ)على شاطئ دجلة، ثم شغل النادي العسكري المندثر جزءاً من أرضه الشاطئية، وفَصَل الدرب النافذ من ساحة السراي، والمؤدي إلى مدرسة الصنائع (بيت الحكمة اليوم) بينه وبين هذا النادي.

ثم يقول: «وأدخلونى رُشدية العسكرية ثم الإعدادية، ثم مدرسة المهندسخانة». والرشدية العسكرية، هي المدرسة التى أنشأها مدحت باشا سنة 1288هـ/1871م، وكانت تشغل آنذاك بناية الإعدادية المركزية حالياً، وتلاصق، من جهتها الشرقية

مدرسة أبي النجيب مارة الذكر، أما المدرسة الإعدادية، فهي الإعدادية العسكرية، وكانت تشغل المبنى الواقع في جنوب القشلة، والذي شغلته المحاكم المدنية حيناً من الدهر، حتى أخلته، فرممته الهيئة العامة للآثار والتراث في الثمانينات من القرن الماضي. وعلى الرغم من عدم إشارته إلى سفره إلى استانبول، فإن دراسته في (المهندسخانه) تصرح بذلك، فقد كانت هذه المدرسة، وهي بمستوى كلية، تقع في العاصمة العثمانية، دون غيرها من مدن الدولة.

وتشير المذكرات إلى أنه تخرج من المهندسخانة سنة 1908، برتبة ملازم ثان، وعين في صنف مدفعية الصحراء، في الأوردو (الفيلق) الثاني ومقره مدينة أدرنة، في القسم الأوربي من الدولة العثمانية. يقول «وفي 1908 أكملتُ التدريس، وصرت ملازماً ثان في مدفعيي الصحراء (صحرا طوبجي) تحت رقم السجل 324-15 أي 1908، وقد جرى تعييني في فيلق الثاني بأدرنة».

ولكنه لم يلبث أن عاد إلى بغداد، متمتعاً بإجازة نظامية، وهو لا يذكر سبب عودته، والظاهر أنه أراد أن ينقل إلى مدينته بغداد، حيث يكون قريباً من أسرته، فيقول:

«وبعده أخذت إجازة لأزور أهلي في بغداد وجئت إلى بغداد، والتحقت في لواء 35 صحراء، في بطارية جبلية سريع آتشلى. وتعينت في بغداد لواء 25 المدفعي، و27 هجرية (1910) ترفعت إلى ملازم أول». ومن المقرر إدارياً أن النقل من فيلق إلى آخر، لا يكون إلاّ بموافقات أصولية تصدر من القيادة العامة للجيش العثماني، وليس من قيادة الفيلق الذي يريد النقل إليه، فيبدو أنه استحصل على مثل تلك الموافقات بطريقة ما، أما في أثناء وجوده في أدرنه، أو بعد وصوله إلى بغداد. ولنا أن نلاحظ أن نقله هذا جاء في نفس التاريخ الذي تولى فيه محمد شوكت باشا ولاية بغداد في رجب سنة 1327هـ/ تموز1909م، وكان هذا قائداً عسكرياً سبق أن تخرَّج في المهندسخانة، وكان يشغل منصب (فريق المدفعية للفيلق الثالث)، فليس ببعيد أن يكون سبباً في نقل حسين الرحال، وهو المتخرج في صنفه نفسه، وفي مدرسته نفسها، إلى صنف المدفعية في المدينة التي تولاها.

وكانت أولى الحركات العسكرية التي قُدر للضابط الشاب أن يشارك بها، تلك التي قامت لقمع حركة عشائر الأزيرج، في جنوب العراق، في سنة 1914، أي في مفتتح

الحرب العالمية الأولى، ثم نقل بعدها إلى الشام، حيث التحق بالجيش الرابع العثماني، وشارك في الهجوم العثماني على قناة السويس، وبعدها نقل إلى أدرنة، حيث الجيش الثاني الذي سبق أن التحق به، ومنها عاد إلى غزة، حيث ترَفَّع إلى رتبة عسكرية أعلى. يقول «وبعد مصادمة الأزيرج بالناصرية 1914 جرى نقلي إلى لواء 25 بالشام، واستخدمت في سنة الأولى بالجيش أردو دردنجي وثم 1914 نقلت إلى لواء المدفعي العشرين، واشتركت في أول هجوم [على] قنال السويس، ثم صار انسحاب الجيش بعد هجومه في كانون الثاني،رجعتُ والتحقت في لواء أدرنة، ... في غزة ..(هذه الفراغات في الأصل) . وفي 1916 ترفعت إلى رتبة رئيس (يوزباشي)، ثم تعينت آمر جحفل الصغير المدفعي (كوجك عروب قوماندانى) وقد أعلنت في 26 أيلول 1916 في جريدة الجيش العثماني تحت اسم بر تمثال شجاعت. واشتركت في حروب عاليحيا ثم فلسطين، ثم الهدنة الأولى» حروب أوروبا 1916– 1918 تحت هذا العنوان، تحدث حسين الرحال عن مشاركاته في الحروب ضمن الجيش العثماني ضد نزول الجيش البريطاني في كليبولي، عند مدخل الدردنيل، وكان هجوم القوات البريطانية قد جرى في 19 شباط من سنة 1914، وكان من بين قادة القوات العثمانية، ياسين باشا الهاشمي، الذي يسميه ياسين البغدادي، وكان هذا قد تولى أمر إدارة وتدريب وحدات الفيلق العثمانى المعسكرة في غاليبولى، هذا فضلاً عن مصطفى كمال باشا، الذي تسلم قيادة القوات العثمانية آنذاك. فيقول: «نحن معسكرون في كليبولي، ميناؤنا بولابر أسكله سي .... كمال (هنا كلمة غير واضحة، ويناسب أن تكون (وقائدنا مصطفى كمال)، وكان هذا القائد الأعلى للقوات العثمانية في كليبولى) المشهور ورجع الجيش فرقة 20، وقائد فرقة ياسين البغدادي، وفرقة 19 سداد بك. فرقة العشرين قائدها ايمهوف باشا، ومقره طومبه تبة في راس مضيق جناق قلعة».

وتذكر المصادر أن ياسين الهاشمي، ترقى بعد تراجع الحلفاء عن مضيق الدردنيل في كانون الثاني سنة 1916، إلى رتبة (عقيد ركن) وأن القيادة العثمانية أرسلته بعدها إلى غاليسيا، في الأراضى النمساوية، للحرب هناك، إلى جانب القوات الألمانية، ضد الجيش الروسى، فكان الرحال واحداً من الضباط الذين ألحقوا بإمرة ياسين الهاشمي في تلك الجبهة، مُبلياً البلاء الحسن فيها.

وينتقل الرحال للحديث عن الحرب بين العثمانيين والروس في أوربا الشرقية، فيقول: «تحركت القوة العثمانية فرقة 20 و19 بالقطار في أوزون كوبري، ووصلنا إلى بلغراد، واسترحنا مقدار 10 أيام في عاصمة صربستان (صربيا) وبعده ركبنا القطار قاطعين جبال تيرول ومجارستان (يريد: بلاد المجر، وهي هنكاريا) إلى زلوتاليا مبجيجوف قوة مداخلة وتلقينا قطعا ان المستحبة في الجبهة.

في 26 آغستوس صدمنا قطعات الروسية وأوقفنا تقدمها، [وكانت] قوة العثمانيين 4 فرق لواء 56 وفرقة العشرين لواء 61 (62) وقوة قوامها مجموعاً 42 ألف حربة، و8 بطاريات، 75 مع قوة ساندة بطرية 5 ،10 طويلة، 4 بطاريات صحرا 75 مجارية . (المجارية، بجيم مثلثة، فصيحها: المكارون، وهم سائقو الدواب والمعنيون بهم)

وفي...... (بياض في الأصل) جاء الروس بأربعة فرق كاملة، وهاجمنا ولكن قواته تمركَزَت بمكانها بعد أن أعطت ضابط ..... مهمة، وانجرح عثمان بك آمر لواء 55 في بطنه.

أصول حرب الروس في الهجوم كنا جميعاً تقريباً نُحس بهجوم الروس من استحضاراتهم، فكانوا يُسكِّنوا حركاتهم قبل الهجوم. ويوم الهجوم يستحضرون بالرمي ترومبل بومبانج دمان مقدار نصف ساعة وأكثر، ووزن القطعة أكثر من ثلاثة ساعات على الأكثر، ثم تتقدم قطعات الهجوم على خطوط متعددة . ثم يتقدم المشاة الهاجمة بكل سلون متنكبة بنادقها وكما نقابلها برمى سريع وكثيف، وعلى الأكثر هجومهم لا ينجح، وبعده يسكن الجبهة لهجوم آخر، ويسمون هذا الهجوم هجوم كرنسكي.

كان الروس استعملوا المدفعية بكثافة على جبهتنا، وكان مدفعيتهم دقيقة الرمى وقوية وتفوق على مدافع قروب (كروب، مصانع ألمانية شهيرة عرفت بصناعة الأسلحة الثقيلة) وقريبة إلى أحوال الفرانساوي(يريد الأسلحة الفرنسية الصنع).

هكذا دامت حروب الموضعية (يريد حرب الخنادق) مدة الشتاء ويُستثنى منها بعض أيام هجوم. في هذه الأيام أو في أول أيلول 1916 هجم الروس علينا مباغتاً ودخل في خنادقنا بعد حرب الحراب، وكنت في نصف المعمعة ولا أدري بنفسي إلاّ أني هربت من هذا الهجوم حيث كنت غير مسلح أبداً. (سبق أن أشرنا إلى أنه كان مهندساً في الجيش. العثمانيون كانوا يعتقدون أن أسلحة الصغير هي الذي تسوق حاملها

للقتل. (كذا ولعله يقصد: الأسلحة الصغيرة، غير الكفوءة) وفي هذه الأثناء مررت بمخاطر كُثر حتى سكنت الجبهة. كان الروس يسموننا عثمانلي (الإسلام) أو تورسكي. وبعد مدة غير ....(كلمة غير واضحة، ويمكن أن تكون: مثبتة). رأينا من جميع جهة روسية النار تركزت على تمركز واستدامت النار مقدار ساعتين وحوادثها أن جيش الروس أعلن الشيوعية وباقي القوات .... (قرفته) (مبيجوق) ثم أعطوا جرائد ومطبوعات من جبهة الغرب لنوزعها على قطعات الروس، وقالوا أن لنين مَرَق في القطار إلى الشرق.

بهذه الأثناء زارنا فردريك ويلهم وتقرب إلى خطوط النار. وأرسل بعض الوسامات.

في 1916 أيلول أعلنوا في الأمر اليومي للفيلق وبه كثير من المدح لعَمَلي وشجاعتي، وقد ترفعتُ إلى رتبة يوزباشي، وصرت من الضباط الشجعان (ممتاز) وقدتُ جحفلا صغيراً للمدفعية (كوجك محاربه سي طوبجي). أرسلوني لأثبت مواضع الدفاع للفيلق إحتياطاً (مداخله موضعلري) وبعد معارك شرسة، استقر الرحال مؤقتاً في فينا، التي يكتبها (ويانه) على عادة الترك، وشاء القدر أن يمرض ضابط ركن الفرق العشرين التي كانت بقيادة ياسين باشا الهاشمي، فحل هو محله، وحينما انتقلت الفرقة إلى استانبول، كان الرحال من بينها، فلبثت الفرقة في العاصمة العثمانية مدة، وبعدها انتقلت إلى حلب. يقول: «في صيف 1917 وأنا في ويانه صدر أمر الرجوع إلى استانبول. وكان ياسين باشا موجوداً في ويانه أخذني بمعيته ضابط ركن الفرقة. حيث ضابط ركن الفرقة إسماعيل تمرَّض وأعطاني واجباته، وكنت أمضي ضابط ركن الفرقة. ونقلت الفرقة كاملاً إلى استانبول (ارن كوي) ثم إلى حلب. أيام الحرب كانت غريبة في كل ساعة يتبدل الوضع، لا يمكن .... (كلمتان غير واضحتين)

إن جنود الروس ما قتلوا أسيراً عكس جنود الأتراك، حيث يوجد آمر فوج أعطى أوامر قال ما أريد أسير، أريد رؤوس (كُلّله»)

وجاء إعلان الهدنة بين دول الائتلاف، ودول الوسط، وبضمنها الدولة العثمانية، بمثابة نقطة تحول خطيرة في الوعي السياسي للضباط العراقيين خاصة، ففيها أدرك

هؤلاء الضباط أن لا سبيل لإحياء الدولة العثمانية، وإن جيوش الدول الأوربية أخذت باحتلال أجزاء منها فعلاً، ومن ثم لا أمل في مواصلة الحرب في جيوشها، وكانت الدعاية للثورة العربية بقيادة الشريف حسين قد بلغت أشدها، ولذا أعلن أولئك الضباط الالتحاق بالجيش العربي السوري، بقيادة فيصل بن الحسين. وبينما تذكر موسوعة القوات العراقية المسلحة أن مهدي الرحال كان ضمن الضباط العراقيين الذين تركوا الخدمة في الجيش العثماني، بعد دخول الجيش العربي دمشق، في 1 تشرين الأول سنة 1918، أي قبل إعلان الهدنة في 31 تشرين الأول من تلك السنة، يذكر هو في مذكراته أنه التحق بالضباط العراقيين الذين كانوا في السويس، بعد إعلان الهدنة لا قبلها، يقول«وبعد الهدنة التحقت مع العراقيين في السويس، والتحقت بجيش العربي السوري برتبة مقدم، وبراتب عشرين ليرة ذهب إنكليزية، وبقيت سنتين في سورية إلى سقوط فيصل. وجاءني مع الضباط العراقيين وفد العراقيين [كذا، ولعل تمام العبارة: الداعين إلى] استقلال العراق، ولذلك تجمعوا في دار المرحوم جعفر باشا في دمشق، مع الأسف ظهر أثنين من الضباط للتجسس علينا». وهذا الاجتماع الذي يشير إليه مهدي الرحال، هو نفسه الذي حضره علي جودت الأيوبي، وتحدث عنه في ذكرياته، إذ قال «اجتمعنا في دار المرحوم جعفر العسكري بمعظم الضباط العراقيين وبعض المدنيين، الذين كانوا يومئذ في دمشق، وفاتحناهم في الأمر، وشرحنا لهم ما آلت إليه حالتنا في سورية، وما هي عليه اليوم حالة العراق، وقررنا الذهاب إلى (دير الزور) لمحاربة الإنكليز» (علي جودت، ذكريات، بيروت1967، ص93) فيفهم مما يأتي، أن بريطانياً كان مختفياً في دار جعفر العسكري للإطلاع، فيما يبدو، على مجريات المؤتمر، وأن اثنين من حراس جعفر نفسه، كانا موضع شبهة لدى المؤتمرين. ومن الواضح أن سبب وجود أولئك الجواسيس هو رغبة البريطانيين في معرفة نوايا القادة العرب، والحكومة الفيصلية في سوريا، تجاه الوجود البريطاني في العراق، وقد تجلت هذه النوايا في قرار المجتمعين باتخاذ (دير الزور) ميداناً للصدام بالبريطانيين، يقول علي جودت «ولهذه الأسباب قررنا أن نذهب ونحارب حتى الموت لاسترجاع حقوقنا». وذلك على الرغم من تحالف قيادة الشريف حسين مع حكومة بريطانيا آنذاك في الحرب على الدولة العثمانية.

وعلى أية حال، فهذا الجزء من المذكرات يكشف عن ظهور أول بوادر شكوك العراقيين بموقف بريطانيا الحقيقى من الثورة العربية، وقضية استقلال العرب تحت زعامة الشريف حسين، خاصة وإن أنباء ثورة العشرين أخذت تتوارد على أسماعهم تباعاً. بل بلغ الشك منهم أنهم طالبوا جعفر باشا بفتح تحقيق مع هؤلاء المتسللين، الذين يسميهم في موضع آخر بالجواسيس. يقول «تجمع العراقيون بدمشق بعد إعلان سورية استقلالها، وذلك لأجل إعلان استقلال العراق تحت تاج آل الهاشمى عبد الله بن الحسين. وقد تجمّعنا في دار جعفر باشا وكان البريطانى مختفى في بيت جعفر في غرفة قال عنها جيداً لخفائها (كذا)، نسأله جعفر التحقيق كان اثنين من حراسه معنا مع اشتباهنا بهم ما تعرض عليهم أحد منا». وفي أثناء إقامته بدمشق، كلف بمهمة سرية، جرى التنسيق بشأنها بين قيادة الجيش العربى السوري، وضباط بريطانيين، بهدف السفر إلى العراق. وكانت ثورة العشرين قد اشتعل أوارها آنذاك، لاقناع الضباط العراقيين الذين لم يلتحقوا بالجيش العثمانى عند انسحابه من البلاد، بالالتحاق بالجيش العراقى الجديد. يقول: «في هذه الأيام جاءنى أمر من وزارة الحربية السورية أن أروح إلى السَلَط وأقابل كرنل ديقنبورت وثايلبة وأدفيست، وكلفنى كرنل أن أروح أخدم في العراق، وجئت [إلى] ياسين باشا وأفادنى : لا ترجع وحدك إلاّ مع العراقيين، وهكذا أجبت المومى إليه. ونلت وسام M.c مع إعلان اسمى في جريدة الوقائع اللندنية وذلك لالتحاق العراقيين جميعاً بجيش سمى الجيش العراقى، وقد تعيَّنتُ آمراً للبطارية الثانية الجبلية». لم يذكر الرحال المدة التى قضاها في العراق، ومدى نجاحه في مهمته العسيرة، ومن هم الضباط الذين وفق في إقناعهم بالالتحاق بالجيش العربى السوري في دمشق. بيد أن من المؤكد أنه عاد إلى دمشق سنة 1920، فإنه يذكر أنه حضر المؤتمر العراقى الأول الذي انعقد فيها في آذار من تلك السنة، وهو المؤتمر الذي طالب فيه الضباط العراقيون، وعراقيون آخرون، باستقلال العراق والاتحاد مع سوريا. ومن الملفت للنظر أنه يصرح بالتحاق الضباط العراقيين بجيش«سمى الجيش العراقى»، ويعنى هذا أن إطلاق هذه التسمية قد جرى قبل التأسيس الفعلى للجيش العراقى، في بغداد في السادس من كانون الثانى من تلك السنة. وتنفيذاً لمقررات الاجتماع الذي عقد في دار العسكري، التحق الرحال بالقيادة العربية في دير الزور، مقدماً إشارات مهمة عن دور بعض الزعامات القبلية هناك في

التصدي للبريطانيين فيقول: «ثم التحقت في دير الزور بالثورة، كان محمد الفتيان مع الدليم، وأنا مع مشرف الدندل، كان هذا رجلا شريفاً بكل معنى الكلمة ورجل قتال». ولا يذكر لنا ما جرى بعد ذلك حتى وصوله إلى البصرة عن طريق السويس، والذي نرجحه أنه كان من بين الضباط الذين وقعوا، بعد فشل الثورة، أسرى بيد القوات الفرنسية التي أتمت احتلال سوريا، مسقطة حكومة فيصل، فقامت هذه بنفيهم إلى جزيرة (أرواد) قرب الساحل السوري، وبعد ثلاثة أشهر، نقلوا إلى بيروت، ثم سُفِّروا بالقطار إلى دمشق،، ثم جرى نقله، ضمن مجموعة من الضباط ونواب الضباط والموظفين المدنيين، يبلغ عددهم 111 رجلاً، إلى السويس، ومنها استقلوا مركباً يونانياً يدعى (ملتيادس) أبحر بهم إلى البصرة، حيث استقلوا القطار، حتى وصلوا إلى بغداد، عاقدين العزم على الانخراط بالجيش العراقي الذي كان يجري تأسيسه آنذاك . يقول: «رجعت بعد اليأس إلى بغداد عن طريق السويس- بصرة، في مركب قديم جداً، وكنا نناهز المائة، وكلنا عراقيين، وصلنا البصرة ثم ركبنا القطار إلى بغداد».

وبوصول الضباط إلى بغداد، سجلوا أسماءهم في مديرية السجل العام (المعاملات الذاتية)، وبينما تذكر موسوعة القوات المسلحة العراقية أن هذه المديرية كانت تشغل بعض حجرات مبنى الباب الشرقي، يذكر الرحال أنه سجل اسمه في غرفة والي بغداد (السابق بالطبع)، بمعنى أن التسجيل جرى في بعض مباني السراي حصراً. يقول «سجلنا اسمنا في غرفة والي بغداد، وسجلونا في قائمة تُسمى جيش العراق».

وسرعان ما دبَّ الخلاف حول مراتب الضباط، واحتساب أقدميتهم، ومن ثم مقدار راتب كل منهم، يقول «وقد بدأ أول قال وقيل بين الجماعة، وظهر الخلاف على الترتيب أولاً، وكان رئيس المخالفين عارف عانة وسعيد حقي، وتساوت المسألة واختفت الفروقات» ويذكر الرحال أنه سجّل في صنف المدفعية، برتبة مقدم، يقول «وأدخلت برتبة مقدم في قائمة المدفعية في جيش العراق». لكن موسوعة القوات المسلحة العراقية تشير إلى أن أمراً قد صدر عن وزارة الدفاع بتأليف سرية النقلية الأولى في 24 تموز 1921، وأسندت آمريتها إلى وكيل القائد (الرائد) مهدي صالح الرحال، فشرع من فوره في تأليف هذه السرية في الثكنة الشمالية، وأنه استمر في

عمله إلى أن نقل إلى البطرية الجبلية الثانية. وكان نقله إلى هذه البطرية، قد جرى بعد أن انخرط في دورة خاصة بالمدفعية. فيقول «وأدخلونا وأنا معهم في دورة للمدفعية، وكان عددنا 14 ضابط مدفعي» وفي أثناء التحاقه بالدورة، حدث أن تُوِّج الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، ويعبر الرحال عن مشاعره إزاء هذا الحدث بقوله: «وقالوا أن فيصل جاء إلى بغداد، وقد تلقيناه بكل احترام وسرور، ثم صار تتويجه».

تمثل مذكرات المقدم مهدي الرحال نموذجاً لضابط عراقي شجاع، تمكن بفضل صبره، وحسن تدريبه، أن يحارب في جبهات شتى، وفي ظروف بيئية مختلفة، بعيدة كل البعد عن بيئته في وطنه، كما تكشف – على الرغم من صغرها– عن جملة من الأسرار التاريخية غير المعروفة، فليس لنا بعد هذا إلاّ أن نتساءل: كم من المعلومات ضاعت، وكم من الأسرار اختفت بموت أصحابها، وكم من البطولات الشخصية والوطنية نُسيت بطَي الدهر لسجل من قام بها، فلعل الزمن يسعد الباحثين بلُقى ثمينة من هذا النوع، من أوراق وذكريات ومفكرات ووثائق، من شأنها إذا ما دُرست ونُشرت، أن تفيد الباحثين، وتكشف الطريق أمام المؤرخين.

قراءات في تراث مخطوط

الايضاح والتبيان في المكيال والميزان

المؤلف :

هو ابو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم[1] بن إبراهيم بن العباس الأنصاري المصري الشافعي، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة. وأضاف صاحب الشذرات[2] الى ألقابه: البخاري، نسبة الى بخارى، في حين لم نجد في مصادر ترجمته الأخرى ما يؤيد هذه النسبة، بل يفهم منها أنه لم يغادر مصر في حياته إلا لأداء فريضة الحج.

ولد ابن الرفعة في القاهرة سنة 645 هـ، أي في السنين الأخيرة من حكم الأيوبيين، وكان في نشأته فقيراً الى الحد الذي إضطره للعمل كمُباشر[3] في بعض جهات مصر. وعندما لامَه أحد صُلحاء عصره، هو الشيخ تقي الدين الصائغ، على عمله هذا – والظاهر انمه توسَّم فيه خيراً – اعتذر بالضرورة[4]. ويفهم من هذا أن ابن الرفعة لم يشتغل بالعلم حتى بلوغه مبلغ الرجال، ويؤيد هذا الرأي أن عدداً ممن أخذ عنهم الفقه والحديث وسائر العلوم كانوا ممن توفي في أواخر حياته أو نحو ذلك، مما دلَّ على أنه تلقى العلم عنهم وهو كبير على خلاف المعتاد في تعليم الناشئة في ذلك العصر، وكل عصر.

أخذ ابن الرفعة بالتعلم بتشجيع من الشيخ تقي الدين الصائغ، فحضر مجلس قاضي مصر آنذاك، وأظهر فيه نبوغاً فريداً في البحث والتتبع، ثم مضى في اتمام علومه، فأخذ الفقه من كبار علماء عصره، منهم:

1- الشيخ جعفر بن عبد الرحيم بن احمد الحسني القنائي.

2- الشيخ جعفر بن يحيى المخزومي، ظهير الدين التزمنتي[5].

3- الشيخ سديد الدين عثمان بن عبدالكريم التزمنتي المتوفى سنة 664.

4- القاضي عبدالوهاب بن خلف، ابن بنت الأعز، المتوفى سنة 665

---

(1) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط عيسى البابي 1964، ج5 ص1776 صارم بالصاد.

(2) شذرات الذهب، القاهرة 1350 ج6 ص22 22/6.

(3) المباشر هنا: الموظف. انظر القلقشندي: صبح الاعشى 3/ 452.

(4) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، بتحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة 1962 ج1 ص205

(5) نسبة الى تزمنت من اعمال بني سويف في مصر

5- القاضي محمد بن الحسين الحموي، ابن رزين. المتوفى سنة 656

7- محمد بن علي ابن دقيق العيد المتوفى سنة 702.

وسمع الحديث النبوي من جماعة، منهم:

8- عبد الرحيم الدميري، محيي الدين.

9- علي بن محمد الصواف.

تولى ابن الرفعة عدة مناصب شرعية مهمة بعد اتمامه تعليمه، وظهور نبوغه في الفقه بخاصة، فصار قاضياً في الواحات بمصر، ثم ولي أمانة الحكم ثم حِسبة مصر (القاهرة) والوجه القبلي من عملها ردحاً من الزمن حتى وفاته[1] .

ولم ينقطع – أثناء توليه أعماله تلك – عن التدريس والإفادة في المدارس المهمة المشهورة في مدينة القاهرة، فدرَّس في (المدرسة المعزية) وفي (المدرسة الطيبرسية)، وكان في تدريسه مثالاً للعالم المتواضع، والأب الحاني، فكان «كثير الاحسان الى الطلبة بماله وجاهه، مساعداً لهم بما تصل اليه قدرته»[2].

ويبدو أن وظائفه كانت تدرّ عليه دَخلاً طيباً، مكنه من توظيفه في بعض المشروعات الاقتصادية، فكان له (مطبخ سُكَّر)، وقد وقف شيئاً من امواله على (سبيل ماء) في السويس وهي احدى منازل الحاج[3].

صنف ابن الرفعة جملة من الكتب المفيدة في مجال اختصاصه، وصلنا من أسمائها ما يأتي:

1- الكفاية (او كفاية النبيه) في شرح التنبيه و (التنبيه) أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة لدى الشافعية. قال صاحب كشف الظنون في وصفه «هو شرح كبير نحو عشرين مجلداً لم يعلق على التنبيه مثله، مشتمل على غرائب وفوائد كثيرة»[4] وقال الأسنوي «جمع فيه فأوعى»[5].

---

(1) الاسنوي: طبقات الشافعية، بغداد 1970، ج1 ص601

(3) الدرر الكامنة 204/1.

(4) المصدر نفسه.

(1) كشف الظنون 91

(2) الاستوي: طبقات 601/1.

2- المطلب في شرح الوسيط، و (الوسيط) في فروع الفقه الشافعي للامام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ). قيل انه بلغ ستين مجلدا ولم يكمل[1] فأكمله غيره[2] والمباحث[3].

3- النفائس في هدم الكنائس. وهو مختصر علقه في رمضان سنة 707 هـ [4].

4- الايضاح والتبيان في المكيال والميزان. وهي الرسالة التي نقوم بنشرها.

توفي ابن الرفعة في ثامن عشر شهر رجب سنة 710 هـ (10 كانون الاول 1310م)[5]. وقد أثنى عليه معاصروه ومؤرخو سيرته الثناء الجميل. فقال السبكي «شافعي الزمان، ومن ألقت إليه الأئمة مقاليد السلم والامان... ولقد كان عصره محشواً بالائمة إلا إنها سلمت وأذعنت.. سار اسمه في مشارق الأرض ومغاربها وطار ذكره ملء حواضرها وبواديها وقفارها وسباسبها، ذو ذهن لايُدرَك في سرعة الإدراك»[6]. ووصفه بمثل ذلك الأسنوي، وقال «كان أعجوبة في استحضار كلام الاصحاب لاسيما من غير مظانه، واعجوبة في معرفة نصوص الشافعي، واعجوبة في قوة التخريج، ديِّناً خَيِّراً محسناً الى الطلبة[7]. وقال اليافعي »حامل لواء الشافعية في عصره.. أحد الأئمة الأجلة علماً وفقهاً وديانة»[8].

الرسالة:

ألف ابن الرفعة رسالته جملة واحدة في اليوم الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة، (7 تشرين الاول 1303م) وعنونها بـ (الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان)[9] وربما كان للسجعة أثرٌ في هذا العنوان، وإلاّ فإنه قدَّم الكلام في الميزان على كلامه في المكيال، وألحَقَ به فصلاً في الأطوال، لم يشر اليه في العنوان

---

(3) كشف الظنون 2008 وفي شذرات الذهب انه في نحو اربعين مجلدا.

(4) الدرر الكامنة 1/ 204.

(5) شذرات الذهب 22/6.

(6) كشف الظنون 1966.

(7) الدرر الكامنة ج1 ص204

(8) طبقات الشافعية الكبرى ج5 ص177

(9) الاسنوي: طبقات ج1 ص601

(10) اليافعي: مرآة الجنان، بيروت 1970، ج4 ص249

(1) هذا العنوان هو الذي تحمله مخطوطته المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة. وفي ايضاح المكنون 1/185 وهدية العارفين 1/ 102.

أيضاً. وقد وردت الإشارة الى هذه الرسالة بعنوانات شتى، فسماها صاحب الدرر الكامنة (حُكم المكيال والميزان)[1] ودعاها الذهبي (التبيان) فحسب[2] ونوّه بها الأسنوي بقوله (وله تصنيف لطيف في الموازين والمكاييل والأطوال)[3]. وإن قيامه بالجمع بين هذه المسائل، في رسالة واحدة، يدل على ريادته في هذا المجال، إذ لم نعثر على من سبقه في ذلك. ولا شك في أن رسالته هذه هي من أوائل الرسائل المعروفة في علم الأوزان والمكاييل والأطوال، ولا أدل على ذلك من أنه لم يعتمد في مصادره رسائل و كتب مُفردة في هذا العلم، وإنما رجع الى كتب الحديث الشريف والفقه رأساً، وهي المصادر الأصلية للمعلومات من هذه الامور. وقد حاول التماس معلومات من كتب غيرهم، فصرَّح بنقله من كتب الهندسة لأنه لم يَرَ في كتب أصحابه من الفقهاء ما يشفي غليله. واعترف أيضاً بشحة المعلومات عن مسائل الأطوال، ولذلك فان ما كتبه عنها جاء مبتسراً الى حد كبير.

وللرسالة جانب مهم اخر، فان مؤلفها عُنى بالبحث في الأوزان والمكاييل التي كانت معروفة في عصره، فحدَّد العلاقة بين هذه المقاييس وما آلت اليه لدى معاصريه. ولا نشك في ان هذا التحديد هو هدف رسالته وغايتها، نظراً للتغيرات الكثيرة التي طرأت على هذه المقاييس في القرون الاخيرة، وبخاصة في عهد الأيوبيين والمماليك، مما استدعي البحث في شرعية ما أحدثته هذه التغيرات في أمور تتعلق بالمسائل الشرعية من زكاة وصدقة وإجارة وبيع وغيرها. ويظهر أن ابن الرفعة استفاد من منصبه كمُحتسِب في تحديد تلك العلاقة، مستنداً الى ما وجده من مقاييس قديمة، كانت محفوظة في دار الحِسبة بالقاهرة.

اعتمد ابن الرفعة على الكتب المؤلفة في فروع الفقه الشافعي غالباً، وقد صرح بعنوانات بعض مصادره، وأغفل ذكر معظمها، مكتفياً بأسانيد مُرسلة كقوله (نقل بعض مشايخي) و (قالوا) و (قال بعضهم) و (ذكر الأصحاب) و (بعض الناس.. قال).

فمن المؤلفين الذين صرَّح بأسمائهم، أو نوه بذكر عنوانات كتبهم، نذكر:

1- الإمام الشافعي (ت 204 هـ) في (الأم).

---

(2) 204/1.

(3) النقود العربية (حرره: انستاس الكرملي، القاهرة 1929).ص76

(4) طبقات الشافعية 601/1.

2- إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ) في (مختصر الام).

3- علي بن محمد الماوردي (ت 450 هـ) في (الاحكام السلطانية).

4- ابراهيم بن علي الشيرازي (ت 476 هـ) في (المهذب في الفروع).

5- محمد بن هبة الله البندنيجي (ت 495 هـ) في بعض كتبه.

6- صاحب البحر (ولعله عبد الواحد الروياني المتوفى سنة 502 هـ).

7- عبد الحق بن عطية المحاربي (ت 542 هـ).

8- عبد الكريم الرافعي (ت 623 هـ) في (المحرر).

9- عماد الدين عبد الرحمن ابن السكري (ت 624 هـ).

10- يحيى بن شرف النووي (ت 677 هـ) في (المجموع شرح المهذب).

ونظراً لأهمية رسالة ابن الرفعة وريادتها في موضوعها، فانها أصبحت مصدراً لغير واحد من المؤلفين في علم النقود والاوزان والمكاييل، فنقل عنها المقريزي (ت 845 هـ) نصاً طويلاً عن نسبة الحبة الى المثقال، والدرهم، وهذه النسبة مما انفرد به ابن الرفعة وإن كان قد ذكر أنه نقلها عن «بعض الناس»، وهي تمثل الأساس النظري الذي تستند اليه الأوزان الإسلامية الشرعية. كما نقلها عنه، او عن المقريزي، مصطفى الذهبي الشافعي من أهل المائة الثالثة عشرة.

من الرسالة نسخة خطية، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم (1140 فقه الشافعي)، وهي تقع في سبع اوراق. ومكتوبة بخط حسن معتاد، ولعلها مما يرقى الى القرن العاشر للهجرة.

وقد عمدنا عند تحقيق هذه الرسالة، الى التزام الامور التالية:

1- رجعنا الى ما أشار اليه المؤلف من كتب ورسائل فقابلناه على المخطوطة للتثبت من صحة النقل، وأشرنا الى أوجه الاختلاف في الهامش.

2- عرفنا -بايجاز- بأعلام المؤلفين وغيرهم ممن أستند اليهم المؤلف في بحثه.

3- أعدنا حساب المسائل التي أشار اليها المؤلف وقابلنا ذلك على النتائج المتحصلة لديه، واثبتناه في مواضعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة الانصاري الشافعي رحمه الله:

الحمد لله على نعَمه المتوالية على مرِّ الزمان، الآمر عبادَه –خصوصاً أولي الأمر منهم– بالعدل والإحسان، والمُفضِّل الأمة الحنيفة المحمدية على سائر الأديان، والمانح أهلها بما فيه قوام الدين من حفظ الأموال التي جعلها في الحُرمة ما للأبدان، إذ نَهاهُم عن التطفيف في المكيال لأنفسهم وأمرهم بالقسط في الميزان، أمراً خاصاً بعد إذ هو من جملة الأمر بالعدل والاحسان، ليعلم تأكده في نظره تأكداً يقتضي تقريره في الاذهان. فقال عز من قال في محكم القرآن مقروناً برفع السماء المذكورة في معرض الاستان[1]: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)﴾[2] [الرحمن]. وتوعَّد المطففين في الكيل لأنفسهم والمخسرين عند استبقاء الغير بالوَيل وهو من أودية النيران[3]. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمَّد ولد عدنان الذي جاء بالبينات والهدى والبرهان، وعلى آله وصحبه المثابرين إمتثال أوامر القرآن، المتجنبين من نواهيه وما قاربها حذراً من الوقوع في الخسران، رضي الله عنهم أجمعين وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين.

أما بعد، فإنه وقع في هذا الزمان، وهو عام ثلاثٍ وسبعمائة للهجرة النبوية[4]، إختلافٌ بين أهله المتولين لبعض أمره ونهيه في شيء وقع فيه التماس الفتوى طلباً للتزود بزاد التقوى، وهو بيان الذراع والكيل والوزن بياناً يبلغ فيه الغاية القصوى. فأحببت أن اجمع في ذلك ما حضر لي من ما وقعت من كلام أصحابنا[5] فيه، مع نبذة من كلام غيرهم مستمسكا فيه – انشاء الله– بحبله الاقوى، مبتدئاً بأصلٍ يُبنى،

---

(1) كذا في الاصل.

(2) الرحمن، آية 7–9.

(3) يشير الى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4)﴾ [المطففين]

(4) تقابل سنة 1303 ميلادية.

(5) يريد اتباع مذهب الشافعي.

هو: أنه لا يجوز تغيير ما قرره الشرع من الكيل والوزن بنقص ولا بزيادة كما دلَّ على ذلك قول مَن أوجب علينا العبادة وأرشدنا[1] (و 12) بلطفه للافادة، وحضَّ على اتباع أوامره الظاهرة، وما دلت على أنه أراده.

قال الله تعالى في كتابه المبين حكاية عن شُعيب المأمور بالأبرار والبنين: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2] [هود]، قال ابن القشيري في تفسيره[3]: وليس يريد الله -سبحانه وتعالى- بذلك إيفاء ما يُكال ويُوزن لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال والميزان: بل أراد: لاتنقصوا حجم المكيال والميزان عن المعهود. وكذلك الصنجات[4]. وهذا وإن كان شُرِّع من قبلنا فأصول شرعنا تقتضيه، فإن الله تعالى علَّق بكل من الكيل والوزن أحكاماً في الزكاة وغيرها. وفي تجويز تغييرها تعطيل لما وَرَد به الشرع من ذلك، ويصير مجهولاً لا يَهتدي اليه من يعرف صورة الحال. وإذا بقي ذلك لحاله، على الوضع الذي تقرر في صدر الاسلام، بقيت نصب الشرع معلومة، وأحكامه محررة، يعرفها من عرف الاصطلاح الأول ومن لم يعرفه. وإذا دلَّ على ذلك أصول شرعنا كان موافقاً لما وردت به الآية حاكية عن شَرع من قبلنا، فإقتضى الاحتجاج به إتفاقاً. على إنا نقول [لو][5] لم نجد في أصول شرعنا ما يؤيد ذلك لكان أظهر الوجهين في الحاوي أنه شَرَّع لنا، بل هو الذي نص عليه الشافعي -رحمه الله- في (الأم) في كتاب الإجارة[6].

---

(1) في الاصل: لارشدنا.

(2) هود: آية 85.

(3) لم نتأكد من هذا التفسير ومؤلفه. ولعله (التيسير في التفسير) لعبد الكريم بن هوزان القشيري (ت 465هـ) أو (تفسير القرآن) لابنه عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت 514هـ) او لعله لغيرهما من القشيريين.

(4) الصَّنج، والصنجة من الفارسية: سنكَة، وتعني الحجز والوزن، ويراد بها العيار، واتخذت من الزجاج، وعرف استعمال الصنج اول الامر من المعادن، كالبرونز والحديد، ثم لتقدير اوزان السكة على وجه التحديد. ويحمل الصنج عادة رسوم وكتابات تتضمن اسم الامير الذي صنعت برسمه، وثقلها، وآيات والفاظ دينية.

انظر عبد الرحمن فهمي محمد: صنج السكة في فجر الاسلام (القاهرة 1957).

(5) الزيادة يقتضيها السياق.

(6) (الاجارات) باب من كتاب (البيوع) وليس كتاباً مستقلاً، ولم نقف فيه على هذا النص (كتاب الام، بولاق 1221هـ، ص520).

واذا عرفتَ ذلك، إنتقلنا بعده الى في[1] المكيال والميزان، وبدأنا[2] بالميزان لأن منه، إذا عُرف، يُعرف حال المكيال. فنقول: المتفق عليه من أصحابنا – فيما وقفت عليه من كلامهم- ان المثقال من حين وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام. وعبارة ابن داود انه لم يختلف في الاسلام. وكذلك قال الشافعي فيه مع الدرهم ما قال، كما ستعرفه.

قال الشيخ محي الدين النووي[3] رحمه الله: وزنَتُه ثنتان وسبعون شَعيرة من حب الشعير الممتليء غير خارج عن مقادير الشعير غالباً، (و) ان يكون مقطوع منه ما دقَّ وطال من طرفي كل شعيرة كما قيَّده غيره -كما ستعرفه-.

وإذا كان كذلك[4] كان صنجه سبع مثاقيل تَعدل من الشعير الموصوف خمس مائة حبة (و2ب) وأربع حبات. وبعض الناس لم يضبط المثقال بذلك بل بحب الخردل البرِّي إذ قال ما معناه: (ان[5] الذي اخترع الوزن في الجاهلية[6] بدأ بوضع المثقال فجعله ستين حبة، زنة كل حبة منها ماية حبة من حب الخردل البري المعتدل. وكان صفة وضعه لذلك إن جعل يوزن المائة حبة من الخردل البري المعتدل. وكان صفة وضعه لذلك ان جعل يوزن المائة حبة من الخردل صنجة، ثم جعل يوزنها مع الخردل

---

(1) لعل (في) زائدة.

(2) في الاصل: وبدأ.

(3) هو الشيخ يحيى بن شرف بن سري النووي الدمشقي الشافعي، محي الدين(ت 677 هـ) ولم يشر المؤلف الى عنوان كتابه الذي نقل منه، ولكن يفهم مما اورده النووي في كتابه الكبير المسمى (شرح المهذب) (مطبعة الامام بمصر) ان له رأياً مخالفاً لما نقله ابن الرفعة، فقد نقل، اي النووي، (ج6 ص16) من كتاب الاحكام للحافظ ابي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبدالله الازدي راي ابن حزم وخلاصته أن دينار الذهب بمكة وزنه ثنتان وثمانون حبة وثلاثة اعشار حبة من حب الشعير وعشر عشر حبة، وقد أيد النووي هذا الراي، وشك فيما عداه. والظاهر أنه أيد في كتاب آخر له القول بانه يزن ثنتين وسبعين شعيرة، وهو ما وقف عليه ابن الرفعة ونقله هنا.

(4) في الاصل : خمس.

(5) ما بين القوسين يشبه لفظ المقريزي في شذور العقود في ذكر النقود (النجف 1967) ص5 ولم يذكر كلاهما مصدره.

(6) في المقريزي (ان الذي اخترع الوزن في الدهر الاول) ونسب مصطفى الذهبي (كان حياً 1256 هـ) الى ابن الرفعة قوله ان مخترع الوزن من اليونان (تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال، نشره انستاس الكرملي، في كتابه (النقود العربية وعلم النبات) القاهرة 1939، ص77، وليس في رسالة ابن الرفعة هذه، ما يؤيد انه قال ذلك.

صنجة أخرى ثم اخرى، فبلغ مجموع الصنج خمسة[1]حبات[2] فعمل بوزنها صنجة نصف سدس مثقال، ثم جمع كل ذلك[3] وجعل يوزنه صنجة ثلث مثقال مُتركّب من ذلك نصف مثقال، ثم مثقالاً ثم مثقالين، ثم خمسة[4] مثاقيل، ثم عشرة ثم هكذا الى الألف، فاذا المثقال عنده بحبات الخردل الموصوف ستة الاف حبة. وسبعة مثاقيل تكون إثنين واربعون ألف حبة، وعدها[5] يعسر، فكذلك لم تعد منها الا مائة، ثم عد بها الى الوزن ما عادلها).

واتفق جميع النقلة على أن السبعة مثاقيل تعدل وزن عشرة دراهم من دراهم الاسلام التي استقر عليها الحال حين اتفق على ضربها، ولفظ الشافعي في ذلك في الأم، في الجزء الثالث في باب صدقة الورق[6] وكذلك في المختصر[7]، فاذا بلغ الورق خمسة أواق[8]، وذلكماية درهم بدراهم الاسلام، وكل عشرة دراهم من دراهم الاسلام، وزن سبعة مثاقيل ذهباً، مثقال الاسلام. فيكون زنة كل درهم من الشعير الذي وصفناه[9] – بحسب[10] ما سلف – خمسين حبة وخُمسي حبة. وقد صرَّح به الإمام الرافعي[11] في كتاب الطهارة[1] حيث قال: اشتهر عن ابي عبيد القاسم بن

---

(1) في الاصل: خمس.

(2) في المقريزي: خمس صنجات.

(3) في المقريزي: ثم اضعف وزنها، وهو الصحيح والاصح من ذلك لو انه قال: اضعف وزنها مرتين.

(4) في الاصل: خمس.

(5) في الاصل: وعددها.

(6) الام ج2 ص23 (بولاق 1321) ولفظه (وكل عشرة دراهم من دراهم الاسلام سبعة مثاقيل من ذهب بمثقال الاسلام).

(7) يريد مختصر كتاب الام تأليف اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي (ت 264 هـ) وقد طبع على هامش الام من الطبعة البولاقية المشار اليها، وورد هذا النص في ج1 ص 234.

(8) يريد الأواق الشرعية الموجودة في مكة في صدر الاسلام، لا الموجودة في مصر في عهده، وتبلغ الاوقية الشرعية المذكورة وزناً يساوي 40 درهماً.

(9) في الاصل: وضعناه.

(10) في الاصل: بحب.

(11) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي (ت 623 هـ) وهو من كبار فقهاء الشافعية، وله تأليف في التاريخ والتراجم والحديث فضلاً عن الفقه. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 5/ 119.

سلام[2] عن ابن شريح ان درهم الشريعة خمسون حبة وخُمسا حبة، ويسمى ذلك درهم الكيل لأن الرطل الشرعي منه يتركب، ويتركب من الرطل المَد، ومن المَد الصاع. قال: وقال الفقيه عبد الحق بن اسماعيل بن عطية[3]: إن الحبة التي يتركب منها الدرهم هي حبة الشعير المتوسط التي لم تُقشَّر وتقطع من طرفها ما امتد. قال صاحب البحر[4] (وانما[5] جعل كل عشرة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب لأن الذهب أوزن من الفضة[6]، فكأنهم أخذوا حبة من الفضة ومثلها من الذهب بالمساحة ووزنوهما فكان وزن الذهب زائداً على وزن الفضة مثل ثلاثة أسباع) فلذلك جعلوا كل عشرة دراهم يعدل سبعة مثاقيل لأن ثلاثة أسباع الدرهم إذا أضيفت عليه بلغت مثقالاً، فالمثقال إذا نقصت منه ثلاثة أعشاره بقي درهماً[7]. قال ابن داود: والعشرة مثاقيل تكون أربعة عشر درهماً وسُبعا درهم[8] .

---

(1) لم يشر الى عنوان الكتاب الاصل، وكتاب الطهارة الذي ينقل منه قسم من ذلك الكتاب، وهو (المحرر) في الفقه من اشهر كتبه.

(2) ليس لهذا القول اصل في كتاب الاموال لابن عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) ولعله نقله من غير هذا الكتاب.

(3) كذا سماه المؤلف، وورد اسمه في مراجع ترجمته: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت 542 هـ) وهو لقبه، اندلسي، من اهل غرناطة عارف بالاحكام والحديث، وله كتاب في التفسير وآخر في ذكر مروياته، ولا ندري من أيهما نقل المؤلف الرافعي. انظر الزركَلي: الاعلام 4/53.

(4) لم يشر الى هذا المؤلف باسمه، ويوجد غير كتاب عنوانه بلفظ (بحر...) واغلب الظن انه من كتب الفقه الشافعي، واشهر كتاب منها تنطبق عليه هذه الصفة (بحر الذهب) في الفروع للشيخ عبد الواحد بن اسماعيل الروياني الشافعي المتوفى سنة 502 هـ، وقد وصفه صاحب كشف الظنون (ص 226) بانه (بحر كاسمه).

(5) ما بين القوسين منقول من كلام المسعودي (نقله الشيخ ابراهيم سليمان ابراهيم سليمان العاملي: الاوزان والمقادير (صور 1963) ص28)

(6) يبلغ الوزن النوعي للذهب 19,3 والوزن النوعي للفضة 10,5 أي أن نسبة الوزن بينهما يمكن ان تقوم بـ (1:2) بينما تعتبر النسبة الشرعية العرفية هي (7:10) كما في النص، و (2:3) كما في اصول اخرى، والفرق بينهما يسير، فدرهم الفضة على اساس النسبة الاولى 2,97 غراماً، وهو على اساس النسبة الثانية 2,82 غراماً (فالترهننس: الاوزان والمكاييل الاسلامية من 10) وكلا النسبتين عرفي، لاينطبق على وزنيهما الحقيقيين.

(7) في الاصل : درهم.

(8) وتساوي على وجه الدقة 14,285714 من الدرهم.

وبعض الناس قال: إنما قيل أن كل سبعة مثاقيل تعدل عشرة دراهم، لأن الواضع للاوزان جعل الدرهم ستين حبة. لكنه قال: إن كل عشرة دراهم تعدل زنة سبعة مثاقيل، فلزم من ذلك ان يكون جعل كل حبة من حبات الخردل سبعين حبة. ومنها ركّب الدرهم فما فوقه الى الالف كما تقدم قبله في المثقال[1]، وقد رأيته في بعض كتب الهندسة ولم أره في كتب أصحابنا.

والضبط بحب الخردل أحسن من ضبطه بحب الشعير لقلة التفاوت فيه. وعلى الجملة فقد قالوا: إنه كان في الجاهلية دراهم مختلفة، طَبرية، وهي منسوبة الى بلد طبرية[2] كما يشير اليه كلام صاحب التهذيب في كتابه الاقرار – وبَغليّه، وهي منسوبة الى بلد يقال له رأس البغل[3] وخوارزمية، وغير ذلك.

---

(1) انفرد المؤلف بنقله هذا النص، ولذلك فانه صرح بنقله إياه من غير كتب الفقه، وهي المعتمدة في مثل هذه المباحث. وتذهب نصوص فقهية عديدة الى أن زنة الدرهم الشرعي هي 48 حبة، باعتبار انه يتألف من 6 دوانيق زنة كل منها 8 حبات (انظر مثلاً العاملي: الاوزان والمقادير ص 32). وبما ان حاصل ضرب 60× 100 (وهو عدد حبات القمح المساوية لوزن حبة خردل واحدة) يساوي 6000 فان هذا العدد يمثل عدد حبات القمح في المثقال نفسه، على ما تقدم. وقد حل المؤلف الاختلاف بين الروايتين بأن اعتبر أجزاء حبة الخردل 70× 100 ليصبح حاصل ضربهما 4200 وهو عدد حبات القمح في الدرهم الشرعي. ومن هذا نرى ان الحبة تمثل شيئاً يختلف اختلافاً كبيراً باعتبار وحدة الوزن، فهناك حبة بمعيار الفضة واخرى بمعيار الذهب، وحبة من المثقال وغيرها من الدرهم الخ. وانظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة (حبة) بقلم E.V. Zambaur .

(2) طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية.. من اعمال الاردن في طرف الغور. والنسبة اليها طبراني، لا طبري، والاخير منسوب الى طبرستان في ايران (ياقوت: معجم البلدان 18/4) وعلى هذا استند الاب انسناس ماري الكرملي في نفيه ان تكون الدراهم مما ضرب في طبرية، مؤكداً ضربها في طبرستان (النقود العربية وعلم النميات ص 24) ويؤيد هذا الراي ان الدراهم كانت مما يضربه الفرس لا الروم، وكانت الاردن جزءاً من املاك الدولة الرومانية، إلتي يجري التعامل فيها بالدنانير لا الدراهم.

(3) اختلف المؤرخون في سبب هذه النسبة الغريبة، فذهب بعضهم الى ما ذكره المؤلف، وزاد عليه ان البلدة اسمها بغلى، وهي قريبة من الحلة (الكرملي: النقود العربية ص 22 عن مجمع البحرين) واضاف اخرون انها (مدينة قديمة من بابل يقال لها بغل متصلة ببلد الجامعين، وجد فيها حفرة فيها دراهم واسعة) المقريزي: شذور العقود تعليقة السيد علي بحر العلوم ص50 عن السرائر لابن ادريس) ولم اقف على خبر هذه المدينة، ومن الثابت أن البابليين لم يتعاملوا بالنقود اصلاً وانما بأوزان الفضة، فالظاهر اذن أنها نوع من الدراهم الفارسية القديمة المستعملة في العراق آنذاك، يؤيد هذا قول المقريزي (هي من دراهم فارس) وذهب آخرون (شذوذ العقود، تعليقة

وكانت زنة الطَبَرية –فيما قاله بعضهم– ثمانية دوانيق، وفيما قاله الجمهور أربعة. وزنة البغلية، فيما قاله الأول: أربعة دوانق، وفيما قاله الجمهور في كتاب الإقرار[1] وغيره: ثمانية دوانق، وزنة الدرهم الخوارزمي اربعة دوانق ونصف.

قال أصحابنا[2]: وكان غالب ما يُتعامل به من أنواع الدراهم في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) والصدر الاول بعده، نوعان من انواع الدراهم، الطبري والبغلي. قال البندنيجي[3] وصاحب البحر حكاية عن رواية ابي عبيد القاسم بن سلام[4]: وكانت الزكوة تَجب في صدر الاسلام في هاتين منها، فلما كان في زمن بني أمية أرادوا ضرب الدراهم فنظروا في التعقب[5]، فان هم ضربوا احدهما بمفرده أضر ذلك بأرباب الأموال أو أهل السهمين من الزكوة، فجمعوا الدرهمين (و3ب) وقسموهما درهمين فخرج من ذلك كل درهم ستة دوانق).

والدانق على المشهور من حبات الشعير الموصوف ثمان وخمسا حبة[6]. وقد زعم

السيد بحر العلوم عن برهان قاطع والمصباح ص49) الى انها منسوبة الى رجل اسمه رأس البغل، قيل انه ملك (او رأس) اليهود، وانه ضربها بعد ان بنى بيتاً للنار في بعض مدن فارس (كذا مع انه كان يهودياً لا مجوسياً) وهذا يدل على ان ضربه لها كان في عصر قبل الاسلام، ولكن تشير رواية اخرى (شذور 48) الى ان رأس البغل هذا كان ضراباً مشهوراً ضربها لعمر بن الخطاب على سكة كسروية في الاسلام. ولم نقف على خبر لرأس البغل هذا، على اهمية منصبه وعمله، في غير هذه الاشارة. مما يرجح كونها موضوعة تماماً، ونص الرواية على أنها سكة كسروية يشير الى انها منسوبة الى كسرى الاول الساساني (521– 579 للميلاد) فتكون قد ضربت في ذلك العهد اصلاً، ويجوز ان عمر ضرب النقود على شكلها، فعرفت باسمها، ولكن ليست ثمة نماذج من هذه الدراهم في متاحف العالم اليوم (عبد الرحمن فهمي محمد: فجر السكة العربية 31).

(1) يريد بكتاب الاقرار احد الكتب التي تنقسم اليها المؤلفات الفقهية الباحثة في الفروع، ويحتوي عادة – على فصول ومباحث، وليس مؤلفا بعينه.

(2) يريد الشافعية.

(3) هو محمد بن هبة الله بن ثابت البندنيجي الشافعي، المعروف بفقيه الحرم. ولد في البندنيجين (مندلي الحالية قرب بغداد) وصحب ابا اسحاق الشيرازي، وجاور بمكة نحواً من اربعين سنة، وتوفي باليمن سنة 495 هـ، ومن آثاره (الجامع) و (المعتمد) وكلاهما في فروع الفقه الشافعي، ولا نعرف من ايهما نقل المؤلف. الزركلي: الاعلام 7/355 وكحالة: معجم المؤلفين 12/89.

(4) الأموال ص 524.

(5) في الأموال: في العواقب.

(1) اشار الى هذا المقريزي (شذور العقود ص5) وقد ذكر المؤلف قبل سطور ان الدرهم الشرعي يساوي ستة دوانق، وكان قد ذكر سابقاً ان هذا الدرهم يساوي خمسون حبة شعير وخمسان،

بعضهم ان الدانق كالدينار لم يختلف في جاهلية ولا اسلام، ونسب مثل ذلك الى ابن شريح في الدراهم لكن المذهب فيه خلافه.

وقد اختلف في الجامع بين الدرهمين وقسمهما درهمين، فذكر الماوردي: انه عمر (رضي الله عنه)[1]، وقال غيره: انه زياد ابن أبيه، وقيل الحجاج في زمان عبد الملك بن مروان[2]. وإذا عُرف ذلك خلص منه أن المراد عند الاختلاف في زيادة المثقال والدرهم، وبعضها الى ما ذكر من العيار فيه يقع الاعتبار، وسنذكر من قصة الرشيد مع الامام مالك (رضي الله عنه) ما يؤيد بعض ذلك ان شاء الله تعالى.

واما القول في المكيال، فالمألوف منه في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) محل إقامته كما جاءت به الأخبار، الى المَد، والفرق والعرق، فالمد على ماذكره أصحابنا زنته رطل وثلث بالرطل البغدادي. وقد ذكر أصحابنا أن الخليفة الرشيد حج ومعه أبو سيف –رحمهما الله تعالى– فلما دخل المدينة –على ساكنها افضل الصلاة والسلام والرحم– جمع بينه وبين الإمام مالك فسأل أبو سيف مالكاً عن الصاع، فقال: خمسة ارطال وثلث. فانكر ابو يوسف ذلك لأن أبا حنيفة رحمه الله يرى أنه ثمانية أرطال بحديث ورد فيه ضعف أصحابنا، وأوّلوه على تقدير صحته[3]، فاستدعى مالك رحمه الله اهل المدينة وسأل كل واحد منهم أن يحضر صاعه معه، فاجتمعوا ومع كل واحد منهم صاعه، يقول: هذا ورثته عن ابي، وحدثني أنه ورثه عن جدي، وأنه كان يخرج به

فاذا قسمنا هذا الرقم على ستة كان الناتج ماذكره هنا وهو ثمان حبات وخمسان، وفي مصادر اخرى ان الدانق يساوي ثماني حبات حسب (العاملي: الاوزان والمقادير ص 33) فيكون الدرهم اذن 48 حبة.

(1) الماوردي: الاحكام السلطانية (مصر 1960) ص 153.

(2) ذكر ذلك الماوردي ايضاً ص 154.

(3) نقل ابن سلام عن أبي عبيد سبب رأي أهل العراق من أن الصاع ثمانية أرطال [إنهم سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بصاع، وسمعوا في حديث آخر أنه كان يغتسل بثمانية أرطال) الأموال ص519 لذا حاول هنتس التوفيق بين رأي أهل العراق (وهو رأي أبي حنيفة) ورأي أهل الحجاز (ومنه رأي مالك والشافعي) معتبراً أن الـ خمسة أرطال وثلث رطل مدني (نسبة إلى المدينة) تساوي ثمانية أرطال بغدادية (المكاييل والأوزان الإسلامية ص63) وبهذا فلا عبرة في تأكيده على أن الرطل البغدادي كان يساوي الرطل الشرعي (ص35) لأنه ذكر في موضع آخر أن الرطل كان يزن في المدينة رطلاً بغدادياً ونصفاً، وإذا ضربنا خمسة أرطال وثلثاً في واحد ونصف ظهر أن الناتج هو سبعة وخمسة وستون (ثمانية تقريباً) وهذا يعني أن سبب الإختلاف بين الروايتين هو عدم تحديد وزن الرطل نفسه.

زكاة الفطر الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوزنه الرشيد فاذا هو خمسة ارطال وثلث، فرجع ابو يوسف الى هذا لظهوره واشتهاره في المدينة فعم.

واختلف النَقَلَة في الرطل البغدادي، قيل: انه ماية وثمانية وعشرون درهماً، وقيل ماية وثمانية وعشرون واربعة اسباع درهم، وهذا الذي صححه النووي[1]، وقيل ماية وثلاثون درهماً وهو الذي تقتضيه امداد الشيخ الامام ابي اسحاق صاحب المهذب[2] والمصحح عند غيره، وهو الذي تقوى في النفس صحته بحسب التجربة، لأنه أحضر الى من يوثق به من الفقهاء العدول الورعين مُداً من خشب مخروط لم يتشقق ولم يسقط منه شيء، وأخبرني أنه عايَره على مد الشيخ الامام العلامة محب الدين الطبري[3] شيخ الحرم الشريف بمكة –حرسها الله تعالى– في وقته، وان الشيخ محب الدين المذكور ذكر انه عايَره على مُد صحيح عنده بالسندانة معاير على ما عُوير به النبي (صلى الله عليه وسلم)، فامتحنه بما قال بعض أصحابنا وغيرهم ان به يقع المعيار وهو الماش والعدس، فوجدت كيله بهما[4] يزيد عن الماش زيادة كثيرة يغلب على الظن أن القول فيه شيء، اللهم إلا أن يكون الماش والعدس بالبلاد المصرية أثقل من ذلك في غيرها، فيكون الخلل حصل في ذلك، ويبعُد كل البُعد أن يكون الرشيد قد عايَر الصيعان المُحضَرة اليه بذلك، لفقدان الجنسين[5] في المدينة في الصدر الاول، كما دلت عليه الأخبار، ولأجل ذلك اعتبر من المُد[6] المذكور بالشعير الصعيدي المُغربَل المُنقى من الطين، وان كان فيه حبات من القمح يسيرة فصح الوزن المذكور به لكن من غير فرك الشعير ولا إسقاط شيء من جرمه، فكيل المَد المذكور ثم وُزن فجاء زِنته

---

(1) النووي، يحيى بن شرف الدمشقي الشافعي في كتابه (المجموع شرح المهذب) ج6 ص16.

(2) يريد الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشافعي المتوفى سنة 476هـ، وهو من اشهر فقهاء الشافعية في عصره، وولي تدريس النظامية ببغداد، وله كتب مهمة، منها (المهذب في الفروع) وقد طبع. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 2/88.

(3) احمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي الشافعي، محب الدين، ابو العباس. فقيه له تأليف عديدة في علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة، ولد بمكة سنة 615 هـ وتوفي بها سنة 694 هـ. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (القاهرة 1956) ج1 ص320.

(4) ربما كان من الصواب قوله: فوجدت كيله بهما يزيد على الشعير.

(5) يريد العدس والماش.

(6) كذا في الأصل، ولا وجه لـ(من) هنا. (55) اي بالدرهم المصري.

ماية وثلاثة وسبعون درهماً وثلث درهم بالمصري[1]، ثم وزن من الشعير المقدار المذكور ووضع في المُد المذكور فكان تقديره عن غير زيادة عليه، وكان ذلك بحضرة جماعة من أهل العلم الاخيار، ففرحت بذلك وفرحوا فرحاً شديداً. ومنه يظهر صحة قول من ادعى ان الرطل البغدادي ماية وثلاثون درهما[2]، وبه يظهر أيضاً صحة صنج الدرهم الموجودة حينئذ بمصر المحروسة[3]. وان الذي يقع به العيار الشعير الصعيدي وما هو مثله في الحبة لا ما قيل من العدس والماش وغيرهما، والله اعلم.

واما الفرق –بالفاء وتحريك الراء وإسكانها– فهو ستة عشر رطلاً (و 4 ب) كما قاله العيني[4] في كتاب الأشربة[5]، وأراد بالرطل الرطل البغدادي لانه جاء في رواية ابي داود في حديث كعب بن عجرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له : أو أطعم[6] ستة مساكين فرقاً من زبيب[7] . وجاء في رواية البخاري ومسلم: أو اطعم[8] ثلاثة

---

(1) اعتمد المؤلف في تجربته هذه على قاعدة ان المُد يساوي رطلا وثلثا، (من الشعير) ربما ان وزن المُد $\frac{1}{2}$ 173 درهماً شرعيا على ما تأكد لديه عملياً، فانه طرح منه ثلثه، فكان الناتج هو 120 درهماً بالضبط. وقد اثبتت الدراسات الحديثة لصنع الدراهم المكتشفة (هنتس ص 11) ان وزن درهم الكيل الشرعي الواحد 125/غراما، فيكون وزن الرطل الشرعي هو 4,6,25 غراماً.

(2) تصريح المؤلف بتطابق وزني الدرهمين الشرعي والمصري في ايامه على ما اثبتته التجربة، يدل على استمرار العمل بالدرهم الشرعي حتى القرن الثامن للهجرة (16 م) في الاقل، على الرغم من تحديد الدرهم المصري في العهد الفاطمي ب 3،123 غراما ولا ندري الى عهد استمر الاخذ بالوزن الشرعي المذكور، الا ان الوزن الفاطمي هو الذي استمر في النهاية حيث يزن الدرهم في الوقت الحاضر حسب تقويم الحكومة المصرية الرسمي 2/12 غراما. (انظر المصدر المذكور ص12).

(3) هو محمود بن احمد بن موسى العيني الحنفي، بدر الدين (ولد سنة 762هـ، وتوفي سنة 855هـ) من كبار مؤرخي عصره ومحدثيه وفقهائه، وله مؤلفات شتى. انظر الزركلي: الاعلام 28/8 وكحالة: معجم المؤلفين 150/12.

(4) كتاب الاشربة احد اقسام كتابه الكبير الذي عنونه (عمدة القاري في شرح البخاري) وهو مرتب بحسب كتاب صحيح البخاري وأبوابه.

(5) في الاصل: او طعم.

(6) الاموال ص 520 وفيه: فرقاً من طعام.

(7) في الاصل: فدل على ذلك.

(8) صحيح مسلم، كتاب الحيض 41 والحج 83,82 وصحيح البخاري 6 واحمد بن حنبل 116/2.

أصح. فدل ذلك[1] على أن الفرق ثلاثة أصح[2] اذ القصة واحدة، والثلاثة أصح [او][3] ستة عشر رطلاً بالبغدادي[4] كما ذكرناه والله اعلم.

واما العرق –بالعين– فانه ستون مَداً (او)[5] خمسة عشر صاعاً، كما دلَّ عليه حديث الأعرابي الذي جامع أهله في رمضان[6].

واما الأردب فلم يكن – فيما نعلمه– في محل اقامة النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل هو من مكاييل مصر. قال صلى الله عليه فيما خرَّجه مسلم عن ابي هريرة[7]، منعت العراق درهمها وقَفيرها، ومنعت الشام مُدها وديناراها –وهو بضم الميم واسكان الدال– ومُنعت مصر أرديها وديناراها: وعدتم من حيث بدأتم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه، وبهذا الخبر قال الامام في باب الشرط الذي يفسد البيع[8]: انه مكيال من مكاييل مصر، واللفظ من لغة أهله. وقيل: انه يسع[9] اربعة وعشرين صاعاً،

---

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) في سنن ابي داود، كتاب الطهارة 96: الفرق ستة عشر رطلاً.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

(4) البخاري: صوم 30 نفقات 13 أدب 68، 95، الكفارات 2، 4 مسلم: صيام 91 ابو داود: صوم 27، طلاق 17 الدارمي: صوم 19 الموطا 28، 29 ابن حنبل 208/2، 241 وفي تحديد وزن العرق اختلافات اجملها القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري بقوله (زاد ابن ابي حفصة فيه خمسة عشر صاعا وفي حديث عائشة عنه ابن خزيمة فأتى بعرق فيه عشرون صاعاً، وفي مُرسَل عطاء عند مسند: فامر له ببعضه وهو يجمع بين الروايات، فمن قال: عشرين، اراد اصل ما كان فيه. ومن قال خمسة عشر اراد قدر ماتقع به الكفارة. قال ابو هريرة او الزهري او غيره (والعراق المكتا) بكسر الميم وفتح القوفية: الزنبيل الكبير يسع خمسة عشر صاعاً). ارشاد الساري الى صحيح البخاري 306/2.

(5) مسلم: الفتن 32، ابو داود: الامارة 29.

(6) لم نتاكد من اسم الامام الذي اراد، واطلاق لفظ الامام الشافعي صاحب المذهب، والكتاب هو كتابه (الام)، ورغم ذلك فليس في هذا الكتاب (كتاب البيوع) مثل هذا النص، أو باب يحمل هذا العنوان.

(7) في الاصل: بيع.

(8) يريد في القاهرة دون غيرها من مدن مصر في عهده، فان القلقشندي اشار الى وجود عدد من الأرادب في المدن المصرية، تتفاوت في سعتها تفاوتاً بينا. قال (وبنواحيها بالوجهين القبلى والبحري أرادب متفاوتة يبلغ مقدار الاردب في بعضها احدى عشرة ويبة بالمصري فاكثر) (صبح الاعشى في صناعة الانشا) 441/34.

(2) اي ارباع الويبه.

والنووي اطلق حكاية ذلك، والتجربة تقتضي خلاف ذلك، فالاردب عندنا[1] ست ويبات، وكل ويبة أربعة ارباع[2]، فجملته أربعة وعشرين رُبعاً، والربع أكثر من الصاع بأكثر من الثلث ثلثين[3] . بل نقل بعض مشايخي[4] رحمه الله عن قاضي القضاة سيد المتورعين عمادالدين بن السكري[5] رحمه الله، حين كان يخطب بمصر خطبة الفطر، انه يقول في ضمنها: والصاع قد حان بأقداحكم هذه سالماً من الطين والعيب والفلت[6]، ولا يجري في بلدكم هذا الا القمح. لكن لما حضرنا من المد المتقدم ذكره الابيان[7] منه أكبر كيلاً من القدح.

بل أحضر إلى أمداد أخر يذكر أهلها (انها)[8] معايرة على ما عيَّر على مدُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فوجدت زيادة على المذكور، ومع ذلك لا تبلغ اربعة منها ربع ويبه بل تنقص بعضها كثيراً.

ووجدت في دار الحِسبة بمصر حين ولّيتها[9] كيلاً من نحاس مُفرغ واحدة[10] (و آ5) منقوش على دائره في ضمن سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم، عُمل في ايام

---

(1) يريد الصاع الشرعي كما سيأتي.

(2) في الاصل : مشايخ

(3) هو عبد الرحمن بن عبد العلي المصري الشافعي المعروف بابن السكري، ولد بمصر سنة 503 وولي القضاء بالقاهرة وخطابتها، وحدث وافتى ودرس، وتوفي في سنة 624هـ ومن اثاره شرح صحيح مسلم، وغيره. كحالة: معجم المؤلفين 144/5.

(4) الفلت: لغة في غلط، وهو في الحساب خاصة (تاج العروس).

(5) الابيان: جمع ويبة.

(6) في الاصل: ان.

(7) الاصل: وليها .

(8) لعله يريد داخله.

(9) يريد الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين يوسف الايوبي بدأ حكمه نائباً عن ابيه في مصر، وعند وفاة ابيه بدمشق، استقل بملك مصر سنة 589 ودام في الحكم حتى وفاته سنة 595 هـ. ابن خلكان: وفيات الاعيان 214/1 وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 120/6.

(3) كذا في الاصل، وهو لايتفق مع تاريخ ملك العزيز المذكور، لانه تولى الحكم بمصر سنة 589 كما ذكرنا، ويبعد ان يكون هذا في اثناء نيابته عن ابيه لانه ولد سنة 567 هـ، فيكون عمره في سنة عمل الكيل اربع سنين، ولم يكن قد عهد اليه بشيء آنذاك، ومن المحتمل ان يكون التاريخ الصحيح هو: سنة احدى وتسعين وخمس ماية.

الملك العزيز[1] خلد الله ملكه برسم الفقيه الامام العالم الزاهد شهاب الدين متولي حسبة المسلمين أعز الله احكامه. عُيِّر هذا المد على صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، حرر على الاصل المُحقّق اعتبر بالماء الصافي فوافق وزنه بالماء ثلاثمائة وسبعة وثلاثين درهماً، وذلك بتاريخ الثامن من ربيع الاول سنة احد وسبعين وخمس ماية[2].

والأردب المصري منه[3] ويبة بالمصري والاردب منه يكون مائة واربعة وأربعين كيلاً[4].

ووقع في نفسي أنه انما جعل[5] (كذلك)[6] لتكون نسبته من الأردب نسبة الدرهم من الرطل المصري اذ هو مائة واربعة درهما [او] اثنا عشر اوقية، كل اوقية اثنا عشر درهما، قال بعضهم: واتفق الناس على ان الرطل اثنا عشر أوقية وانما اختلفوا في قدر الأوقية ماهو، والله اعلم.

[الأطوال][7]

وأما الذراع فلما أظفر به مُبيناً في كلام أصحابنا إلا في مسألة القصر[1]، اذ قالوا: هي اربع بُرد، كل بريد — على المشهور- اربع[2] فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي، ومجموع ذلك ثمانية واربعون.

---

(1) الضمير عائد الى المد.

(2) الضمير عائد الى المد ايضاً، وهذا يعني ان الويبة = 16 قدماً، وهو ما تجمع عليه المصادر: انظر هنتس.

(3) ايضاح ذلك: ان المد = 2/3 قدح، فكان المد الشرعي المذكور يملئ بالحبوب، ويزاد عليه ثلثه فيحصل القدح، وبما ان الويبة = 16 قدحا، فان مضروب هذا العدد في عدد ويبات الاردب الواحد وهو 6= 16 قدحا في الاردب (وهو ما تؤكده المصادر ايضاً) وبما ان الاردب=144 كيلة يكون القدح=1/5 كيلة، وتكون الويبة الواحدة = 24 كيلة. وربع الويبة= 6 كيلات. وقد تقدم قول المؤلف ان ربع الويبة يزيد على الصاع= 4 امداد، والمد 2/3 قدح -كما تقدم- يكون الصاع الواحد=2,6 قدحاً، بينما الربع= 4 اقداح، وهو يتفق مع نسبة الصاع من الربع التي ذكرها المؤلف تماماً.

(4) في الاصل: يجمل.

(5) زيادة يقتضيها السياق.

(6) اي مسألة السفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة، وهي من المسائل التي تكلم عنها الفقهاء لتعلقها بامور العبادات.

(7) خذا العنوان من عندنا، ولم يشر إليه في عنوان الرسالة.

والميل الهاشمي منسوب الى هاشم بن عبد مناف بن قصي جد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانه الذي قدَّر أميال البادية وبُرُدها، وهو بالخُطى أربعة الاف خطوة[3]، كل خطوة ثلاثة اقدام، فالميل إذاً اثنتا عشر الف قدم، وهو بالأذرع ستة الاف ذراع[4]، كل ذراع أربعة وعشرين اصبعاً معترضات، والاصبع ست شعرات، او ست شعرات من شعر البغل لأنها مناسبة. ولم يذكر الاصحاب مثل ذلك حيث تكلموا في ضبط الدرهم والمثقال بالشعير لأن العمدة تتم على الوزن، والعمدة هنا على المساحة، وهي تنضبط بشعر البغل، ومن ذلك يؤخذ الذراع عند النزاع في قدره. وقد ذكر الأصحاب الذراع في المسابقة لانه جاء ذكره في الخبر فيها. وذكروه أيضاً في ضبط القُلتين من الماء اذا اريد معرفتها في الارض من غير وزن. وتعرض له بعضهم في باب خراج السواد في ضبط الأجرية، وغير ذلك، لكنهم لم يتعرضوا لضبطه الا في الموضع الذي ذكرته والله اعلم بالصواب فيما ذكرناه وغيره. واليه المرجع والمآب.

قال المصنف رحمه الله: وكان تعليق هذه بجملتها في ليلة يسفر صباحها عن سادس عشرين شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة. وقد علقه لسيدنا ومولانا القاضي منصور بن سيد القباني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

---

(1) كذا والصواب : اربعة.

(2) اختلف الاقدمون بشان تحديد الميل واجزائه، ونقل ياقوت في معجم البلدان (36/1 دار صادر بيروت 1965) شيئا من اختلافهم، وخلاصته ان بعضهم رأى ان الميل =400 ذراع (الذراع 24 اصبعاً) وراى اخرون 2333 خطوة باعتبار ان الفرسخ 7000 خطوة.

(7) لم يتعرض القدامى الى تحديد الخطوة بخلاف الذراع، وقد حدد المؤلف هنا نسبتها الى الذراع، فالميل=4000 خطوة في تقديره، وهو =6000 ذراع، او 12000 قدم، وهذا يعني ان الخطوة = 1/5 ذراع والذراع الواحد= 2 قدم.

(4) في الاصل : القضاي

نسخة غير معروفة من كشف الظنون
يختصرها بغدادي من القرن الثالث عشر



لم يَنَل كتاب ببليوغرافي عربي من الشهرة والثقة، منذ أن ألف ابن النديم (فهرسته) في القرن الثالث عشر للهجرة، ما ناله كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المعروف بالحاج خليفة وبكاتب جلبي (المتوفى في القسطنطينية سنة 1067هـ/1656م). وعلى الرغم من أن محاولات مختلفة سبقت تأليف الحاج خليفة كتابه هذا، فإن الكتاب جاء نقلة كبيرة وواضحة في مجالات علم الببليوغرافيا. وذلك لما حشد به مؤلفه من عنوانات جمهرة ضخمة من الكتب والرسائل، وبما ألزم به نفسه من وصفها، وذكر مؤلفيها، وشرّاحها، ومُحشّيها، وما عليها من علامات فارقة، كالعبارات التي تبتدئ بها أوائلها، وبعض من خطبها، وتحديد فنونها، وتقويم لبعضها، حتى غدا لا يستغني عنه محقق أو مفهرس، أو أي باحث في مجال تصنيف الكتب والمكتبات، ويمكن القول بأنه أول وليد لهذا العلم الحيوي يحمل سمات العصر الحديث، دقة وضبطاً وإحاطة.

وكان من آثار اهتمام الباحثين بهذا الكتاب، تعدد تذييلاتهم عليه، واستدراكاتهم ما فاته من عنوانات الكتب والرسائل المختلفة، أمثال حسن العباسي النبهاني الحلبي (1096هـ/1685م) ومحمد عزتي الإسلامبولي زاده (ت 1092هـ/1681م)، ونوعي أفندي (ت 1201هـ/1786م)، وأحمد طاهر حنفي زاده (ت 1217هـ/1802م)، ومحمد الأرضروملي، وعارف حكمت (ت 1275هـ/1858م)، وإسماعيل باشا البغدادي (ت 1339هـ/1920م)[1].

---

(1) شهاب الدين النجفي المرعشي: مقدمة كشف الظنون (ط3 المطـ الإسلامية 1947).

ومن الباحثين الذين أولوا الكتاب عنايتهم، عالم بغدادي من أهل القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر للميلاد)، دعا نفسه بـ (الحاج لطف الله بن عبد الله الخزندار)، وليست لدينا معلومات كافية عن حياة هذا العالم، إلا أننا نعلم أنه كان من فئة المماليك ببغداد، الذين استجلبوا إليها من جورجيا ليعملوا في الجيش والإدارة، وتوصلوا إلى حكم بغداد وتوابعها منذ سنة 1162هـ/1748م إلى سنة 1247هـ/1831م، ومنهم من نال حظاً جيداً من التعليم، ذلك إنه وصف نفسه بالكوله عند تملكه أحد المخطوطات[1]، وهي كلمة تركية بمعنى المملوك، كما أننا نعلم أنه زار استانبول في بعض شؤونه سنة 1230هـ/1814م بدلالة شرائه مخطوطة منها في ذلك العام[2]، ثم قصد مكة حاجاً لتلقيبه نفسه بعد ذلك التاريخ بالحاج، وأنه تولى منصب (خزندار) في حكومة المماليك على عهد والي بغداد محمد سعيد باشا (1228-1232هـ/1812-1816م) لإشارته إلى ذلك على ظهر بعض مخطوطاته[3]، ومنصب كهذا كان كفيلا بتيسير سُبُل معيشة مريحة، لذا فقد كان لا يبخل في الانفاق على شراء الكتب، من ذلك أنه سجل على مخطوط اشتراه من استانبول قيمته[4]، وتبلغ160 قرشاً روميا، وهي قيمة عالية جدا قياسا إلى مستوى أسعار ذلك العصر. ولا نعلم تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً سنة 1245هـ/1829م، فإنه فرغ من تأليف بعض كتبه في هذا العام[5].

---

(1) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج5 (بغداد 1980) ص116.

(2) الآثار الخطية ج2 (بغداد 1977) ص87.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه. وعنوان المخطوط (رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق) لمحمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي.

(5) عبد الله الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد، بغداد 1974، ج5 ص297 ويختلف مفهرسو كتبه في تحديد تاريخ وفاته، فهي تارة بعد سنة 1239هـ/1823م (أسامة النقشبندي: مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، ص171) وأخرى سنة 1243 (عبد الله الجبوري: المصدر نفسه ج1 ص427)، وفي تذكرة الشعراء تأليف عبد القادر الشهراباني، بتحقيقنا، بغداد 2002، ترجمة لرجل اسمه لطف الله أفندي المكتوبي، ولد سنة 1241هـ/1797م وأخذ العلم عن داود (باشا فيما بعد) فظهر نبوغه، فلما تولى داود ولاية بغداد عينه بمنصب مكتوبجي (كاتبا للديوان) فاستمر كذلك حتى وفاته في الطاعون سنة 1241هـ/ 1825م. وفي مختصر لهذا الكتاب تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي، بغداد 1936 ص37 ترجمة للرجل نفسه، لا تخرج عما أورده صاحب الأصل، إلا أنه ذكر أنه توفي في الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1246هـ/1830م وعلى الرغم من تعاصر صاحبي الترجمتين واشتغالهما في خدمة رجل وال واحد، فإننا نستبعد كونهما رجلا واحد، وذلك لأن مؤلف تذكرة

واهتمامات الخزندار العلمية متنوعة، تشهد له بذلك مؤلفاته الباقية، فمما وصلنا من آثاره كتابه (زبدة الطب) وهو في الأمراض والعلاجات، ويقع في 210 ورقة، فرغ منه في بغداد سنة 1239هـ/1823م[1]، وكتابه (خزانات الروايات) في الفقه الحنفي، وهو في مجلدين كبيرين عدد أوراقهما 785 ورقة، فرغ من تصنيفه في شعبان 1243هـ/1827م، ويظهر منه أنه كان من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة، ويدل هذان الكتابان على طول باعه في البحث ودقته في ضبط الروايات وحسن اطلاعه عليها باللغتين العربية والتركية.

وقد تجلى اهتمامه بعلم الببليوغرافيا بتأليفه مختصراً دقيقاً لكتاب كشف الظنون للحاج خليفة، وهذا المختصر هو موضوع دراستنا هذه[2]، ومن الملاحظ أن الكتاب، كسابقيه، لم ينل اهتمام أحد من الباحثين، مع أنه خليق بالعناية نظراً لما يحتويه من فوائد جمّة.

ويفهم مما أورده في مقدمة كتابه أنه ألفه تلبية لرغبة أحد كبار رجال عصره، ولا يستبعد أنه عنى والي بغداد آنذاك داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م)، فإنه كان موظفاً عنده، قال «قد سألني بعض من لا يسعني مخالفته ولا يمكنني مدافعتي أن استخرج من كتاب كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لكاتب جلبي الرومي الإسلامبولي نبذة يسيرة فيما بكتب الفقه والنحو والصرف والتفسير والتواريخ وغيرها على ترتيب حروف الهجاء، فأجبته إلى ذلك». وليس ببعيد أن يكون قد اقتنى نسخة من الكشف في أثناء إقامته باستانبول سنة 1230هـ/1814م، لكننا لم نقف على هذه النسخة في خزائن المخطوطات في بغداد، وكان تاريخ إنجازه لهذا العمل سنة 1244هـ/1828م على ما صرح بذلك في آخر النسخة الوحيدة من الكتاب، المحفوظة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، وهي مُسَوَّدته بخطه، حيث قال «وفرغت من تسويده سنة ألف ومايتين وأربع وأربعين من الهجرة النبوية عليه أفضل الصلواة وأكمل التحية».

وعلى الرغم من تصريح المؤلف بأن عمله لم يكن يتجاوز استخراج نبذة من الأصل، أي تلخيصه، نافياً بذلك أي إضافة من نفسه، فإن مقابلتنا المختصر الذي

الشعراء نص على اسم أبي لطفي وهو أبو بكر المفتي الكركوكي، وأبو الخزندار كان مملوكاً على ما مر بنا ولا نستبعد أن يكون الرجلان قد توفيا في أثناء طاعون 1246هـ المذكور.

(1) مكتبة المتحف العراقي برقم 12385.

(2) يوجد تحت العدد 1778.

وضعه على الأصل المطبوع، أظهرت لنا جملة من اختلافات مهمة بينهما، مما يبعث على الظن أحد الاحتمالين الآتيين:

الأول: أن تكون هذه الاختلافات، ويضمنها إضافات، من عمل المُختصِر البغدادي، أصلح بها الأصل، وأضاف عليه، بما اتصل به من معلومات في هذا المجال.

الثاني: أن تكون النسخة التي اعتمدها الخزندار تختلف بعض الاختلاف عن النسخ الخطية التي اعتمدها طابعو كشف الظنون.

والاحتمال الأخير أدنى إلى الصواب، وذلك لأن مؤلف المختصر لم يُشر- مطلقا- إلى نيِّته وضع أية إضافة أو تعليق، بل أن هذه الإضافات وغيرها من تغييرات جاءت ضمن مَتن الكتاب ووفقاً لسياقه، وليس فيها ما يشعر بأنها مُدخَلة على نصه.

ومن ناحية أخرى، فإن إشارة مؤلف المختصر إلى خطته في استخراج ما كتب في الفنون المختلفة «على ترتيب حروف الهجاء» قد يفهم منها أن النسخة التي اعتمدها من كشف الظنون لم تكن كذلك، أي غير مرتبة على الحروف أصلاً، وبما أن النسخة المطبوعة مرتبة على هذا الأساس فعلا، فينبغي إذن أن تكون النسخة التي اعتمدها المؤلف البغدادي هي غير النسخ التي اعتمدها طابعو الكتاب فيما بعد[1].

وسوف نورد فيما يأتي نماذج مما تحفل به النسخة الخطية التي اعتمدها لطف الله الخزندار ببغداد، من زيادات وتعليقات وتغييرات، لا وجود لها في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب الببلوغرافي المهم.

رأس مال النديم للفاضل العريق أبي العباس أحمد بن علي بن بانه، وهو كتاب لطيف صغير الحجم كثير الفوائد، جمعت فيه أحسن الأخبار وعيون الأحاديث والأشياء المتشاكلة والمضاده والاتفاقات العجيبة والأمور الغريبة بما لا يستغني العالم المبرز عن معرفته ويتجمل به الأديب الفاضل في صناعته ويتزين بمعرفته النديم ويحاضر بذكره السمير		رأس مال النديم

(1) طبع كشف الظنون في بولاق سنة 1274هـ/1857م، ثم في لايبزك ولندن باعتناء فلوكل سنة 1300هـ/1882م وفي استانبول سنة 1313هـ/1895م وسنة 1320هـ/1902م وسنة 1360هـ/1941م، وأعيد طبعه بالأوفسيت سنة 1387هـ/1967م.

طبقات النحاة.. أول من صنف فيه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحو المتوفى سنة ست وثمانين ومايتين		المتوفى سنة 285
الكلمات الشريفة في تنزيه أبي حنيفة عن التُرَّهات السخيفة للعالم نوح بن مصطفى الحنفي، أوله: الحمد لله الذي يقول الحق، ذكر فيه أنه سأل بعض إحبائه القونوي عما ذكر في وفيات الأعيان في حق مذهبه. فأجاب بأنه مكذب علي القفال نقلاً عن المغيث لإمام الحرمين فصنف في رده وبيان كذبه		لا وجود لهذه المادة
لطائف الإشارات.. للشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المتوفى سنة اثني وعشرين وتسعمائة		المتوفى سنة 923 ثلاث وعشرين وتسعمائة
المرقاة الوفية في طبقات الحنفية للشيخ مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي المتوفى سنة 817 سبع عشرة وثمانمائة		.. المتوفى سنة تسع وخمسين وثمانمائة
المستنير في القراءات العشر البواهير لأبي طاهر ابن سوار أحمد بن علي البغدادي المتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة		المتوفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة
المصباح في النحو. وتوفي [علاء الدين علي بن محمد البسطامي] سنة إحدى وسبعين وثمانمائة		وتوفي سنة 875 خمس وسبعين وثمانمائة
معاني القرآن.. وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة 328 ثمان وعشرين وثلثمائة		المتوفى سنة 338 ثمان وثلاثين وثلثمائة
مغني اللبيب.. ومن شروحه شرح العالم أحمد بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة		وشرحه أحمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الملا المتوفى في حدود سنة 99 تسعين وتسعمائة 1003
منطق الطير.. شرحه مولانا شمعي ألفه لاستدعاء		شرحه المولى شمعي ألفه

حسن آغا المعربطويقي آغا في سنة خمس وألف، أوله: غرامي صحيح والرجاء فيه معضل		لاستدعاء حسن آغا المعروف بطرنقجي آغا المتوفى سنة 1005 خمس وألف وكأن متقاعداً عن المدرسة بثمانين
نزهة الأنام في تاريخ الإسلام المرتب على السنين لإبراهيم بن محمد بن دقماق توفي سنة تسعين وسبعمائة		نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (وهو مرتب على السنين) لابن دقماق (لإبراهيم بن محمد بن دقماق المتوفى سنة 809 تسع وثمانمائة
مرآة العجائب في الكيمياء، مختصر لابن سينا أوله: الحمد لله رب العالمين		مرآة العجائب

ولا يخل المختصر من تعليقات مفيدة استدرك فيها مؤلفه على أصل الكتاب في بعض مواضعه، كقوله عند الكلام على مادة (الأشباه والنظائر) في الفروع للفقيه زين الدين ابن نجيم «قلت: ومن حواشيها المُدوَّنة عليها الحاشية المتأخرة عن حواشيها، وهي أحسنها وأنفعها وأفيدها جداً للسيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، أولها: لك الحمد يا من تنزهت ذاته عن الأشباه والنظائر».

وقوله عند الكلام على شروح القدوري «قلت: وشرح مختصر القدوري الشيخ قاسم بن قطلوبغا. وذكر فيه من أين أخذوا علمهم كذا في تاج التراجم للشيخ المذكور».

وقوله عند الكلام على المقدمة الأزهرية في علم العربية «قلت: وشرحه أيضاً الشيخ العلامة علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي شرحاً وسطاً ممزوجاً في مجلد سماه فرايد العقود العلوية لحل ألفاظ شرح الأزهرية، أوله: حمداً لمن رفع من انتصب لخدمة الفنون العربية»».

وهكذا فإن الكتاب، بعد ما سقناه من نماذج، جدير باهتمام المشتغلين في مجالات الببليوغرافيا، فهو من ناحية يقدم إضافات جديدة على كتاب موسوعي قديم، ومن ناحية أخرى يبرز جهد مؤلفه، ذلك الباحث البغدادي غير المعروف الذي غمطه عصره حقه من المعرفة والاشتهار.

أول محاولة لفهرسة المخطوطات في العراق

إن أول محاولة معروفة لفهرَسَة خزائن الكتب ببغداد، بل في العراق بعامة، هي ما قام به عالم بغداد وأديبها السيد نعمان خير الدين ابن المفسر الشهير العلامة محمود أبي الثناء الآلوسي البغدادي (ولد سنة 1252هـ وتوفي سنة 1217هـ/ 1846-1899م)[1] بعنوان (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة)، وذلك بعد عودته من الحج سنة 1295هـ/1878م، على ما أشار هو في تعليقاته على بعض مخطوطات خزانته، وخطه نستعليق جميل، وأتم فهرسة سائر الخزائن الأخرى العلامة السيد محمود شكري بن عبدالله الآلوسي، وهو ابن أخي المؤلف (ولد سنة 1273هـ وتوفي سنة 1343هـ/ 1856- 1924م)، وخطه معتاد، لكنه واضح.

يقع الفهرس في 147 ورقة، في كل منها 20 أو 21 سطراً، وبعمودين أحياناً. وكان السيد محمود شكري قد أهدى هذا الفهرس إلى صديقه الدمشقي جميل العظم (المتوفى سنة 1452هـ/1933م)[2] سنة 1330هـ/1912م، ومن الأخير انتقل إلى

(1) ولد ببغداد، وأخذ العلم على والده المفسر الشهير أبي الثناء شهاب الدين محمود الالوسي، وتأثر به، تولى في شبابه القضاء في بلاده، ثم قصد مكة للحج، ماراً بالقاهرة حيث طبع تفسير والده (روح المعاني) وقام برحلة أخرى إلى اسلامبول، اجتمع في أثنائها بعلماء الشام والأناضول، وعين بأمر السلطان عبدالحميد الثاني رئيساً لمدرسي بغداد، واعيد إليه منصب التدريس في المدرسة المرجانية، بعد أن كان قد أخذ منه، فوفر له منصبه هذا فرصة للبحث والتدريس والقراءة، وألف كتباً عديدة في العقائد والردود والمواعظ واللغة والأدب والسير. تنظر ترجمته في كتابه: حديقة الورود في أخبار أبي الثناء شهاب الدين محمود، مخطوط ج2 ص33، ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر، بغداد 1930، ص110- 116، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد 1997، وإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج2 ص499، ومحمد بهجة الأثري: أعلام العراق ص57- 67، ومجلة لغة العرب ج4 ص343-346، 399- 402، وإبراهيم الدروبي: البغداديون، أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958 ص263 وغير ذلك.

(2) هو جميل بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبدالله باشا العظم، أديب دمشقي، عني بالصحافة والتاريخ، ولد في استانبول ونشأ في دمشق وتعلم في مدارسها، وتعلم التركية والفارسية، وكتب الخط الجميل على اختلاف أنواعه، وولي أعمالاً حكومية في المعارف بدمشق وبيروت، واختير عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وأصدر مجلة (البصائر) الشهرية، واقتنى كثيراً من نفائس المخطوطات، وله مؤلفات مهمة من أبرزها (ذيل على كشف الظنون) في نحو ألف صفحة و(عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائة فأكثر) خير الدين الزركلي: الأعلام.

العلامة القاهري أحمد تيمور باشا (المتوفى سنة 1348هـ/1930م)، ثم آل مع سائر خزانة تيمور إلى دار الكتب المصرية في القاهرة.

يتناول الفهرس مكنونات عشر خزانات حافلة بالكتب، كانت ملحقة ببعض مساجد بغداد ومدارسها العلمية، هي:

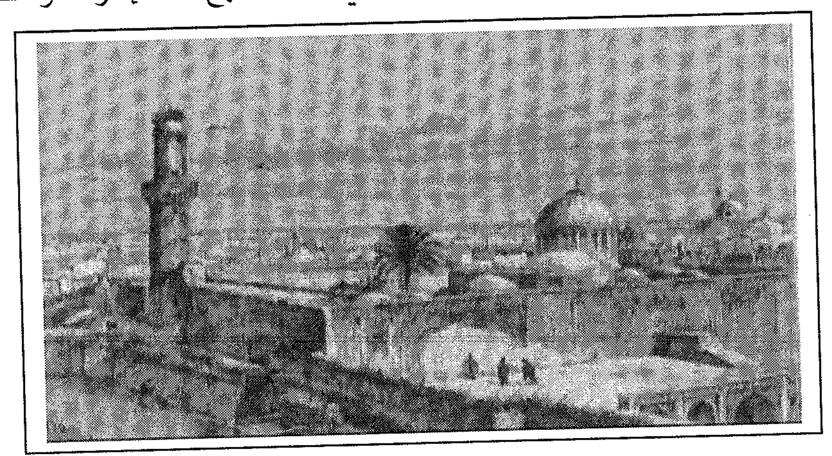
1- خزانة كتب المدرسة المرجانية. أفخم مدارس بغداد وأكبرها بعد المدرسة المستنصرية، أسسها الخواجة أمين الدين بن عبدالرحمن مولى الشيخ أويس خان الأيلكاني الجلائري (حاكم بغداد من سنة 758 إلى سنة 765هـ ومن 769- 774هـ) وذلك في أول سنوات حكمه، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، كما أثبت ذلك في الكتابة المحررة على باب الخان الذي أنشأه بقربها، ومنها 24 دكاناً في سوق الريحانيين (سوق الشورجة الحالي) و12 عصارة في السوق الجديد المجاور للمدرسة (وهو سوق الصَّرافين الذي سُمِّي بشارع السَّمَوءل) و19 دكاناً أخرى (كانت ملاصقة للمدرسة) وثلاثة خانات ونصف (أحدها خان مرجان) و«مواضع بالبدرية، وبالأمشاطيين ثلاثة دكاكين، وبالمشرعة (مشرعة الإبريين في العصر العباسي وشريعة المصبغة فيما بعد) أربعة عشر دكاناً وخاناً كبيراً من إنشاء الواقف، وبالحلبة (ساحة النهضة اليوم) 12 دكاناً وعصارة وخاناً فيه 52 حجرة، وداراً ومداراً في محلة القصر بالجانب الغربي (محلة قصر عيسى التي سُميت خضر إلياس) وخان الزاوية، ومداراً في الخليلات، وبالحريم دكان الكاغد، وبساتين كثيرة بنهر عيسى ناحية عقرقوف، والقاطون، وبعقوبا، وبوهريز (بهرز) وخانقين، وبسماية، ودولتآباد (دلتاوه المسماةالخالص) وبندنيجين (مندلي)، ومنطقة بين جبل حمرين وخانقين وغيرها». وفي هذه الوقفية أنه شرط المدرسة لتدريس فقه الإمامين أبي حنيفة النعمان ومحمد بن إدريس الشافعي[1].

وقد تعاقب على التدريس فيها كبار علماء بغداد، منهم عبدالله السويدي (توفي سنة 1174هـ/1760م)، وعبدالرحمن الراوي (توفي سنة 1220هـ/1805م)، والمفسر أبو الثناء محمود الآلوسي (توفي سنة 1270هـ/1854م) والسيد نعمان خير الدين الآلوسي، مؤلف هذا الفهرس، والسيد محمود شكري الآلوسي، وإبراهيم بن ثابت بن

---

(1) ينظر نص الوقفية في محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، ص67 والسيد محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، ص207- 215 وأحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد 1958، ص220

نعمان الألوسي وغيرهم، وكلهم كان مؤلفاً مشهوداً له بالعلم الوافر، ممن ذاع صيته في العالم الإسلامي. وفي سنة 1200هـ/1785م عمَّر والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1207م/1779- 1802م) بعض ما سقط من جدرانها ووسَّع مصلاها، فعُرفت منذ ذلك الحين بجامع مرجان[1]. وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي الجامع بقوله «هو جامع مُحكم البناء، فسيح الأرجاء، راسخ الأساس متينه، مشيد الفناء قويمه، له باب تناطح السماء في العلو والإرتفاع، مزينة أركانها وجدرانها بالنقوش المحفورة في أحجارها ..الخ»[2]. ووصف عباس بن رجب البغدادي المدرسة بأنها «كثيرة الأوقاف، وافرة الواردات، متينة البناء، رَحبة الأرجاء، رُوعي في طرزها المدرسة المستنصرية»[3]. على أن أكثر مباني المدرسة قد أزيل في أثناء بعض توسيعات شارع الرشيد، ولم يبق منها إلا بابها الأثري ومئذنتها اللذان يَرقيان إلى عهد تأسيسها، وبعد أن كان الجامع يُدار من قبل مفتي بغداد أصبح تحت إدارة الأوقاف.



المدرسة المرجانية شيدت سنة 758

أما خزانة كتب المدرسة، فتتألف – بحسب الفهرس الذي أعده السيد نعمان الآلوسي من ثلاث مجموعات، هي:

أ- مجموعة السيد نعمان خير الدين الآلوسي. جمعها هو ووالده الإمام أبي الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي، المتوفى سنة 1270هـ، وقد عرفت بالخزانة

(1) عبدالحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا،ص318

(2) خير الزاد ص306

(3) مساجد بغداد في كتابات الأجداد، بتحقيقنا،، ص34

النعمانية نسبة إليه، وبلغ عددها كما في فهرس خاص أعده لها 1400 كتاباً مطبوعاً ومخطوطاً[1]، بينما بلغ عدد كتبها، كما في هذا الفهرس، موضوع بحثنا، 1337 كتاباً معظمها من المخطوطات، والباقي من المطبوعات النادرة. وكان عبدالحميد عبادة قد أشار إلى هذه المجموعة بقوله أن الآلوسي «وقف جميع كتبه على هذه المدرسة، وهي تنوف على ألفي كتاب متنوعة في سائر العلوم، وأغلبها خط، وأوقف المومى إليه المرحوم على لوازمها أربعة دكاكين واقعات قرب المدرسة متصلة بظهر خان الأورتمة (خان مرجان)، وداراً في محلة سوق الجديد في الجانب الغربي، وأرضاً واقعة في هور عقرقوف تسمى الزبيدية. وشَرَط أن يُصرف من غلّتها على التعمير، وما يبقى من الفضلة تعطى ليرة واحدة إلى محافظ هذه المكتبة، وأن يكون المحافظ من ذريته، وإذا انقرضوا فإلى متولي الأوقاف من قبل الدولة العثمانية[2].



نفض جانب من المدرسة المرجانية سنة 1946

وزاد عدد الكتب بما أضافه إليها بعض العلماء التالين، ففي سنة 1346هـ/ 1927م وقف رشيد حلمي بن معروف آل الأنكرلي داراً في محلة جامع عطا، من محلات الكرخ، على ذريته، «ثم على لوازم مكتبة جامع مرجان في بغداد، وتشمل تجليد الكتب الموجودة فيها، وشراء كتب جديدة، وضمها إليها لإستفادة المطالعين،

---

(1) ويقع هذا الفهرس في 33 ورقة، عبد الله الجبوري: مكتبة الأوقاف تاريخها ونوادر مخطوطاتها، بغداد 1969، ص53 وقد أشار إلى تسرب بعض المخطوطات النادرة من المكتبة قبل نقلها إلى مكتبة الأوقاف.

(2) عبادة ص371 وكتابنا : معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2 بغداد 2016 ص590

على أن يعمل بموجب شروط وقف المكتبة..» وذلك في وقفيته المؤرخة في 7 ربيع الآخر من تلك السنة[1]. ووصف السيد عباس بن رجب هذه المكتبة بقوله «وفيها مكتبة جليلة»[2].

ب- مجموعة ثانية تبلغ عدتها 892 كتاباً.

ج- مجموعة ثالثة تبلغ عدتها 842 كتاباً.

2- خزانة كتب جامع الصاغة. يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة الشرقي، إلى الجنوب من المدرسة المستنصرية، وكان قديماً يعرف بمسجد الحظائر، نسبة إلى حظائر الشوك التي أنشأته في أرضها السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بالله، وأم الخليفة الناصر لدين الله، المتوفاة سنة 599هـ/1202[3].

وفي وقفية الحاج أبو بكر الباجه جي أنه ألحق بالجامع المذكور مدرسة احتوت على خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد.

ثم عُنيت أربع سيدات بغداديات محسنات بالوقف عليه، فمما وقفنه، منشآت عديدة، منها خان متصل بالجامع (وهو الخان المعروف بخان الباجه جي)، ودكاكين متفرقة في بغداد وكربلاء والبصرة، وذلك في وقفيتهن المؤرخة في سنة 1212هـ[4].

وفي سنة 1261هـ/1845م وقف عليه الحاج عبدالرحمن الباجه جي وعائشة خان ومريم بنت الحاج محمد جلبي الباجه جي أوقافاً أخرى في البصرة وكربلاء، وتولى أبناء هذه الأسرة التولية عليه والإشراف على شؤونه[5]. ومن أشهر مدرسي هذه المدرسة العلامة الشيخ إسماعيل أفندي الموصلي المتوفى سنة 1312هـ/1894م[6].

وقد وصفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله «هو جامع وسط في السعة والكبر، له مصلى كبير مطل على نهر دجلة.. وعلى يمين هذا المصلى مصلى صغير بباب

---

(1) معالم بغداد ص 227

(2) مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص34

(3) تنظر الدراسة المعنونة (من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد) في هذا الكتاب

(4) معالم بغداد ص 195

(5) عبادة ص243

(6) عبادة ص344

منفرد، وفيه باب يؤدي إلى المصلى الكبير، وهو معد للشافعية، وفيه مئذنة واقعة غربي المصلى، وعلى يسار الداخل إلى صحن الجامع غرف تحتية إحداها مدرسة، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم»[1].

ويبلغ عدد الكتب المفهرسة في خزانة هذا الجامع 60 كتاباً، سوى الكتب المطبوعة. والظاهر أن هذه الكتب لم تكن إلا جزءاً يسيراً مما تضمه خزانة الجامع في العهود الماضية، فقد ذكر السيد محمود شكري الآلوسي في كتابه عن مساجد بغداد «أن فيه خزانة كتب تشمل على مخطوطات قديمة العهد، وكثير منها تلف بتداول الأيدي عليها»[2]، ومثل هذا ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي[3]. وقال إبراهيم الدروبي «وفي هذه المدرسة كانت مكتبة قيمة تضم نوادر المخطوطات، ومن بقاياها مخطوط لدى المتولي جواد جلبي كتاب شرح صحيح مسلم للنووي بخط بديع مُحلّى بالذهب، مخطوط سنة 900هـ وبظهره وقفية المخطوط»[4].

3- خزانة كتب المدرسة الطَبَقجَلية. كانت هذه المدرسة تقع في محلة العاقولية (درب الخبازين في العصر العباسي)، وهي في الأصل دار للعلامة محمد بن السيد أحمد أفندي بن إسماعيل بن خليل بن إسماعيل الحموي الحديثي الأصل، ثم البغدادي، الطبقجلي (المتوفى سنة 1265هـ/1848م).[5] تولى التدريس فيها وتتلمذ على يديه عدة من علماء بغداد، ثم أنه وقف وداره وجعلها مدرسة، ووقف كتبه عليها[6]. ووصف السيد محمد سعيد الراوي تلك الكتب بأنها «عديمة المثال، الحاوية لما لم تحوِها مكتبة أحد من الأمثال»[7]، وتابع مصيرها فقال «أما كتبه فقد لَعِبت فيها

---

(1) خير الزاد ص100

(2) مساجد بغداد وآثارها ص24

(3) خير الزاد ص98

(4) البغداديون أخبارهم ومجالسهم ص321

(5) عرف أبوه بالطبقجه لي لشكل عمامته، فطبق عربية معروفة، وجه أداة تصغير بالتركية، وإليها نسب

(6) عبادة ص233 وينظر في ترجمته محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص106- 109 وإبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ ص149 وإبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص310 ومساجد بغداد وآثارها ص103.

(7) خير الزاد ص243

الأيدي حتى أصبحت المدرسة منها بلاقع». وقال إبراهيم الدروبي «فجعلها مدرسة عظيمة، وألحق بها مكتبة من نوادر المخطوطات»[1].

بلغ عدد ما وقفه من الكتب (285) كتاباً بحسب وقفيته التي سجلت في 16 رمضان 1269هـ/1852م، ولكن عدد الكتب التي ذكرها الفهرس موضوع البحث لم يزد على (242) كتاباً، وحينما قابلنا محتويات المكتبة على مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، تبين أنه لم يكن قد بقي من الكتب غير 77 كتاباً فقط، ولا تخلو من نوادر. ولا أثر للمدرسة الآن، ولكن شيدت من أوقافها عمارة من طابقين باسم (عمارة وقف الطبقجلي)، وهي مشرفة على شارع الرشيد.

4- خزانة جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. ضمت مدرسة هذا الجامع، منذ تأسيسها سنة 459هـ/1067م خزانة حافلة بالكتب، وردت أخبارها في تراجم العلماء الذين وقفوا عليها، أو أفادوا منها[2]. وقد تشعث الجامع ومدرسته في العهود التالية، وتعرض في أوائل القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) إلى تخريب شامل، فتولى السلطان العثماني مراد الرابع حين فتح بغداد بناءه وزاد في أوقافه، ثم تولى الولاة العثمانيون المتعاقبون عمارة الجامع بعد ذلك، كلما أحتيج إلى عناية وتعمير، وذلك في السنوات 1085هـ/1614م، و1092هـ/1681م، و1171هـ/1757م. وفي سنة 1217هـ/1802م قام والي بغداد سليمان باشا الكبير بترميمه وأكساء رأس منارته بالذهب. وفي سنة 1288هـ/1870م أمر السلطان عبد العزيز بتوسيع فنائه، وتجديد ما تهدم منه، وأضاف إليه رواقاً، وعمر أبوابه. وتولى التدريس في مدرسته كبار علماء بغداد[3]، وقد ذكر عبادة عن أوقافه أنها «كثيرة ولا حاجة إلى ذكرها لأنها معلومة مضبوطة»[4].

---

(1) البغداديون ص310

(2) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص42

(3) ترجم لهم المرحوم الحاج وليد الأعظمي في كتابه: مدرسة الإمام أبي حنيفة. بغداد 1985، ومصطفى جواد: أول مدرسة في العراق، مدرسة الإمام أبي حنيفة، مجلة المعلم الجديد، العدد 6، بغداد 1940، ص33044.

(4) عبادة ص46 وينظر مساجد بغداد وآثارها ص20- 25 وهاشم الأعظمي: جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية ج1 بغداد 1964،

بلغ عدد كتب خزانته التي ورد ذكرها في هذا الفهرس 406 كتاباً، ولا يشمل هذا العدد جميع ما كانت تحويه الخزانة، لأن المؤلف أشار إلى أنه لم يذكر غير نبذة من كتبها، مما دلَّ على وفرة الكتب فيها ونفاسة محتوياتها. هذا بينما لم بتجاوز عدد ما نقل من هذه المخطوطات إلى مكتبة الأوقاف 140 مخطوطاً فحسب.

5- خزانة كتب المدرسة العلية. أسس هذه المدرسة والي بغداد علي باشا الشهيد سنة 1176هـ/1762م، وفيها دفن، وكنا قد توصلنا بأدلة آثارية، ومعمارية، وخططية، إلى أن هذه المدرسة، ورثت من حيث الوظيفة والتخطيط مدرسة سابقة على أرضها، أنشأها الأمير علاء الدين علي بن عبد المؤمن المعروف بالسكرجي، أخي الأمير شمس الدين السكرجي، والي العراق من سنة 693 إلى 694هـ/1293- 1294م، ووصفت بأنها «جميلة البناء، شاهقة الأرجاء»، ونسبت إلى اسم مؤسسها فعرفت بالمدرسة العلائية. وكان الشروع في بنائها سنة 693هـ[1]. ونظرا لإنشاء سور بغداد المطل على دجلة في العهود التالية، فقد أزيل الجناح الشاطئي منها، كما أزيلت معه المنشآت الشاطئية في بغداد، واستعمل آجرها في بناء سور بغداد المذكور، فالأجنحة الثلاثة المتبقية هي التي حولها علي باشا إلى المدرسة العلية بعد تغييرات أحدثها في عمارتها[2]. ووقف عليها داود باشا (1232- 1247هـ/1816- 1834م) بعض العقارات في الحلة. وممن تولى التدريس فيها العلامة مفتي بغداد محمد أمين بن محمد صالح الطبقجلي (توفي سنة 1299هـ/1881م)، والعلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي (توفي سنة 1308هـ/1890م)، وكل منهم كان مفتياً شهيراً، ومدرساً قديراً. وقد استمر التدريس في المدرسة العلية على النحو الذي أراده لها مؤسسها مدة مائة وأحد عشر عاماً تقريباً (109 عاماً شمسيا)، خرجت فيها أجيالاً من العلماء الذين تولوا مناصب علمية وشرعية مختلفة[3].

---

(1) عبد الرزاق ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، تحقيق مصطفى جواد، دمشق 1962، مجلد 4 ق1 ص1051.

(2) أفردنا كتاباً عن هذه المدرسة بعنوان (المدرسة العلية في بغداد) طبع ببغداد سنة 1988،

(3) في سنة 1287هـ/ 1871م اختار والي بغداد مدحت باشا أن يحول مبنة المدرسة ووظيفتها لتتحول إلى مدرسة للصنائع عي الأولى من نوعها في العراق آنذاك، وفي أوائل عهد الحكومة العراقية تحولت المدرسة إلى قصر أقام فيه الملك فيصل الأول فالملك غازي، واتخذت سنة 1938 لتكون مقراً للمجلس النيابي، حتى سقوط النظام الملكي، فمحكمة عسكرية خاصة،

بلغ عدد (النبذة) المفهرسة من كتب خزانة المدرسة العلية (69) كتاباً، ويظهر أن هذه النبذة لم تحط إلا بجزء يسير مما احتوته الخزانة المذكورة، وآخر من أشار إليها هو السيد محمود شكري الآلوسي، إذ قال واصفاً ما قام به مدحت باشا عند تحويله المدرسة إلى أخرى للصنائع، «ونقل ما كان فيها من الكتب إلى محل آخر»[1]، ولكنه سكت عن تسمية هذا المحل، ومن ثم تبدد آخر أمل بمعرفة مصير الكتب وما آلت إليه. وقد ذكر الشيخ محمد صالح السهروردي أن مدحت باشا فرّق مكتبة المدرسة المذكورة على مكتبة مدرسة سليمان باشا (يريد المدرسة السليمانية القريبة منها) وغيرها[2]، ولكننا لم نعثر، في أثناء اشتغالنا بفهرسة المخطوطات وتتبع فهارس خزائن بغداد الخطية، على مخطوط واحد يحمل اسم المدرسة العلية، بل أننا تصفحنا معظم مخطوطات المدرسة السليمانية التي انتقلت إلى مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد علنا نجد بينها ما يحمل اسمها، فلم نعثر على بغيتنا، فترجح عندنا أن أياً من محتويات خزانة العلية لم يصل إلى زماننا هذا، وأنها فقدت في زمان مضى[3].

6- خزانة كتب المدرسة القبلانية الملحقة بجامع القبلانية. كان هذا الجامع يقع في سوق الهرج، مقابل مدخل المدرسة المستنصرية. أسسه والي بغداد قبلان مصطفى باشا سنة 1088هـ،1687م في أرض كان يشغلها إيوان الطب التابع للمستنصرية[4]. وقد تحدثنا عن هذا الجامع ومدرسته في دراسة مستقلة في هذا الكتاب .

7- خزانة كتب جامع الوزير. يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة الشرقي، يحده شمالا مبنى المحاكم سابقاً، وشرقاً سوق السراجين المحاذي لسوق السراي، شغلت أرضه في العصر العباسي المدرسة التتشية التي أنشأها الأمير خمارتكين بن عبدالله من مماليك السلطان تتش السلجوقي في بغداد سنة 500هـ/ 1206م، كما أنشأ

ثم متحفاً عسكرياً سنة 1967، وأعيد تجديده سنة 1980 واتخذ قصراً كبيرا للثقافة والفنون، ثم أصبح مقراً لمؤسسة بيت الحكمة وما زال.

(1) مساجد بغداد وآثارها ص85

(2) جريدة العراق 5 تموز 1930

(3) المدرسة العلية ص50

(4) ذهبنا إلى هذا الرأي في بحثنا: جامع القبلانية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 38- 39، السنة 1971.

السوق المجاور والذي سمي بالعقار التتشي نسبة إليه[1]. وينسب جامع الوزير إلى مؤسسه الوزير حسين باشا بن الوزير محمد باشا صوقللي، أنشأه سنة 1008هـ/1599م، ووصفه عبادة بأنه «جامع كبير ذو فناء واسع، ومصلى شامخ البناء، معقود بالحجارة والجص، متصلة عقادته على جداريه القبلي والخلفي، لا يستند وسطها على بناء[2]. ومثله ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي إذ أشار إلى أنه كان في الأصل ذا قبة واحدة كبيرة، قدر قبة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني». وذكر الرحالة أوليا جلبي الذي زار بغداد في أواسط القرن الحادي عشر للهجرة أن له قبة ومنارتين لا واحدة[3]، إلا أن إحدى المنارتين سقطت في وقت تال. وقد أزيل هذا الجامع بسبب إنشاء مقتربات جسر المأمون (وهو جسر الشهداء)، وبني على قسم من أرضه جامع حديث، ولم يتبق من بنائه القديم غير بابه الأثري وعليه تاريخ تأسيسه واسم مؤسسه. وفي الجامع مدرسة أسسها المشير أحمد توفيق باشا سنة 1277هـ/ 1860م وعين له العلامة طه السنوي مدرساً، ووصفت بأنها «مدرسة معتبرة»[4].

ويظهر أن هذه المدرسة ضمت خزانة للكتب فقد نوه مؤلف الفهرس بعنوانات (126) كتاباً منها، ولكننا لا نعلم ما آلت إليه، كما لم يصل منها شيء إلى مكتبة الأوقاف.

8- خزانة كتب المدرسة المرادية. يقع جامع المرادية، أو جامع مراد باشا، في محلة الميدان قبالة قلعة بغداد الداخلية (إيج قلعة) وهي التي شغلت أرضها في عهد الدولة العراقية وزارة الدفاع. أسسه والي بغداد مراد باشا سنة 978هـ/1570م، وشيد فيه مئذنة مكسوة البدن- على نحو فريد- بقطع الآجر المزجج بالالوان، وقد أزيلت هذه الكسوة الجميلة في أواخر ثمانينات القرن الماضي، وأبدلت بزينة أخرى بالآجر وبعض قطع الآجر المزجج. ووقف والي بغداد أحمد باشا البوشناق خاناً على أرض هي من موقوفات مراد باشا، ومنشآت أخرى على الجامع المذكور بموجب وقفيته المؤرخة في سنة 1099هـ/1687م[5].

---

(1) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص48- 54

(2) عبادة ص368

(3) أوليا جلبي سياحتنامه سي ج4 ص419

(4) مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص45

(5) عبادة ص121- 126 وخير الزاد ص45- 52 ومعالم بغداد ص148.

وكانت في مدرسة الجامع خزانة للكتب أحصى منها صاحب الفهرس (185) كتاباً، ولا نعلم ما آل إليه مصيرها، ولم يصل منها شيء إلى مكتبة الأوقاف في بغداد .

9- خزانة كتب المدرسة العُمَرية. أنشأ هذه المدرسة والي بغداد عمر باشا سنة 1090هـ/1679م، وكانت تقع على شاطئ دجلة الغربي، بلصق جامع قمرية المرتقي بناؤه إلى سنة 626هـ[1]. وأول من تولى التدريس فيها الملا نوح الحديثي، وتخرج فيها عدد من العلماء الكبار، منهم عبدالله السويدي، وأبو الثناء محمود الآلوسي. ووصفها الآلوسي بقوله أنها «مدرسة لطيفة الوضع على شاطئ دجلة، ومتصلة بجامع القمرية، وكانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء، ومثابة الأعلام»[2]. ووصفت خزانة كتبها بأنها «خزانة كتب يعجز عن وصفها اللسان»[3] . ثم أن إهمالاً أصاب المدرسة، فأعاد تجديدها الحاج عبدالقادر آغا آمر البحرية سنة 1320هـ/1901م، وأنشأ في مدخلها عقداً كبيراً من الآجر والجص، واتخذ فوقه دائرة رسمية له، ثم استعادتها الأوقاف مجدداً، واتخذت من مبناها سنة 1930- 1931 مدرسة إبتدائية، وانتهى بها الحال أخيراً إلى أن تلحق أرضها بإعدادية الكرخ للبنين[4]. وكان الأب أنستاس ماري الكرملي قد لاحظ ما آل إليه مصير كتب هذه المدرسة، فظن أنها مدرسة جامع قمرية لقربها منه، فقال «مكتبة جامع القمرية، أغلب كتبها سرقت، وما تبقى منها لا يؤبه له»[5].

وأحصى صاحب الفهرس من كتب هذه الخزانة (52) كتاباً. ولا يعلم مصير أي من كتبها .

---

(1) عبادة ص484 ومساجد بغداد ص114 وبحثنا: مسجد قمرية في العهود العباسية، مجلة التربية الإسلامية، العدد3، السنة 8، شباط 1966 وكاظم الجنابي: مسجد قمرية تخطيطه وعمرانه، مجلة سومر، العدد 1 و2، المجلد 38 السنة 1972 وأنور الناصري: سوق الجديد ج1 ق2 ص206- 238،

(2) مساجد بغداد ص34

(3) البغداديون ص317

(4) عبادة ص487 ومرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا ص282 وخير الزاد ص487 والبغداديون ص392، وأنور الناصري: سوق الجديد ج1 ق3 ص175- 186.

(5) كتب ذلك في تقرير عن مكتبات بغداد نشره جرجي زيدان في كتابه: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت 1967، ص492.

10- خزانة كتب جامع الفضل. وموقع هذا الجامع في المحلة المنسوبة إليه من شرقي بغداد، وهي قسم من مقبرة باب أبرز في العصر العباسي، وكان أولاً مسجداً صغيراً بالقرب من قبر من يدعى الإمام محمد الفضل، فنقضه والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير سنة 1210هـ/1795م، ووسعه بشراء بعض الدور المجاورة له، وضم أرضها اليه، حتى أنجز سنة 1219هـ/1804م، وقد ألحق به مدرسة، ومن أشهر من تولى التدريس فيها الشيخ رسول بن أحمد الشوكي، والشيخ سعدي بن أمين الموصلي، وابنه داود السعدي، والشيخ سعيد بن عبدالقادر، والعلامة عبدالوهاب النائب، وسماه عبدالحميد عبادة بأزهر بغداد، تشبيهاً له بالجامع الأزهر في مصر، «لما اجتمع فيه كثير من الطلاب لتحصيل العلوم مما لا تجده في سائر المدارس والجوامع، ترى اليوم في هذا الجامع ست عشر حجرة، فإنها كانت مملوءة بالطلبة المحصلين المجدين.. وقد تخرج من هذه المدرسة الكثيرون من طلاب العلم في بغداد ما لا يحصى عددهم، فكنت ترى فيهم الحافظ والمكرر والمحرر والشارح والمحشّي والشاعر والأديب..»[1].

ومن أوقافه خمس أراضي خرنابات، وقفها عليه مصطفى جاوش بن إبراهيم سنة 1123هـ/1711م. ووقفت عطية خانم بنت درويش الحيدري أسهماً في أحد بساتين هبهب، ومثلها أسماء خانم بنت عبدالرحمن الروزبهاني، إذ وقفت بستاناً لها في هبهب أيضاً سنة 1309هـ/1891م.

ضم الجامع منذ إنشائه خزانة كتب كبيرة، فيها أنواع الكتب، وعُيِّن لها (محافظ) يتولى شؤونها[2].

ونوه مؤلف الفهرس بعنوانات (185) كتاباً في هذه الخزانة، إلا أن الكتب تبددت، «حتى لم يتبق من المكتبة ولا ورقة والله أعلم بمصيرها»[3].. وذكر الدروبي أن في هذه المدرسة مكتبة العلامة الشيخ عبدالوهاب النائب وهي تضم نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة، وتضم أيضاً مكتبة [أخيه] العلامة الشيخ سعيد افندي [النقشبندي]، وقد نظمت لهاتين المكتبتين فهرساً عاماً»[4].

---

(1) عبادة ص190- 200

(2) عبادة ث 199

(3) عبادة ص199

(4) البغداديون ص320

يبلغ عدد كتب الخزائن بأجمعها، مما شمله الفهرس (4553) كتاباً، معظمها من المخطوطات، ومنها ما هو نادر الوجود، وتتفاوت طريقة الفهرسة بين أجزاء الكتاب تفصيلا واقتضاباً، ففهرس كتب المؤلف في المدرسة المرجانية مرتب على عدة فنون على النحو الآتي:

1- الكتب الإلهية (وهي القرآن الكريم حصراً)
2- التفسير وما يتعلق به
3- القراءات
4- الحديث ونحوه
5- العقائد
6- أصول الفقه على المذاهب الأربعة
7- فقه الحنفية
8- فقه المالكية
9- فقه الحنبلية
10- فقه الشافعية
11- فقه الشيعة وغيرهم
12- المعاني والبيان والبديع
13- التصوف
14- آداب البحث
15- الوضع والإشتقاق
16- النحو والصرف
17- الأدب والعروض
18- التاريخ ونحوه
19- اللغة وما يتعلق بها
20- الفلسفة والطب والحساب والنجوم وما يتعلق بها

21- الآلات المجسمة

أما المجموعة الثانية من كتب المرجانية فتتألف من 976 كتاباً، وهي بخط السيد محمود شكري الآلوسي، وقد فرغ منها في ربيع الأول من سنة 1327هـ، كما علق في نهاية الورقة الأخيرة منها، ورتبها على الموضوعات، على النحو الآتي:

1- التفسير

2- الحديث

3- أصول الفقه

4- فقه الحنفية

5- فقه الشافعية

6- الفتاوى

7- الفرائض

8- العقائد

9- التصوف

10- النحو

11- الصرف

12- المعاني والبيان

13- اللغة

14- المنطق

15- المناظرة والوضع

16- التاريخ

17- الأدب

18- الحكمة والهيئة

19- الوضع

20- الطب

أما المجموعة الثالثة فهي غير مرتبة على الموضوعات، وقد وضعت أرقام إزاء عنوانات كتبها، إلا أن الموجود يبدأ من الرقم 33 مما يدل على سقوط ورقة من أوله. ومعلومات هذه المجموعة على جانب من الاختصار، وهي تضم عنوانات 88 كتاباً. وليس في كتب المدارس الأخرى ترتيب للكتب على الموضوعات، إلا قليلاً. وأحسن هذه الفهارس من حيث دقة الوصف ووفرة المعلومات فهرس خزانة المؤلف، وهي الأولى من خزائن المدرسة المرجانية، فقد ميَّز بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع، وذكر -غالباً- نوع الخط، وما إذا كان بخط مؤلفه، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ إن وجد، وما يتميز به المخطوط من شروح وتصحيحات وزينة، بيد أن المؤلف لم يلتزم بذكر كل هذه المعلومات عند حديثه عن خزائن المخطوطات المفهرسة الأخرى، وإنما أشار إلى بعض منها كلما وجد ضرورة - في رأيه- إلى ذلك، وذكر في أحيان نادرة عدد أوراق المخطوط أو عدة كراريسه، أما الكتب المطبوعة فقد ذكر في أغلب الأحيان مكان طبعها وتاريخه.

ومن المؤسف حقاً أن عدداً كبيراً من الكتب، لا سيما المخطوطات منها، ضاع أثره ولم يتبق منه سوى عنوانه في هذا الفهرس، وإذا ما استثنينا خزانة المدرسة المرجانية التي ضُم أغلبها إلى مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد[1]، فإن معظم محتويات الخزائن الأخرى قد تفرَّق وفُقد خبره، إلا كتباً قليلة منها وجدت طريقها إلى مكتبة الأوقاف أو بعض المكتبات الأخرى، فمن الكتب المفقودة من خزانة جامع الوزير مثلاً كتاب (نسيم الصبا) لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، وهو كتاب لم تذكره قوائم مؤلفات هذا العالم قط، ولعله (نسيم السحر)، وديوان صالح التميمي، وديوان أبي فراس الحمداني، وديوان أبي العلاء المعري، كتب عليه أنه «بخط قديم»، وديوان ملا كاظم الأزري، وديوان ابن النحاس، وديوان صادق الفحام، وديوان قاسم البكرجي، وديوان عثمان الخطيب الموصلي، وديوان البحراني، وشرح ديوان ابن أبي الحديد لإبن عصفور، وحديقة الورود في مدح أبي الثناء محمود، والكمال في شرح الشافية لإبن مؤلفه، وجدول تاريخي لمحمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري، وكشكول للعمري، وتاريخ نخبة بهجة الزمان، في تاريخ مكة، وعنوان الشرف، وهو كتاب مهم في التاريخ،

---

(1) ومع ذلك فقد ضاعت منها كتب نوادر، حصرها د. عبدالله الجبوري في كتابه : مكتبة الأوقاف ص57- 60.

لياسين بن خير الله العمري، والعقد الثمين في مسائل الدين لمحمد أمين السويدي، وحديقة الورود في مدح أبي الثناء محمود، غير ذلك.

ومن كتب جامع القبلانية شرح لديوان المتنبي، وتعليقات عليه، وديوان أبي فراس الحمداني، وديوان أبي تمام، والذب عن الشيخ خالد النقشبندي لمحمد أمين السويدي، وتاريخ العالم، وتراجم علماء العراق للرحبي، وهو نزهة المشتاق في تاريخ علماء العراق لمحمد بن عبدالغفور الرحبي، وكتب في السير والتراجم والتصوف، وغير ذلك.

ومن كتب جامع الإمام الأعظم عشرون ديوان شعر لشعراء لم تذكر أسماؤهم، والآثار الباقية للبيروني، ومجموعة نفيسة من الكتب والرسائل في علم الفلك والحساب وغير ذاك.

ومن خزانة المدرسة العلية كتاب (عمدة البيان في تصاريف الزمان) لياسين بن خيرالله الخطيب العمري، والدرة المضية في أخبار مصر والقاهرة المعزية، وزهرة البساتين فيمن دفن بمصر من المحدثين، وبهجة الزمن فيمن عمَّر مكة من آل عثمان، وديوان ابن بكتاش في مدح والي بغداد سعيد باشا، وديوان ابن الأزري، وديوان السيد عبدالله الحلي، وديوان ابن النحاس، وديوان الحويزي، وديوان علي بن حسن الأعرج، وديوان جعفر البحراني، وشرح نقاية السيوطي لمحمود البغدادي كاتب الينكجرية، وعجالة الراكب في مراجعة القاموس، وبيان فرق المعتزلة للعراقي، ونسخة من حديقة الورود في مدائح أبي الثناء محمود، ولعل من أنفس الكتب المفقودة تاريخ بغداد لابن النجار، وكانت منه نسخة في خزانة جامع الفضل، ومختصر له بخط قديم في خزانة المرجانية.

ومن كتب مدرسة جامع الفضل تراجم أدباء العراق، ولم ندر هوية مؤلفه، واختلاف المذاهب لابن هبيرة، والإعلام بفضائل الشام، وديوان أبي فراس، ومنازل الحاج، ومسالك الأبصار في محاسن الأمصار.

وغير ذلك من الكتب القيمة والنسخ المفيدة في البحث والتحقيق.

إن (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) يفيدنا في التعرف على مصادر الثقافة والمعرفة في المؤسسات العلمية ببغداد في العصر العثماني، وهو يكشف عما كانت تزخر به تلك المؤسسات من كتب ورسائل مهمة ضاع أكثرها اليوم على الرغم من

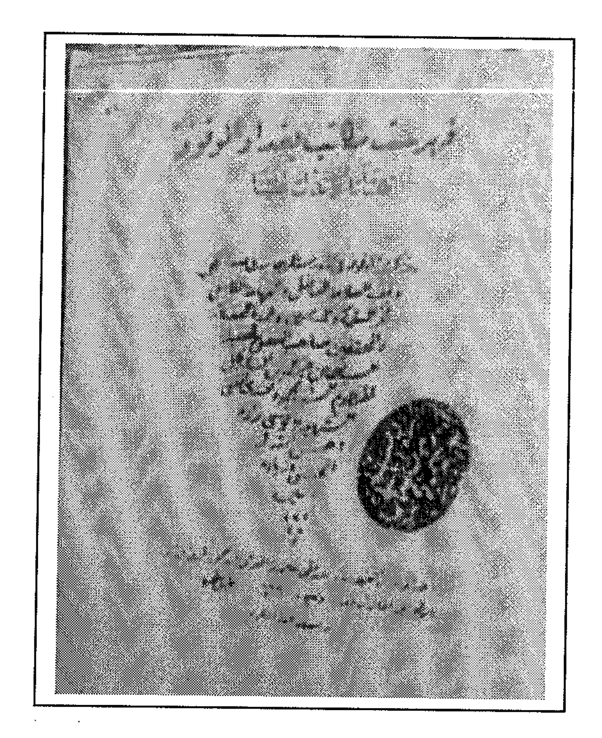
قرب عهدنا بها. ومن المؤكد أن ما ضمَّه الكتاب من فهارس ليس هو إلا لقسم قليل مما كانت تحتويه المدينة من خزائن كتب، فقد وصلت إلينا أسماء عددٍ آخر من الخزائن الضائعة لم يُحِط بها هذا الفهرس. وكان السيد محمد آل جميل قد لاحظ ظاهرة فقد الكتب، وسجل أسماء بعض خزائنها المهمة في مقالة نشرتها جريدة الزوراء في 13 شباط من سنة 1287 رومية، حيث قال «ولا زال يتصاعد هذا الحال إلى أن غَدَت تلك المدارس التي كانت في الزمن القديم مملوءة من الكتب المتنوعة خالية من مجلد واحد، وعادت فارغة مثل فؤاد أم موسى... فمن جملة ما يقتضي أن يصير معلوماً لديكم أن إحدى هذه المدارس المعتبرة في بلدتنا، لا بل الأولى منها، مشهورة بالمدرسة العلية. وإن المدرسة كانت قديماً تحت إدارة رئيس العلماء، ويوجد في كتبخانتها آلاف من الكتب الخَزنَوية القيمة، وبينما كان هذا الحال مشاهداً ينظر تحقيق كل واحد، وإذا من عشر سنين فُقدت تلك الكتب النفيسة، ولا يُعلم بيد من دخلت. ومع ذلك فأمثال مدرسة الأحمدية، والسليمانية، والقبلانية، والعادلية، والحيدرخانة، والآصفية، ومدرسة حسن باشا، من المدارس والجوامع، مع أن وظيفتها (يريد مخصصاتها المالية) تؤخذ، إلا أن الكتب القيِّمة المودعة فيها والخارجة عنها لا يوجد منها ولا كتاب واحد».

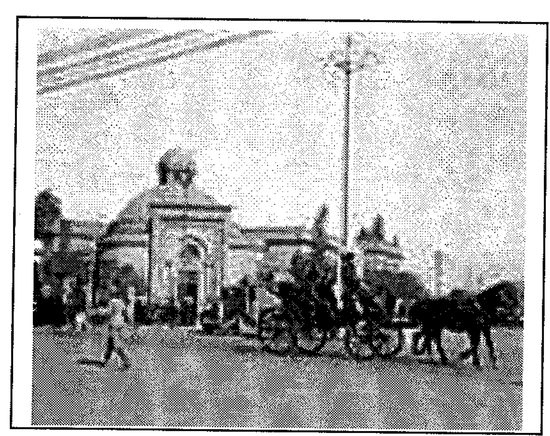
ولنا أن نلاحظ أن المؤلف إختصر عنوانات أكثر الكتب التي نوَّه بها في فهرسته، وسبب ذلك يعود إلى رغبته في الإسراع بالعمل من جهة، ولأن هذه العنوانات – من جهة أخرى- كانت معروفة تماماً لدى علماء عصره، لكثرة نُسَخها، وكونها من كتب الجادة، اي الكتب المتخذة لأغراض الدرس فحسب.

وعلى أية حال، فإن (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) هو أول محاولة جادة لحصر تراث هذه المدينة العريقة من الكتب، وهذه المحاولة، وإن أعوَزَتها بعض قواعد الفن، وتخللها شيء من التقصير، فإن لها قَصَبَ السَّبق في حقلٍ هو دون رَيب من أهم حقول الدراسات التراثية وأكثرها جِدة وحداثة[1].

---

(1) ثم أننا نشرنا هذا الفهرس، وصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني، بغداد في 2014 في 254 ص.





المكتبة العامة في بغداد (صورة قديمة)

مخطوطة (تعليم البلطجية)

البلطجية، أو البالطه جية، كلمة تركية مكونة من مقطعين، (بالطه) وهي أداة قتال أو قتل أو قطع، تُصنع من الحديد عادة، أو من الحديد والخشب، وتتكون من قطعة من الحديد، حُد جانبها العريض، فأصبحت قادرة على قطع ما تُضرب به، وذراع صلبة من حديد أو خشب، تثبت فيها القطعة المذكورة، و(جي) وهي أداة نسبة إلى الحرفة، فيكون معناها حامل البلطة والمختص باستعمالها، ويقابل هذا المصطلح في الفارسية (الطبردار) الذي شاع في جيش المماليك في مصر بالدلالة نفسها[1].

نشأت جماعة البلطجية في الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر؛ أي: منذ أول عهد الدولة، وكان يجري تجنيدهم من بين شبان (الدُوشرمة)، وهم الذين كانوا يُختارون من بين سكان البلقان للخدمة العسكرية في قوات (الينكجرية) أو الإنكشارية، وتُعد مدة خدمتهم جزءاً من حياتهم العسكرية في هذه القوات، وأدخل بعضهم، في عهد تالٍ، ضمن تشكيلات (السباهية)؛ أي: الفرسان، و(السلاحدارية) وهم المختصون بمخازن السلاح، وأوكلت إليه مهام متنوعة، فكانوا (خبراء متفجرات) و(طلائع) للجيش، ثم أوكلت إليهم مهام متنوعة، لا سيما في حراسة قصور السلاطين في أدرنه، ثم في إستانبول، كما كانت تُعهَد إليهم مهام أخرى، منها قطع الأشجار التي تعترض حملات السلاطين، وإطفاء الحرائق، وتزويد القصور بالحطب، ومنهم من كانت توكل إليهم بعض الواجبات الاحتفالية، فضلًا عن واجبات الحراسة[2].

وكانت هذه التشكيلات تُتيح فرص إرتقاء بعض البارزين فيها إلى مناصب عالية ورئيسة في الدولة، حيث عُرف أصحابها بلقب (بالطه جي)، منهم سليمان بك بالطه

---

(1) يظهر أن البلطة كانت أحد الأسلحة التي يحملها الجنود العثمانيون إلى جانب أسلحتهم الأخرى، وهي تشبه من حيث الشكل والاستعمال (الساطور) و(الطبر).

(2) New editon. PP. 1003-1004 Boween.Harold. Baltadji. Encyclopia of Islam editon. وسهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000، ص65، ومع ذاك فليس فيما كتبه يالماز اوزتونا عن تشكيلات الجيش العثماني إشارة إلى صنف بهذا الاسم، ينظر اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، إستانبول، مؤسسة فيصل، 1985.

أوغلي، الذي عاصر السلطان محمد الفاتح، وشغل منصب (قبودان)؛ أي: قائد الأسطول، وأدى دوراً مهماً في أثناء فتح القسطنطينية[1]، ومنهم محمد باشا بالطه جي، وقد تولى بغداد سنة 956هـ/ 1549م وسنة 959هـ/ 1551م[2]، ومنهم سَميّه محمد باشا بالطه جي، وهو من مشاهير القادة، تولى منصب الصدر الأعظم في سنة 1116هـ/ 1704م، وشارك قائداً في معظم الحروب المهمة في عهده[3]، وغيرهم.

وعلى الرغم مما أصاب معنى هذا المصطلح من تطور في الحقب التالية أبعده عن دلالته الأولى، فإن المخطوطة التي سنتناولها الآن بالدراسة واضحة في تعيين معناه الأصلي، وهو أنهم صنف من صنوف الهندسة العسكرية[4]، وفي عهد السلطان محمود الثاني (1808 - 1839) ألغي هذا الصنف بصفة نهائية ضمن عملية إلغاء الجيش الإنكشاري كله[5].

ويسمي المعجم العثماني[6] البالطة فأساً، وهذا معقول، على أساس أن مهمتهم في حفر الخنادق تستدعي الفأس أكثر من البلطة، التي اشتقت منها أسماء وأفعال مختلفة، فـ(البالطه صايي) هو (المعاون)، و(والبالطه لامق) تعني القطع بالفأس، كما تعني الهدم والتخريب، ويظهر أن المعنى الأخير مأخوذ مما كان يكلف به البلطه جية أو البالطه جية من هدم جدران القلاع وتخريبها، أما (البالطه لق) فهي الغابة التي يحتطب منها، ومن معاني القوة والبأس التي تجمع بين هذه الألفاظ، اشتقت كلمة (البالطه آصمق) التي تعني التسلط.

---

(1) شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، بالتركية، إستانبول ج2 ص1208.

(2) مرتضى نظمي زاده: كُلشن خُلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف1971، ص203و204، وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج4 ص54 - 55.

(3) قاموس الأعلام ج2 ص129.

(4) من الواضح أن لا صلة مطلقًا بين البلطجية وبين ما تطور إليه معنى هذا اللفظ في العَقدين الأخيرين في مصر وبعض البلاد العربية إلى مفهوم يتصل بالإرهاب والعنف؛ حيث عرف أحدهم البلطجية في موسوعة ويكيبيديا الحرة على النحو الآتي: «هي نوع من النشاط الاجرامي ، يقوم من يمارسه بفرض السيطرة على فرد أو مجموعة، وإرهابهم وتخويفهم بالقوة عن طريق الاعتداء عليهم أو على آخرين، والتنكيل بهم، وأحيانًا قتلهم لغرض السرقة أو قمع الرأي».

(5) Boween Op.Cit P.1004

(6) محمد علي الأنسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت 1320، ص105 - 106.



جندي عثماني مدجج بالسلاح

وقد ذكر الأمير عمر طوسون في كتابه عن الجيش المصري في عهد محمد علي أن رجال الهندسة يُكوِّنون أربع أورط[1]، وكل أورطة منها ثمانية بلوكات[2]، واحد لوضع الألغام، والثاني لعمل الكباري والجسور، والستة الباقية يحملون البلط (بلطجيه)، وفضلًا عن أن هذه الأورط تقوم بإنشاء الحصون والاستحكامات والمعسكرات في أثناء الحروب، وفي حالة السلم، فإنهم كانوا يتولّون قطع الأشجار للإفادة منها فيما يحتاجه الجيش أيضًا، وربما الدولة بوجه عام، ومعنى هذا أن البلطجية كانوا يمثلون أغلبية المقاتلين في كل أورطة، وهذا يدل على أهميتهم في ذلك العصر. ونقل عن كلوت بك Antoine Barthelemy Clot في كتابه (نظرة عامة حول مصر) أن الجيش المصري كان في سنة 1831 يضم (آلاي) من (حملة البلط) يتخذ من مدينة عكا مقرًا له، ويبلغ عددهم (813) فردًا، و(أورطة) كاملة من حامليها تستقر في مدينة الإسكندرية، يبلغ عدد أفرادها (808) فردًا، بينما ينقل عن جول بلانات أن هذا الجيش كان يضم اثني عشر بلوكًا من البلطجية، وكل بلوك مع (آلاي) للمشاة، وكان البلوك يتألف عند تأسيسه من 1200، لكن عدده انخفض، فيما بعد، ليصبح 700 فردًا.

---

(1) الأورطة هي الفرقة من الجيش.

(2) البلوك هو الفوج.



كلوت بك

وهذه المخطوطة، التي بين أيدينا، المعنونة (تعليم البلطجية) هي من نوع الكراريس العسكرية التي يصدرها أحد الصنوف في الجيش لهدف عملي محدد، هو تعليم الجنود في الصنف المذكور كيفية تنفيذ المهام العسكرية التي تعهد إليهم، ومن ثم يجب ألا نتوقع أن تحمل المخطوطة اسم مؤلفها؛ لأن من يتحمل مسؤولية تأليفها أو ترجمتها هو قيادة الصنف كلهم، لا مؤلف بذاته، ومما يتصل بهذا أن أسلوب الكراسة يأتي - عادة - بسيطًا مباشرًا؛ لأن الغاية منه هي توصيل المعلومة العسكرية بأيسر سبيل، ومن المؤكد أنها كانت خاصة بالجيش المصري في عهد مؤسسه محمد علي باشا، وأنها أعدت من أجله أصلًا، فأسلوبها يشبه إلى حد كبير أسلوب الكتب العسكرية التي كانت تعد لخدمة صنوف هذا الجيش، وهي تبدأ بلفظ (تعليم) على نحو ما نجده في تلك الكتب.

والكتاب مُترجَم؛ حيث ذكر مُترجمه إسمه صراحة بعد انتهاء آخر عبارة فيه، وهو أحمد صفي الدين العلمي[1]، كما توجد عبارات وألفاظ في بعض المواضع تصحح لفظًا أو عبارة، كتبت بخط مختلف عادي، بينما شطب بالحبر على العبارات التي جرى تبديلها، مما دل على أن المترجم سلَّم نص مُسوَّدة ترجمته إلى ناسخ حسن الخط فنسخها، ثم عاد إلى هذه النسخة فقابلها على مسودته، وأثبت أحيانًا تعليقات

(1) الورقة 34 أ.

تصويبية عليها، ولم يذكر المترجم اللغة التي ترجم منها، والراجح أنه مُترجَم من الفرنسية تحديداً؛ وذلك لاستعمال مؤلف الأصل وحدات المقياس المتري دون غيره من المقاييس، وهي المتر، والسنتو (يريد السنتيمتر) بوصفهما وحدتا قياس الأطوال، ومن المعلوم مقدار تأثير التقاليد والعلوم العسكرية الفرنسية على جيش محمد علي منذ أول العهد بتأسيسه، وكون كبار قادته كانوا فرنسيين، ومن غير المستبعد أن يكون الكتاب مترجماً عن التركية، بوصفها لغة وسيطة؛ وذلك لكثرة المصطلحات والنداءات التركية فيه[1]، وثمة إشارة مهمة وردت فيه يفهم منها أن مؤلف الكتاب الأصلي كان فرنسياً عاش في أوائل القرن التاسع عشر؛ حيث جاء في المخطوطة: «وإنما ينتج من التجارب التي أجريت في آلاي مدينة منتلبيران أن الواسطة الآتية التي أجراها رئيس أورطة المهندسين سنة 1232 يمكنه العمل بموجبها مع النجاح»[2]، فالمدينة كما يظهر من اسمها فرنسية، وتاريخ الحادثة هو سنة 1816م الموافقة للتاريخ الهجري المذكور.

وتتألف المخطوطة من 54 ورقة، ذات لونٍ داكن يميل إلى الرمادي، مصري الصنع، رديء النوعية، بمقياس (3،25×5،18سم) في كل منها 21 سطراً، وهي بخط نسخ معتاد، بمداد أسود، عدا عنوانات الدروس والأرقام فهي بمداد أحمر، مجلدة بالورق المقوى الخفيف، والمغلف بورق تغليف أخضر اللون، مُموَّه باللونين الأبيض والأسود، وبكعب من جلد أحمر.

وليس للمخطوطة ورقة عنوان، ولكننا نجد في الورقة الأولى منها بسملة كتبت بخط الثلث الجميل، يليها عنوان بخط عريض واضح، هو (تعليم البطه جية)، والكلمة بالطبع

---

(1) رأى مفهرس المخطوطة أن المخطوطة مترجمة من اللغة التركية؛ وذلك «لشيوع الألفاظ التركية العثمانية الحربية فيها، فلعل مؤلفها كان أحد المهندسين العسكريين العثمانيين الذين اشتركوا في حصار الحصون في جهات أوربا الغربية (يقصد: الشرقية)، مثل بلغاريا ورومانيا والمجر ويوغسلافيا»، قاسم السامرائي: الفهرس الوصفي لبعض المخطوطات المحفوظة في مكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، 1418هـ/1997م، ص500 – 501، ونحن نعتقد أن شيوع الألفاظ التركية لا يقف دليلًا على أنه مترجَم عن هذه اللغة تحديداً؛ لأن التركية كان في الوقت نفسه لغة التعليم العسكري في مصر؛ فشيوع مصطلحاتها في كتاب يُترجَم عن الفرنسية إلى العربية كان أمراً ممكنًا دائماً، ويكشف تتبع الألفاظ والمصطلحات الواردة في هذه المخطوطة عن أن كثيراً منها بغير التركية، عربية وعامية مصرية وغيرها، أما القول بأن المؤلف هو أحد المهندسين العسكريين العثمانيين الذين اشتركوا في حصار الحصون... إلخ فلم نجد دليلًا عليه.

(2) الورقة 31ب.

محرفة من كلمة (البلطه جية)، ويليه نص الكتاب نفسه. كما تتقدم المخطوطة ورقة بيضاء كتب في ركنها الأيمن الأعلى عبارة، هي: (هذه مجموعة البلطه جيه بالتمام والكمال)، وتحتها وعن يمينها ختم مدور باسم (مصطفى درويش)، وينتهي نص الكتاب في الورقة 34أ بعبارة تقول: (معرفة خصوصية تصير تنظيم فدانها بواسطة خوابير خشب كبيرة، والله أعلم بالصواب)، وبعدها ترد عبارة تشير إلى اسم المترجم تقول: «صار مقابلة على يد مترجمه أحمد صفي الدين العلمي»[1]، وتشغل الأوراق التالية، وهي المرقمات من 34ب إلى 45أ نص طويل كتب في أعلى الورقة الأولى منه: (في الشروع في المحاصرة)، وتحته (تابع الدرس السادس عشر من تعليم البلطه جية)، وهو يتألف من العنوانات الآتية:

1- في المخازن.

2- بيان الإحاطة على القلاع والمدن.

3- بيان معرفة كشف الحصون والقلاع.

4- بيان فتح الخنادق.

5- في التحصين.

وينتهي نص هذا المبحث (التابع) بعبارة بخط الناسخ نفسه تقول: (تمت الشروع بعون الله تعالى)، وقد حمَلت هذه العبارة مفهرس المخطوطة إلى القول: «لعلها جزءً من رسالة كبيرة تسمى الشروع، بيد أننا لم نجد بعدُ أيةَ رسالة في فنون الحرب تحمل هذا العنوان أو جزءًا منه»، والذي نذهب إليه أن (تعليم البلطجية) كتاب مستقل تام، إلا أن الناسخ تصور عبارة (في الشروع في المحاصرة) الواردة في أول التابع عنواناً لرسالة مستقلة أخرى، فختمها على ذلك النحو الذي يوحي بأنها عنوان عام للمخطوطة كلها.

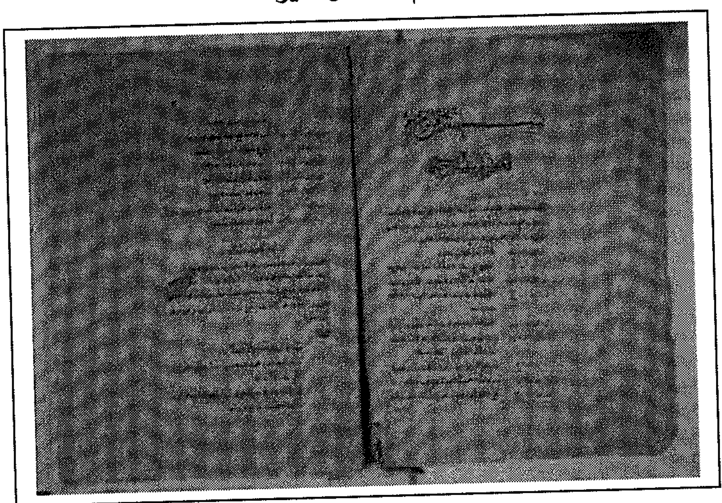
وتلي ذلك، في الأوراق العشر الأخيرة من المخطوط (55 – 54)، رسوم توضيحية سنتناولها فيما يلي من هذه الدراسة، وعند مقابلة عنوان المخطوطة على قائمة الكتب العسكرية المترجمة في عهد محمد علي باشا[2] لم نجد له ذكرًا، مما يغلب على الظن أنها لم تجد طريقها إلى الطبع، كسائر الكتب العسكرية الأخرى، لسبب لم نعرفه.

---

(1) الورقة 34 أ.

(2) ينظر جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة 1951، الملحق الثاني.

كانت المخطوطة من مقتنيات مكتبة أحمد خيري الخاصة بمصر، المسماة (روضة خيري)، تحت العدد 328، ومنها آلت إلى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، حيث حُفظت تحت العدد 1129، وصنفت على أنها من (الفنون الحربية)، وقد حصلنا على نسخة مصورة منها من خلال عونٍ مشكور قام به الإخوة في شبكة الألوكة الغراء بناءً على طلبنا، فجزاهم الله كل خير.



الصفحتان الأوليان من مخطوطة (تعليم البلطجية)

والكتاب عملي تعليمي بحت؛ إذ يبدأ الكاتب مباشرة في تعيين نطاقه وهدفه قائلًا: «القصد من هذا التعليم إجراء أشغال الهجوم على القلاع، وتلك الأشغال هي تحت إدارة طائفة من المهندسين، والبلطه جية هم المَنوطون دون غيرهم بإجرائها».

ويحدد الكتاب صفة البلطه جية بدقة، فهم فئة محددة من منتسبي المجموعة التي يسميها (طائفة) أو (فرقة)، وليس جميعهم، وكل منهم يحمل رقمًا تسلسليًا، حيث نقرأ: «يجري الفَحت (يريد: الحفر) البسيط بواسطة طائفة أو فرقة من البلطه جيه مركبة من ثمانية أنفار تحت إدارة واحد (صف ضابطان) رئيس الفرقة المذكورة، ومن ضابط ناظر الفَحت، والأربعة أنفار الذين يشتغلون في الفَحت يسمون بلطه جيه، والأربعة الآخرون يسمون خدامين أو يماغية؛ لأن يماغيتهم منحصرة في المساعدة في المناورات وتحضير المهمات، والبلطه جيه مُنمَّرون (أي مُرقَّمون) من واحد إلى أربعة، بالابتداء من النفر الذي في الأول، والخدامين مُنمّرون أيضًا، ولكن من شغل الطايفة كل واحد من الثمانية بالمناوبة».



محمد علي يستعرض جيشه

والبلطجي لا يقتصر في معداته على البلطة فحسب، كما يتصور البعض، وإنما هو – بحسب المخطوطة – مسلح بالبندقية ذات الحَربة، وهو يحمي رأسه بلبس (الخوذة)، أما صدره فيغطيه بواقٍ يسميه (الزَرد)، وهو لباس مكون من حلَق الحديد تمنع عنه الإصابة بالرصاص أو نحوه، ويظهر، بحسب المخطوطة، أن حملَه للبلطة هو لغرض شق الأنفاق وتغطيتها بفروع الشجر، توصلًا لجدران الأسوار بغرض نسفها فحسب، وليس لأغراض قتالية بالضرورة، لا سيما بعد أن حمل معظم منتسبي الصنوف العسكرية السلاح الناري الخفيف ما داموا في ساحة المعركة، أما الزَرد فهو فيما يبدو بقية من لباس المقاتلين في العصور السابقة، حينما كان يَقي لابسه من ضرر طعنات الرماح والسيوف، أما في عهد الكاتب، وهو عهد التوسع في استعمال الأسلحة النارية، فلم يعد ارتداؤه مُجديًا في أكثر الأحيان، ولكن يظهر أن ارتداءها من قِبل البلطجية بالذات كان لوجودهم في أماكن قريبة من أسوار القلاع، حيث يمكن أن يستعمل السلاح الأبيض في أي وقت.

إن أساس تعليم البلطجية هو في حفر (فحت كما تسميه المخطوطة) خندق باتجاه الهدف المراد نسفه، وتغطيته بأغصان الأشجار بعد تعديلها بالبلطات، وصَفِّها بانتظام لتكون كالسقف له[1]، ويجري وضع تخطيط كامل للنفق على الأرض، ثم يبدأ بإزاحة الأتربة من أرضه بواسطة أدوات حفر تشبه الجرّافات يسميها (كَريكات)، وفؤوس ذوات رأسين مدببين تسمى (قزمات)[2] حتى يكون بعمق كاف لسير

(1) الورقة 6 ب.

(2) يوجد رسم للقزمة تحت الرقم 21 من الورقة 46 (تنظر هذه الصور في آخر هذه الدراسة).

البلطجية، بينما تُنقل الأتربة ومخلفات الحفر في سُبوت (جمع سبْت، وهي السلة الكبيرة) حيث تنقل إلى خارج الخندق لتكون سترًا يحمي حركة العاملين فيه من قذائف الأعداء الذين في أعلى القلعة المراد نسف جدارها[1]، وتفتح عن يمين الخندق وشماله فتحات يسميها (تفريجات)، تتيح للعاملين فرصة الخروج منه في أي وقت. وفي حالات معينة يحفر خندق آخر على نحو متصل بالأول، فيكونان ما يشبه الأنفاق التي تحفرها الفئران؛ ولذلك فهو يسميها (سكة الفأر)، ويتوخى البلطجية من هذه الأنفاق تحقيق اقتراب شديد من سور القلعة التي يجري اقتحامها حتى يتمكن (اللُغُمجيّة) من وضع الألغام في أقرب نقطة منها لنسف جدارها، وليست هذه الألغام إلا عبوات من البارود تُرَص في نهاية النفق عند تلك النقطة، ولا يشترط أن يبدأ حفر الخندق من أبعد الأماكن عن القلعة، فهذا ما يضيِّع من الوقت والجهد الكثير، وإنما يمكن أن يبتدئ البلطجية بما يسميه المؤلف (الحفر البسيط)؛ أي: حفر خندق مكشوف غير عميق في الأماكن البعيدة عن مرمى الأعداء «على بُعد كافٍ من القلعة، بحيث إن النار لا يكون لها تأثير عظيم في المحاصرين، أو عندما يكونوا محفوفين بواسطة التراب، ولا يجرون هذا الشغل إلا في أثناء الليل فقط»[2]، ويصف المؤلف دور من يسميهم (الأنفار الشغالين) في هذا الحفر، فيذكر أن على الضباط المهندسين ترتيبهم، «وبيان ذلك أن الأنفار الشغالين من كل فرقة يكونوا مُصطفِّين على خط واحد، ومع كل واحد منهم فأس موضوع على مقدم الذراع الأيسر المنثي، وفي اليد اليسرى كريك، بحيث يكون الحديد إلى أعلى، وفي اليد اليمين (دمت رسم)، وتكون البندقية في علاَّقتها، والسنجة في بيتها، والضباط المهندسون يوصلونهم في هذا الترتيب من محل التجمع إلى أحد نهايتي التخطيط»[3]، ويكون عمق الخندق مترًا ونصف المتر.

وثمة نوع من الحفر السريع للخنادق يسميه (الفحت الطائر)، ويجري بأنهم «يضعون صفًا من السَّبتات ملتصقة بعضها ببعض، بحيث إنه إذا امتلأت تلك السَّبتات بسرعة، فإن الشغالة تكون معطية ومحمية من الصيلقوم ورصاص الثوبانات (؟)، وهذا الشغل يصير تخطيطه في مبدأ الأمر بحبل يجرُونه في أثناء الليل، وشغالة

(1) الورقة 24 ب.

(2) الورقة 6 أ.

(3) الورقة 20 أ.

كل فرقة تكون مرتبة في محل التجمع على صف واحد، ومع كل نفر كريك وفاس وسبت، والبندقية في علاّقتها، ولأجل حمل السبت يوضعونه على العنق»[1].

ويتناول المؤلف جانبًا مهمًا في حصار الحصون والمدن، وهو الجانب الاستخباري، موليًا إياه اهتمامًا خاصًا، فيقول: «ولأجل كشف الحصون يساعدون بمعرفتها بواسطة الرسومات والخريطات التي يمكن وجودها بواسطة الإستفهامات (ويقصد بها الاستخبارات) التي يمكن تداركها من الناس المتحصنين بالحصن بواسطة الاستفهامات والأشخاص من النبلاء والعقلاء والمقوين على الوصول في الحصون، وبالجملة فإن كافة هذه المفروضات فإنها كافية لأجل معرفة الحصن التي يجرونها بتفهم ليلًا ونهارًا، أما في النهار يلزم أن (سَر عسكر) يتقدم نفسه نحو الحصن ويكون مُصطَحبا بجملة قليلة من الضباط بحيث يكونون فداه (وراءه؟) غفير صغير مستور بالزَرابي، أو في بعض الخنادق، وهذا النفر يكون محميًا بواسطة غَفَر آخر أكثر عددًا من الغفر المذكور، ومتأخر عنه بشيء قليل، وأما في الليل فإنهم يذهبون في جملة عظيمة ويطوفون حول الحصن ويتصورون وضعه ثم يرجعون مع طلوع النهار ويخفون كافة ما كشفوه، وربما تكون الظلمة منعتهم عن معرفة شيء في الحصن المذكور، وهذه الوسائط الغرض منها تعيين خط القلعة التي يراد الهجوم عليها»[2].

نطاق الكتاب ومحتواه:

حدد المؤلف نطاق الكتاب بالآتي: «القصد من هذا التعليم إجراء أشغال الهجوم على القلاع، وتلك الأشغال هي تحت إدارة طائفة من المهندسين، والبلطه جية هم المنوطون دون غيرهم بإجرائها».

وهو لا يسمي محتويات كتابه فصولًا، كما جرت عادة المؤلفين، وإنما (دروسًا)، إشارة إلى أن هدفه هو تعليم الضباط ومنتسبي الصنف طرق القتال في ساحة المعركة، ويبلغ عدد (الدروس) ستة عشر درسًا، هي:

الدرس الأول في تشغيل مهمات الحصار.

الدرس الثاني القطع البسيط وهو فَحت سكة الفار العادية.

الدرس الثالث الفحت الطائر السريع، وهو فحت سكة الفار بموجبه.

---

(1) الورقة 8 أ.

(2) الورقة 36 ب.

الدرس الرابع الفحت الملآن أو الحافظ، وهو فحت سكة الفار بموجبه أيضًا.

الدرس الخامس الفحت المركب، وهو فحت السكة المذكورة أيضًا.

الدرس السادس بيان المناورات التي يمكن إجراؤها في سكك الفار وقت التمشية العارضية.

الدرس السابع اتصال الفحتين؛ أي: اجتماع سكك الفار بعضها ببعض.

الدرس الثامن تفريجات الفحوت؛ أي: المشي جهة اليمين واليسار.

الدرس التاسع فتح الفحوت (أي فتح الحفر)، وهو استخراج سكة الفار القريبة من السكة العادية.

الدرس العاشر فرسان المحاصرة.

الدرس الحادي عشر تتويج السكة المغطية.

الدرس الثاني عشر النزول في الخندق السماوي (وهو الخندق المسقف).

الدرس الثالث عشر النزول في الخندق الأرضي.

الدرس الرابع عشر النزول في السكة المغطية.

الدرس الخامس عشر المرور من الخندق الناشف أو الملآن بالماء.

الدرس السادس عشر تصور الحصار وتشكيله.

ولا بد هنا أن نأتي بنماذج مما تضمنته هذه الدروس، ففي درس (الشروع في المحاصرة) نراه يذكر أن هذا الشروع «يتوقف على جملة أحوال، ولكن في بعض الأحيان يجرونه كالقصد المطلوب لأجل نجارة (؟) جيشين أحدهما محاصرة، والآخر محافظ وتحت الطلب، فالأول يكون مشتغلًا بأعمال، والآخر يكشف محلات المرور، ويقيم في المركز ويتحصن فيه، وبالجملة فإنه يقيم دائمًا بين عساكر الأعداء والجيش المحاصر، وإن هذا الجيش لا يتحول من محل إقامته المخصوص له وينفر الذخيرة(؟) ويشتغل بتقديمها ويناط بالخدمات الأخر، وبعد الشغل في الخندق بستة أو سبعة أيام يمكن عند الاحتياج أن الجيش المحاصر يقوي عزم الجيش المحاصر وعند الطلب».

ويوضح المؤلف كميات وأعداد مستلزمات فتح القلاع بدقة ملحوظة، فيقول في بحث عنوانه (في المخازن): «لأجل محاصرة حصن متوسط يلزم له من المهمات والأدوات ثمانمائة أو تسعمائة ألف كيلو من البارود، وستون ألف كُلة كبيرة، وعشرون

ألف وستمائة عيارها من 8 إلى 12، وثمانين مدفع كبير من ضمنهم الأبوسات، وثلاثون أو خمسة وثلاثون عيارهم من 8 إلى 12، وعشرة أو عشرون عيارهم 8 لزوم المتاريس، وخمسة عشر، أو ستة عشر بمبة، وأربعون ألف قمبرة، وعشرة آلاف فتيل، ومائة وثمانون ألف رصاصة، ومائة ألف شطفة، وخمسون ألف شوال، ومائة دوشمة مدافع كاملة، وستون دوشمة وهوان وأربعة وعشرون هوانًا، وأربعة وعشرون مدفعًا صغيرًا، وستون غنداقًا لزوم تصليح المدافع، وثلاثون غنداقًا لزوم تصليح الهوانات، وجملة عفاريت وسبا، وعربانات منقلات، وزخافات أي عربانات من غير عجل، وأنات من صفيح وأخشاب لزوم الأبانات وألواره زيادة ومايتان عربانات يد وجملة أقفاص وأربعون ألف من المهمات غير مهمات البلطجية والمانوره، وكذلك الحدادين والنقلة بالعربانات والصنايعية يكونوا حاضرين، (الورقة 34ب).

وفي الدرس المعنون (بيان الإحاطة على المدن والقلاع) يوضح المؤلف مهام البلطه جيه في اختيار ميدان العمليات العسكرية التي يتطلبها الهدف المحدد، وهو فتح الحصن أو المدينة، ويلاحظ هنا ضخامة عدد الجيوش التي يجري تحريكها لمثل هذا الهدف فيقول: «يبحثون في بعد الأعداء من القلعة التي يريد الهجوم عليها، سواء كان بقوة شديدة أو بالحية (؟)، وذلك أن أربعمائة ألف فارس أو خمسمائة تحت إدارة سر عسكر يمشون ليلًا ونهارًا فرسخًا أو فرسخين قبل الوصول إلى الحصن، وهناك يقيمون ويأخذون قياسه لأجل الوصول بشيء قليل إلى مرمى نار مدفع القلعة، ويمسكون الدربندان، ويقسمون الفرسان إلى رباطات ويوزعونهم إلى أبواب الحصن والمدينة لأجل ضبط كافة من يقابلهم، ويأخذون مركز دائرها، وذلك بالإحاطة على جميع دائرها على قدر الإمكان، ففي ذلك الوقت ينتخب المهندسون الأراضي التي تصلح لإقامة الأوردي وأعمال المتاريس، وفي هذه العملية فإن الجيش المحاصر يمشي بحيث إنه يصل بسرعة إلى أمام الحصن أو المدينة، وفي هذا المحل يبينون لكل جيش محل إقامته، ثم يرسمون المتاريس، مع الاهتمام بوضع خط الطابور موازيًا للمتاريس، أو في مسافة 20 متر إلى 200 متر»[1].

وفي الدرس المعنون (العبور من الخندق) يقول: «حينما يكون الخندق ناشفاً لا يمرون منه إلا بواسطة فحت عادي متجه من سكة النزول إلى أسفل شو الشرم، وإنما

(1) الورقة 34 ب

لأجل أن يكون الشغل جيد التغطية يهتمون بدون تراخٍ في جعل الفحت عميقًا كما ينبغي في أول الشغل، وإن كان الخندق ملآن ماء تعمل قنطرة، إما بدمنات أو غيرها، وهو أصعب من عملية الحصار الصعبة جداً، وكذلك يجب أن يعمل تفريج طوله من أربعة أمتار إلى خمسة من كل من جهتي النزول، وخلف كسوة الشو الخارجي لأجل حماية الشغالة، والتراب الخارج من فحت هذه التفاريج يرمى في الخندق المقابل لسكة النزول يضعون فيه قاعدة القنطرة»[1]، ومن الواضح أن العبارة فيها من المصطلح ما يعسر فهمها إلا بفهم معناه أولًا، كما أن صياغتها وإن كانت عربية فإن ركة تغلب عليها.

مصطلحاته:

واجهت مترجم الكتاب الحاجة إلى مصطلحات مفهومة مقابلة للأصل الفرنسي، ولما كان المستفيدون من الكتاب ذوي خلفيات ثقافية مختلفة، عربية وتركية وعامية، فإن المصطلحات جاءت من أصول مختلفة هي أيضاً، ويخلو الكتاب من بيان أو جدول بمعاني المصطلحات، ولكن قسماً منها يمكن فهم معناه من خلال السياق نفسه، وقسم آخر يقرن بمعناه مباشرة، بينما تبقى ثمة مصطلحات غامضة المعنى، ويبدو أن شرحها كان منوطاً بالضباط والمعلمين الذين كانوا يعرفون تلك المعاني بالتأكيد، وفيما يأتي قائمة بعدد منها مع الإشارة إلى معانيها وأصولها:

	قال: «يعملون الترزيب بطريقة ترزيب السبت العادي»، فهي إذاً الحياكة، وربما تأتي بمعنى التثقيب، قال: «بعد غرس القوازيق يصير توضيبها بغرس رؤوسها في ترزيب وفتحا (فتحات؟)» الورقة 5أ	
ابوسات	ضرب من المدافع	
شروم	قال: «إن تصور الشروم والأقماع يحدث فيه بعض صعوبات»، ولم يتوضح معناها، الورقة 9ب	
سر يول	رأس الطريق، الورقة 26أ	تركية
عربانات	جمع عريانة، وهى العربة، الورقة 35أ.	تركية

(1) الورقة 30 أ.

عربية يد	عربية تدفع باليد، الورقة 26ب.	تركية- عربية
دربند	قال: «ويمسكون الدربندان ويقسمون الفرسان»، قلنا: وهو المضيق، والقلعة الصغيرة، الورقة 35ب	تركية من أصل فارسي
زحافات	قال: «عربات من غير عجل»، الورقة 35أ.	عربية
التتويج	قال: «أن تستعمل جميع الأتربة.. بدون أن يصير فقدها بالبشولات وتتويج الشروح وأقماع اللغم»، الورقة 9ب	عربية
الجرّافة	أداة يجرف فيها التراب الناجم عن الحفر، الورقة 21ب	عربية
سَر عسكر	قائد الجيش	فارسية - عربية
أوردي	الجيش، الورقة 35ب	فارسية - تركية
الخروق	الفراغات	عربية
كمرات	وسائط يدحرج عليها السبت المحشى ترابًا، قال: «لأجل صعوده على الكمرات إلى أعلى» الورقة 16أ، و«توضع بالطه جية.. الكمرات من المزلقان» الورقة 22أ	
شعبة فحت	أداة تشبه البلطة، الورقة 10أ	مصرية عامية
يَدَكجية	جنود من السياس	تركية
أقماع اللغم	الورقة 10أ	عربية
مشولة	مدقة، الورقة 5أ	مصرية عامية
قَزمة	أداة حفر كالفأس، لكنها ذات رأسين، رسمها في الشكل 18، ولكنه سماها «جنكلين فحت»، الورقة 11أ	

فَحت	حفر، وردت في مواضع عديدة	عامية مصرية قديمة
الفحت البسيط	«هو الذي يشرعون في عمليته حالة كون اللغمجية مكشوفين كلية» الورقة 6أ	
الفحت المركب	فحتين (خندقين) أحدهما في جوار الآخر	عامية مصرية قديمة
الفحت الطائر	ضرب من الحفر السريع، الورقة 7ب	مصرية عامية
الشو الداخلي للخندق	هي حافة الخندق المقابلة للقلعة، الورقة 6 أ	
الشو الصغير	يظهر أنه عتبة صغيرة أمام السلم «الشو الصغير الذي مقداره 16 سنتو الموجود أمام السلم» الورقة 7ب	
شطفة	قال: «إن مما يحتاجه فتح قلعة مائة ألف شطفة» ولم يتوضح معناها، الورقة 25أ	
قُنبُرة	إطلاقة مدفع، الورقة 35أ	عربية
كُلَّه	كرة صماء مما كانت تطلقه المدافع	فارسية
دروات	سواتر، الورقة 29 ب	عربية، من درأ؛ أي: ستر
دروه متحركة	ساتر متحرك، الورقة 30أ	عربية
اللغمجيه	الجنود المختصون بتعبئة الخنادق بالألغام، الورقة 6أ	تركية وعربيتها (لقم)
كريك	أداة لكسح الأتربة تصنع من الحديد، مثبتة على	عربية أصلها

	عمود من خشب، «في اليد اليسرى كريك بحيث يكون الحديد إلى أعلى»، الورقة 6أ	كرك
الديجك	قال: «بحيث تكون الديجك من جهتهم»، ولم يتوضح معناه.	
فحر	حفر، خندق مفحور؛ أي: محفور، الورقة 5ب	مصرية عامية
جنزير	السلسلة، وردت «حبل واحد أو جنزير» الورقة 23ب	تركية
جمالان	قوائم متباعدة عن بعضها البعض، الورقة 3ب	
الطائفة	الفرقة، وحدة عسكرية صغيرة	عربية
الورشه	مجموعة البلطه جية في الطائفة، تتركب من أربعة أنفار، الورقة 3ب	إنجليزية
الأنفار	الجنود من المقاتلين والشغالين	عربية
الأنفار الشغالة	يبلع عدد الأنفار الشغالة من 100 إلى 200	عربية
علاّقة البندقية	الرباط من الجلد تعلق فيه البندقية على كتف الجندى	عربية
سقالة	اللوح من الخشب	تركية من أصل عربي
سنُجه، ربما سيخه	يظهر أنه السونكى، وهى حربة البندقية، قال: «والسنجة في بيتها»	
دمت	السلمة أو الدرجة، قال: «سلمتين من الدمت لأجل الصعود على قفا سطحى.. ويكون كل سلم مكون من دمتين»، الورقة 7ب، لكنه ذكر في موضع آخر الورقة 31أ ما يفهم أنه نوع من الملاط فقال: «فرش من الدمت»، و«كل نوع من فروشات الدمت»	

قفا سطحي	يمكن أن يكون جوانب الخندق، الورقة 6ب و7ب	عربية بتركيب تركي
بُندُقات	بنادق	عربية
الصلقوم	ضرب من الإطلاقات النارية، قال: «إن الشغالة تكون مغطية ومحمية من الصلقوم ورصاص القربانات»، الورقة 8أ	فارسية
رصاص القربانات	ضرب من الإطلاقات النارية، الورقة 18أ	عربية
أقماع اللغم	الورقة 9ب	عربية
الدرابزين	سياج السلم	
صف ضابطان	مساعدو الضباط، الورقة 8ب	عربي بتركيب تركي
البشولات	قال: «أن تستعمل جميع الأتربة.. بدون أن يصير فقدها بالبشولات» الورقة 9ب، وقال: «يثبتها بواسطة حزم صغير أو بشولات تراب وحشيش»، الورقة 16 أ	
يفحر	مقلوب يحفر	عامية مصرية
يماغية	مساعدون، معاونون، قال: «يشتغل في خدمات البلطجية واليماعية بالمناوبة» الورقة 10أ، و«كل بلطجى من الأنفار اليماغية»، الورقة 14أ	تركية
شَنكل	ما يقابل كلمة خطاف الذي يعلق فيه الحبل ونحوه	تركية
جنكل	قال: «يقبض على الجنكل الموضوع على قفا سطحى»، وقال: «فإن البلطجى يدوره بواسطة جنكل التى تكون فيه الشعبة»، الورقة 12أ، و«تسهل هذه	فارسية

	العملية بدفع السبت المحشى قليلًا إلى الأمام بواسطة جناكل» الورقة 17أ	
الشعبة	هى حافة الفأس التى يقطع بها، الورقة 12 أ	عربية
القطع	القطعة من الفحت (الخندق)، قال: «يخرج الشغالة من القطع الذي كانوا فيه جزءًا بعد جزء»، الورقة 8أ.	تركية
أنات	نوع من السواتر، قال: «أنات من صفيح وخشب لزوم الإبانات»، ولم يتوضح المعنى بأكثر من هذا	
شُوال	كيس من صوف، الورقة 17ب و22ب	من التركية جوال، وهو الزكيبة من الخيش
قابستان	يحتمل أنه حبل ثخين في كل من طرفيه عقدة	
تفريجات	فرجات عن يمين الخندق ويساره، الورقة 15ب	عربية
خابور	وتد	عربية
مزاغل	فتحات بين الشوالات لأجل الرمى، الورقة 24ب	
غنداق	مصلح الاسلحة النارية، قال: إن مما يستلزمه فتح قلعة «ثلاثون غنداقًا لزوم تصليح المدافع»، الورقة 35	تركية
الدَيدَبان	الحارس، الناطور، المحافظ	تركية
سجقات	يظهر أنها أسطوانات؛ لأنه يذكر أنها بطول 4 – 6متر، وبقطر 30،0سنتو، الورقة 3ب	
دوقماق	مدقة	تركية من (دوكوج)
طوابى	ربايا، الورقة 29ب	تركية
هوان	مدفع هاون، الورقة 35أ	عربية

مناولات	أداة في طقم البلطجية لم يتضح معناها، الورقة 11أ	عربية
كمرات	قال: إن من طقم البلطجية «ثلاثة كمرات»، ولم يتضح معناها، الورقة 11أ والورقة 16أ	
جُرنال	البيان اليومى للحوادث، قال: «وهذه الرسومات ترفق بجرنال يذكر فيه كافة رسومات العملية اللازمة»، الورقة 34أ	فرنسية
مَزلقان	ممشى أو ممر منحدر، الورقة 22أ	عربية

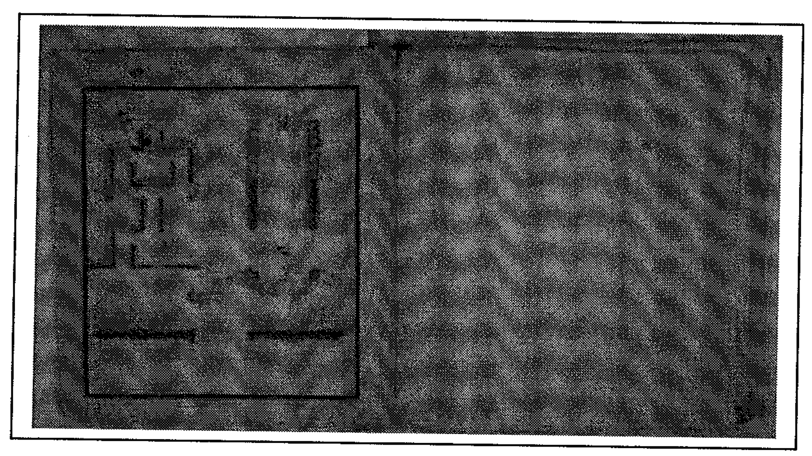
أسلوبه:

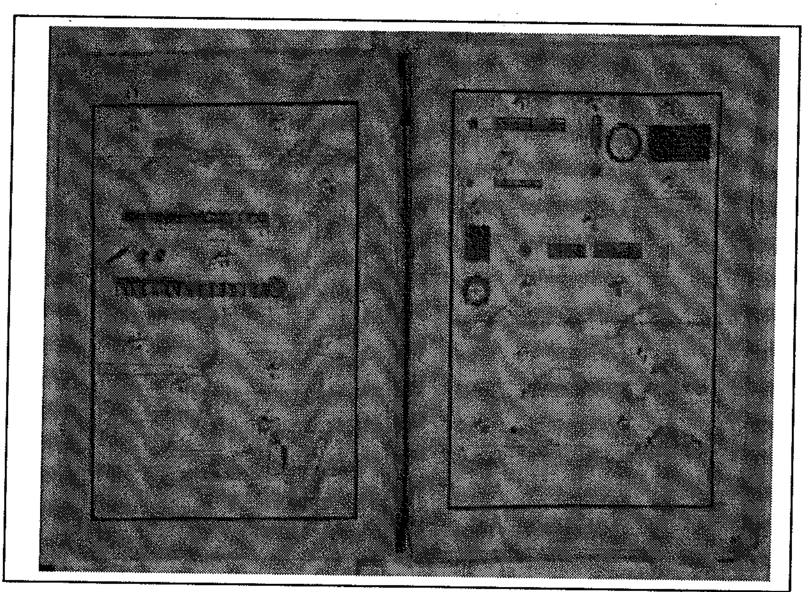
كتب المترجم هذا الكتاب بأسلوب مباشر واضح، أراد به إفهام قارئه بأيسر سبيل، لا سيما وهم عسكريون غير معنيين بفنون اللغة أصلًا، ومع ذلك فإن صياغة الكتاب جاءت عربية، وإن اعتورتها بعض الركة، فلا يكاد يلحظ القارئ أنه مترجم عن لغة أجنبية، ولولا عشرات المصطلحات والعبارات والنداءات التركية التي وردت في ثناياه لكان الكتاب يبدو عربيًا من هذا الجانب أيضًا، ويظهر أن مراجعًا للكتاب، نرى أنه المترجم نفسه، قد عاد إلى الكتاب بعد أن نسخه ناسخٌ آخر، فصحح فيه عبارات وألفاظًا على نحو أكثر سلامة، من ذلك مثلًا أنه أبدل عبارة (عمليات الكشوفات) بـ:(عمليات الاستكشافات)، وهذه الاصطلاح هو الذي استمر استعماله فيما بعد وحتى اليوم، وأبدل عبارة: (إذ كان لا يوجد في الفحت نار يخشى منها إلا في اتجاه على الخط الذي يقتضي أن يصير عليه) بالعبارة: (إذ كان لا يخشى إلا من نار اتجاهها عمودي على اتجاه الفحت)، بل إنه غيّر جملًا كاملة بجملٍ أخرى لا صلة لها بما كانت عليه، مثال ذلك أنه أبدل عبارة (الهجوم للتحصينات التي لها من قبل ذلك) بعبارة مختلفة هي (الهجوم على القلاع، ويلزم أيضًا أعمال الأشغال والمناورات اللازمة للتحصين التي لها من قبل ذلك).. وهكذا.

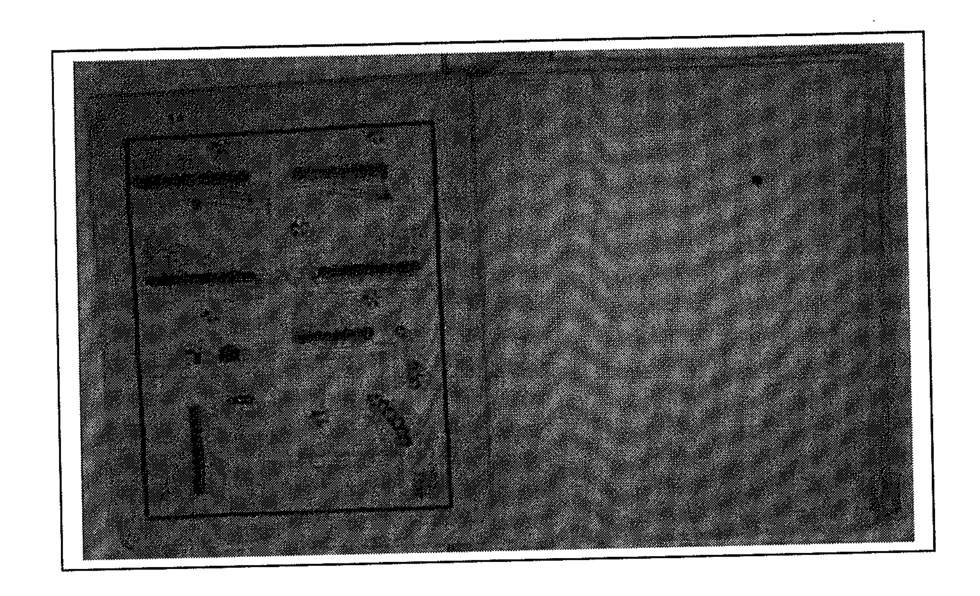
الرسوم التوضيحية:

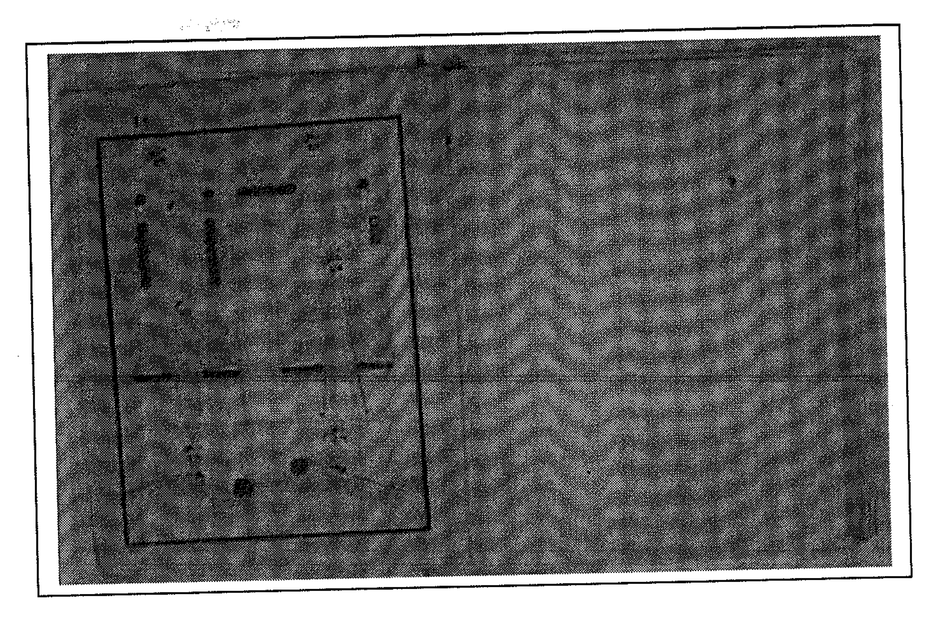
أشرنا إلى أن المخطوطة احتوت على عددٍ من الرسوم التوضيحية، شغلت الأوراق العشر الأخيرة منها، وقد تميزت هذه الرسوم بالدقة البالغة، ففي كل ورقة توزع عددٌ منها يتروح بين 5 و10 رسوم، أحيطت بإطار موحد الشكل، ورتبت على وفق ما أريد

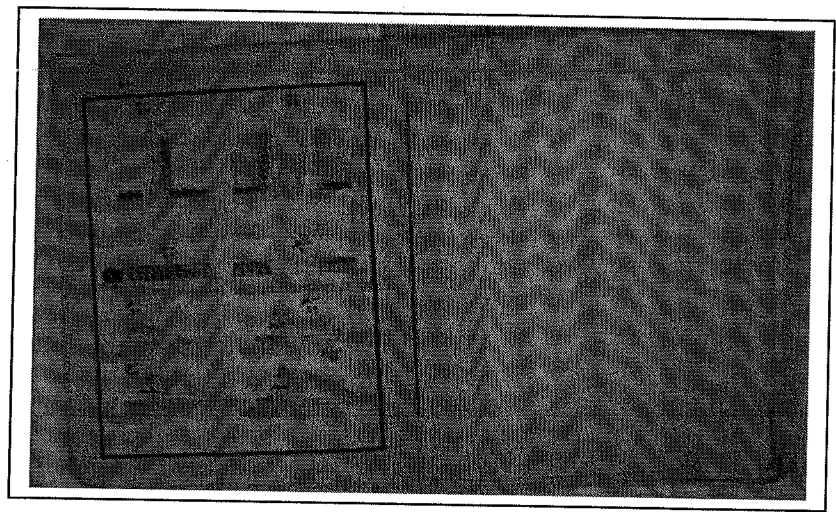
توضيحه في متن الكتاب، فبلغ عددها 65 رسماً، ووضع عند كل رسم رقمٌ يدل على موضع الإحالة إليه في ذلك المتن، والرسوم جميعها مخططة بالحبر الأسود، استعمل في تنفيذها التخطيط والتظليل والتنقيط، وخطت الخطوط المستقيمة باستخدام المسطرة، والدوائر والأقواس من خلال بِركار أو مَنقَلة، وتدل دقتها على أن راسمها محترف له خبرة في إعداد مثل هذه الرسوم، وأنه استخدم في رسمها ريشة من نوع خاص يستجيب إلى هذا النوع من العمل، وتمثل الرسوم المذكورة مخططات لأدوات البلطجية من الفؤوس والبلطات والقزمات ومقاطع لخنادق مسقفة، وأخرى مكشوفة كلًا أو جزءًا، وكثبان من الأتربة التي كانت تستخدم كسواتر من القذائف، ومواد تسقيف، وحبال، وما إلى ذلك من لوازم مختلفة، وفيما يأتي هذه الرسوم.

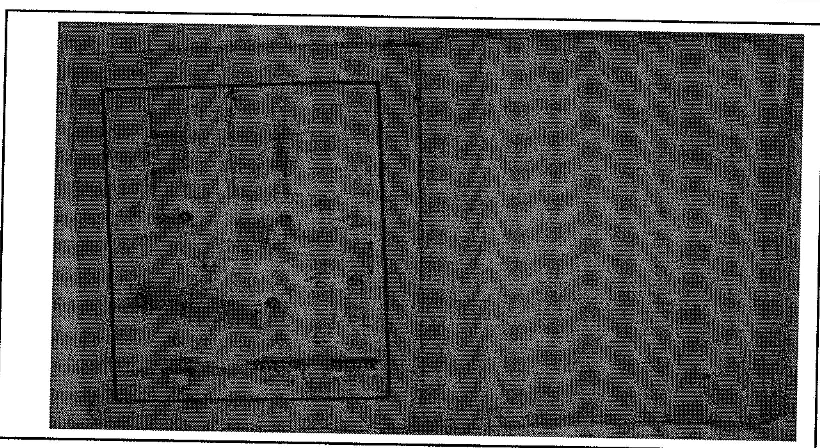


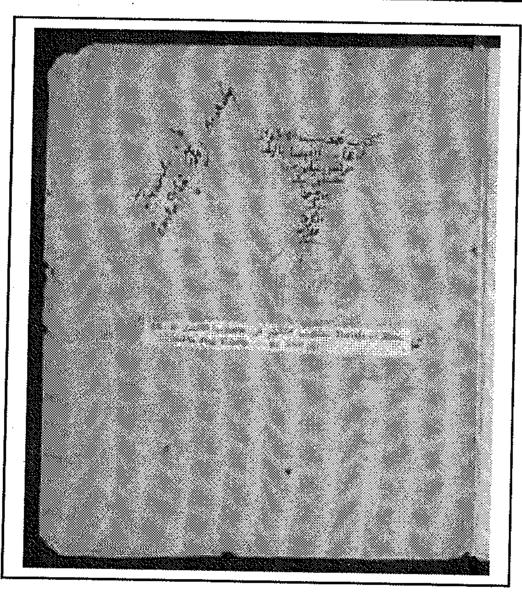












ذيل في تاريخ مصر
لمرتضى بك الدمشقي الكردي

مؤرخ سكت عن ذكره المؤرخون، بل لم يُشر الى إسمه أحد، مع أنه ترك أثراً مهماً في تاريخ مصر، لا سيما القاهرة منها، في مرحلة حرجة من العصر العثماني. فلا نملك عنه إلا ما كتبه هو عن نفسه، فهو- كما سمى نفسه - مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقي، فهذا الاسم وحده يصرح بأنه كان كردياً انحدر جده الى دمشق في زمن لم يحدده، وولد هو فيها حيث عاش - فيما يظهر- مرفّهاً في بحبوحة من العيش، وورث عن أسرته لقب (بك) الذي يكتبه بشكل (بيك) كما يلفظ في البلاد العربية. وهذا اللقب اختص به بحسب نظام التيمار الاقطاعي العسكري بمن تولى إقطاعاً من الفرسان المعروفين باسم (السباهية)، إلا أنه صار يُطلق على متولي المناصب العسكرية المهمة من غير الاقطاعيين. ثم أنه تعرض شاباً الى أزمة عنيفة، لا نعرف تفاصيلها وأسبابها، ولكنها كانت بحسب ما قال سبباً في شيء كثير من الضيق والاحباط أصابه، فانفض من حَوله أصدقاؤه وأحباؤه، وهجروا مجلسه، وخلا بيته، ونضبت موارده المالية فكثرت ديونه، وأحرجه دائنوه، وزادت أعباؤه، فلم يبق له من خَيار إلا أن يترك وطنه، ويقصد وطناً آخر عسى أن يجد فيه من الفرص ما يدفع عنه ضيقه . يقول «لما قدر الله عليَّ بهجر الوطن، وتزايدت عليَّ المصائب والمِحن، والكرب بي اشتد، وباب السرور دوني انسد، وضاق بيَّ الحال، حتى قلاني الدونَ والعال، وأقفر المنزل، وأصبحت عن الأحباب في مَعزل، وعدتُ عند القريب كأني إمرءٌ غريب، وقد غاض مجلس أنسي، حتى صار بيتي حَبسي، وخلا ما في الكيس، وتباين عني الجليس.. اجتمع عليَّ ديون أعجزني قضاءوها، وعسر عليَّ أدآؤهَا، فآحتشد بباب دَاري أربَاب الديّون، وتزاحم المطَالبون، ولا زمني الغرماء، وأنكفوا عنيّ الندّما.. فضاقت حيلتي، وزادت فكرتي، فانكروني الأصحابُ والخلانُ، والأحباب والإخوان، والأهل والعشيرة والأوطان»[1]. وجاءت حادثة قتل عم له غلى يد بعض الاعراب لتزيد من أزمته.

وأخيراً انعقدت نيته على السفر غلى مصر، فغادر دمشق في سنة 1127 وقصد مصر في رحلة طويلة استغرقت عدة أشهر، مع أن المسافة لم تكن تستحق تلك المدة،

---

(1) تهذيب الاطوار في عجائب الامصار، مخطوطة برلين، الورقة 3

فواضح أنه كان يقضي في بعض ما مر به من مدن وقتاً مديداً، لأسباب لم يشأ أن يفصح عن أكثرها، فكان مما مر به أو أقام: بلدات: داريا، وبيت سابر، والقُنَيطرة، جسر بنات يعقوب، نين في مرج بني عامر، جنين، عَرَبة، جلجولية، الرملة، المجدل، غزة، العريش، بركة الحاج، ثم أنه دخل القاهرة، فسجَّل إنبهاره بها، وبفضائل أهلها، وبهاء معالمها وفخامتها، ومنها السماجد والمدارس والمارستانات والرُبط والمقابر والقباب، فضلا عن الاثار القديمة، وفي مقدمتها أهرام الجيزة. ولما كان في كل ذلك مفلساً «صفر اليدين» — على حد قوله- فإنه قصد الجامع الأزهر، حيث وجد فيه مجالاً للإقامة بما رُصد عليه من الأوقاف الجسيمة، ولطلب العلم بما وَجَده في من العلماء الكبار في كل مجال. فقال «ولم أزل أتردد الجامع الأزهر في المساء والصباح، وأحاول فيه كل دَرس أنوَر، وأوضح من المصباح لأكتسب وأستزيد علماً نافعاً وفهماً»[1]، وبعد ان قضى فيه مدة مجاوراً متعلماً، يغترف العلم من شيوخه، تاقت نفسه لطلب الوظائف، فتوسط لدى ابراهيم بك الدفتردار، أحد كبار أرباب المناصب، ليعمل في خدمة والي مصر عبدي باشا، وقد وصف مرتضى بك لقاءه بهذا الوالي وأثنى عليه، لا سيما بعد ان أحسن هذا استقباله ورضي باشتغاله في ديوانه، فكلفه بالسفر الى بلاد الصعيد ليجبي ما كان نفروضاً على أمراء تلك البلاد من كميات كبيرة من الغلال، وقد وُفق مرتضى في مهمته أيما توفيق، وتمكن من جلب تلك الغلال الوفيرة الى القاهرة، مسجلاً وقائع لقاءاته بأمراء تلك المناطق، ومنهم حسن بيك حاكم ولاية دجرجا، وأباز محمد بيك حاكم ولاية منفلوط، ومشايخ عرب الهوارة في الصعيد، ومنهم الامير حسن الاخميمي، والشيخ حمد بن ريان، والشيخ احمد بن همام[2]، فقدّمت شهادته تلك صورة حية لما كانت عليه بلادهم في عصره. .

ثم أنه تقلب في المهام والوظائق، حتى صار في سلك الأغوات، كما ذكر هو نفسه في تضاعيف كتابه (الذيل) وهو الذي موضوع هذه الدراسة، والآغا مصطلح تركي كان يعني الضابط في قوات الانكشارية (الينكجرية) خاصة، فيكون قد تطوَّع في هذه القوات طلباً لما يتمتع به منتسبوها من إمتيازات كما فعل كثير من شبان المدن والقصبات في عصره[3]، ومع ذلك فإنه لم يُبد تعاطفاً من أي نوع مع مُنتسبي هذه

(1) تهذيب الاطوار/ الورقة 70

(2) تهذيب الاطوار، الورقة 102

(3) ينظر د. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000، ص42.

القوات التي يسميها طائفة الينكجرية. وقد ضُمَّ، أو إنضم، الى جملة أغوات والي مصر محمد باشا، وهو آخر الولاة الذين أرَّخ لهم . قال «ثم بعد ذلك حضرة الوزير خرج إلى ديوان قايَتباي وجلس لمصالح العباد، وجميع أغواته وأتباعه واقفون بين يَديه على أقدامهم، وأنا الفقير من جُملة أعوانه (كذا والراجح: أغواته)»[1].

ويفهم مما ساقه من أخبار الوالي المذكور أنه كان مقرباً منه، وربما كلفه من المهام ما لم يكلف أحدا به غيره. قال «حضر الوزير أرسل من طرفه ثلاث أعوات من أتباعه الذي يعتمد عليهم إلى منازل الأمراء المذكورين، ومن جملتهم الفقير، قد أرسلني إلى بيت أمير الحاج عبدالله بيك، وقال: بلغني أنه في منازلهم عسكراً، إذهبوا واكشفوا المنازل واجلسوا هناك، ثم اعلموني ولا تأتوا إلى أن يأتيكم مني جواب. مهما أمرتكم به افعلوا، فذهب كل منا إلى ما أُمروا به، فذهب الفقير إلى منزل عبدالله بيك، وكشف عليه، لم أر في المنزل غير أتباعه وبعض أنفار من خدم الخاصة»[2]. ودفع عن نفسه ما كان معتاداً لمثله أن يفعله، وهو المشاركة في نهب منزل احد الأمراء المصادَرين، فقال «لما أتوا هؤلاء الجماعة وتفتحت الأبواب قد أُنتهب شيء كثير لأن الناس قد هجموا في المنزل من كل طرف، أما الفقير – ولله الحمد- ما أخذتُ من المنزل شيئاً يساوي درهماً واحداً، وتعففت عن ذلك لعلمي أن هذا المال ما دام لصاحبه، فكيف يدوم لي، وعاقبته في الدارين وخيمة»[3].

ويظهر أنه كان موضع ثقة معاصريه، لأننا وجدنا أحد العلماء يقصده ليفسر له رؤيا رآاها في المنام[4]، ولو كان متهماً في ذمته لما قصده ولا اطمأن إليه.

على أن مرتضى بك هذا لم يكن ضابطاً فحسب، وانما كان متعلماً متابعاً لما كان يجري في زمانه من وقائع، شديد الاعتناء بتسجيل حوادثه أولاً بأول، ولاشك ان مصدر عنايته هذه كان تأثره الشديد بأحد مؤرخي عصره، وهو الشيخ يوسف افندي بن محمد ابي الحجاج، الملوي الشهير بابن الوكيل، وكان هذا عالماً أديباً من اهل القاهرة، له تصانيف عدة في الأدب، منها (تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب) وقد اختصر فيه كتاب (نفح الطيب) و(أحسن المسالك لأخبار البرامك)،

(1) تحفة الاحباب، الذيل ص265
(2) نفسه ص 269
(3) نفسه ص270
(4) نفسه ص269

و(بغية المسامر وغنية المسافر)، على أن اهم مؤلفاته هو كتاب (تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب) الذي أرخ فيه لمصر من العصور القديمة حتى وفاته سنة 1131، وهو الكتاب الذي أعجب به مرتضى بك الكردي أيما إعجاب وتابع ما سجله فيه من حوادث أولا بأول، حتى انه انبري لإكماله بنفس أسلوبه ومنهجه على نحو لا يكاد يختلف عنه إلا في أدنى الحدود[1].

وقد جمعت الصداقة الوطيبدة بين الرجلين، حتى وصف مرتضى بك صديقه الملوي بـ«صديقنا وخليلنا»، وترجم له بقوله «وممن تشرفنا بمجالسته، واكتسبنا من معاشرته، أكمل من في مصر، وقرة هذا العصر، الأديب الأريب، والخليل الحبيب، مولانا يوسف افندي الملوي، الواثق بجناب الإله القوي، الشهير بابن الوكيل، لا زال في حفظ المولى الجليل، وهو راضع ثدي الآداب وضمه، وحفطه في فكره السليم ولمه، واقتطف من كل فن أفضله، وترك كل شيء ما تدعه الناس وتبجله، مديد الباع، بسيط اليدَين في معرفة الخلاف والإجماع، خبيراً بمباحث الجدل، واستخراج مسالك العلل، متبحراً في علوم اللغة والإعراب، مطالعاً علوم البلاعة والخطاب، محيطاً بفنون البَديع، حافظاً للشواهد الشعرية، التي هي أبهى من زهر الربيع، شديد الرَميَّة سديد الإصابة...»[2]. ولا أدل على وفائه لصديقه من أنه نسخ كتاب صديقه المذكور ت، وهو (حفة الاحباب) على ضخامته حيث بلغ عدد أوراقه 241 ورقة كبيرة. وختمه بنص من عنده سجل فيه تاريخ وفاة صديقه بآخر خبر ساقه في كتابه، وهو «يوم الثلاثاء عشري شوال» من سنة 1131هـ. فقال «هذا آخر ما وجد بخط مؤلف هذا الكتاب وهو صديقنا وخليلنا المرحوم يوسف أفندي الملوي الشهير بابن الوكيل، تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى فراديس جناته بجاه سيدنا محمد وآله آمين».

ثم أنه استأنف كلامه بعد ذلك مباشرة معلناً عن قيامه بكتابة ذيل يكمل فيه كتاب صديقه فقال: «الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين. أما بعد فيقول العبد

---

(1) نشر كتاب (تحفة الاحباب) بتحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الافاق العربية في القاهرة سنة 1419هـ/ 1999م، ويقع في 242 ص، ويحتل الذيل الذي كتبه مرتضى بك الكردي الصفحات التالية من 242 إلى 271 (الأوراق 358- 403 من المخطوطة)، وثمة تعليقة تليه في اسطر قليلة فيها تتمة ولاية محمد باشا كتبها احمد فهمي رفاعة سنة 1142هـ/ 1739م.

(2) مرتضى بك : تهذيب الاطوار في عجائب الأمصار، مخطوطة برلين، الورقة 91

الفقير، والعاجز الحقير، مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقي، غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه ولسائر المسلمين أجمعين، آمين يارب العالمين: لما انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء مؤلف هذا الكتاب صديقنا وخليلنا يوسف افندي الملوي الشهير بابن الوكيل، تغمده الله برحمته الواسعة، وسقى تربته شآبيب رحمته الهامعة: أردت أن أكتب ما حدث بعده من الحوادث والوقائع في مصر القاهرة ليكون ذيلا لكتابه وتحفة لأحبابه، ولو كان هو في قياد الحياة، ما مات[1]، لألّف منها مؤلفات، وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض الحوادث والوقائع ونوردها بحسب الطاقة، أقول وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل» والعبارات التي ساقها في هذا النص الإفتتاحي تدلُ على شدة وفائه ومحبته له. كما أن من الواضح ان إكماله كتابه المذكور بهذا الذيل كان بمبادرة تطوعيّة منه، لا تلبية لوصية مؤلف الاصل.

بدأ مرتضى الكردي تاريخه للقاهرة متمماً أخبار شوال من سنة 1131 إلا أنه عاد بعد أن تمم تلك الأخبار فساق خبر وفاة أحد المشايخ في 27 رمضان من السنة نفسها، يظهر أن مؤلف الأصل الملوي فاته أن يُسجِّلها، لكنه استأنف بعدها الكتابة متماً أخبار شوال، مبتدئاً من 27 منه، وحتى شهر ربيع الأول من سنة 1136هـ، اي أنه تناول حوادث نحو خمس سنين، بتفصيل غطى خمساً وأربعين ورقة من الأصل المخطوط.

مصادره

بالنظر لقصَر المدة التي أرَّخ لها، وكونه قد عاصرها جميعاً بل شارك – بحكم وظيفته العسكرية– في مجرياتها، فإنه اعتمد فيما سجله على شهادته الشخصية، وعلى شهادات بعض من كان قريباً منها، مثال ذلك أنه حينما تكلم على رجل سرَّاج[2] كان قد استطاع الهرب من منفاه في قبرص ليصل منها الى دمياط، قال «وكان أهل الغليون (وهو ضرب من السفن) مُرادهم يأتون إلى ثغر دمياط فحملوه في صحبتهم إلى دمياط، فمدة فراقه من دمياط وعَوده نحواً من عشرة أيام أو أقل، ثم خرج من الغليون متنكراً، وكنت الفقير يومئذ في بلدة فارسكور[3] قريباً من ثغر دمياط أحصل إرز الميري من طرف حضرة الوزير المشار إليه، فأتى إلى عندنا هذا السرَّاج، وأخبرنا بما حصل له، ثم بعد ذلك ذهب إلى مصر متنكراً»[4].

---

(1) يريد: لم يمت

(2) السراج هنا التابع والمولى.

(3) بلدة قديمة من اعمال دمياط

(4) ص266

واعتمد ايضا على ما كان يطلع عليه، إطلاعا مباشراً او سماعاً، من الأوامر السلطانية المسماة (خط شريف) مما كان يرد إلى الولاة في مختلف الشؤون، فضلاً عن الأوامر التي كان يُصدرها الولاة أنفسهم، وفي الغالب فإنه كان يكتفي بتلخيص مضامين تلك الأوامر، ألا أنه نقل شيئاً من نصوصها أحياناً. من ذلك مثلاً قوله «وفي يوم السبت 16 محرم أبرز الباشا أمراً شريفاً قرئ بالديوان بقتل اسماعيل بيك امير الحاج، واسماعيل كتخدا جاويشان تابع ايواز بيك، وأظهر خطاً آخر بإمارة الحاج لمحمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير دفتردار مصر سابقاً».

ومنها تلخيصه (خطاً شريفاً) وصل الى والي مصر، مُوجَّه الى أمراء الصناجق المؤثرين فيها، وهم قادة المماليك الكبار، في قوله «وفي 12 شعبان ورد جوخدار الوزير وصحبته خط شريف خطاباً الى أربع صناجق يقول فيه يوسف بيك قائم مقام، محمد بيك أمير الحاج، احمد بيك دفتردارية الحزنة، احمد بيك الاعسر، إنكم تكونوا على أُهبة، وتحفظوا البلد وتفرقوا للفقراء جَوامكهم[1]، وكذلك غلال الحَرمَين فإن مدة رجب باشا صارت تعلقكم تخرجوا من عهدتها وبواقي علي باشا عهدتكم الى أن يأتيكم رد جواب عَرضكم صحبة محمد باشا مالك الختام سابقاً فإنه والي عليكم وإننا كما مُعيِّنين قبطان السابق إبراهيم باشا حين جاء عَرض رجب باشا، فلما جاء عرضكم عيَّنا محمد باشا صدر أعظم النشنجي من قلعة قنديا وأن يعطي محمد بيك أمير الحاج ثلاثين كيساً يستعين بها على الحج بحسب إنها رجب».

وقوله «في يوم الخميس 22 رمضان أبرز الباشا ثلاثة خطوط قرئت بالديوان على رأس الخاص والعام، أحدها مضمونه غلال الحرمَين، والثاني مضمونه على أنكم تحاسبوا رجب باشا على وجه الحق إن طلع له شيء تعطوه له، وان طلع عليه شيء تحاسبوا به محمد باشا يحاسبنا من الخزنة العامرة وترسلوه لنا على العجلة الى اعتابنا، والثالث مضمونه الذي نعلم به اهل مصر وصناجقها وأشرافها وعلمائها على انه سابقا ورد من رجب باشا عرض بمعرفتكم وخطوطكم وختومكم في حق اسماعيل بيك بأنه عاصي الله والسلطان وأنه مستحق الإزالة فأرسلنا لكم جواب عرضكم بالخروج من حقه لشهادتكم فيه بالفساد في الارض....الخ»[2].

---

(1) الجوامك هي الرواتب

(2) ذكر هذا الخبر معاصره أحمد شلبي في كتابه أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، القاهرة 1987، ص322 باختلافات يسيرة.

وقوله «وفي ثاني شوال اجتمعت الصناجق والأغوات عند الباشا في قَرا مَيدان[1]، وقالوا له: أخبرنا أنه جاء صحبتك خط شريف بالعفو لأهل مصر، فأخبرنا بذلك لأنه يوم عيد ويوم جبر[2] مبارك، فاقرأه علينا لأجل ما تطمئن نحن والرعايا وأهل البلد يطمئنوا بالعفو»[3] وقد لخص الوالي لهم ذلك الأمر ومنه أخذ مؤرخنا مضمونه[4]

واقتطف قطعة من أمر سلطاني يتعلق بمصادرة إثنين من كبار الزعماء وهي «الذي نُعلِم به محمد باشا وأعيان مصر، أنه باقي جهة أعيان مصر ألف وستون كيساً من بيع موجودات اسماعيل بيك الدفتردار واسماعيل كتخدا الجاويشية فلا بد من تحصيلهم وإرسالهم صحبة الخزينة العامرة»[5]. فهذه النصوص تدل على تقديره للوثائق بوصفها المصدر الاساس للتاريخ، نصاً كانت او تلخيصاً أو إشارة.

رتب مؤرخنا مادته التاريخية على وفق تعاقب الولاة، فهو يحرص على ذكر اسم الوالي، وتاريخ توليه الحكم، ومراسم استقباله، ثم يدرج بعدها ما حدث في عهده من حوادث، مرتباً إياها حسب السنين، والشهور، وأيام الشهر، ثم أيام الأسبوع، من ذلك قوله «وفي ثاني يوم الخميس 20 محرم»، و«في يوم الأحد 23 محرم» و«ليلة الاربعاء رابع صفر سنة 1133» وهكذا. وبعض ما أدرجه من حوادث استغرق فقرة أو فقرَتين، بينما قد تطول روايته أحياناً، لا سيما فيما شهد عليه بنفسه، حتى يزيد على الصفحة او الصفحتين. وكان يدرك أن في ما ساقه من حوادث من التفاصيل ما يزيد على ذلك بكثير، إذ صرَّح في مقدمته «ولو كان هو، يريد صديقه الميلوي، في قيد الحياة ما مات، لألَّف منها مؤلفات»[6].

الصياغة التاريخية

تشبه الصياغة التاريخية للكردي ما كانت عليه مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، التي يمكن ملاحظتها فيما كتبه الشلبي في أوضح الإشارات، والمنوفي

---

(1) من معالم القاهرة البارزة في العهدين المملوكي والعثماني، عرف بميدان صلاح الدين، ويقع بين قلعة الجبل ومدرسة السلطان حسن ومسجد الرفاعي، وعرف في العهد العثماني بقره ميدان اي الميدان الاسود. عبدالرحمن زكي: موسوعة مدينة القاهرة، القاهرة 1987، ص387

(2) في احمد شلبي: يوم خير.

(3) ذكر هذا الخبر أحمد شلبي ص325 باختلاف يسير.

(4) ص259

(5) ص262

(6) ص242

ومن ناحية أخرى فإننا وجدناه يُزيِّن النص أحياناً بأبيات من الشعر تناسب المقام. بل أنه عمد مرة الى اختيار أبيات لشاعر مصري سماه «الأديب اللبيب، واللوذعي الأريب،الشيخ محمد القليطي الأزهري»تؤرخ لتولي أحد القضاة منصبه[1].

اهمية الكتاب

الإطار السياسي

تناول الذيل الذي كتبه بقية من حوادث القاهرة في عهد الوالي علي باشا (تولاها من محرم 1130هـ/1717م، وأتم هو الحوادث التي جرت في أواخر ولايته من شوال 1131 وحتى 6 ذي القعدة من سنة 1132هـ)، ثم أتم حوادث عهدي الواليين التاليين، وهما رجب باشا (تولاها من 15 ذي القعدة من السنة المذكورة حتى 12 رمضان 1133هـ/ 1721م) ومحمد باشا (تولاها من 17 رمضان وحتى 1141هـ/ 1728م) وأرخ الكردي منها حتى شهر ربيع الأول سنة 1136هـ/ 1723م)، وتوقف بعد هذا التاريخ لسبب لا نعرفه.

أظهر مؤرخنا إحترامه للسلطة العثمانية في مصر، لا سيما وأنه كان نفسه أحد أدواتها،، فامتدح السلطان العثماني، ملحقاً إسمه بالدعاء له، كقوله عن السلطان أحمد الثالث «حضرة مولانا السلطان، احمد خان، حفظه المنان»، و«حضرة السلطان نصره الرحمن»، وقوله عن والي مصر علي باشا «رزقه الله من الخير ما يشاء» والإشارة الى واليها محمد باشا بلفظ (حضرة) وأمثال ذلك من الألفاظ والعبارات التي قصد بها الاعلان عن إحترامه لأولئك الحكام.

اهتم – على نحو خاص- بتتبع علاقة مصر بالدولة العثمانية، من الناحيتين المالية والعسكرية، ولاحظ تدهور هذه العلاقة نتيجة ضعف أوجاقات (صنوف) الإنكشارية السبعة، وهي القوات المثلة للدولة والحامية لسيادتها في البلاد، وأثر ذلك الضعف على موقف الولاة العثمانيين الذين كانوا يُعيِّنون فيها، من قوات المماليك المتجذِّر سلطاتها في مصر منذ أواخر عهد الأيوبيين وحتى تأسيس دولتهم بعد زال ذلك العهد، وهو يسميها بالصناجق، مقابل تسميته لزعامات الإنكشارية بالأغوات. وكان موفقاً في رصد الأزمة المتفاقمة بين المماليك وبين الوالي العثماني، وصعود شأن المماليك الى حد أن لم يبق للوالي العثماني إلا الرمز لا اكثر، ثم نشوب الصراعات بين زعامات المماليك نفسها.

---

(1) ص264

وعُني بذكر مناصب الولاة السابقة قبل شغلهم مناصبهم في مصر، فقال عن رجب باشا أنه «كان محافظاً لقلعة حلب الشهباء»، وعن محمد باشا بأنه «صدر أعظم سابقاً».

كما أورد في أحيان عدة أسماء حكام البلاد المصرية، مسمياً إياها (ولايات)، أو (نواحي)، منها حكام المنصورة، والشرقية، والغربية، والمنوفية، وجرجا، والبهنساوية وغير ذلك، مما يبقي ضوءاً على الإدارة في مصر عهد ذاك.

التاريخ الاجتماعي

تناول بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في القاهرة، ومنها سفر الحاج إلى مكة، وما كان يواجهه من مصاعب الطريق، وأهمها حوادث قطع الطريق من قبل الأعراب، ومظاهر الإحتفال باستقبال الحاج. وباستقبال الولاة المعينين وسائر المسؤولين، وما يلبسون، وما يخلعونه على الأمراء من نفيس الخلع، من ذلك قوله «ألبس الوزير علي باشا حمزة آغا المزبور قفطان الصنجقية»[1]، وقوله واصفاً قدوم الوزير محمد باشا أنه «لبَّس جميع الأمراء أكراكاً في قصر الحلي؛ ولبس إسماعيل بيك كُركاً من السمور من جوخ أصفر»، والسمور ضرب غال من الفراء، وقوله «ولبسوا الضلما لمصطفى باشا أوضا باشا»، و(الضلما) هنا ضرب من الجوخ. وتطرق إلى ما يحيط بمواكب الولاة وممثلي السلطة من أبهة وتفاليد[2]، ومنها الإحتفال بالمناسبات الخاصة والعامة، والإعلان عن وفيات العلماء، وما الى ذلك من المظاهر الاحتفالية التي كانت معروفة عهد ذاك.

وتناول بعض شؤون نقباء الأشراف، فأشار إلى أنه كان في وسع أشراف البلاد عَزل نقيبهم، وترشيح غيره لتولي هذا المنصب الرفيع، فذكر أنه «في يوم الخميس غرة رمضان عزلوا السيد ياسين نقيب الأشراف، وولوا السيد مصطفى الرفاعي»[3]

وقال «وفي يوم الاثنين 17 شوال أرسل الأشراف العَرض الذي كتبوه من جهة عزل نقيب الاشراف السيد ياسين، وطلب نقيب آخر، وأرسلوه صحبة السيد بركات والسيد محمد الجاويشان في باب نقيب الاشراف في مصر»[1].

---

(1) ص244

(2) ص257

(3) ص256

وتطرق إلى شؤون القضاة الذين كانت الدولة ترسلهم إلى مصر، ولاحظ أن بقاء القاضي في منصبه رهين- عملياً- بإرادة قادة فرق الانكشارية، فقال «وأرادوا عزل القاضي فلم ترض طائفة الينكجرية، وقالوا: يكون ذلك علامة العصيان»[2]. ويظهر أن الصناجق، وهم قادة المماليك، كانوا لا يرون في القاضي إلا ممثلاً للسلطة العثمانية، حتى أنهم اجتمعوا «في بيت أمير الحاج على تنزيل الباشا هو والقاضي»[3]، وأظهر ضيقه من أحد القضاة المعينين لأنه انتقد على نحو حاد أهل بلاده فقال «وكذلك القاضي محمد كتخدا زاده بقول: أنا ما جئت إلى مصر إلا لأجدد لأهلها دينهم، فإنهم كفروا وارتدوا، ونعوذ بالله من قوله وما قال!»[4]

وفضلاً عن ذلك، فإنه أشار إلى فئات عليا في المجتمع القاهري، يأتي في مقدمتهم الأشراف، والعلماء، والسادات البكرية، والسادات الوفائية.

وبحكم منصبه العسكري فقد أظهر معرفة واسعة بالتنظيمات العسكرية في مصر، سواء ما كان للينكجرية او للمماليك، ولذا فقد حفل كتابه بأسماء المناصب العسكرية المختلفة، مثل الصناجق، وهم قادة المماليك، والصناجق المحمودية، نسبة الى أحد قادتهم، وطائفة السباهية، وهم الفرسان الإقطاعيون، والتنفنكجية، والدلاة، وهم رجال المهام الصعبة، وطائفة كوكليان، وبلوك الكومالية، وكتخدا الداودية، وهم من الينكجرية، وكتخدا الكدك، وهو رئيس اصحاب الوظائف العسكرية، والمهترخانة، وهي فرقة موسيقى الجيش، والقابجية وهم البوابون، ووظائف مثل: مالك الاختام، وكتخدا الوزير، ومقدم الطوائف، واغا المتفرقة، وأوجاق الجاويشية، وجاويشية الأبواب، واغاة المستحفظان، واميراخور كبير، وهو مدير الاسطبل، والعزَب، وهم مشاة عساكر الآيالات، والخاصكية، وهم خدم القصور، وكتخدا الجاويشية، والمطَرجية، وهم سُقاة الجيش، ومثل هذه المناصب والوظائف يلقي ضوءاً على التشكيلات العسكرية القائمة في مصر في ذلك العصر، وطبيعة علاقاتها بادارة البلاد.

---

(1) ص261

(2) ص256

(3) ص250

(4) بلدة قديمة من اعمال دمياط

ولم يفت مؤرخنا أن يذكر بعض وفيات أعلام القاهرة على وفق تواريخها، محدداً إياها – غالباً– باليوم والشهر والسنة، من ذلك مثلا قوله «وقبل هذا التاريخ توفي عالم الحنفية ورئيسهم الشيخ أحمد الدقدوسي في يوم الأحد 16 محرم سنة 1133، والشيخ العمدة الحنفي السيد علي اسكندر مفتي الحنفية بالديار المصرية توفي 5 صفر سنة 1133

وقوله «وفي هذا التاريخ المذكور توفي الشريف عبدالكريم شريف مكة، ودفن في قبة قايتباي. والشيخ عبدالوهاب الشنواني الشافعي يوم الخميس السابع والعشرين من رمضان»[1].

وفي 25 رمضان يوم الاحد، توفي عالم الإسلام مفتي المالكية الشيخ عبدالوهاب الصعيدي، وطلعوا له على المنارات، وكان له مشهد عجيب»[2].

ولم يقتصر في وفياته على العلماء فحسب، وإنما تناول بعض كبار قادة العسكر، من ذلك مثلاً قوله أنه «في 20 جمادى الآخر توفي علي كتخدا الداودية باشب اختيار طائفة مستحفظان، والشيخ العمدة الشيخ محمد البرماوي الشافعي ساكن الشيخونتين».[3]

وأثنى على قاضي مصر أحمد أفندي الشهير بعثمان زاده، فقال انه «رفع عن أهلها بقدومه العناء والعنصر، وسلك مع أهلها غاية السلوك حتى كان يحكم بالعدل بين الغني والصعلوك»[4]

التاريخ الاقتصادي

وفي الكتاب إشارات إلى الادارة المالية في مصر، تتناول طريقة جباية الضرائب عن البلاد المصرية، حيث كان أمراء المماليك يتولون هذه المهمة منذ أول الادارة العثمانية عن طريق موظفين يعرفون بالكُشّاف، وقد أشار مؤرخنا الى بعض اولئك الكُشاف في عهده، والأعمال المناطة بهم، والتزامهم تحصيل الضرائب من البلاد،

(1) ص244

(2) ص258

(3) ص254

(4) ص264

ومقادير بعضها. وكان لبسهم القفطان يمثل تقليداً يشير الى توليهم هذه الوظيفة. فقال مثلا «وفي عاشر شوال لبس محمد بيك ابن المرحوم ابراهيم بيك قفطاناً على دجرجا[1]، وأرسلوا الى أباظا بمنصب المنية[2] ومَنفلوط[3] فأبى، وقال: أن كان من تضع عني من كشفها عشرة أكياس وسبعة آلاف أردَب أخذهما، فأبى الوزير، وأرسل الى غيطاس بيك الاعور وألبسه قفطاناً على المنية ودجرجا ومنفلوط»[4].

وأشار إلى عدد من ملتزمي القرى والبلدات في الريف، ومنها ملتزم بلدة فارسكور، وملتزم بلدة السِّنيلاوين، وغير ذلك.

وعُني مؤرخنا بذكر أسعار المواد الغذائية في سوق القاهرة، لا سيما الحنطة والفول بوصفهما المحصولان الأساسيان في البلاد، فذكر انه لما «قدم رجب باشا على مصر واستبشرت الرعية من أهل مصر لأن القمح كان بثمانين فضة الأردب، والفول كذلك، فصارت الغلال تنزل في سعرها الى أن بيع القمح الطيب الجيد بخمسة وثلاثين نصفاً او ستة وثلاثين أعلى السعر وما بعد بخمسة وعشرين، والفول بثمانية وثلاثين فضة الى قدوم محمد باشا»[5].

وشغلت الكميات الكبيرة من الغلال التي كان يتوجب على مصر إرسالها الى الحرمين الشريفين لاعانة فقرائها جانباً من اهتمامه، فقد تعيَّن على بعض الملاك من قادة المماليك تصدير كميات محددة منها في كل عام لإرسالها الى هناك، فتناول أخبار إرسالها، وتأخرها، وكمياتها، وأسماء مصدريها. من ذلك قوله في بعض أخبار سنة 1133 «في يوم الخميس سادس شوال قرئ بالديوان ثلاثة خطوط، واحد بغِلال مكة، والثاني بغِلال المدينة التي هي الدشائش، وأن أهل المدينة أرسلوا عرضاً بهذا السبب من جهة الغلال التي هي مكسورة جهة فيطاس بيك المتوفى سنة 1127، ومن إبراهيم بيك أبو شنب، ومن جهة ابنه إبراهيم بيك، ومن جهة يوسف بيك الجزار،

---

(1) هي جرجا وكانت مركز ولاية باسمها تمتد حتى بلاد النوبة وهي اليوم من محافظة سوهاج.

(2) مركز محافظة المنيا حالياً.

(3) من اعمال اسيوط.

(4) ص363

(5) ص260

وقدرها اثنان وعشرون ألف أردب لابد من تحصيلهم وأرسالهم صُحبة الخشب في هذا العام، والثالث بالتوصية على أهل مكة والمدينة، وتشهيل غلاتهم ومرورهم على المعتاد»[1].

وتطرق الى العلاقة المالية مع الخزينة المركزية في الدولة، فمما ذكره في هذا الشأن ان الوالي حينما أراد سداد مبلغاً قدره ألف وستون كيساً الى الدولة العثمانية أمر الدفتردار ويوسف بيك بتدبير المبلغ، فاضطر هذان الى الاجتماع بالأمراء والإختيارية «فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا الالف وستين كيساً بلوصا[2] (اي بوليصات) الى التجار الكائنين في القسطنطينية»[3] مما دل على أن دفع المال كان يجري من خلال تحويلات مالية او صكوك يدفعها التجار المصريون في القسطنطينية، لا أن تدفع نقداً، كما دلّ أيضاً عن حجم التعاملات المالية بين التجار في مصر والعاصمة العثمانية. .

وتناثرت في الكتاب أسماء العملات التي كانت متداولة في مصر في عهده، ومنها (نصف فضة ديواني)[4]، و(العثماني) وهو الدرهم العثماني المعروف رسميا باسم (آقجة) اي المبيضة بسبب غلبة الفضة عليها، وجمعها (عثامنة)[5] وهو جمع غريب لم نجد مثله في المصادر المعاصرة، و(الزلاطات) جمع لكلمة (زولوطة) و(الإخشاوات) وهي من العملات الفضية، و(الكيس)[6] و(الكيس الديواني)،[7] و(الجَنزَرلي) وهي عملة ذهبية قال « 6 آلاف ذهب جنزرلي»[8].

ونظراً لتعلق أمر منسوب مياه النيل بالحياة الاقتصادية عامة، فإنه عُني – كأكثر المؤرخين المصريين- بمقياس النيل، ويسميه بحراً، فقال «وفي رمضان كان البحر

(1) ص259

(2) ذكر معاصره أحمد شلبي ص337 هذا الخبر في رواية مشابهة، إلا أن المبلغ فيها هو «السبعماية كيس».

(3) ص262

(4) ص246

(5) ص 251

(6) ص 252

(7) ص250

(8) ص251

زائداً، فتوقف 15 يوماً ولم يزد في تلك المدة قيراطاً واحدا ثم بعد ذلك صار يزيد قيراطين او ثلاثة»[1].

وأرخ وفاء النيل[2]، بحسب التقويمين الهجري والقبطي، والاخير هو المستعمل لدى زراع مصر، فقال «وفي يوم الخميس 6 شوال الموافق لعاشر مسرى [يقابل كانون الاول] وفا النيل المبارك وجبروه ثاني يوم الجمعة بعد أن اخذ الناس من الخوف ما أخذهم وتوقف عن الزيادة ثلاث مرات، في اول مرى 15 يوماً، والثاني 5، والثالث 3، وكانت ايام الزيادة الاخيرة فيها الوفاء والحمد لله»[3].

وقال «وفي رابع شوال الموافق لرابع مسرى وفا النيل، وجبر ثاني يوم الوفاء».

وفي الكتاب اشارات إلى وقفيات رئيسة كان ينفق منها على جملة من أوجه الخير، منها (وقف الدشيشة)[4] و(وقف الخاصكية) و(وقف المحمدية). وكان تولي إدارة هذه الأوقاف يجرى بخط شريف من الدولة، وليس من ولاة مصر، قال «وأبقوا الدشيشة باسم مصطفى بيك لكونه معه بها خط شريف، وذلك في غرة ربيع الأول سنة 1133»[5]، ومثل ذلك قوله «منعت طائفة العزب علي بيك من التصرف في وقف الخاصكية لما تحققوا أنه لم يكن معه خط شريف وإن الذي معه فرمان الوزير»[6].

معالم القاهرة

للمؤرخ مرتضى الكردي، كصديقه الملوي، خبرة واسعة بخطط القاهرة، فهو حريص على وصف المسرح الجغرافي الذي يدور فيه ما يصفه من حوادث، بما يتضمنه من حارات ومساجد وتكايا وقلاع وبرك وقصور وسائر المعالم الاخرى، فترددت في كتابه أسماء قصر الحلي، حيث يُستقبل الولاة عادة، وباب النصر، والبركة، والجنبلاطية، وقصر يوسف، وباب الينكجرية، وقره ميدان، والمولى خانه،

---

(1) ص 260

(2) يعني وفاء النيل أنه وفى بالمياه الكافيه وقت فيضانه .

(3) ص261

(4) هذه الاوقاف كانت تختص بالحبوب المطحونة التي يجري ارسالها إلى الحرمين منذ العصر المملوكي.

(5) ص 256

(6) ص261

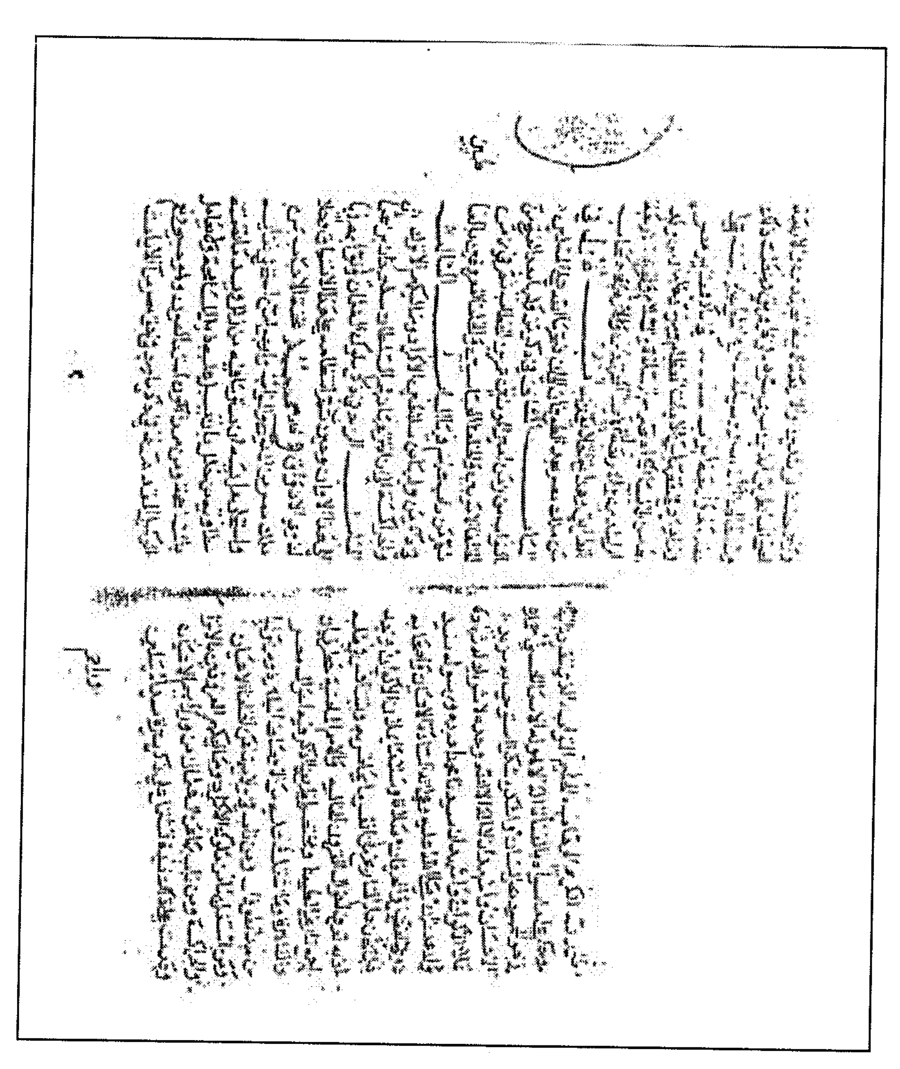
والرميلة، والمحمودية، ودرب الجماميز، وباب الجبل، والأزبكية، وقلعة الكلاب، وكوم الشيخ سلامة، ومعمل البارود في الأزبكية، وبيت أبو الشوارب، والعادلية، والصليبية، ودار الضرب، وجامع السلطان حسن، وغير ذلك. وتوقف عند خبر عمارة الجامع الازهر فذكر أنه «في يوم الخميس آخر يوم من رمضان سنة 1133هـ تم بناء الجامع الازهر، وغسلوه وفرشوه بالحُصُر الجديدة ليلة العيد، وكانت مدة عمارته 151 يوماً، لأن ابتداء العمارة من 2 ربيع الاخر المكرم سنة 1133 وجملة المال الذي جاء من طرف السلطنة 46 كيساً ديوانياً، فلم تكف العمارة، وأتم بقية بنائه الامير إسماعيل بيك أميو الحاج من عنده 13 كيساً من السقف والابواب والمقاصير وترميم الفسقية، وعلوا الفسقية عن القديم قدر ذراع كامل، وبدلوا العِمدان الخشب التي في بحرة الترك (يريد رواق الاتراك) بعمدان من الحجر، وصلوا فيه صلاة العيد»[1]

وقال في عمارة إحدى السقايات «وفي خامس رجب ابتدأ علي باشا – رزقه الله ما يشاء- في عمارة السبيل الذي في ديوان الغوري، وتم في آخر شعبان سنة 1132»[2].

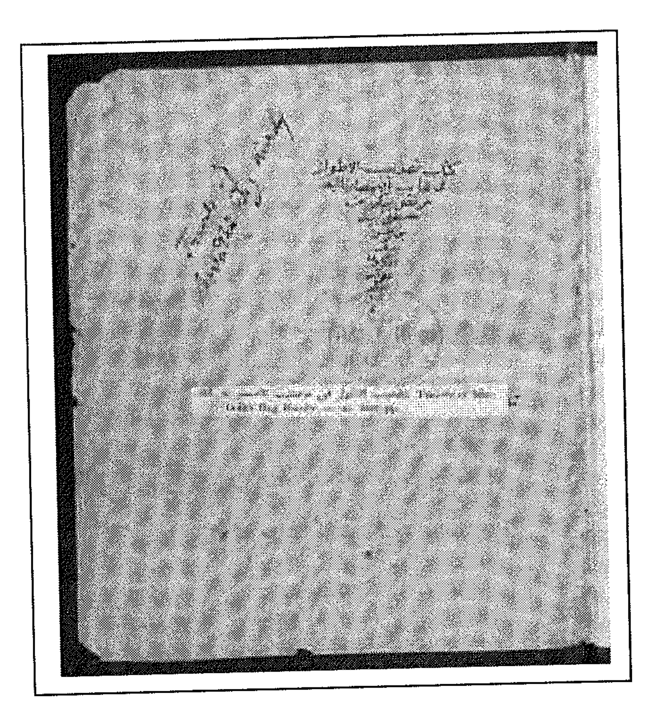
الورقة الاخيرة من المخطوط وهو بخط مرتضى الكردي

(1) ص258

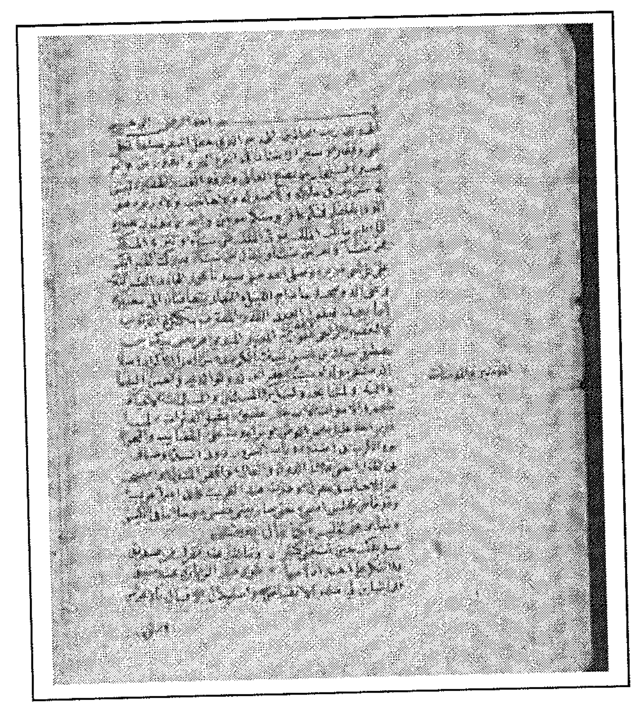
(2) ص244



الورقة الاولى من مخطوطة (تحفة الاحباب) للملوي بخط صديقه مرتضى الكردي



ورقة العنوان من مخطوطة (تهذيب الاطوار)



الورقة الاولى من مخطوطة (تهذيب الاطوار) لمرتضى بك

رحلة اللحافي البغدادي من بغداد إلى اسلامبول
سنة 1297هـ/ 1879م

قام بهذه الرحلة في سنة 1297 هـ/1879م، رجلٌ بغدادي سمى نفسه (السيد أحمد أفندي اللحافي)، قاصداً إستانبول لشأن من شؤونه لم يشأ أن يذكرَه في رحلته، ومن المحتمل أنه أراد التوصل إلى بعض الوظائف الشرعية من خلال توسطه شيخ الإسلام في الدولة العثمانية؛ فإنه قصده بالزيارة، وتقرَّب إليه، على ما يُفهم من كلامه.

وعلى الرغم من عدم وقوفنا على ترجمة له فإن في وسعنا أن نكوِّن تصوراً عاماً لثقافته من خلال رحلته نفسها؛ إذ كان أبوه -كما يفهم من لقبه – ممن يمتهنُ صناعة «اللحفان، جمع: لحاف» ببغداد، وإليها نُسب، وأنه كان معدوداً من «السادة»؛ أي: من أسرة تنتسب إلى آل البيت النبوي[1]، وذكر في رحلته عن قرية (عين قباقب) القريبة من دمشق أن هذه القريةَ كانت «محل كرامة أجدادنا»، مما يفهم منه أنها موطن أسرته الأول قبل أن تنزحَ منها إلى بغداد.

وقد نال قسطًا من التعليم أهلَّه للتعرف على عدد من الشخصيات البارزة في مدينته، وشُغف بدراسة الإسطرلاب، وفنون (الهيئة) القديمة، حتى إنه كان يصطحب معه إسطرلاباً في رحلته، يستخدمه لإشباع هوايته في قياس ارتفاعات الأرض، ومن الراجح أنه عمل (مؤقتًا) في بعض مساجد بغداد، وهي مهنةٌ كانت تختص بضبط أوقات الصلاة؛ فإن ولداً له اسمه عبدالحليم، كانت له اهتماماته نفسها، وعمل مؤقتًا في جامع السراي ببغداد[2].

---

(1) ذكر لي المرحوم جواد بن السيد هبة الدين الشهرستاني (المتوفى في 4 آب 2005م) أن عبدَالحليم بن أحمد اللحافاتي لم يكن يتحدَّث عن نسبه، وقد سأله بعض شيوخ عشيرة (العصامات) في مجلس السيد هبة الدين عن نسبه، فاكتفى بالقول: إنه (من بني آدم)؛ تواضعاً منه فيما يظهر، وذكر بعضُ من ترجم لولده عبدالحليم أنه ابن أحمد بن خلف، فأثبت اسمَ أبي السيد أحمد صاحب هذه الرحلة التي نقوم بنشرها، وأن نسبه يعود «إلى الصوفي المشهور بشر الحافي»، ينظر يونس إبراهيم السامرائي: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر، بغداد 1402هـ/ 1982م ص242–243، هذا بينما تكشفُ المخطوطة أنه اللحافي، بإثبات اللام الثانية، نسبة إلى صناعة اللحف، وهكذا كان معروفاً لدى أهل بغداد في عصره.

(2) ولد عبدالحليم ببغداد سنة 1276هـ/ 1859م ونال تعليماً جيداً في بغداد وإستانبول، مكَّنه من تولي القضاء في بعض المدن العراقية، وانتخب نائبًا عن بغداد في مجلس النواب العراقي، وكان له شغف

سكن أحمد اللحافي في بيت كان يقع في محلة الميدان في بغداد، قرب مدخل شارع الرشيد اليوم؛ حيث كان له مجلس يحضره البغداديون، وقد ورث ابنه المذكور هذا المجلسَ، فلبثُ يعقدُه كلَّ أسبوع حتى وفاته.

ويفهم من قصيدة أثبتها بعضُ معاصريه في آخر كتاب رحلته، بعض اهتماماته الأخرى، وأبرزُها الموسيقا، وربما الغناء أيضًا؛ فهو «بلبل الألحان»، وله أيضًا شعرٌ وُصف بأنه «ممتاز[1]»، ولكن لم نقفْ على شيء من هذا الشعر، ونحن نستكثره على الرجُل؛ فإن لغته التي كتب بها رحلته وأسلوبه، وأفكاره، لا تدل على علو كعب في أي من تلك المجالات، كما لا تشير محاوراته مع معارفه، مما أثبته في ثنايا رحلته، على نباهة خاصة، أو دقة فكر.

وعلى الرغم من أنه عمل في أثناء إقامته بإستانبول مُدرِّسًا في بعض مدارسها إلا أنه لم يكن معدودًا بين المدرِّسين المبرزين، فعمله ذاك لم يكن إلا بتوسط من شيخ الإسلام نفسه، ومعظم مَن التقى بهم في أثناء رحلته لم يتعرفوا عليه إلا بجهد، بل إنه اضطر إلى تعريفهم بنفسه أحيانًا، ولسنا نعلم أنه كتب شيئًا غير تدوينه وقائعَ رحلته من بغداد إلى إستانبول، وحتى هذه تكاسَل عن وضع مقدمة لها - كما ذكر ناسخ مخطوطتها السيد أحمد شمس الدين الآلوسي - مما دفع بالأخير إلى القيام بهذه المهمة، وكتابة مقدِّمة مناسبة.

لم يحدِّد اللحافي زمن قيامه برحلته، بيد أن من الميسور معرفةَ ذلك؛ فإنه أشار إلى لقائه بوالي دمشق مدحت باشا، ومن المعلوم أنه تولاها سنة 1295 رومية 1297هـ /1879 م، وصرح بأنه التقى بواليها الجديد أحمد حمدي باشا، وقد تولاها في ذلك العام.

وتكشف رحلة اللحافي عن الطريق المتخذ في أواخر القرن التاسع عشر للسفر إلى العاصمة العثمانية، مع تحديد لمراحل هذا الطريق ومحطاته، وذلك على النحو الآتي: السير برًا من بغداد إلى بيروت، عن طريق: أبو غريب - الصقلاوية - الرمادي

بجمّع الكتب، ومنها مخطوطات نادرة، أهديت بعد وفاته إلى مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، وله مؤلَّفات، منها: مجموعة سماها (مجموعة الحافي)و(عمدة الكتاب)، ورسالة في فن الوراقة، وعمل مدرسًا في جامع السراي ببغداد حتى وفاته سنة 1362هـ/1943م، وكان يحوز على إسطرلابات، منها ثلاثة من البرونز، محفوظة اليوم في المتحف العراقي؛ ينظر الدليل الرسمي للمملكة العراقية لسنة 1936 ص901، الزِّركْلي: الأعلام ج3 ص283، وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة، ج1، بغداد 1965، ص 185، ويونس السامرائي: تاريخ علماء بغداد ص 242.

(1) الرحلة، الورقة 14.

- هيت - جُبّة - حديثة - الفحيمى - عنة - النهية - القائم - البو كمال - الصالحية - الميادين - الدير - تدمر - عين قباقب - صخنة - أبو الفوارس - القريتين - عطنة - جرود - دوما - دمشق - زحلة - بيروت، ثم الإبحار منها إلى إستانبول، مرورًا بقبرص - رودس - أزمير - مضيق كالى بولى.

ويختلف هذا الطريق - وجه عام - عما كان يسلكه بعض البغداديين في سفرهم إلى إستانبول منذ عهد بعيد، حينما كانوا يجتازون جبال طوروس في مسالك عدة، فإنه - كما لاحظنا - سلك طريقًا صحراويًا مباشرًا من البوكمال فدير الزور (عند الحدود العراقية السورية الحالية) ثم إلى دمشق، ومنها إلى بيروت حيث ركب سفينة، أو بالأحرى باخرة، أقلَّته إلى قبرص، ومنها إلى أزمير فإستانبول بحرًا.

وليس من العسير توضيحُ أسباب هذا التغيير في الطريق، فتوفُّر حدٍ أدنى من الأمن، وتنامى سلطات المدن، وتحسُّن السفن، واستقرار خطوط الملاحة البحرية - كانت كلها وراء أرجحية هذا الطريق لدى مسافري تلك العهود.

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة تحفل بأسماء الأشخاص الذين التقى بهم المؤلِّف أثناء رحلته، ومنهم ولاة وقادة عسكريون، وموظفون رسميون آخرون، وعلماء وأعيان وغيرهم، وهى لا تخلو من انطباعات شخصية عما مَرَّ به من معالمَ، وما لقيه من صعوبات.

والنسخة الوحيدة المعروفة اليوم من هذه الرحلة، تَحتجنُها خزانة دار المخطوطات العراقية ببغداد، تحت العدد (3346)، وهى بخط السيد أحمد شمس الدين الآلوسى، نقلها عن نسخة المؤلف «التى أملاها وصنَّفها» نقلاً حرفيًا بما فيها «من إملاء وتحرير وإعراب وبناء وتقرير وتسطير»؛ ولذا لم يُصلح منها شيئًا من الأخطاء الإملائية والنَّحْوية العديدة التى تحفل بها، بيد أنه أضاف عليها مقدمة من إنشائه «جَريا على العادة؛ لتكون عند ذوي الألباب مستجادة».

وكان لابد لنا - عند نشرنا هذه الرحلة - أن نصلح من أخطائنا الظاهرة ما وسعنا إصلاحُه، إلا أننا نبَّهنا إلى ذلك في مواضعه، ومنها استطرادات قليلة قد أخلَّت بالسياق وأربكَتْه، فحذفناها وأشرنا إلى ذلك أيضًا[1].

---

(1) كنا قد نوهنا بهذه الرحلة في كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط:2 لندن 2009، ص 280- 281؛ ونشرنا نصها في مجلة المورد التي تصدرها وزارة الثقافة في بغداد،

نص الرحلة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، ومنحه عقلاً امتاز به عن سائر الحيوان، وعلّمه ما لم يعلم، وفهّمه ما لم يفهم، والصلاةُ والسلام على من أسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى حظيرة القدس فكان قاب قوسين (أو أدنى)، ورأى من آياته الكبرى ما لا تكاد تحصى، فعاد منشرح الصدر قرير العين وعلى آله وأصحابه نجوم السائرين[1] إلى طريق الهدى، والمرشدين إلى سواء الطريق ما أظلمَ ليل، ولاح ضوءُ صبح وبدا.

وبعد، فقد رأيت رحلة الفرد الذي ما تثنى في مرآة الزمان لناظر، والأوحد الذي كَلّ لسانٌ عن سرٍّ مناقبه؛ لما حازه من جم المآثر، ذي الذهن الواقد، المُجمع على فضله على رغم أنف الحُسّاد، الذي عَزَّ عن شبيه في الظاهر والخافي، حبيبنا وأنيسنا السيد أحمد أفندي اللحافي، أحد المدرسين المشار إليه في بغداد المحمية، بلّغه الله كل أمنية، وذلك فيما جرى له وعند سفره إلى فروق[2]، فكان الفرق بين رحلته وبين رحلة غيره من الفضلاء كفرق الصبح يَروق؛ بيد أنه بعد أن أتمّها، ورصّع جيدها بلآليها[3] ونظمها، ولم يُحلّها بديباجة، فهي كعروس لم تُزيَّن بخضاب، ولا جُليت عن منصة الأنس كالغادة من الأتراب، فحلَّيتُها بهذه الديباجة؛ ليَروق حُسنها، ويعلوَ قدرها وشأنها، لدى من رام أن يكحِّل ناظره بإثمد سوادها عند مطالعته لها، ويقف على ما أودع فيها من البلاغة وسكب العبارة فيزداد بها شغفًا ووَلَهًا، فقال - لا فُضَّ فوه، ولا برح من يجفوه-

بسم الله الرحمن الرحيم

خرجنا يوم الخميس بكرة من النهار غُرَّة شعبان[4] من الزوراء، فتوجهنا إلى الشام، مرفقين معنا خمسة أنفار من طرف الحكومة لمحافظتنا، وكان معي عماد

المجلد 18 العدد 4/1989 ص203-215، وقد عدنا إلى تلك النشرة، فراجعناها ونقحّناها، وأضفنا إليها تعليقات جديدة، وزدنا في مقدِّمتنا ملاحظات ما يوضح هوية مؤلفها، وغير ذلك.

(1) في الأصل: السادين.

(2) أحد أسماء مدينة القسطنطينية أو إسلامبول .

(3) في الأصل: بواليها .

(4) الموافق 9 تموز سنة 1879م.

الدين يشيِّعنا، فبينما نحن سائرون نزلت عن مطيتي، وركبت يعفور[1] عبدالحليم[2]، وعبدالحليم عماد الدين ركب مطيتي.

أبو غريب

فلما دَنينا[3] من أرض أبو غريب[4]، رأى الجنود بطيخًا أخضر، وساروا إليه حتى يجنوا منه للأكل، وهو معمول في الخدود، وجداول الماء تجري.

وأنا قلت لهم: تنحَّوا عن هذا الطريق، ولا يجوز لكم الأكلُ من هذا البطيخ، قالوا: يا سيدنا، نبتاعه بالدراهم، فدخلت خيل الجنود في الجدول، وهربت مطية عبدالحليم في جدول من الجداول، فوثب عبدالحليم عن ظهرها كأنه فهد، والجَمَّال يقول: واجملي! واجملي! انكسر جملي، وأنا قلت له: عليَّ بالظمآن، لا تخف ولا تحزن؛ إن الله معنا، ثم نهضَت المطيَّة وخرجنا سالمين، غير أن الغرار[5] الذي فيه متاعنا، والخبز والسكر صار عجينًا، ثم ألقيناه، فأقبل عليه الجنود يأكلون منه، ويقولون: يا سيدنا، هذا دقيق ملوَّن بسكر، فقلت لهم: هنيئًا مريًا!

فبعدما قضوا وطرهم بالعجَل، ركبنا مطايانا وتوجهنا إلى مدير (أبو غريب) محمد شواف زاده،[6] فأتينا إليه، ونوَّخنا مطايانا بباب خيمته، فقابلنا بالترحيب والتكريم والتبجيل، ومعه ولده عبدالرزاق، فقال لي: يا جدي، ما هذه الساعة المباركة التي أتت بك؟ ثم قبَّلت بين عينيه، فكان جلوسنا عنده ست ساعات، ثم صلينا المغرب، وودعت ولدي عبدالحليم، وعبدالرزاق ووالده محمد علي أفندي.

---

(1) اليعفور: الظبي، يريد به الجمل الذي كان يركبه ابنه.

(2) ولد ولده عبد الحليم في بغداد سنة 1276هـ/ 1859م فيكون عمره في وقت قيام والده برحلته هذه نحو عشرين سنة.

(3) الصواب: دنونا.

(4) أرض زراعية واسعة في غربي بغداد، ولا يعلم من هو أبو غريب هذا، ونرجح أن يكون صحيح الاسم (ألبو غريب) اسم لإحدى العشائر التي سكنت هناك، ومن المعالم الأثرية المهمة في هذه المنطقة تل أثري يسمى بتل (العليمي)، يرقى إلى العصر البابلي القديم، وقد أنشئ في أرضه سجن أبي غريب الشهير؛ كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2004، ص128.

(5) جمع غرارة وهي القرية.

(6) هو محمد علي بن عبدالرزاق الشواف، الأسرة البغدادية الكرخية التي انحدرت من دير الزور في القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، نوه به السيد محمد سعيد الراوي في تضاعيف ترجمة أبيه؛ تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط1، بغداد 1997 ص246.

الصقلاوية

وتوجهنا نحو الصَّقلاوية[1]، فلما أتيناها نوَّخنا مطايانا عند مدير التيل[2] حيدر أفندي، فجلسنا مع حيدر أفندي برهة من الزمان، وإذا حسن بك قائمقام من أمراء العساكر[3] المنصورة مُقبلٌ من الشام ودخل علينا، فلما رأيته نهضت وقبَّلت بين عينيه، فجلسنا معه مقدار ساعتين من الزمان، ثم نظر إلى ولدي محمد، وقال: ما هذا الشبل الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي محمد أخو عبدالحليم.

عبور الفرات

وسرنا نحو الفرات، ثم أتينا الفرات، فقدّموا لنا فُلكًا حتى نعبر نحوالشامية[4]، فلما أدخلنا مطايانا في الفُلك، وإذا قوم من عشيرة[5] الدليم يريدون أن يدخلوا[6] معنا للعبر، والجنود ما رضوا أن يدخلوا معنا، وصارت منازعة بين الفريقين، الجنود يقولون: لا تدخلوا، وهم يقولون: ندخل، فأخذ[7] الجنود أيديهم إلى سلاحهم، وكذلك القوم، وأنا أصلح بينهم[8]، وإذا عجوز شمطاء زلاء[9]، منّطيق تقول: الفتنة من هذا الشُّوَيخ، فلما قالت هذا الكلام، وابنها كذلك تفوَّه في هذا الكلام، وكان معنا خادم اسمه محمد جاويش متوجهًا إلى إستانبول، لما سمع الكلام من ابن العجوز، وكان في يده

---

(1) قرية تقع على نهر الفرات اتخذت في أواخر العصر العثماني مركزًا لوحدة إدارية باسم (الصقلاوية – الفلوجة)، ووصف الأب أنستاس ماري الكرملي الصقلاوية في أثناء رحلة له سنة 1886م (1304هـ) بقوله: «هي قرية صغيرة، فيها قليل من الخضر، تزرع في بساتين صغار بلا أشجار، وبضعة أسواق، وهي مبنية على نهر الفرات على شكل الأزج"، وقال في الهامش «في الصقلاوية 249 نسمة، و45 دارًا و3 خانات و4 قهاوي، وهي مديرية الحكم، ليس فيها جامع ألبتة، وفيها مركز للتلغراف، وبعض أهلها ينامون في دكاكينهم (مخطوط كان في مكتبة الدراسات العليا بآداب بغداد برقم 244، وهو اليوم في دار المخطوطات العراقية، الورقة 8).

(2) أي مدير التلغراف.

(3) في الأصل: عساكر.

(4) أي: الجانب الغربي من الفرات.

(5) في الأصل: عشيرت.

(6) في الأصل يدخلون، تدخلون.

(7) في الأصل: فأخذوا.

(8) في الأصل: بينهما.

(9) الزلاء: الخفيفة الوركين، أو هي القوس التي يزل السهم لسرعة خروجه، كناية عن سرعتها في الكلام.

دَنبُوس[1] فضربه تحت إبطه فأغمى عليه، فسمع يوزباشى[2] الجنود حيدر أغا، فقال: ياشيخ، ما هذا الأمر؟ فقلت: الجناية من الجنود، ثم بَدّل الجنود، فقال[3] القوم: جزنا[4] عن دعوانا، ولو ألف رجل يموت لحُسن كلام الشيخ، ورئيس القوم كان محمد الأعرج المعروف بالطوبال[5]، فبعد ما عبَرنا ركبنا مطايانا وتوجهنا الى الطوبال فنزلنا عنده، وبتنا ليلتنا، وكانت بئس الليلة؛ لأنه رجل دنيءٌ ما يلتفت إلى حق[6] الضيف.

الرمادي:

وتوجهنا نحو الرمادي[7]، ونزلنا عند قائمقام الدليم أحمد أفندي[8]، فقام مستقبلاً لنا بالترحيب والتبجيل، وكان الوقت الشمس في رابعة النهار، فجلسنا معه، ثم أتانا بغذاء، فأكلنا وشربنا معه، فسمع بنا طه أفندي شواف زاده[9] فقال: مرحباً بكم، فذهب بنا إلى بيته، فبتّنا عنده تلك الليلة، فلما مضى ثُلثا الليل، قُدِّمت لنا مطايانا، وتوجهنا نحو هيت، وقد رفقوا معنا أربعة فرسان من طرف الحكومة، فبعد ما مضت ثلاث ساعات من النهار قال[10] رئيس الفرسان علي أغا: أنتم تفوزون بهذه المفازة، ونحن نورد خيلنا ونتبعكم، فلما فارقناهم وإذا رجل أعنزي[11] راكب على

---

(1) هراوة فيها مسامير.

(2) اسم رتبة عسكرية عثمانية مركبة من يوز: مائة، باشي: رئيس، قائد، مقدم.

(3) في الأصل: فقالوا.

(4) عامية، بمعنى: تركنا.

(5) طوبال، تركية، وتعني: الأعرج.

(6) في الأصل: بحق.

(7) حينما مر اللحافي بالرمادي لم يكن قد مضى على إطلاق هذه التسمية غير أربع أو خمس سنين، فالرمادي مدينة حديثة سميت بهذا الاسم في عهد الوالي مدحت باشا (1869- 1872م)، وكانت تسمى قبل ذلك قلعة الرمادي نسبة إلى تل الرماد الذي بنيت عليه، وهو تل أثري قديم لون الرماد، وهي اليوم مركز محافظة الأنبار في غربي العراق؛ فرحان الحديثي: تاريخ الحديثة 26/1.

(8) هو أحمد أنوري أفندي، أشارت إليه جريدة الزوراء في عددها 1063، المؤرخ في 10 محرم 1300هـ/1882م، بوصفه قائممقام الدليم الأسبق.

(9) هو الشيخ طه بن عبدالرزاق الشواف، كان عالماً، تقلد قضاء البصرة مدة طويلة، وتولى التدريس في مدارس بغداد، وكان شاعراً أيضاً، توفي في 14 صفر سنة 1328هـ/1900م، ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير؛ إبراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958، 39.

(10) في الأصل: فقالوا.

(11) نسبة الى عنزة، كما سيذكر المؤلف، القبيلة المعروفة.

يغزل، ويتكلم في الحيَل[1] الشرعية، كل حيلة عملة المحكمة[2] عندهم، وإذا برجل أتى إليَّ وقبّل يدي، ولحيتُه كأنها عرض تسعين، فقال: يا سيدي، هل تعرفني من أنا؟ فقلت له: لا يا أخي، فقال: ابن سيد حديد، وسيد حديد كان خادماً في جامع المصرف[3] في بغداد في محلة محمد خليل[4].

الفحيمي:

وسرنا نحو الفحيمي[5]، فأتيناه صباحًا، فنوّخنا مطايانا بباب الحصن، وكان ذلك اليوم عبوسًا قمطريرًا من شدة الحر والسموم، وقد قتل رجال كُثر، فقضيا ذلك اليوم ولم نرَ مكروهًا.

النهية

وسرنا نحو النهية[6] مع أربعة فرسان مرفقين معنا، فلما وصلنا النهية، وهي كذلك حصن متخذ للجنود المحافظين لأبناء السبيل، ولم ننزل فيها.

القائم

فبقينا ليلنا سائرين حتى دخلنا القائم[7]، فنزلنا عند المدير السيد محمد سعيد أفندي نجل السيد عمر أفندي[8] نقيب برصه[1]، وجميلزاده[2]، وهو رجل كريم، حلو

---

(1) في الأصل: حيل.

(2) كذا في الأصل.

(3) مسجد لَمْ يزلْ قائمًا، قريب من شارع الخلفاء، شيده أحمد أفندي المصرف سنة 1227هـ/1812م، وكانت فيه بعض الحجر ومدرسة وخزانة كتب، محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1341هـ، ص73.

(4) يقع هذا المسجد في طريق لا ينفذ، سمي بشارع المصرف نسبة إليه، وعد في بعض العهود من محلة البارودية، وليس فيها بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى محلة بهذا الاسم، وورد في حاشية على كتاب العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، لعبدالحميد عبادة، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص184، أن جامع المصرف يقع في زقاق، كان يسمى قبل إنشاء الجامع، بزقاق صالح در.

(5) تقع قرية الفحيمي في غرب *مدينة* حديثة، وهي تنسب إلى واد هناك.

(6) هي اليوم قرية تابعة لناحية العبيدي في قضاء القائم في محافظة الأنبار.

(7) كانت القائم في أواخر القرن التاسع عشر، تتألف من مخفر للشرطة وخان واسع اتخذ مركزًا للناحية، وهو يقع على ضفة الفرات اليُمنى، وهي اليوم مدينة عامرة، تبعد القائم عن بغداد بنحو 420 كم، وترتبط بها نواحي العبيدي والرمانة والكرابلة.

(8) ورد اسمه في سالنامة بغداد لسنة 1299هـ، مديرًا لناحية القائم.

الشمائل، ذو عقل ودراية، ثم قال: يا سيدي، هذا المحل محلك، وأنا ذاهب للتعشير، وولدي مصطفى أفندي[3] هو هنا، فهو مقيم بضيافتكم فكان الأمر كذلك.

البو كمال:

ثم بتنا ليلتنا، وخرجنا سائرين سَحراً نحو أبى الكمال[4]، فدخلناه وقت القيلولة، وإذا خارج البلدة سقيفة مبنية لأبناء السبيل، فوجهنا مطايانا نحو المضيف، فخرج رجل من نحو المضيف مرحِّباً، فأخذ بخطام مطيتي، وقال: المنزل عندي، ونزلت عنده، وكان حاتماً، وقبل هذا ذكرنا ياسين الذياب[5] حاتماً، فذاك يصرف بماله، وهذا كساب وهاب صفة حاتم، فصيح اللسان حلو الشمائل، قدُه كأنه عُود بان، فلما جلسنا معه وبدأنا بالمنادمة، وإذا بقائمقام أبى الكمال مع عبد الحكيم أفندي البغدادي فقال القائمقام :يا مولانا، لأي شيء ما شرفتنا؟ فقلت له: المقام مقامك يا سيدي، ثم قضينا في راحة حتى انفلق الصبح.

الصالحية

وتوجهنا نحو الصالحية[6] فأتيناها قبل الظهر، وقيَّلنا فيها وبردنا بالظهر.

الميادين

وتوجَّهنا سائرين نحو المَيَادين[7]، فبينما نحن سائرون في القَيْظ، وإذا بأسد له صَوْلَة، فجَفَلَتْ ونَفَرتْ الإبل منه، ولم نَضبِط أخطامها، والفرسان معنا غائرون[8]،

---

(1) في الهامش: بروسا.

(2) لم يذكر اسمه، واكتفى بذكر لقب أسرته، ونرجح أن يكون من آل جميل الأسرة البغدادية العريقة التي نزحت من بلاد الشام واستقرت في مدينة الحديثة على الفرات حيناً من الدهر؛ ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ملحق للمحقق ص 399، وإبراهيم الدروبي: البغداديون ص32.

(3) هو مصطفى وفي الجميل، وكان أديباً، توفي سنة 1324هـ/1906م؛ البغداديون ص31.

(4) هكذا يكتبها المؤلف والمشهور (البوكمال)، وهى مدينة سورية على الجانب الأيمن لنهر الفرات، على الحدود السورية العراقية، ومركز منطقة البوكمال في محافظة دير الزور، تأسست عام 1864م بعد أن كانت قرية صغيرة تسمى النحامة.

(5) ينظر ما ذكره في حديثه عن بلدة هيت.

(6) بلدة على الفرات، إلى الشمال من البوكمال.

(7) مدينة على الفرات في جنوب دير الزور.

(8) يريد: هاجمون.

فزادها جفلاً ونفوراً، فلما سكنت الإبلُ وخيلُ الجنود، قلتُ لولدي: السلامة، وهو كذلك يقول: السلامة يا أبتي.

فلما وصلنا الميادين، استقبلَنا «القائمقام» شاكر أفندي بالترحيب والتبجيل، فأنزلنا في مكان داره - وكان خيرَ المنزلين - وجَرَتْ بيننا المنادمات إلى المغرب، فلما جَنَّ الليل قدِّمتْ لنا مطايانا وسرنا نحو الدير.

الدير:

ثم سرْنا ليلَنا كله، وكانت[1] الإبل تخفضنا طوراً، وترفعنا طوراً؛ لأن الأرض نَجْدٌ ووهاد، فلما انفلق الصبح أتينا الدير صباحًا، وأنَخْنا مطايانا بباب المتصرف السيد محمد على باشا ابن السيد شريف، فلما دخلتُ عليه قام على قدميه مرحِّبًا، وقال لى: من أين القدوم يا مولى؟ فقلتُ له: من بغداد، فقال: مع مَن أتيتَ؟ فقلتُ له: أنا وولدي مع فرسان مرافقين معنا من مرحلة إلى مرحلة، فقال لى: إلى أين الذَّهاب؟ فقلتُ له: إلى القسطنطينية العظمى، قال: وعلى أي طريق تذهب، على[2] طريق حلب أو على طريق الشام؟ فقلتُ له: على طريق الشام، فقال لى: أما الذهاب على طريق الشام، فلا يمكن السلوك فيه الآن؛ لأن الزمان قيظ وحر شديد، فقلتُ له: يا سيدي، لا بدَّ أن أذهبَ من هذا الطريق، فأطْرَق برأسه[3]، ثم رفعه، وقال: عليَّ بابن هديب العكيلى، فأتى بابن هديب، فقال له: الشيخُ يريد الذَّهاب على طريق (صخنة)، فقال: يا سيدى، بوجود همتكم يمكن هذا، فالفرسان الذين[4] نُركبهم معه يحملون الماء، ثم أمر بخمسة فرسان، فقال لهم: توصلوه إلى القريتين، وبعدما جلسنا معه خمس ساعات، قدمتْ لنا مطايانا وركبناها، وتوجَّهنا نحو الشام، وأرفق معنا إبلاً حاملة الماء لنا وللفرسان، وكان المسير ليلاً، فسرنا ليلتنا ونهارنا، وذهبوا مسرورين، فلما انقضى النهار ومد الليل أطنابه؛ أمر شيخ الحمل بالرحيل.

تدمر

فرحلنا سائرين في البَيْدَاء ليلنا مع نهارنا إلى أن أتينا تَدْمُر، فأنَخْنا خارجها، فلما نظرتُ إليها فإذا هي بلدة عظيمة، ورأيتُ بعض دُورِها خاوية على عروشها،

---

(1) في الأصل: وكان.

(2) في الأصل: إلى على.

(3) في الأصل: طرق راسه.

(4) في الأصل: الذي.

وبعضها قائمة على حالها، ونظرتُ إلى الأساطين؛ فإذا منها: صنف أبيض، وصنف أحمر، وصنف أزرق، وهي من الرخام.

يا لها من بلدة! وأكثر ما قال المؤرِّخون إنها لسليمان ابن داود، ثم أتى جار الله شيخ تدمر إليَّ، وقال لي: «يا سيدي، أدعوك للمضيف حتى نتبَرَّك فيك»، فذهبتُ معه للمضيف، وبتُّ ليلتي في أرغد عيش، وكان فيها خطيبًا، فقال لي: تبقى ههنا في رمضان حتى نستفيد منك، فقلت له: لا يمكنني يا أخي، فقال لي: «تشرِّفَ[1] يا سيدي علينا بكم موعظة»، فكتبتُ له موعظات لأربع[2] جُمَع.

عين قباقب:

وأتينا إلى (عين قباقب)، وهي محل كرامة أجدادنا، فروينا مطايانا، وكذلك الفرسان أوردوا خيلهم، فمضينا سائرين أربع وعشرين ساعة.

صخنة:

وأتينا (صخنة)، ورأينا الحمل نائخًا هناك، ورأينا[3] خيمة مضروبة خارج القرية، فأنَخْتُ بباب الخيمة، وخرج من بابها[4] رجلٌ مع خدَّامه، فإذا هو العثمان العكيلي شيخ الحمل، وبعدما حيَّانا بأحسن تحية أقبل[5] الفرسان إليه يقبِّلون الأيادي، يقولون: هل ترخصنا وتمشي مع الحمل، أو نذهب معك إلى القريتين، فقلت لهم: لكم الرخصة؛ لأن بقيت أربع مراحل للإبل، فهذه الأربع مراحل نسير مع الحمل، فقبَّلوا يديَّ وذهبوا مسرورين.

أبو الفوارس:

ثم رحل الحمل وأناخ بأبي الفوارس، وهو بمسافة ساعة عن تَدْمُر، فقمنا نحن وصلَّينا الصبح، وركبنا مطايانا وتوجهنا نحو أبي الفوارس، فلما وصلنا الحمل، رأينا[6] الخيمة مضروبة حول البئر، وهذا المكان ذو آبار وقَنَوات، وكذلك هذه، من آثار

---

(1) يريد: تفضل.

(2) في الأصل: أربع.

(3) في الأصل: فرأينا.

(4) في الأصل: باب.

(5) في الأصل: فأقبل.

(6) في الأصل: فرأينا.

سليمان، فمنها معطلة، ومنها غير معطلة يشرب[1] منها أبناء السبيل، وهذا المكان واقع بين جبلين، وهو مفازة يسمونه (الدوة)، وهو إلى القريتين بمسافة[2] عشرين ساعة، وكل جبل فيه بعض العيون، يَهطل منها الماء، لكن لا يخرج إلى مكان، وأنا أخذتُ الأسْطُرلاب لأزن[3] بعض الأرض التي يخرج منها الماء، وهي قابلة للتعمير، لكنها محتاجة إلى قوة دولة.

القريتين:

ثم رحلنا نحو القريتين[4]، فسرْنا يومنا وليلتنا، فلما وصلنا نزلنا عند شيخ القرية فيَّاض آغا، وهى قرية ذات أشجار وأثمار، فيها تفاح[5]، وكُمَّثْرَى لم أرَ مثله لا في بغداد ولا في الشام ولا في جميع الدنيا، ثم فارقنا الحمل وسار معنا فياض أغا- وهو رجل جليل تتجب له النجائب - فشيَّعنا كم ساعة[6]، وودعنا وسَيَّر معنا فرسانًا محافظين لنا.

سدوم وعطنة:

فسرنا سدوم، وهى بلدة قوم لوط، طولها ثلاث ساعات، وعرضها ساعتين، وبقربها قرية يقال لها «عطنة»، فقالوا لى: يا سيدي، ننزل في هذه القرية للاستراحة؟ فقلتُ لهم: لا أنزل في هذه القرية؛ لأنها قرية قريبة من قرى الذين ظلموا، ألا نتأسَّى بالنبى - صلى الله عليه وسلم - لأنه في غزوة تَبُوك لما أتى إلى مدائن صالح، قال: ((لا تناموا فيها، ولا تجلسوا فيها، واذكروا الله؛ لأنها ديار الذين ظلموا))، ثم ألَحُّوا علىَّ فأتيت شيخ القرية (مصطفى الغزال)، فأَنَخْنا مطايانا عند بابه، وهو مع بنت له خماسية يقبِّلها ويلاعبها، فقلتُ له: ما هذا التقبيل! لعلها زوجة لك؟ قال: هذه بنتى، ثم رجعت رفقتى، وقالوا لى: ما هذا التقبيل؟ فقلت لهم: لعله تقبيل كرامة، لا يظن بالمسلم إلا هذا، ثم قلتُ لهم: اركبوا مطاياكم حتى نخرج من هذه القرية؛ لأنها بقرب قرية لوط.

---

(1) في الأصل: يشربون.

(2) في الأصل: وهو بمسافة.

(3) في الأصل: وزان، ووزن الأرض اصطلاحًا: قياس مستوى ارتفاعها.

(4) بلدة إلى الشمال الغربي من دمشق، كانت تعد من أعمال حمص، ذكر ياقوت أن بينها وبين تَدْمُر مرحلتين؛ معجم البلدان 336/4.

(5) في الأصل: تفاحًا.

(6) يريد: عدة ساعات.

جرود:

فركبنا مطايانا حتى أتينا «جرود[1]»، فنزلنا عند محمد أغا الجرودي، فلم يكن، بل كان نسيبه فارس أغا التتصري، فقام بضيافتنا وإكرامنا وأحسن مثوانا، وهو رجل كريم حاتمي الصفات، عنزي[2] الشجاعة، ذو عقل ودراية، وجَرَت المنادمة بيننا إلى الصباح.

دوما:

وركبنا متوجهين نحو دمشق، فطال علينا المسير، فنزلنا دون دمشق في دوما[3] عند القاضي الشيخ محمد سعيد أفندي، وهو سبط الجابي محمد أفندي، وهو يفصل بين الخصوم في دار الحكومة، فلما سمع بنا أتى مهرولاً، فحيَّانا بتحية القدوم، وجلسنا معه وجَرَت المنادمة بيننا، فقلتُ له: يا أخي، أسألك عن «محمد أفندي الجابي»، كيف حاله؟ فقال: هو جدي، فقمتُ إليه، وقبلت بين عينيه، وقلتُ: له ذاك أخي، وابنُ ابن بنت أخي[4]! ثم رجعتُ الكلام عليه، وقلتُ له: ما حاله الآن؟ فقال لي: وَهَنَ العظم منه، لكنه لم يكن بدعاء ربه شقياً، ثم أقمنا عنده تلك الليلة مع أناس من أهل الشام خارجين للنزهة، فلما انفلق الصبح سرنا إلى دمشق.

دمشق:

فدخلناها، ثم أتينا الصالحية، فأنَخْنا مطايانا عند باب الوالي مدحت باشا[5]، فدخلتُ عليه، فقام على قدميه، وقال: أهلاً بالشيخ أحمد اللحافي، ثم سألني على أي طريق سلكتَ، فقلتُ: سلكتُ[6] طريق الشامية، وقلتُ: يا مولاي، كذبت كذبات على العرب؛ ترهيبًا لهم، قلتُ لهم: الوزير مدحت باشا باعث عليَّ، ثم ضربني على يديَّ تلطيفًا، وقال: لله دَرُّك من رجل داهية زمانه، فالتفتُ إلى ولدي، وقلت: يا بني، هذا تأويل رؤياي من قبلُ، قد جعلها ربي حقًّا، فجَرَت المنادمة بيننا بُرْهَة من الزمان، ثم

---

(1) بلدة إلى الشمال الشرقي من دمشق، قرب صيدنايا .

(2) نسبة إلى عنزة، القبيلة العربية المعروفة.

(3) بلدة إلى الشمال من دمشق.

(4) كذا في الأصل: ولعله أراد : ابن بنت أخي.

(5) تولى دمشق سنة 1295 رومية / 1879 م، ولَبث فيها سنة واحدة، وثماني أشهر؛ (صلاح الدين المنجد : ولاة دمشق في العهد العثماني، دمشق 1949، 93)، وكان قد تولَّى - قبل ذلك - بغداد كما هو معروف.

(6) هنا استطراد لا وجه له فحذفناه.

خيَّرنى، وقال لى: يا شيخ، أين تريد أن تُضَيَّف؟ هل تريد أن تضيف ههنا، أو في بيت سعيد باشا، أو في بيت المفتى؟ فقلت له: ضيافتى تكون عند «سعيد باشا»؛ لأن بيننا حقوقًا قديمة، فأتينا إلى دار سعيد باشا فجلسنا فيها، وكان الرجل يتنَزَّه في جنينة له، فلما سمع بنا أتى مبادرًا إلينا، ثم قال لى: يا مولاي، قدومك إليَّ نعمة غير مُرتقبة، الحمد لله الذي مَنَّ[1] بقدومكَ عليَّ، ثم قال لى: يا سيدي، الرخصة لاستقبال المشير الذي جاء من إستانبول، فقلت له: ومَن يكون المشير؟ فقال: مشير العراق سابقًا حسين فوزي باشا، فزادنى سرورًا بقدومه، ثم أخذتُ استراحتى بُرْهَة من الزمان، ثم ذهبت إليه فدخلتُ عليه في المقصورة، فوجدته جالسًا مع أحمد أيوب باشا المشير[2] السابق، فلما رآنى قام ناهضًا على قدميه، وهو يرطن بالتركى، ومعناه بالعربى: أهلاً وسهلاً بقدومك علينا، فأجْلَسنى عن يمينه وولدي جالس[3]، فقال: مَن هذا الغلام الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي شقيق عبدالحليم، فقال: ما رأيتُه في بغداد، فقلت له: يا مولاي، هذا كنز مخفى؛ إذ وجد عبدالحليم اختفى، وإذا لم يوجد عبدالحليم ظهر، فضحك المشيران، ثم قال: إلى أين الذهاب؟ فقلت له: إلى القسطنطينية، فقال: صُمْ رمضان ههنا، فقلت: أصوم في القسطنطينية، فقال أحمد أيوب باشا رطنة بالتركى معناها بالعربى: تريد أن تشتِّت رمضان، فقلت له: يا مولاي، هذا كلام أهل العراق قبلك، ثم قال لى المشير حسين فوزي باشا: كيف يكون ولدك عبدالحليم، وعلى أي حال يكون، وهو على هَوَسه القديم في نشر العلوم، فقلت له: بل يزيد على ذلك يا سيدي، فقال لى: اكتب له من لسانى لا يفتَر عن سعيه، ثم قمت منه ذاهبًا إلى دار الضيافة، وكان اليوم الجمعة أول رمضان[4]، ثم أخذتُ راحتى، ثم بعد بُرْهَة من الزمان، وإذا بالشيخ عبدالقادر أفندي نجل المرحوم السيد مراد أفندي الكيلاني[5] أتى إليَّ فحيَّاني بتحيَّة القُدُوم، وسُرِرْنا[1] بقُدُومِه غاية السرور،

---

(1) في الأصل: من الله.

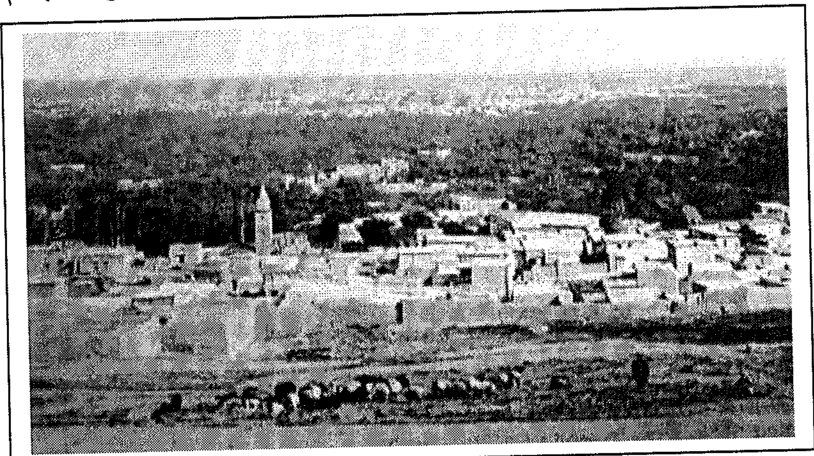
(2) في الأصل: شير.

(3) في الأصل: جالسًا.

(4) ويوافق 7 آب سنة 1879م.

(5) هو السيد عبدالقادر بن السيد مراد الكيلاني النقيب، ترجم له الدروبي، فقال إنه كان «من العلماء الأعلام، ومراجع الإسلام في مدينة السلام، له باع طويل في العلوم العقلية والنقلية، وله مشاركات في الفنون الغريبة.. انتهتْ إليه رئاسة أسرته في عهده، انتخب عضوًا في محكمة الاستئناف، وأجيز من قبَل رئيس علماء الشام الشيخ عبدالغني الغنيمي الميداني، ثم درس في الحضرة الكيلانية مدة طويلة، وتخرج فيه جمع غفير من العلماء، توفي سنة 1315هـ/1897م»؛ البغداديون ص19.

واستأنسنا معه وقتًا من الزمان، فذهب إلى داره، وأنا ذهبتُ إلى الجامع[2] الأموى فرأيتُ شيخًا على كرسى جالسًا يعظ الناس، وهو يتكلم في قدوم رمضان.. ثم في اليوم الثالث ذهبنا إلى الشيخ مسلم الكزبري[3]، فدخلت فإذا هو جالس على كرسى، فجلست في الحلقة وهو يتكلم.. وفي اليوم الثامن أتيتُ إلى جامع الأموي فودَّعتهم فردًا فردًا، ودعوا لى بالسلامة، وقالوا: راشدًا مهديًا، ثم أتيت إلى دار ضيافتى، فأفطرت مع سعيد باشا، فلما مضى بُرْهَة من الليل ودَّعتُه، وذهبنا إلى العَرَبة فركبنا فيها، وقلنا: بسم الله



صالحية دمشق في اوائل القرن العشرين

وودَّعَنا أناسٌ من أهل الشام، وركب[4] معنا؛ أربعة من النصارى، وهم خليل، وموسى، ومحب كرامة، ويوسف، فلما جلسنا وأخذنا بالمنادمة، فإذا كل واحد منهم أفلاطون زمانه، ثم قال لى: يا سيدي، ما هذا الغلام الذي معك؟ قلتُ: هذا ولدى. ثم قال موسى: لا شبه له بك. قلت له: بل هو ولدي، وأمه عرسى، فقال خليل: لا تنظر إلى سُمْرَته (فإنما)، له شبه بالعينين والوجنتين والمنكبين، ثم قالوا لى: يا مولانا، من أي البلاد أنت، ومَن تكون؟ قلتُ لهم: أنا عراقى، واسمى الشيخ أحمد اللحافي، ثم قالوا: إلى أين الذهاب؟ قلتُ لهم: متوجهًا إلى القسطنطينية العظمى والخلافة

(1) في الأصل: استرينا.

(2) في الأصل: جامع.

(3) هو الشيخ المحدث سليم بن عبدالرحمن الكزبري المتوفى سنة 1299هـ/1881م، من كبار علماء دمشق في علم الحديث في عصره، ونقيب أشرافها، له إجازات كثيرة في هذا العلم؛ ينظر عمر نشوقاتي: مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين، وسيرهم، وإجازاتهم؛ دمشق 2007.

(4) في الأصل: وركبوا.

الكبرى، قال خليل: يا سيدي، كيف تسميها الخلافة الكبرى، و قد قال نبيكم – صلى الله عليه وسلم – الخلافة بعدي ثلاثون، ثم تكون إمارة أو ملكًا عضوضًا؟ فقلتُ له: الخلافة الكاملة ثلاثون، ثم رجع موسى إليه، وقال: صدق الشيخ وبالحق نطق.

زحلة:

ثم لما أتينا قريب (زحلة)[1] في جبل لبنان خرج الثلاثة إلى زحلة إلا موسى؛ فإنه بقي معنا إلى أن أتينا بيروت.

بيروت:

فلما أتيناها ونزلنا من العَرَبة قبَّل يدي، وهو يقول: العُذر من التقصير، محروسًا راشدًا مَهديًا، فمشيتُ الخطا سائرًا، وولدي على إثري، وإذا الناس يتحدثون[2] بأن والي الشام الآن أتى، وقد نزل في دار عمر غزوة، فقلت لولدي: أين منزلنا يكون الليلة؟ فقال: الليلة ننزل الخان. فتوجهنا نحو الخان المسمى (خان حمزة)[3]، فانفردنا بحجرة، ولم يناقشنا أحد بأجرة. ثم لما جلسنا قلتُ له: اذهب فابتَع لنا فطورًا. فراح وابتاع لنا فطورًا وأتى، فلما أفطرنا حمدنا الله، ثم قلت له: يا بُنيَّ قُم نذهب إلى والي الشام حمدي باشا[4]، والدار النازل فيها قريبة من الخان؛ لأن معنا حقوقًا قديمة، فلما أتينا إليه دخلنا عليه، وهو قاعد على الطعام، فجلستُ ولم أسلِّم وأنا بهيئة السفر بألبسة رثَّة، ولم يَعْرِفني، فقال لي: تفضل إلى الطعام، فأشرتُ إليه بيدي إني على كفاية حتى لا يعرفني في أثناء تناول الطعام، ثم لما قضى وَطره من الأكل والشرب، بدأ يغسل يديه، فلما قام من المغسل توجَّهتُ[5] إليه وصافحتُه وحيَّيته بتحية، وهو لم

---

(1) في الأصل: رحلة.

(2) في الأصل: يتحدثون الناس.

(3) خان في بيروت يُنسَب إلى مؤسِّسه حمزة سنو، وهو من أصل مغربي هاجرت أسرته (آل سنو) إلى لبنان، وقد توفي «حمزة سنو» في بيروت عام 1840 م. ينظر موقع عائلة سنو.
http://www.kadmous.org

(4) هو أحمد حمدي باشا ولي الشام سنة 1292 رومية/1876، وفي سنة 1296 رومية/ 1880م؛ (ولاة دمشق 93)، وكان قد أقام ببغداد سنة 1286هـ/1869م، حين وجهت إليه رئاسة أركان الفَيْلق السادس؛ (عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين 7/223،221)، ويظهر أن تعرُّف المؤلف عليه كان في أثناء إقامته تلك.

(5) في الأصل: فتوجهت.

يعرفني، فقلتُ له: يا سيدي، لم تعرفني، فقال: مَن أنت؟ فقلت: أنا السيد الشيخ أحمد اللحافي، فقال: والله شبهت بك من عينك وأنت جالس، ثم بدأ بالترحيب وأجلسني عن يمينه، وجَرَت المنادمة بيننا، فقلتُ له: يا سيدي لمَ لمْ تعرفني؟ قال: يا سيدي مضى قرن من الزمان، لم أرك[1] على قول من قال: إن القرن ثلاثون سنة[2]، وأنت طعنتَ في سن الشيخوخة، وكانتْ رؤيتي لك وأنت كهلٌ[3] وودعنا، فبعد بُرْهَة من الزمان توجَّه إلى الشام، ونحن توجَّهنا إلى الفُلك المشحون المنسوب إلى «نمسة»، ورئيس الأول[4] كان اسمه (بتروفج) ، وكان مسيحيًا[5]، ذا عقل ودراية، لله دَرُّه من رئيس، كان ذا[6] عدالة عرفية، ثم لما رآني حيَّاني بأحسن تحية، وكان معظمًا لي ولولدي.

قبرس ورودس:

ثم بدأت السفينة بالمسير، فقلت: (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) (هود: 41)؛ فسارت ليلتها ويومها حتى أتت (قبرس)، ثم رستْ محاذية إلى جزيرة قبرس، فبقيتْ راسية ثماني ساعات، ثم سار الفلك متوجهًا نحو (لدس)[7]، فلما وصلنا بقي الفلك راسيًا ساعتين.

أزمير:

ثم جرى الفلك، وتوجَّهنا نحو أزمير، فلما وصلنا بقي الفلك راسيًا يومًا وليلة، ثم خرجتُ منه إلى مدينة أزمير أنا وولدي نمشي في أزقتها، وننظر يمينًا وشمالاً فإذا هي كأنها (بارس) محل[8]؛ لأنه يوجد فيها من جميع الملل، ثم بَقينا نتخطَّى في أزقتها ساعتين، ثم رجعنا إلى الفلك ودخلنا فيه، وإذا بقادين خانلي زاده حافظ محمد أفندي

---

(1) في الأصل: أراك.

(2) في الأصل: ثلاثين، وفي الحقيقة فإنه لم يكن مضى على إقامته ببغداد غير ست سنوات في أكثر تقدير.

(3) في الأصل: كهلاً.

(4) لعله يريد: ورئيسه الأول.

(5) في الأصل: مسيحي.

(6) في الأصل: ذو.

(7) لعلها: رودس، وهي جزيرة تقع في اليونان. بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان الرئيسية وقبرص.

(8) لم يتأكد لنا معنى هذه العبارة.

أزميرلى، رأيته داخلاً في الفلك، فنظرتُ إليه، فإذا هو ذو عقل ودراية، فسألتُه عن فنون كثيرة، فأجابني، ثم جَرَتْ بيننا مذاكرة في العلوم ونحن متوجهون نحو جزيرة مدلى[1] فأرست السفينة مقدار ساعتين.

جناق قلعة وكلي بولي:

ثم توجَّهنا نحو جَنَه قلعة[2]، وهى متخذة على حافتى[3] البحر.

للّه دَرُ مَن أسسها، وفيها مدافع عظام.. ثم جرت السفينة نحو كَلى بُولى[4]، فلما أتتْ رستْ محاذية البلدة، وهذه البلدة مدفون فيها محمد أفندي اليازجي[5]- تغمده الله بالرحمة - ثم تهيأنا - أنا وولدي - وتوجهنا نحو مرقده الشريف، فقرأنا الفاتحة، ثم رجعنا إلى الفلك.

القسطنطينية:

وجرى نحو القسطنطينية فوصلنا إليه صباح الاثنين السابع عشر من رمضان، ثم خرجنا[6]، ودخلنا القسطنطينية متوجِّهين نحو (أيه صوفية)، فلما أتيناها وضعنا متاعنا عند إمامها، وذهبنا نمشي في أزقة القسطنطينية حتى أتينا جامع (بايزيد)، فصلَّينا الظهر هناك، ثم ذهبنا إلى جامع السليمانية لنصلى العصر، فبعدما انقضتْ صلاة العصر - وكان في كل من أركانها الأربعة واعظ يعظ[7] - توجَّهنا[8] نحو الركن الشمالي لنسمع واعظَه، وإذا بحقي أفندي من أمراء العسكرية، وقبل هذا كان في بغداد من

---

(1) جزيرة مقابلة لخليج أدرميد، إزاء الساحل الغربي للأناضول.

(2) كذا يكتبها المؤلف، والصحيح، «جناق قلعة»، حصن ضخم شامخ في مدخل المضيق المسمى باسمه، النافذ من البحر المتوسط إلى بحر مرمرة، وكان يسمى بالقلعة السلطانية، وتقع على الجزء الجنوبي من بحر مرمرة، ويصل بين أراضيها الموجودة في آسيا وأوروبا مضيق يحمل معها الاسم نفسه.

(3) في الأصل: حافتين.

(4) مدينة شهيرة على الساحل الأوربي لمضيق جناق قلعة (الدردنيل).

(5) هو الشيخ محمد ديجان اليازجي، من كبار الصوفية في عصره، من آثاره شرحه لفصوص ابن عربي، و(أنوار العاشقين) توفي سنة 855هـ/1451م.

(6) يريد: خرجنا من السفينة.

(7) في الأصل: في أركانها الأربعة كل واعظ يعظ.

(8) في الأصل: فتوجهنا .

المعلمين[1] في مكاتب[2] الدولة العلية العثمانية، وكانت لنا معه رفقة وصحبة قديمة، فلما رآني قام على قدميه وقبَّل يديَّ، وقبَّلت ما بين عينيه، فقال لي: المنزل عندي، فقلتُ له: بل ذاهب إلى شيخ الإسلام، فقال: لا يمكن! يا سيدي، هذه الليلة ضيافتك عندي، وكانت داره في (أبي أيوب الأنصاري)[3]، ثم خرجنا متوجِّهين نحو أبي أيوب الأنصاري، فقال لي: يا سيدي نركب في الفلك؟ فقلت له: يا مولاي هذا اليوم خرجتُ من الفلك، ولا طاقة لي بالركوب في الفلك؛ لأن معي وجع رأس من الركوب في الفلك، فذهبنا نمشي في الطريق، فأطبقت السماء بالسحاب، وأنزل الماء من المُزْن كأفواه القرَب، وكان الوقت قيظًا، فقال حقي أفندي: نمضي إلى بيت أقارب جمال أفندي رئيس مكتب إعدادية بغداد، فذهبنا إلى ذلك المنزل وخرج صاحب المنزل، وقال: الإفطار عندي. فقال حقي أفندي: لا يمكن، أعطانا (شمسيات) حتى نمضي إلى دارنا، فأتى إلينا بشمسيات، وذهبنا إلى داره، فلما أتينا المنزل تجرَّدنا[4] من ثيابنا، وأتى إلينا بثياب لبسناها، فبتنا تلك الليلة بأرغد[5] عيش ومسامرة، فلما انفلق الصبح أتى إلينا بماء فتوضأنا وصلَّينا.

ثم توجَّهنا نحو القسطنطينية، وهو مشيع[6] لنا، حتى خرجنا عن دور الأيُوبيَّة[7]، ثم رجع عنا ونحن رَاجلُون حتى دخلنا جامع بايزيد لنصلي العصر، وإذا بسيد سلمان أفندي نقيب الأشراف القادري[8]، فلما رآني توسَّم[9] فيَّ، فقال: السيد أحمد؟ قلتُ: نعم، يا سيدي، فأقبل عليَّ وعانقني، والناس في الجامع ألوف ينتظرون تقبيل أياديه، فأخذني وأجلسني بين يديه، وهو يسألني عن أحوالي ومجيئي، فقلتُ له: يا سيدي،

---

(1) في الأصل: معلمين.

(2) في الأصل: المكاتب.

(3) محلة شهيرة في القسطنطينية كانت تعد يومذاك من ضواحيها.

(4) في الأصل: فتجردنا.

(5) في الأصل: بأرقد.

(6) في الأصل: مشيعاً.

(7) محلة أبي أيوب الأنصاري التي تقدمت الإشارة إليها.

(8) هو السيد سلمان بن علي بن سلمان القادري، نقيب أشراف بغداد، ولد سنة 1250هـ/1834م، ودرس العلوم في المدرسة القادرية ببغداد، وتبوأ وظائف قضائية عدة، وفي سنة 1286هـ/1869م اختير نقيباً للأشراف، ومتولياً للأوقاف القادرية، وتوفي سنة 1315هـ/1897م؛ محمد صالح السهروردي: لب الألباب (بغداد 1933) 128، وإبراهيم الدروبي: البغداديون6.

(9) في الأصل: فتوسم.

بخير، والناس يقولون: ما هذا الصعلوك؟! يعظمه؟! ولم يلتفتْ إلى هؤلاء الوزراء والعلماء المنتظرين إلى تقبيل يديه، فقال لي: اذهب إلى منزلنا هذه الليلة، فقلتُ له: أبغي الذهاب إلى شيخ الاسلام[1] هذه الليلة، فقال: راشداً مهدياً، وبلغ السلام عليه. ثم ذهبت اهرع الى نحو داره، فلما أتيت الى داره دخلت[2] على وزيره المسمى الآن (بكتخدا)، فقلتُ له: يا سيدي، أريد المواجهة مع شيخ الإسلام، فقال: بعد الإفطار، فلما آن وقت الإفطار قدَّموه لنا، فأتى إلى الإفطار بذاته شيخ الإسلام، وأقبل كل واحد منا يناوله[3] الطعام، وهو ينظر إليَّ ويظن أني من المدعوين على هذه السفرة ويتوسَّم[4] فيَّ ولم يعرفني، فلما طعمنا انتشرنا عن السفرة، ثم بعدما توضَّينا وتوضأ شيخ الإسلام، فلما أتم الوضوء أقبلتُ عليه مصافحاً له، فنظر إلى مستشاره وقال:[5] مَن يكون الأفندي، فقال له: من مدرسى[6] بغداد السيد أحمد اللحافي، فقال لي: أهلاً بك، ثم قال: آتوا له بقهوة ودخان، فقلت له: يا سيدي، ما ابتليتُ بالدخان، ثم التفتَ إلى ولدي، وقال: ما هذا الغلام الذي معك؟ فقلت له: هذا ولدي وابن عرسى، فقال لي: أين أنت نازل؟ فقلتُ له: يا سيدي بين السماء والأرض، فقال: كل واحد منا بين السماء والأرض، فقلت له: يا سيدي أنتم لكم منازل، وأنا لم يكن لي منزل، فقال: ضيافتك عندي، فقلت له: يا سيدي لا يمكن؛ لأن الضيافة ثلاثة أيام، ثم التفت إلى درس وكيلى[7] مصطفى أفندي – وكان جالساً عنده – فقال له: هيِّئ له مكاناً، فقال لي: في الخرقة الشريفة[8] أو في اسكدار؟ فقلت له: لا يمكنني لأن المحل بعيد، ثم قال: في مدرسة إبراهيم باشا؟[1] فقلتُ له: نعم يا سيدي.

---

(1) وهو يومذاك الشيخ عرياني زاده أحمد أسعد أفندي، تولَّى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية من سنة 1306 إلى 1293 هـ/ 1878 – 1889.

(2) في الأصل: فدخلت.

(3) في الأصل: يناول.

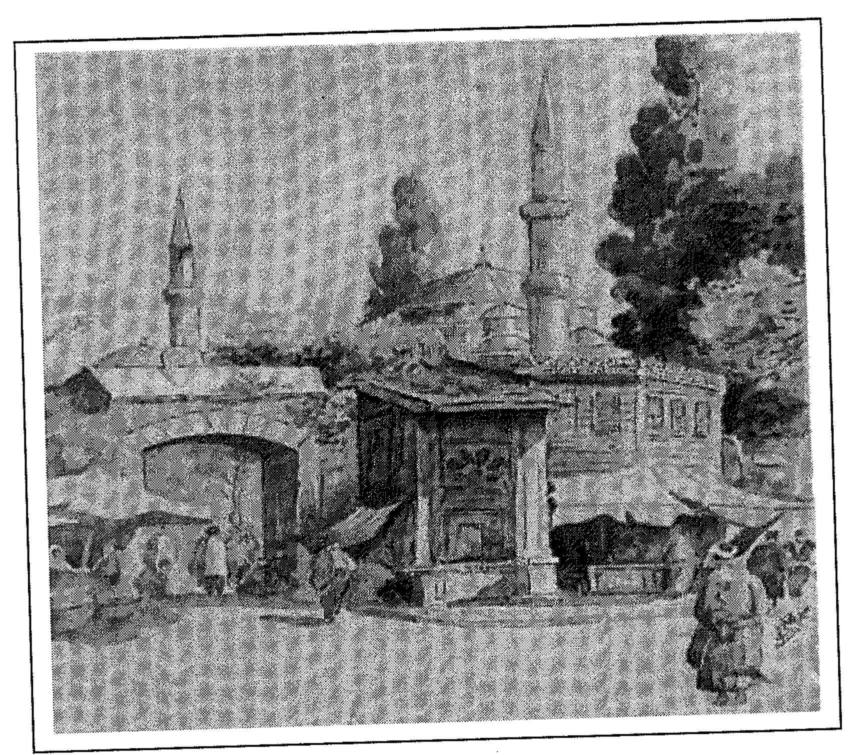
(4) في الأصل: يتسوم في.

(5) في الأصل: فقال.

(6) في الأصل: مدرسين.

(7) أي وكيل الدرس، وهو الموظف المختص بالإشراف على شؤون التعليم الديني وكالة عن شيخ الإسلام الذي يرتبط به هذا النوع من التعليم آنذاك.

(8) هي ما كان يعرف بالبردة الشريفة الثانية، وكانت في مبنى قريب من جامع السلطان محمد الفاتح، يفتح للزيارة وللطعام وللمبيت، قال عبدالقادر آل أبي السعود المقدسي: «هذه البردة



مشهد من استانبول للرسام العراقي عبدالقادر الرسام سنة 1901

فانفردنا منها بحجرة فسكنا فيها أيامًا، ثم سمع بنا الشيخ السيد أحمد ببا أفندي الموصلى، فأتى إليَّ فقال: يا سيدي، كيف تجلس هنا، وأنا في إستانبول، وما تنزل عندي؟ قلتُ له: يا سيدي، هذه مدرسة الإبراهيمية، قال لى: يا سيدي، التى أنا فيها كذلك إبراهيمية، ثم أمر بنقل متاعنا إلى التّكية، وكان هجوعنا في الليل بالتكية فأقمنا في النهار في المدرسة، وأيام العطل نذهب إلى الأصدقاء، منهم صفوت باشا، ونزهت أفندي، والى باب المشيخة، وإلى رؤوف باشا وإلى أدرنة، وإلى قدري باشا صدر أعظم سابق[2]، والى مُنجِّم باشي الحاج كامل أفندي، وإلى نصيف باشا ناظر

الناس يعتقدون أنها بردته – صلى الله عليه وسلم – ويقال: إنها بردة سيدنا أُوَيس القرني – رضي الله عنه»؛ رحلة من نابلس إلى إسلامبول، بتحقيقنا، منشورات دار الزمان/دمشق.

(1) الراجح أنه يقصد دار الحديث التي أنشأها شهزاده باشي في إستانبول، وقد أضاف إليها إبراهيمُ باشا الداماد، الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث (1083-1149هـ/ 1673-1736م) مكتبةً مهمة.

(2) في الأصل: سابق صدر أعظم، وهو محمد قدري جناني پاشا، تولى منصب الصدارة العظمى من 1 رجب 1297هـ/ 9 حزيران 1880 إلى 7 شوال 1297هـ/ 12 أيلول 1880م.

الأوقاف، وإلى درويش الحيدري، ومن أشبه ذلك[1]، لا سيما سيدي الشيخ سيد سليمان أفندي الكيلاني، فمضتْ أيام، وأنا على هذا الدأب.

ثم [إن] سيدي سيد سلمان أفندي عزم عليَّ على الرحيل إلى بغداد، فأتيتُ وودَّعته وقلتُ له: راشداً مهدياً، وكذلك ودَّعت أخاه[2] السيد أحمد أفندي، وكاتب سرِّه ملا حمادي أفندي، ففارقت وتوجهت إلى القسطنطينية العظمى فهطلت دموعي على خدي، فأتيتُ مكاني وجلست في غرفتي، وناديت[3] ولدي السيد محمد، فقلت له: يا ولدي، آتني بماء، فنظر إليَّ مُتغيِّر اللون، وقال[4]: يا أبتي ما أصابك؟ فقلت له: يا ولدي، فراق سيدي السيد سلمان؟ فأتاني بماء ممزوج بسُكَّر، فقلت له: يا ولدي، أنا أمرت بماء، كيف تأتيني بماء ممزوج بسُكَّر؟ فقال لي: يا أبتي، لما رأيتك متغير اللون خرجتُ لآتي لك بالماء، فرأيت جمال أفندي الحكيم، فقلت له: إن أبي اعتراه عشق وصبابة لمفارقة سيده سيد سلمان أفندي، فقال: أعطه ماءً ممزوجاً بسُكَّر، فلما أخذتُ الكأس من يد ولدي وأوردته على شفتي؛ لم يسغ لي الشراب، وكنتُ أتجرعه كشارب الحمم، وكان جالساً عن شمالي الشيخ محمد وهبي، وعن يميني الشيخ عبدالغني الطرابلسي[5].

فصببتُ الكأس عن شمالي وناولته محمد وهبي، فأنشد الشيخ عبدالغني الطرابلسي:

صددت الكأس عنَّا أمَّ عمْرو

وَكَانَ الكَأسُ مَجْرَاهُ اليَمِينَا

ثم أتى أمير من العساكر المنصورة فأجلسني، واتكأتُ على شجرة شمسية، فرطن بالتركي بما معناه بالعربي :ما دهاك؟ فقلتُ له: لمرافقة سيدي سلمان أفندي، كذلك رطن بالتركي بما معناه: يحق لك ذلك، فنزل عن فرسه وأركبني، وقال لخادمه: اذهب به إلى القسطنطينية، ولم أثب عن صهوة الجواد، وكان الخادم يسندني حتى لا أسقط

---

(1) كذا في الأصل، يريد من أشباههم.

(2) في الأصل: أخيه.

(3) في الأصل: فناديت.

(4) في الأصل: فقال.

(5) هو الشيخ عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرفاعي الفاروقي الطرابلسي، المتوفى سنة 1301هـ/1883م.

عن الجواد، وأتى بى إلى المدرسة، فلما أنزلنى أغمى عليَّ، ثم اجتمع عليَّ المدرسون[1] والطلبة، وجاء ولدي محمد، فقال: واأبتاه، فلما سمعتُ صوت محمد أنتنى الإفاقة، ثم قالوا: ائتوا له بحكيم، فذهب إلى ملا حسن إلى باب سر عسكر[2]، وأخبر صفوت باشا بذلك، فبعث بالعربة وأركبتُ فيها، فذهبتُ إلى دار صفوت باشا، وإذا بالحكيم واقف في الدار ينتظر مجيئي، فمدَّ الحكيم يده إلى يدي، ونظر إلى العرق الضارب، فقال: لم يكن فيه شيء إلا عشق وصبابة، فقال: ارقوه، وإذا بكريم أفندي، قال: صدق الطبيب؛ هي الصبابة، ومحبة لولده عبدالحليم، ففتحت عينى، ثم تكلم من هناك الحاج كامل أفندي مُنجِّم باشي، قال: بلغنا عنك [أنك] تقول: عاشق لسيدي سيد سلمان أفندي، فقلتُ له: نعم ذاك مجازي وهذا حقيقة، ثم قال محمد: أمس البارحة أتانا كتاب من تلقائه، فقال: ائتونى بالكتاب، ثم ناوله ولدي محمد الكتاب، فأخذت راحتي واندفع عني إعلان العشق، والله أعلم[3].

---

(1) في الأصل: المدرسين.

(2) مصطلح تركي بمعنى قائد الجيش.

(3) في آخر المخطوط تعليقه للناسخ أحمد شمس الدين الآلوسي؛ هي: (قد كتبتُ هذه الرحلة على نسخة المؤلف أعلاه، وصنفها ذو الفضل الوافي، والأدب الوافر الكافي، السيد أحمد أفندي اللحافي، كما عليه مسوَّدة الأصل من إملاء وتحرير، وإعراب وبناء، وتقرير وتسطير، غير أنه - عليه الرحمة - لم يُعَنْوِنْ رحلته بديباج كأمثالها؛ جريًا على عادة نظائرها وأشكالها، وذلك إما كان سهواً منه وتكاسلاً، أو تسويفًا وتجاهلاً، وإني طالما سمعتُ منه يذكرها تبجحًا بها، وإلى ما حوله من اللطائف؛ مشيراً ومنبهًا، فأحببتُ أن أُعَنْوِنَها بديباجة؛ جريًا على العادة؛ لتكون عند ذوي الألباب مرغوبة مستجادة"، وذكر أبياتًا في تقريظها، فيها شطب وتعديل.

ورود حديقة الوزراء

نص غير معروف عن تاريخ بغداد

مؤلف هذا الكتاب هو أبو الكمال مهذب الدين محمد سعيد بن عبد الله بن حسين بن ناصر الدين السويدي البغدادي الشافعي.

ينحدر من أسرة علمية شهيرة، عباسية المَحتد، نزحت من بلدة الدور على دجلة في شمال سامراء فسكنت في إحدى محلات كرخ بغداد، وهي الأسرة السُوَيْدية التي خَرَّجت العشرات من العلماء الكبار، ممن نَبَه في مجالات علوم عصرهم في القرون الثلاثة الأخيرة، وكان لبعضهم آثارٌ مهمة في إطار تجديد تلك العلوم، وأكثرُهم كان مؤلفاً، له مُصنّفات عدة اشتهرت في الآفاق، فأبوه الشيخ أبو البركات عبدالله بن ناصر الدين السُوَيدي (1104-1174هـ/1692-1760م)، وهو أول من عُرف بهذا اللقب، كان علامة عصره ومُجدِّده، اقتحم طريقه في العلم بروح عصامية، فجاع وعَرى في سبيل التحصيل، وجاهد البرد والفقر من أجل الأخذ عن الشيوخ، وإتقان ما يأخذ عنهم. وتلقى تعليمه في مدارس بغداد والموصل، وأخذ عن علمائهما، حتى بَرَز بين معاصريه وطار صيته، وقصده الطلبة من كل بلد يأخذون عنه ويتأثرون به. واشتهر بتمثيله الجانب العثماني في المؤتمر الذي عقده نادرشاه في صحراء النجف سنة 1156هـ/1743م، وتسجيله الدقيق لما دار فيه من محاورات. كما قام برحلة طويلة إلى الحج، مَرَّ فيها بالعديد من المدن في العراق وبلاد الشام والحجاز، والتقى في أثنائها بعدد جَم من علماء عصره وأدبائه، وقد سجّل وقائع هذه الرحلة أيضاً في كتاب عنونه (النفحة المسكيّة في الرحلة المكية)، فعبر الكتاب عن المدى الرفيع الذي بلغه أدب الرحلات عند العرب في العصر الحديث، بما اكتنزه من معلومات تاريخية ومشاهدات حية في مجالات علم الجغرافيا الطبيعية والبشرية وغيرها. وفضلاً عن ذلك فإنه ألف عدداً كتباً أخرى في علوم القرآن والحديث وعلم الكلام والأخلاق والردود واللغة والنحو والبلاغة والتاريخ، وغير ذلك[1].

---

(1) إن أوسع ترجمة لحياته كتبها بنفسه في كتابه (النفحة المسكية في الرحلة المكية) بتحقيقنا، بيروت 2011، ص77-106، وينظر أيضاً محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، القاهرة 1290هـ، ج3 ص86 وعثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في تراجم أدباء القرن الثاني عشر، بغداد 1974، ج3 ص93 ومحمود شكري الآلوسي: المسك

وأما أخوه الأكبر فهو عبد الرحمن أبو الخير (1134-1200هـ/1720-1786م)، الذي اشتهر بمؤلفاته الجمة، وأبرزها كتابه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء)[1]، وقد أرّخ فيه لبغداد، بل أنحاء مختلفة من العراق، في عهد الواليين حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م) وابنه أحمد باشا (1136-1147هـ/1723-1734م)، وذيَّل عليه بكتاب آخر تناول فيه الحقبة الممتدة من 1186 إلى 1192هـ/1772-1778م)[2]. وقد سَدَّ الكتابان فراغاً كبيراً في معلوماتنا عن هذه الحقبة المهمة من تاريخ العراق، هذا عدا مؤلفاته الأخرى في مجالات الفقه والحكمة والعقائد والتصوف والنحو والبلاغة والأدب والشعر والفلك[3].

ولمحمد سعيد أخوة آخرون، أصغر منه سناً، كلهم عُرف بالتدريس والتأليف، هم أبو الفتوح إبراهيم (ولد سنة 1146 ولم تعلم وفاته) وكان أديباً مُحدِّثاً، له آثار في علم الحديث[4]، وأبو المحامد أحمد (ولد سنة 1153 وتوفي سنة 1210هـ/1740-1795م)، وكان «عالماً يَعجَز عن علمه الواصفون»[5]، وله مؤلفات عدة في التصوف والردود والنحو[6]، وبنات، هن: أم العفاف سارة، وأم الخير رقية، وأم السَّعد صَفيّة، وكُن

الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، الرياض 1982، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص153-155، وكتبنا دراسة في سيرته ومؤلفاته في مقدمتنا لكتابه النفحة المسكية ص5-44.

(1) كان الدكتور صفاء خلوصي قد نشر قطعة من أوله تختص بسيرة حسن باشا (بغداد 1961، 128ص) ثم حققناه كاملاً ونشرناه (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي 2003، 660 ص)

(2) حققنا هذا الكتاب ونشرناه بعنوان (تاريخ حوادث بغداد والبصرة) إذ لم يضع مؤلفه عليه عنواناً.(بغداد، الطبعة الأولى 1978 والطبعة الثانية 1987، 168ص).

(3) المرادي: سلك الدرر ج4 ص10 وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، استانبول 1951، ج1/556 والآلوسي: المسك الأذفر ص131-135 وكاظم الدجيلي: مجلة لغة العرب 2(بغداد 1912) ص280 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، بتحقيقنا، بغداد 2001 ج2 ص284 وتاريخ علم الفلك في العراق، بغداد 1963، ص262 وعبد العزيز سليمان نوار: التاريخ في العراق بين التقليد والتجديد (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الحديث، القاهرة 1976، ص211) وكتابنا: التاريخ والمؤرخون ص180183.

(4) الروض النضر ج3 ص101 والمسك الأذفر ص136 والعزاوي: تاريخ الأدب العربي، ج2 ص131.

(5) المسك الأذفر ص135.

(6) تنظر في ترجمته المسك الأذفر ص 135 وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين ج1 ص182 وكتابه إيضاح المكنون ج2 ص635 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي ج2 ص133 وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ج1 ص288.

متعلمات أو عالمات، وقد اشتهرت رُقيّة بالعلم حتى صارت تمنح عالمات عصرها الإجازات في فروع العلم المختلفة[1].

ولأربعة أجيال في الأقل، تعاقب في الأسرة أبناء اشتهروا في مجالات العلم والأدب[2]، ثم عرف بعضهم، ممن عاش في النصف الأول من القرن العشرين للميلاد بالعمل السياسي والوطني، فضلاً عن علوم اختصوا بها.

وعلى الرغم من الشهرة العلمية الذائعة الصيت لأولئك العلماء، فإن حَيَواتهم لم تكن بعيدة عن أحداث عصرهم، إذ أنهم شاركوا مشاركة حقيقية في الحوادث التي عاشها وطنهم، لاسيما في أثناء الأزمات من كوارث بشرية وطبيعية، فكان لعبد الله السويدي مثلاً مشاركته في الدفاع عن بغداد أثناء حصار نادرشاه سنة 1145هـ/1732م، فقد خرج هو وعشيرته لصد المهاجمين وإفشال تعرضهم على سور الكرخ، وشارك بحماسة منقطعة النظير في معركة دفاع باسلة[3]، كما شارك في تداعيات تلك الحروب في تمثيله وحده الجانب العثماني في المؤتمر الذي نوهنا به من قبل.

وعبد الرحمن كان شاباً متحمساً تزعم أبناء الجانب الغربي من بغداد غير مرة، كلما تعرضت المدينة إلى خطر داهم، آخرها ما حدث سنة 1190هـ/1191هـ/1776-1777م، حينما تصدى لمحاولة أفّاق مجهول الأصل، يدعى عجم محمد التوصل إلى منصب ولاية بغداد، مقتدياً بأبيه، طارحاً عنه زي العلماء وهدوئهم، متقلداً سيفه، ليشرع في تنظيم مقاومة فعالة، وفي ترتيب خطط الدفاع كأي قائد عسكري محنك[4].

وقد أبدى كل منهم ما في وسعه من ضروب مشاركة أبناء مدينته في الحوادث العامة التي كانت تعصف بها بين حين وآخر، فضلاً عن مشاركتهم في الحياة الثقافية، ولذلك السبب، وغيره، كانت لهم صلات علمية واجتماعية واسعة مع علماء عصرهم في العراق والبلاد الإسلامية.

---

(1) النفحة المسكية ص182.

(2) قال إبراهيم فصيح الحيدري «بيت السويدي وهو بيت الحديث والفضل، وقد نشأ فيهم رجال أجلهم الشيخ عبدالرحمن السويدي مُحشّي تحفة ابن حجر". عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص93.

(3) المصدر نفسه ص18.

(4) مقدمتنا لكتابه تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص23 ولديوانه الذي حققناه بمشاركة الحاج وليد الأعظمي رحمه الله، بغداد 2000، ص1- 29.

فمؤلف هذا الكتاب إذن لم يكن بِدْعاً فيما شارك فيه، وشاهده، وسجل وقائعه بقلمه، وإنما اتباعاً والتزاماً بتقليد أسري يجمع بين العلم والتأليف والتدريس، وبين المشاركة، أو الزعامة، في الحياة العامة بكل ما يعنيه ذلك من أعباء ومسؤوليات.

وعلى الرغم من منزلته العلمية وقول مترجميه بأنه كان «مُشاراً له بالبنان، ممتازاً بين أقرانه بالفضل والعرفان»[1]، فإن معلوماتنا عن مجريات حياته لا تتناسب مع تلك المنزلة، وسبب ذلك يكمن في أن مترجميه وهم من العلماء أيضاً، كانوا يأنفون عن ذكر مشاركة أمثالهم في الشؤون العامة، تصوّراً منهم أنه لا يليق بالعالم أن يشارك في غير أمور العلم والشرع، من درس وتدريس وإفتاء وتأليف، فجاءت تراجم هؤلاء فقيرة من جوانب كثيرة، بعيدة عن صخب الحياة الدائرة من حولهم، وكأنهم يعيشون في خارج الحياة نفسها. ويقف محمد سعيد أنموذجاً على اجحاف المؤرخين في الترجمة لأعلام عصرهم، إلا من المعلومات القليلة التي يختارون هم أن يُبرزوها لقرّائهم دون غيرها من المعلومات الأخرى، التي تكمّل معالم صاحبها ودوره إنساناً مثقفاً متفاعلاً مع ما حوله، ولذا كان لِزاماً علينا أن نكمل هذه المعلومات القليلة بما كشف عنه الكتاب الذي ننشره اليوم، وما تناثر في كتابات أخيه عبد الرحمن وشعره، من جوانب غير معروفة من حياته، سكت عنها مترجموه.

وغاية ما تمدنا به هذه المصادر أنه ولد في بيت أبيه في بغداد سنة 1141هـ/1728م، وقد كنّاه أبوه بأبي السُعود، كما كنى أبناءه الآخرين، جَرياً على عادة العلماء في ذلك العصر، تفاؤلاً بمستقبله، وتأثر هو بتقاليد أسرته العلمية، فبدأ الدرس على يدي علماء مدينته، ثم ارتقى فيه مجالاته على يد أبيه، وهو العلامة الذي تُشَد إليه الرحال، فنال منه الإجازة بالتدريس، كما نال مثلها من عالمَين آخرَين، هما الشيخ عبد القادر المكي الحارثي، والشيخ علي الأنصاري، وربما من غيرهم ممن لم تصلنا أسماؤهم.

وشاءت الأقدار أن تتعرض بغداد إلى حصارات قاسية ضربها عليها حاكم إيران عهد ذاك نادرشاه، وكان هو في الخامسة عشرة من عمره يوم حاصر نادر شاه بغداد سنة 1156هـ/1743م، وكان أخوه عبد الرحمن يتولى رعايته في غيبة أبيه، حتى أنهما اضطرا إلى مغادرة منزلهما في الجانب الغربي والنزوح إلى الجانب الشرقي حيث

---

(1) المسك الأذفر ص131.

أقاما في حجرة في جامع الشيخ العاقولي، وهما في أكثر ما يكونا حنيناً إلى بيتهما القديم وجيرانهما هناك[1].

وكان محمد سعيد معجباً –كسائر أسرته– بوالي بغداد القوي أحمد باشا، وكان الأخير يُقدِّر للأسرة خدماتها، لا سيما في أثناء الحصارات الماضية، وموقف عميدها في مؤتمر النجف، وهو ما كان يدفع ببعض الناس إلى أن يقصده كي يعرض له، بأسلوبه البليغ، طلبه إلى الوالي المذكور، حتى أنه مدحه بقصيدة مطولة «على لسان بعض الأصدقاء يستمنح الوزير بها حين أخنى عليه الدهر بكَلكَله..»[2]، وشارك أخاه المذكور في نظم قصيدة في شكر الوالي ومدحه بمناسبة إهدائه فرساً إلى أبيه سنة 1159هـ/1746م[3]، ولم يكن يتجاوز آنذاك الثامنة عشر من عمره، مما دل على تفتح مبكر لمواهبه الأدبية.

أكمل محمد سعيد دراسته على أيدي علماء عصره، والراجح أنه عمل مدرساً في بعض مدارس بغداد، شأنه شأن أبيه واخوته، وأظهر تفوقاً متميزاً في علم الفقه لأننا وجدناه يؤلف كتاباً مستقلاً في أحكام التقليد، ثم أنه أختير ليشغل إفتاء الحنفية في النجف وكربلاء، هذا مع أنه نفسه كان شافعياً وهكذا كان أبوه وأخوه الأكبر عبدالرحمن.

وحينما توفي والي بغداد والبصرة وتولى صهره، وأبرز مماليكه، سليمان باشا (أبو ليلة) الولاية من بعده، وكان يومذاك في البصرة سافر محمد سعيد إلى بغداد مستقلاً السفينة التي أقلت موكب زوجته عادلة خاتون بنت أحمد باشا وأختها عائشة خاتون وأتباعهما.

وفي بغداد شهد محمد سعيد جواً سياسياً مضطرباً، فسليمان باشا ماض لتولي السلطة، يؤيده زملاؤه من مماليك سيده السابق، وواليها يسعى بكل سبيل إلى إقصائه عنها، وأهل بغداد منقسمين بين هذا وذاك، فكان أن انضم إلى جانب سليمان باشا، وحينما وصل فرمان تعيينه والياً، كان هو، وأخوه، من أوائل المهنئين.

اتسمت حياة محمد سعيد في أثناء ولاية سليمان باشا بالدّعة والإستقرار، مشمولاً برعاية عادلة خانم زوجة الوالي والحاكمة الحقيقية للولاية، وكان من آثار

---

(1) ديوان السويدي ص12

(2) ديوان السويدي ص35

(3) ديوان السويدي ص60

ذلك الاستقرار أن تزوّج، وهو في السابعة والعشرين من عمره، فتكفلت عادلة خاتون بنفقات الزواج كله. يقول «وفي هذه تزوجت بأم أولادي الموجودين، وذلك سنة ثمانية وستين بعد المائة والألف، وأرسلت عادلة خانم إليَّ النقد، وما تحتاج العروس والعرس من كل شيء بالزيادة»[1].

وجاءت وفاة سليمان باشا سنة 1175هـ/1761م، لتبدِّد مظاهر الإستقرار، ليس على مستوى أسرة محمد سعيد فحسب، وإنما على مستوى العراق كله، فقد انفجر صراع عنيف بين نوّابه (كَتخُداواته) السبعة، المُرشّحين بحكم مناصبهم إلى شغل منصب الولاية، فكان «كل واحد من هؤلاء يتمنى من قلبه أن يكون هو الخلف لسليمان باشا»[2]، ووجد السُويديون، ومنهم المؤلف، أنفسهم منحازين إلى أحدهم، وهو علي باشا، فالرجل كان هادئاً إذا قيس بالآخرين، وقد تعرّف إليه المؤلف في مَقرّه حينما كان ضابطاً للحسكة (الديوانية) على نحو مباشر في أثناء بعض أسفاره. قال« وكان في ذلك الوقت أكبر من كثير من الوزراء غير وزير بغداد هيئة ونظاماً وعدداً وعُدّة واستعداداً، فألزمني بالبقاء والمكث عنده ثلاثة أيام ..»[3].

ويظهر أن أعجابه بشخصه، وما وَقَر في قلبه من احترامه، أدى إلى مساندته في الوصول إلى السلطة بكل سبيل، بعد أن كاد علي باشا أن ييأس منها إثر معارضة خصومه. يقول «مضيتُ أنا وبعض المُتعيِّنيين من أهل الجانب الغربي، فرأيناه وأتباعه بلا أكل، ولا أحد يتجرأ أن يمضي اليهم ليبيعهم، ولا أحد من أتباعه يتجرأ ينزل إلى البلد يشري شيئاً، فأرسلنا إلى بيوتنا وبيوت معارفنا وأحبابنا أن يأتوا لنا بكل ما لديهم من مأكول، حتى ما أعَدَّ كلٌ لعشاه، وأهل بغداد يخبزون كل وقت خُبزاً قلما يكفي يومين، فجاءوا لنا وقت صلاة المغرب بأطعمة كثيرة نفيسة تصلح له ولأتباعه، فأكل الكل وشبعوا، والباقي تصدَّق به على الشحّاذين، وبايعناه عنا وعن كل أهل الجانب الغربي، أن له ما لنا وعليه ما علينا، ويحارب له أهل الجانب الشرقي كلهم. ففرح وعرف أنه صار باشا جديداً، فشكرنا وجئنا منه، فلما سمع بفعلنا أهل الجانب الشرقي انحلت عزيمتهم، فأطاع أكثرهم في الليل، ومضوا إلى خدمته، وهو لم يَنَم تلك الليلة فرحاً»[4].

---

(1) المخطوط الورقة 16ب.

(2) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ص133.

(3) المخطوط، الورقة 21ب.

(4) المخطوط، الورقة 19 أ.

لم يكن غريباً إذن أن يرفض محمد سعيد المشاركة الحملة النفسية والإعلامية التي قادها الكَتخُداوات لعزله بعد نحو سنتين من توليه منصبه. وأنف، وأخوه، أن يضعا خَتمَيهما كغيرهما من المدرسين وخطباء الجوامع على عريضة رفعت إلى الدولة تُلصِق به من التهم ما يدعوها إلى عزله، قال «وختموا العَرْض – أي العرضحال– حتى عند جميع المدرسين وخطباء الجوامع، وأنا وأخي اعتذرنا بضَياع خواتمنا، فختموا عند من تسمّى كإسمينا»[1].

ولا ندري على وجه التحديد موقف محمد سعيد من تولي عمر باشا السلطة، إثر اغتيال سلَفه علي باشا، وكان عمر هذا شديداً بطاشاً، لكنه مع ذلك زوج عائشة خانم بنت أحمد باشا، وأخت عادلة خانم، صاحبة الأيدي البيض عليه، والراجح أن أعمال عمر باشا العنيفة، لاسيما ضد آل الشاوي، وهو الذين تربطه به صلات الولاء والجيرة، وقتله عبد الله بك الشاوي، لم تُبق شيئاً من التقدير له. وها هو يصف الشاوي بالشهيد[2]، مما دل على إتهامه الباشا ضمناً بالظلم، وقد وَصَفه بأن لسانه وقت الغضب فحّاش[3]، وذكر في هذا الكتاب أنه لما نفى عمر باشا دفتردار بغداد عثمان أفندي العمري إلى الحلة، وهو يضمر له الإعدام، لم يجد حرجاً في أن يقصده بالزيارة متفقداً صحته، متعاطفاً معه فيما هو فيه من عنت[4].

داهم الطاعون بغداد سنة 1186هـ/1772م، فاضطر وأخوه، إلى مغادرة بغداد والنزوح إلى الحلة، فالبصرة، وحينما أدرك الوباء تلك المدن أيضاً، تركها متوجها إلى الكويت، وهي القَرين كما يسميها، حيث استقبله، وأخاه، أهلها استقبالا يليق بكرامتهما العلمية، وعاشا بين ظهرانيهم أياماً هانئة بين وعظ وتدريس[5]، ولما انتهى الطاعون عاد الأخوان إلى البصرة، وإذا بأخيه يُصدع بأمر من والي بغداد بتولي منصبي الإفتاء والقضاء فيها، فاضطر لقبول هذا التكليف مرغماً، أما محمد سعيد فقد لزم أخاه ولبث في البصرة هو أيضاً، ولا ندري ماذا كان يفعل في هذه الأثناء إلا أن مرضاً ألم به جعله يكره الإقامة فيها.

(1) المخطوط، الورقة 21 أ.
(2) المخطوط، الورقة 25 ب.
(3) المخطوط الورقة 22ب.
(4) المخطوط الورقة 22 أ.
(5) المخطوط الورقة 27 أ.

متعاطفاً مع هذا الوالي بعد عهد من الفوضى، لا سيما وأن بطولة سليمان باشا في دفاعه عن البصرة، وخبر أسْره في إيران على يد كريم خان الزند، تزيد من دواعي تأييده، وليس صعباً أن نجده يثني على صفاته وأنه «عامل الناس بالعدل لا الجور والإضرار»[1].

وفي المرة الثانية، غادر محمد سعيد بغداد سنة 1202هـ/1787م قاصداً الحج، فدخل حلب، ثم دمشق، وكان ذلك في غرة رجب من ذلك العام، ونزل في ضيافة صديقه الشيخ مفتي الشام المؤرخ محمد خليل المرادي (المتوفى سنة 1206هـ/1791م)، حيث قضى لديه أياماً هانئة رَخيّة. وفي تلك الأيام قام، بتشجيع من المرادي، بتأليف هذا الكتاب كما سنذكر ذلك. وبلغ من إعجابه بصديقه المؤرخ الكبير أن نَسَب نفسه إليه وإلى مدينته حباً وولاءً، فقال في آخر كتابه أنه «البغدادي ثم الدمشقي ثم المُرادي».

وانحدر من دمشق إلى مصر ليلتقي بعلمائها وليستجيزهم، وقصد القاهرة حيث التقى بالعلامة السيد مرتضى بن محمد الزبيدي مؤلف (تاج العروس في شرح القاموس)، فانتفع كلٌ بصاحبه، قال الزبيدي «غَمَرنا بفوائده وأمتعنا بصنوف موائده من كل فن غريب»، وقد أجازه السويدي بالرواية عن شيوخه النُبّل، وكذلك أجازه الزبيدي- بالمقابل- بكل مؤلفاته، ومنها (التاج) وشرح إحياء علوم الدين المسمى (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين)، و(المقاصد العنديّة في المشاهد النقشبندية) وذلك في 10 ذي الحجة من سنة 1204هـ/1789[2].

عاد محمد سعيد إلى بغداد بعد سنتين قضاهما في سفر وإقامة وترحال، وكان عمره قد تجاوز الستين عاماً، فاستقر في بيته حتى وفاته.

وذكروا أن وفاته جرت في سنة 1203هـ/1788م[3]، مع أنه لم يكن إذ ذاك في بغداد، لأن تاريخ تأليفه هذا الكتاب - الذي نقوم بنشره الآن- هو في سنة 1204هـ/1789م، وكان يومها في دمشق، وأن تاريخ إجازة الزبيدي له في القاهرة كانت في هذه السنة، ولا ندري تاريخ عودته إلى وطنه بعد هذا التاريخ على وجه التحديد، وثمة رواية تحدد وفاته في سنة 1213هـ/1798م، وأخرى تقول أنها حدثت سنة

---

(1) المخطوطة، الورقة 40 أ.

(2) نشر عز الدين علم الدين هذه الإجازة في مجلة المجمع العلمي السوري، المجلد 8، ص752.

(3) المسلك الأذفر ص139 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد، ط2، 2007 ص190.

1223هـ/1808م[1]، ونحن لا نطمئن إلى هذه التواريخ جميعاً لأن المؤلف وعد في نهاية كتابه هذا أنه حينما يمن عليه الله بالعودة إلى وطنه فإنه سيحرر «ذيلاً مُطوَّلاً» للكتاب، ويرسله إلى صديقه الشيخ محمد خليل المرادي في دمشق، أي أنه كان يَعد بتكملة الكتاب بما سيجدّ من حوادث جرت بعد توقفه عنه، لكنه لم يفعل، ولو كان حياً لفعل، وذلك للمنزلة الرفيعة والتقدير العميق الذي أبداه تجاه من وَعَده بذلك، ولكننا وجدنا ابنه الشيخ علي هو الذي يقوم بتلك المهمة فيؤلف كتاباً في تاريخ بغداد.

ونعلم أن وفاته حضرت وهو في داره في بغداد، لأنه دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، حيث يسكن بالقرب منها. ومما يلفت النظر في هذه الترجمة، على قصرها، ما ذكره الآلوسي من أنه كان «سلفي العقيدة»[2]، مع أن من مؤلفاته كتاباً في الطريقة النقشبندية، ويظهر أن الآلوسي استند في رأيه على حفظه للحديث الشريف، وإنه «كان محدثاً عالماً متقناً، متفنناً فيه»[3]، هذا مع أن كثيراً من معاصره من العلماء كان يجمع بين كونه محدثاً وبين إعجابه بالطريقة النقشبندية دون غيرها من الطرق، وذلك لأن هذه الطريقة، كما جدد قواعدها الشيخ خالد النقشبندي المعاصر له (توفي سنة 1242هـ/1728م)، كانت تؤكد على أتباعها ضرورة دراسة العلوم الشرعية، ومنها الحديث بوجه خاص، وقد انتمى إليها الكثير من العلماء لقدرتها على الجمع بين (جناحي الشريعة والطريقة) كما قيل.

أعقب محمد سعيد أبناء ذكوراً هم الشيخ حسين، والملا علي، وعبد الله، وأحسن تربيتهم وتعليمهم حتى وصفهم من عاصرهم «وكل من هؤلاء قد بلغ من الفضل مُنتهاه»[4]. وأبرز هؤلاء الشيخ علي، فقد كان «أعلم أهل مصره في عصره بالحديث»[5]، وله التآليف القيمة، لعل أبرزها (العقد الثمين في بيان مسائل الدين) الذي نقد فيه بدع عصره بجرأة ملحوظة، وألف كتاباً في تاريخ بغداد، «أحسن فيه وأجاد»[6]، متأسياً بعمه عبد الرحمن، وبأبيه كما سنذكر ذلك، وتوفي سنة 1237هـ/

---

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، ص507.

(2) المسك الأذفر ص 131.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

(4) المسك الأذفر ص139.

(5) المصدر نفسه ص140.

(6) المسك الأذفر ص140-146.

1821م[1]. وعلي هذا هو والد المؤرخ الأديب محمد أمين السويدي، صاحب المؤلفات الكثيرة[2]، ومنها كتاب (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) الذي نال الشهرة العريضة في عالم الأنساب[3].

وله أيضاً بنت سماها عاتكة، زوّجها من ابن عمها محمد بن عبد الرحمن السويدي.

وقد ألف بعض المؤلفات، ذكر منها إسماعيل البغدادي[4] كتاباً في الأدب سماه (دُرَّة الأبحار في علم الأشعار)، إضافة إلى كتابه (التقليد في أحكام التقليد) الذي ألفه من قبل.

كما أن له بعض القطع الشعرية التي دلت على رقة طبعه وعذوبة لفظه، ومنها تشطيره لقصيدة البُردة الشهيرة، وقيل أنه لما نظمها برئ من الآم أصابته نتيجة سقوطه من سطح منزله. منها[5]

أمن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَم	أسلمتَ قلبكَ في سَلَم بلا سَلَم
وقُل في صدق هذا الحال إنك قد	مَزَجْتَ دمعاً جرى من مُقلةٍ بدمي
أم هبَّت الريح من تلقاء كاظمةٍ	تثير ما في الحشا للوجد من ضَرَم

---

(1) عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبارالوالي داود، ص268، ومختصره لمحمد أمين الحلواني ص47 وأبو الثناء الآلوسي: غرائب الإغتراب ص15 والمسك الأذفر ص140-146 ونعمان الآلوسي: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص27 وعلي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص140 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص215 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية ص164 وهدية العارفين ج1 ص773 و[مختصر] تذكرة الشعراء للشهرباني، بتحقيق الكرملي، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون في العصر العثماني ص215-216 و . Brockelmann ,S.II.,782,58

(2) ينظر عنه المسك الأذفر ص149-152 والدر المنتثر ص87 وهدية العارفين ج2 ص164 والدجيلي، مجلة لغة العرب 2(بغداد 1912) ص15 والعزاوي: تاريخ الأدب العربي ج2 ص48 وتاريخ علم الفلك في العراق ص268 والزركلي: الأعلام ج6 ص267 وبحثنا: محمد أمين السويدي دفين بريدة، في الجزء الاول من هذا الكتاب.

(3) طبع على الحجر ببغداد سنة 1280هـ، ثم أعيد طبعه في بومبي بالهند، على الحجر، سنة 1296هـ، وأعيد طبعه مراراً في القاهرة وفي بغداد بالتصوير.

(4) هدية العارفين ج2 ص138.

(5) المسك الأذفر ص138.

فأرعد الرعدُ من صوت الحداة دجىً وأومض البرق في الظلماء من إضم

ومن شعره يتشوّق فيه إلى منزله في كرخ بغداد[1]:

يا ليلة الكرخ عودي لي بذي سَلَم لا زال بدرُكَ مَع ظلماك في سلم

أفدي سُويعة بشر منك إذ رَجعت كرائم المال من خيلِ ومن نعَم

يا ليلة في أراضيك الشموس سَمَت إلى السما فمحت ما فيك من ظُلم

جعلت ذكراك ذكرى كي أذكر ما بي مُذكّر تأنيث الجوى السقم

إن لم تعودي وإن العودَ أحمد في باقي البقا فبقائي فيه كالعَدَم

يا ليلة بحمى بغداد ذات حمى سقى أديمك هطّال من الديَم

واشترك مع أخيه عبد الرحمن بنظم قصيدة واحدة، يَحِن فيه إلى أيام الصبا، ويظهر تبرَّمه من دهره، بما فيه من ألم فراق وبعاد، وقد وضعنا شعره بين قوسين كالآتي[2]:

وذات طرف ناعس (يرمي بنبل من لهَب)

كأنه سَيفٌ إذا (ما سُلَّ أراك العجب)

(من ذات ثغرِ باسم) قد زانه ذاك الشَّنَب

وَيلي وكم أغرَت بنا (وكم رَمتنا في نَصَب)

وكم لهَجر أظهرت (فكم لها فيه أرَب)

يا ويح دهر كَم له (من حدثان ونُوَب)

(كنا بعيش راغد) فهل لتفريق سبب

(آه لأيامِ مَضت) في الكرخ في تيك الصُحَب

(وكم قضينا مأرباً) وكم نفينا من كُـرَب

تبّاً لدهرِ خاننا (قد نالنا منه تعب)

---

(1) المصدر نفسه ص138.

(2) ديوان عبد الرحمن السويدي، ص182.

كأنَّه في غفلة (مُذ نحنُ كنّا في طرب)

(يا دهرُ يكفينا الذي) (أرَيتنا منه العَجَب)

تبّت يداك مثلما (تبَّت يدا أبي لهَب)

وله قصيدة نظمها بمناسبة تولية صديقه محمد خليل المرادي منصب الإفتاء في دمشق، منها[1]:

دمشق الشام صار لها مَزيدُ من الفرح الذي أبداً يزيدُ

وسُرَّ الخلق إذ كل ترجّا مُناه وفوق الله يستفيد

وذلك حيث في رمضان وافى ببشرى منصب الفتوى البريد

لسيدنا الجليل خليل مجدِ مُرادي إن سُئلت من المجيد

فعمَّت جلقاً أفراحُ وسابق عيدها غيدٌ وعيد

أما داره التي طالما تغنى بها في الكرخ، وحن إليها في أثناء غيابه عنها، فقد ورثها عنه ابنه محمد أمين السويدي، ووصفت بأنها ذات طبقتين عليا وسفلى، فاتخذ ابنه المذكور من طبقتها العليا المطلة على الطريق، مجلساً يجلس فيه للتدريس«فغدت روضة من رياض العلوم، أغصان أشجارها مفتحة أنوار وأزهار الأدب فيها مبعث الأنوار»[2]. وحينما تضعضع بنيانها جدد عمارتها فعرفت بمدرسة السويدي، ولبثت من مدارس الكرخ المشهورة حتى وفاة محمد أمين سنة 1246هـ/1830م.

هذا الكتاب

ذكرنا أن مصادر ترجمة السويدي نوّهت ببعض عنوانات مؤلفاته، ولم يكن بينها هذا الكتاب، فضلاً عن أنه لم يؤثر عنه أنه كان مؤرخاً، أو معنياً بالكتابة التاريخية بأي حال من الأحوال، إلى أن وقفنا على هذه المخطوطة في مكتبة جستر بتي في دبلن في ايرلندا، وهي تحمل العنوان المُطوَّل الآتي (ورود حديقة الوزراء بورود وزارة مواليهم

(1) أثبت محمد خليل المرادي هذه القصيدة كاملة في كتابه (عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام)، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد، دمشق 1988، ص187.

(2) السيد محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص493-495.

في الزوراء) وقد كتب في صدرها أنها من تأليف (الشيخ الفاضل المُفنّن[1] الشاعر الأديب أبي الكمال مهذب الدين سعيد بن عبد الله بن حسين بن ناصر الدين البغدادي الشافعي الشهير بابن السُوَيْدي -حفظه الله- وهو بخطِّه الشريف)، فعلمنا أنه لم يكن أقل من أخيه عناية بكتابة التاريخ، بل إن تميز عنه ببعض الجوانب.

وإذا كان أخوه عبد الرحمن قد كتب تاريخ العراق من خلال سيرة والييه القويين حسن باشا وأحمد باشا، فغطى بذلك حوادث السنين من 1116-1160هـ/1704-1747م، فإن ما أراده محمد سعيد هو تكملة الحوادث التي جرت على وطنه بعد وفاة أحمد باشا. وعنوان الكتاب نفسه يكشف عن الأطار الذي أراده له، ومع أن العنوان جاء مشابهاً لعنوان كتاب أخيه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) وفي الغالب فإنه تعمد ذلك، فإنه كشف به الإطار الذي أراده لكتابه، فالحديقة هي وطنه بغداد، والوزراء، هما والياها المذكورين، والذين وردوها من (مواليهم) هم مماليكهما الذين تولوا السلطة من بعدهما، وواضح أن العنوان جاء مُعبِّراً عن مضمونه إلى حد كبير.

كتب المؤلف كتابه وهو بعيد عن وطنه، وهو أمر مكنه من أن يعبرعن رأيه في شخوص الحوادث التي كتب عنها بصدق نادر، لم يكن ليحصل لو أنه كتبه في كنف بعض ولاته أو أتباعهم، كما أنه كتبه لدوافع علمية بحتة، بتشجيع من مؤرخ دمشق الشهير محمد خليل المرادي، فلا مصلحة له مطلقاً فيما يكتبه عن أولئك الشخوص، ولا خوف عليه أو حرج إن ذكر من الحقائق ما أساء إليهم، ومن المؤكد أن المرادي لم يملك دافعاً لتشجيعه ضيفه إلا حب المعرفة التاريخية لا غير، مثلما فعل حينما شجّع صديقه عبد الرحمن الجبرتي في القاهرة أن يكتب تاريخ مصر، وقد جرت العادة أن يكتب مؤرخو العصر كتبهم أما نزولاً لرغبة ولاة ذلك العصر أو أمرائه أو أتباعهم، مثلما فعل أخوه عبد الرحمن حينما كتب تاريخ العراق بناء على طلب خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا، وكتب عثمان بن سند (مطالع السُعود) بطلب من والي بغداد داود باشا، وكتب رسول حاوي الكركوكلي (دوحة الوزراء) بطلب منه أيضاً. أو - في الأقل- رغبة في إهدائه إلى ذاك الوالي أو هذا الأمير، تكسباً أو تقرُّباً، كما فعل ياسين العمري في معظم مؤلفاته التاريخية، أما أن تتاح الفرصة لمؤرخ أن يكتب ما يكتب لا عن رهبة أو رغبة، وإنما لاستجلاء الماضي، فهذا أمر نادر الحدوث فعلاً، ويزيد من القيمة العلمية للكتاب دون ريب.

---

(1) المفنن تقابل الفنان في لغتنا العصرية.

والكتاب بعد هذا يعتمد شهادة عيان مؤلفه، فهو لم يسجل غير الحوادث التي رآها بعينه[1]، أو كان لصيقاً بمجرياتها، فلم يعتمد على روايات نقلها إليه آخرون، مهما كانوا، بل لم يتأثر بوجهات نظرهم لأنه لم يلتق بهم أصلاً في أثناء كتابته لتاريخه، اتباعاً لتوجيه محمد خليل المرادي، فقال «حيث لم يُمهلني إلى مكاتبة من اعتمده في بغداد، ورَضي من كَرَم طبعه الشريف بما يخطر في الفكر ويحضر في الفؤاد، فامتثلت أمرَه العالي»[2]، والاستثناءان الوحيدان في الكتاب كله رواية دقيقة وفريدة لحوار دار بين سيدتين عن سر لم يُعرَف، نقلتها له أخته رُقيَّة، وهي سيدة عالمة مُحدِّثة، جديرة بالثقة، ورواية أخرى عما جرى في البصرة بعد مغادرته للعراق، نقلها إليه ابنه الوحيد مكاتبة، وقد صَرَّح باسميهما بوصفهما مصدر تلك الروايتين، إلتزاماً بالأمانة العلمية.

ويختلف أسلوب محمد سعيد السويدي عن أسلوب أخيه، وأبيه من قبل، اختلافاً بيناً، ففي الوقت الذي كان هذان معنيّان بتزويق عبارتهما باتخاذ السَّجع، والمبالغة في الالتزام به، لم يشأ صاحبنا أن يقيِّد نفسه به، فكتب ما كتب دون سَجع، فضلاً عن المُحسنات البديعية التي اعتاد كتاب العصر على استعمالها، وهو لم يشغل نفسه باتخاذ الكلمات الحُوشيّة، والمفردات الغريبة، إظهاراً لُمكنته في الأدب، كما فعل أبوه وأخوه وغيرهما من المؤرخين المعاصرين[3]، وإنما فضّل أن يكتب بأسلوب سهل، يقرب أن يكون عامياً في بعض المواضع، لا تكلف فيه ولا صنعة. كما أنه لم يزين كلامه بأبيات من الشعر، له أو لغيره، كما هي عادة كتاب ذلك العصر، مع أنه نفسه كان

---

(1) من ذلك أنه حينما وصل محمد باشا الترياكي إلى بغداد قادماً من الحلة وكان يقسم الميري، أي حصة الحكومة من الحاصل «كيفما كان» كان هو يرقب المشهد بنفسه قال «وأنا إذ ذاك فيها مع الواقفين على الأبراج، فوصل ضحى ونحن نراهم عياناً، ونزلوا غربي بغداد القديمة مقدار ساعة، مثل عمله في الحلة». الورقة 7أ. وحينما قدم (محضر) إلى بغداد بشأن سليمان باشا والي البصرة يعلن عن عزله، قال «ورأيته بعيني وسمع أذني يقول للناس جهراً»، ولما اجتمع هذا المحضر بأبيه عبد الله السويدي كان المؤلف ثالثهما. الورقة 13ب.

(2) المخطوط، الورقة 1ب.

(3) ظل استخدام السجع والمحسنات البديعية يمثل الأسلوب السائد في مجال كتابة التاريخ والسير، فضلاً عن استعمال الألفاظ الحوشية والتعبيرات المتكلفة، والأشعار التي تحتاج ألفاظها إلى شرح وبيان، ولم يجر التخفف من هذه المؤثرات الأدبية إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. التاريخ والمؤرخون العراقيون ص66.

شاعراً جيداً، وله أشعار بمناسبات تاريخية شتى، ولكنه أراد لقلمه أن يسترسل في الحديث عن الحقبة التي يؤرخها دون قَطعه بأبيات أو قصائد مهما كان قائلها، متقيداً بتوجيه المرادي، قال «وأعفاني – حفظه الله- من ذكر ما قيل فيهم من مليح المديح»[1].

من الكتاب نسخة مخطوطة يتيمة بخط مؤلفها، كتبها سنة 1204هـ/1789م، تحتفظ بها اليوم مكتبة جِستر بتي في دبلن بإيرلندا، تحت العدد 3551، وتقع هذه النسخة في 44 ورقة، وهي بخط نسخ معتاد، في كل صفحة 23 سطراً، وفي كل سطر ما معدله 11-12 كلمة. وقد تبدو المخطوطة في أول وهلة في حال جيدة، إلاّ أن قراءة متمعنة فيها تظهر أن عيوباً كثيرة تَعتورَها، من ذلك أن المؤلف لم يعدها غير مسودة، فعاملها على هذا الأساس، حيث كشط، أو مسح، كلمات، أو أجزاء من سطور، بغية أن يكتب بديلاً أفضل في مواضعها، فكتب حيناً وأحجم، أو أجَّل ذلك، في أحيان أخرى، فظلت تلك المواضع بياضاً، أو حروفاً مطموسة فلا تُقرأ. ومع أنه كتب في الهوامش بعض الكلمات أو العبارات البديلة، إلا أنه استخدم حبراً باهتاً، أو رديئاً، ضاعت معه معالم تلك الكلمات والعبارات، حتى بات من الصعب قراءتها. ومن ناحية أخرى، فإنه كتب أحياناً كلمة صحيحة فوق أخرى أراد حذفها، لضيق المكان، فضاعت الكلمتان معاً، فلم تعد تقرأ، أو تقرأ ولكن بعُسر شديد. ثم أنه استعمل حبراً في كتابته زادت فيه نسبة الصمغ الذي يخلط عادة به لتثبيته، فما كان من الكلمات التي كتبت بهذا الحبر إلا أن التصقت بأمثالها في الصفحة المقابلة، فطُمِس بعض حروفها.

ومن المؤكد أن هذه النسخة لم تجد طريقها إلى بغداد، فقد أودَعَها – فيما يظهر- لدى صديقه ومُضيِّفه بدمشق المؤرخ محمد خليل المرادي، والعبارة التي على ورقة العنوان وفيها الثناء الكثير عليه (الشيخ الفاضل المُفنن الشاعر الأديب أبي الكمال مهذب الدين .. إلخ) هي بخط المُرادي لا خطه، وفي آخرها ورقة مستقلة عليها تمليكات لإناس كلهم من الشاميين على ما يبدو[2]، آخرها مؤرخ في سنة 1250هـ/1834م[1].

---

(1) المخطوط، الورقة نفسها.

(2) في هذه الورقة ما يأتي:

1- بيتان من الشعر، نصهما :

في عام تسع بعد الألف والمائتين مع الثلاثين أجمعهم حجل (؟) يا زين

طلع خبر في دمشق يا زاكي الفرعين ظهر محمد حبيبي الهادي المهدين

نظر فيه وتأمل معانيه الحقير الفقير إلى الله تعالى السيد سليم بن المرحوم الحاج عبد الوهاب بيك التزري (الترزي؟) غفر الله له وإلى والديه وإلى كل المسلمين أجمعين آمين 1250

2- بيتان عاميان غير واضحي المعنى.

3- تمليك (جناب حضرة أخونا الأعز الأكرم حميد الشيخ سيد السيد أحمد جلبي الطاراني)

4- (جناب حضرة أخونا الأعز الأكرم المحترم سيدي السيد صالح السيد سليم جلبي)

5- جناب ..ليدي السيد سليم جلبي السايحة 1250)

(1) حققنا هذا الكتاب وعلقنا عليه وصدر عن دار الزمان بدمشق سنة 2012.

قراءة في مخطوطة نزهة الادباء للسهروردي

نزهة الادباء في تراجم علماء ووزراء واشراف مدينة السلام الزوراء، عنوان لكتاب ضم تراجم نخبة من البغداديين الذي عاشوا في أخريات العصر العثماني، ألفه عالم بغدادي نابه، هو الشيخ محمد الأمين بن عبد الرحمن العباسي السهروردي، المتوفي سنة، وما زال الكتاب حبيس نسخة وحيدة بعضها بخط مؤلفه والبعض الاخربخطوط اقارب له.

المؤلف

ترجم له الشيخ محمد صالح بن سليم السهروردي (1310-1376هـ/1893-1957م)، ترجمة ضافية أوردها في أخر النسخة الخطية من الكتاب، وهي:

هو الواثق بالله محمد الأمين أبو نافع، أحد أجلة علماء بغداد المشهورين في العلم والأدب والفضل، بن العلامة أبو الخير الناصر لدين الله عبد الرحمن بن العلامة اقضى قضاة بغداد، الشيخ العباسي الجليل محمد عبد المحسن السهروردي طريقة.

كان أتم أهل عصره ظرفاً، وأشفهم رِقَّة ولطافة، له طبع كما راق نسيم السَّحر، وحُسن منظر لا يقنع منه النظر. وقد رقّت باللطف شمائله، وراقت لبصائر المُجتلين خمائله، وكان شاعراً مُعجباً عارفاً لطيفاً منقباً، حَسَن المطارحة، ذا براعة ومهارة فائقة، كم له في ميدان مبارزة العلمآء اليد الطولى، وفي المُعمّيات القدح المعلّى.

ولد -رحمة الله تعالى- في بغداد في محلة تحت التكية[1]، إحدى محاليل[2] جانب الرصافة، سنة الالف ومئتين واثنين وخمسين للهجرة[3]. وتربى في حِجر والديه تربية

---

(1) محلة قديمة عرفت في العصر العباسي بالمقتدية نسبة إلى مستحدثها الخليفة المقتدي بالله العباسي (467-487 هـ)، وربما شملت هذه المحلة جانباً من محلة قنبر علي أيضاً، ثم عرفت في العصور التالية بتحت التكية، نسبة إلى تكية قديمة كانت تقع في آخر محلة قنبر علي، فسميت المنطقة التي تلي هذه التكية بتحت التكية، أي ما دونها موقعاً، ومن معالم هذه المحلة مسجد حسب الله الذي كانت تحيط به بيوت أسرة المؤلف. عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص284 وكتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2005، ص37.

(2) المحاليل جمع محلة عند البغداديين.

(3) الموافق أولها 17 نيسان 1836م.

الأشراف والملوك، ثم قرأ القرآن الكريم وتأدب بأدبه على من اشتهر في بغداد من المُقرئين، ثم انتقل بطلب العلوم على العلامة الشيخ حبيب الكُروي[1]، ولازمه ملازمة الليل للنهار، حتى صار من المشار اليهم في العلوم العقلية والنقلية، كالفقه والحديث والتفسير والهيئة والمناظرة والحساب والهندسة والأدب والأصول والخط والإنشآء. ثم أجازه المومى اليه إجازة مطلقة كما هي العادة عند علمآء بغداد. وقرأ أيضاً على الشيخ الداغستاني[2]، وعلى المُحدِّث الكبير داود النقشبندي[3] وغيرهم. كان ذكياً سريع الانتقال، حاد الذهن، غزير المادة، عاقلاً ذا رصانة وتوءدة، قوى الحافظة. ثم أخذ علم التصوف على الشيخ داود المذكور، فأجازه هذا بكل ما أجيز به، وكان يُقدِّمه على جميع تلامذته، ويرفع له مكانه، وأخذ علم الخط على الشيخ حكيم الإسلام، ذي الفنون البديعة، والمقامات الرصيعة، المشهور بخلفة عبد الله[4]، فصار به عليه أشهر من نار على علم، بل أنه ابن مُقلة لحُسنه وبَداعة نظامه.

كان - رحمه الله تعالى- خطيباً محققاً ناثراً مبدعاً ناظماً مساجعاً حسن الصوت، وقد افتتن به كثير من الولاة حيث أنه يخيل للسامع أنه صوت داود عليه السلام، ذلق اللسان فصيحه، ذربه، يسحر الناس بعباراته، ويفتنهم بإشاراته، لين العريكة، قوي الجنان، ثابت الإيمان، حافظ القرآن، سلامة القلب سجية له، وعظم الحلم من مقدمات صفاته.

كان - رحمه الله تعالى- أغْيَر الناس على دينه، وأقواهم بالمدافعة عن كيانه. كريم النفس طيّبها، طلق اليدين حتى ليبذل جميع ما لديه، يقرئ الضيف ولا يخامره في مثل هذا أدنى حَيف. كان كثير الاعتماد على الله تعالى، صبوراً في أعماله، وكان عظيم الأمانة، كريه الخيانة، سهلا لَمن لايَنه، صعباً على من خاشنه. وكان - رحمه الله تعالى- موضع ثقة الولاة، محترم الجانب لدى الفضلاء، وكان بلبل المجالس، هزار الأندية والمدارس.

---

(1) عالم، محدث، توفي سنة 1295هـ/ 1878م ترجم له المؤلف في هذا الكتاب.

(2) لم نقف على ترجمته، ولم يترجم له المؤلف ضمن أساتيذه في هذا الكتاب.

(3) من كبار علماء بغداد، ذو نزعة صوفية، وله مناظرات فكرية، توفي سنة 1299هـ/1881م، وله ترجمة مستقلة في كتابه هذا.

(4) عالم، مدرس، عارف بفنون الحكمة، توفي سنة 1280هـ/1863م. ترجم له المؤلف في هذا الكتاب.

وقد ألف كثيراً من الكتب العظيمة في شتى العلوم، غزيرة الفائدة، عظيمة العائدة، منها (إعراب القرآن الكريم) ومنها (المقصد لتلخيص ما في المُرشد) و(القول الفرد في أسماء وفضائل أهل بدر) و(إعراب الأجرومية) و(حاشيته على شرح خالد الأزهري). وله هذا المؤلف[1]، وله ديوان خطب، وديوان شعر يدل على ما له من قريحة فياضة، وخيالاته سحرية،....[2]، وله الأقوال الحكمية، حلل فيه الأمثال وفوائدها. وله حواش على كثير من كتب الأصول والحديث، وله شرح أربعين حديثاً في الإختلاف، والتمسك بالفضائل[3]. هذا غير ما له من الرسائل والكتب التي خاطب بها بعض أمراء الهند وولاة الدولة العلية في بغداد وغيرها، فيما لو جمعت لخرجت كتاباً عظيماً جم الفائدة، وله تاريخ في اثار بغداد جاء فيه عن كل ماشاهده من الأربطة والمعاهد الدينية ورجالها، وما كانت عليه قبل ان تكون على ما هي عليه، وله تذيل على تاريخ حوادث بغداد لجده الأعلى القاضي الشيخ صلاح الدين، قاضي بلدة الدور وسر من رأى وحاكم إقطاعها[4].

كان جده المذكور -رحمه الله تعالى- قد جمع فيه كل ما حدث أيام الولاة في العراق، وجرى عليهم، وخروج العشائر على الدولة، وظهور الثورات، وما جرى لهم من المظالم وغيرها في البلاد.

وكان - رحمه الله تعالى- عضواً في محكمة الإستئناف [في] بغداد، ثم صار حاكماً في سامراء، ثم نقل الى الكفل، وكان مدرساً واماماً وخطيباً في الحضرة السهروردية ببغداد، وإماماً ومدرساً بجامع أبي النجيب السهروردي[5] أيضاً، وكل ذلك بإرادات شاهانية سلطانية.

---

(1) يقصد كتاب (نزهة الأدباء) هذا.

(2) هنا كلمة غير واضحة.

(3) وله من المؤلفات، غير ما ذكر هنا، ما نوه به محمد صالح السهروردي في كتابه (لب الألباب، بغداد 1933 ص258): تفسير مُشكل القرآن، ومجموعة في الأدب.

(4) في لب الألباب أن «هذا الكتاب استعاره بعض العلماء من الفاضل عبد المحسن أفندي أخي المترجم ليطلع على ما فيه وبقي عنده عدة شهور غير أنه بعدما راجعه المومى إليه وطلب إعادته إليه اعتذر.. وتوفي الكتاب بوفاته".

(5) هي المدرسة التي أسسها الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله البكري السهروردي (المتوفى سنة 563هـ)، وتولى التدريس فيها في السنوات 545-547هـ وذلك قبل أن يتزهد، وينقطع مع جماعة من أصحابه إلى العبادة والتصوف في رباط له قريب. واستمر التدريس

وكان في جميع أدواره حَكماً عَدلاً لا يقول إلا فصلاً، ولا ينطق إلا صواباً، عَقدت فعاله على رأسه إكليل الإمارة، تجده مرة في تلك البلدة حاكماً، ومرة واعظاً زاجراً، يقلد المعتصم في حكمياته، والرشيد في عزمه وهيبته. كيف لا! وهو ابن بَجدتها، وسيد عشائرها، غير أنه لما كان عربياً عريقاً في المجد والسؤدد، وله روح وثابة، يود إعادة الحكم الى بني العباس. وكان ناصره بعض شيوخ آل جَربة من شمر سنجار، والجبور في أعالي الخابور، والبدرخانية[1] في ديار بكر، على بث هذه الفكرة في العراق، ولهم به صلة من أيام ابيه وجده عبد المحسن.

وكان قد وُشي به لدى الوالي تقي الدين باشا[2] فعزله عن الأمر، وكفَّ يده من العمل في جهة سامراء، وعيَّنه في [ذي] الكفل سنة 1297 هجرية[3]، بدعوى أن الحكومة لم تجد أحزم منك، وأمضى سهماً، فكان منه الإجابة الى الطلب، وقد خاب مسعاه من كل وجه.

وكان -رحمه الله تعالى- السبب الوحيد في عمارة جامع الإمام أبي حنيفة، حيث أنه هو الذي رغَّب الوالي في عمارته. كما أنه هو الذي وضع خارطته بالشكل الحالي، وقد كانت عمارته تحت نظارته حتى تم على ماهو عليه اليوم[4].

وقد كان رَبع القامة، عريض الوجه مُدوَّر، أحمر الوجنتين، كبير العينين أكحلها، أقنى الأنف، كث اللحية أبيضها، أسيل الخدَّين. يشبه بعمَّته هرون الرشيد، مُقوَّس الحاجبين، يخلب القلوب منظره، وتأخذ بالألباب عبقريته ورشاقته، مُهاباً لا يلبث ان

في هذه المدرسة حتى العصر الحديث، واتخذ فيها مسجد، فصارت تعرف بمسجد أبي النجيب، أو نجيب الدين، وبعد توقف التدريس الديني فيها اتخذتها الأوقاف مدرسة متوسطة وثانوية تقوم هي بإدارتها، ثم ألغتها، واتخذتها دائرة لمديرية أوقاف بغداد، ثم أخلتها فشغلتها دوائر أخرى، وفي 2003م أعيد تعميرها كلياً ليشغلها بعض الأقسام العلمية التابعة لمؤسسة بيت الحكمة، بينما أضيفت بعض حجراتها إلى مبنى الإعدادية المركزية المجاور. كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص116- 122 وخير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006 ص364، والعقد اللامع ص154.

(1) آل بدرخان أمراء بوتان، وهي جزيرة ابن عمر.

(2) الأصح في سنة 1298هـ لأن ولاية تقي الدين في بغداد، وهي الثانية، بدأت من 28 محرم 1298 إلى 4 رجب 1304هـ/ 3 كانون الأول 1880- 25 آذار 1887م وقد ترجم لتقي الدين في هذا الكتاب.

(3) الموافق أولها 14 كانون الأول 1879م.

(4) هذه هي العمارة الشاملة التي أمر بها السلطان عبد العزيز، وتضمنت تجديد الجامع وتوسيعه، وقد شرع بها في سنة 1288هـ/ 1871م وتمت في سنة 1293هـ/ 1876م، في أيام جلوس السلطان عبد الحميد. محمد سعيد الراوي: خير الزاد، ص30-31.

يقف أمامه أحد، لا يغضب إلا لله، ولا يُحب إلا له وحده. راوية للحديث والشعر وأخبار العرب، سيما حوادث دول بني العباس -رحمهم الله تعالى وعفى عنهم- وكان لا يجلس فوقه أحد من أشراف بغداد، ويخشونه من كل وجه. وكان يجالس الندمآء، وله مجلس أدب ومطارحة. وتخرّج به خلقٌ كثير، ويدخل على الولاة من دون إذن ولا حجاب.

أعقب ولدين من الذكور: المستكفي بالله محمد نافع، ونور الدين، غير أن الأول سلك مسلك الجندية، فصار قائداً في المدفعية، وسلك الثاني مسلك الكتابة في المحاكم، فصار رئيس كتاب محكمة البداءة في بعقوبة وغيرها من البلاد، ومن الإناث السيدة حليمة والسيدة عطية والسيدة صفية والسيدة عائشة. ولما توفي سنة 1312هـ[1] دفن في رواق مصلى جامع الشيخ شهاب الدين عمر، على الدكة، عند باب سلم المحفل[2]، وأقيمت له التعازي في بغداد، ورثاه الشعرآء، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

أهمية الكتاب

تتجلى أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه قدم لنا عدداً من تراجم أعلام عاش أغلبهم في بغداد في القرن التاسع عشر، ومنهم من عاش في القرن الثامن عشر أيضاً، والأكثر أهمية أن أولئك الأعلام لم يكونوا من العلماء فحسب، كما جرت عادة مؤلفي كتب التراجم في ذلك العصر، وإنما كانوا أيضاً من فئات أخرى ندر أن ترجم لهم أحد، منهم اداريون وزعماء قبليون بل وموسيقيون وقراء مقام، وهذا التنوع الشديد في الأصول الاجتماعية لأولئك المترجمين، هو الذي كان سبباً في إطالة عنوان الكتاب على نحو ظاهر ليشمل «علماء ووزراء واشراف ثم أدباء وأغنياء مدينة السلام الزوراء»[3].

---

(1) يوافق أولها 4 تموز 1894م.

(2) أنشيء هذا الجامع عند مرقد الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي (المتوفى سنة 632هـ، والمدفون في مقبرة باب أبرز عند باب الظفرية، وهو الباب الوسطاني اليوم)، ولا يُعلم تاريخ إنشائه على وجه التحديد، ولكن توجد كتابة أثرية على باب المرقد تشير إلى تجديده سنة 735هـ، ولا دليل على وجود الجامع في ذلك التاريخ. وقال السيد محمد سعيد الراوي واصفا إياه «هو جامع قديم، رحب فناؤه، واسع مصلاه، يقصده الناس في الجمع والأعياد للصلاة فيه، خصوصاً في أيام الربيع والخريف والشتاء، عند عدم الأوحال، وفيه مدرسة عند الباب في الطبقة العليا، مطلة على الصحراء، وفيه حجر لإقامة الفقراء،وعلى بابه طاق، وفيه طارمة واقعة في الجهة الشمالية، وفيه سقاية يجيء إليها ماء دجلة من دجلة بكرد يستقي من دجلة..» خير الزاد ص307-308.

(3) أجرينا اختصاراً جزئياً في هذا العنوان المطول، فحذفنا (ثم أدباء وأغنياء) فلفظ أدباء تكرر في مطلع العنوان (نزهة الأدباء) وأما (أغنياء) فلم يترجم المؤلف في كتابه أحداً على وفق غناه فحسب.

وفي أكثر هذه التراجم لا يقتصر المؤلف على تقديم المعلومات التقليدية المعتادة عن أصحابها، وإنما نراه يسعى لتقديم صورة متحركة مفعمة بالحيوية والمواقف من خلال نشاطاتها في مجتمعها، لا سيما في ظل المتغيرات الجسيمة التي شهدتها بغداد، بل والعراق عامة، إثر انتهاء نظام المماليك وسقوط آخر ولاته داود باشا على يد الحملة العثمانية التي قادها علي رضا باشا اللاز، وما رافق هذا الحدث من عنف واضطراب، ترافقا مع كارثتي الغرق الداهم وفشو الطاعون الجارف في المدينة. وبعض أولئك الأعلام لم يترجم لهم أحد، ومن ثم يتخذ ما كتبه عنهم أهمية خاصة، وبعض آخر نجد لهم ترجمة في كتب العصر، لكن يبقى ما كتبه هو عنهم مفيد بسبب ما تضمنه من اشارات جديدة وملاحظات غير مسبوقة.

وفي الكتاب فوائد جمة، تتجاوز ما يتضمنه من تراجم، فقد تطرق فيه مؤلفه إلى أمور شتى من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بغداد في خلال القرنين الأخيرين من عصر الدولة العثمانية في العراق، من ذلك أنه تضمن إشارات ذات شأن إلى معالم من خطط بغداد لم تكن تعرف من قبل، منها اشارته إلى بعض محلاتها وضواحيها، ومنها محلات: تكت التكية، والحيدرخانه، والمهدية، والصابونجية، والكولات، والفضل، والشيخ العاقولي، وبوب الشام، كما أشار إلى قلعتها الداخلية، وسراي ولاتها، وبعض ثكنات الجند فيها، وقلعة القرنتينة، وما كان في أرضها من مبان عباسية. كما أنه نوه بسقاياتها، ومنها سقاية سري باشا في الميدان، وساقية حسين باشا السلاحدار، وتطرق إلى مساجدها، ومنها مساجد الحيدرخانه، وحسب الله، والشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عمر السهروردي، ومعروف الكرخي، والوزير، وغيرها. ومن مدارسها: مدرسة الشيخ صندل، والسليمانية، والخاتون، ومن تكاياها: تكية البندنيجي. ومن مؤسساتها ومعالمها القديمة الأخرى: أبواب وأسوار وسِداد.

ومن الناحية الإجتماعية والسياسية، كشف الكتاب عن انتفاضات القبائل العربية ضد سلطات الولاة، لا سيما انتفاضات قبائل العُبيد، والخزاعل، والمنتفق، والعقيل، وبيّن دوافعها، كما تناول أيضاً دور الإمارة البابانية في سياسة المماليك، بل دور الكرد عامة في التأثير على مجرى الأحداث في العراق عهد ذاك. والمؤلف، على الضد من أكثر مؤرخي المدن، شديد التعاطف مع هذه القبائل يبدي تفهما خاصاً لدوافع زعاماتها في تحدي السلطات، ولذلك نجده يترجم لنماذج من تلك الزعامات

على نحو يتسم بالاحترام. وفي المخطوطة اشارات أخرى إلى قبائل وأسر عدية أخرى، منها الملية، والجبور، والكُروية، والقراغول، وحرب، والصليبة.

ومن جهة أخرى، قدم الكتاب تفاصيل مهمة عن التشكيلات العسكرية في العراق، النظامية منها كالينكجرية، وغير النظامية كاللاوَند، وأورد- عَرَضاً- أسماء عدد من المناصب العسكرية، مثل: الكتخدا، والأغوات، والتفنكجية، وغيرها. كما تحدث عن الأسلحة النارية التي استخدمتها القوات العسكرية وما أصابها من تطوير في ذلك العهد، من ذلك مثلا قوله عن والي بغداد داود باشا «وهو الذي أمر أيضاً بجلب البنادق التي هي خلاف ما بأيدي العسكر، وكانت تعرف بالششيخان[1] وغيره من نوع أبي الفتيل، وجلب من بلاد الافرنج المصانع والصناع لعمل الأسلحة والتدريب».

وفي الجانب الاقتصادي، أورد المؤلف قائمة بأسعار السلع المختلفة في سوق بغداد، في أثناء الفوضى التي شهدتها بغداد في فترة فراغ السلطة إثر انهيار نظام المماليك، وأشار إلى بعض العملات المتداولة، منها: القرش، والقرش الرائج، والأوزان المستعملة في سوق بغداد، ومنها الوزنة، والأقة، والبشنك، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وتحدث عن الحياة السياسية في بغداد في عهد المماليك شبه المستقل، وفي خلال مرحلة انتقال السلطة إلى الحكم العثماني المباشر، ومواقف الزعامات المحلية، من العلماء، والأشراف، والتجار، من ذلك الانتقال، وما رافقه من عنف واضطهاد. وقد أبدى تعاطفاً واضحاً مع تلك الزعامات، يصل إلى حد الانتماء الكامل لمواقفها في صراعها ضد السلطة العثمانية المباشرة، وهو إن أبدى نوعاً من العطف على حكم داود باشا، آخر المماليك، فذلك لأنه كان يمثل نزوعاً مشروعاً نحو تحقيق شيء من الاستقلال عن تلك السلطة التي بدت أكثر عنفاً وظلماً منذ أول يوم استعادت فيه حكم بغداد سنة 1247هـ/1831م.

---

(1) الشيشخانه نوع من البنادق في سطح سبطانتها الداخلي ستة خطوط طولاً تساعد على دفع القذيفة باتجاه الهدف، وهي تختلف عن البنادق القديمة بأنها مزودة بالزناد اللازم لالهاب البارود، على خلاف تلك البنادق ذات الفتيل عن أنها مزودة بالحربة (السونكي) غالباً، وقد استمر استعمال هذا النوع من البنادق حتى سنة 1840م، إذ بدأ استبدالها بالبنادق ذات الكبسول. عبد الرحمن علي: تذكار الشجعان في إصابة النشان، القاهرة 1288هـ، ص92.

مصادره

تناول الكتاب حقبة زمنية ترامت على قرنين، وقسم من هذه الحقبة، وهي التي شغلت القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) كانت قريبة من عهد المؤلف، عاش أحداثها وعاصر شخوصها بنفسه، وقسم آخر أبعد زمناً، شغل معظم القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر)، وبينما اعتمد في المدة التي عاصرها على ملاحظاته المباشرة، والروايات التي سمعها بنفسه، فإنه عمد في المدة التي سبقت على الإفادة مما كتبه أبوه وجده من وثائق وكتب، بوصفها شهادات عيان لما حدث في ذلك العصر. ويأتي كتاب جده محمد عبد المحسن العباسي السهروردي، في تاريخ بغداد في مقدمة مصادره التي اعتمد عليها، وهو المعنون (تاريخ حوادث بغداد الجديدة) الذي ذيَّل فيه على ما دوَّنه والده، ومن قبله جده الشيخ صلاح الدين، قاضي بلدة الدور وسر من رأى، وقد سماه (تذيل على تاريخ حوادث بغداد)، وتناول فيه «أيام الولاة في العراق، وما جرى عليهم. وخروج العشائر على الدولة، وظهور الثورات، وما جرى لهم من المظالم وغيرها في البلاد». وكتابه (الوقائع العراقية) وهو في الموضوع نفسه[1]، وقد صرح هو بأنه «عوَّلتُ على كثير من المواضيع التي جاءت في هذا الكتاب، عليه وعلى الكتب التي تبودلت بين جدي وبينه (يريد داود باشا) رحمهما الله تعالى». وميز بوضوح ما نقله عنه إذ نجده يقول «إنتهى من تاريخ جدنا العلامة الشيخ عبد المحسن». كما اعتمد على مؤلفات أبيه عبد الرحمن حلمي إذ نجده ينقل خبراً عن زيارة العالم المدني جمل الليل بغداد فيقول« هذا ما كتبه عنه والدي عليهما الرحمة والرضوان» وحينما تحدث عن الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1247هـ/1831م قال «ذكر جدي العلامة في تاريخه (حوادث ووقائع بغداد) أنه بلغ يومياً عدد الأموات بالطاعون ما فوق العشرة ألف ميت، وكان يصلى على كل ألف جنازة مرة واحدة»..

وموطن اهمية هذا المصدر أنه تضمن نصوص ما كان يرسله مؤلفه الى داود باشا من رسائل يصف فيها احوال بغداد بعد عزله عنها، وكان داود يعيش آنذاك معزولاً في استانبول، وبالطبع فإن تلك الرسائل كانت أشبه باليوميات التي تتحدث عما يجري في المدينة أولا بأول، وقد سبق أن اعتمد عليها أبو المؤلف، وكان مؤرخاً أيضا، وهو عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي في كتاب له لم يسمه، وسميناه

(1) الورقة 45

نحن (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)[1]، وهذا ما يفسر بعض أوجه التشابه بين ما كتبه مؤلف (نزهة الأدباء) وما كتبه والده المذكور، حينما يتحدث كل منهما عن الوقائع التي رافقت عزل داود ونفيه.

خطة الكتاب

رتب المؤلف تراجمه، وتبلغ نحواً من اربعين ترجمة، على وفق حروف الهجاء، لكنه اضطرإلى الخروج على هذا المنهج بسبب عدم وقوفه على تراجم تغطي جميع هذه الحروف، فوقع في شيء من الارتباك، وأخذ يرتب مترجميه تارة بحسب أسمائهم الأولى، وتارة بحسب ألقابهم، وأخرى بحسب كناهم. وتختلف هذه التراجم من حيث وفرة التفاصيل أو قلتها، بحسب الدور الذي أدته في حوادث عصرها من جهة، وما يمتلكه عنها من معلومات من جهة أخرى. ومن الملاحظ أن السلطة لم تكن معياراً له في طول ترجمة صاحبها، صحيح أنه ترجم لعدد من الولاة، أبرزهم داود باشا، آخر المماليك، إلا أن سليمان بك الشاوي، وهو ثائر تمرد على السلطة نال حظاً من الترجمة يزيد على أولئك الولاة طولاً ووفرة. ولم يُعن المؤلف كثيراً بتعيين تواريخ الحوادث في حياة من يترجم له، فهو يغفل أحياناً عن ذكر تواريخ وفيات مترجميه، فضلا عن ولاداتهم، أو أن يتركها بياضاً بانتظار أن يثبتها فيما بعد لكنه لم يفعل، ومخطوطة الكتاب لا تعدو أن تكون مسودة له، وواضح أنه لم يخرجه إلى البياض.

وفيما يأتي قائمة باسماء المترجمين

رقم الترجمة	اسم المترجم
	حرف الألف
1	الشيخ أحمد الحافظ
2	أحمد زكي باشا العمري
3	أسعد الحيدري
4	إسماعيل باشا

(1) طبع ببغداد سنة 1996، 144ص.

5	أمين الموصلى
	حرف التاء
6	تقى الدين باشا
7	تيمور الملى
	حرف الثاء
8	ثوينى السعدون
	حرف الجيم
9	جمل الليل
10	جميل
	حرف الحاء
11	حافظ باشا
12	حامد الآلوسى
13	حبيب الكروى
14	حسن الزوزوجى زاده
15	حسن المهداوى
	حرف الخاء
16	خالد باشا اللاوندى
17	خزاعة العراق
18	خلفة عبد الله
19	خلفة عبد الله بن محمد
20	خليل المقدسى
	حرف الدال
21	داود النقشبندى

22	داود باشا
	حرف الراء
23	راشد السعدون
24	رياز المغنى
	حرف السين
25	سليمان الشاوى
	حرف الصاد
26	صبغة الله الزيارتى
27	صبغة الله الحيدرى
	حرف العين
28	عبد الباقى الآلوسى
29	عبد الرحمن الآلوسى
30	عبد الرحمن بن عبد المحسن العباسى
31	عبد السلام الشواف
32	عبد العزيز الشاوى
33	عبد الغفار الأخرس
34	عبد الغنى بن عبد المحسن العباسى
35	عبد القادر بن عبد المحسن العباسى
36	عبد الفتاح الشواف
37	عبد اللطيف الزهير
38	عبد الله بهاء الدين الآلوسى
39	عبد الله السويدى
40	عثمان بن سند

41	عيسى البندنيجي
	حرف القاف
42	قاسم البياتي
43	قاسم الغواص
	حرف اللام
44	لطف الله كاتب الديوان
	حرف الميم
45	محمد أمين العمري
46	محمد سعيد الأخفش
47	محمد بن صالح العسافي
48	محمد صالح بن عبد المحسن العباسي
49	محمد بن عبد المحسن العباسي
50	محمود الآلوسي
51	محمود النقيب
	حرف النون
52	نامق باشا
	حرف الياء
53	يحيى المزوري

أسلوبه

أسلوب المؤلف خال غالباً من المحسنات والتكلف، إلا في المواضع التي يتعمد فيها الثناء على مترجم ما، فيأتي حينذاك بعبارات مسجوعة في وصف محاسن ذلك المترجم وإطراء مناقبه، أما في سرده للحوادث فهو سريع في العرض سرعة تدافع الأحداث نفسها، فلا تستطيع أن تضع فاصلة بين عباراته، أو أن تتوقف هنيهة بين كل جملة وأخرى، وإنما هي تتصل ببعضها لتعبر عما حدث وتصفه بسرعة ظاهرة.

وأسلوبه، في هذا، أقرب إلى أسلوب الصحفيين الذين ينقلون الخبر إلى قرائهم بصورة مباشرة غير عابئين بتزويق أسلوبهم أو تزيينه بشعر أو نحوه، باستثناء ألفاظ التفخيم التي يجزلها أحياناً على بعض مترجميه من العلماء، لا سيما من رجال أسرته. بل أننا نجده يتعمد التقليل من شأن بعض العلماء، بإظهار فقرهم الشديد، أو حاجتهم إلى عَون أرباب السلطان، بالتقرب إلى هذا الوالي أو ذاك. وفي أحيان قليلة نجده يسمح لنفسه أن يطلق القلم في ثلب عالم لمجرد ضغينة يحملها في صدره ضده، أو ضد أسرته، هذا في حين نجده شديد الإعتداد برجال أسرته، يذكر ثراءهم وعلمهم ومكانتهم الإجتماعية الرفيعة كلما ترجم لأحد منهم.

مخطوطة الكتاب

تقع مخطوطة الكتاب في 160 ورقة، كل منها في 26×19 سم، كتبت بخطوط مختلفة، فالأوراق 1- 31 بخط ناسخ ليس هو المؤلف، والأوراق 31-93 بخط آخر، والأوراق 93- 160 بخط ناسخ ثالث، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن يكون تلفاً أصاب القسم الأول من المخطوطة، والقسم الأخير منها، فأكمل اولهما واحد، وأكمل آخرهما آخر، نعتقد أنه الشيخ محمد صالح السهروردي، لمعرفتنا بخطه من آثار أخرى له اطلعنا عليها.



الشارع المؤدي الى الميدان ببغداد، في آخر الصورة حيث منتهي الشارغ يظهر جامع الاحمدية (المشيد سنة 1211هـ) وعن اليمين، في مقدمة الصورة، جامع الازبك، بمئذنته الصغيرة، وتوجد وراءه قلعة بغداد، وعن يسار الصورة جامع المرادية المقابل للقلعة

وواضح أن الأسطر الأولى من خطبة الكتاب ليست للمؤلف، فهي تبدأ بإطناب الثناء عليه من كاتب آخر، ولا نعرف هذا الكاتب، وعلى اية حال فهو ليس محمد صالح. وقد كتب في الورقة الأولى منه العبارة الآتية (لمؤلفه وجامعه اللوذعي الأديب، ذي الحسب الرفيع، والنسب المنيع، العلامة الكبير، واللغوي الشهير، صاحب التاريخ، ومؤلف إعراب القرآن الخطي، الواثق بالله، أبي نافع، محمد الأمين بن العلامة الشيخ عبدالرحمن العباسي ثم السهروردي المتوفى 1312 هـ) وفي الورقة الأخيرة عبارة ختامية تقول «وقد كمل والحمد لله إنشاء هذه التراجم في أوائل ذي الحجة سنة 1290 في المدرسة السهروردية، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين». وهي بخط يختلف عن خط عبارة العنوان المذكورة.

وتوجد في آخر المخطوط ترجمة للمؤلف في ست أوراق، بخط الشيخ محمد صالح السهروردي، والراجح أنها من إنشائه، يليها أرجوزة في 59 بيتاً، نظمها محمود بن الشيخ عبد الكريم المجموعي الخطيب في جامع الزبير بين العوام في بلدة الزبير، في نسب اسرة المؤلف، وقد فرغ منها في 15 من شهر رجب سنة 1361هـ/28 تموز 1942م.

وختاماً، فمن المؤكد أن الكتاب يمثل اضافة جديدة لمعلوماتنا عن تاريخ بغداد والعراق في القرنين الاخيرين من العصر العثماني[1].

(1) صدر هذا الكتاب عن دار الزمان- دمشق سنة 2016.

نزهة المشتاق في علماء العراق
نص جديد في تاريخ العراق في القرن الثاني عشر للهجرة

نزهة المشتاق في علماء العراق كتاب ما زال مخطوطاً ألفه عالم عراقي جليل هو محمد بن عبد الغفور الرَّحبي البغدادي من أهل المئة الثانية عشرة للهجرة (الثامنة عشرة للميلاد)، ترجم فيه لعدد من علماء العراق وأدبائه المعاصرين له، وأكثرهم ممن لم يُترجَم لهم أحد.

المؤلف:

ومؤلف الكتاب هو كما سمّى نفسه في خطبته (أبو البركات محمد بن عبدالغفور الرَّحبي)، فهو من آل الرَّحبي الأسرة البغدادية القديمة[1] التي طالما خرَّجت العديد من العلماء والأدباء، ومنهم من تولى مناصب القضاء والإفتاء، في بغداد وفي الحلة وفي البصرة، إبّان العصر العثماني، وكان أسلافها قد نزحوا من بلدة (الرَّحبَة)[2] في بلاد الجزيرة، ووفدوا إلى بغداد في زمن غير محدد، حيث سكنوا في محلة باب الشيخ، قرب جامع السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفي محلة السِّنك، إحدى محال الجانب الشرقي من بغداد، وكانت لهم في محلة باب الشيخ قصور ودور، ألفت محلة قائمة بذاتها نسبت إليهم فعُرفت بمحلة آل الرحبي[3]، وفيها انعقدت مجالسهم الثقافية التي كان يؤمها أهل العلم والأدب لأجيال عدة، ومنهم من اختار السكنى في مدينة الموصل[4]، وفي قرية بُهْرُز

---

(1) ذكر المؤلف فيما يأتي من شعره أن أسرته تنتسب إلى الدوحة النبوية، وقد سجل عبد الحميد هذا نسبه على النحو الآتي: عبد الحميد بن عبد الله بن محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد النافع الموسوي الحنفي المعروف بالرحبي، فهو من ذرية الإمام موسى الكاظم إذاً. كتابه (الزلزلة العظمى) في المكتبة القادرية. كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، بغداد 1977، ج2 ص488.

(2) تقع الرحبة على بعد 5 كم جنوب مدينة الميادين التابعة لمحافظة دير الزور.

(3)جاء في وقفية الحاج اسماعيل بن محمود أفندي الرحبي المؤرخة في 20 جمادى الآخرة من سنة 1225هـ/1810م، أنه وقف دارَين «في محلة آل رحبي زاده، وباغجة (حديقة) ملحقة بالدارين المذكورين». كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط:2 بغداد 2016، ص61.

(4) كتابنا: الاثار الخطية ج1 ص88 اسم لاحد المالكين هو محمد بن الحاج عبدالرحمن الرحبي اصلا الشافعي مذهبا الموصلي مسكنا والخاتوني مولدا سنة 1100هـ/1688م.

من أعمال مدينة بعقوبا[1]. ومنهم من تولى الإفتاء في الحلة، مثل محمد الرحبي، وإفتاء الشافعية في البصرة، مثل الشيخ علي بن الشيخ محمد الرحبي[2]، وعثمان الرحبي[3]، ومن علمائهم المؤرخ محمود بن عثمان بن محمد الرحبي (توفي بعد 1162هـ/1748م) مؤلف كتاب (بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان)[4] ، والعلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي (توفي سنة 1184هـ/1770م) مؤلف كتاب (فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على كتاب الخراج) وهوشرح كتاب الخراج لأبي يوسف[5]، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الرحبي (توفي سنة 1197هـ/1782م)، الذي عَدَّه العلامة عبد الله السويدي من شيوخه[6] وكان مؤرخاً كتب في موضوعين مهمين هما (تاريخ قضاة بغداد) و(تاريخ نساء بغداد)[7]. ومنهم أيضاً عبدالرحمن الرحبي، وخليل بن محمد الرحبي، وعبدالغفور الرحبي، والد المؤلف، والملا ياسين بن عبد القادر الرحبي، وعبد الكريم بن محمود الرحبي، وعبد الكريم بن الشيخ محمد الرحبي، والحاج إسماعيل بن محمود الرحبي، وعمر أفندي بن محمود

---

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص136.

(2) محمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء، بتحقيقنا، دمشق 2012، وعثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، بغداد 1975، ج3 ص79.

(3) الروض النضر ج3 ص88.

(4) يتضمن ترجمة الوزير أحمد باشا بن حسن باشا (1136-1147هـ/1723-1734م) وألفه باسم الوزير سليمان باشا أول ولاة المماليك (1162-1175هـ/1749-1761م). منه نسخة بخطه في مكتبة المتحف البريطاني، وقد حققناه وصدر عن دار الزمان بدمشق 1915.

(5) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج1 ص585. وقد نشر بببغداد بتحقيق الدكتور أحمد الكبيسي.

(6) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، ط2، بيروت 1911، ص99. وقد كتب اسمه في حاشية تمليك له على احدى مخطوطات المكتبة القادرية ببغداد على النحو الآتي: محمد بن الحاج عبد الرحمن الرحبي اصلا الشافعي مذهبا الموصلي مسكنا والخاتوني مولدا سنة 1100هـ/1688م ولم تتاكد لنا هوية الخاتونية التي ولد فيها. الاثار الخطية ج1، بغداد 1973، ص88.

(7) آل هذان الكتابان مع كتب أخرى إلى عبد القادر الرحبي الذي كان مقيماً في بُهرز، قرب بعقوبا، وبذلنا مساع حثيثة في أوائل السبعينات من القرن الماضي لمقابلته والاطلاع على الكتابين، إلا أن جهودنا فشلت، بسب تركه بهرز والانتقال إلى بغداد سراً لظرف ألمَّ به، ثم علمنا أن كتبه تفرقت في غيبته ولم يعلم مصيرها. كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص176- 177.

الرحبي، وعبد السلام الرحبي[1]، وعبد الفتاح الرحبي، وإبراهيم الرحبي، وبكر بن الشيخ محمد الرحبي، وكان عالماً له (الحواشي السنية في شرح ألفاظ الآجرومية) و(تحفة المبتدي وتذكرة المنتهي)[2]، ويوسف الرحبي وولده جواد بن ملا يوسف بن شيخلي بكر)[3]، وقاضي البصرة عبد الحميد بن عبد الله بن محمود الرحبي (توفي سنة 1247هـ/1831م)[4]، وله رسائل مهمة في أصول الفقه[5]، وعبد الحافظ الرحبي القاضي في الأحساء سنة 1282هـ/1864م[6] وغيرهم ممن عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18، 19م) وغيرهم. «وكلهم علماء أعلام»[7]. وترجم الأديب عثمان عصام الدين العمري (المتوفى سنة 1186هـ/1772م) لطائفة من أدباء هذه الأسرة تحت عنوان «بيت الفضلاء الرحبية»[8]، وقال السيد إبراهيم فصيح الحيدري (المتوفى سنة 1300هـ/1882م) «هو بيت علم، وقد نشأ فيهم رجال أجلاء»[9].

لم يُترجم مؤلف الكتاب لنفسه في كتابه، ربما تواضعاً منه، ولكنه ترجم لأبيه عبدالغفور ترجمة ضافية، فقال «هذا المَوْلى ربيب أدبٍ وكمال، وفخر ومجدٍ وأفضال، في ميدان العلوم سابق طلق عنانه، كأنما حُشر الصواب بين بيانه وبَنانه، مجمع البحرين، العلم والأدب، وملتقى الفخرين الحَسَب والنسب، فاق بكل فن، أبناء العصر والزمن، فكم كشف مُشكلاً وحَلَّ مُعضلاً، بلسان طلق فصيح، وميدان فضل فسيح، جوهرة خلته لا يشوبها عَرَض، حميد النجدة في كل عرض، يجري على لسانه ما ينطق الدهر باستحسانه، حَسَن المحاضرة، وارف المناظرة، سامي القدر، عالي الذكر،

---

(1) استخرجنا هذه الأسماء من سجلات الوقفيات المحفوظة في وزارة الأوقاف (ديوان الوقف السني الآن)، وينظر الملحق الذي أضفناه إلى كتاب عبد الرحمن حلمي السهروردي، بتحقيقنا، بغداد 1996، ص127-128.

(2) كتابنا : الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج3، بغداد 1979، ص309 و312.

(3) ورد اسماهما مالكين لكتب في المكتبة القادرية، الآثار الخطية ج3 ص312.

(4) كتابنا : الآثار الخطية ج2، بغداد 1976، ص488.

(5) من مؤلفاته (لباب المنار) و(زجاجة الأنوار في كشف لباب المنار) وكلاهما في المكتبة القادرية، الآثار الخطية ج5 ص124، 125.

(6) الآثار الخطية ج1 ص188،

(7) الدروبي: البغداديون ص136.

(8) الروض النضر ج3 ص79.

(9) ابراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص92.

متوقد كالقمر ليلة البدر، إلى عزمة تلِّين قسوة الدهر الأبي، ويُتلى حديثها كما يُتلى الحديث النبوي، وهمَّة تناطح الأفلاك، وتشامخ السِّماك، وهو كالبدر في التمام، وليَدَيه في الجود آثار الغَمام، بثبات يستخف بالجبال الرواسي، وأنس يلين القلب القاسي، وإعلان بالصدق وإظهار للحق، يقول الحق ولو على نفسه، ويدحض الباطل ولو أرسله إلى رمسه، بقلب أسد، ورأي مُسدّد، وذكاء إياس، وفصاحة قس وحفظ ابن عباس، وأنا لا أرض لهذا المولى إلا التوحُد، ولا أقبل له إلا التفرُد، فإذا قلتُ: فاضل، فقد ساواه في الفضل سواه، أو قلت: ماجد، فقد شاركه في المجد ما عداه، وأما وصفه فلا يحيط به طرسي، ويقصر دونه نفسي، وفي ما ذكرتُ ففي الحقيقة واصفٌ نفسي، لأنه سبب حياتي الفانية، وتتبعها حياتي الباقية، لا أعد من الفضل ما كثر لديّ وما قل إلاّ منه ابتداؤه، وإليه انتهاؤه، وكنت له أطوَع من قلمه لكَلمه، ومن بنانه لبيانه، وما ملتُ عن نفحه ولا تنحيَّت، من حين دبيت إلى أن التَحيِّت، لأَسعد في آخرتي ودنياي، ومماتي ومَحياي. وكان -رحمه الله تعالى- حريصاً على فائدة يلقيها إليّ، أو عائدة يجري نفعها عليّ، حتى علمني القريض وذلك فضل من الله يؤتيه من يشا، وفي آخر عمره، ومنتهى أمره، عبثت به أيدي اللأواء والمصائب، وأخنى عليه الدهر ونابه بأعظم النوائب، واجتاحه بقتل ولده، وقطع حشاشة كبده، وجَور بعض الملوك والخواص، يمنعهم القصاص، ولم يزل يئن أنين الثكلى، ويرفع الشكوى إلى المولى، وكان من جملة وصاياه أن يقتل، بساعة قبل أن وافاه الأجل، وعن هذه الدنيا الدنية ارتحل، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار»[1]. وقد ساق له أبيات من قصيدة جميلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أن «له في القريض باع طويل»[2].

فهذه الترجمة، على ما حشد فيها من ضروب البلاغة، تشهد على البيئة الأدبية التي نما فيها مؤلف الكتاب وربى، والرعاية الفائقة التي حظي بها من أبيه الأديب المثقف، مع وجود أخوة له لم يذكر أسماءهم، ولم يصفهم، عدا إشارته إلى أخ له قتل لأسباب غامضة سكت عن ذكرها، ويظهر أن قتله كان على يد بعض الولاة أو خواصهم، ربما لأمر سياسي، أو لشأن يتصل بمنافسة على بعض الأمور، ومن ثم لم يلق القاتل ما يستحقه من عقاب يشفي غليل أبيه المكلوم.

---

(1) المخطوط، الورقة 209.

(2) المخطوط، الورقة 209، وقد ترجم عثمان عصام الدين العمري لعبد الغفور هذا في الروض النضر ج3 ص86 ترجمة أدبية وأطنب في الثناء عليه.

وللمؤلف قصيدة أوردها في كتابه تكشف عن جانب من شخصيته، منها قوله[1]:

أطوي الفيافي لأطوي شِقّة السَّفر

وأنحر البيد بالأنضاء والسهر

وامتطي العزم مُهراً سابقاً طلقا

يحط ما فره في موقع البصر

أغرٌ أدهمٌ مفتول الأكارع لا

يثنيه عن قصده شيء سوى القدر

مُضمَّر سابح حجل سوابقه

يسابق الريح سباق لدى الظفر

أعلوه في جحفل طِلَق الجنان من

الشُهب الدراري ملء السهل والذمر؟

وإنني من عمود الصبح معترض

سُمّر الرماح وترسي دارة القمر

ومنها مفتخراً:

وإنني أنا من فرع الهُداة إلى

سبل المكارم تجب نخبة البشر

وفيهم المجد المفصل والمجد المؤثل والع

لم المُوطّد بالقرآن والزُبَّر

ومقتدى الخلق في طولٍ وفي شرفٍ

أكفّهم قد حكاها صَيِّب المطر

لا يدرك الواصف المُطري مدائحهم

---

(1) المخطوط، الورقة 39- 40 .

لذاك قد قلتُ فيهم قول مختصر

وإن لي همّة في جنبها صَغُرَت

شُمُّ الرواسي تَسري وهي لم تَسرِ

لا غَروَ إني أنا الرحبي من أُسُدٍ

أضحوا نجوم الهدى للبدو والحضر

والقصيدة تشهد بأنه كان، فضلاً عن أدبه، فارساً محارباً، وشجاعاً مقاتلاً، له في الحرب صَولات وجَولات، له فرسٌ يعلوها، وجحفل يصحبه، وخنجر وسيف يتمنطق به، ورمح يحمله، يطوي الفيافي ليلاً، ويركب الصعب في نيل العُلا، طلباً لعز ضائع، يستودع أفلاذاً له، ولا يقيم في دار الهَوان، وتأبى همته صحبة الجاهل، معتزاً بأصله السامي ونبل محتده. ولا ندري عن أي هدف كان يسعى إلا أن يكون طلباً لثأر أخيه، أو دفعاً لضُرٍّ أصاب أسرته لسبب يتعلق بجَور بعض الولاة، مما نوه به في ترجمة أبيه.

وفي قصيدة له «في ذم الزمان وأبنائه، وغدره لأرباب الفضائل وجفائه» نظمها في عنفوان شبابه، أنه كان له عهد ذاك ولد اسمه خليل، له من العمر ست سنين، يحفظ لامية العجم «ليتعلم منها مكارم الأخلاق والشيم»، ولكن سرعان ما دهمته خطوب قصر عندها العقل، وحدثته نفسه بمفارقة وطنه ورهطه، وامتطاء البيد، وأن أعداءه وان كانت لهم رياسة إلاّ أنه كان «لهم دون الورى جهل»، وأنه فضَّل أن «يطلب العلياء» على الإقامة بين ظهرانيهم، وقد ختم قصيدته بالفخر بعشيرته وحَسَبه[1]. فالقصيدة إذن تتصل في غايتها مع سابقتها وإن تزيدنا معلومة عن ولده خليل.

ويروي المؤلف في مقدمة كتابه قصته مع الأدب، وكيف شغف به، وتتبعه في الدفاتر، وفي صدور الأدباء، فذكر أن أولع به منذ صغره، إذ قال «إني منذ عرفت نفسي، وميَّزت يومي من أمسي، مُولعٌ باقتناص الأبكار من الأدكار، بالآصال والأبكار، باذلاً وسْع الجد، راكباً مطايا الجد، أنفق نقد عمري في سلم فوائده، وأجري حلية

---

(1) المخطوط، الورقة 87.

الجد في اقتناص شوارده، أنشد ضالته في الكتب والمجامع، وأملأ بفرائده أصداف المسامع..»[1].

وقد امتدح الأديب عثمان عصام الدين العمري مواهبه الأدبية بقوله «إمام محراب العلوم، ومالك أزمة الحجا والفهوم، أرفع أهل النصوص، وأبرع أهل العموم والخصوص.. وهو الآن مشكاة العلم والكمال، ومصباح المعارف والأفضال، وقمر الدجى في ظلام الليال»[2].

والمؤلف بعد هذا شاعر، تتناثر في الكتاب أبيات وقطع شعرية من نظمه، من ذلك قوله[3]:

العلم أحسن مصحوب ومدّخر
وخير مال مدى الأيام يكتسبُ
فصاحب العلم مأمونٌ ومحتشمٌ
والمال كم زال في ذل ولا عجبُ

وقوله[4]:

وحبيب أطال هجريَ عمدا
وسقاني صبرا كؤوس المُدام
وجفاني وصدَّ بالصدِّ عني
ورماني بالبُعد دون الأنام
ليته أبدلَ الصُدودَ بوَصلٍ
وسقاني من ثغره البسَّام

وقوله[5]:

---

(1) المخطوط، الورقة 5 ب و6.
(2) الروض النضر ج3 ص90.
(3) المخطوط، الورقة 26.
(4) المخطوط، الورقة 30.
(5) المخطوط، الورقة 36.

فكرتُ ليلة وصلها في صدِّها

فجَّرت بقايا أدمعي كالعندم

وعلمتُ أني لا أطيق فراقها

وعَضَضتُ كَفّي عَضَّة المُتندِّم

وطفقتُ أمسح أدمُعي في جيدها

من عادة الكافور إمساك الدمِ

وقوله في مطلع قصيدة:

ألا يا نسيمَ البان والشيح والرَّند

لقد زدتني شجواً وهيَّجتَ ما عندي

وأجّجت ناراً في الحشى بعد ما خَبَت

وأظهرتَ سِراً كان خافٍ من الوَجدِ

وجددتَ عهداً بالعُذيب وبارق

وأنشبت قلباً كان خالٍ من الودِ

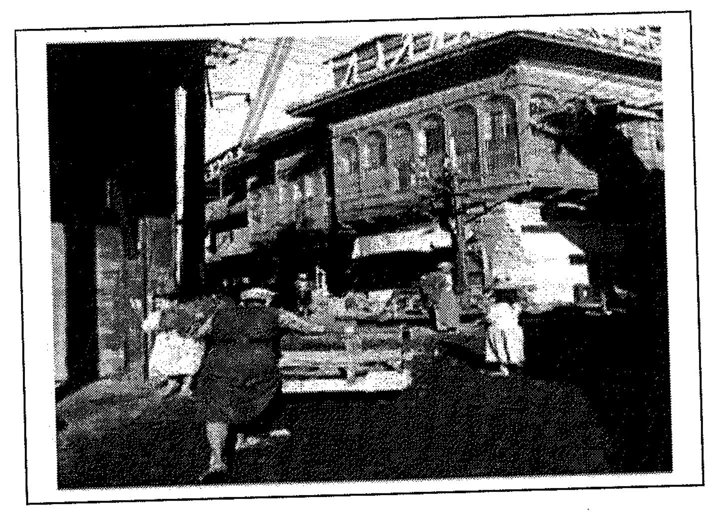
وهو لم يُشر إلى أنه ينقل شعره من ديوان جمعه، وإنما كان يصرح بأن كان ينظم أشعاره غالباً في أثناء تأليفه الكتاب، وحتى قصيدته في الفخر بنفسه لم يذكر من أين نقلها من مجاميعه.

والمتأمل للكتاب تلوح له قدرة المؤلف في تأليفه، ووفرة اطلاعه على مصادر عصره الأدبية، وعلى مؤلفات السابقين ودواوينهم، كما يظهر له أيضاً أنه كان عالماً في علوم شتى، أبرزها علم التفسير، وأن له رسالة، أو أكثر، في هذا العلم، أثبت منها في كتابه رسالة مستقلة في تفسير سورة الفاتحة.

وكانت وفاته –رحمه الله– بعد سنة 1175هـ/ 1671م.[1].

---

(1) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الترجمة العربية، قم 2008، ج7 ص407.



احدى درابين محلة باب الشيخ – بغداد 1935

سبب تأليفه:

لم يؤلف الرحبي كتابه هذا تلبية لطلب أحد معاصريه، وإنما استجابة لرغبته في جمع تراجم أدباء عصره في كتاب شامل لأعمالهم الأدبية مع نماذج من أشعارهم، وكان هذا النمط من التأليف شائعاً لدى أدباء عصره، وما سبقه، على ما سيأتي بيانه بعد قليل.

وكانت فكرة تأليف كتاب في هذا الإطار تلوح في ذهنه منذ مدة سبقت تأليفه إياه، إذ قال «وكثيراً ما عَنَّ لي [أن] أؤلف كتاباً يشتمل على فرائد مسائل العلوم، وعقود محاسن المنثور والمنظوم». إلاّ أن شواغل الحياة، وما أكثرها، كانت تحول دون تحقيق تلك الفكرة، وفي ذلك يقول «يَصدّني عن ذلك حوادث دهر تستفرغ صبر الجليد، وصروف أيام يشيب بوقائعها رأس الوليد، ومقاساة الشدائد والمحن، ومعاداة الدهر والوطن».

ثم أنه انصرف، رغم همومه وخطوبه، إلى تقليب طَرْفه «في رياض الدفاتر»، حتى اجتمع لديه كتاباً «تسجد الأقلام في طرسه لأنه للعلم والأدب جامع»، مسمياً إياه (نزهة المشتاق في علماء العراق).

وبعد أن فرغ من تأليفه، لم يجد من يستحق أن يهديه إليه من ولاة العراق، ويظهر أن علاقته السيئة بهم –مما ظهر لنا من قبل– كانت السبب وراء هذا الموقف، ففكر في إهدائه إياه إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية الوزير محمد راغب باشا، وكان هذا الوزير أديباً عالماً عرف بمؤلفاته المهمة[1]، وقد طار صيته بسبب ذلك في

(1) ولد محمد راغب باشا سنة 1110 هـ/1698م، في استانبول وفيها تعلم، وكتب النثر البليغ ونظم، عيِّن بمَنصب رئيس الكُتّاب في سنة 1153 هـ/سنة 1741م، واستمرّ في عمله حتى

الترجمة يقرن بينها وبين أبيات أخرى لشعراء آخرين من عصور مختلفة، عالجوا موضوعها نفسه، على نحو يجعل مباحثه تقرب من أن تكون ضرباً من الأدب المقارن، من ذلك أنه حينما أورد قصيدة للأديب عبد الله الفخري، كاتب ديوان الإنشاء في عصره، جزأها إلى قطع عديدة، وقارن بين كل قطعة بالعديد مما أورده في معناها شعراء العربية، بضمنهم نفسه، فكان من بين إولئك الشعراء ابن قلانس، والقاضي، والنصير الحمامي، وابن عبد الحديد، وصدر الدين، وشرف الدين المقدسي، وابن رشيق، والصابي، والمتوكل الليثي، والبولاني، وامرؤ القيس، وابن الرومي، ومجنون ليلى، والتهامي، وابن حمديس، والبهاء زهير، وابن الساعاتي، والصفدي، وذو الرياستين، وشرف الدين عيسى الناسخ، وصفي الدين الحلي، والوزير المغربي، وابن نباتة، وابن رشيق، وابو الحسين الجزار، وابن زيدون، والقيسراني، وبعض الأندلسيين، ومهيار الديلمي، والطغرائي، والسراج الوراق، والصفدي، وابن المعتز، وأبو نواس، وابن عبد المجيد، ومحمد بن غالب، والمعري، والقاضي الحشيشي، وابن الجهم، وأبو تمام، وحمديس الصقلي، وأبو فراس، وابن الفارض، وعبد الصمد، وشهاب الدين محمود، وعبد الرحمن الحلبي، وغيرهم ممن لم يسمهم واكتفى بقوله أنهم «بعض الشعراء»، وهكذا الأمر مع جميع من أورد لهم نماذج من أشعارهم.

يبلغ عدد من ترجم له 23 ترجمة هي:

1- صبغة الله أفندي الحيدري

2- عبد الله أفندي الفخري

3- محمد أسعد الفخري

4- فخري أفندي الفخري

5- عثمان أفندي العمري

6- حيدر أفندي بن صبغةالله الحيدري

7- ياسين أفندي مفتي الحنفية

8- عبد الله السويدي

9- عبد الرحمن السويدي

10- علي أفندي مفتي الشافعية

11- عبد الكريم الرحبي مفتي الشافعية

12- عبد الغفور أفندي الرحبي

13- عثمان أفندي الرحبي

14- عبد العزيز أفندي الرحبي

15- بكر أفندي الرحبي

16- عبد السلام أفندي الرحبي

17- عبدالجليل الرحبي

18- عبداللطيف أفندي الرحبي

19- عبد الستارأفندي الرحبي

20- حسين افندي الرحبي

21- محمود أفندي الرحبي

22- محمود أفندي الرحبي مفتي الحلة

23- محمد سعيد أفندي الرحبي

والتراجم العشر الأولى هي لأعلام بارزين في العراق، اثنان منهم من آل الحيدري الأسرة العلمية الكردية المنحدرة من قرية (ماوَران) قرب اربيل في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، وإثنان من آل السويدي الأسرة العباسية المنحدرة من قرية الدور في شمال بغداد في مطلع ذلك القرن، وثلاثة من آل الفخري، وواحد من آل العمري، وهما الأسرتان اللتان انحدرتا من الموصل في منتصف القرن المذكور، واثنان لم يتحدد منحدرهم، أما التراجم الأخرى فهي جميعاً لأعلام أسرة الرحبي، وواضح أن المؤلف استقصى جميعهم في عهده، حتى أنه ترجم لمن كان شاباً ما زال في طلب العلم، وأكثر هؤلاء انفرد بالترجمة له، ومن هنا تاتي أهمية هذه التراجم.

تفاوتت هذه التراجم طولاً وقِصَراً بحسب مكانة صاحبها لا بحسب قربه من المؤلف، فبينما توسع في تراجم الاخرين حتى بلغت العشرات من الصفحات، مثال ذلك ترجمته لصبغة الله الحيدري حيث جاءت في نحو خمس عشرة ورقة، وبلغت ترجمة عبد الله الفخري نحو عشرين ورقة، وترجمة محمد اسعد الفخري تسع ورقات، وترجمة عثمان العمري نحو خمس وعشرين ورقة، لم تتجاوز ترجمة أبيه

الزاهرة، والبُرْد المُحبَّر، والعقد المُجوهَر، وهو ملازم الدرس على الفاضل النحرير، والشافعي الصغير، أستاذ الكل في الكل، بحر المعارف والفضل، صبغة الله افندي، أدام الله ظله، وأعلى في الدارين محله»[1]، فهذه التراجم تكاد تكون مجرد صورة قلمية يرسمها المؤلف لمن يترجم له، لا أن تكون ترجمة حقيقية له، والدليل عل ذلك ابتسارها الشديد واقتصارها على معلومة وحيدة ربما كان لها بعض فائدة في التعرف على حياة المترجم، وأما سائرها فهو أماديح وعبارات ثناء. والطريقة التي اتبعها في عرض كل ترجمة أن يفتتحها بأبيات في مدح صفات المترجم، يظهر أنها من نظمه، قبل أن يبدأ في عرض الترجمة نفسها . على أنه على الرغم من ذلك فإن التراجم حوت فوائد تاريخية مختلفة، كقوله في ترجمة بكر أفندي الرحبي أنه « كان ملازماً للتدريس في حضرة القطب الرباني والهيكل الصمداني، جامع الإشارات والمعاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني»، وأن له «مؤلفات سديدة وتعليقات» و«مصنفات»[2]. وقوله في ترجمة عبد الجليل الرحبي إلى أنه قصد حضرموت بحراً حيث التقى بشيخها السيد عبد الله الحداد، وبلغ من تأثره بمنهجه الروحي أنه «لما رجع إلى الأوطان، ترك الأهل والإخوان، والأحباب والخلان، وأخذ العيال والأولاد، وقصد تلك البلاد، واشتغل بالأعمال الصالحة والطاعات، واستغرق أوقاته بالعبادات»[3]. وقوله في ترجمة عبد الستار الرحبي أنه «سكن في آخر عمره البصرة الفيحاء، حتى انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء»[4]، وقوله في ترجمة محمود الرحبي أنه كان مفتياً على المذهب الشافعي»[5]. وفي ترجمة سَميٍّ له محمود، أنه «مفتي الحلة الفيحاء»، وقوله عن عثمان أفندي الرحبي أنه «كان قد ولي الإفتاء في الحلة الفيحاء حتى سكن دار البقاء»[6]، وقوله في ترجمة عبد الكريم الرحبي أنه «في آخر عمره ولي الإفتاء للشافعية»[7]، وقوله عن عبد العزيز أفندي الرحبي أن «له تأليفات في سائر العلوم فائقة، وتحقيقات رائقة، مع اشتغاله في التدريس والإفادة، وتردد الطلبة عليه

(1) المخطوط، الورقة 262.

(2) المخطوط، الورقة 234.

(3) المخطوط، الورقة 241.

(4) المخطوط، الورقة 248.

(5) المخطوط، الورقة 256.

(6) المخطوط، الورقة 214.

(7) المخطوط، الورقة 240.

للإستفادة، لكن له مدة تنوف على عشرين سنة قد لازم البيت واعتزل عن أهل الدنيا..الخ»[1]، كما أنه أثبت له نصوصاً كاملة لرسائل مهمة في بعض العلوم، نوّهنا بها من قبل، وهذه الرسائل لم تعرف من قبل. وأثبت في ترجمته عبد الله الفخري منظومة مطولة في وصف حصار نادرشاه للموصل سنة 1156هـ/1743م فقال«ومن بديع نظم صاحب الترجمة.. ما نظمه في وقائع نادرشاه وما نتج منها ومحاصرته للحدباء ورحيله عنها وعدم نيله منها ما أراده، ولم يحصل له مُتمناه ومُراده، إذ هي محروسة بعين عناية الملك المتعال، وإلاّ فهي وقعة تشيب لها الأطفال، وتدك الجبال، وتذهب العقول، وتحير الفحول، وقى الله شرها، وبرَّد حَرَّها، ودفع ضرَّها، فألف هذا الفاضل الذي فاق الأوائل هذه الأرجوزة، وجعلها ميدان تلك الوقعة والحروب والنوائب..»[2]، وتقع المنظومة، أو ما اثبته منها، في 72 بيتاً. ورسالة للأخير كتبها إلى شريف مكة المكرمة الشريف مساعد يهنيه، ويعزيه بوفاة أخيه مسعود[3].

ومنها القصيدة التي أشار فيها إلى المعركة التي خاضها والي بغداد الوزير أحمد باشا (1136–1147هـ/1723–1734م) ضد صقر الشبيب، شيخ قبيلة قشعم النازلة على الفرات الجنوبي، سنة 1152هـ/1739م[4]، مفتتحاً إياها بقوله «هو الوزير ابن الوزير، العادم الأشباه والنظير، المرحوم المغفور أحمد باشا، .. وذلك حين تكلف الإغارة بنفسه، وكادت تؤدي من حر الهجير والقيض إلى حتف أنفه.. فشن الغارة، وأجج نقع الفَلا وأثاره، على الطائفة المسماة بآل قشعم، وشيخها إذ ذاك صقر الشبيب، الليث الغشمشم، فعطب من العسكر وخيلهم ناس كثير، واشتد الخطب بهم من شدة وقد الهجير، وضل كثير من الجند إذ أخذوا خلاف طريق العدو طريقاً، وهو مع فئة قليلة وقعوا بالعدو، ونصرهم الله عليهم، فريقاً يقتلون ويأسرون فريقاً»، وتقع القصيدة، أو ما انتخبه منها، في 23 بيتاً، وصف فيها المعركة وأرخها[5].

---

(1) المخطوط، الورقة 219.

(2) المخطوط، الورقة 40.

(3) المخطوط، الورقة 27 –47.

(4) ينظر عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص436–440 وياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، الورقة 541، نسخة المتحف البريطاني، ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى نورس، بيروت بلا تاريخ، ص47.

(5) المخطوط، الورقة 51، 52.

المخطوط:

توجد مخطوطة الكتاب بخط مؤلفه في مكتبة راغب باشا باستانبول، وأولها «الحمد لله الذي قصرت غاية العقول عن حقيقة ذاته، وكلت أذهان الفحول عن الوصول إلى إدراك بعض كمالاته..». وخطها نسخ جيد مما كان شائعاً لدى نساخ عصره، وفي كل صفحة 26 سطراً، في كل سطر ما بين 8-10 كلمة، وهي تقع تحت العدد 1050 ويبلغ مجموع أوراقها 263 ورقة، وعلى بعض أوراقها كلمات أو عبارات سقطت عند تبييض مؤلفه الكتاب فأضافها فيما بعد، وفي المركز الوطني للمخطوطات ببغداد نسخة مصورة من هذا المخطوط تقع في ثلاثة مجلدات تحت الأعداد 9420 و9421 و9422، وفي خزانتنا نسخة مصورة منها، ومنه نسخة في المدينة المنورة في 716 ورقة، تحت العدد 262[1]، وأخرى كانت لدى سليمان بن صالح الدخيل، صاحب جريدة (الرياض) المتوفى سنة 1945، نشر قسماً منها في مجلة (اليقين) البغدادية الصادرة سنة 1340- 1341. ونسختان في مركز الملك فيصل للبحوث في السعودية تحت العددين 104385 و46676[2] وكانت في خزانتي جامع الفضل وجامع القبلانية ببغداد نسختان من كتاب عنوانه (تراجم أدباء العراق)[3] لعله هذا الكتاب، ولم يعلم مصيرهما الآن.

والكتاب بعد هذا جدير بالتحقيق، فهو يمثل درة من درر الأدب والتاريخ في عصره، ويكشف عن صفحة مهمة من صحائف الثقافة في العراق في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، وفيه من الفوائد والشذرات التاريخية ما يستحق العناية والاهتمام.

---

(1) عمر رضا كحالة: المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة، دمشق 1393هـ، ص86.

(2) موقع ملتقى أهل الحديث.

(3) نعمان خير الدين الآلوسي: فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، ديوان الوقف السني ببغداد 2012.

البراق واحدة من أربع محلات كانت تتألف منها مدينة النجف في القرون المتأخرة، عرفت قديماً باسم (البُركة) لوجود مستقى للماء فيها[1]، ثم اشتهرت باسم (البراق)[2] لنزول آل البراقي فيها في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، وأولهم السيد إسماعيل بن زين العابدين (أو زين الدين) بن محمد المعروف بالبراق وكان قد رحل إليها من نواحي بغداد لطلب العلم في مدارسها فيما يظهر[3].

وفي موطن الأسرة الجديد، ولد لإسماعيل هذا ولد سماه حسين، ويظهر أن تسميته جرت لمناسبة نزول الأسرة قرب المشهد الحسيني، وشاء القدر أن يلقى حسين هذا حتقه قتلاً في هجوم شنته القوات السعودية سنة 1220هـ[4]، تحت أسوار مدينته في أثناء دفاعه عنها[5]، وكان لحسين ولد اسمه أحمد، وقد امتهن، كأبناء أسرته، التجارة، ولذا فإنه لم يشتهر بالعلم ولم يعرف به[6]، وحين أنجب الأخير ولداً سماه حسيناً، على اسم جده، وعرف تحبباً –كما يبدو- بحسُون، ولازمه هذا الاسم طيلة حياته.

ولد السيد حسون[7] في بيت أبيه، في محلة البراق[1]، سنة 1261 أو 1262هـ/1845- 1846م، ويظهر أنه تلقى شيئاً من مبادئ علوم العربية، إلاأن

(1) أنظر جعفر محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، جذ، النجف 1378هـ/1958م، ص25.

(2) بضم أوله وتخفسف ثانيه، ولم نجد وجه تلقبه بهذا الاسم، فالبراق كما في معاجم اللغة، دابة يركبها الأنبياء- عليهم السلام- مشتقة من البرق، وقيل غرس جبريل، ودابة ركبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج، سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه.

(3) أنظر عن نسبه: عدنان السيد عيسى القابجي النجفي: المجموعة المشجرة في الأنساب المطهرة، مخطوط، الورقة 49، وقد تفضل بنقله إليّ السيد كاظم محمد علي شكر، فله مني كل شكر وثناء.

(4) ذكر لي ذلك حفيده السيد حسين بن علي (المولود سنة 1900) في دار في النجف في 20/12/ 1992م.

(5) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، 1954، ص169.

(6) علي الهاشمي الخطيب: مقدمة كتاب (الدرة البهية) للبراقي، النجف 1389هـ/1970م، ص5.

(7) ترجم له الشيخ محمد رضا الشبيبي في مجلة الاعتدال النجفية ج1 ص 113- 117 وأعيد نشر الترجمة في مقدمة تاريخ الكوفة للبراقي ص2-7، وهي أوسع ترجمة له، وكان الشبيبي قد عاصر، في شبابه، البراقي، واختلف الى داره في النجف، وترجم له ايضاً السيد محسن الامين العاملي في أعيان الشيعة ج1 ق2 (دمشق 1367هـ/ 1947م) ص42- 46، وقد عاصره ايضا والتقى به، ولكن أغلب ما كتبه عنه منقول من مقالة الشبيبي المتقدمة، وله ترجمة في

ذلك لم يصل الى حد أخذه العلم على أيدي العلماء وفقاً للطريقة المنهجبة السائدة في عصره، وإنما كان يختلف، يافعاً، الى مجالس أهل العلم، وقد اشتهرت النجف عهد ذاك بكثرة مجالسها الثقافية وروعة تقاليدها وغنى ما يلقى فيها من علم وأدب، ومالت نفسه ميلاً فطرياً إلى ما كان يسمعه من أولئك الشيوخ من أخبار وذكريات ماضية، وأدرك قيمة تلك الاخبار والذكريات بوصفها تمثل مواد تاريخية ذات شأن، فشرع يسجلها في دفاتر خاصة[2]، ولم يكتف بدور متلقياً للخبر، وإنما مضى لاستيضاح محدثيه بالأسئلة المعدة، ليزيده الجواب فهماً لتفاصيل الحدث، وهو يقرب مما نعرفه اليوم بأسلوب (المقابلات الشخصية)[3].

بيد أن هذا الأسلوب لم يغنه عن اتباع وسائل البحث الأخرى، إذ شرع بمطالعة الكتب، والبحث في بطونها عن كل شاردة يمكن أن تشبع اهتماماته التأريخية، وقد جمع بخطه في هذه المدة من حياته، عدداً من المجموعات، التي تضم مدوناته مما سمعه أو قرأه من مواد تاريخية متنوعة، وكانت كتابة المجموعات في تلك الحقبة تعد

آقا بزرك : أعلام الشيعة ج1 ق2 (وعنوانه: نقباء البشر في القرن الرابع عشر) النجف 1375هـ/1967م ص523-526 وآقا بزرك: مصفى المقال في مصنفي علم الرجال (طهران 1378هـ/1959م) ص139، ومحمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف (النجف 1384هـ/ 1964م) ص62، ومحمد رضا كحالة: معجم المؤلفين ج3 ص309، والزركلي: الأعلام ج2 ص252، وكتابنا : التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الطبعة الثانية، دار الوراق لندن 2009) ص361- 366.

(1) تقع هذه الدار في عقد البو عجينة المتفرع من شارع الصادق، مقابل سوق المسابك، وهي في هيأتها الأصلية واسعة تتألف من عدد من الأواوين والحجرات، إلا أنها قسمت بين الورثة في عهد تالٍ، لتغدو عدة دور.

(2) ثمة دفتر من هذه الدفاتر بعنوان (مجموعة أخبار وتاريخ) في مكتبة محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف، وسيأتي الكلام عليه فيما بعد، وذكر الشبيبي أن من محاسن الاتفاق أنه عمَّر طويلاً (عاش نحو 91 سنة قمرية) وسبق له الاشتغال بالتدوين والتقييد منذ مراعقته، فعظمت مجموعة ما أحصاه من الوقائع التاريخية التي رافقت أيامه، عدا ما استخرجه من بطون الدفاتر والآثار.

(3) نوه الشبيبي بطريقته هذه لإذ قال أنه «استفاد مما يدور على ألسنتهم غير ما يتقدم إلى السؤال عنه بنفسه، وذكر الأمين أن البراقي اجتمع به في صحن الإمام علي (ع) وأنه جاء يسأله عن قصيدة له ليدونها في تاريخه «وهو يدل على مزيد اعتنائه بضبط الحوادث». (أعيان الشيعة ج25 ص43).

نمطاً مبكراً من أنماط الكتابة التاريخية، وهي تضم – في الغالب– أخباراً وتراجم، قد تكون مهمة في حد ذاتها، ولكن دونما سياق زمني أو مكاني محدد[1].

ومن الراجح أن تكون مدينته النجف أول محور لاهتماماته، وهو الذي طالما شغف بآثاره، وتتبع ما جرى عليها من حوادث، وحضر مجالسها، والتقى بعلمائها ووجوهها، فألف في تاريخها ثلاثة كتب، شفعها برابع في تراجم مشاهير علمائها، ثم تنوعت محاور اهتماماته، وتعددت مشاريع بحثه، وتوافقاً مع هذا التنوع، أخذت مطالعاته في الكتب تتخذ شكل البحث المنظم، فأخذ يستعير الكتب، وأكثرها مخطوطات، من خزائن أصحابها في مدينته. وكان يستخرج منها مواد تاريخية مهمة، ضمت جملة من المصادر الخطية المفيدة، بعضها نادر في بابه، استعان بها على إنجاز مشاريعه العلمية.

وساعدته رغبته في الترحال على تحقيق هدفين، أولهما أنه كان يقتني أو يستنسخ خلالها كل ما تصل إليه يده من مصادر ومعلومات، ويُقيِّد كل ما يصل إلى سَمعه من روايات يراها مفيدة، وثانيهما أنه كان يتقصَّد التطواف في المدن والقرى التي تدخل في نطاق بحثه أو اهتماماته، فيشاهد آثارها، ويطبق على تلك الآثار الشاخصة معطيات قراءاته الكثيرة، فيتابع مجرى هذا النهر المندرس هنا، ويقف عند تل أثري هناك، وقد توصل بهذا الأسلوب العلمي إلى معلومات للصحة فيها نصيب كبير.

بيد أن رهافة حِسِّه الشديدة، التي بلغت حد استشعار نبض حياة الماضين في الحجارة الصماء، والآجر البالي، كانت في الوقت نفسه سبب متاعبه، فقد سجل لنا العلامة محمد رضا الشبيبي، وكان قد التقى به في صغره، أنه كان يضيق بملامح التغيير الذي أخذ يطرأ على مجتمعه إبان ذلك العهد، وهو تغيير سببه، بالدرجة الأولى، كثرة الوافدين على النجف من الغرباء، الذين يحملون من القيم ما يختلف عن قيم مجتمع المدينة العربي الأصيل[2]، فلم يكن إلا أن غادر النحف سنة 1320هـ/

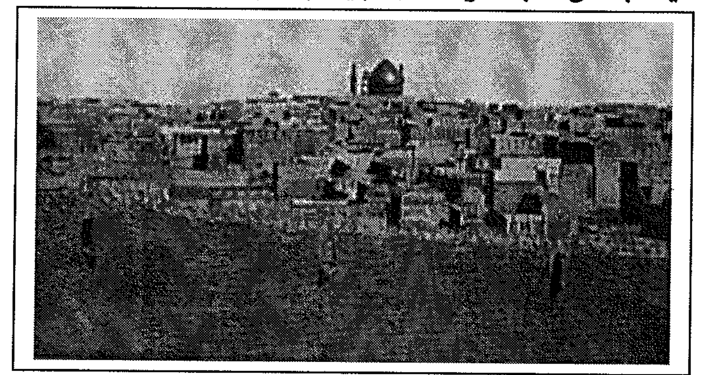
---

(1) انظر كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2016، ص361–366

(2) الشبيبي: مقدمته لتاريخ الكوفة ص5.

1902م، وكان يومذاك يناهز الستين، إلى قرية صغيرة من قرى الحيرة تسمى (اللهيبات)[1]، نسبة إلى عشيرة اللهيبات القاطنة هناك[2]، وهم أخوال أولاده[3]، ومن الممكن أن يكون من أسباب هذه الهجرة انتشار الوباء في النجف في مدينته آنذاك، فقد وجدنا عدداً من العلماء والفضلاء يتركون النجف للإقامة في المناطق المحيطة بها، لا سيما الحيرة وقراها، إبان الحقبة نفسها، وكانت هذه المناطق معروفة بازدهارها ووفرة غلاتها ووجود فرص جمة للزراعة فيها.

أقام البراقي بين ظهراني أصهاره من (اللهيبات) وأخذ يستغل، وأولاده، مزرعة له هناك، متحملاً ضنك العيش ومفارقة الإخوان، على أن يحيا في وسط لم يعد يرضيه. وفي هذه المزرعة تفرغ البراقي للبحث والتأليف، تعينه على ذلك مكتبته الغنية بما اقتناه واستنسخه من الكتب، وما التقطه واختصره من المعلومات التي حوتها دفاتره العديدة، فوضع عدداً مهماً من المؤلفات أكثرها في مجال التاريخ، أو لها تعلق به، ولبث مشتغلاً بذلك إلى أن لقي ربه في العاشر من رجب أو من شعبان سنة 1332هـ (4 حزيران او 5 تموز 1914م) فنقل جثمانه الى النجف، مشيعاً من محبيه وعارفي فضله، ودفن في سرداب داره بمحلة البراق، معقباً خمسة من الذكور، وأربعاً من الاناث، ومجموعة كبيرة من مؤلفاته وكتبه، فضلاً عن ثناء الناس وتقديرهم، مما ظل ذكره يتردد في مجالس النجف ومحافلها جيلاً بعد جيل.



مدينة النجف سنة 1914

---

(1) تبعد اللهيبات عن الحيرة بنحو كيلومتر واحد/

(2) اللهيبات عشيرة لها فروع عدة وأكثرهم زراع وأصحاب نخيل وأراض في ضواحي الحلة. مهدي القزويني: أنساب القبائل العراقية، هامش ص121 (النجف الطبعة الثانية).

(3) عن حفيده السيد حسين بن علي.

مؤلفاته

ألف البراقي جملة وافرة من الكتب، زاد عددها على ثمانين مجلداً، وكان يُطلِع عليها طالبي العلم والباحثين، بل يسمح لهم أن ينقلوا منها، وأن يلخصوها، أو ينقلوها كلها. وقد ذكر الشبيبي أنه قصده في مزرعته، قبل سنة واحدة من وفاته «لمشارفة كتبه التي لم يسبق لنا الإطلاع عليها».

في تواريخ المدن:

1- اليتيمة (أو الدرة) الغروية و(التحفة النجفية) في الارض المباركة الزكية، نسخة منه في مكتبة سيد الشهداء في كربلاء برقم 21، وأخرى لدى حميد مجيد الشعرياف في النجف، بخط المؤلف، وفي مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، في 407ص، وفي مكتبة محمد علي اليعقوبي في النجف، نوه بها حمود الساعدي (العراق وعشائره، النجف 1990) ص 241، وقد لخصه الشيخ محمد بن عبود الكوفي (المتوفى سنة 1360هـ/1941م) تلخيصاً مستوفياً في كتاب له سماه (نزهة الغري) (طبع سنة 1371هـ/ 1956م) عن نسخة خطية كانت لدى السيد عبد الحسين سادن الحضرة الحسينية، وجاء هذا الملخص في 22 صفحة من الكتاب المذكور[1]. وكان البراقي قد ألحق بكتابه هذا كتاباً جعله كالذيل له سماه (قرة العين في من عمَّر قبر أبي الحسنين)). نسخة بخطه في مكتبة الشيخ محمد رضا الشبيبي، وتقع في 190 ص[2]، وقف عليها الدكتور حسين علي محفوظ.. ووضع عبدالله بن محسن بن باقر بن علي السبزواري الأصفهاني كتاباً سماه (لؤلؤ الكشف في تاريخ النجف) فرغ منه سنة 1322هـ/1904م. ذكر جعفر محبوبة (ماضي النجف وحاضرها ج1 ص3) أنه ترجمة لكتاب (اليتيمة الغروية) الآتي.

2- رسالة صغرى في تاريخ النجف. وهو غير الكتاب المتقدم كانت منها نسخة لدى السيد عبد الحسين المذكور، ذكر ذلك الكوفي ولم يرها بنفسه[3].

3- رسالة كبرى في تاريخ النجف. وهي غير الكتابين المتقدمين، كانت منها نسخة لدى السيد عبد الحسين المذكور، نوه بها الكوفي أيضاً[1].

---

(1) من ص59 إلى ص75.

(2) آقا بزرك: الذريعة ج17، طهران 1387هـ/1947م، ص74.

(3) نزهة الغري ص 59.

4- بُراقية السيرة في تحديد الحيرة. فيه فصول عن تاريخ الحيرة وآثارها القديمة. نوّه به الشبيبي وآقا بزرك[2].

5- الدرة المضية في تاريخ الحنانة والثوية. رسالة في تحقيق هذين الموضعين، فرغ من تأليفها سنة 1325هـ/1907م. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، برقم (ت6/736) وتقع في 59 ص.

6- رسالة أخرى في تحقيق هذين الموضعين.

7- الحسرة الدائمة للزَفَرات في عدد الهواشم الذين أصيبوا في الغاضريات. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، تقع في 81ص، فرغ منها في نهار الأربعاء 17 ربيع الثاني سنة 1316هـ/1898م، وهي ضمن مجموعة برقم (828).

8- الدُرَّة البهية والروضة المُضية في تاريخ الروضة الحسينية المسماة بكربلاء والغاضرية ونينوى وعمورية والحراء الجلية. وهو تتمة لكتابه (الحسرة الدائمة). قال في أوله أنه ذكر فيه «أرض كربلاء وما فيها لتكون خاتمة لما جمعناه»، بحث فيه في قدَم كربلاء وفضلها وفضل قبر الحسين (ع) وحَرَمه ومشهده، وما مَرَّ على هذا المَشهد من حوادث، وما لحقه من أعمال التعمير والتوسيع، وألحق به معجماً صغيراً بأسماء أرض كربلاء، نسخة بخط المؤلف، فرغ منها في 12 ربيع الثاني سنة 1316هـ/1898م، في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 36 مجاميع. وتقع في 104 صفحة، ومنه نسخة في مكتبة الشيخ ودّاي العطية في الديوانية، وطبع الكتاب بتحقيق السيد علي الهاشمي الخطيب، المطبعة الحيدرية، النجف، سنة 1389هـ/1970م، 87 ص.

9- البقعة البهية. وهو تاريخ مختصر للنجف، نوه به في مقدمة (عقود اللؤلؤ والمرجان).

10- عقود اللؤلؤ والعُقيان في تحديد أرض كُوفان ومن سكن فيها من القبائل والعُربان. رسالة في معنى اسم الكوفة وتحديد منطقتها ومن نزل فيها، وأنهارها. قال أنه اختصره من كتابه (البقعة البهية). نسخة في مكابة محمد حسين كاشف الغطاء

---

(1) المصدر نفسه ص59.

(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6 ونقباء البشر ج1 ق2 ص521.

في النجف برقم 559 في 63 ص، حققه حسن عيسى الحكيم وعلي عبد الحسين المظفر، 90 ص، بلا بيانات طبع.

11- تاريخ قُم. ألفه في الأصل أحد معاصري الصاحب بن عباد سنة 378هـ. ونقله إلى الفارسية الحسن بن علي بن الحسن القُمِّي سنة 865هـ، ولفقدان الأصل العربي لهذا الكتاب، فقد اختار البراقي أهم أبواب هذه الترجمة فنقله الى العربية، وهو الباب الثالث الذي يختص بذكر الطالبيين الذين جاءوا الى قم من ولد الحسين (ع)، ومن ولد محمد بن الحنفية، وضم إليه من الباب الرابع (ذكر العرب من آل سهل الأشعريين النازلين بقم). وقد فرغ من ترجمة ما انتخبه منه في 8 ربيع الثاني سنة 1317هـ/1907م . وهو مخطوطة بخط مؤلفه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 6/734، وتقع في 78 ص. وقد اتخذ السيد عبد الحليم عبد الكريم المدني من تحقيقها رسالة للماجستير بإشرافنا، في معهد التاريخ العربي في بغداد سنة 1994.

12- الجوهرة الزاهرة في فضل كربلاء ومن حَلَّ فيها من الذرية الطاهرة، وله عنوان اخر هو (الجوهرة الشعشعانية والثمرة الجنية في فضل كربلاء والغاضرية ومن حل فيهما من الذرية)، مخطوط منه نسخة بخط المؤلف في خزانة الشيخ محمد علي اليعقوبي بالنجف، وقف عليها آقا بزرك[1]. وفي مكتبة السيد عبدالرزاق الوهاب آل طعمة مخطوط بعنوان (الجواهر الزاهرة والفواكه المثمرة) للبراقي أيضاً. ومن المحتمل أن يكون نسخة من هذا الكتاب[2].

في الأنساب:

13- كشف النقاب في فضل السادة الأنجاب. نوه به الشبيبي والامين[3].

14- كشف الأستار في أولاد خديجة من النبي المختار. وكان قد سماه أولاً: الثمر المجتبى من خديجة الكبرى في ذرية محمد المصطفى، ثم غيره بالعنوان المذكور، وقال في أوله «إني لما نظرت إلى التواريخ ورأيت كثرة الاختلاف في أولاد النبي (ص) أحببت أن أذكر فيهم رسالة على سبيل الاختصار وأثبت فيها ما كان مثبتاً في كتب السير

---

(1) الذريعة ج5، طهران 1363هـ/1943م، ص239، ونقباء الشر ج1، ق2، ص526.

(2) سلمان هاددي آل طعمة: تراث كربلاء، بيروت 1983، ص235.

(3) مقدمة تاريخ الكوفة ص6، وأعيان ج25 ص44.

والأخبار». نسخة بخط المؤلف، فرغ منها في 17 من شهر ذي الحجة سنة 1225هـ/1908م، في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف برقم 22 متنوعة.

15- السيرة البُراقية في رد صاحب التحفة العنبرية. والتحفة العنبرية في نسب خير البرية، للنسابة أبي الفضل محمد الكاظم بن أبي الفتوح الأوسط بن سليمان، من مشاهير أئمة الزيدية (عاش في القرن السابع للهجرة) في الأنساب، صحح فيه بعض الأبحاث الواردة فيه، وعلق على بعض فصوله، وذكر في آخره فصولاً في تاريخ الكوفة، مقتطفاً ذلك من كتابه المستقل في (تاريخ الكوفة) وذكر بعدها فوائد رتبها على حروف المعجم تتعلق بأصحاب النبي (ص)، اقتطفها من رجال السيد محسن الأعرجي. نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 7- أنساب.

16- معدن الأنوار في نسب النبي وآله الأطهار. نسخة بخط المؤلف لدى الشيخ جعفر الحكيم النجفي في الشنافية، فرغ منه سنة 1307هـ/1890م.ويقع في 847 ص[1].

في الحوليات:

17- بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين . وهو تاريخ عام انتهى به إلى أيامه، ويقع في أربع مجلدات ضخام، نوه به الشبيبي وآقا بزرك[2].

18- قلائد الدر والمرجان فيما جرى في السنين من طوارق الحدثان. وهو تاريخ عام على السنين، في مجلد كبير، في مكتبة وداي العطية في الشامية، ونوه بهذه النسخة حمود الساعدي، ونقل منه (العراق وعشائره، النجف 1990) وذكر السيد محسن الأمين أن للبراقي كتاباً في التاريخ إلى سنة 1318هـ/1908م، ونسخة مخرومة، من سنة 131هـ الى 449هـ، والمجلد الاول منه موجود عند السيد حسن الصدر في الكاظمية، وتوجد نسخة منه في خراسان، ولا نعلم ما إذا كان هو (قلائد الدر والمرجان) المذكور أم غيره.

في التراجم:

19- ترجمة الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد النعمان المتوفى سنة 413هـ[1].

---

(1) الذريعة ج21، طهران 1393هـ/1973م، ص220.

(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6، والذريعة ج3 ص 164.

20- منبع الشرف في مشاهير علماء النجف. ذكر الشبيبي أنه فقد في حياته[2].

21- إكسير المقال في مشاهير في الرجال. نوه به الشبيبي وآقا بزرك.

22- هتك الحجاب. رسالة في زواج السيدة أم كلثوم. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم (828)، فرغ منها في 25 ربيع الثاني 1316هـ/ 1906م.

23- رسالة في ترجمة السيدة زينب الكبرى. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء بالنجف، برقم (828)، وتقع في 30 ص.

24- كتاب في قريش وأحوالهم.

25- كتاب في بني أمية وأحوالهم[3].

26- مختصر مقاتل الطالبين.نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء.

27- مختصر الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية. فرغ منه في 23 جمادى الأولى 1319هـ/1909م . نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم (761).

موضوعات مختلفة:

28- مجموعة أخبار وتاريخ. نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء بخط المؤلف سنة 1313هـ/1895م برقم 847، وتقع في 467 ص.

29- النخبة الجلية في أحوال الوهابية. فيه تاريخ ظهورهم ووقائعهم في العراق. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كشف الغطاء برقم 693 (علم الكلام والعقائد) وتقع في 167 ص، وأخرى في مكتبة محمد علي اليعقوبي بالنجف[4].

30- تغيير الأحكام فيمن عبد الأصنام.

---

(1) الذريعة ج4 ص 166 ونقباء البشر ص526 وأعيان ج25 ص 45.

(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6.

(3) الأرقام 17- 19 من مقدمة تاريخ الكوفة ص 6-7، ونقباء البشر ص526 وأعيان ج25 ص45.

(4) نقباء البشر ص527:

31- الهاوية في تاريخ يزيد بن معاوية.

وفيما عدا مؤلفاته الكثيرة، فإنه استنسخ بخطه طائفة حسنة من الكتب التي يدور أكثرها في مجال التاريخ والأنساب. ونوعية هذه الكتب وأحجامها يدلان على مبلغ الجهد الذي كان يبذله في تتبع مظانها، وفي صبره على نسخها، ودقته في عمله ذاك، فمن الاثار التي نسخها بخطه، نذكر:

1- كتاب بحر الأنساب. وهو مُشجَّر كبير في أنساب العرب، غير معروف المؤلف، كتب سنة 607هـ، وقد نسخ البراقي هذا الكتاب عن نسخة رآها في الكاظمية سنة 1321هـ/1903م، وأتعب نفسه في تصحيحها ومقابلتها على الأصل. وآلت هذه النسخة إلى خزانة السيد أبي محمد الحسني الصدر الكاظمي على ما يذكر آقا بزرك[1].

2- سبك الذهب في شبك النسب. لمحمد بن القاسم الديباجي الحلي المتوفى سنة 776هـ،1374م[2]. نسخها عن نسخة تاريخها سنة 972هـ/1564م، وتوجد نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء.

3- المجدي في أنساب الطالبيين. للسيد الشريف نجم الدين علي بن أبي الغنائم العمري (كان حياً سنة 443هـ/1051م)، نسخه البراقي سنة 1324هـ/1906م، وآلت هذه النسخة إلى مكتبة الشيخ محمد السماوي في النجف[3].

4- الدر المسلوك لأحمد بن الحر. نسخه سنة 1317هـ وتوجد هذه النسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 745.

5- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب وحسب الأئمة الأطهار لضامن من شدقم (كان حياً سنة 1068هـ/1658م). وتوجد نسخته في مكتبة كاشف الغطاء برقم 695.

6- سر السلسلة العلوية. نسخه سنة 1313هـ/1895م، وهو في مكتبة كاشف الغطاء ضمن المجموعة المرقمة 733.

7- تاريخ ابن خلدون المسمى بالعِبَر، نسخه سنة 1323هـ/1905م، وهو في مكتبة كائف الغطاء أيضاً برقم 7433.

---

(1) الذريغة ج3 ص 377.

(2) الذريعة ج12، طهران 1380، ص133، ونقباء البشر ص 527.

(3) الذريعة ج20 ص2.

8- المسامرات والمحاضرات لمحيي الدين ابن عربي. نسخه سنة 1314هـ/ 1906م. في مكتبة كاشف الغطاء أيضاً.

9- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لأحمد بن علي، ابن عنبة (المتوفى سنة 828هـ/1425م). مجلد رأيته لدى حفيده السيد حسين بن علي في النجف، سقط شيء من أوله وآخره.

10- الصحيفة السجادية. كتبه بخط النسخ، مؤطر بمداد أحمر، وكتب عنواناته بخط الإجازة، ولم نتيقن من أنه بخطه، ولكنه موجود لدى حفيده السيد حسين بن علي، وقد أخبرنا أنه بخطه.

11- كامل الزيارة. لإبن بابويه القمي، ورسائل أخرى، مجموعة بخطه رأيتها لدى حفيده السيد حسين بن علي.

12- كتاب الأنساب، ويُعرف بلب الألباب، لأبي الحسن الفتوني (توفي 1138هـ) نسخه البراقي نسختين، آلت أولاهما إلى مكتبة السيد حسن الصدر في الكاظمية، وآلت الأخرى إلى مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاؤ في النجف[1].

13- الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية.تأليف حميد بن أحمد الهمداني. نسخه سنة 1325هـ/1907م.وتقع هذه النسخة في جزأين، في أولهما فهرس. وهي في دار المحطوطات العراقية برقم 1867وتقع في 380 ص[2].

وغير ذلك كثير مما تفرق في خزائن الكتب الخاصة والعامة في النجف وكربلاء والكاظمية وغيرها من المدن والقصبات.

وذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي أن ورثة البراقي[3] وهم يجهلون قيمة الاحتفاظ بالاثار، حملوا كتبه، وبينها مؤلفاته، ومعظمها بخط يده، ليُنادى عليها في سوق الكتب في النجف، وذلك في شوال سنة 1333هـ/1914م فكان ذلك آخر العهد بها. والظاهر أن ما رآه الشبيبي لم يمثل كل مؤلفات البراقي، وإنما بقيت لدى أبنائه جملة كبيرة

---

(1) جعفر محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ج2 ص48.

(2) أسامة النقشبندي وظمياء عباس: مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، ص152.

(3) أكد لي حفيده السيد حسين بن علي أن الذي باع كتبه هو الشيخ عباس بن الشيخ جعفر الحكيم وليس ورثته.

منها، فقد ذكر لي الأستاذ علي نعمة الحلو أنه رأى مجموعة من مؤلفات البراقي المخطوطة لدى حفيد له اسمه صاحب السيد موسى سلمان، في داره الكائنة في مدينة الحيرة، وكانت تشغل (زنبيلين) كبيرين، وذلك عند زيارته له سنة 1979.

أسلوبه

ولقد انتقد مترجمو البراقي ضعف أسلوبه، وقلة بضاعته من علوم العربية، إلا أننا لم نجد ما يؤيد هذا الرأي، في أكثر مؤلفاته التي وقفنا عليها، فأسلوبه واضح ومعتاد، ومُوفٍ بالغرض، كما أن خطه ظل يحتفظ بقوته حتى ما قبل وفاته بسنوات معدودات، أي وهو يناهز الثمانينات من عمره.

ويبقى أن نسجل له أنه كان مؤرخاً محترفاً بطبعه، اختص بالتاريخ وحده، وهو أمر نادر في بيأته وعصره، إذ كان التاريخ لا يُعد في أفضل الفروض، إلا إكمالاً لصورة الرجل العالم، واهتماماً ثانوياً على هامش اهتماماته العلمية الرئيسة. وفي هذا يقول الشبيبي «كان جُل همه مصروفاً إلى التاريخ، فلذلك استقل به واختص فيه، ولم يشارك في شيء سواه من العلوم والفنون، إللهم إلا في علمي الأنساب والرجال لإتصالهما بذلك الفن، فقد ضرب إليهما مؤرخنا بعِرق عريق»[1]. وقال السيد محسن الأمين «كان له ولوع شديد بتدوين التاريخ والبحث والتنقيب عن الأخبار والآثار والحوادث»، وذكر حادثة تشير إلى شدة ضبطه للحوادث[2]. وقال الشيخ آقا بزرك «فهو الوحيد الذي صرف همه لتاريخ العراق وقضى فيه عمره، فلا غرو إذا لقبناه بمؤرخ العراق، فقد خلف مادة تاريخية غزيرة هي نتيجة حياته وثمرة أتعابه وخلاصة تتبعاته»[3].

تاريخه لمدينة الكوفة

كان لبيئة البراقي دور مهم في توجيه اهتماماته التاريخية، ففي زمانه كانت مدينته النجف قد دخلت عهداً جديداً من التوسع والعمران نتيجة لكثرة الوافدين إليها والمستقرين فيها، لا سيما من طلبة العلوم الدينية الذين يقصدونها من أماكن بعيدة غالباً، كما شهدت أيضاً استتباب حدٍ أدنى من الأمن نتيجة لتعاظم سلطة المدن في العراق آنذاك، وغلبتها على ما حولها من ريف وبادية، ومن ثم انفتاح المدينة على ما

---

(1) مقدمة تاريخ الكوفة ص7.

(2) الأمين: أعيان ج25، ص42.

(3) نقباء البشر ج2 ق1 ص525.

حولها من مناطق، ومن تلك المناطق ما كان يحتفظ بآثار حضارات قديمة بادت، ومدن زاهرة اندثرت، ومجاري أنهار اندرست، وقبور تبعثرت، فكان ذلك يقدم مادة جديدة للمؤرخ ومحفزاً جدياً للعناية بما هو خارج عن نطاق أسوار مدينته.

ويمكننا أن نعد البراقي أول مؤرخ نجفي، بل عراقي، خرج باهتماماته التاريخية من إطار أسوار النجف القديمة، إلى فضائها الرحيب، ليؤرخ لتلك المدن الداثرة التي استطاع الإطلاع على آثارها، وفي تقديرنا فإن خروجه من ذلك النطاق كان في حقيقته خروجاً ذهنياً قبل أن يكون مادياً، فلم تعد النجف – في نظره- أسواراً قديمة مهلهلة، وبيوتاً ضيقة متراصة، وإنما عدت، كما دلَّت عنوانات كتبه نفسها، محوراً رئيساً لنطاق إقليمي واسع يشمل ما حول أسوارها من مدن وقصور وأديرة وأنهار وتلال وغير ذلك، مما تحفل بذكره كتب التاريخ والبلدان والتراجم وغيرها، فكان أن أفرد كتاباً عن مدينة الحيرة، وآخر في تحقيق موضعي الحنانة والثوية، وكتاباً في تاريخ كربلاء تطرق فيه إلى مواضع حولها، هي الغاضرية ونينوى وعمورية والحراء وغير ذلك من المواضع التاريخية.

وكانت مدينة الكوفة التاريخية واحدة من المواضع التي استأثرت باهتمام البراقي وجهده، وفي الواقع فإنه كان أول مؤرخ عراقي فعل ذلك[1]، وتلك مأثرة تسجل له بكل تأكيد، أما لِمَ لَم يسبقه أحد في ذلك الاهتمام، فلأن مدينة الكوفة نفسها أمست منذ القرن الثامن للهجرة (14م) نسياً منسياً، فقد اندثرت مبانيها، وضاعت معالمها، واندرست حدودها، ولم يبق منها إلا مسجدها الأثري الشهير يقاوم عوادي الدهر وحده[2]، بينما فقدت المدينة التي كانت أول عاصمة إسلامية في العراق كل وظائفها

---

(1) يمكن أن نشير هنا إلى أن للسيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بحر العلوم (1155-1212هـ/1742- 1797م) رسالة في فضل مسجد الكوفة نوه بها البراقي قس مصادره (تاريخ الكوفة، طبعة اولى، النجف 1356هـ/ ص82) ولم تصلنا هذه الرسالة، ومن الواضح أنها تدخل ضمن كتب الفضائل، وهي المعنية بفضائل مواقع بذاتها، وليس في كتب التاريخ.

(2) حدد البراقي نفسه في تاريخ الكوفة هذا القرن تاريخاً لخراب الكوفة، وثمة أدلة وقرائن عديدة ترجح هذا التحديد، وفي الواقع فإن بعض ملامح الخراب بدأت تبين منذ أواخر العصر الغباسي، فهذا ابن جبير لاحظ أن الخراب قد استولى على أكثرها، فالعامر منها أكثر من الغامر، ونقل ابن بطوطة هذا القول، وقال ان الخراب استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها، وخاصة أن لا سور عليها يحميها، وقد شمل الخراب أكثر مسجد الكوفة التاريخي نفسه.

القديمة، السياسية والإجتماعية والثقافية، ليغدو مسجدها مجرد محطة لاستراحة المسافرين الذين يقصدون النجف لشؤون من الشؤون. ولم يكن هذا الأمر بكافٍ لحث الباحثين للإهنمام بها، حتى إذا ما كادت شمس القرن الثالث عشر للهجرة (19م) أن تغيب، حتى أخذت ملامح العمران تبدو ظاهرة حوالي مسجدها، وعند ضفة نهرها، مؤلفة بلدة جديدة آخذة بالنمو والإتساع، لتشغل مواضع لم تكن حتى وقت قريب إلاّ مزارع وكثباناً متفرقة[1]، فذكَّرت الناس — من ثم- بأهمية هذه المواضع، ليس لما تمثله في ذلك العهد، وإنما لم تضمه من ذكريات تاريخية حفلت بذكرها الكتب، وكان أحد هؤلاء الناس مؤرخنا البراقي، إذ شرع بتتبع أخبارها، وتقصّي أخبارها في مختلف المصادر والمظان، بقصد كتابة تاريخ شامل لها، يُذكِّر أبناء عصره بما لهذه المدينة من ماض تالد، ومجد رفيع.

ويستدل من قائمة مؤلفات البراقي التاريخية أنه خَصَّ مدينة الكوفة بكتابين عنها، أسبقهما تأليفاً كتابه الذي سماه (البقعة البهية فيما ورد من مبدأ الكوفة الزكية).[2] ومن المؤسف أنه لم يصلنا هذا الكتاب لنعلم طبيعة محتواه ومنهجه والحقب التي يؤرخ لها، ولنا أن نفهم من عنوانه انه اختص بتاريخ نشوء الكوفة وتكونها، إلاّ أن وصفه الكتاب في أول كتابه الثاني قلائد الدر والمرجان (المطبوع باسم تاريخ الكوفة) يدل على أنه كان أكثر سعة في تناول تاريخ المدينة. وأنه لم يقتصر في تاريخها على مرحلة محددة من مراحله المبكرة، حيث قال «ذكرت فيه فضل الكوفة وفضل مسجد سهيل،وما ورد فيهما وأعمالهما وغير ذلك من تحديدها وبنائها ونزول القبائل فيها وخرابها»[3].

وقوله «وخرابها» يدل على أنه لم يتوقف في تاريخها عند عصر تأسيسها، أو العصر الأموي والعباسي في أكثر تقدير، وإنما استمر في ذلك التاريخ حتى ما بعد سقوط الدولة العباسية، وهي الحقبة التي ولع بالبحث فيها، ولو وجد هذا الكتاب

(1) تاريخ الكوفة ص457.
(2) قال آغا بزرك في نقباء البشر ج1 ق2ص526 أن البراقي ذكر أنه اختصر كتاب عقد اللؤلؤ والمرجان من كتابه البقهة البهية وقد استنتج ذلك من قول البراقي في مقدمة كتاب عقد اللؤلؤ والمرجان أنه بعدما فرغ من تأليف البقعة الزكية أحب أن يذكر فيها رسالة مختصرة نافعة من نظر فيها.
(3) تاريخ الكوفة ص1.

لأفادنا في توضيح الظروف التي أدت إلى خراب الكوفة واندثار معالمها، وتبيين أسباب نزوح أهلها منها، وهذه بلا شك من الأمور المهمة للباحث في تاريخ العراق العمراني والاجتماعي والإقتصادي إبان القرون المتأخرة.

أما الكتاب الثاني، فهو الذي سماه (عقود اللؤلؤ والمرجان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان). وقد وصفه الشبيبي بقوله «وهو من أمتع آثاره ومن أوعى ما كتب عن الكوفة، وقد ألمَّ فيه بتاريخها القديم والحديث إلى أواخر أيامه»[1]. وكان حظ هذا الكتاب أحسن من سابقه، فقد وصلت مخطوطته إلى يد أديب نجفي مهتم بتاريخ مدينته، هو السيد محمد صادق بن حسن آل بحر العلوم، فسعى إلى نشره، بعد إضافة فصول عدة لم ترد في الأصل، ونشر فعلاً، بطبعتين، الأولى سنة 1356هـ/1337م، في 457 صفحة، والثانية سنة 1379هـ/1960م في 448 صفحة، وتولت طبع كلتيهما المطبعة الحيدرية في النجف باسم (تاريخ الكوفة).

لم يأت المطبوع ممثلاً للمخطوط، كما تقتضي ذلك قواعد التحقيق عادة، ذلك أن ناشره لم يميز بين تعليقاته وإضافاته الشخصية، وبين المتن، بل أدرج أغلب ما لديه من إضافات في المتن مباشرة، حتى بات من الصعب أن يميز قارئ بين الإضافة والأصل، إلا بطبيعة المواد التاريخية نفسها، أو نوع ما استند إليه من مصادر. وقد نبَّه الشيخ محمد رضا المظفر (المتوفى سنة 1383هـ/ 1953م) إلى هذه المسألة في مقدمته للكتاب، إذ قال أنه «زاد فيه زيادة ذات شأن يُذكر فيُشكر، ونقحه تنقيحاً زاد في جماله وقيمته التاريخية حتى أصبح كتاباً مشتركاً بينهما، وإذا كان قد نسبه إلى مؤلفه الأصلي، فلأجل الإعتراف بفضل المتقدم وابتكاره للموضوع الذي كان أساساً متيناً بنى عليه هذا الكتاب فخرج وافياً بالغرض، وتعرف تصرفاته وزياداته على الأكثر في أواسط الكتاب وأواخره إذ تَشم أن الأسلوب قد تغيَّر بما لم يتفق له مؤلف في عصر السيد البراقي، ويتجلى ذلك لك عندما تقرأ المنقول عن المؤلفات التي طُبعت، أو عن المقالات التي أنشئت بعد البراقي بسنين كثيرة»[2]. ومن الموضوعات التي أضافها الناشر، على ما لاحظ الشيخ المظفر، «معجم أسماء الكوفة وقراها ومحلاتها وما يتعلق بها من النواحي والبقاع والديارات والقصور» ويشغل الصفحات 134- 170،

---

(1) مقدمته لتاريخ الكوفة ص6.

(2) مقدمته لتاريخ الكوفة ص12.

و «معجم نقبائها وقضاتها وولاتها وتاريخ حوادثها وفتنها»، ويشمل أكثر الصفحات من 134 إلى 441، فتكون هذه الإضافات نحو ثلثي الكتاب المطبوع.

وعلى الرغم من أن الناشر أعاد كتابة نص البراقي أحياناً، فإن في وسعنا تحديد الأجزاء الأصلية من الكتاب، وتشمل معظم الصفحات 1- 130، وذلك أن المؤلف كان يميز أقواله بقوله «قال البراقي»، على نحو ما كان يفعله الأقدمون[1]، وبذلك فإنه منحنا الفرصة للتعرف على الأجزاء التي تؤلف الكتاب في شكله الأول قبل أن تمسه يد التغيير والإضافة.

وإذ كنا لا نملك نسخة من كتابه الأول في تاريخ الكوفة، وهو الذي عنونه البقعة البهية، فإنه ليس في وسعه – بالطبع– المقارنة بين الكتابين، ومعرفة ما تميز به كتابه الأخير من معلومات وموضوعات جديدة. ومن الواضح أن كليهما يبحث في موضوع واحد، فإذا كان الأول يتناول تأسيس الكوفة ومن سكنها من القبائل ثم خرابها، فإن هذه المباحث هي نفسها التي تؤلف مادة كتابه الأخير، باستثناء تاريخ خرابها، فإنه لم يتناوله في شيء، وإن كان قد تحدث عن ظهور بلدة الكوفة الحديثة في زمانه على خرائب المدينة الداثرة القديمة، وليس ببعيد أن يكون البراقي قد فصَّل في كتابه الأخير ما أوجزه في كتابه الأول، وزاد عليه معلومات جديدة استجدت لديه، وآراء خططية استقرت عنده، ولكن ضمن إطار كتابه (البقعة البهية). ومما يُقوِّي هذا الاحتمال عنوان الكتاب نفسه، على ما ساقه الشبيبي، فهو (البقعة البهية مختصر في تاريخ الكوفة الزكية)، فالإختصار إذاً سمة الكتاب، أما قلائد الدر والمرجان فهو – كما وصفه الشبيبي– «من أمتع آثاره، ومن أوعى ما كتب عن الكوفة»، وليس في هذا الوصف ما يُشتم منه سمة الاختصار بأي حال.

منهجه:

ذكر مترجمو البراقي انه كان في منهجه جامعاً أكثر منه مؤلفاً[2]، وهذا – في تقديري– مظهر عمله لا حقيقته، فقدرة الرجل كانت تكمن في طريقة انتقائه النصوص الخاصة بموضوعه، وانتخاب الروايات المتصلة به، ورصها في سياق

(1) وهذا ما فعله في كتبه الأخرى التي وقفنا عليها.

(2) الشبيبي: مقدمة تاريخ الكوفة ص3.

مقصود، بحيث يصل بالقارئ إلى تكوين فكرة عامة. وربما حملت كثرة فصول الكتاب قارئه على الظن بأنه ليس تاريخاً لمدينة بقدر ما هو موسوعة مصغرة، جمعت مواد متنوعة، أراد بها مؤلفها أن يستغني قراؤها عن مراجعة الكتب التي استقيت منها. بيد أن تحليلاً لمصمون الكتاب يكشف أن هدف مؤلفه الأول بم يكن إلا تنبيه قراء زمانه إلى أهمية الكوفة وعظم شأنها، تلك الأهمية التي غابت بغياب الكوفة طيلة خمسة قرون قبله، وما جمعه من نصوص لم يكن سوى انتخاب منظم لروايات مختلفة، لكنها تخدم هذا الهدف رأساً.

ويمكننا تقسيم تاريخ الكوفة، في أصله الذي وضعه البراقي، على ثلاثة محاور رئيسة، كالآتي:

أ- المحور الأول: يتناول تاريخ مسجد الكوفة، فضله، قدمه، تأسيسه، تحديد مقاماته، قبلته، فضل الصلاة والاعتكاف فيه، أبوابه، وما شهده من توسعة وتعمير.

ب-المحور الثاني : يبحث في بقية معالم الكوفة، مما ورد خبره في المصادر التاريخية، أو مما ظل موجوداً إلى أيامه، فتطرق فيه إلى مساجدها القديمة، وإلى عدد من قبور الشهداء والصالحين وغيرهم في أرضها، مثل قبر مسلم بن عقيل، وقبر هانئ بن عروة، وميثم التمار بن أبي عبيد الثقفي، وبعض المعالم الأخرى.

ت-المحور الثالث: ويتناول بعض خطط الكوفة، مثل حدودها، وتخطيطها، وتقسيمها، وأسواقها، وأنهارها المندرسة.

فهذه الخطة – كما ترى- تكاد أن تكون متكاملة، بوصفها تحقق هدف المؤلف من كتابه، ولكنها ليست كذلك إذا ما أريد بها أن تحقق هدفاً آخر، أو أن تكون خطة لكتاب شامل، يستعرض حضارتها، ونشاطاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وما إلى ذلك من شؤون.

ولقد عُني البراقي في كتابه هذا، كما في أكثر كتبه الأخرى، بالمتابعة الميدانية لآثار المدن والمواضع التي يختارها موضوعات لكتاباته، ومعنى ذلك أنه لم يكتفِ باختيار النصوص التاريخية من بطون الكتب، وإنما مضى فتأمل مُعطيات تلك النَصوص، وعيَّن ما تشير إليه، من مواضع معروفة في زمانه، ثم استدل بما هو معروف أو شاخص لتحديد مواقع ما ضاع أثره واندرس، وتعيين المواضع البائدة بحسب تسميات

الأمكنة الحديثة، فأثبت بذلك قدرته فيما يعرف بعلم الخطط، وهو دراسة المدن القديمة عن طريق الاستدلال بمواضعها المعروفة على ما هو غير معروف منها . وتلك -في تقديرنا- مزية مهمة تسجل له، إذ لم نعلم أن أحداً من مؤرخي مدينته، قد سبقه إليها . وقد لاحظ الشبيبي أنه كان «مطبوعاً على التنقيب عن تاريخ العراق وآثاره القديمة»، وأنه من ثم «أزاح الستار عن حقيقة كثير من القبور والمزارات المنتشرة في قرى السواد»[1].

ووفقاً لهذا المنهج العلمي السليم، فإنه اجتهد في تحقيق، أو تحديد، مواضع كثيرة. من ذلك مثلاً أنه علق على ما شاهده الرحالة المغربي ابن بطوطة في مسجد الكوفة من آثار كثيرة بقولة: «ان ابن بطوطة شاهد آثاراً كثيرة وفي زماننا هذا ليس لها عين ولا أثر». وبحث في حقيقة المحراب الذي ذكر ابن بطوطة أنه محراب أمير المؤمنين بأنه المحراب الموجود الآن الذي بجنبه المنبر المبني بالجص والحجارة». واجتهد في تحديد موضع الزاوية التي أشار إليها ابن بطوطة بأن فيها مسجداً صغيراً «يذكر أنه الموضع الذي فار منه التنور» فقال «يشير إلى الزاوية الغربية، وهي الآن حجرة كبيرة، فعلى كلامه يكون منها فار التنور ». وكان ابن بطوطة قد ذكر أنه في ظهر المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح، وبإزائه بيت يزعمون أنه متعبد إدريس، فاستدل البراقي بذلك على أن «بيت نوح ملاصق للزاوية الغربية. ويتصل بالباب الذي ذكرنا أنه مقام نوح الذي بجنب المنبر، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى المسجد، أما متعبد إدريس فليس له الآن عين ولا أثر». وذكرابن بطوطة أنه موضع إنشاء سفينة نوح، وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب والبيت الذي غُسل فيه « فاستدل البراقي بهذا على أن الفضاء هو الموجود ما بين بيت أمير المؤمنين وبيت نوح الذي هو ملاصق للحائط القبلي»[2].

وأرخ البراقي لمساجد الكوفة، فعد منها ثمانية عشر مسجداً، عدا مسجدها الكبير، منها مسجد السهلة، ومسجد بني ظفر، ومسجد غني، ومسجد جعفي، ومسجد الحمراء، ومسجد ثقيف الأشعث، ومسجد جوير البجلي، ومسجد سماك بن

(1) مقدمته لتاريخ الكوفة ص3.

(2) تاريخ الكوفة ص17.

مخرمة، ومسجد شبث بن ربعي، ومسجد ثيم، ومسجد بني السيد، ومسجد بني عبدالله بن رازم، وغيرها. ولم يكتفِ بإيراد ما ورد في الكتب عنها، وإنما سعى إلى تحديد مواضعها، وما بقي من آثارها، فقال عن مسجد الأشعث أنه «بقي منه حائط قبلته ومنارته»[1]. وذكر أن مسجد سماك بن مخرمة « بالموضع الذي فيه الحدادون فريب منه»، وأن مسجد الحمراء «هو بمحلة النجار». وقال عن المسجد الذي بقرب القنطرة الجديدة «لا يبعد أن يكون موضع القنطرة الجديدة من الجانب الشرقي هو الان قريب من معبر الجسر المعروف بعبرة البازول محاذٍ للبستان الراجعة إلى آل السيد رضا الرفيعي سدنة الحرم العلوي إلى القصر الذي بني فيها[2]».

ونوه بأسماء عدد من العلويين الذين دفنوا في الكوفة ونواحيها، وحقق قبور بعضهم، وحدد مواضع قبور بعض آخر، فنقل مثلاً أن إبراهيم أحمر العين بن عبدالله المحض (المقتول سنة 145هـ) دفن بباخمرا من أعمال الكوفة. وبحث في موضع هذا القبر، حتى انتهى إلى القول بأنه «القبر الذي بقرب قرية أبو قوارير، وأهلها اليوم مكارية من الرماحية يدفنون موتاهم بقربه، أو القبر الذي في العذار بقرب الحلة السبفية وهو الأشبه»[3]. وكا ن الحسين بن الحسن من ذرية الإمام موسى الكاظم (ع) قد «قتل بطريق قصر ابن هبيرة» فاجتهد هو في تحديد هذا المكان، حيث قال «أي إلى جنب الهاشمية في العذار»[4]. وتوصل إلى أن صاحب القبر المعروف بالنبي عيسى، الكائن على مسافة ثلاثة أميال عن قرية الشنافية، هو عيسى بن زيد مُيتِّم الأشبال تحديداً، وذكر شيئاً من تاريخ عمارة هذا القبر في زمانه. كما توصل عن طريق الإستدلال الخِطَطي وحده إلى أن المكان المعروف في تاريخ الكوفة بالكناسة «هي الآن فيها مقام زيد بن علي، وهو مكان دفنه وحرقه، وهو عن قرية الكفل على بعد خمسة أميال»[5]. وأن قصر الإمارة كان يقع خارج مسجد الكوفة، من جهة قِبلته، وليس بداخل المسجد، كما كان يتصور بعض أهل زمانه. فقال «ووضح من هذا أن دار أمير

(1) المصدر نفسه ص44.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه ص54
(4) المصدر نفسه ص56.
(5) المصدر نفسه ص15.

المؤمنين (ع) يخرج الخارج منها ويدخل المسجد ولو كان موضعها من المسجد لما اتخذه أمير المؤمنين (ع) مسكناً، وأن هذا البيت بيت أمير المؤمنين لا ريب»[1].

ونتيجة لدراسة البراقي الخططية، فقد توصل إلى تحديد منطقة الكوفة في العصور الإسلامية، وفقاً للمواضع الماثلة في عهده، ونعتقد أنه أول من فعل ذلك، إذ قال في تعيين حدودها «أحد حدودها خندق الكوفة المعروف بكري سعد، فالحد الآخر القاضي الذي هو بقرب القائم إلى أن يصل قريباً من القرية المعروفة بالشنافية، والحد الآخر الفرات الذي هو ممتد من الديوانية إلى الحسكة إلى القرية المعروفة اليوم بأبو قوارير، وهي منزل الرماحية، والحد الرابع قرى العِذار التي هي من نواحي الحلة السيفية»[2].

وبغض النظر عن دقة هذا التحديد أو ذاك (فذلك أمر يحتمل الاجتهاد) فإن نتائج كهذه التي ذكرنا لا يمكن أن تكون إلا باطلاع واسع، وزيارات، أو جولات، عدة إلى المنطقة، وحسن نظر واستدلال.

---

(1) المصدر نفسه ص16

(2) المصدر نفسه ص111.

آراء الكشناوي في العلوم السرية

هو، كما سمى نفسه، محمد بن محمد، الفلاني، الأشعري، المالكي (توفي سنة 1154هـ/ 1741م)[1]، عالم سوداني[2]، عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة، وكان معنياً، على نحو عجيب، بتتبع كتب السحر والطلسمات وما يتصل بها، ومن المؤكد أنه كان واسع الخبرة فيها، ممارساً لأكثر فنونها، وقد صنف فيها جملة من الكتب، هي:

1- بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والاغلاق في علم الحروف والأوفاق.

2- الدرر واليواقيت في شرح الدر والدِرياق لعبد الرحمن الجرجاني.

3- كتاب (الدر المنظوم) وهو موضوع هذا البحث.

4- رحلة تتضمن ما حصل له في أسفاره.

وله فضلاً عن ذلك كتب في المنطق والنحو والتراجم.

ويعد الكتاب الذي سماه (الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم) أبرز مؤلفاته[3].

يذكر الكشناوي أنه ألف كتابه هذا في أثناء مجاورته في مكة سنة 1141هـ/ 1728م، وذلك حين اقترح عليه أحد العلماء الذين لهم باع طويل في تلك الفنون، هو الشيخ يونس بن محمد السوداني الحوساوي الكناوي (الكشناوي) أن يقوم بتلخيص كتاب كان الكشناوي يمتلكه، عنوانه (السر المكتوم) يجمع «لأكثر الفوائد النجومية والطلسمية والسحرية والنيرنجية بأنواعها السُمِّية وغيرها»، فبدأ بتلخيصه بأن حذف الزوائد والمكررات، بل زاد عليه أن «فكّ مُكفلات عباراته الشبيهة بالألغاز». ويظهر أنه أعاد ترتيبه على نمط جديد ارتضاه، مرتباً إياه على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة. ولم يكن الأصل على هذا الترتيب، وغير بعيد أن يكون الكتاب كله من وضع الكشناوي،

---

(1) ترجم له باختصار الجبرتي في عجائب الآثار ج1 ص159 والبغدادي: هدية العارفين ج2 ص325 و Brockelman. II.p.366

وأضاف مترجموه إلى ألقابه (الدانكرنكوي السوداني).

(2) يقصد بالسودان، في التراث الجغرافي العربي، بلاد السودان الغربي، التي تشمل في عصرنا هذا: بلاد مالي والسنغال ونايجيريا.

(3) طبع في مجلدين، في مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة سنة 1381هـ/ 1961م.

ولكنه عدّ نفسه مختصرا له، تخلصاً من مسؤولية ما ورد فيه من أفكار وآراء وتجارب وعبارات قد لا ترضي جمهور القرّاء.

يطلق الكشناوي على المعارف الثلاث: الطلسمات، والسحر، والتنجيم، مصطلحاً واحداً، هو (العلوم السرية)، ويبرر تعلم هذه العلوم بالمبررات الآتية:

1- إن المتصرفين فيه يقدرون على تحصيل جميع ما أرادوه من الأمور، كمعالجة الأمراض الصعبة البرء، التي يعجز عنها الأطباء، مثل المفلوجين والمجذومين، وكإزالة العشق.. الخ

2- إن صاحبه يَقوى على قهر الخصوم من غير ممارسة وحروب «وتعريض النفس للقتل.

3- إن صاحبه قد يصير بحيث «تخبره الأرواح بالحوادث التي ستقع قبل وقوعها، ليمكنه الاحتراز عن جميع المضار».

4- إن صاحبه يقدر على إنقاذ المظلومين من أيدي الظلمة الجبابرة».

5- إن صاحبه «يقدر على رؤية الأشياء المتباعدة والتصرف بها».

والأمثلة والشواهد التي أتى بها لتأكيد هذه المبررات تدل على أن أغلبها يدخل ضمن نطاق علم الباراسايكولوجي الحديث، فعلاج الأمراض الجسدية يدخل في مجال استخدام ظاهرة الإشفاء Therapeutic touch، كواحدة من ظواهرالقدرة الفائقة extra-sensory perception وعلاج الأمراض النفسية، أو السيطرة على الرغبات الكامنة، يدخل في مجال الإيحاء، سواء أكان في حالة اليقظة أو النوم الإيحائي (المغناطيسي) Hypnosis . والقدرة على قهر الخصوم، متأتية من إمكان التأثير تخاطرياً telepathyعلى تصرفات الناس وسلوكهم، وكذلك التأثير على شعورهم وصحتهم بل حتى قتلهم بواسطة قوى نفسية خارقة، ومن مسافات بعيدة (Psychokinesis أو ربما حرقهم Pyrokinesis أما القدرة على التنبؤ Precognition، ورؤية الأشياء البعيدة، فنعتقد بأنها لم تكن بعيدة عن تجاوز حاجزَي الزمان والمكان لبعض المُنوَّمين مغناطيسياً Clairvoyancy فما ساقه من شواهد يؤيد ذلك.

وعلى الرغم من تقارب مفاهيم الطلسم والسحر والنجوم، فإننا سنقتصر هنا على مفهومه للسحر بالذات، نظراً لأهمية آرائه في تحديد هذا المفهوم ونطاقه وشروطه.

يقدم الكشناوي عدة تعريفات للسحر، ولكنه يعلن أن أشملها لفنونه أنه «علمٌ

يستفاد من حصول مَلَكَة نفسانية يُقتدَر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية». ويمكن إعادة كتابه هذا التعريف على النحو الآتي: إنه علم القدرات الفائقة التي يقدر بها على إتيان أفعال غير معتادة بوسائل غير فيزيائية. وهذا التعريف – كما نرى – يقرب به إلى أن يكون داخلا في نطاق علم الباراسايكولوجي فعلاً.

ويقسم الكشناوي القدرة النفسية التي يقدر بها على ذلك إلى قسمين:

1- قوة فطرية تحصل للإنسان من غير اكتساب، و«الذين يمتلكونها لا يُتعبون أنفسهم في تحصيل قوانين هذا العلم وأركان شرائطه»، ولكن يمكن لمن يحرزها أن يُنمِّيها، أو يشحَذها، بشيء من التدريب الذي يفصله.

2- قوة مكتسبة. وتكون بخمس وسائل:

أولاً: الرياضة الروحية القائمة على الزهد بالملاذ الدنيوية.

ثانياً: تنقية القلب من الأفكار الرديئة (أي التأمل والتركيز).

ثالثاً: مراعاة حال الغذاء كمية وكيفية (أي اتباع نظام غذائي خاص يقوم على أساس نباتي).

رابعاً: استخدام أنواع معينة من العطور، والألوان، والموسيقى، للمساعدة على العمل.

خامساً: إحكام العلاقة بالأرواح الفلكية (أي الاتصال بأرواح مطلقة ثابتة، أو جان).

ويَعد الكشناوي الوسيلة الأخيرة أفضل الوسائل وأهمها، والظاهر أنها تمثل عنده جوهر العمل السحري ومعنى نجاحه، ولذا فإنه يقسمها إلى أربعة أنواع، بحسب ما دلت عليه تجارب الأمم، وعلى النحو الآتي:

1- التدريب على التركيز في تلك الأرواح، ولا بأس باستخدام أشكال ترمز إليها، كوسيلة تساعد على التركيز نفسه، وهذا ما يسمسه طريقة الكلدانيين.

2- عمل أسباب مناسبة للغرض المطلوب، مثل التماثيل والعُقد التي تُعقد وينفث عليها، والكتب التي تكتب وتدفن في الأرض، أو تطرح في الماء، أو تعلق في الهواء، أو تحرق في النار، هذا مع رُقى وأدخنة تطلق في أوقات مختارة، وهذا ما يسميه بطريقة النبط.

3- الوقوف والتضرع إلى روحانية إلى روحانية الكواكب وسيلة لتسخيرها، وهذا ما يسميه طريقة اليونانيين القدماء.

4- الإعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعاني، كأنها أقسام (جمع قسم أو يمين) وعزائم، بترتيب خاص، كأنهم يخاطبون بها حاضراً، لاعتقادهم أن هذه الآثار إنما

تصدر عن الجن، ويدّعون في تلك الأقسام أنها تُسخِّر ملائكة قاهرة للجن. وطريقة تحصيل تلك الأسماء والأقسام أما بالوحي إلى بعض الأنبياء، أو بالإلهام، أو بالمنامات الصادقة، وهي ما يسميه طريقة العبرانيين والنِبط والعرب.

وتتحدد الطرق الموصلة إلى تسخير الأرواح في ثلاثة أنواع، هي:

أ- الإستخدام. وهو أعلى الأنواع.

ب-الإستنزال. وتبرز الفائدة منه في كشف الأمور الغائبة، من سرقة او تهمة، أو علاج المصاب بالجان.

ج- الإستحضار، وهو أدنى الأنواع، وغاية نفعه — كما يَرى- كشف الأمور الغائبة، كالمتهوم (أي معرفة المتهم بفعلة ما). وطريقته إذا كان في البقظة يتوسط بتلبس الروح ببدن منفعل، كالصبي أو المرأة، بأن يتشخص المتهم وترسم صورته في المرآة، أو يحصل للصبي حالة تشبه حالة النوم، بحيث يغيب عن حواسه، وينطق في تلك الحالة باسم المتهم. وهذا هو عين ما عرف بالتنويم المغناطيسي.

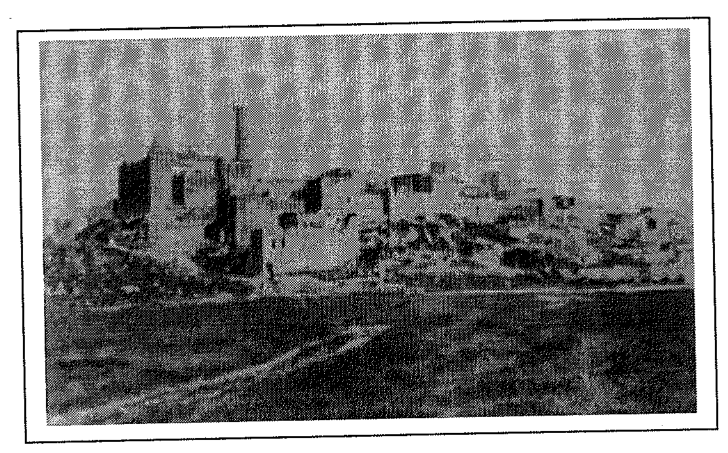
وإذا كان الكشناوي قد أشار إلى أن من فوائد ما سماه بالسحر علاج الأمراض الجسدية والنفسية، وأن (الإستحضار) هو واحد من أهم ما يدخل في نطاق السحر، فلنا أن نقول أن إدخال إنسان ما في «حالة تشبه حالة النوم بحيث يغيب عن حواسه» (وهو التنويم المغناطيسي نفسه) كان يعد الوسيلة المعتمدة في تلك المعالجات، وهذا يعني أن التنويم لم يكن يستخدم لأغراض مثل إيجاد المتهم، أو الإخبار عن المغيبات فحسب، وإنما كان يستعمل أيضاً لعلاج المريض الذي يعاني اضطراباً في نفسيته، فتجتاحه رغبات جامحة، أو تؤثر في سلوكه رغبات مكبوتة، تماماً كما يفعل بعض النفسانيين في الوقت الحاضر.

بقي لنا أن نقول: أن تفسير الكشناوي لظاهرة تجاوز المُنوَّم (بفتح الواو) لحاجزَي الزمان والمكان، يقوم على أساس (تلبُّس) قوة (مطلقة) لجسده (النسبي)، وهو ما يسميه تلبُّس الروح (قوة علوية، أرواح فلكية، جِن) ببدن منفعل (مستجيب للتلبُّس).

ويأتي هذا التفسير متساوقاً مع نظرة الكشناوي العامة للعلوم السرية كلها، وهي نظرة تقوم على أن غاية هذه العلوم، هي إحداث إتصال بين نسبي (الإنسان) ومطلق (أياً كان اسم هذا المطلق)، ثم السعي للسيطرة على نتائج ذلك الاتصال، وتسخيره لأغراض مختلفة تخدم الإنسان وتلبي مطالبه في هذا الكون.

كان التذبذب الشديد بين حالتي الغلاء والرخص في أسواق الموصل يمثل انعكاساً مباشراً لطبيعة المواسم الزراعية لريف المدينة، حيث تتحكم فيها –بصفة أساسية- التغيرات المناخية المستمرة، فمنطقة كالموصل، تعتمد في ري حقولها على مياه الأمطار وحدها تقريباً، كان لابد من أن يتأثر إنتاجها الزراعي بكل ما يطرأ من تغير مناخي أو بيئي. وكان من المتوقع دائماً أن يؤدي تعرض المنطقة إلى حالة جفاف، أو أن يتأخر هطول الأمطار، فيؤدي إلى تلف المحاصيل الزراعية وأغلبها من الحبوب. بيد أن الجفاف لم يكن المسؤول الأوحد عن هذا التلف، بل قد تكون كثرة الأمطار نفسها، وتجاوزها القدر الملائم، سبباً في تلف الزروع، أو أن يؤدي البرد الشديد، الذي تتعرض له الموصل أحياناً، إلى تلف جانب كبير من المحصول، وربما ساهمت أسراب الجراد المندفعة إلى المنطقة من مواطنها الصحراوية في الجزيرة العربية، إلى أكل الحاصل، فتتفاقم الأزمة، ويعم ضررها مجتمع المدينة بأكمله.

ومن ناحية أخرى فأن للعوامل البشرية أثرها على إقتصاد مدينةٍ تعتمد في جانب من نشاطها على التجارة، فانقطاع الطرق بسبب التمرد أو النزاعات الداخلية بين العشائر وسلطات المدن المجاورة، كان يؤدي أيضاً إلى قلة المعروض من سلعة ما، ومن ثم إلى ارتفاع حاد في أسعارها.



جامع النبي يونس في الموصل

صورة قديمة

وتكشف دراسة النصوص التاريخية التي سجلها المؤرخون[1] عن ظاهرة الغلاء في مدينتهم ابان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عن تكرر هذه الظاهرة، بصفة كلية أو جزئية، في أوقات متقاربة للغاية، وربما استمرت مع اختلاف في أسبابها، عدة سنوات، وذلك ما يمكن توضيحه في الجدول الآتي:

سنة الغلاء	أسبابه	مدته
1192هـ/1778م	إنقطاع المطر	(؟) [2]
1197هـ/1782م	إنقطاع المطر	3 اشهر [3]
1199هـ/1784م	انقطاع المطر	_ [4]
1200هـ/1785م	انقطاع المطر	سنة كاملة[5]
1206هـ/1791م	انقطاع المطر	(؟)[6]
1209هـ/1794م	الجراد- البرد- كثرة الامطار	4 اشهر[7]
1210هـ/1795م	الجراد	سنة كاملة[8]
1211هـ/1796م	البرد	موسم[9]
1213هـ/1798م	انقطاع الطرق	(؟)[10]
1214هـ/1799م	الجراد	موسم[1]

(1) ان ابرز المؤرخين الموصليين اهتماماً بهذه الظاهرة (وغيرها من الظواهر غير السياسية) هو المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري المتوفى بعد سنة **1236هـ/1252م**، لا سيما في كتبه:

أ- الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، مخطوط.

ب- الآثار الجلية في الحوادث الارضية. وقد انتخب زبدته داود الجلبي ونشرنا هذه الزبدة بعنوان «زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية" النجف 1974.

جـ- غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره محمد صديق الجليلي (الموصل 1940).

(2) الزبدة ص 144

(3) الزبدة ص 152

(4) الدر المكنون، حوادث 1199.

(5) الزبدة ص 155.

(6) غرائب الاثر ص 26

(7) الزبدة ص177

(8) غرائب ص 40.

(9) غرائب ص41.

(10) غرائب ص 48.

1215هـ/1800م	انقطاع الطرق	(؟)[2]
1219هـ/1804م	انقطاع الطرق	(؟)[3]
/1824م	الجفاف- الجراد	[4]
/1826م	الجفاف	[5]

وقد علَّمَت خبرات الفرد الموصلي أن يعمد إلى خزن كميات كبيرة تزيد عن حاجته العادية من الحبوب والمنتجات الزراعية الاخرى، في كل موسم زراعي، تلافياً لما قد يواجهه في أزمات الموسم القادم وبالطبع، فإن هذا التخزين الدائم من شأنه التخفيف من حدَّة الأسعار في بعض المواد بازاء الطلب عليها بيد أن حدود الأزمات لم تكن مما يمكن السيطرة عليه دائماً، ففي حالة تلف المحصول، لأي سبب من الأسباب المختلفة، سنتين متتاليتين، تتجاوز الأزمة القدرات المتاحة للمدينة، وتجعلها على حافة مجاعة حقيقية، مع ما يترتب عليها من مآسٍ اجتماعية محتملة، فإذا ما تكررت مثل هذه الحالة في أوقات متقاربة- كما يوضح الجدول- أدى ذلك إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية- الاجتماعية، وامتداد أثرها إلى الحياة السياسية نفسها .

وقد أثارت ظاهرة الغلاء الفادح اهتمام المؤرخ الموصلي ابان القرنين الاخيرين، فسجل ارتفاع اسعار بعض المواد الرئيسية في سنوات الغلاء. لكنه سكت عن تسجيل أسعارها في السنوات العادية بوصفها تمثل أمراً معروفاً من قبل معاصريه. ففي سبيل المثال، ذكر المؤرخ الموصلي ياسين بن خير الله العمري أن الغلاء الذي داهم مدينته سنة 1192هـ/1778م أدى إلى أن تباع الوزنة ونصف من الحنطة بثمانية دراهم، والوزنتان من الشعير بثمانية دراهم[6]، وانه في سنة 1200هـ/1785م بيع الرطل من الحنطة بدرهمين وبدرهم ونصف، والشعير الرطل بدرهم وأكثر، ورطل الملح بدرهم، والدهن بخمسة دراهم، والقطن بدرهمين وأكثر[7]، وان سنة 1206هـ/1791م شهدت ارتفاع سعر الحنطة إلى ريال لكل وزنتين، ومثله لكل أربع

---

(1) غرائب ص 46.

(2) غرائب ص 54.

(3) غرائب ص 67.

(4) Budge. W. By Nile and Tigris, 11,P.38

(5) المصدر نفسه.

(6) زبدة ص 144 والدرهم هنا هو الدرهم العثماني المسمى آقجة.

(7) زبدة 155.

وزنات من الشعير[1] بيد أن المؤرخ نفسه، لم يحدد لقرّائه أسعار هذه المواد في السنوات السابقة، أو اللاحقة، لنعلم نسبة الارتفاع الذي حصل بشأن كل مادة، هذا فضلاً عن استخدامه أنواعاً مختلفة من العملة التي كانت مستعملة في أسواق الموصل آنذاك، مما يزيد من صعوبة تحليل معطياته من الأرقام المذكورة.

وكان من توفيقه تعالى، أننا وقفنا على رسالة مهمة لم تنشر بعد[2]، من شأنها أن تلقي ضوءاً ساطعاً على الإرتفاع السريع للأسعار في سوق الموصل إبان النصف الاخير من القرن التاسع عشر، ومن المؤكد أن هذا الضوء يمكن أن يفيد الباحث في توضيح أبعاد هذه الظاهرة في الحقب التاريخية السابقة بوجه عام. وعلى الرغم مما يعوزنا من معلومات عن مؤلف هذه الرسالة، وطبيعة ثقافته، فانه يكفيه أن يكون المؤلف الوحيد بين أكثر من ثلاثمائة وثمانين مؤلفا عراقيا[3]، عُنوا بكتابة التاريخ، أو تسجيل أحداث عصرهم في الأقل، أفرد للظاهرة الاقتصادية رسالة خاصة بها، ولقد اكتفى المؤلف في توضيح هويته بأن صرح في آخر رسالته بأنها (لمحرره محيي الدين) ومن المحتمل أن تكون هذه كنيته لاغير، وبذا يكون اسمه قد غاب بصفة نهائية. وعلى أية حال، فأنه صرح بموصليته، ويظهر أنه كان أديباً له شيء من النظم، فقد ختم رسالته ببيتين من نظمه في رثاء الموصل بمناسبة ما أصابها من غلاء فقال:[4]

ولما رأيتُ ما حلَّ بأهل الموصل- وأنا منهم- وماهُم

عليه من سوء الحال على سبيل الرثاء، فقلتُ كما

رأيت وبالله اعتصمت:

فاضَت مَدامعُ عَيني ببُكائي ... أسفاً على ما حَلَّ في الحدباء

عمرنا هذا فما أعظمه ... أرَّخوه عام قحط والغلاء

---

(1) غرائب الأثر 26

(2) عثرنا على هذه الرسالة بين مجموعة من (الكشاكيل) والأوراق التي كان يحتفظ بها السيد الحاج إبراهيم ونه في بغداد، وقد تفضل بالسماح لنا بتصويرها. وينظر عن آل ونة في بغداد بحثنا المعنون (خليل ونه سيرته- رحلته- آثاره) في الجزء الاول من هذا الكتاب.

(3) استندنا في هذا الإحصاء على معطيات كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009.

(4) المخطوطة الورقة 10- 11.

والبيت الأخير يتضمن تاريخ الغلاء بحساب الجُمّل، وهو سنة 1297هـ/1878م[1] ويوافق هذا التاريخ ما سجله، في رسالته نفسها، كما سيأتي.

والرسالة بعد هذا بخط مؤلفها، وهو خط نسخ معتاد فيه بعض الإختزال، مما يظهر أن صاحبه اعتاد على أعمال السوق، من تسجيل ومسك دفاتر، وهو ما يتفق مع كلامه عما اصابه من خسارة نتيجة انخفاض قيمة النقود المتداولة في سوق الموصل. وتقع الرسالة في 11 صفحة، بمقياس 20×12 سم، وفي كل منها 14 سطراً تقريباً، وهي خلو من العنوان.

وتقدم الرسالة أسعار عدد كبير من المواد الغذائية «من الغلال والخضروات والبقاليات واللحوم في حال رخصها وعدم غلائها، وذلك من أواسط سنة ست وتسعين ومايتين وألف (التي) فيها الترقي والتزايد إلى ساعة التاريخ» أي إلى تاريخ كتابة هذه الرسالة.



سوق في الموصل 1916

استخدم المؤلف، في تحديده مقادير المواد المختلفة الأوزان الآتية:

---

(1) ثمة قصيدتان بالسريانية، في وصف هذا الغلاء والقحط الذي أصاب الموصل سنة 1897 ضمن مجموعة خطية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد، احدهما للراهب كوريال داود الالقوشي، والاخرى لكاتب غير معروف.

نخالة حنطة منخل	1.5 أوقية	–	8
دقيق ارز منخل	2 أوقية	–	6
خبز حنطة	الحقة	–	30
خبز شعير	الحقة	–	15

ثانياً: البقالية

المادة	الوزن	أسعار الرخص بالقرش	أسعار الغلاء بالقرش
عسل	المن	40	150
حلو	المن	5	65
طحينية	المن	5	120
زبيب أحمر	المن	5	40
زبيب أسود	المن	15	80
تمر قَوصَره[1]	المن	5	100
تمر قصب[2]	المن	5	100
تين هوى	المن	10	65
تين سنجار	المن	10	75
جوز	المن	5	104
لوز	المن	6	150
قَيسي (المشمش)	المن	5	65
حبة خضرا (مال سعرد)	المن	40	55
بُطُم	المن	5	75
فستق	المن	7	65

(1) القَوصَرة وعاء من قصب يحفظ فيه التمر بعد كبسه، وتعرف أيضا باسم (خصاف).

(2) القسب هو التمر المجفف يتفتت في الفم.

بندق	المن	20	55
قضامى	المن	15	55
سسىًّ	المن	6	40
ملح	المن	2	52
سُمّاق	المَن	6	45
حب رمان	المن	10	50
حُصرُم	المن	8	55
رمان حلو		8	
رمان حامض	المن	4	55
نومي حلو	المن	6	50
نومي حامض	المن	6	50
انجاص ماردين	المن	20	45
قمر الدين	المن	20	–
بلوط	المن	2	–
كسَب	المن	2	55
حلاوة راشية	المن	20	80
دهن غنم	المن	40	220
توتون	المن	20	200

ثالثاً- الخضروات

المادة	الوزن	أسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
بصل	الوزنة	2	25
الشلجم	الوزنة	2	12
شَوَنْدَر	الوزنة	–	25
سلق	الوزنة	–	25

جَزر	الوزنة	-	25
فجل	الوزنة	-	12
كرفس	الوزنة	4	40
قرع	الوزنة	1	22
كعّوب	الوزنة	2	15

رابعاً- اللحوم

المادة	الوزن	اسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
لحم غنم	اوقية	1	12
لحم بقر	اوقية	-	8
لحم جمل	اوقية	-	4
لحم القيمة	اوقية	4	-
شحم	اوقية	4	140
سمك	اوقية	2	6
معلاق	-	-	5
رأس وكرش	-	-	10
غنم	-	-	40
رأس وكرش	-	-	المعلاق 15 المصارين 6
بقر	-	بارة	8
معلاق بقر	-	4	15
ومصارين	المن	20	175
بيضة	اوقية	-	لبن غنم 7
دجاجة	المن	25	180
إلية غنم	المن	40	140
شيرج	-	1	4
لبن	-	2.5 بارة	2
زيت	الوزنة	-	5
شمع	الحمل	10	50
مصارين	-	-	2
غنم			
قربة الماء			

تظهر هذه الجداول أن ارتفاع الأسعار كان يتخذ شكلاً عاماً يشمل جميع المواد الزراعية والحيوانية بلا استثناء، المنتجة في الموصل أو المجلوبة من الولايات الأخرى على حد سواء، إلا أن الغلاء في الحبوب (وهي منتوجات الموصل غالباً) يكون أشد، حتى يصل في محصول الحنطة ثلاثين ضعفاً، وفي الشعير إلى 99 ضعفاً، وفي الذرة مثل ذلك، وفي العدس إلى 52 ضعفاً، وفي الحمص إلى 23 ضعفاً، بل يصل في التبن، وهو مجرد ناتج ثانوي عن عملية الحصاد، إلى 75 ضعفاً، بيد أن الأسعار تقل نسبياً في السلع الأخرى، وبخاصة في الفواكه المجلوبة من خارج الموصل كالتمر والتين والقَيسي والنومي (الليمون) والإنجاص..الخ مما يدل على أن الأزمة كانت في حقيقتها زراعية، تتعلق بحالة الجفاف التي أضرَّت بمحاصيل الموصل، أكثر منها أزمة تجارة ومواصلات، إلا أنها سرعان ما انعكست -بعد شهور قليلة- على هذا المجال أيضاً كما سيأتي.



سوق قديم في الموصل

أسباب الغلاء

ويوضح مؤلف الرسالة أسباب الغلاء الذي داهم الموصل، على هذا النحو، فإذا بها أسباب طبيعية يمكن إجمالها بالآتي:

1- قلة وقوع الامطار
2- كثرة الحر
3- الوخامة أيام الحصاد
4- البرد الذي يُهلك دواب النقل والماشية

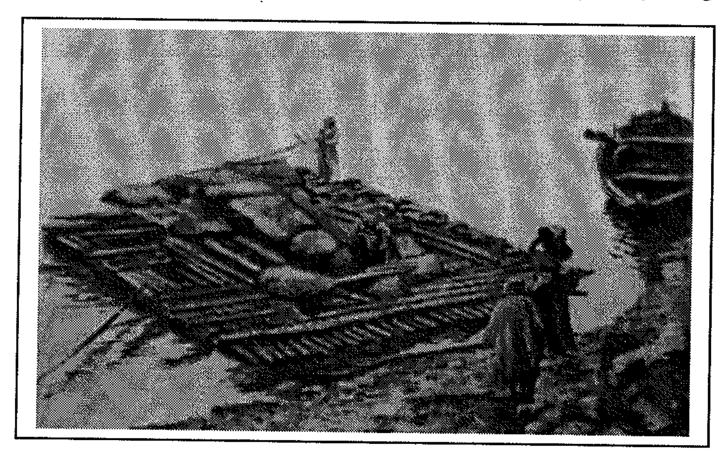
وأسباب بشرية، هي:

1- إمتناع الولايات المجاورة عن تصدير كميات كبيرة من الحبوب، تعويضاً عن نقصها الشديد في سوق الموصل.

2- الخفض المفاجئ لسعر العملة

3- فرض إتاوات غير قانونية على قوافل التجارة.

4- توقف حركة نقل السلع بسبب البرد الشديد وتجمد نهر دجلة مما يؤدي إلى تعطل وسائل النقل النهرية.



الكلك وسيلة قديمة للنقل النهري

يقول: «وسبب وقوع هذا الغلاء العظيم الذي لم يُسمع بوقوع مثله فيما مضى في الكثير من السنين، قلة وقوع الأمطار زمان الربيع، وكثرة الحر والوخامة أيام الحصاد، فحصل للزرع الشطف[1] وقلة الحنطة والشعير فغلت أثمانهما، وازداد سعرهما في بلد الموصل في ذلك (ان) غلال الموصل لازال يذهبون بها إلى هذين البلدين، خصوصاً اذا احتاجوا إلى ذلك، فمنع شراء الذخائر من ديار بكر واليها [في] ذلك اليوم عزت باشا، وكذلك منع الشراء من بغداد واليها في ذلك الوقت عبد الرحمن باشا[2] حذراً على أهل بلديهما من الإحتياج، فترقّت[3] قيَم الغلال، وكذا البقالية وما أشبهما في الموصل، وضجّت العامة، واستمدوا من الدولة أن يحرروا إلى والي ديار بكر كتاباً حتى يعطي

(1) الشطف: لفظة آرامية تعني تعرض الزروع الى لفحة هواء تضر بها.

(2) تولى عبد الرحمن باشا ولاية بغداد مرتين، الاولى من 16 رمضان 1292 الى 23 ربيع الاول 1294 هـ والثانية، وهي التي يعنيها المؤلف، من 12 ربيع الاخر 1296 الى غرة ذي الحجة 1297هـ

(3) ترقت : تصاعدت

الرخصة في شراء الغلال وتسييرها وجلبها إلى هذا الطرف، فمنع الوالي من ذلك[1].

فاشتد الأمر على الأهالي واضطربوا غاية الاضطراب، فاستغاثوا بالدولة ثانياً، فكررت الدولة الأمر على الوالي الموما اليه فتعلّل، وبعده اظهر الامتثال في الظاهر فأعطى الرخصة، ثم في الخفية أمر على الغلال التي اشتراها أهل الموصل وسيرتها من يقف على طريق الماء من الرعايا، حتى إذا مرَّت بها أخذوها ولم يتركوها تصل إلى الموصل، فعظم الخطب على أهل الموصل وضاق الخناق، وآل بهم الامر إلى أن أكلوا الدم والجِيف والمَيتة، واستنجدوا من الدولة واستغاثوا بها واستجلبوا الأمر منها إلى عزت باشا وكرروا الطلب، فلما أعطى الوالي الرخصة في المكيل، وتكيّلت اهل الموصل الغلال، وأتوا بها إلى شاطئ دجلة، اشتد البرد ونزل الثلج حتى جمد هنالك الماء، ووقفت الكَلَكات عن المسير، فجنحت الناس إلى دواب نقلية فلم يتيسر لهم ذلك لأن الجمال والخيل والبغال قد وقع فيها ذلك موت عظيم والباقي لا قدرة له على الحمل من قلة العَلَف وقلة العُشب. والى ذلك الوقت من بغداد أيضاً ما جُلب شيء، وفي هذا الاثناء أيضاً حصل مَوت عظيم في الأغنام بحيث لم يَسلَم منها الاّ القليل، واستمر الحال على هذا المنوال، و[مات][2] الناس من الجوع، وباعوا [كل ما][3] ما ملكوه حتى باع البعض أولاده.

وفي هذه الأثناء، ورد الأمر السلطاني بتنزيل المسكوكات، حتى أن البعض صار الغرش في نصف الغرش، فليتأمل الناظر في حال ما قاسته أهالي الموصل[4]. مثلاً من كان عنده غرض قيمته أربعمائة غرش وفي هذه الايام باعه في مايتين، وصاح الدلال على الدراهم ونَزَلَت، فصارت المايتين ماية فشرى وزنة حنطة، فمثل هذا الفقير صارت وزنة حنطته بأربعماية غرش فكيف حال هذه الأقوام ساعدهم الله وكشف عنهم هذا الامر الجسيم، ولهذا تفرقت الأهالي شذر مذر، وذهبوا إلى كل جهة، ودام الحال كذلك إلى أواخر شهر شباط من هذه السنة، فجاءت الأمطار العظيمة ونبت العشب، وقدمت الكلكات من أطراف ديار بكر محملة بالحنطة. وعملت اهل الموصل فُرنات[5] للخبز وباعوه على الناس، واستمروا على ذلك، إلا أن الغلاء باقي على حاله.

---

(1) الاصح قوله: فمنع الوالي ذلك

(2) في الاصل: موتت

(3) في الاصل: كلما

(4) في العبارة ركة ظاهرة، وهو يشير الى تخفيض سعر صرف القرش في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، نتيجة لخفض نسبة الفضة فيه.

(5) فِرنات، يريد أفران، جمع فرن.

وفي هذه الاثناء قدمت الجمّالة بالتمر والأرز من بغداد وباعوه بأغلى ما يكون حيث أن فرحان باشا شيخ شمّر[1] يأخذ من كل قافلة مرّت به النصف، فامتنعت التجار عن الجلب ولولا ذلك لباعوه رخيصاً .



سوق قديم في الموصل



صف من الدكاكين في الموصل قديما

---

(1) هو فرحان باشا بن صفوق، شيخ مشايخ شمر الجربة في العراق، ارسل، اثر اغتيال ابيه: الى استانبول حيث درس هناك، وعندما عاد بعد سنوات تسلم مشيخة شمر ومنح لقب (باشا) واتخذ من قلعة قرب قضاء الشرقاط، على دجلة، مستقراً له. وفي عهده انقسمت شمر الجربة الى قسمين، أحدهما تبعه، والآخر تبع أخاه عبد الكريم الذي كان اميل الى المحافظة على تقاليد القبيلة البدوية، وكانت وفاته ببغداد سنة 1905 ودفن في مقبرة الشيخ معروف.

مخطوطة كلدانية في المكتبة القادرية!

ليس غريبا أن تجد مخطوطة كتبها كاهن أو راهب في مكتبة ملحقة بإحدى الكنائس أو الأديرة، فهذا ما يتوقعه كل أحد، لكن الغريب حقاً أن تجد مخطوطة تضم عدة كتب ألفها أو وضعها آباء للكنيسة في مكتبة للمخطوطات الإسلامية ملحقة بمسجد أو زاوية مثلاً. هنا علينا أن نتساءل: كيف وصلت هذه المخطوطة، ولماذا وصلت، ومن هو المستفيد منها في هذا المكان؟ ولنقترب من الموضوع أكثر، فالمكتبة القادرية الملحقة بجامع السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد واحدة من أهم المكتبات الإسلامية ليس في بغداد وحدها، وإنما في العراق كله، لما ضمته من كتب متنوعة في مختلف حقول المعرفة الإسلامية، وأهم ما تحويه هذه المكتبة خزانة نادرة إحتوت على مجموعة كبيرة من أكثر المخطوطات قيمة وأهمية، وهي بالطبع تبحث في العلوم الإسلامية أيضاً، آلت إليها من مصادر شتى، فبعضها أهدي إليها مباشرة، وبعضها الآخر آل إليها من خزائن كتب موقوفة، أعيد وقفها على المكتبة بعد إندثار تلك الخزائن، ومنها ما تولى القائمون على المكتبة نَسخَه من أقطار العالم الإسلامي، خصيصاً لها في عهود متعاقبة. وقد كان لي شرف إعداد فهرس وصفي شامل لمخطوطات المكتبة في سبعينات القرن الماضي، صدر في خمسة مجلدات كبيرة في السنوات 1974- 1980.

ولقد لفَتَ نظري في أثناء إعداد هذا الفهرس وجود مجموعة خطية كلدانية تضم أكثر من كتاب واحد، تتناول موضوعات مسيحية بحتة، فتفحَّصتُ المجموعة عسى أن أجد في ثناياها، أو في أولها، ما يشير إلى طريقة انتقالها إلى المكتبة شراءً أو إهداءً أو نسخاً، فلم أجد شيئاً من ذلك، فسألت السيد أمين المكتبة والقائمين عليها عن ذلك، فلم يكن لديهم جواب على سؤالي ولا الزمن الذي وصلت فيه المخطوطة الى هذه المكتبة، فهذه المخطوطات ترقى إلى عهود بعيدة، وقد آلت من مصادر متنوعة للغاية، وحينما سُجلت في خمسينات القرن الماضي لم يكن ممكناً تسجيل مصدر كل مخطوطة منها لعدم تسجيله في حينه[1].

---

(1) عن تاريخ هذه المكتبة ومصادر مخطوطاتها يُنظر كتابنا الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج1، بغداد 1974، ص23- 30.

وعلى أية حال فقد قدَّرنا أن مسلماً قد وقع على هذه المخطوطة في مكان ما، ربما في الموصل أو في بغداد، فلم يجد مكاناً يحفظها فيه، من احتمالات النهب والتعدي عهد ذاك، غير هذه المكتبة، فأهداها إليها[1].

تحتوي المجموعة الخطية على ثلاثة كتب كُتبت جميعاً بخط النسخ، عدا العنوانات، فبخط الثلث، وصفحاتها مجدولة، أي مؤطرة، بمداد أسود كما جرت العادة في المخطوطات المهمة. ولحسن الحظ كتب ناسخها اسمه الصريح في آخرها، وهو بطرس بن أنطون بشارة، وقد فعل ذلك «لأجل الكاهن خوري أندراوس بن خوري يوسف هندي ببغداد» وفرغ منها في يوم الجمعة 3 أيلول سنة 1830م، على عهد البابا بيوس الثامن، والبطريرك مار يوحنان، فالإشارة هنا إلى ثلاث شخصيات متعاصرة، أولها الكاهن أندراوس، وهو ابن البطريرك يوسف الخامس هندي بطريرك آمد على الكلدان (تولى البطريركية من سنة 1804 إلى أن توفي سنة 1828)، وثانيهم البابا بيوس الثامن، واسمه كزافييه كاستيليوني، أسقف مونتانتو، فكردينال، وقد تقلد الحَبرية عشرين شهراً، بين سنة 1829 وسنة 1830، وثالثهم : مار يوحنان، وهو يوحنا هرمزد، بطريرك الكلدان من سنة 1830 إلى وفاته سنة 1837، وهو آخر من تولى البطريركية من أسرة (أبونا) الوراثية، وقد أصبح مقرها في عهده مدينة الموصل[2].

ومقياس المجموعة هو 30,5× 20,5 سم.

اما الكتب التي تتألف منها فهي:

1- مختارات من الأناجيل.

---

(1) ومما تحتفظ به هذه المكتبة مجموعة خطية مصورة أصلها في المكتبة الفاتيكانية في روما، أهداها السفير البابوي في بغداد إلى السيد يوسف الكيلاني، متولي الأوقاف القادرية، بتاريخ 23 آذار 1968، ومنه انتقلت إلى المكتبة القادرية، وهي اليوم محفوظة فيها تحت العدد 673، وتتضمن المجموعة رسالتين هما1- رسالة في خواص فاتحة الكتاب، تأليف الشيخ عبد القادر الكيلاني 2- مختصر في علم الدين، له أيضاً. والسفير المذكور هو المونسنيور بيران (1966- 1970) وكان أول سفير للفاتيكان في بغداد، حيث تم التمثيل الدبلوماسي بين الطرفين سنة 1966، وقبل هذا التاريخ كان يمثل الفاتيكان قاصد رسولي، وآخر من شغل هذا المنصب قبل تبادل السفراء، أرماند اسطيفان دوشيلا، رئيس أساقفة اللاتين في بغداد، وقد شغل القصادة الرسولية من 1948 إلى 1966.

(2) كتابنا : الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص339.

وهي مما يتلوه المسيحيون قي الكنائس، إختارها ورتبها على حسب أيام السنة مار يوسف [أوغسطين] الخامس [هندي]، بطريرك بابل على الكلدان (هكذا كان يلقب، مع أن مقر كرسيه البطريركي آنذاك في ديار بكر، وقد تولاه من سنة 1757 إلى 1781م)، ويشير الكتاب وحده إلى نزعة مبكرة لإتخاذ هذا اللقب التاريخي في وقت لم يكن للكلدان تلك الكثافة والثقل في بغداد[1]، ومن المعلوم أن انتقال البطريركية إلى بغداد جرى بعد قرنين كاملين (وبالتحديد سنة 1958).

وأول هذه المختارات «يوم عيد (خرم) من بشارة مار متي في ذلك الزمان خرج يسوع من الهيكل».

وآخرها «ومن حلف بالأسماء فهو يحلف بكرسي الله وبالجالس فوقه».

الأوراق 1- 59

2- كلندار

وهي لائحة بالفصول والشهور والأيام وأعياد السنة ومناسباتها بحسب طقس طايفة الكلدان (الكنيسة الكلدانية).

أولها « شهر كانون الأول، أيامه واحد وثلاثون يوماً، ساعات نهاره تسع ساعات، وساعات ليله خمس عشرة ساعة، اليوم الأول منه صوم الميلاد».

وآخرها «هو ذكر أن ماري أوكين الطوبايي ورفقت الإثنين والسبعين».

الأوراق 55- 57

29 سطراً

3- حساب معرفة السنين وعيد الفصح

وهي لائحة بأيام الأسبوع التي تكون أعياداً للفصح ومناسبات للصيام، وتشمل السنين من 1831 إلى 1851م. وبما أن هذه المدة تتجاوز تاريخ نسخ المخطوطة نفسها فمن الراجح أن الناسخ أضاف إليها بعد فراغه منها مناسبات العقدين التاليين.

---

(1) كان بطريرك ديار بكر يسعى إلى توحيد الكنيسة الكلدانية تحت رئاسته، إلا أن وفاته سنة 1828م حالت دون ذلك، وجرى تعيين يوحنا هرمزد مطراناً على الموصل، وفي 1830 أقرت روما يوحنا هرمزد بطريركاً عاماً وحيداً على الكنيسة الكلدانية برمتها. أوجين تسيران: خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمه عن الفرنسية سليمان الصائغ، الموصل 1939، ص132 ويوسف غنيمة: بطاركة الكلدان، مجلة النجم ج3 (1930) ص97.

أولها «آدم 7339 المسيح 1831 قاعدة القدس 38 بارامون الميلاد الاربعاء جمع الدنح 8»

وآخرها «الفصح 8 نيسان، صوم الرسل 35، عيدهم الجمعة»

الاوراق 57- 58

29 سطرا

والمجموعة المخطوطة بعد هذا، محفوظة في المكتبة تحت العدد 1418

السيد علوان السامرائي
رائد صناعة السلاح في السعودية
بحسب تقرير سري

ثمة رجال أغفل ذكرهم التاريخ، وسكت عنهم الرواة، فلم يعرف الناس عنهم شيئاً، وبات خبرهم نسياً مَنسياً، وإذا بوثيقة تظهر، أو نص يُنشر، تكشف فجأة عن أولئك الرجال المجهولين، ويوضح مدى تأثيرهم في حوادث عصرهم، وما قاموا به من مهم الأعمال.

والسيد علوان السامرائي أنموذج واضح على أولئك الرجال الذين نَسِيَهم التاريخ، وكان يمكن أن يكون حديثه مطوياً، لولا أن وقفنا على بعض جوانب حياته المفعمة بالحوادث في وثيقة مهمة بعث بها نائب القائم بأعمال المفوضية الملكية العراقية من جدة إلى وزارة الخارجية العراقية بتاريخ الثامن من آب سنة 1932. وعلى الرغم من قلة المعلومات التي أوردتها هذه الوثيقة، وسكوتها عن كثير من التفاصيل، فإننا نستطيع أن نتلمَّس، من خلال المعلومات المتاحة، أهمية الرجل، وجسامة الحوادث التي شارك فيها، والعلاقات التي وصلت بينه وبين الشخصيات البارزة في عصره. وعلى أية حال، فإن الوثيقة شجعتنا على المضي في تتبع أخبار الرجل، وتسقط المعلومات عنه، وتصحيح ما ورد في الوثيقة نفسها أحياناً، حتى تكاملت عندنا صورة ذلك العراقي النابه، فإذا به أحد رواد الصناعة العسكرية في الشرق العربي، إبان الثلث الأول من القرن الماضي.

وتصرح الوثيقة بأن اسم السيد علوان الكامل، هو علوان بن السيد بن السيد محمود بن الشيخ أمين السامرائي، والذي نعرفه أن جده الشيخ أمين كان أحد صلحاء عصره في سامراء، وهو ابن يوسف الحلبي الذي قدم إلى بغداد رِفقة والي حلب علي رضا باشا اللاز سنة 1831م، ويوسف هذا هو ابن نعمان بن عبد الرحمن بن عبدالوهاب بن محمد بن عثمان بن عبد الله الشريف، وكانت أسرته تعد إحدى أعرق أسر السادة الأشراف في حلب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد).

وبحسب معلوماتنا المستمدة مما تحتفظ به أسرته من وثائق في بغداد، فإنه تزوج من ابنة عمه الحاجة خديجة بنت الحاج صالح الشيخ أمين، وأنه أنجب منها من

الذكور لطفي وعبد الجبار، والأخير هو والد الدكتور فائق السامرائي، ومن الإناث: فخرية ولطفية.

أقام السيد علوان في البصرة مدةً من الزمن قبل ذهابه إلى الحجاز، وكان عماه السيد أحمد، والسيد علي، ولدا الشيخ أمين، قد قاوما البريطانيين في أثناء احتلالهم العراق، فتم نفيهما إلى مدينة (كانه) في الهند، مما أدى إلى أن يصادر البريطانيون بعض أموال السيد أحمد في البصرة، كما صادروا أموال السيد علي في مدينة العمارة في جنوبي العراق.

وتفيد الوثيقة أن السيد علوان كان مقيماً في الحجاز خلال حكم الدولة العثمانية، وأنه حارب في صفوف قواتها في حربها على القوات السعودية الزاحفة على الحجاز، أما معلوماتنا فتشير إلى أنه حارب في صفوف قوات الشريف حسين بن علي ضد تقدم القوات المذكورة. وتنوه الوثيقة بأنه اتصف بالقوة وشدة المراس، وأنه عرف بفتكه بأعدائه والتنكيل بهم، ولا تشير الوثيقة إلى تفاصيل أخرى عنه في تلك المرحلة من حياة السيد علوان، والظاهر أنه استقر بعد ذلك في الحجاز، ولم يغادره حتى بعد دخول القوات السعودية إليه، إثر انهيار حكومة الهاشميين وانسحابها منه نهائياً. وأغلب الظن أنه حظي باحترام النظام الجديد، بسبب طبيعة ما كان يؤديه من عمل تحتاجه البلاد، فقد تخصص السيد علوان بإصلاح الأسلحة النارية، التالفة منها والمعطوبة.

ثم أنه أنشأ معملاً في مكة لهذا الغرض، وقد بلغ هذا المعمل حداً كبيراً من سعة الإنتاج، حتى وصل عدد قطع السلاح التي أصلحها لحساب الحكومة وحدها نحو 14000 قطعة. ومن الواضح أن إصلاح هذا العدد الكبير من الأسلحة، كان يقتضي التصنيع الناجح لأعداد ضخمة من أجزاء الأسلحة التالفة، بما يعنيه ذلك من أعمال صهر وصب في القوالب الخاصة بها، وهذا ما كان يضعه في طليعة الصناعيين العرب في تلك الحقبة، وربما كان العراقي الوحيد الذي أنشأ مصنعاً للسلاح في خارج وطنه في ذلك العهد.

وتغاضى الملك عبد العزيز آل سعود عن ماضي السيد علوان السامرائي المعادي للسعوديين، بل أنه قربه منه، وقد شهد الشيخ يوسف ياسين، أحد موظفي الخارجية السعودية في الثلاثينات، للقنصل العام العراقي بأنه كثيراً ما كان يرى الملك عبد

العزيز يمازح السيد علوان، ويذكره بما كان يقوم به في أثناء مشاركته في الحرب على السعوديين، بل أنه كان يكن له احتراماً خاصاً. وقد عد من وجهاء العراقيين في الحجاز، لاسيما بعد أن تزوج الشيخ علي العماري[1]، مدير شرطة جدة، من ابنته فخرية.

ويبدو أن أمراً ما أدى إلى تنقلب الأمور على السيد علوان، ففي أحد أيام شهر تموز من سنة 1932م، أوقفته شرطة جدة بحجة أنها عثرت على بعض البنادق في مخزنه، مع أن مهنة الرجل هي تصنيع السلاح وإصلاحه، وهو يتولى ذلك للحكومة علناً، وأن الأخيرة كانت مَدينة له بقيمة إصلاحه آلاف القطع من السلاح. ويرى نائب القائم بأعمال المفوضية، وهو مُعَد التقرير، أن سبب توقيفه هو مراجعته للمفوضية العراقية في جدة بين حين وآخر، وهذا الأمر «محرم بعرف الحكومة المحلية». والظاهر أنه كان متهماً بالتعاون مع سلطات المفوضية من حيث تزويدها بالمعلومات السياسية والعسكرية، وهي المعلومات التي كانت السلطات المحلية ترى انها ذات طابع سري يتوجب كتمانه.

ونقرأ في التقرير[2] المؤرخ في 8 مايس 1932 تفاصيل عن السيد علوان السامرائي وما تعرض له من السلطة آنذاك، حيث يشير الى «رجل سوري لم أتعرف به (الضمير لكاتب التقرير)يدعى خالد الحكيم[3]» أنه «**يشتري لحكومة الملك عبد العزيز السلاح من بولونيا، و السلاح قديم وعندما يصل الى مكة يقال (خرب**

---

(1) يذكر التقرير المؤرخ في 8 مايس 1932 المحفوظ في المركز الوطني للوثائق في بغداد، ملفات البلاط الملكي، الملفة 749، الوثيقة رقم 3،الى أن علي المذكور (ويسميه المعماري) كان معاوناً لقائمقام جدة، وأنه نسيب السيد علوان السامرائي، وأنه أنشأ له قصراً «خارج سور جدة بعدة آلاف من الجنيهات" وقد تملكته الحكومة وجعلته قصراً ملكيا باسم (القصر الاخضر) مما دعا بصاحبه الى المطالبة بتعويض قدره (11000) جنيه.

(2) المركز الوطني للوثائق في بغداد، الملفة 749، الوثيقة نفسها. وقد نشرنا نصوص هذه الوثائق في كتابنا: المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين، في تقارير القنصلية العراقية في جدة، دار دجلة، عمان 2005.

(3) هو خالد ين ياسين الحكيم، ولد في حمص سنة 1878، وتعلم بالاستانة، والتحق بثورة الشريف حسين، ثم بإبنه فيصل في سوريا، وبعد سقوط الحكومة العربية، التحق بالملك عبد العزيز آل سعود، وصار من أقرب مستشاريه، ثم توفي بدمشق سنة 1944. الزركلي: الاعلام، الطبعة15، 2002، ج2 ص300.

وتصدّى في الطريق) فيحضر السيد علوان السامرائي العراقي المتخصص باصلاح الأسلحة ويدعى لتعميرها، فيؤسس المعمل اللازم ويجلب الأدوات الضرورية وينفق لذلك مبالغ طائلة ويزود نجد بـ(12000) بندقية في العام الماضي، وعند الإنتهاء يحتلون المعمل باسم الحكومة ويقال له (إرسل الكشف ننظر به بعدين) وهكذا خرج هذا البائس صفر اليَدين بعد أن أنفق من ماله ما يساوي ثلاثة الاف جنيه»

واجه السيد علوان، نتيجة عمله هذا، إحدى ثلاث عقوبات، إما الإعدام، أو النَفي، أو الجَلد بالسَّوط، ولذا فقد بادرت المفوضية العراقية في جدة إلى التدخل في الأمر، ومفاتحة الشيخ يوسف ياسين بشأنه[1]، والسعي لإصدار جواز سفر عراقي له إظهاراً لعراقيته، للحيلولة دون مواجهته إحدى تلك العقوبات الفادحة.

ومن المؤسف أن تقارير المفوضية العراقية التالية خلت من الإشارة إلى حياة هذا العراقي، فلا نعلم مصيره بعد ذلك التاريخ، وعلى أية حال، فإننا نعلم، بناءً على معلومات أحفاده، أنه توفي في الحجاز، وأنه دُفن فيه، أما أولاده فقد عادوا إلى العراق، ولهم اليوم أحفاد يعيشون في بغداد وسامراء.

---

(1) من كبار موظفي حكومة الملك عبد العزيز، سوري، ولد في اللاذقية، ونال تعليماً رصيناً في مدارسها الدينة والرسمية، والتحق أولاً بالأمير عبدالله بن الحسين، ثم انضم إلى الملك عبد العزيزآل سعود، ونال ثقته، فتولى منصب رئيس الشعبة السياسية في ديوانه، ثم وكيلا لوزارة الخارجية، وأصدر جريدة (أم القرى) الرسمية، وتوفي في الدمام سنة 1962. الآعلام ج8 ص 252

في التصوف

مساهمة في التفسير السياسي للظاهرة الصوفية

مقدمة

هذه أفكار أرَدنا بها المساهمة في تفسير العلاقة المعقدة التي وَصَلت بين التصوف، كظاهرة روحية، وبين الواقع السياسي (وبضمنه الإجتماعي والإقتصادي) وذلك من خلال تتبع ثلاثة مَسارات، أولها المسار التاريخي، وثانيها المسار الفكري، وثالثهما: المسار الصوفي، بوصف هذه المسارات تمثل خطوطاً متوازية هي نتاج التفاعل بين الفكر والواقع، وبكلمة أخرى فإن هدف هذه الورقة هو توجيه نظرة جديدة إلى الفكر الصوفي تضعه بين غيره من العلوم التاريخية وليدة التفاعل بين الفكرة والواقع، وليس فكراً مجرداً تأملياً هائماً.

أولاً: نظرة في تطور الواقع السياسي للدولة الإسلامية

1- بدأ المجتمع حياته السياسية حراً

كانت المجتمعات الإسلامية في أول نشوء الدولة مجتمعات حرة، تعترف للفرد منه بحقوق كثيرة، أهمها حرية تقرير السياسة ونقدها، والوقوف ضدها، وحرية التعلم، وحرية التفكير عموماً.. الخ، وكانت هذه الحرية من صفات المجتعات القَبَلية السابقة، الذي هو أقرب بطبيعة الحال إلى مجتمع الإنسان البدائي الأول، واعترافه بفرديه، بطابع من الفوضوية القديمة.

2- الحرية السياسية تؤدي إلى الثورة الدائمة على الواقع، ولا تعترف بأية قيمة مطلقة له

ولم يكن المجتمع يعترف لذلك بوجود أية سلطة مطلقة، ولا بأية قيمة مطلقة، ولم يكن يستطيع- بحكم حريته شبه التامة- أن يرى في الواقع أمراً مفروضاً، أو حقيقة مطلقة (يُضطر) إلى قبولها، فكان دائم الثورة على السلطة، وهذا ما يفسر الثورات العديدة التي قامت في القرن الأول للهجرة. لقد كانت نظرته إلى الواقع أنه أمر متغير، نِسبي، وأن الواقع لا يمكن أن يكون ثابتاً، ولهذا فإنه لا يمكن أن يطابق الحقيقة، ولا يمكن أن يكون هو نفسه حقيقة، ذلك أن الحقيقة- على نقيضه- مطلقة لا تتغير.

3- تطور الدولة وتعقدها التدريجي أدى إلى فقدان المجتمع حريته الأولى

أدى تطور الدولة وتنوع مهامها ونموها إلى زيادة إحكام هيمنتها على المجتمع، وذلك بسلبها حريته القديمة تدريجياً، لقاء ما تكفله له من نظام، واستقرار في الملكية،

وأمان عام. وبعد أن كان الدين وسيلة للثورة على الدولة في العصر الأموي، اتخذته الدولة، منذ أوائل العصر العباسي، وسيلة لتثبيت سلطانها، وركناً من أركانها، فصار من يخرج على الدولة يُعد خارجاً على الدين، وبعد أن كانت المساجد أماكن للإحتجاج على الدولة، أضحت دور إعلام تابعة لها. وفي القرن الثالث حاولت الدولة (متمثلة في خلافة المأمون) فرض عقائد معينة على المجتمع، وهي التي عرفت بفتنة خلق القرآن. وفي القرن الخامس والسادس ضمت الدولة– وهي ماضية في نموها وتعقدها– العلم إلى جملة وسائلها وأركانها، فأنشأت المدارس، وهيمنت على التدريس، وعلى مناهجه ومصادره (بعد أن كان حراً تماماً)، وهكذا كان المجتمع يفقد حريته السابقة (المتمثلة في نظرته النسبية المتغيرة إلى الواقع، التي تدفعه إلى تغييره) تدريجياً، ليحل محلها الولاء والإيمان بالدولة (المتمثل في نظرته المطلقة للواقع، بوصفه حقاً لا يمكن تغييره).

4- فقدان المجتمع حريته تدريجياً يقترن بتبريره لواقعه، مهما كان سيئاً، على اساس أنه ضرورة

وهكذا نجد أن الواقع السياسي الإسلامي كان يتغير – بتطور الدولة– من واقع متغير نسبي، إلى واقع ثابت مطلق، وتغيرت نظرة الناس إلى الحق على أساس أنه أمر يمكن التوصل إليه وتطبيقه في الواقع، طالما تمتع المجتمع بإرادة الاختيار، الحرية، تغيرت إلى أن اعتبار الحق هو الواقع نفسه، وأن المجتمع (مضطر) لقبول ذلك الواقع لأنه حق. ولسوف نرى كيف اعترف الفكر الإسلامي بهذه الضرورة، وكيف أن الفكر الصوفي وقف الموقف نفسه منها، وذلك في مرحلة معينه من مراحل تطورهما.

وعليه فإننا نخلص مما نقدم كله إلى أن تطور الواقع السياسي الإسلامي كان يمثل إنتقالاً تدريجياً من القيم المتغيرة، الحرة، النبية، إلى القيم المثابتة، غير الحرة (الضرورة)، المطلقة.

ثانياً: نظرة في تطور نظرية الحكم، أو الفكر السياسي

1- بدأ الفكر السياسي- كالواقع السياسي- حراً

كان الفكر السياسي في أول نشوء الدولة الإسلامية فكراً حراً بسيطاً، يرى كل فريق أنه من الممكن الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها عن طريق الثورة وتغيير الواقع، وذلك أن الأخير ليس إلاّ واقعاً نسبياً متغيراً بطبيعة زمانه ومكانه، وهذا يفسر كثرة

الأحزاب الثائرة، والجماعات السياسية، في أوائل عصر الدولة، حتى ضربت رقماً قياسياً في كثرتها، وتفرعاتها، وانشقاقاتها، وتعدد وجهات نظرها، وهو أمر طبيعي طالما آمن الإنسان بحرية إرادته، وأنه (مُخيَّر) في أن يرضخ للشر، أو أن ينتصر للحق، بمحض إرادته الحرة وحدها.

2- تطور الدولة الإسلامية اقترن بتطور نظرية عصمة الأمة

لما كان الواقع السياسي الإسلامي – كغيره- دائم الحركة والتغير (للأسباب المذكورة)، وكانت الدولة التي بدأت بالاستقرار والنمو تحتاج إلى واقع ثابت، مستقر، تقوم عليه، وإلى قيم ثابتة مطلقة، تدعم وجودها، ولم يكن في السوابق الإسلامية الأولى ما يمكن أن يكون حقيقة مطلقة (منذ أن نفت الخلافة عن نفسها المعرفة اللاهوتية)، فقد بدأت في التطور تلك الفكرة القديمة القائلة بأن للأمة الحق في تغيير واقعها، إلى نظرية متكاملة مفادها أن الحق يمكن أن يكون دائماً مع الأمة، وطالما كانت الأمة موجودة فعلاً في الواقع، فإن الحق إذن هو الواقع نفسه. وبمعنى آخر، فقد تحولت النظرة المتغيرة، النسبيّة، للواقع، إلى نظرة إليه بوصفه واقعاً ثابتاً و(حقيقياً)، وهو حق لأنه حدث بإرادة العقل الكلي للأمة (بجميع عقول أفرادها، أي بإجماعها).

وهكذا تكاملت لدينا نظرية (عصمة إجماع الأمة). ولما كان اجماع الأمة عملياً غير ممكن، فقد كان الإجماع (بمفهومه النظري الواسع) يمثل رضا الأمة عموماً، وهذا الرضا هو من إرادة الله الحتمية، لأنها تمثل حقاً مطلقاً.

بدأت النظرية السياسية الإسلامية تفقد تدريجياً قوة التقرير وتغيير الواقع، إلى أن تصبح مُبرِّرة له، ومُكرِّسة، ومضى الفقهاء يفسرون كل السوابق السياسية الماضية على أساس أنها تمت بإرادة الأمة وبرضاها، التي هي من إرادة الله المطلقة، وإنما لذلك تمثل (ضرورة حتمية) لا مفر منها، ولا اعتراض عليها إذ (لا اعتراض على حكم الله)، وأمسى ذلك المبنى الجليل من النظم السياسية تسويغاً (بَعدياً) للوقائع التاريخية السابقة التي أقرها الإجماع.

3- النظرية السياسية الإسلامية تعترف تدريجياً بالضرورة الحتمية

أمست النظرية السياسية الإسلامية مجرد مبررة لواقع الحكم، واعتراف بضرورته الحتمية، وهذا ما نراه جلياً في فكر الماوَردي السياسي، حين اضطر إلى

إكساء كثير من الحوادث السياسية (حتى التي تخالف الدين) بصبغة دينية مطلقة ثابتة، ولكنه لمّا أعيَته الحيَل في تبرير إمارة الاستيلاء، وهي تنازل الخلافة عن سلطاتها للأمراء الذين حازوا سلطتهم بالقوة (لأن مخالفتها للخلافة الدينية جليّة) نجده يُقر صراحة بحكم الضرورة الحتمية إذ يقول (إن الضرورة تُسقط ما أعوزَ من شروط المُكنة) منتهياً إلى أن الخوف من الإضرار بالمصالح العامة (السياسية) يُسَوِّغ التخفف من الشروط الدينية، وبمعنى آخر فإنه اعترف بأن للضرورة (من الحق) ما يُسَوِّغ مخالفة القواعد الشرعية.

وهكذا كان تطور الفكر السياسي الإسلامي لأن يكون فكر تبرير (مطلق) لا فكر تقرير، وتغيير (نسبي)، واعترافه لذلك بالضرورة، وبأحقيتها، بوصفها من إرادة الأمة المستمدّة من إرادة الله، وبإلغائه التدريجي لإرادة الاختيار الحرة، فكان ذلك كله ما أوقعه في تناقض كبير فيما بعد.

4- سقوط الحكم الإسلامي يُحدِث فجوة في التفكير السياسي

كان للجمود الذي تملك واقع الحكم الإسلامي (وما تضمنه من واقع اجتماعي واقتصادي)، وإيمان الناس بأن واقعهم السيئ ما هو إلاّ حقيقة ثابتة مطلقة، أي أنه إرادة إلهية لا يمكن تغييرها، الدور الأساس في شيخوخة الحكم، وبطء تحركه لمعالجة الأوضاع المادية السيئة، فلما سقط الحكم الإسلامي في المشرق على يد المغول وأعقابهم، وسقط في المغرب على يد القوى الأوربية، وقعت النظرية السياسية في تناقض كبير، فإن الفقهاء الذين كانوا يبررون كل سابقة تاريخية على أساس أنها ضرورة، وهي لذلك من إرادة الله فلا مجال للإعتراض عليها، واجهوا – عند سقوط الحكم الإسلامي على يد غير المسلمين- التناقض الآتي:

كيف يمكن التوفيق بين سقوط حكم الإسلام، وبين أن يكون ذلك السقوط من إرادة الله؟ وكان الجواب أسرع مما يُتَوقع، حيث برّر الفقهاء تخلي الله عن حكم المسلمين بأنه عقاب لهم، وأن مجيء المغول مثلاً لم يكن إلاّ من إرادة الله، وهو لذلك لم يكن إلاّ حقاً، وقد تم برضا الأمة نفسها، التي ترضى بحكم الله (والنصوص التي ترد في أثناء أخبار سقوط بغداد حافلة ومؤيدة لهذى المعنى). وهكذا تطورت النظرية السياسية إلى أن وصلت إلى نقطة فلسفية خطيرة، وهي أن الخير حق والشر (كسقوط الخلافة مثلاً ومآسي الاحتلال) هو أيضاً حق، وكلاهما يمثلان ضرورة

أرادها الله، وإذن فلا فرق بين الخير والشر على المستوى السياسي، وإنه مهما يكن في الواقع من شرور وسيئات، فهو حق، لا مجال لتغييره أو تبديله، أو حتى الاعتراض عليه.

لنقف عند هذه النتيجة الخطيرة، وهي تبرير النظرية السياسية الإسلامية للشر بأنه ضرورة حتمية، وأنه حق مطلق، مثله مثل الخير تماماً، لنتتبعها في الفكر الصوفي.

ثالثاً: نظرة في تطور الفكر الصوفي

يصعب التمييز عند البحث في نشأة التصوف، بينه وبين نشأة الزهد (وقد أدى هذا التشابه في النشأة إلى إرجاع بعض الباحثين، كزكي مبارك، التصوف إلى عهود سابقة)، وإن هذا الاتحاد في البداية يدلنا بوضوح على أن التصوف نشأ كردٍّ فعل عنيف على الواقع السيئ، ولهذا فقد كان التصوف في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي يمثل حركة مناوئة للواقع السياسي للمجتمع والدولة، إذ احتقر ذلك الواقع بصراحة، ونادى بأن الحقيقة ليست في ذلك الواقع لأن الحقيقة مطلقة (كل شيئ خلا الله باطل)، بينما ذلك الواقع نسبي، يتغير، ويزول، وأن الدولة لا تمثل الحق، وإنما يستطيع الإنسان الوصول غليه والاتحاد معه بنفسه عن طريق وقوفه ضد الواقع، وتجرده من نوازعه ومغرياته، لذلك فقد كان الفكر الصوفي في عهده الأول- عهد الجُنيد ومعروف والسَقطي والحلاج وغيرهم- يمثل ثورة الإنسان على الواقع الذي يؤمن بحرية إرادته في تغييره، ولذلك وقف النظام السياسي ضد التصوف واضطهد بعض المتصوفة بقسوة بالغة.

وهكذا نجد أن التصوف وقف نفس الموقف الثائر الذي وقفه من قبل الفكر السياسي، في تقريره للواقع، وإيمانه بحرية الإرادة في تغييره.

5- التصوف يسير في نفس مسار الفكر السياسي من قبل فيعترف بالضرورة

وكلما بررت النظرية السياسية الواقع، وعدته ضرورة لا محيص عنها، كان التصوف يأخذ في تطوره نفس المجرى، فمنذ القرن الخامس للهجرة هدأت ثورة الصوفية، وأخذ موقفها من الواقع السيئ يتحول من رد الفعل إلى قبوله وتبريره، فخفتت أصوات من قال بأن الحقيقة المطلقة ليست في الواقع المتغير، وأنه يمكن تغيير الواقع للصول إلى تلك الحقيقة المنشودة، ولم نعد نسمع تلك الأصوات التي دعت إلى

نبذ الواقع باعتباره شرا لابد من محاربته بالإرادة الحرة للإنسان، وبدأت تحل محلها أصوات تدعو إلى أن الإنسان مُسَيَّر في إرادة عامة، وهو مضطر لقبولها، وأن ما يحدث في الواقع ليس إلاّ نتيجة لتلك الإرادة، ولذلك فإن الحقيقة تكمن في الواقع ذاته، وفيما أحدثته الأمة عليه من مؤسسات (وبالطبع فإن الدولة أبرزها وأهمها)، وهكذا بدأ الصوفية — هم أيضاً- يضفون الحق على الواقع السياسي ويبررونه بإخلاص مُتناه، حتى إذا ما جاءت نهاية القرن السادس للهجرة، كان التصوف قد غدا من أركان حكمِ الخلفاء، لا سيما الخليفة الناصر لدين الله العباسي، الذي أراد شد مفاصل الدولة به.

إن هذا التكريس الصوفي للواقع هو الذي دفع بصوفية متأخرين إلى إعلان مقاومتهم لمن يريد تغيير النظام السياسي، كما فعل الشعراني مثلاً، بل صار «حفظ النظام ومراعاة المصلحة العامة.. وتحريم الخروج على الإمام» قاعدة من قواعد التصوف المهمة (أحمد زروق: قواعد التصوف).

6- سقوط الحكم الإسلامي يحدث فجوة وتناقض في الفكر الصوفي هو أيضاً

ومثلما أحدث سقوط الحكم الإسلامي فجوة وتناقضاً في بناء النظرية السياسية الإسلامية، أحدث هذا السقوط هزة كبيرة في الفكر الصوفي أيضاً، ذلك أن تبرير الصوفية للواقع باعتباره حقاً، أدى إلى الوقوع في التناقض الآتي: ما دام الواقع السياسي المادي يمثل حقيقة مطلقة، وما دامت هذه الحقيقة هي إرادة الله، فكيف التوفيق بين سقوط هذا الواقع= الحق، وبين أن تكون تلك النهاية من صنع الله؟

ومثلما قدمت النظرية السياسية الجواب السريع على هذا السؤال المحرج، مجتازة ما يثيره من تناقض على ما سبق ذكره، خَطَت النظرية الصوفية الخطوة نفسها، فذهبت إلى أن سقوط الحكم الإسلامي، على ما نتج عنه من شرور، فإنه يمثل إرادة الله، وهو لذلك حق مطلق لا يمكن تغييره والإعتراض عليه. وكما أن الخير ضروري لهذا العالم، فإن الشر ضروري أيضاً، وأن هذه الضرورة حتمية، إذ هي تمثل حقاً مطلقاً، الذي هو الله تعالى، لأنه طالما كان الله نفسه حق، فإن كلاً من الخير والشر يمثل وجهاً من أوجه الله، أي أنهما الله ذاته. وهكذا تبلورت لدينا في هذا الاتجاه نظرية (وحدة الوجود) الذي حمل لواءها ابن عربي، فحين يقول ابن عربي «فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها» يعلم أن من هذه «الأشياء» (في الواقع) ما هو

شر، كما أن فيها ما هو خير، وحين يقول «وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلاّ الله، ونحن وإن كنا موجودين، فإنما كان وجودنا به» يعلم أن من بين هؤلاء «الموجودين» (في الواقع «من هم من الأشرار ومن هم من الأخيار، وهو حينما يتوصل إلى أن «حقيقة الموجودات واحدة»، يعني أنه لا فرق بين الموجودات الخيرة والموجودات الشريرة، فإنها جميعاً تمثل حقيقة مطلقة واحدة، هي الله تعالى.

وبهذا يبرر لنا الصوفي ابن عربي الشر بأنه ضرورة إلهية، وهو لذلك حق مطلق لا سبيل لدفعه، وهو بهذا أيضاً وصل بالنظرية الصوفية إلى المنعطف نفسه الذي وصلت إليها النظرية السياسية الإسلامية.

هذه هي الخطوة الخطيرة التي خطاها ابن عربي في تطوير نظرية (وحدة الوجود) الصوفية، إلاّ أن ابن عربي لم يستطع حل المُعضلة الأخيرة التي تبقّت نتيجة ذلك التناقض الذي أدى إليه تدهور الواقع السياسي الواضح، وهي: كيفية التوفيق بين نظرية وحدة الوجود التي أنضجتها الظروف التاريخية وصيرتها إلى ما صارت إليه، وبين الفكرة الإلهية القديمة، القائلة بوجود خير قائم بذاته، وشر قائم بذاته، وأن على الإنسان أن يختار بإرادته الحرة (التي سيُحاسَب عليها) بينهما لينال بعدئذ ثوابه إن اختار خيراً، وعقابه إن اختار شراً.

7- التطور الأخير في النظرية الصوفية جاء تبريراً آخر للواقع

كان الانحطاط السريع الذي دَبّ في جسم النظام السياسي الإسلامي في القرنين السابع والثامن للهجرة، يوجب تبريراً أقوى لأسباب ذلك الانحطاط، وكانت فكرة وجود الجنة والنار، كنتيجة لوجود الخير والشر، وما يوجبان من وجود إرادة اختيار حرة، تشكك دائماً في تبرير الشر على أنه يمثل إرادة إلهية ضرورية مطلقة، لهذا فقد ظهر في الميدان صوفي آخر طوّر ما تركه ابن عربي من الفكر الصوفي، متوصلاً إلى أنه كما لا يوجد فرق بين الخيروالشر، فإنه لا فرق أيضاً بين نعيم الجنة وعذاب النار، وكان ذلك الصوفي هو الشيخ عبد الكريم الجيلي (المتوفى سنة **832**هـ) الذي رفع أكبر مشكلة كانت تعترض القائلين بوحودة الوجود، أعني مشكلة العقاب والثواب، حين ذكر بأن جميع الناس مهتدون، في أحوال الطاعة وفي أحوال العصيان، وقرر بأن الله تعالى يسمى المُضل كما يسمى الهادي «فالطائع متحقق بصفة الهداية، والعاصي متحقق بصفة الضلال، وكلاهما أمام الحق سواء»، وما إرادتنا المخلوقة —

في رأيه- إلاّ «عين إرادة الحق سبحانه وتعالى»، وهي «عين الإرادة القديمة». ويحاول الجيلي جاهداً التوصل إلى أن النار لا تختلف بعذابها عن نعيم الجنة، فمما يقول «إن لأهل النار لذة فيها تشبه لذة المحاربة والمضاربة، وهم عارفون أنهم يتألمون بذلك، ولكن الربوبية الكامنة التي هي النفس تحملهم على خَوض ذلك، ثم أن لهم لذة أخرى تشبه لذة من به جَرَب فيَحُكَّه.. ولهم لذة أخرى تشبه لذة الجاهل المستغني برأيه ولو أخطأ .. الخ» (كتابه: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل).

والواقع أن الجيلي مضطر إلى أن يصل بالنظرية الصوفية إلى هذه النقطة، فهو في تفسيره لعذاب النار على هذا النحو، فأنه يُوفق بين كون الواقع السياسي (بكل ما فيه من شرور) حقاً مطلقاً، وبين فكرة الثواب والعقاب، ويرفع ما بينهما من تناقض أخير.

خاتمة:

تتضح لنا، مما تقدم، الصلة الوثيقة بين الفكر الصوفي من جهة، وبين الواقع السياسي والفكر السياسي من جهة أخرى، وأنه ليست هناك أية (تجربة روحية) منفصلة عن الواقع، بل أن التصوف كله كان تفاعلاً بين الفكر والواقع السياسي، كل منهما رسم طريق الثاني وحدد اتجاهه، وإن دراسة التصوف كمعرفة تأملية محضة دون دراسة واقعه التاريخي أمر غير مجد.

عبد الكريم الجيلي
حياته ورحلاته ومصطلحاته

هو الشيخ عبد الكريم الملقب بقطب الدين، وبعفيف الدين على ما جاء في صدر بعض رسائله، ابن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، أو الجيلاني. وقد صرَّح بأصله ونَسَبه حين قال في إشارة عارضة أوردها في كتابه (قاب قَوسَين) أنه: عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسباً، البغدادي أصلاً، الربيعي عَرَباً، الصوفي حَسَباً. وقال الحاج خليفة أنه ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني المتوفى ببغداد سنة 5611هـ/1165م[1]. ورغم ما توضحه هذه النصوص فإن في الأمر ما يستدعي المناقشة. وأول ما يثير التساؤل هنا أنه لقَّب نفسه بالكيلاني، على خلاف شهرته المعروفة بالجيلي، وثمة فرق بين النسبَتين، فالكيلاني، أو الجيلاني، هو المنسوب الى جيلان[2]. ومنها قدم الشيخ عبدَ القادر الكيلاني إلى بغداد، أما الجيلي، فمنسوب إلى بلدة الجيل من أعمال بغداد تحت المدائن، كان يسكنها أهل جيلان الوافدين على العراق[3]. وإشارة الجيلي إلى انه بغدادي أصلاً، ربما رجَّحت أن يكون من هذه البلدة، القريبة من بغداد، وأما أنه لقَّب نفسه بالكيلاني، فلأنه أراد نسبته الى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وليس الى تلك البلدة، وسبب هذا الترجيح أنه يمثل الجيل الثالث بعد جده الكيلاني، ومعنى هذا انه لم يكن حديث عهد ببغداد ليعيش في بلدة جيل المذكورة، وجَدُّه نفسه لم يعش بها وإنما اختار أن يقيم في محلة باب الأزج من محلات الجانب الشرقي منها، وفي هذه المحلة كانت مدرسة القاضي المُخرِّمي التي تحوَّلت الى مدرسة باسمه وفيها دُفن[4]،

(1) كشف الظنون، استانبول 1947، ص1525.

(2) جيلان اسم معرب من كيلان، وهي بلاد تقع على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، ينتمي أهلها إلى الكادوسيين من الشعوب التركية، وكلمة جيلان تعني (أرض الجبال)، وكانت قديماً تسمى الدَيلَم، ويسمى سكانها الدَيالمة. وكان العرب يسمون هذه البلاد مع محافظة مازندران بمنطقة طبرستان، فتح العرب المسلمون جيلان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وسكنت فيها جالية عربية كبيرة، وتذكر مصادر سيرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، أنه حسني الأب، حسيني الام. وجيلان اليوم محافظة في شمالي ايران، مركزها مدينة رشت.

(3) يراجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (جيل) و (جيلان) والسمعاني: الأنساب، مادة جيلي وجيلاني.

(4) كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص 140-154

وفيها أيضاً عاش أبناؤه، فالمعقول أن ذريته كانت تسكن هي أيضاً في هذه المحلة تحديداً. وقد كان دقيقاً حينما ذكر لفظ (نسباً) بعد هذا اللقب، ولفظ (أصلاً) بعد لقبه الآخر (البغدادي)، فبغداد هي مكان ولادته، ومحل نشأته، أما الكيلاني فهي نسبة الى جده فحسب. ومن المهم هنا أن نذكر أن نص الحاج خليفة على كونه ابن سبط الشيخ الكيلاني، ينبغي أن لايفهم- كما فهمه كل ما أورد هذا النص- بأنه حفيد مباشر لبنت الشيخ، وذلك لان تصريحه بأسماء خمسة آباء له، يدل على انه الحفيد الثامن للشيخ الكيلاني، من بنت له، لم تذكر المصادر اسمها[1]. وهذا ما يُعزِزه حساب الأجيال، إذ اتفق النسابون على أن الجيل من الناس ما تراوح بين ثلاثين سنة وأربعين، والمدة بين وفاة الشيخ الكيلاني وولادة عبد الكريم تبلغ نحو قرنين من الزمن، وهي مدة زمنية تتناسب مع عدد أولئك الآباء تماماً. أما قوله بأنه (ربيعي عرباً) فهو مصطلح غير واضح الدلالة لدى النسابين، لاسيما بعد تصريحه الأول بنسبه، ولا معنى له إلا بأن جدته، ابنة الشيخ الكيلاني، كانت زوجة لرجل من ربيعة، إحدى قبائل العرب المشهورة[2].

أما تاريخ مولده فمُحدَّد تماماً، وهو محرم من سنة 767هـ/1356م، وذلك أنه نوَّه به في قصيدته التي سماها (النادرات العَينية) حيث قال:

ففي أول الشهر المحرم حُرمة	ظهوري وبالسـعد العطار طالع
لستين من سبع على سبعمائة	من الهجرة الغرّا سَقَتني المراضع

ويقع هذا التاريخ في عهد تسلط المغول الجلائريين على مُقدَّرات العراق، وهذا العهد اتسم بالاضطراب الشامل[3]، وفقدان الاستقرار السياسي، واختلال الأحوال الأمنية، وتعرُض البلاد إلى غزوات خارجية، أخطرها وأشدها وبالاً غَزو تيمولنك في نهاية القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، فكان هذا الظرف، فضلاً عن تراث

(1) كان للشيخ عبد القادر الجيلاني بنات كثيرات، قيل إنهن بلغن 22، هذا عدا الذكور.

(2) ذهب بعضهم إلى انه (فارسي)، (د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، القاهرة 2003) ولم نملك أي دليل أو قرينة تؤيد ذلك المذهب، فالرجل بغدادي المولد، وهو ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، الحسني القرشي النسب، وقد صرح هو بنسبته إلى قبيلة ربيعة العربية، وإن كان قد تعلم الفارسية ففي رحلة له إلى المشرق وإقامة محدودة هناك.

(3) يقع هذا التاريخ في المدة التي اتخذ فيها الجلائريون تبريز عاصمة لهم، فانحدرت بذلك الاهمية السياسية والإدارية لبغداد، وكان يحكم بغداد في السنة التي شهدت ولادة الجيلي، أمير جلائري يدعى سلمان شاه خازن (766- 769هـ/1367-1367م). كتابنا: الاسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتاخرة، في بغداد 1992، ص34.

الأسرة الصوفي، من العوامل المهمة التي دفعت بعبد الكريم إلى الالتجاء إلى عالم التصوف، حيث وجد فيه ما كانت تصبو إليه نفسه من السمو الروحي عن اضطراب العالم المادي الذي كانت حوادثه، بل نوائبه، تموج من حوله.

مكابدات صوفية

وجد الجيلي في نفسه، منذ طفولته وصباه، نزوعاً ملحوظاً نحو التسامي عما حوله من أحوال الدنيا وشواغلها، فقال في قصيدته المذكورة:

ومُذ كُنتُ طفلاً فالمعاني تَطلُبُني وتأنَفُ نَفسي كلَّ ما هو واضع

ولا تُسعفنا المصادر بشيء عن طبيعة اهتماماته العلمية والثقافية في هذه المرحلة من حياته، فلا ندري ما إذا انتظم في إحدى مدارس بغداد الشهيرة لدراسة العلوم الشرعية، كما هي عادة النابهين من أترابه، كما لا نعرف أسماء من تتلمذ على أيديهم من العلماء، وما قرأه من كتب العلوم السائدة في عهده، كما أنه لم يحدثنا عن هذا في أي من كُتُبه، ولا يعني إهماله الحديث عن هذه الجوانب -على أهميتها- من حياته، أنه لم يتلقَّ العلم على نحو ما كان معروفاً في ذلك العهد، لأن المستوى اللغوي والأدبي والفكري والعلمي العالي، الذي بَدَت عليه مؤلفاته الكثيرة، يكشف عن دراسته الرصينة لعلوم العصر، والظاهر أن سكوته عن كل ذلك، كان لانصرافه الكامل إلى علم التصوف الذي شغف به عما سواه.

ولما كان لابد للمُريد من توجيه وإرشاد، فقد انخرط الجيلي في خدمة مشايخ الصوفية في عهده، وسلك طريقتهم، فشاهد ما شاء ان يشاهد من تجاربهم ورياضاتهم الروحية، وقد تأثر بها، وتأكد له أنها الطريق الوحيد للتوصل إلى الحقيقة في هذا العالم، أنظر إلى قوله في شرحه قصيدة صوفية «ولقد حَصَل لي -بحمد الله- من ذلك كله نصيبٌ وافر، وعاينتُ في أثناء الخدمة أحوال القوم (يعني الصوفية)، وجمعتُ بين الخبر والمشاهدة، فإني كنت مصدقاً بكل ما كنت أسمعه من أحوال القوم ولا أتطلبه، وإنما مقصودي محض العبودية، وكنت أسمع المشايخ في كتبهم يقولون: لابد للشيخ في الطريق، وهو وإن كان أعز من الكبريت الأحمر، لكن من صدَق في الطلب ظفره الله بالاجتماع به، فكنت عاضاً على هذه الوصية بالنواجذ، ملازماً للآداب المذكورة عن المشايخ في آناء الليل وأطراف النهار»[1].

(1) شرح قصيدة صوفية، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، غير مرقم الصفحات.

إلاّ أن خدمة المشايخ، والرغبة الصادقة في العبودية، لم تكن لترضي طموح الشاب عبد الكريم، وهو الذي كان يطمح إلى الوصول إلى لب الحقيقة وجوهرها، حيث «الفتح العظيم» على حد تعبيره.

رحلاته

وفي نهايات القرن الثامن للهجرة، سافر الجيلي إلى مكة حاجاً، وكان ما زال عهد ذاك شاباً يافعاً، وفي أثناء أدائه مناسكه، أو بعدها، التقى بالشيخ الصوفي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، المتوفى سنة 806هـ[1]، فأخذ عنه آداب الطريقة، وتلقى منه الاذكار الصوفية بوقت قصير لا يزيد على سبعة أيام «حَصَلَت له فيها الجَذَبة المطلوبة»، فكان لقاؤه بالجبرتي حاسماً في حياته الروحية المقبلة، فإننا نجده يَشد الرحال، بعده إلى زَبيد في اليمن، وهي موطن الشيخ الجبرتي، سنة 779هـ/1377م، حيث التحق به وبمريدين له هناك، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الرداد، قال واصفاً بعض مكابداته هناك «ولقد كنت غرقت في هذا البحر الغزير، وكاد يهلكني موجه في قعره الخطير، وأنا يومئذ في سماع في بيت أخينا الشيخ العارف شهاب الدين أحمد الرداد، وكان شيخنا أستاذ الدنيا القطب الكامل والمحقق الفاضل، ابو معروف شرف الدين إسماعيل بن ابراهيم الجبرتي حاضراً يومئذ في السماع[2]، فناديت بأعلى صوتي: اللهم أعوذ بك من العلم المُهلك، أدركني ياسيدي أدرك!، فكان يراعيني الشيخ في نفس السماع مراعاة من له على الأمر اطلاع، فنقلني ببركته إلى المعراج القويم الذي هو الصراط المستقيم»[3].

طوّف الجيلي في بلاد عدة، آخذاً من كبار الصوفية فيها، حيث وجدناه يقصد بلاد الهند، فيكون فيها سنة 790هـ/1387م، ويظهر أن ارتحاله إلى الهند كان صُحبةً لشيخه إسماعيل الجبرتي الذي نُفي إليها عهد ذاك بسبب اختلافات فكرية[4]. وقد

---

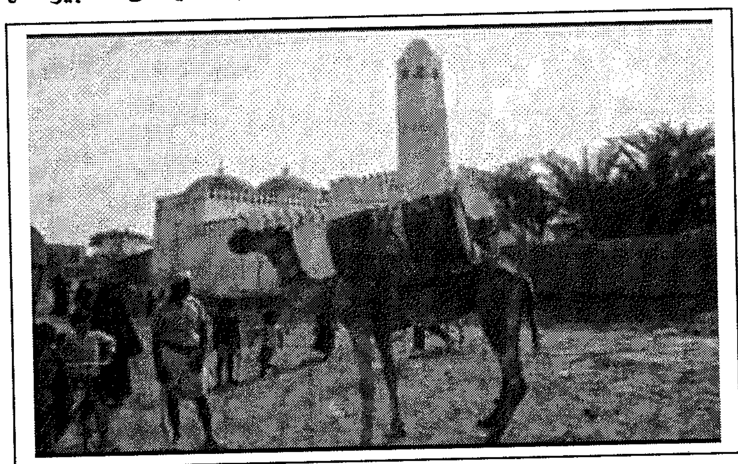
(1) هو اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي العقيلي الجبرتي ثم الزبيدي الشافعي، فقيه مقرئ محدث، اشتغل بالعلوم ثم تصوف ونسبت إليه كرامات، وله مدرسة تنسب اليه في زبيد جددت عمارتها سنة 909هـ. ابن الديبع الشيباني الزبيدي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت 1983.

(2) في الأصل: السماء.

(3) الإنسان الكامل ج3 ص39

(4) السخاوي: الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ج2 ص283.

أشار هو الى تعرضه إلى تجربة غريبة في بلدة تسمى (كوشي) في تلك السنة. ثم أنه ارتحل إلى بخارى، حيث التقى هناك سنة 791هـ/1388م بالشيخ الخواجة بهاء الدين محمد بن محمد الشاه نقشبند الأويسي البخاري (المتوفى في السنة المذكورة)، أحد كبار صوفية عصره، والذي نسبت إليه الطريقة التقشبندية فيما بعد، فتعلم منه فوائد، وأفاد من تجاربه، وجرت له «امور بعد ذلك وأحوال لايمكن التعبير عنها».



مسجد الجبرتي في زبيد

وزار بلاد فارس، وتعلم اللغة الفارسية هناك، بدلالة أنه كتب بها رسالة صغيرة سماها (جنة المعارف وغاية المُريد والعارف)[1]، وقيل أنه تعلم الهندية أيضاً في اثناء إقامته في الهند، وألف بها، ولم نتيقن من صحة هذه الأقوال، فهو غادر بغداد شاباً، وإقاماته في تلك البلاد كانت قصيرة، ربما أقصر من أن يتقن خلالها لغتين، فضلاً غن أن يؤلف بهما، وواضح ان عنوان الكتاب المذكور هو بالعربية لا بالفارسية. كما قيل أنه احاط بالتراث اليوناني[2]، ولم نجد في كتبه جميعاً ما يفهم منه ذلك[3].

ولم تمض إلاّ سنوات، حتى عاد الشيخ الجيلي إلى زبيد في اليمن، حيث أقام ثانية عند شيخه شرف الدين إسماعيل الشيخ الجبرتي، وكانت زبيد قد تحولت بسبب هذا الشيخ إلى مركز صوفي فريد، يقصده المتصوفة من البلدان البعيدة، وصار

---

(1) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، القاهرة 1988، ص14.

(2) www.chrib.net مقال بتوقيع (الكوثري)

(3) الإشارة الوحيدة في هذا الصدد إشادته في (الإنسان الكامل) بأفلاطون، ودفاعه عنه، وقوله: «رأيت له مكانة لم أرها إلاّ لآحد من الأولياء».

مسجد الشيخ الجبرتي مدرسة صوفية قائمة بذاتها، يقصدها المريدون، ويعقدون في جبانته (مقبرته) مجالس السماع[1]، وهم يتحلّقون حوله، ويتدارسون الفكر الصوفي كما انتهى على يد أكابر شيوخه، وأهمهم الشيخ محيي الدين ابن العربي، وقد بلغ من رواج أفكار الأخير أن كتبه كانت تباع وتشترى بالأسواق[2]، فلم يكن غريباً أن عرف الجيلي بـ(محيي الدين الثاني)[3].

وقد نوه الجيلي بعدد من المتصوفة الذين التقى بهم في زبيد، منهم «الأخ العارف الرباني.. عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي، سبط الردّاد، والشيخ العارف جمال الدين الملقب بالمجنون، والشيخ حسن أبي السرور، والاخ الفقيه أحمد الجبائي» الذي كان يحضر معه مجالس السماع في مسجد الجبرتي، والفقيه أحمد الحبابيي[4]، وكلهم كان متأثراً بمدرسة ابن عربي الفكرية، إلاّ أن أحداً منهم لم يبلغ شهرة الجيلي، ولم تكن له مثل تآليفه الكثيرة. وأشار إلى لقائه بالصوفي أبو الغيث ابن جميل، وأنه أعجب به إعجاباً شديداً، ونقل خبر هذا اللقاء من ترجم له من المحدثين[5]، مع ان ابن جميل توفي سنة 651هـ/1253م، أي قبل أن يولد الجيلي بأكثر من قرن كامل.

بلغ الجيلي شأواً بعيداً في عالم التصوف، فتعمّق فيه، وخبر لُجَّته، وكانت له فيه مكابدات جمة، ومجاهدات كثيرة، معتزلاً الدنيا، مستغرقاً في نشوة (الفناء)، نافذاً – بحسب اصطلاحه– من التعدد الى التفرُد، ومن الكثرة إلى التوحُد. قال واصفاً إحدى تلك الحالات «غيبَّني واردُ الوقت عن الأكوان، وأخرجني بالكلية عن عالم الحَدثان، فأشهدني صفاتي، وأوجَدَني ذاتي، ثم نقلني مِني إليَّ في أطوار كثيرة هي لي عندي وَلَدي، فلما قَمتُ على صراطي المستقيم، وحفظت شروط ذلك العهد القديم، وضعتُ أحد القدمين في حضرة العَين، والآخر في عالم الأين (يعني انه عرف حقائق الاشياء كلها دون تحدد بزمان او مكان)، ففتح لي الأفق الأعلى ذلك الباب، فولجتُ في عالمي، وعقدت حوَّاي بآدمي»[6]. وقد استغرقت تلك المكابدات المدة بين سنتي

(1) الكهف والرقيم، تحقيق عاصم الكيالي، ص27.

(2) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي ص29.

(3) هكذا كتب على رخامة قديمة كانت قد ثبتت على قبره في بغداد.

(4) الكهف والرقيم ص27.

(5) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي ص 29.

(6) سبب الاسباب والكنز لمن ايقن واستجاب، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد.

792هـ/1393م و803هـ/1400م، عدا زمن ارتحل خلاله إلى مكة سنة 799هـ/1396م. وقد أشار إلى أنه اجتمع ببعض أهل مكة في آخر تلك السنة حيث تذاكر معهم في (الاسم الأعظم)، وساق كلاماً من حوار جرى في الموضوع[1].

وتبرز لنا أهمية هذه المدة من حياته، من غنى تجاربه الروحية فيها، ومما تناثر أحياناً في كتبه من إشارات إلى تلك التجارب، فها هو يقول «أقمت فيه بزبيد شهر ربيع الأول من سنة ثمانمائة (1397م) من الهجرة النبوية، فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأولياء والملائكة العاملين والمقربين وملائكة التسخير، ورأيت روحانيات الموجودات جميعاً، وكشفتُ عن حقائق الأمور على ما هي عليه في الأزل إلى الابد، وتحققت بعلوم إلهية لايسع الكون أن نذكرها فيه»[2].

ولأسباب لا نعلمها، غادر الجيلي زبيد الى القاهرة سنة 803هـ/1400م، حيث أقام هناك مدة سنة أو شهوراً منها، فقد جاء في الورقة الاخيرة من كتاب له سماه (آداب السياسة بالعدل)، وهو بخطه، أنه فرغ من إملائه وتسويده «لساعتين بقيتا من نهار الأربعا سلخ رجب.. أحد شهور سنة ثلاث وثمانمائة .. بخط مؤلفه.. عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم الجيلاني الصوفي – لطف الله تعالى به- بالقاهرة المحروسة»[3]. والغريب أن ساعة الفراغ من هذا الكتاب، هي نفسها التي أتم فيها تأليف كتاب آخر له اذ جاء في آخر مخطوطته (غُنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الإستماع) أنه «فرغ من كتبها وتسويدها لساعتين بقيتا من نهار الأربعاء سلخ رجب سنة 803هـ بالقاهرة المحروسة»[4]. ولا نظن أن الجيلي أخطأ بتكرار التاريخ مرتين، كل مرة في آخر مخطوطة له، وإنما أراد شيئاً له تعلق بعالم الأرواح.

ولم تمض إلاّ مدة قليلة، حتى وجدنا الجيلي قد غادر القاهرة عائداً إلى زبيد، ففي كتاب له عنوانه (الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية) ذكر أنه «إبتدأ تأليفه في أول ربيع الأول سنة 803 وفرغ من كتابته صبح يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال سنة 805 بمحروسة زبيد»[5]، ثم أنه غادر زبيد الى صنعاء، لأمر لم يبينه، فكان فيها سنة 805هـ[1].

---

(1) الإنسان الكامل ج1 ص58.

(2) الانسان الكامل ج2 ص97.

(3) الزركلي: الاعلام ج4ص175.

(4) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية، القاهرة 1305هـ، ج2 ص127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

بيد أن مدة مكوثه في زبيد لم تطل هذه المرة، فقد توفي شيخه إسماعيل الجبرتي بعد عام واحد من ذلك التاريخ، وبذا عاد الجيلي إلى القاهرة ليستقر فيها ولو إلى حين. وفي الواقع فإن استقراره بمصر كان يمثل مرحلة جديدة من حياته، لها صفاتها ومميزاتها الخاصة، فهو هنا في أواخر العقد الرابع من عمره، قد خبر لجُة الحياة، ونال ما نال في الغوص في عالم الروح والحقيقة، واتصل –كما صرح علناً– بالحق، وعرف حقائق الموجودات وكانت له تجليات، لذلك فإن إقامته بمصر قد هيأت له الفرصة لتأمل ما مر به من تجارب، وتسجيلها في كتب، فشرع يؤلف كتبه بنَفَسٍ قوي، وقدرة بالغة على وصف ما شاهده من كشف ومعرفة، تدل على ذلك وفرة مؤلفاته التي صرح فيها أنه ألفها بالقاهرة، إضافة إلى وجود عدد من كتبه ورسائله التي بخطه محفوظة في مكتبات هذه المدينة.

ولا علم لنا بالمدة التي أقام فيها الجيلي في القاهرة، وما إذا كان قد عرَّج على بلدان أخرى زائراً لها، أو مقيماً فيها، مع أننا نلمح من خلال سطور كتابه (الإنسان الكامل) كثرة سياحاته ومشاهداته ورحلاته في مختلف الأماكن والبلدان. من ذلك ما وصف به بعض المدن والاجناس والبحار، كوصفه لـ(البحر الأخضر) حيث يذكر أنه «ليس فيه حوت، ومن يركبه يموت، رأيته وعلى ساحته مدينة مطمئنة أمينة .. ثم أني رأيت أهلها مشغوفين بركوب هذا البحر، ومتعلقين بحب هذا الأمر.. الخ»[2]. ومثله حديثه عن (البحر الأحمر)، إذ يقول فيه «رأيت على ساحل هذا البحر رجالاً مؤمنين ليس لهم عبادة إلاّ تقريب الخلق إلى الحق، قد جُبلوا على ذلك، فمَن عاشرهم أو صاحبهم عرَف الله بقدر معاشرتهم.. وليس في هذا البحر من السكان سوى دوابه والحيتان»[3].

كما أنه وصف ما سماه (البحر النتن) بقوله «صعب المسالك، قريب المهالك، هو طريق السالكين ومنهج السائرين، يَروم المرور كلُ أحدٍ عليه، ولا يصل إلاّ العُبّاد إليه، لونُه أشهب، وكونه أغيَب.. رائحة حيتانه كالبغال والجمال تحمل الكل وأعباء الأثقال إلى بلد الدر الأنفس.. وأكثر مراكب المسلمين تبتلعها قروش هذا البحر.. ورأيت سكان هذا البحر سليمي الاعتقاد، سالمين بحسن الظن من فتنِ الإنقياد»[4]. ومع أنه حمّل

---

(1) شرح مشكلات الفتوحات، نقلاً من الغنيمي، مقدمته لكتاب المناظر الإلهية ص13.

(2) الإنسان الكامل ج2 ص118.

(3) المصدر نفسه ج2 ص117.

(4) المصدر نفسه ج2ص114.

وصفه هذه الأماكن بُعداً روحياً، بل استخدمها إشارات لمعانٍ صوفية، فإن ذلك لا يجب ان يدفعنا إلى القول بأن الوصف كان محض خيال، لأن الرجل سافر فعلاً إلى أماكن عدة كما تشهد سيرته، وكثرة تردد ألفاظ مثل (البحر) و (ركوب البحر) و (البحر العميق) و (الغَور الأعمق) و (الأمواج المتلاطمة) و (سفينة من ألواح) و (المراكب كثيرة العطب) و (أهوال البحر) و (طيب رائحة البحر) و (الاستدلال بالكواكب في البحر) و (ومرسى المراكب) و (الغرق والإنكسار) وغيرها، تؤكد سلوكه البحر كثيراً في رحلاته، وألفاظ مثل (البغال) و (الجمال) و (الدرب) و (المفازة) و (الجبل) و (القفار) و (تيهات القفار) وغيرها تدل على سلوكه طرق البر أيضاً، وفي كلتا الحالتين فإنه كان جوّاباً كثير الأسفار.

وفاته ومدفنه

ثمة اختلاف شديد في تاريخ وفاته، فذهب الحاج خليفة إلى أنه توفي بعد سنة 805هـ، وحدد يوسف إليان سركيس وفاته بأنها حدثت سنة 805 نفسها، ولا نستبعد أنه نقل ذلك الحاج خليفة بحذف (بعد) أو سقوطها، بينما ذكر إسماعيل باشا البغدادي[1]، وتابعه في ذلك المستشرق الانكليزي ر.نيكلسون[2]، أنه توفي سنة 820، وحدد يوسف زيدان وفاته في سنة 826هـ ومثله ما جاء في الموسوعة الصوفية[3]، بينما حدد كل من ماسنيون[4]، وبروكلمان[5]، والزركلي[6]، وكحالة[7] وآخرون وفاته بسنة 832هـ، ولم يذكر أحد من هؤلاء سبباً واحداً لاختيار ما أورده من تاريخ.

وثمة رواية للحسين بن الأهدل اليمني (المتوفى سنة 855هـ)، في مخطوطته (كشف الغِطا) أشار فيها إلى أنه التقى بمن سماه (عبد الكريم الجيلاني العجمي)، في بلدة (أبيات حسين) في اليمن، وأنه توفي في هذه البلدة، وفيها دفن في تربة الشيخ

---

(1) هدية العارفين في أسماء المؤلفين ج1 ص728.

(2) دائرة المعارف الاسلامية ج5ص67.

(3) د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية ص141.

(4) ماسنيون: الإنسان الكامل وأصالته النشورية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ضمن كتابه (الإنسان الكامل) ص111.

(5) Brock.,II.P.284

(6) الأعلام ج4 ص175.

(7) معجم المؤلفين ج5 ص313.

إبراهيم الجيلي[1]، وإذ وقف الدكتور نجاح الغنيمي على هذه الرواية، فإنه قطع بأن عبد الكريم العجمي هذا هو نفسه الشيخ عبد الكريم الجيلي البغدادي، وعليه فإنه حدد تاريخ وفاته بأنها حدثت ما بين سنة 805 وسنة 829، اعتماداً على المدة التي استغرقها هذا المؤرخ في كتابة مخطوطته المذكورة، ونحن نرى أن هذا الراي لايستند إلى ما يدعمه، لانه لم يثبت أن الجيلي العجمي اليمني الذي ترجم له، هو نفسه الجيلي البغدادي، وهو ما سنناقشه بعد قليل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الغنيمي ذكر بأن آخر تاريخ أثبته الجيلي في مؤلفاته هو سنة 805هـ، وهو هنا يقصد كتابه (حقيقة الحقائق)، مع أن هذا التاريخ لم يكن الأخير، لأننا وجدنا في آخر كتابه (حقيقة اليقين وزلفة التمكين) أنه فرغ من تأليفه سنة 815هـ،، فهل أنه هو نفسه الجيلي البغدادي الشهير، أم أنه ثمة خلط بين الشخصيتين؟ لنناقش الأمر إذاً:

لم يذكر ابن الأهدل أسم أبي عبد الكريم الجيلاني العجمي، وأشار إلى أنه توفي في (أبيات حسين) في تربة (ابراهيم الجيلي)، وسياق الرواية لايفهم منه مطلقاً أن يكون إبراهيم الجيلي هو أبا عبد الكريم، لأنه لو كان الأمر كذلك لقال أنه دفن في تربة أبيه، فواضح أنه غيره، وبذا فإننا نستنتج وجود عدد من الجيلانيين في زبيد. وقد حاول د.الغنيمي جاهداً أن يجد صلة بُنوَّة بين الرجلين فلم يستطع، وانتهى إلى القول أن الأمر يدعو الى الحيرة، وأنه «يشككنا في صلته بإبراهيم بحيث يمكن أن يكونا شخصين غريبين عن بعضهما تماماً»[2]. ولكنه مع ذلك الخلط بين الجيليين عبد الكريم اليمني، والبغدادي، بوصفهما واحداً، عين تاريخ الوفاة المذكور.

وقف الغنيمي على ترجمة لإبراهيم الجيلي، دفين (أبيات حسين) الذي افترض أنه أب لعبد الكريم، في كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي اليمني، تشير إلى أنه بدأ حياته (مفلوتاً) أي جندياً بسيطاً في جيش السلطان الرسولي في اليمن، قبل أن يتزهد ويتصوف، هذا مع أن عبد الكريم الجيلي المؤلف كان بغدادياً، ولد في بغداد، وأسرته منها، كما تقدم بنا، وأبوه كان من ذرية السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولم يكن دفين أبيات حسين كذلك. ومما يلفت النظر أن الدكتور الغنيمي، وهو الذي أفرغ جُهده في دراسة تراث الجيلي، قد أكد بغداديته ونسبته إلى ربيعة، مستنداً إلى تصريح

---

(1) د. نجاح محمود الغنيمي، مقدمته لكتاب المناظر الإلهية للجيلي، القاهرة 1987، ص14.

(2) مقدمة كتاب المناظر الإلهية.

الجيلي نفسه، ثم عاد فناقض ما أكده بقوله « كل الدلائل تشير إلى ان الجيلي ولد ونشأ وتوفي في اليمن»[1]. نعم! لقد قضى في اليمن سنوات من حياته، ولكن ذلك لا يقدح في أنه كان وافداً اليها لا من أهلها. وهنا لابد أن نلاحظ أن ابن الأهدل أطلق على عبد الكريم الجيلي اليمني، لقب (العجمي)[2]، مع أن سميّه البغدادي كان عربيا، من قبيلة ربيعة، كما مر بنا هذا أيضاً.

إن الخلط بين الشخصيتين، أو الدمج بينهما، ضيع فرصة الافادة من الشاهد التذكاري المهم الموجود على قبر عبد الكريم الجيلي في بغداد، في مسألة تعيين تاريخ وفاته. وكان الغنيمي قد ذكر بأن المستشرق الفرنسي ماسنيون قد نوه بوجود قبر لعبد الكريم الجيلي في بغداد، ولم يُقدّم تفسيراً لهذا الامر، ورآى يوسف زيدان ان القبر مجرد (مقام) له «فعادةً ما نجد لمشاهير الصوفية أكثر من مقام يعتقد الناس مع مرور الزمن انه مدفون فيه»[3]. وواضح أن كلا الباحثين لم يطلعا على هذا القبر ولو إطلعا عليه لما تجاوزا أهميته على نحو ما فعلا.

وقبره هذا موجود الارض المرقمة 197 الكائنة في الزقاق الجنوبي المسمى (طَرَف حجّي فتحي) المتفرع من شارع سيد سلطان علي بشرقي بغداد[4]، وكان حوله حتى اوائل القرن الماضي مسجد عامر، وصفه السيد محمود شكري الآلوسي بقوله: «هذا مسجد من مساجد بغداد القديمة العهد، قريب من مسجد السيد سلطان علي، فيه مصلى واسع، وعليه قبة، وساحة المسجد فسيحة، وفيه حجر وبيوت، وفي وسطه جُنينة فيها نخيل واشجار، يجد الداخل فيه انشراحاً وارتياحاً، وعبد الكريم الجيلي هذا من اكابر الصوفية، له مؤلفات كثيرة في علم التصوف، ومرقده في هذا المسجد يزار، وفيه إمام ومؤذن وخادم، وإدارة الأوقاف السلطانية هي القائمة بأمره»[5]. ومثل ذلك ما كتبه السيد محمد سعيد الراوي الغدادي اذ قال: «هذا من المساجد القديمة، منسوب الى عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، أحد أئمة الصوفية وأكابرهم، وكان على

(1) المصدر نفسه.

(2) كشف الغطاء عن حقائق التوحيد، الورقة 184 نقلاً من مقدمة كتاب المناظر الإلهية ص15.

(3) عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ص25.

(4) ورقمه بحسب الترقيم الجديد 16 زقاق 63 محلة 104.

(5) مساجد دار السلام بغداد، مخطوط، وقد اختصر الشيخ محمد بهجة الاثري هذا النص في تهذيبه لمساجد بغداد المذكور، بغداد 1341، ص 79.

مذهب ابن العربي، وهو صاحب كتاب الإنسان الكامل في معرفة الاواخر والأوائل. وله مؤلفات غير هذا الكتاب في التصوف، منها كتاب (الكمالات) وكتاب (الناموس الاعظم) وغير ذلك»[1] . كما اشار اليه عبادة في كتابه (العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع) الذي ألفه في اوائل القرن العشرين[2].

وقد نُقض هذا المسجد القديم في خمسينيات القرن العشرين، لاسباب فنية تتعلق بتداعي مبناه، ولم يبق منه اليوم غير القبر الذي يقع داخل قبة حديثة البناء، ارتفاعها نحو متر ونصف المتر، وعرضها نحو نصف متر، عليها لوحة قديمة من الرخام، تأكلت بعض كلماتها وحروفها، فيها اربعة اسطر بخط النسخ، تشير الى اسم صاحبه وتاريخ وفاته، نحتت بشكل بارز جميل[3]. ونص هذه السطور:

﴿هذا مرقد الشريف العالم العارف (الـ) رباني والغوث الصمداني الجامع للمعاني الملقب من الله بمحيي الدين الثاني السيد الأجل الشيخ عبد الكريم قُدِّس سره ونُوِّر ضريحه، وكان انتقاله في شهور سنة اثنتين و (كلمتان متآكلتان غير واضحتين) بعد الهجرة﴾.

وقد نقل ماسنيون هذا النص في أوائل القرن الماضي.

وبما ان لفظ (اثنتين) يقع في مرتبة الاحاد من تاريخ وفاته، تأكد لنا ان التاريخ لاينطبق الا على العدد 832، فهو اذن تاريخ وفاته، ويكون قد عاش خمساً وستون سنة.

وهناك قطعة قديمة أخرى من الرخام أيضاً، داخل القبة، تكسرت أطرافها، وتآكلت بعض ألفاظها، وكانت مدفونة في التراب الذي يعلو حفرة الرفاة، فاخرجناها عند زيارتنا للمكان في صيف سنة 1966، وأزَحنا ما عليها من أتربة، وها نحن نثبت منها ما استطعنا قراءته:

(..........الشيخ............ الرباني الغوث عبد الكريم الصمداني............ فقرائه واصحابه محمد الفاني سنة..............)

---

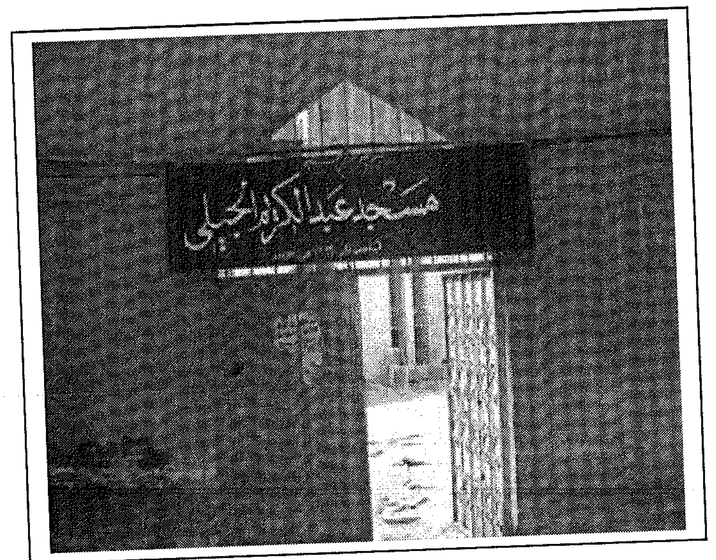
(1) خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا ديوان الوقف السني، بغداد 2006، ص187-189.

(2) العقد اللامع، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص405.

(3) ولا وجود لهذه الكتابة اليوم.

ولا ندري من هو محمد هذا، وما هي صلته بالدفين الجيلي، والراجح ان يكون احد «فقرائه وأصحابه»، قام بتعمير القبر، وربما المسجد، في زمان تالٍ غير محدد، بسبب تآكل تاريخه.

فالنصان مؤرخان صريحان يشيران الى أنهما كتبا ليكونا على قبر، وهما من ثم ليسا مما يوضع في (المقامات) التذكارية عادة، وقِدَم الشاهدين البالغ، يدل على أنها وضعا في زمن متقدم، ربما كان قريباً من زمن دفن من كُتبت لأجله. ومن المؤسف أن هذه الكتابة الاثرية التي نقلنا نصها في الستينات من القرن الماضي أزيلت منذ زمن ولم يبق لها أثر اليوم.



مسجد عبد الكريم الجيلي المجدد حيث قبره

مؤلفاته

صنف الجيلي عدداً كبيراً من الكتب جميعها في التصوف، وقد ضمنها أفكاره التي تدور جميعا في نطاق نظرية (وحدة الوجود)، حيث اتخذ من هذه النظرية منطلقاً لفهم كل النصوص التي وردت في القرآن الكريم، وفي الحديث القدسي، والحديث النبوي، وفي عبارات الصوفية المتقدمين، بل كانت المفتاح الذي بواسطته سَبَرَ (حقائق الأشياء) كما يقول، وخرج باكتشافات سنعرض لها بعد قليل، ولذا فإن أسلوبه في الكتابة جاء متوافقاً مع هذه الفكرة، فلا تكاد تميز بين وحدة العبارة ووحدة الفصل ووحدة الكتاب كله، فالكلام يأتي متدفقاً بقوة، لا مسافات بين كل

فقرة وأخرى، وفصل وآخر. ونظريته في وحدة الوجود تبقى مسيطرة على كل صفحات الكتاب حتى آخر كلمة فيه، وهي تزداد وضوحاً في كل عبارة، وتكاد تتجلى من وراء كل لفظ.

فمن مؤلفاته:

1- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، وهو من أجل كتبه المعروفة وأشهرها، وسنتحدث عنه فيما يأتي.

2- الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم. أو: الكهف والرقيم الكاشف عن أسرار بسم الله الرحمن الرحيم. أوله «الحمد لله الكامن في كنه ذاته..» وقال عنه «ألفته إجابة لسؤال أخ عارف رباني، ذي الفهم الثاقب، عماد الدين يحيى بن ابي القاسم التونسي المغربي سبط الحسين بن علي»[1]. منه نُسخ خطيّة في دار الكتب المصرية تحت الاعداد 208 /2676، و 67/56 74 و 23803 ب[2]، وفي مكتبة جامعة الملك فيصل بعدد 136 وثم نسخ اخرى في برايل بهولندا ودمشق وكمبردج والقاهرة وتونس نوه بها بروكلمان[3]، وقد طبع في حيدر آباد الدكن سنة 1312 هـ، وفي القاهرة سنة 1326هـ وفي مكتبة بن أيده من مكتبات ولاته، برقم 5ب/ و[4]، وحققه د.عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية سنة 2008.

3- مراتب الوجود وبيان حقيقة إبتداء كل موجود، ويُسمّى كتاب (الأربعين). جمع فيه أصول تلك المراتب في أربعين مرتبة على حسب شهوده وعلمه، أولها مرتبة العماء المطلق وآخرها مرتبة الإنسان الكامل. وأوله «الحمد لله الذي اعطى مراتب الوجود حقها على التمام والكمال[5] فظهر فيها بما علمه لها من الحسن والجمال والثبوت والزوال والميل والإعتدال». وهو شبيه بالانسان الكامل في معظم فصوله لكنه مختصر. وقد نظمه الشيخ غرس الدين محمد الأشعري الوفائي، ثم شرح هذه المنظومة بعضهم، وسماه (القِرى الروحي الممدود للأضياف الواردين من مراتب الوجود). من الكتاب نسختان في مكتبة الأوقاف ببغداد، الأولى بعدد 12244 والثانية

---

(1) كشف الظنون ص1525.

(2) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية ج2 ص108 و 115 و 119.

(3) Brock., S,II,284

(4) أحمد ولد محمد يحيى: فهرس مخطوطات نعمة وولاته، لندن 2003، ص236.

(5) في كشف الظنون ان اوله: حمداً من الحامد للحامد.

بعدد 7071 [1]. وتوجد منه أربع نسخ في دار الكتب المصرية، الأولى ضمن مجموعة بعدد 202/ 2447، والثانية بعدد 303/ 6442، والثالثة بعدد 180/[2] 2670، وثم نسخ في الموصل[3]، وفي الفاتيكان وحيدر آباد وشهيد علي ورضا ورامبور وسباط، نوه بوجودها بروكلمان. وطبعت مكتبة الجندي بمصر هذا الكتاب، وحققه د.عاصم الكيالي، ونشره ملحقاً بكتاب (الكهف والرقيم) المتقدم.

4- مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب. أشار اليه الجيلي في (الإنسان الكامل) عند حديثه عن موسى ويوشع بن نون.

5- الخِضَم الزاخر والكنز الفاخر، وهو تفسير صوفي للقرآن. ذكره البغدادي. والظاهر أنه ألفه بعد (الانسان الكامل) لأنه ذكر فيه ما نصه «وأرجو أن يُؤذَن لي أن أكتب للقرآن تفسيراً يكون فيه بيان ما أوضح الله فيه من الأسرار المستغربة عن العقول، فيحصل به تمام الوعد الإلهي في الصفات المحمدية. رتبه على أربعة ابواب، الباب الاول في معرفة أن محمداً (ص) هو النسبة بين الله وعبده، الثاني في معرفة ما لله من الأسماء والصفات، الثالث في معرفة اتصاف محمد بالصفات الإلهية، الرابع في معرفة ما في الإنسان من الأمور الكمالية». ابتدأ في تأليفه في أول ربيع الأول سنة 803 هـ، وفرغ من كتبه صبح يوم الإثنين 28من شوال سنة 805 بمحروسة زبيد[4]. منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة عددها 360/ 18454[5]، ونسخ أخرى في الرباط وبريل ودمشق والموصل نوه بها بروكلمان.

7- حقائق المناظر، وهو كتاب المناظر الإلهية، ويسمى أيضاً (كتاب الآفات). أوله «الحمد لله ذي المناظر العلية والمحاضر السنية». منه نسخة في دار الكتب المصرية، تاريخها سنة 988 هـ، وهي بعدد 23803 ب[6]. حققه د. نجاح محمود الغنيمي، دار المنار 1987.

---

(1) انظر وصف الاولى في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ج2، بغداد 1974، ص490، واما الثانية فلم تفهرس.

(2) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية ج2 ص45 و 115 و 125و 134.

(3) داود الجلبي : مخطوطات الموصل ص 123.

(4) فهرست الكتب العربية ج2 ص127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

(6) فؤاد سيد : فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، القسم الأول، مصر 1961، ص281.

8- النوادر (النادرات) العَينية في البوادر الغَيبية. وهي قصيدة عينية فقي 533 بيتاً[1]، أو 534 بيتاً[2]، تدور في نطاق نظرية (الإنسان الكامل)، وذكر قسماً منها في كتابه (الإنسان الكامل)[3]. وللقصيدة عنوان آخر في بعض المخطوطات، هو (الدرة أو الدرر) العينية في الشواهد (أو البوادر) الغيبية.

أولها :

فؤاد به شمسُ المحبةِ طالع   وليس لنجم العذل فيه مواقع

منها نسخة في مكتبة المتحف البريطاني[4]، ونسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 190/[5] 2658، ونسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية بدمشق بعدد 6169[6]، وفي الخزانة العامة في الرباط تحت العدد 1019، وفي الخزانة الصبحية بسلا تحت العدد 4/484، ونسختان في مؤسسة عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء تحت العددين 280 و 14/527. وثم نسخ أخرى نوه بها بروكلمان في خزائن لاييزك وكمبردج والمتحف البريطاني، وقد شرح القصيدة عدد من كبار الصوفية، منهم الشيخ عبد الغني النابلسي (المتوفى سنة 1143 هـ) بعنوان (المعارف الغيبية في العينية الجيلية)، ونسخة منه بخطه محفوظة في دار الكتب الظاهرية، تحت العدد 9118[7]. وتوجد نسخة أخرى من الشرح في مكتبة الغازي خسرو بك في سيراجيفو بعدد 747/3357[8]. ونالت القصيدة وشرحها شهرة في القرون التالية، حتى عُدَّت من النصوص المهمة في (العلوم الإلهية)، ومن أعز ما يمتلكه الصوفية من كتب[9]. قد نشرت القصيدة محققة ومرفقة بشرح النابلسي لها بعناية يوسف زيدان، دار الامين بالقاهرة 1998 و 1999.

---

(1) كشف الظنون ص740.

(2) عبد اللطيف الطيباوي: التصوف الإسلامي العربي، مصر 1928، 96.

(3) انظر مثلاً ج1 ص90.

(4) الطيباوي: المصدر السابق ص96.

(5) فهرست الكتب العربية ج2 ص111.

(6) عزة حسن: فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الشعر، دمشق 1964، ص341 و 377.

(7) المصدر نفسه ص 377.

(8) قاسم دوبراجا: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة خسرو بك في سراييفو، ج1 ص493.

(9) رحلة طه الكردي الباليساني: بتحقيقنا، أربيل 2007، 54.

9- حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق. ذكر أنه يتألف من ثلاثين جزءً، وطبع من هذه الاجزاء كتاب (النقطة) وهو أول الأجزاء الثلاثين. توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية بعدد 2260/192، تم نسخها سنة 1159هـ[1]، وأخرى في لايبزك بعدد .249

10- غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الإستماع. بحث فيه مسائل السماع لدى الصوفية وآدابه، ورتبه على مقدمة وثلاثة أبواب، وجعل المقدمة في الكلام على شيم أهل الطريقة، والباب الأول في مائة كلمة مما يتداوله الفصحاء، من نظم الشعر وفواصل النثر وشرحها، والباب الثاني في عدة قصائد شرح فيها كيفية السماع لأهل الاستماع، والباب الثالث في ذكر جمل من المقدمات وكيفية اختلافها في أرباب الدرجات. فرغ من كتابته وتسويده في نهار الاربعاء سلخ رجب سنة 803 هـ بالقاهرة.

توجد منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية بعدد 360/18454[2]، ونسخة أخرى في كتبخانة أسعد أفندي في استانبول ضمن مجموعة عددها 3672[3]، وتوجد نسخ أخرى أشار إليها بروكلمان في الرباط ورامبور.

11- سبب الأسباب والكنز لمن أيقن الحساب (واستجاب). أوله «حمداً لله لصفاته، وتوحيداً لذاته، فهو الواحد لا عن التوحيد، والمحمود قبل الحمد والتحميد». نسخة منه في مكتبة الاوقاف ببغداد تاريخها سنة 1262هـ ضمن مجموعة بعدد 6491[4]

12- آداب السياسة بالعدل. فرغ منه في رجب سنة 803 بالقاهرة. منه نسخة بخطه في دار الكتب المصرية بعدد 4300 أدب، وثمة نسخ أخرى في كمبردج ورامبور أشار إليها بروكلمان.

13- الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي (صلى الله عليه وسلم). أشار اليه في شرح مشكلات الفتوح المكية ص79 و 89 و 195 ويقع في أربعين جزء، لكل جزء موضوعه وعنوانه، وأكثر هذه الموضوعات في شرح أحاديث قدسية، وقد فُقِد أكثر أجزاء الكتاب، ومن الأجزاء المتبقية: الجزء التاسع وعنوانه (لوامع البرق

---

(1) فهرست الكتب العربية ج2 ص112.

(2) المصدر نفسه ج2 ص127.

(3) دفتر كتيخانة أسعد أفندي ص 545.

(4) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف ج2 ص420.

الموهن في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[1]. نسخة منه في كتبخانة أسعد أفندي باستانبول تحت العدد 1665. وقطعة من ضمن مخطوطة في موقع مخطوطات طوكيو أشير إليها في الموقع almudad.4umer.com والجزء العاشر، وعنوانه (قاب قوسَين وملتقى الناموسَين). ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 2447/202، وتاريخها سنة 1114هـ[2]. ويقرأ على الموقع islamic-sufism.com والجزء الحادي عشر، وعنوانه (كتاب النور المتمكن في معنى قوله: المؤمن مرآة المؤمن). منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن المجموعة آنفة الذكر، تاريخها سنة 1114هـ. والجزء الثاني عشر، وعنوانه (نسيم السَّحرلصفات خير البشر). نسخة منه في مكتبة جامعة الإسكندرية، في 44 ورقة، برقم 45 من مجموعة الأميرة فائزة[3].وتسخة منه في 7 أوراق، في حضرموت[4]. وقد طبعته مطبعة الجندي بمصر. وله كتاب كالشرح له، سماه (لسان القدر بكتاب نسمة السحر). منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 2676/308، تاريخها سنة 1135هـ[5]. حققه احمد فريد المزيدي، القاهرة 2000. ويمكن مشاهدته على موقع (حان الألحان).

14- شرح مشكلات الفتوح المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم الدينية. وهو شرح صوفي للأبواب العشرة من الكتاب 559 من كتاب الفتوحات لأبن عربي. قال في أوله: «أما بعد، فإنه لما كان العلم بالله تعالى، أعظم العلوم قدراً، وأرفعها فخراً، وأدقها معنى، وأجلها سراً.. وكانت الفتوحات المكية التي ألفها الولي الكبير والقطب الأعظم.. ابن عربي الحاتمي الطائي المغربي الأندلسي.. أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعاً..الخ». منه نسخة في مكتبة الاوقاف ببغداد تحت العدد 7074 تاريخها سنة 1129[6]، وفي المكتبة الازهرية بالقاهرة وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق بعدد 9118، وفي مكتبة بلدية الإسكندرية بعدد 6301 د/تصوف، وفي مكتبة جامعة الاسكندرية

(1) البغدادي: هدية العارفين ج1 ص610.

(2) دفتر كتبخانة أسعد أفندي ص98.

(3) يوسف زيدان: فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية، القاهرة 1994، ج2 ص385.

(4) المصدر نفسه ص23.

(5) فهرست الكتب العربية ج2 ص45

(6) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج2 ص434.

في 45 ورقة، في مكتبة جامعة الإسكندرية برقم 45 من مجموعة الأميرة فائزة[1]، وفي المعهد الأحمدي في طنطا بعدد ح22، ع732، حققه عثمان يحيى، ثم يوسف زيدان. ويقرأ على موقع دار الايمان Daralemam.Org .

15- حقيقة اليقين وزُلفة التمكين وعِمارة الدين. فرغ من تأليفه سنة 815هـ، منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة عددها 2676/208[2]. وفي مكتبة بلدية الإسكندرية بعدد 3893ح/ت، ونسخة في مكتبة الاوقاف في بغداد ضمن مجموعة تحت العدد 7071[3]. ونشر على الموقع almuada.4umer.com .

16- الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأسرار، شرح فيه رسالة (الأنوار) للشيخ محي الدين ابن عربي، وهي تبحث في كيفية السلوك الى الله تعالى والوقوف بين يديه. أوله «أحمدُ الله الذي نوَّر قلوب العارفين بنبراس معرفته»[4].

17- السَفر (الإسفار) القريب نتيجة السفر الغريب. شرح فيه كتاب (الإسفار عن نتائج الاسفار) للشيخ ابن عربي. أوله «الحمد لله الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، وجعله نسخة كاملة»، تحدث فيه عن سفر الإنسان عن طريق استحضار الطرائق من ظاهره إلى باطنه، ثم تفتح السموات السبع على الترتيب، بحسب الركوع والسجود بكل صلاة. منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت عدد 178، وفي مكتبة جامعة القاهرة تحت العدد 15699.

18- الكنز المكتوم والحاوي على سر التوحيد المجهول المعلوم. ذكره البغدادي[5].

19- كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات. وهو في شرح (التجليات الإلهية) للشيخ ابن عربي، وتناول فيه تجليات بعض اسماء الله وصفاته وافعاله. منه نسخة في رامبور نوه بها بروكلمان. وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة منه ذكر انها لمؤلف مجهول، وهي للجيلي، حققه محمد عبد الكريم النمري مع تعليقات إسماعيل بن سودكين، دار الكتب العلمية 2008.

---

(1) يوسف زيدان: فهرس مكتبة جامعة الإسكندرية ج2 ص68.

(2) فهرست الكتب العربية ج2 ص119.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج2 ص354.

(4) إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون ج1 ص79.

(5) هدية العارفين ج1 ص610.

20- الغايات معرفة معاني الآيات المتشابهات. ذكره البغدادي[1].

21- قطب العجائب وفلك الغرائب. وصفه الجيلي بما يفهم منه أنه جاء مكملاً موضحاً لمعاني كتاب (الإنسان الكامل)[2]. نوه به في كتابه (شرح مشكلات الفتوحات المكية) ص89 و 90.

22- شرح لطيف على منظومة في التصوف نظمها محمد بن عبدالدائم المعروف بابن بنت الميلق المتوفى سنة 797هـ مطلعها:

مَن ذاق طعم شراب القوم يدريه   ومَن دَراه غدا بالروح يشريه

منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 7074[3].

23- الحالي المكين. منه نسخ في خزانة ولي الدين في القاهرة، نوه بها بروكلمان.

24- المناظر الإلهية. يحتوى على 101 منظر، من المناظر النورانية التي شاهدها الجيلي في خلوته بربه، منه نسخ في حيدر آباد والقاهرة ودمشق، اشار عليها بروكلمان. وطبعته مكتبة الجندي بمصر سنة 1962، وحققه د.نجاح محمود الغنيمي، دار المنار 1987، و د.عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية في بيروت 2004.

25- منازل (منزل) المنازل في معنى التقربات بالفوائد النوافل. منه نسخة في الخزانة الاصفية في حيدر آباد الدكن بعدد 1902 اشار اليها بروكلمان ايضاً.

26- عيون الحقائق في كل مايحصل (تحصل) من علم الطرائق. منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس بالعدد 2595.

27- روضة الواعظين. منه نسخة في خزانة قليج علي باشا في استانبول بعدد 701.

28- شرح أسماء الخلوة. نوه به بروكلمان.

29- عقيدة الأكابر المقتبسة من الأحزاب والصلوات. منه نسخة في طرابلس نوه بها بروكلمان.

30- القصيدة الوحيدة. منها نسخة في حيدر آباد، أشار اليها بروكلمان أيضاً.

---

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) الإنسان الكامل ج1 ص17.

(3) اسعد طلس: الكشاف عن خزائن كتب الاوقاف ص228.

31- إنسان عين الجود ووجود عين الانسان الموجود. اشار اليه في شرحه للفتوحات ص 131 و 160

32- جنة المعارف و غاية المريد والعارف. رسالة أشار اليها في كتابه (الكمالات الإلهية).

33- كشف الستور عن مخدرات النور.

34- أمهات المعارف. نسخة في مكتبة الازهر تحت الرقم 964/تصوف.

35- رسائل السبحات. وهو الشرح الثالث الاخير الذي وضعه الجيلي على مؤلفات ابن عربي. نسخة منه في مكتبة لايبزك.

36- الوجود المطلق.

37- بحر الحدوث والحدث والقدم وموجود الوجود والعدم.

38- رسالة الأغرب من العجالة لمن نظر وتعجب وتجنَّب عن التعرض والتعصب في بيان ديباجة عنقاء مَغرب وشمس المغرب للشيخ الشهير بابن العربي - قدس الله سره الاغلب- مع قارورة قلبه والقالب. نوه به بركلمان 2/ 283 ومنه نسخة تاريخها 1299 هـ في مكتبة جامعة الاسكندرية تحت العدد 17من مجموعة الاميرة فائزة.

39- المملكة الربانية المودعة في النشأة الانسانية. أحال اليه في كتابه (مراتب الوجود).

40- قطب العجائب وفلك الغرائب. ذكره في كتبه (مراتب الوجود) و (حقيقة الحقائق) و (سر النور المتمكن)[1].

41- شرح وراء الكونَين . نوه به بروكلمان 2/ 283 ومنه نسخة كتبت سنة 1299 في مكتبة جامعة الاسكندرية في ست اوراق، ضمن مجموعة الاميرة فائزة، برقم 17.

42- الكمالات الإلهية والصفات المحمدية. منه نسخة في مكتبة خاصة في تريم بحضرموت[2].

كتابه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والآوائل)

كتاب في جزأين، منه نسخ خطية عديدة في مكتبات شتى، منها اربع في دار الكتب المصرية، الأولى تاريخها 1271 بعدد 2486/18، والثالثة تاريخها 1013 هـ

---

(1) الغنيمي، مقدمة لكتاب المناظر الإلهية ص 14.

(2) عبد الله الحبشي: فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت، المركز اليمني للأبحاث الثقافية 1975.

بعدد 6774/56، والرابعة تاريخها 1284 هـ بعدد 2670/202 (1). وتوجد منه عدة نسخ في خزائن كتب استانبول، منها نسخة في كتبخانة ايا صوفيا(2)، ونسخة في كتبخانة ولي الدين عددها 1634(3)، ونسخة في كتب خانة دركملي بابا بعدد 343(4)، ونسخة في كتبخانة قليج علي باشا بعدد 574(5)، واخرى في مكتبة اسعد أفندي بعدد 205 (6)، وثلاث نسخ في مكتبة نور عثمانية تحت الاعداد 2264 و 2276 و 2277(7)، وفي مكتبة الاوقاف ببغداد نسختان بالعددين 4814 و 4909(8)، وفي مكتبة الاوقاف بالموصل تحت العدد 7/1(9)، وفي مكتبات موصلية أخرى(10). وفي كتبخانة كجرات تحت العددين 560 و 561، ونوه بروكلمان بنسخ أخرى في خزائن شهيد علي وفيض الله وسليم باستانبول، وفي خزائن بريل في هولندا والوطنية بباريس والاصفية بالهند(11)، وثلاث نسخ في الخزانة الملكية في الرباط في المغرب تحت الأعداد 197، 633، 9948، وفي خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية في المغرب، تحت العدد 13/276(12) وفي خزانة المسجد الأعظم بوزان تحت العدد 498(13). وقد طبع الكتاب بمصر غير مرة دونما تحقيق، وأفضل طبعاته تلك التي تولتها مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بالقاهرة سنة 1956، فقد عهد بتصحيحها الى (لجنة التصحيح) في المطبعة المذكورة، وهي التي اعتمدناها في هذا البحث. وقد ترجم

---

(1) فهرست الكتب العربية ج2 ص67 و 111 و 115.

(2) دفتر كتبخانة ايا صوفية، استانبول 1304، ص99.

(3) دفتر كتبخانة ولي الدين، استانبول 1304، ص91.

(4) دفتر كتبخانة دوكملي، استانبول 1310، ص26.

(5) قليج علي باشا كتبخانة سي، استانبول 1311، ص40.

(6) دفتر كتبخانة اسعد أفندي، استانبول، ص79.

(7) نور عثمانية كتبخانة سنده، استانبول، ص128.

(8) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج2 ص315 و 316.

(9) سالم عبد الرزاق احمد: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة بالموصل، الموصل 1982، ج1 ص71.

(10) داود الجلبي : مخطوطات الموصل ص52 و 143.

(11) Brock.,s.,II,283

(12) حميد لحيمر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية، الرباط 2009، ج4 ص989

(13) بدر العمراني ومحمد سعيد الغازي: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المسجد الأغظم بوزان، الرباط ج1 ص528

المستشرق رينولد نيكلسون قسماً منه الى الانكليزية سنة 1921، ولخص فكرته الاساسية في مقالته (الإنسان الكامل) في دائرة المعارف الإسلامية.

يتألف الكتاب من ثلاثة وستين باباً، عدا المقدمة، أوله «الحمد لمن قام بحق حمده، فتجلى في كل كمال استحقه وأقتضاه، وحصر بنقطة حال جلاله حروف الجمال واستوفاه، سمع حمد نفسه بما اثنى عليه المعبود، فهو الحامد والحمد والمحمود حقيقة الوجود!». وكان الجيلي شديد الاعتزاز بهذا الكتاب، إذ يقول عنه: «هذا كتاب لم يأت بمثله الزمان، ولم يسمح بشكله الأوان، فافهمه وتأمله، فالسعيد ابن السعيد من قرأه وحصَّله..». ويروي قصة وضعه، ومعاناته في تأليفه، بقوله: «كنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح، وأيدت مسائله بالخبر الصحيح، وسميته بالانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ولكني بعد أن شرعت في التأليف، وأخذت في البيان والتعريف، خطر في الخاطر إن أترك هذا الأمر الخاطر، إجلالا لمسائل التحقيق، وإقلالاً لما أوتيت من التدقيق، فجمعت همَّتي على تفريقه، وشرعت في تشتيته وتمزيقه، حتى دثرته فاندثر، وفرَّقته شذر مذر.. فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وإلغازه، ووعدني بعموم الانتفاع، فقلت: طوعاً للأمر المطاع، وشرعت في تأليفه متكلاً على الحق.. »[1].

وإذ كنا قد أطلعنا- إطلاعاً مباشراً- على معظم مؤلفات الجيلي المحفوظة في القاهرة وبغداد والاسكندرية، فضلاً عما طبع منها، وما نشر منها على الأنترنيت، فإننا نستطيع القول بأن كتاب (الإنسان الكامل) يمثل واسطة عقدها بلا جدال، فقد حوي بين دفتيه جميع أفكار الجيلي التي توزعت في سائر مؤلفاته الاخرى، بحيث يصعب القول أنه ترك فكرة أو رأياً في كتاب ولم يدرجه، على نحو ما، في إنسانه الكامل هذا، بل يمكن القول انه قصد، في كتابه المذكور، أن يقدم لقارئه خلاصة مكثفة لكل تجاربه الفكرية والروحية منذ أن سلك طريق التصوف. وإشاراته الى بعض مؤلفاته الاخرى تدل على أنه لم يكتب الكتاب إلا بعد أن كانت له تجارب مهمة ومتنوعة في عالم التأليف أيضاً.

ولقد ذكرنا أن الجيلي تأثر تأثراً عميقاً بشيخه اسماعيل الجبرتي، ولما كان هذا «داعية لمقالة ابن عربي»[2]، فقد تأثر الجبرتي بآراء ابن عربي (توفي سنة 638هـ)، بل

---

(1) الانسان الكامل ج1 ص4.

(2) السخاوي: الضوء اللامع ج2 ص282.

وعلى الرغم من كثرة هذه المصطلحات فإن الجيلي لا ينسى أحدا منها، فهو يستخدمها مقترنة بدلالاتها في مواضعها مرة بعد مرة، ولا يقتصر هذا على كتاب واحد وإنما في سائر كتبه على كثرتها، مما يبعث على الظن، بأنه كان يسجل المصطلحات المتعددة في ورقة، ليلجأ إليها كلما اقتضى الأمر ذلك، أو أنه كان يتمتع بذاكرة قوية تعينه في التوصل إلى الغاية نفسها.

على أنه في أحيان أخرى يخرج عن هذه القاعدة، فيأتي للمصطلح الواحد بدلالات تختلف عما أورده في المرة، أو المرات السابقة، كل بحسب السياق الذي يستخدمها فيه، وهي ظاهرة لا ينفرد بها وحده وإنما يمكن تتبعها لدى متصوفة آخرين أيضاً، وتعد من الظواهر الملازمة للنص الصوفي بخلاف نصوص العلوم الأخرى، التي يعبر فيها المصطلح عن دلالة واحدة غالباً. ولا يمكن أن نفسر هذا الأمر بضعف في دراية المؤلف الصوفي أو في ذاكرته، وإنما في طبيعة المعرفة الصوفية نفسها، التي تقوم على تنوع التجارب الذاتية كما أشرنا من قبل، فهو يضطر غالباً إلى اضفاء دلالات جديدة على المصطلح بحسب تنوع هذه التجربة وغناها وتعدد مراحلها، وهكذا فلا يمكن فهم الاختلافات، وإن كانت جزئية، في هذه الدلالات إلا بفهم سياق النص كله، بل بفهم معمق لموضوعه[1]. وفي هذا يرى أحد الباحثين أن «العمل الصوفي في النهاية هو عمل فني مفعم بالرموز والإيحاءات والتلويحات التي لا تنكشف إلا بضرب من التذوق والاستشفاف»[2].

ويبدو أن كثرة ابتكار، أو استعمال، المصطلحات لدى الجيلي، أدت به إلى ضعف العلاقة بين لفظه ودلالته، أو إلى انقطاعه عنه أحياناً، مثال ذلك اصطلاحه على الحياة بأنها (إمام الأئمة)، وعلى الكرسي بـ(العقل الكلي)، وأن (الوَتَدية) المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف، وأن (الإرزاق) تجل فيضي على قدر حكمي، مع أنه لا علاقة لفظية بين الرزق وبين هذا المعنى، وأن (الأئمة) الصفات النفسية، ولا صلة بين اللفظ ومعناه، وهكذا.

ويصرح الجيلي أنه يتعذر عليه الكلام دون استخدام الاصطلاح، فيقول «لابد لنا التنزل في الكلام على قدر العبارة المصطلحة عند الصوفية»[3]، لكنه يميز الجيلي بين

---

(1) ينظر الكاشاني: الاصطلاحات الصوفية، ص11 من المقدمة ورفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، بيروت 1999، المقدمة.

(2) يوسف زيدان:عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص54.

(3) الإنسان الكامل ص11.

ما ابتكره من مصطلح، وبين ما استخدمه من مصطلحات لمتصوفة سابقين، فيقول عن الأخيرة أنها «المعبر عنها»، أو «التي عبر عنها القوم» أو «عبرت عنها الطائفة»، و«يسميه المحققون». وعلى أية حال فإن قدرة الجيلي على ابتكار المصطلح وعلى استخدامه أيضاً تبدو جلية بالقياس إلى قدرات غيره من المؤلفين، فمصطلح (الأحدية) مثلا، عند الكاشاني هو «اعتبارها مع إسقاط الجميع»[1]، بينما هو عند الجيلي «درجة إلى الحق تضمحِل فيها العلوم وتُنحَّى فيها الرسوم»، ومصطلح الإحسان عند الكاشاني هو «يتحقق بالعبودية على مشاهدة الحضرة الربوبية بنور البصيرة»[2] بينما هو عند الجيلي «اتحاد البصر والبصيرة»، فانظر إلى الفرق في الوضوح وجودة التعبير.

ومن غير اليسير استخراج مصطلحات الجيلي من مؤلفاته كلها، فهذه المؤلفات كثيرة قد تتجاوز الأربعين، وبعضها مفقود، ولذلك فإننا عمدنا إلى جملة من مؤلفاته المهمة، التي تميزت بتنوع موضوعاتها، لاسيما كتابه الشهير (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل)، وقد اعتمده هو فأحال عليه في كتبه الأخرى، فاستخرجناها من هذه المؤلفات، وهي:

الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. طبعة محمد علي صبيح، القاهرة، 1345هـ، رمزنا إليه بالحرف (أ)

نسيم السحر، تحقيق بدوي طه علام، رمزنا إليه بالحرفين (نس)

مراتب الوجود وحقيقة كل موجود. تحقيق بدوي طه علام، رمزنا إليه بالحرفين (مر)

قاب قوسين وملتقى الناموسين، رمزنا إليه بالحرفين (قا)

حقيقة اليقين وزلفة التمكين، مخطوط في مكتبة جامعة الإسكندرية، رمزنا إليه بالحرف (ح)

المناظر الإلهية ومخاطر إجمال العلوم اللدنية، رمزنا إليه بالحرف (م)

لوامع البرق الموهن في معنى ما زسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، رمزنا إليه بالحرف (ل)

---

(1) الاصطلاحات الصوفية ص59.

(2) المصدر نفسه ص52.

كتاب النقطة الموسوم حقيقة الحقائق، رمزنا إليه بالحرف (ن)

الكمالات الالهية رمزنا إليه بالحرفين (كم)

ورتبنا ما استخرجناه من مصطلح بحسب حروف الهجاء، فاستوى معجماً جديداً في هذا المجال الدقيق من مجالات المعرفة الصوفية، يمكن أن يكون عوناً للباحثين في فهم النص الصوفي وفي تحقيقه أيضاً، والله تعالى من وراء القصد.

- أ -

- الإبهام: تجلٍّ إلهي يُشهدك الحق تعالى فيه أسراره المودعة في مخلوقاته ويطلعك على تداخل الأسماء والصفات (إ).
- اتباع الحق: أن تنسب إليه ما يستحقه من الكمالات وتنزهه عما لا يليق بكبريائه (م)
- أثر الخلافة: نفوذ الأمر بالتعرف في الأكوان (أ)
- إثنينية الباء: بروز الحق لنفسه في ترتيب ذاته الخلقي (ق)
- الإجابة: موافقة الإرادة الإلهية لسؤال العبد سواء تقدم حصوله أو تأخر (كم)
- الإجلال : أن يتعرف الحق للعبد بما ليس يعرفه من العظمة والعزة فيجله ويجهد أن يقدره حق قدرته فيعجز ثم يؤيده فيقدره حق قدرته (ل)
- الإجمال الكلي: أن يريك الحق تعالى كليات الأمور (م)
- الإجمال: إرجاع أفعال العبد إلى الحق تعالى، فينسبها إيه سبحانه بعين ما كان ينسبها إلى نفسه (أ).
- الإجمال: أن يجد العبد عقله عين العلم الإلهي وروحه عين الحياة الرحمانية السارية في الموجودات كلها ومخيلته عين إرادة الحق ومصورته عين القدرة الإلهية وبصيرته عين السمع الإلهي وحديث نفسه عين الكلام (ل)
- الأحدية: المرتبة الثالثة من مراتب الوجود، الأحدية: درجة إلى الحق تضمحل فيها العلوم وتتحى فيها الرسوم (ق)
- الإحسان: اتحاد البصر والبصيرة، فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمته الساطعة على الوجود (أ)

- الإحسان: أن يأخذك الحق تعالى أنوار عظمته ساطعة على الوجود فيأخذك الصعق (م)

- الإخبار: أن يعرف الله عبده بالواقعات الصادرة في الأكوان غتد حلولها وبعده لا قبله من غير أن يحصل من العبد استشراف إلى علم ذلك (ل)

- الإذلال: تجل إلهي من حيث البطون والإستئثار في الموجودات فتنزل لرجوعها إلى أنفسها (كم)

- الإرادة: الروح الممتزجة بالجسم (مر)

- الإرزاق: تجل فيضي على قدر حكمي (كم)

- الأركان الأربعة: النار، الهواء، الماء، التراب (أ)

- الأرواح الثلاثة: أصل الحرف الألفي (ن)

- الأرواح الفعلية: الملائكة المهيمنة، عالم الحدوث، عالم المعاني (مر)

- استغفر الله: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يستتر فيه وجود العبد فيغفر ذات العبد أي يسترها بذاته فلا يشهد في الوجود إلا الله وحده (ق)

- الاستواء: أن يستوي إتصاف العبد بصفات الله تعالى واتصافه بصفات نفسه (م)

- الإستيلاء: استيلاء الصفات الإلهية والأسماء الذاتية على سائر العبد بأن يتحقق جسمه الذي هو هيكله بما هو متحقق به في روحه. استيلاء حكم الحق تعالى على العبد فلا يبقي لبشريته أثر (أ)

- اسم الله تعالى: قطب رحى العالم (م)

- الاسم المحيط: كل اسم له سدنة يشملها حكمه (كم)

- الأسماء الجمالية: المرتبة العاشرة من مراتب الوجود (مر)

- الأسماء الحسنى: أسماء الإحصاء التي تَعرَّف به إلينا من الأسماء والصفات فيما يتجلى بها على عبده (أ) (ق)

- الأسماء الذاتية المقيدة: أسماء تقيد معنى الوصفية من وجه على أنها أسماء ذاتية فهي سبعة: الرحمن، الواحد، الفرد، الوتر، الصمد، القدوس، الدور (كم)

- الأسماء الذاتية: أسماء مستأثرة عنده في غيبية لم يدخرها سبحانه وتعالى تجلياً على عباده وإنما لكون درايتهم لا يمكنها معرفة ذلك (كم)
- الأسماء الفعلية: المرتبة الحادية عشرة من مراتب الوجود (مر)
- الأسماء المُستأثرة: أسماء لله يتجلى بها على من شاء من عباده، فهي مستأثرة عنده لا يعلمها إلا هو، ويعلمها من شاء من عباده (ق)
- الأسماء المستأثرة: الأسماء والصفات التي لم يتعرف إلينا بها، وهي له، يتجلى بها على من يشاء من عباده (أ).
- الأسماء النفسية: الحي، العليم، المريد، القادر، السميع، البصير، العليم (كم)
- الإغاثة: سرعة إجابة سؤال كل مضطر بإيصاله إلى المضطر إليه على ما تستحقه قابليته (كم)
- الأفلاك: الصفات الذاتية أو الإسمية أو الفعلية (م)
- الأقدار: جريان القدرة في الأشياء، وجريانها في أفعال الموجودات (م)
- الألف الأصلية: مظهر الحق تعالى، مظهر العناصر (ن)
- الإلهام: إنعدام الأعيان الثابتة بالكلية (م)
- الألوهية: الظهور الصرف (مر)
- الإلوهية: المرتبة الخامسة من مراتب الوجود، المرتبة الشاملة لمراتب الوجود، أعلاها وأسفلها (ق)
- الألوهية: تجليات الحق بالأسماء الذاتية والنفسية والوصفية والعقلية في مجلى واحد (كم)
- الألوهية: حضرة جمع الحمع، الحضرة الأكملية، مرتبة المراتب (مر)
- الألوهية:الظهور الصرف، منشأ الكثرو الوجودية، حضرة التعيينات الإلهية، جضرة جمع الجمع، مرتبة المراتب (مر)
- إمام الأئمة: الحياة(مر)
- الإمامية: الغوثية الصغرى. المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف (ل)

- إنباء الحق: أن تنسب إليه ما يستحقه من الكمالات وتنزهه عما لا يليق بكبريائه تعالى (أ)
- الإنسان الكبير: العالم الموجود تحت العرش من عالم المعنى وعالم الجبروت (ن)
- الإنسان: العالم الصغير (ق)
- أهل التجلي: الواصلون (أ)
- أهل الحضائر: عباد تجلى الله عليهم بتجليات متعينة فأكسبتهم تلك التجليات معارف آداب الدخول في الحضرات، فإذا أراد أحدهم دخول حضرة الحق تعالى استحضر تلك المعارف وتأدب بآدابها (أ)(م)
- أهل الحضائر: نوع من العارفين يخرجون عن محاضرهم الإلهية لمصالحهم الخلقية فإذا فرغوا منها رجعوا إلى أمر الله تعالى ودخلوا حضرة الحق تعالى (م)
- أهل الخلع: هم الذين يشربون الصرف، وهم أهل عين التسنيم، وهو الكافور يخرج منه لأهل المواهب (أ)
- أهل المجالسة: الحافون بالعرش
- أهل المواهب: الذين يشربون من الممزوج (تنظر هذه المادة) (أ) (م)
- الأوصاف السبعة النفسية: الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام (ق)
- الإيمان: تجل يدرك به سائر العلوم والأسرار، ويصل إلى سائر المقامات العلية، ويقطع به المنازل بنفس واحد (أ) (م)
- الإيمان: نور الله (م)
- الأئمة: الصفات النفسية (مر)

-ب-

- الباء: العرش، النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب الذي وسع الله تعالى (ك)
- الباصرة: الروح الإنسانية (ل)
- الباطل: العدم المحض، غير الله تعالى (كم)
- الباطن: الحقيقة (ن)

- البداية: تجل على قلب العبد يعيده إلى المحل العلمي الإلهي الذي بدأ منه إلى العالم العيني. أن لا يكون للعبد في العالم العيني وجود البتة، بل يفنى سائر وجوده ويضمحل تركيبه ويذهب في الذاهبين فيرجع إلى المحل العلي، فلا يكون موجوداً إلاّ في علم الله وحده (أ) (م).

- البدلية: المرتبة الرابعة من مراتب الاستخلاف (ل)

- البراءة: تجل إلهي اختراعي يظهر الله فيه الأشياء على حسب مراده (كم)

- البَسْط: أن يعطى العبد أزمة المعاني فيقودها إلى حيث القلوب المصطفات حيثما أراد الحق (ل)

- البَسْط: تجل رحماني به انتشر في الوجود ما كان منطوياً في العلم الإلهي (كم)

- البشائر- النوع الأكمل: أن يكشف الله تعالى لك أولاً عما أودعك من أسراره عن طريق المكالمة أو المحادثة أو المخاطبة أو المسامرة (م)

- البشائر- النوع المتوسط: الإخبار الإلهي للعبد من غير أن يكشف له عن سره الموعود به له (م).

- البشائر- النوع الثالث: ما يرد عليك من البشارة بطريق مخاطبات الملائكة أو مقام تراه أو يرى لك أو بتصريح ولي (م)

- البَصَر: تجلي علم الحق من حيث مرتبة معلوماته له (كم)

- البعث: تجلي الكثرة وتعين الذات باسم الغيرية وظهور الصفات المعنوية بالمظاهر الصورية، الظهور بعد البطون (كم)

- البَهت: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجلٍ يَذهب فيه لبه ويزيل عقله وتنعدم فيه معارفه (أ)(ق)

-ت-

- التاج: عدم التناهي. إشارة الى ماهية الذات التي لا نهاية لها (أ)

- التأنيس: أن يعرف الله عز وجل عبده بإقباله عليه وتدانيه إليه ويكشف له عن أسراره المودوعة ليأنس بها فيرجع إلى جنابه ويقيم عتد بابه (ل)

- التجلي الأحدي: حقيقة صِرافة الذات (مر)

- التجلي الأقدس: حقيقة تلك الروح المتجلية بأطوارها إلى تقلبات هذا القلب المتقلب (ل)

- التجلي الرحماني: أن يستولي حكم الحق تعالى على العبد فلا يبقى لبشريته أثر (م)

- تجلي الفتق: الكشف عن تداخل العلوم والمعلومات بعضها في بعض، فترى المسألة الواحدة المعقولة في ضد ما يقال بعينها في ضده (أ)

- التجلي: ثمرة التخلي (ن)

- تجليات المراتب الإلهية: التجلي الذاتي المخصوص الأقدس إلى سدرة المنتهى (م)

- تجليات المعنى : التجليات الإلهية (ق)

- تجلي عدمي: التجلي الذاتي للذات في الذات، التجلي المخصوص (ن)

- التدلي: أن يعرف الله تعالى وليه بأسرار الرجوع إلى العبودية ومناقبها وحصول استيعاب الكمال بذلك المعنى فيتدلى وينزل إلى العبودية المحضة (ل)

- التزندق: تجلي الحق تعالى على الولي بتجلي مخصوص يظهر أثره عليه بحكم الغلبة، فيزندقه كل من يراه أو يسمع به أو يعلمه في تلك الحالة (أ) (م)

- التصوف: التخلق بالأخلاق الألهية (م)

- التعالي: أن يعرف الله سبحانه وتعالى وليه بمدارج القربى (ل)

- التعليم: تأديب الحق تعالى عباده بأنواع الأدب (أ) (م)

- التفريد : الإنفراد بحقائق الكمالات الإلهية (أ)(م)

- التفصيل الجزئي: العلم بحقائق الأشياء كما هي عليه (أ)(م)

- التقرب: أن يساير الحق تعالى عبده بأنواع المسامرات والمحاضرات والمحادثات مما لا يستطيع هذا الكون انشاؤه (ل)

- التقوى: عين العبادة (ن)

- التقييد : إعطاء الحقائق حقها (أ)

- التقييد : عدم الوقوع في تجل إلا ويظهر على هيكله أثر ما هو فيه

- التكميل: أن يتجلى النبي (ص) على العبد حينما يعجز عن تحققه بمقام الكمال المطلق (ل)
- التلاشي: التخلي لورود التجلي، فالموصول فان، والمفصول باق (أ)
- التلامت: تجلي الحق تعالى على العبد بتجل تتغرب في أحوال العبد على الخلق، مما يوجب ملامتهم عليه (أ) (م)
- التلوين: الإتصاف، هو من لوازم الخلق لا من صفات الحق، غلبة حكم صفة في كل زمان (م)
- التلوين: هو مشهد ذاتي تتلون فيه بمعاني الأسماء والصفات، فيغلب عليه في كل زمان صفة، فتكون في لونٍ غير ما كنت عليه قبل (أ)
- التمكين: تجلي الحق تعالى للعبد بذاته من حضراته، فيتصف حينئذ بأسمائه وصفاته (أ) (م)
- التنزيه الذاتي: سليك الشيء عمن ليس ذلك الشيء من صفاته بوجه من الوجوه (كم)
- التنزيه الصفاتي: سليك الشيء عمن لا تقتضيه صفاته (كم)
- التنكير: تجلي الله تعالى على عباده بالأسماء والصفات المستأثرة عنده، فيعرفه العبد بها (أ)

-ج-

- الجلال: تجلي الحق تعالى على العبد بصفات القهر والكبرياء والقدرة والعظمة والجبروت (م)
- الجلال: حقيقة المجد الصرف المطلق الذي لا يختص بنسبة ولا باعتبار بل من كل الوجوه، وبكل الاعتبارات، ولكل النسب (كم)
- الجمال: تنوع تجليات الحق تعالى في منظر الحال، فتارة بتجلى باللطف وتارة بالرحمة وتارة بالفضل وأمثال ذلك (م)
- الجوهر البسيط: الجوهر بعد انحلال التركيب، الجزء الذي لا يتجزأ
- الجوهر الفرد: الجوهر قبل التركيب (مر)

- الجوهر المركب: الجوهر بعد التركيب (مر)
- الجوهر: ذات قابلة للإنصال غير قابلة للإفتراق (مر)

-ح-

- الحب: الواسطة الأولى لوجود الموجودات. محمد صلى الله عليه وسلم (أ)
- الحرف: العين الثابتة في العلم الإلهي لا تسمى كلمات وسميت حروفاً (أ)
- الحروف الظلامية: الحروف ت ج د ز ف ش ت ث خ ذ ض ط غ (ك)
- الحروف العاليات: صور المعلومات الإلهية (ن)
- الحروف النورانية: الحروف: أ هـ ح ط ي ك ل م ق س ع ص ق ر (ك)
- الحَسَب: تجل إلهي يظهور المجد الباذخ، والكمال الشامخ على أنه من مقتضيات الذات الإلهية لذاتها لا لاعتبار ألوهية أو ربوبية (كم)
- حضرة الأسماء الجليلية: المرتبة التاسعة من مراتب الوجود (مر)
- الحفظ: الكلاءة الإلهية لآثار الأسماء والصفات بحيث لا يمنع بعضها بعضاً من إظهار الأثر، فإن لله أسماء متضادة فلو لم يمنع بعضها من بعض لطمس أنوار بعضها بعضاً، ولانعدمت الأسماء للمتضاده بأسره (كم).
- حق اليقين: الإتصاف بالتجليات الإلهية منك فيك بلا واسطة اسم أو فعل بل بذاتك من غير تشبيه ولا حلول ومن نوع من النقائص(م)
- حق اليقين: الإتصاف بتجليات الله الصفاتية والأسمائية والذاتية منك فيك بلا واسطة اسم أو فعل بل بذاتك في ذاتك لذاتك (أ)
- الحق: الذي في مقابلة الباطل، لأن اليقين إذا ظهر في أمر زال خلافه (كم)
- الحق: العلم والعالم والمعلوم، الشاهد والمشهود، الوجود المحض (كم)
- الحق:تميز الذات الإلهية بصفات الكمال عن الذات الخلقية (كم)، الذات الموصوفة الممتازة عن صفات الأكوان (كم)، الذات الظاهرة في الملابس الكونية بما هي الأكوان عليه، وهذا هو الحق المخلوق به (كم)
- الحقائق: أصول الشرائع (أ) (م)

- الحقيقة المحمدية: قاب قوسين أو أدنى (مر)، العلم المطلق، العشق المجرد عن شبه العاشق والمعشوق، الشأن الصرف (مر)
- حقيقة اليقين: اعطاء كل حق إلهي حقه مما يتصف العبد من أسماء الله تعالى وصفاته (أ)
- حقيقة حق اليقين: إعطاء كل حق إلهي حقه مما يتصف به العبد من أسماء الله تعالى وصفاته (م)
- الحُكم: مقتضيات صفاته في الوجود (كم)
- الحكمة: إظهار القدرة تحت ملابس الأسباب بوضع كل شيء موضعه من الترتيب اللائق بالعلم الإلهي، وأعطى كل حقيقة في الوقت المخصوص ما تقتضيه من الظهور والبطون والتعالي والتسفل والنقص والكمال والتقديم والتأخير والإيجاد والإعدام والتقليل والتكثير (كم)
- الحلم: تجل إلهي بما اقتضته أسماء الرحمة في العصاة لا بما اقتضته فيهم أسماء النقمة (كم)
- الحمد لله: أن يتجلى الله على العبد بتجل يحمد الله فيه نفسه بنفسه عن العبد، وحمده لنفسه تجليه فيما يستحقه من الكمالات الإلهية والشؤون الذاتية والمقتضيات الصفاتية وإعطاء كل شيء حقه (ق)

- خ -

- الخاطر الأول: السبب الأول، خاطر إلهي لا يكون إلا حقاً (م)
- الخالقية: تجل إلهي يعين ما سوى الله فيه بالوجود التام، بعد أن كان محكوماً عليه بالعدم التام (كم)
- الخبرة: المعرفة التفصيلية الإحاطية الشمولية باعتبار عدم احتجاب المعلوم عن العالم به (كم)
- الخفض: تجل رباني فيه تظهر عزة الربوبية فيلحق الخفض بالمربوب (كم)
- خلع العذار:تجلي الحق تعالى على العبد بتجل يقتضي حقيقة ذلك التجلي منه أن يتحدى به، فيظهر منه شطحات (م)
- خلعة الولي الكامل: صفة إلهية يتلبس بها ويكون الأغلب على حاله (أ)

- الخلق: مظاهر الأسماء والصفات وذلك عين تجليه لنفسه بنفسه (كم)
- الخيال: برزخ بين الروح والجسد (مر)

- د-

- دائرة العين الصغرى: دائرة تنفتح حول عينه، فيرى فيها المحسوسات من وراء كثائف الحجب الحسية أشخاصاً معينة فلا تحجبه الجدارات ولا البعد ولا شيء من ذلك كله (أ)

- دائرة العين الصغرى: كشف يرى فيه العبد المحسوسات من وراء كثائف الحجب الحسية (م)

- دائرة العين الكبرى: دائرة يرى العبد فيها البرزخ والملكوت وعالم الأرواح، ويطلع على الجنان والنيران وأنواع النعيم والعذاب (أ) (م)

- ذ-

- الذات الإلهية الساذج: منقطع الإشارات بمجهول الغيب (مر)
- الذات الإلهية: الغيب المطلق، المرتبة الأولى من مراتب الوجود، غيب الغيب (مر)
- الذات الساذج: المرتبة الأولى من مراتب الوجود (ق)
- الذات: حقيقة حقائق الوجود (ن)

- ر-

- الربوبية: المرتبة السابعة المقتضية لوجود المربوب (ق)
- الربية: تجليات الحق بالإسمية والفعلية معاً في تجل واحد (كم)
- الرجوع إلى الله: الرجوع إلى المحتد الأصلي (م)
- الرحمانية: الوجود الساري، المرتبة الخامسة من مراتب الوجود (مر)
- الرحمانية: تجليات الحق بالأسماء الوصفية والفعلية والنفسية في مشهد واحد (كم)

- الرفع : تجل كمالي يظهر فيه الحق سبحانه وتعالى بما يستحقه من الكمالات التي تتناهى فيتعين استحقاقه بالرفع دون خلقه (كم)

- رفع العذار: ضيق الحياة الدنيا بتجلي الحقائق الإلهية التي يتحدى بها الولي فلا يسعها إلا الدار الآخرة (م)
- الرقيبية: عبارة عن دوام شهوده لذاته (كم)
- الروح الأعظم: النفس الكلية، اللوح المحفوظ، الإمام المبين، إمام الكتاب، أم الكتاب (مر)
- الروح الأمين: الكتاب المبين (ن)
- الروح المحمدية: العقل الأول (أ)
- الروح المحمدية: العقل الأول، مظهر الذات في الوجود (أ) (قا)
- الروح المطلق: مقدم كافة الملائكة المقربين (ن)

- س-

- سبحان الله: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يتعشق فيه حضرة التنزيه ويتعشق بها فلا يدخل عليه الكون ولا يلحق به نقص ولا ينتمي إليه تحديد ولا حصر (ق)
- سَتر الحال بالحال: التلبس بملابس أحوال العوام فلا يظهر على هياكلهم المظهرة أثر مما في بواطنهم بحال (م)
- السَتر: أن يغفر الله بذاته ذات العبد فلا يشهد في الوجود إلا الله وحده (ق)
- الستر: تجل على العبد تستتر عنه سائر العوالم الكونية، فلا يعلم للأكوان علماً،
- السحق: الفناء الذاتي (أ)
- سدرة المنتهى: تجليات المراتب الإلهية (أ) (م)
- سدرة المنتهى: جميع صوره من لطيفة وكثيفة وعوالمه كلها (أ)
- سدرة المنتهى: فناء الأوصاف الكونية من ذواتهم ببقاء الأوصاف الإلهية واتصافهم بها (ق)
- السذاجة الذاتية: الأحدية (ق)
- سر الوقفة بين مقامين: تمييز العارف بها ما قد مضى ويعرف بها أدب المقام (م)
- السرير: المرتبة الرحمانية التي هي في المكانة الإلهية (أ)

- السكران: من لا وقفة له (أ)
- السّكران: من لا وقفة له بين مقامين (م)
- سماء الدنيا: الحس (أ)
- سماعه تعالى: تجلي علمه في الأشياء من حيث مسموعيتها لأنه سبحانه يسمع منها ما علمه من نفسه (كم)
- السيار في الذهاب إلى الله تعالى: هو الذي يقطع مقامات الطريق مع البطء في الطريق، والمكث فيه بحكم العائق الماسك له (أ)
- السيَّار: قطع مقامات الطريق(م)
- السيارون في الله: الأفراد الواصلون إلى الله تعالى (أ)
- السيَّارون في الله: الأفراد الواصلون إلى الله تعالى(م)
- السير: تجاوز المقامات وقطعها بغير مكث في شيء منها بحكم العائق، مع البطء في الطريق (أ) (م)

- ش-

- الشرائع: أصول الشرائع لمعرفة الحقائق (م)
- الشكر: تجل إلهي يثني فيه على نفسه بما يقابل إحسانه على عباده (كم)
- الشم: تجل يعلم به من العلم الخاص بالله على قدر قوة قابليته، وذلك بطريق الوجدان والشم، فهو ليس عياناً ولا كشفاً إلاّ على سبيل الإيجاز (أ)
- الشهادة الإلهية: الكثرة العتعيينية الظهورية، سواء كانت كثرة الأسماء والصفات أو كثرة الأثر، التي عين المخلوقات (كم)
- الشهادة: التعيين والظهور (كم)
- الشهادة: الظهور الإلهي بجميع المظاهر، حقية كانت أو خلقية، مع قبول جميع النسب والإضافات والأحوال والشؤون التي تلحق بأوصاف الحق وأوصاف الحق (كم)
- الشهود: أن يشهدك الله تعالى ظهوره في سائر مخلوقاته، وهو أول المناظر الحقيقية (أ)

- الشهيد: من فتكت به سبَحات الجمال والجلال فأفنته عنه فهو مقتول في حركة صدمات التجليات أخرس لا ينطق، أعمى لا يبصر، ميت لا يحيى (أ)(م)

- ص-

- الصدِّيقية: وجودك حقائق الأسماء الإلهية والصفات الربانية منك فيك كما كشف الله تعالى علماً وعياناً وتحقيقاً (أ)(م)
- الصراط المستقيم: صراط الله الذي هو تنوعات تجليه في ذاته لذاته (م)
- الصفاء الإلهي: السحق ثم المحق (م)
- صفة الإلوهية: إعطاء الحقائق حقها من العدم والحدوث والحقيقة والخلقية والكمال والنقص بالقسطاس العدل (ل)
- الصور الروحانية، صور مخلوقة من نور جمال الله تعالى (ل)
- الصورة الرحمانية: مظهر الجمال المطلق (ل)
- الصوفي: من صفا من كدورات البشرية بأسماء الحق وصفاته وذاته فهو مصفى مما سوى الحق تعالى (أ)(م)

- ط -

- الطبيعة المحمدية: المرتبة الثامنة من مراتب الوجود (مر)
- الطرف الأدنى الصوري: الأفعال الحسية الصالحة المشهودة، والصور الحسية الموجودة، والأشكال اللطيفة، والأماكن العلية المنيفة (أ)
- الطرف الأعلى المعنوي: التخلق بالصفات الإلهية (أ)
- الطريقة: منهج يذهب فيه العبد إلى ربه، فالسلوك والسفر من لوازم أحكام العبد (أ)
- الطيار: هو الذي يتجاوز المقامات ويقطع منازل المنازلات والتعرفات الإلهية من غير عائق ولا مانع (أ) (م)

- ظ -

- الظاهر: المجاز (ن)

- العارفون: الذين عرفوا الذات بالأسماء والصفات (كم)
- عالم الإمكان: برزخ بين وجود القديم ووجود الحديث (مر)
- عالم الحقائق: المرتبة الثامنة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم الصغير: الإنسان (ق)
- عالم الصور: المرتبة السادسة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم الغيبي البرزخي: العالم الذي يمكن شهادته وظهوره(ق)
- العالم الغيبي: العالم الذي لا يتصور شهادته وظهوره أبداً (ق)
- عالم المعاني: المرتبة السابعة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم: الإنسان الكبير (ق)
- العائق: ما يقطع السير بغير مكث في شيء (م)
- العبودية الحقة: إعطاء الأسماء الإلهية حقائقها بإظهار آثارها على هيكله (م)
- العبودية: رجوع العبد من الحق إرى الخلق بالحق وقد تمكن من التصرف بحقائق مقتضيات الأسماء والصفات (أ) (م)
- العدل: نفي الظلم وعدم الميل مع جهة على أخرى (كم)
- عدم الاستقرار: الإستيلاء (انظر هذه المادة)
- العدم: الخلق والوجود، الحق (مر)
- عرش الربوبية: حقائق الأسماء والصفات (كم)
- عرش الرحمن: الربوبية النافذة في حث الوجود المطلق بأحدية الوجود الساري فيه فيتجلى فيه جمالا وجلالاً بالبسط والقبض والعطاء والمنع والإيجاد والإعدام (أ)(ق)
- عرش الرحمن: العالم (مر)
- العرش العظيم: الحقيقة الرحمانية (أ)
- عرش الله: القلب(م)

- العرش: الجسم الكلي، العالم الكبير (ق)
- العرش: الجسم الكلي، المرتبة الخامسة عشر من مراتب الوجود (مر)
- العرش: المرتبة الثامنة من مراتب الوجود (ق)
- العرش: محل استواء الرحمن (ق)
- العزة: تجل ذاتي في مظهر المكانة الإلهية (كم)
- العظمة: تجل إلهي بشمول الكمالات الإلهية تجلياً لا يطيقه غيره للمقتضى الذاتي، فإن هذا التجلي مما اقتضته الذات لذاتها (كم)
- العقل الأول: أول التنزلات الإلهية الخلقية، مرتبة متوسطة بين الحق والخلق، المرتبة الثالثة عشر من مراتب الوجود (مر)
- العقل الفعال: عقل أوجد الله بواسطته الأركان الأربعة: النار، الهواء، الماء، التراب.
- العقل الكلي: الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي (أ)
- العقل الكلي: العقل الثاني (أ)
- العقل الكلي: حقيقة روح كل نبي وولي كامل (أ)
- العقل الكلي: مظهر الصفات، العرش، العقل الثاني، الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي (قا)
- العقل: القلم (قا)
- العقل: القلم الأعلى، الفكر، الروح المحمدي (مر)
- العلامة: أن يقع عند المخاطب أن كلام الحق على الفور والسرعة (ل)
- علم الأقدار: الكشف عن إجراء القدرة في الأشياء.
- العلم الإلقائي: علم يلقيه الله في قلب العبد كما يشاء وعلى حسب ما يريد (ن)
- علم الحضرة النفسية: شؤون المقتضيات والنسب والظهور والبطون والأولية والأخرية (م)
- العلم الكَسْبي: علم يحصل للعبد بالمنازلات، علم الأذواق (ن)
- علم اليقين: معرفة الله الخاصة الذوقية التي يمنحها من شاء من عباده.

- علم اليقين: معرفة الله الخاصة الذوقية التي يمنحها من شاء من عباده (م)
- العلم: تجل إلهي إدراكي فيه أجد الله أعيان الحقائق على حسب ما اقتضاه ذلك التجلي بعلمه تعالى بالأشياء على حسب ما اقتضاه شأنه القديم (كم)
- العلوم اللدنية: حقائق العالم التي تشهدها من الغيب الإلهي في الكينونة العلمية من حيث أعيانها الثابتة (م)
- العلوم: أعيان ثابتة قائمة مشهودة بحقائقها إجمالا وتفصيلا سمعاً وعيانا (م)
- العَماء: الكنه الذاتي (ق)
- العِندية: حضرة العلم الإلهي (ق)
- العندية: عبارة عن حضرة العلم الإلهي(أ)
- عين الخلافة: كل فرد من أفراد النوع الإنساني خليفة الله في العالم لأنه يتصف بصفاته، وذاته من نور ذاته (أ)
- عين اليقين: تجليات الله تعالى الصفائية والأسمائية والذاتية بحكم الوجدان والإطلاع التفصيلي (أ)

- غ-

- الغاية: تجل على العبد يرى فيه ما لا يدركه، ويجد فيه ما لا يعرفه، ويعرف ما لا يراه فيفوته الضبط، ولا يستقر عنده وجود ولا علم ولا رواية ولا رؤية ولا إدراك (أ) (م)
- الغَفر: تجل إلهي يقني فيه على نفسه بما يقابل إحسانه على عباده (كم)
- الغيب: الاستتار والبطون (كم)

- ف-

- الفتح: تجل وجودي إيجادي به يتعين تفصيلا ما انبهم من إجمال الوجود منحة وجوداً.
- الفتق: الكشف عن تداخل العلوم والمعلومات بعضها في بعض، ما يطرأ على محل الرتق، ولا يكون الفتق والرتق إلا لمن هو دون مرتبة الكمال (م)
- الفصال: أعلى من الوصال، هو التجلي بمقتضيات التجلي (أ)

- فلك الأثير: المرتبة الرابعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفلك الأطاس: فلك وجودي عيني يدور تحت الكرسي وفوق بقية الأفلاك (مر)
- الفلك الأطلس: المرتبة الخامسة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك الأفلاك: الفلك المكوكب ومنطقة البروج فيه جميع الكواكب الثابتة والسيارة ملا خلا السبعة الكواكب (مر)
- فلك البروج: المرتبة السادسة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك التراب: المرتبة السابعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الجوهر البسيط: المرتبة التاسعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الشمس: المرتبة التاسعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك العناصر: المرتبة الرابعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك الغرض اللازم: المرتبة الثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- فلك القمر: المرتبة الثالثة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الماء: المرتبة السادسة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفلك المأثور: الكرة الهوائية (مر)
- الفلك المتأثر: الكرة الترابية (مر)
- فلك المريخ: المرتبة الثامنة عشر من مراتب الوجود (ق)
- الفلك المستأثر: الكرة المائية (مر)
- فلك المولدات: المرتبة الثامنة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الهواء: المرتبة الخامسة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك زحل: المرتبة السابعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك عطارد: المرتبة العشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفناء الذاتي: اضمحلال الذات والفناء عن الصفات والنعوت والأفعال والآثار. تلاشي الوجود وانعدام التركيب (أ) (م)

- الفناء عن الفناء: مرحلة تلي الفناء عن الذات، وفيه يكون مشهدك في الله مشهده فيه (أ)

- الفناء من الفناء: تحقق المحق والطمس والمحو والأنعدام (م)

- ق -

- قاب قوسين: التجلي الذاتي المخصوص الأقدس (أ)

- قاب قوسين: مجمع قوسي الدائرة الوجودية، أحد قوسيها يسمى بالواجب، والآخر بسمى بالممكن (ل)

- القبض: أن يقبض العبد من كل جهة لا يدري من أي جهة قبض عليه

- القبض: ظهور التجلي الواحدي فلا يبقى للأشياء ظهور لحكم قبض الواحدية لها

- القدوسية: التجلي الأقدسي الأول المنزه عن حكم المظاهر الخلقية (كم)

- القرآنية: تعقلك ما يستحقه الإله من أوصاف الألوهيات (ق)

- القربة: أن يتجلى الله تعالى على عبده بتجل يستقدر به على إظهار آثار الأسماء والصفات فيظهر على هيكله كل عضو بما يستحقه (م)

- القطبية: الغوثية الكبرى. المرتبة الأولى من مراتب الاستخلاف (ل)

- القلب: عرش الله (م)

- القلم الأعلى: العقل الأول (ق)

- القلم الأعلى: المرتبة التاسعة من مراتب الوجود (ق)

- القلم الأعلى: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل علمي فيه يحكم الولي على الموجودات بما تقتضيه صفات الحق تعالى فيها من الاقتضاءات المختلفة (ق)

- القلم الأعلى: نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات (أ)

- القلم الأعلى: نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات لظهور الأثر (أ) (ق)

- قنطرة الحقيقة: المجاز (ن)

- القهر: تجل واحدي لا يبق لكون معه أثراً (كم)

- المحل العلمي: أن لا يكون العبد موجوداً إلا في علم الله وحده، لا يعلمه غير الله تعالى، ولا يعلم هو نفسه، ولا يعلمه غيره (م)

- محمد صلى الله عليه وسلم: صورة القلم المسمى العقل الأول (أ)

- المخابرة: أن يكشف للعبد عن حقيقة النفس فيطلع على أن البشرية لا تفنى بالكلية وأن لابد من بقية حقيقة النفس البشرية فيرجع بذلك إلى مقام العجز (ل)

- المخاطبة: السماع من جهة على لسان الخلق مع العلم بأن الله هو المتكلم. سماع العبد مخاطبات الحق على ألسنة المخلوقات، حكمة إلهية (أ) (م)

- المراقبة: شهود العبد بقلبه لحضرة الحق تعالى (أ) (م)

- المركبات الروحانية: مركبات أجزاؤها مركبة من العالم الروحي، وكل جزء منها أمر خكمي (مر)

- المركبات السمعية: أن تسمع الكلمة التي تتركب من حروف كثيرة شيئا واحداً وكذلك الألحان المسموعة من الأوتار(مر)

- المركبات العلمية: صور المعلومات في العلم (مر)

- المركبات العينية: الأعراض التي تتواتر وتتوارد على الجوهر (مر)

- المركبات النورانية: الأجزاء الفلكية المعبر عنها بالكواكب (مر)

- المركبات: المرتبة الحادية والثلاثون من مراتب الوجود (ق)

- المسامرة: أن يسمع العبد من قلبه كلاماً يعلم أن الله هو المتكلم به ضرورة. سماع كلام الله تعالى في قلب العبد من غير جهة (أ) (م).

- المسايرة: أن يكشف للعبد عن الكمال الإلهي فينظر بحراً لا ساحل له فيؤيد بالروح الأبدية (ل)

- المسايرة: خروج الحق تعالى للعبد درجاً يقرأ فيه ما سطرته يدي القدرة للعبد في الأزل فيقرأ سابقته حرفاً حرفاً ويعلم مجمله وتفصيله (أ).

- المسايرة: مسايرة العبد للحق تعالى في جميع ما علمه فيه من صفاته (م)

- المشاركة: أن يعرف الله عبده بما يشفع في العالم من الأمور التي قد قضى الله سبحانه وتعالى في الوجود قبل وقوعها (ل)

- المشاهدة: المراقبة (كم)
- المشهد الأحدي الذاتي: مشهد لا وجود للخلق في ذلك المشهد (ق)
- المشهد الذاتي: ينظر الله فيه إلى مرتبة من ذاته سماها خلقاً مرتبة على ترتيب ذاته (ق)
- المطلق: من أطلقه الله تعالى في تجلياته فلم يتقيد مع الله باسم ولا صفة، بل هو مع الله تعالى بكل أسمائه وصفاته (أ) (م).
- المظهر الكمالي: عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله (أ)
- المعارف: تجلي الله تعالى على عباده في الأسماء والصفات التي تعرف بها إليهم، فإذا تجلى بها عرفه عباده (أ) (ق)
- المعاني الكمالية: الأسماء والصفات (ح)
- المعرفة: تجليات سائر الأسماء والصفات (ق)
- المعنى: منظر مخصوص من التجلي لواجب الوجود الظاهر بمعاني الكلام في سائر صور الوجود (ق)
- معية الحق: عين الوجود (ل)
- المعية: عدم مفارقة العبد الحق، فلا ثمة فراق ولا وصول، فهو مع الله أينما كان العبد (أ)
- المعية: يتجلى الحق تعالى على العبد فلا يفارق الحق (ق)
- المغفرة: تجل إلهي يظهر فيه الجمال المطلق من غير تقييد فينكشف عند ذلك أنه تعالى هو الفاعل لأفعال العباد، وأن أفعالهم كلها كانت مليحة لأنها أفعاله (كم)
- مقام التمكين: أول مقامات الوصول عند الكمل وعلى الحقيقة (م)
- مقام الحب: مقام يلي مقام الخلة (م)
- مقام الخلة: مثام يلي مقام القربة (م)
- مقام العبودية المحضة: مقام يلي مقام الحب (م)

- مقام القربة: مقام فوق مقام التمكين (م)
- المكالمة: كلام الحق تعالى يسمعه العبد بسمع الله تعالى، فيكون مع الكلام بكلية جسده وقلبه. سمع العبد الكلام من كل جهة فلا يتقيد سماعه بجهة دون أخرى (أ) (م)
- الملامتية: المحققون الذين يسترون الحال بحال (أ)
- الملائكة المهيمنين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (أ)
- الملائكة المهيمنين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (ق)
- الملكية: تجليات الحق بالأسماء الفعلية كلها في مظهر واحد (كم)
- الممزوج: الكافور ممزوج منه لأهل المواهب (م)
- من أنا: أن يتجلى الحق تعالى بتجل يكشف فيه عن حقيقة الذات المقدسة فلا يرى العبد إلا ذات نفسه بذهوله عن الحيطة وشهوده الحق تعالى ووجوده في أنية العبد (ق)
- من أنت: أن يتجلى الحق تعالى على العارف بتجل يكشف له عن حقيقة ذات العارف (ق)
- منازل المنازلات: المراقبة والتجلي وقشهود (م)
- المناظر الإلهية: محاضر جمال العلوم اللدنية. الملائكة المهيمنين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (م) (ق)
- المناظر: ما يوجد بين كل اثنين من المقامات (م)
- المنصة الكبرى: الرفرف.
- منظر عين اليقين: شهود تجليات الله تعالى الصفاتية والأسمائية والذاتية بحكم الوجدان والإطلاع التفصيلي (م)
- الميم المحمدي: محل النقطة وظهورها (ن)

- ن -

- النباتات: المرتبة الثانية والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- النجابة: المرتبة السادسة من مراتب الاستخلاف (ل)

- النجوم: العينين.

النذائر: إطلاع العبد على تقلبات القلوب وما تقتضيه كل تقليبة من البعد من الله تعالى (م)

- النقابة: المرتبة الخامسة من مراتب الاستخلاف (ل)
- النقطة الأولى: روح الله تعالى (ن)
- نقطة الباء: الكنز المخفي (ك)
- نقطة الباء: غيب الهوية (ك)
- النقطة البياضية: المقام المحمدي (ن)
- النقطة الثالثة: الروح الأمين (ن)
- النقطة الثانية: الروح القدس (ن)
- النقطة: حقيقة حقائق الحروف (ن)
- نهاية العبد : رجوعه إلى العجز الكلي عن أداء حقوق الكمال (م)

نهاية العبد : رجوعه إلى العجز الكلي(أ)

- النهاية: الرجوع إلى البداية، لأن العبد مخلوق من العدم (ق)
- النهاية: أن يتجلى الله على قلب العبد بتجل يعرف منه قدر الله تعالى فيشم من رائحة الكمالات الإلهية (أ) (م)

- هـ -

- الهباء: المرتبة الثالثة عشر من مراتب الوجود (ق)
- الهباء: مكان حكمي لا وجودي أوجد الله العالم به، مكان العالم (مر)
- الهداية: أن يشهد العبد المعاني والأحكام صوراً وجودية عينية (م)
- الهداية: تجلي الله تعالى على قلب عبده بتجل يقيمه في سنن صراط الله فيتصف بما وصف الله به (م)

الهداية: شهود المعاني والأحكام صوراً وجودية عينية (أ)

- الهمة: القدرة الإلهية الداخلة فيك (ل)

- الهوية الإلهية: غيبوبية الصفات الكمالية في بطون الذات الأقدسية (ن)
- الهيبة: أن يتعالى الحق بعد التداني فتظهر عزته وعظمنه وكبريائه وجبروته (ل)
- الهيمنة: التجلي الإلهي الإطلاعي التصريفي بحكم الاستقلال والتصريف والشمول والإطلاع (كم)
- الهيولي: المرتبة الثانية عشر من مراتب الوجود (ق)
- الهيولي: حضرة التشكيل والتصوير، المرتبة التاسعة عشر من مراتب الوجود (مر)

- و -

- الواحدية: التنزل الثاني، العين الثابتة، حضرة الجمع والوجود، حضرة الأسماء والصفات (مر)
- الواحدية: العين الثابتة (مر)
- الواحدية: المرتبة الرابعة من مراتب الوجود (ق)
- الواحدية: أول تنزلات الذات في الأسماء والصفات (ق)
- الواحدية: حضرة الجمع والوجود (مر)، حصرة الأسماء والصفات (مر)
- الواحدية: منشأ السوية (مر)
- وإن من شيء إلا عنده خزائنه: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يكشف له فيه عن مفاتيح الغيب التي أودعها الله تعالى إلى الإنسان الكامل (ق)
- الوتدية: المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف (ل)
- الوجود الساري: الرحمانية، المرتبة الخامسة من مراتب الوجود (مر)
- الوجود المطلق: التجلي الأول، الأحدية، أول التنزلات الذاتية (مر)
- الوجود المطلق: الله (كم)
- الوجود المطلق: حقيقة الحقائق لأنه غير مقيد أو منسوب إلى جهة حقيقية أو جهة خلقية (ن)
- الوجود: تجلي الحق تعالى بأعيان المظاهر، فيكون عين الظاهر وعين المظهر (أ)

- الوحدة: سلب الحق تعالى العالم ما ألبسهم من حلل الدعاوى الكاذبة المشعرة بوجود موجود سواه (م)

- الود : التوجه الإرادي الحبي، لا لعلة بل لمقتضى الذات، فلولا المحبة ما كان هذا الظهور، ولولا الظهور بما عرف الله تعالى (كم)

- الوصال: التلاشي (م)

- الوصال: دوام الوصلة بلا انقطاع ولا فتور (م)

- الوصال: دوام الوصلة بلا انقطاع ولا فتور. هو لحق العبد بالله تعالى. هو التلاشي(أ) (أنظر هذه المادة)

- الوصال: لحوق العبد بالله تعالى (م)

- الوقفة بين المقامين: دليل على قوة سير العارف، فإن من لا وقفة له سكران بخمار المقام الذي خرج عنه (أ)

- الوقفة: الوقوف بين يدي الله تعالى في منظر بين المناظر، أما صحواً وأما سكراً (أ) (م)

- الوقوف مع المراسم: هو سريان الولي في أفلاك الأسماء والصفات إلى أن يقف عند مقتضى كل اسم وصفة بما هي عليه من الذات المقدسة (أ) (م)

- الوقوف: الوقفة بين مقامين (م)

- الولاية: المرتبة السابعة من مراتب الاستخلاف (ل)

- الولي: من يستولي حكم الحق عليه فلا يبقى لبشريته أثر (م)

- الوهب: تجل جودي على مقتضى إيجادي بتصرف إيرادي على نسق علمي، وهو ثاني التجليات الفيضية (كم)

للتوسع في موضوعة جيلان العراق وجيلان الطبرستان أنظر كتاب جغرافية الباز الأشهب للدكتور جمال الدين الكيلاني تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

الفهارس

1- الاعلام

محمود افندي مفتي الشافعية ببغداد 313

2- المواقع

3- المصطلحات

المحتويات